4363/514

٣١

كتاب

شرح العلامة المحقق الفهامة المدقق

من أصحاب معارفه اضاءة الشموس سيدي محمد بن

قاسم جسوس الموسوم (بالفوائد الجليلة البهية

على الشمائل المحمدية) على صاحبها

أفضل الصلاة وأزكى

التحية

آمين

وبهامشه لوامع أنوار الكوكب الدرى (فى شرح همزية الامام البوصيرى) للعالم النحرير والحبر الكبير ذو التحقيق المدرس سيدي محمد بن أحمد بنيس عم الله تعالى الجميع برضوانه وأكرمهم بالمشاهدة في فسيح جنانه آمين

(الطبعة الاولى)

(سنة ١٣٣٠)

حقوق الطبع محفوظة للملتزم

(حضرة محمد فودي ابو شال سعادة قاسم بك محمد الحلو التاجر الشهير بمصر)

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

(الكائنة بحارة الروم بعطفة التبري)

STATE LIBRARY

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام سيدي محمد بن قاسم جسوس رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي أودع أبدع الشمائل زين الخلائق وولاه وأولاه أجمل الخلق وأحسن الخلائق وحباه قبل خلقه بالاكرام وانتخبه من خيرة خلقه الجلة الكرام وأنشأه براكريما رؤفا رحيما وبه رسله ختم وعليه نعمته أتم فهو الحائز لكل المفاخر الفاخرة وهو على الاطلاق سيد أهل الدنيا وسيد أهل الآخرة توالت عليه صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته واكرامه وعلى آله أجمعين وأصحابه والتابعين ماذكرت محاسنه وفضائله وسرت السامعين بشرحها شمائله

اذا ذكرت شمائل من اليه انتمت بين الورى أسمى الشمائل
رأيت السامعين تميل وجدا * كاغصان تحركها الشمائل

﴿ وبعد ﴾ فلما كان كتاب الشمائل من أجل ما ألف في محاسن قطب الوسائل ومنبع الفضائل وكان الاشتغال به خدمة لشفيع الخلائق الاواخر منهم والاوائل ووسيلة الى امتلاء القلوب بتعظيمه ومحبته وطريقا الى اتباع طريقه وسننه ومعينا على الفوز بمشاهدة كريم طلعته قيدت عليه عند اقرائه وقراءته واستعمال الفكر في فهم عبارته فوائد وتحقيقات وتنبيهات بينات تغني الناظر فيه عن كثير من المجلدات راجيا أن نفوز بقسط من التعلق به وأن نحسب من جملة خادميه وحزبه وننخرط في سلك أهل وداده وحبه وندلي دلونا معهم في بحر فضله الذي لا يخيب قاصده ولا يظمأ وارده وأن نظفر بدعوة من أولي الالباب فان الدعاء بظهر الغيب مستجاب وقد قيل كما أن أهل القرآن أهل الله فاهل الحديث أهل رسول الله وأنشدوا

أهل الحديث هم أهل النبي وان * لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

وقد اعتمدنا في مواضع كثيرة من هذا الشرح المبارك على شرح الامام البحر الهمام سيدي علي بن سلطان محمد القاري الحنفي رحمه الله تعالى المسمى بجمع الوسائل في شرح الشمائل فسأله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم * قال الشيخ الامام العالم العلامة سيدي محمد بن أحمد بنيس رحمه الله تعالى

(الحمد لله) الذي أرسل رسوله محمدا المحمود بالهدى ودين الحق وخصه من بين سائر الرسل بالرسالة العامة لكل الخلق وأوجب له النبوة وآدم بين الطين والماء وجعله خاتم الانبياء وامام ملائكة السماء فهو الشفيع المشفع يوم العرض المحمود في ملإ السماء والارض صاحب اللواء المنشور يوم النشور والمؤتمن على سر الكتاب المسطور ومخرج الناس من الظلمات الى النور فائدة الكون ومعناه وسر الوجود الذي بهر الوجود سناه وصفي حضرة القدس الذي لا ينام قلبه اذا نامت عيناه البشير الذي سبقت له البشرى ورأى من آيات ربه الكبرى ونزل فيه سبحان الذي أسرى من انتقل في الغرر الكريمة نوره وأضاءت لميلادة مصانع الشام وقصوره وطفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره والمعجزات التي أثبتتها المشاهدة والحس وأقر بها الجن والانس من جماد يتكلم وجزع لفراقه يتألم وقمر له ينشق وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس وماء من بين اصابعه يتبجس صلى الله عليه وعلى آله ملء اللوح

والفضلاء ومثل نجوم السماء وعدد القطر والحصى صلاة لا تعد ولا تحصى (وبعد) فهذا مشرع شريف ومنزع لطيف ومقصد منيف قصدت به الانحياش لباب أكرم خلق الله بشرح قصيدة الامام أبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى رحمه الله بذلت فيه المجهود فى خدمة أجود كل موجود مستمطرا أسحائب احسانه مستنزلا غزير بره وامتنانه فان الكرام اذا امتدحوا أجزلوا العطايا ومنحوا وكل يعمل على طاقته وشاكلته ومدار عمل العامل على نيته (وسميته لوامع أنوار الكوكب الدرى فى شرح همزية الامام البوصيرى) ومن الله سبحانه أستمد العون والقبول والفوز بالرضا ونيل المأمول انه جل شأنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولنقدم مقدمة مشتملة على مقصدين مهمين

﴿المقصد الاول﴾

وقد لخصت مضمنه من شرح شيخنا سيدى محمد جسوس على الشمائل فنقول لاشك ان المكلف مكلف بان يعرف ما يجب فى حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل وأن يعرف مثل ذلك فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا النظم مشتمل على ذكر بعض صفات نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومعرفة ذلك والاطلاع عليه فتعين على كل مؤمن لوجوه ﴿الوجه الاول﴾ ان معرفة صفاته السنية ونعوته البهية السمية وسيلة الى امتلاء القلب بتعظيمه وهو وسيلة الى تعظيم شريعته لان حرمة الكلام على قدر حرمة المتكلم به وتعظيم الشريعة واحترامها وسيلة الى العمل بها والوقوف عند حدودها والارتباط لامرها ونهيها وايثارها على مألوفات النفس وعوائدها وشهواتها الشاغلة لها عن مالكها وخالقها وذلك هو معنى الانقطاع الى الله الذى لاجله خلق الانسان وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو وسيلة الى السعادة الابدية والسيادة السرمدية والفوز برضوان الله تعالى الذى هو غاية رغبة الراغبين ونهاية آمال المؤملين وطلب الطالبين اليوم أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهذا من فوائد تنويه الله تعالى بقدره صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه وأمره فى غير ما آية من كتابه العزيز قال مولانا جل شأنه واذ اخذ

فنسأله سبحانه وتعالى أن يجعله وصلة بيننا وبينه وينيلنا به فى الدارين غفرانه وأمنه انه سميع مجيب رحيم قريب فأقول وبه أستعين وهو القوى المعين يوجد فى بعض النسخ (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال الشيخ الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى) والموجود فى بعضها بعد البسملة باب ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم والاولى أن تنسب الحمدلة للمصنف عملا بحسن الظن به والكلام على جملتى الحمدلة والبسملة شهير وقد ذكرنا فيما لنا من التقييد على خطبة الرسالة وعقيدتها ما تمس الحاجة اليه من ذلك وأما قال الشيخ الخ فيحتمل أن يكون من صنع تلامذته لما قال الخطيب ينبغى أن يكتب المحدث بعد البسملة اسم شيخه وكنيته ونسبته ثم يسوق ما سمعه منه ويحتمل أن تكون ذلك من فعل المصنف للاعتماد لا للافتخار ولان الفائدة اذا عرف مفيدها عظم موقعها من النفس سيما فى العلوم النقلية التى من جملتها علم الحديث المحتاج فيه الى معرفة القائل وعدالة الناقل فلا يؤخذ الاعمن كان عالما عاملا فتكون معرفة المؤلف ومرتبته فى العلم والدين من أقوى دواعى الاعتناء بمسائل الكتاب والنظر فيه بعين الرضا الذى هو من أقوى أسباب الانتفاع به بتوفيق الله تعالى والانتفاع بالتآليف هو المقصود منه فصار تعريف المؤلفين بأنفسهم من باب الحرص على الانتفاع وهداية الامة والاعمال بالنيات * وهذا والله أعلم مما يصلح توجيها لافتتاح الكتاب العزيز بخصوص الفاتحة المتضمنة للثناء عليه تعالى بكل ما هو أهله من صفات الكمال ونعوت الجلال وان منه تعالى المبدأ واليه المرجع والمنتهى وبه البقاء حتى يكون لاوامره ونواهيه تعالى موقع عظيم فى القلوب وتأثير عجيب فى النفوس فان تعظيم الامر والنهى على قدر معرفة الآمر والناهى وأيضا فى تعريفهم بأنفسهم اظهار لنعمة الله عليهم الذى هو ضرب من الشكر ان الله اذا أنعم على عبد أحب أن يظهر أثر نعمته عليه وأيضا فى ذلك اشعار بطلب الاعتناء بمعرفة الشيوخ ونسبة فوائدهم اليهم وذكرهم والثناء عليهم والقيام بحقوقهم والاحسان اليهم لانهم آباؤنا فى الدين فتجب خدمتهم واستعمال الآداب اللائقة معهم ومكافأتهم لمن قدر والا فبالدعاء لهم من لم يشكر الناس لم يشكر الله من أسدى اليكم معروفا فكافؤه فان لم تقدروا فادعوا له الحديث واكرامهم فى الحقيقة خدمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم أنصار دينه وحملة شريعته وخلفاؤه ونوابه * قال أبو معاوية الضرير أكلت مع هرون الرشيد يوما ثم صب على رجل لا أعرفه أى لكونه ضريرا فقال الرجل تدرى من يصب عليك قلت لا قال أنا اجلالا للعلم فقلت جزاك الله عنا خيرا يا أمير المؤمنين فما أكرمت الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت انما صببت على يدك لانها كف عنيت بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى معاذ مرفوعا من وقر عالما فقد وقر ربه وفى الاحياء أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقال انا هكذا أمرنا أن نصنع بالعلماء والكبراء مناو يحتمل احتمالا قريبا أن يكون فى نسخة المصنف قال أبو عيسى الخ وزيادة الشيخ الحافظ من التلامذة اجلالا وتعظيما والشيخ هو من كان أستاذا كاملا متبحرا فى فن من

الله ميثاق النبيين الآية انا فتحنا لك فتحاً مبينا الآية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله من يطع الرسول فقد أطاع الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الى غير ذلك ﴿ الوجه الثاني ﴾ ان معرفتها تتضمن معرفة حسنه واحسانه صلى الله عليه وسلم وذلك وسيلة الى محبته لان أسباب المحبة وان تكاثرت فمدارها على أمرين الحسن والاحسان فان النفوس مجبولة على حب الحسن والمحسن اليها ولا حسن يماثل حسنه صلى الله عليه وسلم كما لا احسان يماثل احسانه صلى الله عليه وسلم الينا اذ كل خير و بركة قلت أوجلت منه حصلت و بطلعته ظهرت ومحبته صلى الله عليه وسلم من روح الايمان الذي هو أصل كل سعادة وسيادة و في محبتنا له صلى الله عليه وسلم منن عظيمة علينا لانها موجبة لمعيته ومجاورته ومحبته لحديث أنت مع من أحببت والمرء مع من أحب وقد قال ما اختلط حبي بقلب أحد فاحبني الا حرم الله جسده على النار (الوجه الثالث) ان السعي في معرفتها خدمة لجنابه صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وتعلق به وتعظيم لقدره وتقرب وتودد وانتساب واستعطاف وتعرض لنفحات فضل الممدوح واستمطار لسحائب احسانه واستنزال لغزير بره وامتنانه ومدّ ليد الفاقة والاضطرار و بسط لبساط الالحاح والاكثار وفتح لابواب خزائن ما يأتي من قبله فان الكرام اذا مدحوا أجزلوا المواهب والعطايا وقد أعطى العباس بن مرداس لما مدحه مائة من الابل وخلع حلته على كعب بن زهير لما مدحه بقصيدته المشهورة التي منها قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

و في ذلك أيضاً تعرض لنفحات الرحمة الالهية لانه اذا كانت رحمته تعالى تتنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيدهم وسندهم وممدهم صلى الله عليه وسلم و بالجملة فادنى انتساب اليه صلى الله عليه وسلم يحصل غاية النفع والشرف اذ لم يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه من مولانا محمد صلى الله عليه وسلم و لم يخلق جاهاً أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم فيحصل لخادمه من الجاه بحسب ماله صلى الله عليه وسلم من العز والشرف *

الفنون و يصح الاقتداء به ولو كان شابا فان كثيراً من الصحابة حدثوا في زمن شبابهم وجماعة من أحداث التابعين رووا لاصحابهم وقد قال اسحق بن راهويه في حق البخاري يا أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج اليه لمعرفته بالحديث وقد أفاده لك وهو ابن عشر بن أو سبع عشرة والشافعي تلمذ له العلماء وهو في حداثة السن خلافا لمن اشترط أن يكون ابن خمسين أو أربعين والحافظ هو في اصطلاح المحدثين من أحاط علمه بمائة ألف حديث متنا واسناداً والحجة من أحاط علمه بثلثمائة ألف حديث متنا واسناداً وأحوال رواته جرحا وتعديلا ونار بخ نقل عن البخاري انه قال احفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح * وأبو عيسى هو كنية المصنف واسمه محمد و والده عيسى وجده سورة على وزن طلحة وأصلها لغة الحدة ابن موسى بن الضحاك السلمي بضم السين منسوب الى بني سليم مصغر أقبيلة من قيس بن عيلان * والترمذي قال النووي فيه ثلاثة أوجه كسر التاء والميم وهو الاظهر وضمهما وفتح التاء وكسر الميم نسبة لترمذ وهي مدينة قديمة على طرف نهر بلخ المسمى بالجيحون وهو النهر الفاصل بين عراق العرب والعجم كان رضي الله عنه أحد الائمة الاعلام وحفاظ مشايخ الاسلام وجامعه دال على اتساع حفظه و وفور علمه فانه كاف للمجتهد وشاف للمقلد * ونقل عن الشيخ أبي عبد الله الانصاري انه قال جامع الترمذي عندي أنفع من كتابي البخاري ومسلم وقد قال رحمه الله كل ما في كتابي هذا معمول به الا حديثين حديث جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في غير خوف ولا سفر ولا مطر وحديث اذا شرب الخمر فاجلدوه واذا شرب الثانية فاجلدوه واذا شرب في الثالثة أو في الرابعة فاقتلوه * قال وقد عرضت كتابي هذا على علماء العراق وعلماء خراسان فكلهم قبلوه و رضوا به قال ومن كان كتابي هذا في بيته فكأنما في بيته نبي ينطق اه قال الشيخ زروق في شرح الرسالة وكون حديث الجمع لم يعمل به يعني عند السلف الاول والا ففي المذهب قول بجوازه في الحضر بن لغير ضرورة والجمع الصوري أيضاً وقد حكى ذلك الباجي وغيره وهم أئمة هدى والدليل معهم اه وكتابه السنن أحد الكتب الستة التي عليها المدار في علم الحديث * سمع رضي الله عنه خلقا كثيراً من الائمة الاعلام مثل قتيبة بن سعيد والبخاري والدارمي ونظرائهم وذكر السيد الشريف في التذكرة ان الترمذي قال سمع مني محمد بن اسمعيل البخاري حديث عطية عن أبي سعيد لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك اه فيكون كل منهما على هذا شيخا للآخر و روى عنه مسلم أيضاً حديثاً واحداً وهو من تابعي تابع التابعين وأعلى ما وقع له في الجامع حديث ثلاثي الاسناد وهو قوله عليه السلام يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر * ولد رحمه الله سنة تسع ومائتين وتوفي رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائتين فعمره سبعون سنة * قوله رضي الله عنه

﴿ باب ما جاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ينبغي أن نقدم قبل الشروع في كلام المصنف مقدمة لم نسبق اليها فيما نعلم ليقوى باعث الرغبة فيما ذكره من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم فنقول مقصود المصنف ذكر ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم من شمائله صلى الله عليه وسلم وحسنه الظاهر والباطن ومعرفة ذلك مما يتأكد بل يتعين على كل مؤمن لوجوه ﴿الوجه الاول﴾ ان معرفة صفاته السنية ونعوته البهية السمية صلى الله عليه وسلم وسيلة الى امتلاء القلب بتعظيمه وتعظيمه وسيلة الى تعظيم شريعته لان حرمة الكلام على قدر حرمة المتكلم به وتعظيم الشريعة واحترامها وسيلة الى العمل بها والوقوف عند حدودها والارتباط لامرها ونهيها وايثارها على مألوفات النفس وعوائدها وشهواتها الشاغلة لها عن مالكها وخالقها وذلك هو معنى الانقطاع الى الله الذي لاجله خلق الانسان وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو وسيلة الى السعادة الابدية والسيادة السرمدية والفوز برضوان الله تعالى الذي هو غاية رغبة الراغبين ونهاية آمال المؤملين وطلب الطالبين اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهذا من فوائد تنويه الله تعالى بقدره صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه وأمره في غير ما آية من كتابه العزيز كآية واذ أخذ الله ميثاق النبيين وكآية انا فتحنا لك فتحا مبينا الخ وكآية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله الخ وكآية من يطع الرسول فقد أطاع الله وكآية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الخ وكآية القسم بمدة حياته لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وبعصره والعصر ان الانسان لفي خسر الخ وببلده لا أقسم بهذا البلد وعلى صدقه والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى الخ وعلى اكرامه والانعام عليه والضحى والليل اذا سجى أقسم تعالى ان صفاء المحبة باق كما كان وخلوص المودة لم يزل ولم يتبدل ﴿الوجه الثاني﴾ ان معرفتها تتضمن معرفة حسنه واحسانه صلى الله عليه وسلم وذلك وسيلة الى محبته لان أسباب المحبة وان تكاثرت فمدارها على أمرين الحسن والاحسان فان النفوس مجبولة على حب الحسن كما انها مجبولة على حب المحسن اليها ولا حسن يماثل حسنه صلى الله عليه وسلم كما لا احسان يماثل احسانه صلى الله عليه وسلم الينا اذ كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت وبطلعته ظهرت ومحبته صلى الله عليه وسلم هي روح الايمان الذي هو أصل كل سعادة وسيادة وفي محبتنا له صلى الله عليه وسلم منن عظيمة علينا لانها موجبة لمعيته ومجاورته وصحبته لحديث أنت مع من أحببت والمرء مع من أحب * وروى الحافظ أبو نعيم عن مسعر بن كدام عن عطية قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنه جالسا فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن وددت أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن عمر فكنت تصنع ماذا فقال كنت والله أومن به وأقبل بين عينيه فقال له ابن عمر ألا أبشرك قال بلى يا أبا عبد الرحمن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اختلط حبي بقلب أحد فاحبني الا حرم الله جسده على النار ﴿الوجه الثالث﴾ ان السعي في معرفتها خدمة لجانبه صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وتعلق به وتعظيم لقدره وتقرب وتودد واستعطاف وانتساب وتعرض لنفحات فضل الممدوح واستمطار لسحائب احسانه واستنزال لغزير بره وامتنانه ومد ليد الفاقة والاضطرار وبسط لبساط الالحاح والاكثار وفتح لابواب خزائن ما يأتي

قال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ما في الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وأخرى مثل النبي صلى الله عليه وسلم فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما نرى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد وكما ان غلام الوالي لا يتعرض له اكراما للوالي فكذلك خدام النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الاعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد الخاص ولشيخ شيوخنا العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري في همزيته واذا ما الجناب كان عظيما * مد منه لخادميه لواء واذا عظمت سيادة متبو * ع أجل اتباعه الكبراء ﴿الوجه الرابع﴾ ان معرفة صفاته معينة على شهود ذاكرها لذاته وفي رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة أو نوما فوائد عظيمة ومزايا كثيرة فخيمة وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا من نظر في وجه أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وقولهم القوم لا يشقى جليسهم مع انهم ما نالوا ذلك الا بنوره المشرق عليهم ومدده السارى فيهم

وكلهم من رسول الله ملتمس الخ

﴿الوجه الخامس﴾ ان في ذكرها وسماعها تنعما وتلذذا بحبيب القلوب وقرة العيون صلى الله عليه وسلم وهو ضرب من الوصال به صلى الله عليه وسلم ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به لما فيه من امتاع حاسة السمع واللسان بأوصاف المحبوب الذي هو وسيلة الى حضوره بالقلب فاذا فات النظر اليه بالبصر لم يفت التمتع بسماع لذيذ الخبر ولذا قيل * يا واردا من أهيل الحي يخبرني * عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر * ناشدتك الله يا راوي حديثهم * حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري (وللشيخ الغوث سيدي أبي مدين نفعنا الله به)

ونحيا بذكرا كم اذا لم نراكم * ألا ان تذكار الاحبة ينعشنا فلولا معانيكم تراها قلوبنا * اذا نحن أيقاظ وفي النوم ان غبنا

لمتنا أسى من بعدكم وصبابة * ولكن في المعنى معانيكم معنا يحركنا ذكر الاحاديث عنكم * ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا

(ولذا قيل) ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل العين أحيانا

(الوجه السادس) ان ذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم يحرك ما في القلوب من الحب الساكن والشوق الكامن و يحصل من انشراح الصدر وتفريج القلب ما يناسب اجلاء تلك المحاسن وقد يغيب المحب عند ذكر أوصاف المحبوب صلى الله عليه وسلم ولا سيما ان كان القارئ حسن الصوت وكانت قراءته على وجه يثير الخشوع و يرقق القلوب كما هو المطلوب و يرحم الله الشيخ سيدي عبد الرحيم البرعي اذ قال

أصوم عن الاغيار قطعا وذكركم * سحور لصومي في الهوى وفطور
وتأخذ قلبي لنشوة عند ذكركم * كما ارتاح صب خامرته خمور
ومدح ٦ رسول الله أصل سعادتي * أفوز به يوم السماء تمور
نبي تقي أريحي مهذب * بشير لكل العالمين نذير
اذا ذكرا رتاحت قلوب لذكره * وطابت نفوس وانشرحن صدور

(المقصد الثاني في التعريف بالناظم اجمالا) فهو رحمه الله الامام العلامة الهمام العارف بالله الصادق في محبة سيدنا رسول الله أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله البوصيري رضي الله عنه وأرضاه ولد سنة ثمان وستمائة وتوفي سنة خمس وتسعين فعمره سبع وثمانون سنة أخذ عن العارف بالله سيدي أبي العباس أحمد بن عمر المرسي الانصاري وهو عن القطب الكبير والغوث الشهير مولانا أبي الحسن الشاذلي الحسني وهو عن القطب الهمام غوث الانام مولانا عبد السلام بن مشيش الحسني وقد عرف بالناظم أخوه في الله سيدي أحمد بن عطاء الله في لطائف المنن فلتنظر

من قبله فان الكرام اذا مدحوا أجزلوا المواهب والعطايا وقد أعطى العباس بن مرداس لما مدحه صلى الله عليه وسلم مائة من الابل وخلع حلته على كعب بن زهير لما مدحه بقصيدته التي يقول فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

وفي ذلك أيضا تعرض لنفحات الرحمة الالهية لانه اذا كانت رحمته تعالى تتنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيدهم وسندهم وممدهم صلى الله عليه وسلم و بالجملة فأدنى انتساب اليه صلى الله عليه وسلم يحصل غاية النفع والشرف اذ لم يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يخلق جاها أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم فيحصل لخادمه من الجاه بحسب ماله صلى الله عليه وسلم من العز والشرف * قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى ما في الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وآخرة مثل النبي صلى الله عليه وسلم فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد وكما ان غلام الوالي لا يتعرض له اذا سكر مثلا اكراما للوالي فكذلك خدام النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الاعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد الخاص ولشيخنا العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري رحمه الله تعالى في هذا المعنى من قصيدته همزية المديح

واذا ما الجناب كان عظيما * مد منه لخادميه لواء
واذا عظمت سيادة متبو * ع أجل اتباعه الكبراء

وقد ورد أن من قال جزى الله عنا محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح وفي رواية ألفي صباح * وتذكر حكاية الاسرائيلي الذي وهب الله له ذنوب مائتي سنة لتقبيله اسمه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه وقد نقلها سيدي أبو عبد الله بن عباد في رسائله (٣) وانظر ما ورد في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يتضح لك الامر و يرتفع عنك الحجاب و ينفتح لك الباب وقد تقدم قول بعضهم كما ان أهل القرآن أهل الله فأهل الحديث أهل رسول الله وأنشدوا

أهل الحديث هم أهل النبي وان * لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

(الوجه الرابع) ان معرفة صفاته معينة على شهود ذاكره لذاته وفي رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة أو نوما فوائد عظيمة ومزايا كبيرة فخيمة يأتي ان شاء الله التنبيه على بعضها في باب رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام وان أردت فهم ذلك فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا من نظر في وجه أحدهم نظرة

(٣) قلت وقد نقلها أيضا سيدي بدر الدين عن ابن عباد ونصه وفي رسائل ابن عباد وقد روى في الاسرائيليات ان رجلا عصى الله مائتي سنة في كلها يتمرد ويجتري عليه فلما مات أخذ بنو اسرائيل برجليه وألقوه على مزبلة فأوحى الله الى موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جميع بني اسرائيل ففعل ما أمر به فعجب بنو اسرائيل من ذلك وأخبروه انه لم يكن في بني اسرائيل أعتا على الله منه ولا أكثر معاص فقال قد علمت ولكن الله أمرني بذلك قالوا فسل لنا ربك فسأل موسى ربه فقال يارب قد علمت ما قالوا فأوحى الله اليه أن قد صدقوا انه عصاني مائتي سنة الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا فقبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتي سنة اهـ منه

وممن أخذ عن الناظم أبوحيان واليعمري وأبوالفتح بن سيد الناس والعز بن جماعة وغيرهم ثم انه رضي الله عنه ابتدأ هذه القصيدة بما يناسب غرضه من المديح وذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى غاية لاتدرك ففي مطلع النظم براعة الاستهلال وكل ما بعده تفصيل لبعض مجمله واستفتح بطريق الخطاب تشخيصا الذاته المقدسة البهية واحضارا لصفاته النزيهة العلية وتلذذا بالكلام معه واستجلاء لخطابه وتفاؤلا بالقرب منه وصرفا للهمة اليه استحياء من أن يخاطبه وهو غائب

عنه وكان مدح العظماء عند حضورهم أتم وأجمع منه عند غيبتهم لان الهمة مع حضورهم تفرغ لخدمتهم والقريحة تضطر لاستنباط ما يناسب أقدارهم على ان من كان مغرما بشئ مشوقا اليه مشغوفا به لايزال ذاكرا له بلسانه وقالبه وقلبه حتى يصير له دائم الاستحضار مشاهدا في حضرة الابصار * يمثلك الفكر المروع بالنوى * فأرتاح اذ يبدي خيالك في فكري * ويدنيك مني الوهم حتى كأنني * أناجيك من فرط التشوق والذكر * فقال رضي الله عنه

(كيف ترقى رقيك الانبياء * ياسماء ماطاولتها سماء)

الغالب في كيف الاستفهام تحقيقا أو تقديرا كما هنا فهي للاستفهام الانكاري المشوب بالتعجب المتضمن للنفي وهي في موضع نصب على الحال لوقوعها قبل كلام تام أي على أي حال ترقى رقيك الانبياء (٤) أي لا حال لهم ينالون به ذلك ورقى بكسر القاف في المحسوسات وبالفتح في المعاني ويراد ان

نظرة سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا وقولهم القوم لايشقى جليسهم فانهم ما نالوا ذلك الا بنوره المشرق عليهم ومدده السارى فيهم ﴿الوجه الخامس﴾ ان في ذكرها وسماعها تنعما وتلذذا بحبيب القلوب وقرة العيون صلى الله عليه وسلم وهو ضرب من الوصال به صلى الله عليه وسلم ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به لما فيه من امتاع حاسة السمع واللسان باوصاف المحبوب الذى هو وسيلة الى حضوره بالقلب فاذا فات النظر اليه بالبصر لم يفت التمتع به بالسمع والنظر اليه بالبصيرة كما قال بعضهم

يا واردا من أهيل الحي يخبرني * عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر
شدتك الله ياراوي حديثهم * حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

﴿وقال سيدي أبومدين رحمه الله تعالى ونفعنا به﴾

ونحيا بذكراكم اذا لم نراكم * الا ان تذكار الاحبة ينعشنا
فلولا معانيكم نراها قلوبنا * اذا نحن أيقاظ وفي النوم ان غبنا
لمتنا أسى من بعدكم وصبابة * ولكن في المعنى معانيكم معنا
يحركنا ذكر الاحاديث عنكم * ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا

وقال ابن الجزري في مدح الشمائل مشيرا الى المعنى

أخلاي ان شط الحبيب وربعه * وعز تلاقيه وناءت منازله
وفاتكم ان تنظروه بعينكم * فما فاتكم بالسمع هذى شمائله

﴿ولبعضهم في المعنى﴾

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الحبيب بطائل * ان لم تره فهذه آثاره

﴿ولشيخنا الفقيه المشارك المحدث الصوفي سيدي عبد السلام بن حمدون جسوس رحمه الله تعالى في مدح الشمائل مشيرا للمعنى﴾

علمت محاسن أحمد حيث اختفت * فقد التصبر من رقيق مائل
فبدت وأبدت للعيان شمائلا * فاذا المحاسن كلها بشمائل

ولذا قيل * والاذن تعشق قبل العين أحيانا * ولا شك ان كتاب الشمائل من أحسن ما صنف في شمائله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم بحيث ان مطالع هذا الكتاب كانه يطالع طلعة ذلك الجناب ويرى محاسنه الشريفة في كل باب ﴿الوجه السادس﴾ ان ذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم يحرك ما في القلوب من الحب الساكن والشوق الكامن ويحصل من انشراح الصدر وتفريج القلب ما يناسب اجلاء تلك المحاسن وقد يغيب المحب عند ذكر أوصاف المحبوب صلى الله عليه وسلم ولاسيما ان كان القارئ حسن الصوت وكانت قراءته على وجه يثير الخشوع ويرق القلوب كما هو المطلوب عند قراءة القرآن * ويرحم الله

(٤) ومن أدلة ذلك حديث الترمذي أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي اه وفي شرح الشفاء للشهاب ما نصه ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود ان عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال طوله ألف سنة وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثاني الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة ألف عام قال صدقت يا محمد اه من هامش الاصل

الشيخ عبد الرحيم البرعي اذ قال

وتأخذ قلبي نشوة عند ذكركم * كما ارتاح صب خامرته خمور
أصوم عن الاغيار قطعا وذكركم * سحور لصومي في الهوى وفطور
ومدح رسول الله أصل سعادتي * أفوز به يوم السماء تمور
نبي تقي أريحي مهذب * بشير لكل العالمين نذير
اذا ذكر ارتاحت قلوب لذكره * وطابت نفوس وانشرحن صدور

وبالغيبة فيه صلى الله عليه وسلم يتضاعف ويتجدد من الاقبال على الخير والتحلي بانواع البر أمر غير متعارف وهذه الوجوه الستة وغيرها كلها تأتي في الامداح النبوية * ولنرجع الى ما ذكره المؤلف رحمه الله * فقوله باب ما جاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب لغة اسم لمدخل الامكنة كباب المدينة والدار وفي عرف العلماء يقال لما يتوصل به للمقصود وهو ههنا معرفة أحاديث جاءت في بيان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونوقش في هذا بان الباب اسم لطائفة من الكتاب لها أول وآخر معلومان وليست مدخلا لشئ بل هي بيت من المعاني نعم لو كان الباب اسما للجزء الاول منها لكان لها وجه * قال في جمع الوسائل والاظهر عندي ان الكتاب بمنزلة الجنس والباب بمنزلة النوع والفصل بمنزلة الصنف ثم انه شبه المعقول بالمحسوس فالكتاب كالدار المشتملة على البيوت فكل نوع من المسائل بيت وأوله كبابه الذي يدخل منه اليه انتهى وهو خبر مبتدا محذوف أي هذا باب أو مبتدأ خبره ما بعده في قوله حدثنا الى آخر الباب تأويل هذا الكلام وقوله ما جاء ما موصولة أو موصوفة وقوله جاء صلة أو صفة ويحتمل أن تكون استفهامية بمعنى أي شئ جاء كما في قول البخاري باب كيف كان بدأ الوحي قاله في جمع الوسائل والخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام في اللغة التقدير المستقيم الموافق للحكمة يقال خلق الخياط الثوب اذا قدره قبل القطع ومنه قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين ويستعمل في ابداع الشئ من غير أصل وفي ايجاد الشئ عن شئ آخر والمراد به هنا الصورة والشكل * قال في جمع الوسائل وقيل المراد بالخلق اسم المفعول الذي هو هيئة الانسان الظاهرة والاضافة للبيان وهو بعيد موهم ولا يبعد أن يقال الخلق في الترجمة مضاف الى مفعوله والمعنى باب ما جاء من أحاديث وردت في بيان خلق الله تعالى صورة رسوله الاعظم ونبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم على الوجه الاتم اهـ وأما الخلق بضمتين أو بضم فسكون فهو الطبع والسجية وهو صورة الانسان الباطنة وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق بفتح الخاء لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموجود في النسخ المقروءة على المشايخ وزعم بعضهم انه وقع في اكثر النسخ في خلق النبي وفي بعض النسخ الرسول ثم اعلم ان مرجع ما ذكره المصنف من أوصاف الجمال والكمال الى نوعين ضروري لا اختيار للعبد فيه ككمال خلقته وحسن صورته ويلتحق بهذا ما تدعو اليه ضرورة الحياة كنومه وغذائه ولباسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وكسبي وهو سائر الاخلاق العلية والآداب

معاهنا من باب استعمال المشترك الذي هو المضارع في معنييه فالحسي هو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة بمكة ليلة الاسراء الى السموات الى سدرة المنتهى الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف والرؤية العيانية وسماع الخطاب وغير ذلك مما يأتي مفصلا مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي التنقل من صفات كاملة عظيمة الى ما هو أكمل منها وأعظم والانبياء جمع نبي بالهمز من النبأ أي الخبر لان النبي مخبر عن الله وبلا همز وهو الاكثر استعمالا قيل انه مخفف من المهموز بقلب همزته ياء وقيل انه الاصل من النبوة بفتح النون وسكون الباء أي الرفعة لان النبي صلى الله عليه وسلم مرفوع الرتبة على غيره من الخلق والنبي انسان أوحي اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان أمر بذلك فرسول أيضا أو وأمر بتبليغه وان لم يكن له كتاب أو نسخ لبعض شرع من قبله كيوشع فان كان له ذلك فرسول أيضا قولان فالنبي أعم من الرسول عليهما وفي ثالث انهما بمعنى وهو معنى الرسول على الاول المشهور قاله المحلي وعبر به الناظم لكثرة استعماله عرفا حتى صار به مرادفا للرسول على أن في آخر البيت ما يدل على العموم وهو وقوع النكرة في سياق النفي وياسماء نداء ومنادى مفرد منكر مقصود موصوف بما بعده فينتظم في سلك الشبيه بالمضاف لانه نودي موصوفا فصارت الصفة له كالمعمول لعامله فلا بد من نصبه على الاصح خلافا لمن أجاز ضمه والمطاولة مفاعلة للمغالبة أي ما غالبتها في الطول والارتفاع سماء والمراد بالمغالبة المقاومة والمقابلة بقصد الغلبة أي لم يكن لهم مطمع في ذلك لتحققهم بانك غاية لا تدرك ونهاية لا تلحق والمراد بالاولى نبينا صلى الله عليه وسلم وبالثانية غيره من الانبياء والمرسلين شبههم بالسماء لانها أرفع ما يرى من الاجرام الحسية كما انهم أعلا الخلق وهذا من الاستعارة الواقعة في كلامه كثيرا وهي مجاز ضمن تشبيه ما عني به بما وضع له فشبه النبي صلى الله عليه وسلم بالسماء بجامع العلو ثم أطلق لفظ المشبه به على المشبه استعارة تصريحية قال في التلخيص وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال المشبه به في المشبه ثم أتى بالرقي ترشيحا (تنبيه) قال في التلخيص وقد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشئ

الشرعية

من أركانه سوى المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها وإثبات ذلك الامر للمشبه استعارة تخييلية كما في قول الهذلى وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع ، شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار فأثبت لها الاظفار التى لا يكمل ذلك فيه بدونها فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية وإثبات الاظفار للمنية استعارة تخييلية اهـ والشطر الثانى كالدليل على الاول (٩) أى لا يرتقى أحد ارتقاءك أى لا مطمع لاحد في نيل مرتبتك لانك عرفت بين الانبياء بانك أعلاهم درجة وان كانوا في أعظم المراتب وأعلى الدرجات وقد قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين فهم وان اختارهم الله على سائر خلقه حتى الملائكة فأنت أرفعهم قدرا وأعظمهم جاها وخطرا وقد دلت الآيات والاخبار وأقاويل العلماء والآثار على ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الوجود بأسره وان الموجودات وان تفاوتت في الدرجات فهو في أعلى الدرجات التى لا درجة فوقها قال المحققون فهو أفضل من كل واحد من الانبياء على حدته وأفضل من مجموعهم وأفضل من جميعهم والفرق بين الكلية والكل المجموعى والكل الجميعى أن الكلية يستبد فيها كل فرد بالحكم بخلاف الاخيرين والكل الجميعى لا يخرج عنه فرد بخلاف المجموعى وهو صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة

الشرعية كالدين والعلم والحلم والشجاعة والكرم والعفو والحياء والمروءة والوقار والتودد والصبر والشكر والزهد والتواضع والرحمة والشفقة والعدل وحسن الادب والمعاشرة * ثم من الناس من يجمع النوعين في ترجمة واحدة كالبخارى فانه قال باب صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان المراد بالصفة ما يتناول صفات الخلق وصفات الخلق وان شئت قلت صفات البدن وصفات النفس وان شئت قلت الاوصاف الظاهرة التى تدرك بالبصر والاوصاف الباطنة التى تدرك بالبصيرة ومن الناس من يجعلهما ترجمتين كالمصنف * وانما ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى بالنوع الاول وهو ما يرجع لكمال خلقته وحسن صورته مع ان العبرة شرعا وطبعا انما هى بصفات الخلق بضم الخاء واللام فهى الجزء الاشرف ولذلك سمى الكتاب كله بالشمائل جمع شمال بالكسر بمعنى الطبيعة تسمية للكل باشرف أجزائه امالان الظاهر عنوان الباطن غالبا فهو كالدليل عليه فالمحاسن الظاهرة آيات على المحاسن الباطنة فمن علم ان ظاهره صلى الله عليه وسلم جامع لانواع الكمالات متضمن لجميع المحاسن وكل فرد من ذلك الجميع على أتم وجه وأكمله علم ان تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون غيره دليل على الخصوصية الباطنة ولذا قال بعض من رآه بديهة والله ما وجهه بوجه كذاب

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ولذلك ورد اطلبوا الخير والمعروف عند حسان الوجوه ووجهه العلماء بان الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل وقال بعضهم

لقد قال الرسول وقال حقا * وخير القول ما قال الرسول
اذا الحاجات عزت فاطلبوها * الى من وجهه حسن جميل

وأخرج المصنف عن قتادة قال ما بعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وقد يتخلف ذلك لكن الغالب معمول به والنادر لا حكم له * واما لان الصفات الظاهرة أول ما يدرك من الانسان ويدركها كل أحد لظهورها بخلاف الباطنة انما تدرك بالمخالطة والتجربة * واما لانه قصد سلوك طريقة الترقى (واعلم) ان المصنف ذكر في هذا الباب أربعة عشر حديثا خرجها عن ثمان من الصحابة أنس بن مالك والبراء بن عازب وعلى بن أبى طالب وهند بن أبى هالة وجابر بن سمرة وأبى هريرة وأبى الطفيل وابن عباس رضى الله عن جميعهم وابتدأ بحديث أنس فقال (حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن أنس بن مالك) ستأتى ترجمته في باب الخلق (انه سمعه يقول الخ) هكذا كان أصل المؤلف ويوجد في بعض نسخ المغاربة بين الترجمة المتقدمة وهذا السند سند أبى على الصدفى الى المصنف ولعل ذلك كان بطرة الاصل فكتبه بعض الناسخين في الاصل وكان الصواب أن لا يكتب في الاصل لان الواجب أن لا يقع التصرف في الاصول أصلا ولذا اذا وقع سهو في تصنيف ولو من ألفاظ القرآن فانه لا يغير بل ينبه عليه في حاشية الاصل وحاصل السند المذكور ان الصدفى قرأ على التميمى سنة أربع وثمانين وأربعمائة والتميمى قرأ على النيسابورى

قال الشيخ السنوسى ثبوت شرفه وأفضليته على جميع المخلوقات يكاد أن يكون معلوما من الدين بالضرورة بحيث لا يحتاج الى سرد دليل وليس يصح في الاذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر فالاجماع على انه صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء ومذهب أكثر أهل السنة ان الانبياء أفضل من الملائكة فيكون عليه الصلاة والسلام بالنسبة الى الملائكة أفضل اذ هو أفضل من الافضل منهم وعلى القول الآخر فهو صلى الله عليه وسلم خارج من الخلاف وما أحسن قول من قال نبينا أشرف بالاطباق * من كل مخلوق على الاطلاق قلت هذا حاصل ما ذكروه هنا ورأيت في تفسير

النسق عندقوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدالله ولا الملائكة المقربون ما نصه والحاصل ان خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهر وانوازع الهوى فى ذات الله تعالى مع انهم جبلوا عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملائكة (١٠) فى العصمة وتفضلوا عليهم فى قهر البواعث النفسانية والدواعى الجسدانية فكانت طاعتهم أشق لكونها من الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها اه (١) ويعنى بعوام المؤمنين أهل الطاعة والموافقة منهم وقد قيل فى المعنى

ليس الشجاع الذى يحمى فريسته
يوم الزحاف ونار الحرب تشتعل
لكن من غض طرفا أوثنى قدما
عن المحارم ذاك الفارس البطل

وهذا معنى حديث ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه هذا وقد تقرران المزية لا تقتضى التفضيل فلا ينافى ما تقدم من الافضلية ماثبت ان رجلا من اليهود قال فى سوق المدينة والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل (٢) من الانصار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلونى على موسى قال الله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون فا كون أول من يرفع رأسه فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله لان هذه خصوصية وهى لا تقتضى الافضلية بدليل الملائكة * وأما قوله لا تفضلونى الخ اى تفضيلا يؤدى الى المنازعة والمخاصمة

سنة احدى وستين وأربعمائة وبينهما ثلاث وعشرون سنة فى الاخذ وعلى المحمدى سنة سبع وستين وأربعمائة وبين الاخذين ست سنين وعلى الوخشى سنة احدى وسبعين وأربعمائة وبينهما أربع سنين قال كل واحد من الثلاثة أخبرنى الخزاعى قال أخبرنى أبو سعيد قال حدثنى أبو عيسى وهو المصنف قال حدثنا أبو رجاء الخ (واعلم) أن المقام يستدعى ذكر جميع أحواله وسيره صلى الله عليه وسلم من مولده الى أن بعث بعد أربعين سنة ولنذكر مالا غنى عنه من ذلك ٣ فنقول هو صلى الله عليه وسلم أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الى هنا اجماع الامة و ولد صلى الله عليه وسلم بعد وقعة الفيل بخمسين يوما فى ثانى عشر ربيع الاول يوم الاثنين على المشهور فى ذلك كله قرب طلوع الفجر قبله أو بعده فيكون على هذا ولد نهارا قال العراقى وهو الصواب وجزم به ابن دحية وصححه الزركشى فى شرح البردة * وأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب المذكور ومعتقدنا أن الله تعالى حفظ آباء النبى صلى الله عليه وسلم من الشرك والنقائص

(٣) قال سيدى المهدى الفاسى رحمه الله فى شرح دلائل الخيرات عند قول المتن فى الربع الاخير الزمزمى المكى التهامى ما نصه نسبة الى تهامة بكسر التاء ومنها مكة وما والاها وفى النسبة الى تهامة لغتان تهامى بكسر التاء على الاصل وتهامى بفتحها فان كسرت التاء شددت ياء النسب وان فتحت لم تشدد لانهم انما فتحوا التاء لتكون الفتحة كالعوض من الياء كما كانت الالف من يمان وشام وقال سيبويه منهم من يقول تهامى ويمانى وشامى بالفتح مع التشديد وفضل مكة وزمزم معلوم ضرورة وأحاديثهما شهيرة فلا اطيل بذلك وهذه الاوصاف المذكورة هنا مما يجب اعتقاده فى حقه صلى الله عليه وسلم اذ هى من جملة مشخصاته المعينة له فمن قال ليس بعربى أو ليس بقرشى فكافر كما اذا قال ليس الذى كان بمكة أو لم يكن بالمدينة ولا توفى بها لان هذا كله جحد له صلى الله عليه وسلم وكذا لو قال لم يخلق من نطفة وانما هو كعيسى وآدم عليهما السلام أو قال انه لم يكن آدميا بشرا فكل ذلك نص العلماء على كفر قائله ومدعيه وهو صلى الله عليه وسلم عربى عدنانى نضرى كنانى قرشى هاشمى فانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وأظهرها بعد ان عفت وخفى مكانها ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى وهو الذى جمع قريشا بمكة وكانوا مفترقين فى البلاد ولذلك قيل له مجمع وهو كان سيدهم المطاع ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وليس هو قريش الذى اليه جماع أمرهم بل هو فهر حفيده والنضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس وأمرأته هى خندف التى ينسبون اليها ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الى هنا انتهى النسب الكريم متفقا عليه بين الرواة والنسابين على هذه الصورة وما فوق عدنان مختلف فيه والاجماع على ان عدنان من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام والاحاديث الشاهدة بذلك كثيرة اه منه رحمه الله

(١) وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية هذا يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق اه من خط المؤلف (٢) الرجل هو أبو بكر وقوله من الانصار يعنى النصرة العامة اه مؤلف

وهضم المفضول ولذا عقبه بذكر مزيته أو قال ذلك تواضعا أو قبل اعلامه بالأفضلية وقد وقع التصريح بها في حديث أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قرب الله موسى الى طور سيناء نجيا قال أي رب هل أحد أكرم عليك مني قربتني نجيا وكلمتني تكليما قال نعم محمد أكرم علي منك قال فان كان محمد أكرم عليك مني فهل أمة محمد أكرم عليك من بني اسرائيل فلقت لهم البحر وأنجيتهم من فرعون وعمله وأطعمتهم المن والسلوى قال نعم أمة محمد أكرم علي من بني اسرائيل قال الهي ارنيهم قال انك لن تراهم وان شئت اسمعتك صوتهم قال نعم الهي فنادى ربنا يا أمة محمد أجيبوا ربكم فاجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم الى يوم القيامة فقالوا لبيك أنت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا قال صدقتم أنا ربكم وأنتم عبيدي حقا قد عفوت عنكم وأعطيتكم قبل ان تسألوني فمن لقيني منكم بشهادة أن لا اله الا الله دخل الجنة قال ابن عباس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أراد أن يمن عليه بما أعطاه وأمته فقال يا محمد وما كنت بجانب الطور اذ نادينا انتهى وأما قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل عليهم لا في التفضيل لورود النص به قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فالتفاضل مما يجب الايمان به وأما قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فهو من تواضعه أي على فرض وجوده لكنا أحق به منه وهو من الأنبياء محال فالمعلق عليه محال ومطلوب سيدنا ابراهيم هو رؤية الكيفية ومعاينتها مع الجزم بالقدرة ولذا قيل

ولكن للعيان لطيف معنى * له سال المعاينة الخليل و بالله تعالى التوفيق (لم يساووك في علاك وقد حا * ل سنى منك دونهم وسناء)

هذا كالتأكيد لما قبله مما ذكر في صدر البيت الاول المبرهن عليه بما في عجزه ثم أعاده في صدر هذا البيت بطريق أخرى وبرهن عليه في عجزه والاطناب في مقام المدح ممدوح لا سيما مع اختلاف المطمح وعلاك جمع علياء تأنيث أعلى من علا اذا ارتفع أي لم يساوك احد من الانبياء

من أجل حملهم لنوره * قال فخر الدين الرازي آباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم الى آدم على التوحيد لم يكن فيهم شرك يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لم أزل أتنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا اهـ ولهذا قال البوصيري رحمه الله

لم تزل في ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

ولا يرد على هذا قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر الآية لقول ابن حجر أجمع أهل الكتابين على ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه والعرب تسمى العم أبا بل في القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله جمعا بين الاحاديث وأما من أخذ بظاهره كالبيضاوي وغيره فقد تساهل اهـ ولا يرد على ذلك أيضا ما في الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبي طالب عند موته قل لا إله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فكان آخر كلامه أن قال انه على ملة عبد المطلب لقول شيخنا المحقق في شرح همزيته لا نسلم ان ظاهر قوله على ملة عبد المطلب أنه كان كافرا لان عبد المطلب لم يدرك البعثة فكان على ملة ابراهيم وأبو طالب أدرك البعثة فلا تنفعه ملة عبد المطلب والله أعلم انتهى وقوله قل لا اله الا الله أي محمد رسول الله اذ لا يتم هذا الجواب الا ان كان المراد انه لا يقر له صلى الله عليه وسلم بالرسالة فتأمله ولا يرد على ما تقدم من انه لم يكن فيهم سفاح ما ذكره أهل السير من أن برة أم النضر كانت زوجة لجد النضر وهو خزيمة ثم خلفه عليها بعد موته عنها ولده كنانة وهو أبو النضر فقد تزوج كنانة زوجة أبيه خزيمة وهي التي ولدت له النضر أحد أجداده صلى الله عليه وسلم لقول السهيلي تبعا لابن العربي كان ذلك مباحا بشرع متقدم فنهى الله عنه بقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أي من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة الاستثناء أن لا يعاب نسب المصطفى ألا ترى انه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن الا ما قد سلف نحو ولا تقربوا الزنا الا في هذه الآية وفي الجمع بين الاختين لانه كان مباحا وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها اهـ وأجاب الحلبي بان برة التي خلف عليها كنانة غير برة أم النضر فاشتبها على كثيرين لاتفاق الاسم وتوفي عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم قبل وضعه أو بعد وضعه صلى الله عليه وسلم باشهر * وتوفيت أمه وهو ابن ستة أعوام قال ابن حجر الهيتمي في شرح قول الهمزية

لم تزل في ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

ما نصه في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم وفائدة احيائهما مع ان أهل الفترة لا يعذبون اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم انهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فالحقا بمرتبة أهل الايمان زيادة في شرفهما بحصول تلك المراتب لهما انتهى كلام ابن حجر * وقد صرح الامام الحافظ السيوطي في ثالث التآليف التي ألفها في والديه صلى الله عليه وسلم ان اسناد هذا الحديث ضعيف وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه الميزان ان حديث احياء أمه آمنة في حجة

فى رفعة شانك وعلو مكانك ثم استدل على ذلك بقوله والحال أنى [illegible] اى [illegible] هو بعضك [illegible] دون سائر الانبياء وسناء أى رفعة عظيمة وأحدهما كاف فكيف بمجموعهما أو حال بينهم وبين مساواتك سنى قليل هو بعضك فكيف بكثير والجملة اما حال من الفاعل أو المفعول واما مستأنفة وهذا السنى مجاز عن علوم القرآن المحيطة بعلوم الاولين والآخرين وهو مقتبس من تسميته تعالى فى القرآن نورا كقوله تعالى واتبعوا النور الذى أنزل معه وفى قوله وقد حال تذييل وهو ان يؤتى بعد تمام الكلام بجملة تشتمل

على معناه تجرى مجرى العلة والتوكيد والتحقيق كقوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور وفى قوله سنى وسناء جناس التذييل نحو نحو العار ذل العارف وفائدته ان مماثلة الالفاظ تفيد ميلا واصغاء اليها

(انما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماء)

مثلوا صوروا فاعله عائد على الانبياء وهو أحسن من عوده على المادحين والصفات جمع صفة ما دل على معنى فى الذات حسيا كالبياض أو معنويا كالعلم والناس من الانس (١) وعليه قوله

وما سمى الانسان الا لانسه * ولا القلب الا انه يتقلب *

أو من النسيان (٢) وعليه قوله

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسى *

وما مصدرية أى كتمثيل الماء النجوم والماء أصله موه بدليل مياه ومويه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا وقلبت الهاء همزة يعنى ان صفات الانبياء على ما هى عليه من الكمال الحسى والمعنوى انما هى مثال لصفاتك فذواتهم عليهم السلام كالماء الصافى ترى فيه صفاتك وآياتك فما يرى من معجزاتهم وآياتهم وصفاتهم الحميدة انما هو نور صفاتك التى احتوت عليها ذواتهم فهم مظاهر لصفاتك وبديع آياتك ولذا قال فى البردة وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

الوداع كذب سنده ومتنه وقال سيدى المهدى الفاسى فى شرحه لدلائل الخيرات الصواب ضعفه لا وضعه واتفق المحدثون على عدم ارتفاعه عن درجة الضعف انتهى وانظر هذا الاتفاق مع ماقاله ابن حجر الهيتمى من انه حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ﴿قلت﴾ وعلى تسليم انه حديث ضعيف فضعفه انما هو من جهة الصناعة الحديثية وأما نجاة أبويه صلى الله عليه وسلم وايمانهما بل والحصول أعظم منازل أهل الايمان لهما فهو اعتقادنا يشهد بذلك جلالة قدره وعلو منصبه عند ربه فاذا كان الواحد من ذريته بل الواحد من صحابته بل الواحد من أمته صلى الله عليه وسلم يناله من فضل الله ورحمته بواسطته صلى الله عليه وسلم وبركته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدث عن البحر ولا حرج فكيف لا ينال أبواه صلى الله عليه وسلم من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الاكبر كيف وقد من الله تعالى عليهما بمزية خروجه من بينهما رحمة للعالمين وقد قال السيوطى فى تأليفه الثالث الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب وهذه منقبة وقد أيد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة المقررة التى اتفق عليها الائمة انه ما أوتى نبى معجزة أو خصيصة الا أوتى النبى صلى الله عليه وسلم مثلها وقد أحيا الله لعيسى الموتى من قبورهم فلا بد أن يكون لنبينا مثل ذلك ولم يرد من هذا النوع الا هذه القصة ثم قال ولا شك أن من الطرق التى يعتضد بها الحديث الضعيف موافقة القواعد المقررة اهـ ونقل فى كتابه الارج ان القاضى أبا بكر بن العربى سئل عن رجل قال ان أبوى النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فأجاب بأنه ملعون لان الله تعالى قال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبويه انهما فى النار انتهى * وكان صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه فى كفالة جده عبد المطلب واسترضعته امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت أبى ذؤيب وصحح ابن حبان وغيره اسلامها واسلام ابنتها الشيماء قال المنذرى وقد ألف مغلطاى فى اسلام حليمة مؤلفا حافلا وكان زوجها الحرث بن عبد العزى من بنى سعد بن بكر بن هوازن ثم من قيس ثم من مضر ثم من عدنان من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلم وحسن اسلامه وكان له أخ اسمه أبو برقان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد هوازن فاسلم وبايع معهم ولما شب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعى ردته حليمة الى أمه ولما تمت له ثمان سنين وشهران وعشرة أيام توفى جده عبد المطلب فوليه عمه أبو طالب بن عبد المطلب وكان شقيقا لوالده عبد الله ولما تمت له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ارتحل به أبو طالب تاجرا قبل الشام فلما أتت له خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام خطب الى خديجة نفسها فبقيت عنده قبل الوحى خمس عشرة سنة وماتت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأولاده منها ستة القاسم وبه كان يكنى والطاهر ويقال ان اسمه عبد الله وماتا فى أوان الرضاع وفاطمة أصغر ولده وزينب ورقية وأم كلثوم فتزوج على فاطمة وتزوج أبو العاصى بن الربيع زينب وتزوج عثمان رقية وبعد موتها تزوج أم كلثوم * وأما ابراهيم

(١) وأصله اناس حذفت الهمزة تخفيفا وعوض عنها حرف التعريف اهـ من خط المؤلف

(٢) أى وأصله نسى فنقلت لامه الى موضع عينه فصار نيس فقلبت الياء ألفا اهـ من خط المؤلف

(أنت مصباح كل فضل فما تصـ * ـدر الا عن ضوئك الاضواء) أى أنت مصباح ظهر للوجود فلا تقتبس الفضائل كلها ولا يصـدر عن أحـد ضوء الا عن ضوئك فالآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات الصادرة ممن قبلك من الانبياء وممن بعـدك من الاصفياء كلها مقتبسة من نورك ولا يخفى ما فى البيت من التشبيه البليغ ولا يصح ان يكون من باب الاستعارة لذكر الطرفين وفى جامع المعيار عن بعض العلماء ما معناه وجـه تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالمصباح والسراج دون الشمع والقمر ان الشمع هو خاص بالملوك والاغنياء دون الفـقراء فى الغالب وأتباع النبي صلى الله عليه وسـلم غالباً الفـقراء والسراج عام غير مخصوص باحد وكذلك النبي صـلى الله عليه وسلم رسالته عامة وكان لا يقصر نفسه على أحـد والسراج تقتبس منه الانوار الكثيرة ولا تغيره عن حاله بخلاف القمر فانه لا يقتبس من نوره كوكب اهـ وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله بابى أنت وأمى اخبرنى عن أى شئ خلقـه الله قبـل الاشياء قال ياجابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعـل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله عز وجـل ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قـلم ولا جنـة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جـنى ولا إنسى فلما أراد الله عز وجل ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعـة أجزاء فخلق من الجزء الاوّل القلم ومن الجزء الثانى اللوح ومن الجزء الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاوّل حملة العرش ومن الثانى الكرسى * ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاوّل نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهو المعرفة بالله عز وجل ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد ومن الرابع لا اله الا الله محمد رسول الله وفى حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنـه ياعمر بن الخطاب أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله عز وجل أوّل كل شئ نورى فسجد لله فبقى فى سجوده سبعمائة عام فأوّل كل شئ سجد لله نورى ولا فخر ياعمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله العرش من نورى والكرسى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر

ابنـه فانه من مارية ويقـال انه بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيب ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم حتى ماتت خديجة ونساؤه اللاتى دخل بهن بعد خديجة عشر نظمهن بعض شيوخ شيوخنا فى قوله

أزواجـه اللاتى بهن دخلا * بعد خديج عشرة على الولا
سودة عائشـة المكرمـه * حفصة زينب وأم سلمـه
وبنت جحش زينب جويريه * أم حبيبـة ورملة هيـه
صفية ميمونة الوفيـه * وهن من عرب سوى صفيه

ولما بلغ رسول الله صـلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة شهد بنيان الـكعبة وتراضت قريش بحكمه فيها فلما أتت له أربعون سنة يوم بعثه الله تعالى الى الناس كافة بشيرا ونذيرا فصدع بامر الله وبلغ الرسالة ونصح الامة وقد ألف الناس ونظموا ونثروا فيما ظهر من خوارق العادات من لدن حملت به امـه صلى الله عليه وسلم الى أن توفى ﴿ثم اعلم﴾ انه لا فرق فى صيغ الاداء بين التحديث والاخبار والانباء والسماع عنـد المتقدمين كالزهرى ومالك وأبى حنيفة وعليه استمر عمل المغاربة ورأى بعض المتأخرين التفرقـة بينهـما بحسب أحوال التحمـل فيخصون التحديث والسماع بما يلفظ به الشيخ والاخبـار بما يقرأ التلميذ على الشيخ وهو مذهب الشافعى والاوزاعى وجمهور أهل المشرق ثم أحدث أتباعهم تفصيلا آخر فمن سمع وحده من لفظ الشيخ أفرد فقال حدثنى وسمعت ومن سمع مع غيره جمع فقال حدثنا وسمعنا ومن قرأ بنفسه على الشيخ افرد فقال أخـبرنى ومن سمع بقراءة غـيره جمع فقال أخـبرنا وكذا خصوا الانباء بالاجازة التى يشافهها الشيخ من يجيزه وكل ذلك مستحسن وليس بواجب عنـدهم واختلفوا فى القراءة على الشيخ هـل تساوى السماع من لفظه واليه ذهب مالك وأصحابه والبخارى أو القراءة على الشيـخ أرجح واليـه ذهب أبو حنيفة أو السماع من لفظ الشيخ أرجح واليـه ذهب جمهور أهـل المشرق قال العراقى وهو الصحيح * قال فى جمع الوسائل يمكن أن يقال هـذا الاختلاف اختـلاف عصر فان المتقدمين كان لهم قابلية تامة فيأخـذون الحديث بمجرد السماع أخذا كاملا مستوفى يصلح للاعتماد فى التحمل بخلاف المتأخرين لقلة استعداداتهم وبطء ادراكاتهم كانت قراءتهم على الشيخ أقوى فى الاعتماد * قال أنس بن مالك رضى الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) هـذا اشارة الى وصف قـده صلى الله عليه وسلم وفى رواية تأتى عن أنس وعلى كان ربعـة وفى خبر البراء كان مربوعا وفى خـبر هنـد أطول من المربوع وأقصر من المشذب ولا منافاة بين هذه الروايات لان فى نفى أصل القصر ونفى الطول البائن لا أصل الطول اشعارا بانه صلى الله عليه وسلم كان مربوعا مائلا الى الطول وانه كان الى الطول أقرب كما رواه البيهـقى ولا ينافى ذلك وصفه بانه ربعـة لانها أمر نسبى والبائن بالهمز من بان اذا ظهر على غيره أو بمعنى بعـد أو بمعنى فارق والمراد انه لم يكن فاحش الطول وهـذا انما هو اذا كان وحـده فان ماشى الطوال طالهم وان جالسهم كانت كتفه أعلى من جميعهم وهـذا العلوّ الحسى اشارة الى العلوّ المعنوى لما كان لا يساويه أحد فى رتب

من نووى ونور الابصار من نورى والعقل الذى فى رؤوس الخلق من نورى ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولا فخر والمراد ان هذه الاشياء مقتبسة من نوره والاقتباس لا يوجب انقساما ولا نقصا ولذا قال مولانا عيد السلام رضى الله عنه اللهم صلى على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار الخ (وفى المواهب) روى الحاكم فى صحيحه ان آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله عز وجل قال لآدم لولا محمد ما خلقتك (١٤) وفى حديث سليمان بن عساكر قال هبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم

الكمال بل هو فيها فوق الجميع كان فوق الجميع حسا فلا تطاول أحد عليه صورة كما لا يتطاول عليه معنى ولشيخنا المحقق فى همزية المديح فى هذا المعنى

وحده ربعة ويعلو اذا ما * مشى الطوال ويجهد الاقوياء

(ولا بالابيض الامهق ولا بالآدم) اشارة الى صفة لونه والامهق الشديد البياض الخالى عن الحمرة والنور كالجص والبرص والآدم الشديد السمرة وهى منزلة بين البياض والسواد والمراد أن بياضه صلى الله عليه وسلم كان نيرا مشربا بحمرة وهو معنى خبر مسلم عن أنس والمصنف عن هند كان أزهر اللون أى أبيض يعلوه اشراق ولمعان فالنفى فى قوله ولا بالابيض الامهق للقيد فقط ويأتى فى خبر على رضى الله عنه أبيض مشرب وهو الذى فى بياضه حمرة وفى خبر أبى هريرة أبيض كأنما صيغ من فضة وفى خبر أبى الطفيل كان أبيض مليحا مقصدا وأشرف الالوان البياض المشرب بحمرة أو صفرة ذهبية أما الاول فظاهر بالوجدان وأما الثانى فلأنه لون أهل الجنة فى الجنة فجمع الله سبحانه للمصطفى بين الاشرفين ولم يكن لونه فى الدنيا كلونه فى الآخرة لئلا يفوته أحد الحسنيين (ولا بالجعد القطط ولا بالسبط) اشارة الى صفة شعره صلى الله عليه وسلم والمراد انه لم يكن شعره شديد الجعودة كشعر السودان ولا شديد السبوطة كشعر الروم بل كان فيه تثن وحجونة وهى كونه كانه مشط فتكسر قليلا والقطط بفتحتين وبكسر الثانى شدة الجعودة والسبط بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وتفتح وتسكن والسبوطة فى الشعر ضد الجعودة وهى الامتداد والاسترسال الذى ليس فيه تثن اصلا (بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة) اشارة الى وقت بعثته صلى الله عليه وسلم أى بعثه الله بعثة النبوة بعد استكمال أربعين سنة وأما بعثة الرسالة وهى ارساله الى الخلق لتبليغ الشريعة فكانت بعد ذلك * قال الطيبى الرأس هنا آخر السنة كقولهم رأس الآية أى آخرها وسمى آخر السنة رأسا باعتبار أنه مبدأ مثله من عقد آخر فالمراد بالرأس الطرف الاخير كما عليه الجمهور من أهل السير والتواريخ من أنه بعث بعد استكمال أربعين سنة ثم على ما قال المسعودى وابن عبد البر من أنه بعث فى ربيع الاول شهر ولادته فلا اشكال وأما على المشهور عند الجمهور من انه بعث فى شهر رمضان فيكون له حين بعث أربعون سنة ونصف فلعل من قال أربعون ألغى الكسر وحكى عياض عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة انه صلى الله عليه وسلم بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة قال فى جمع الوسائل ولعل الجمع بينهما أن بعث النبوة فى أول الاربعين وبعث الرسالة فى رأس ثلاث وأربعين ويؤيده قوله (فاقام) أى بعد البعثة (بمكة عشر سنين) بسكون الشين أى رسولا وثلاث عشرة أى نبيا ورسولا لان العلماء متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم اقام بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة ثلاث عشرة سنة وسيأتى فى باب سنه عليه السلام روايه إقامته بمكة خمس عشرة سنة وغيرها فقوله أقام بمكة عشر سنين يحتاج الى تأويل وهو ماذكرناه ويحتمل أن الراوى اقتصر على العقد وترك الكسر ولا خلاف فى قوله (وبالمدينة عشر سنين) لكن يشكل على التأويلين قوله (فتوفاه الله تعالى)

فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا اه وصح عن ابن عباس وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وبهذا تظهر صحة قول الناظم

*لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وقد سبقه اليه ابن الفارض فقال

*لولاك يا أحمد المحمود ما طلعت * شمس ولم تخرج الدنيا من العدم

وهذا من باب الحكمة والمصلحة الراجعة الى العباد باظهار عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واشهار كرامته عند الله بجعل وجوده سببا فى وجود الموجودات ولا منافاة بين ما تقدم وما روى من خلق القلم أول كل شىء لان الاولية الحقيقية فى نور النبى صلى الله عليه وسلم وفى غيره اضافية اى نسبية (لك ذات العلوم من عالم الغيب * ومنها لآدم الاسماء) أى حقيقتها ومسماها والعلوم جمع علم وهو صفة ينجلى بها الشىء لمن قامت به انجلاء تاما أو الادراك الجازم الذى لا يحتمل النقيض ومن عالم الغيب أى من فيض الله تعالى والغيب مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل أى الغائب وهو ما لم يشاهد أى بالنسبة الينا وأما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة قوله ومنها أى العلوم بمعنى المعلومات لآدم أصله أأدم وقلبت الهمزة الساكنة ألفا من الادمة أى السمرة وكان لونه بين بياض وصفرة وحمرة أو من أديم الارض أى ظاهر وجهها

والاسماء جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى والمسميات أعلى رتبة من الاسماء لانها ما وضعت الا للتوصل بها اليها فالمسميات هى المقصد بالذات والاسماء مقصودة بالعرض فكما ان الاسماء ما وضعت الا ليتوصل بها الى المسميات كذلك آدم ما خلق الا ليكون مظهراً للنور المحمدى والجمال الاحمدى وفى هذه الخصوصية ثلاثة أقوال أحدها علم الاسماء فقط وهو الذى سلكه الناظم ثانيها أنه علم المسميات فقط وثالثها انه علمهما وهو رأى الكشاف كذا فى ابن حجر وفيه نظر اذ كيف يتصور القول بانه علم أحدهما فقط مع تطبيقه الاسماء على المسميات فالتحقيق كما قاله المحققون ان الخلاف لفظى فمن قال علم الاسماء معناه من حيث دلالتها ومن قال علم المسميات معناه من حيث الدلالة عليها وانما وجه الخصوصية أن الموجودات لها حقائق ومفهومات ولها حدود حقيقية بالاعتبار الاول وحدود اسمية بالاعتبار الثانى والمفهوم هو ما يفهم من الاسم فى الجملة وهو للموجود والمعدوم والحقيقة ماهية الشئ على سبيل التفصيل ولا تكون الا للموجود فكان لسيدنا آدم بالنسبة الى الاشياء التى عرضت عليه علم المفاهيم لانه انما علم تمثال حقائق الاشياء المعروضة ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علم الحقائق وفى ضمنه قطعاً علم المفاهيم فعرفها من الوجه الاعم والاخص وبالثانى اختص عن آدم ﴿ فائدة ﴾ روى الحكيم الترمذى فى النوادر عن أبى ذر مرفوعا اول الرسل آدم ولا تعارض بينه وبين قوله أول الرسل نوح لان آدم أرسل الى بنيه وهم مؤمنون وأما نوح فأرسل الى كفار أهل الارض قال وهب لما توفى آدم حفر له فى أبى قبيس فى غار يقال انه غار الكنز فاستخرجه نوح وجعله معه فى تابوت فى السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه وفى التوراة انه عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة اه ولما فرغ من ذكر بعض صفات ذاته وعلوه على كل حسب شرع فى ذكر نسبه وعلوه على كل نسب فقال

(لم تزل فى ضمائر الكون تختا * رلك الامهات والآباء) ضمائر الكون مستورات الوجود وخفاياه استعارها للاصلاب والارحام أى ما فى آبائك وأمهاتك الامن هو مصطفى مختار فانت الشريف حسبا ونسبا الكريم أما وأبا (قال القسطلانى) فى المواهب لما توفى

أى قبض روحه (على رأس ستين سنة) لانه يقتضى أن يكون سنه ستين والمرجح انه ثلاث وستون وقيل خمس وستون وجمع بان راوى الاخير عد سنتى المولد والوفاة ومن روى ثلاثا لم يعدهما ومن روى ستين ألغى الكسر قال فى جمع الوسائل واعلم أن ابتداء التاريخ الاسلامى من هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقد قدمها يوم الاثنين ضحى لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول اه

﴿ تنبيهان ﴾ الاول علم مما تقدم أن نبوته كانت بعد أربعين سنة من عمره وانها متقدمة على رسالته بثلاث سنين قال ابن حجر وبه صرح أبو عمر وغيره فكان فى آية اقرأ نبوته وفى المدثر ارساله اه وقد صح قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وهو يقتضى وصفه بالنبوة قبل وجود ذاته ولا منافاة بينهما لان نبوته بعد الاربعين كانت فى عالم الاجساد والشهادة ونبوته قبل وجوده كانت فى عالم الارواح والغيب * قال السبكى فان قلت النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً فكيف يوصف به قبل وجوده قلت قد جاء أن الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون روحه الشريفة آتاها الله ذلك الوصف وأفاضه عليها من قبل خلق آدم فصار نبيا وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده ومن فسر ذلك بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى فان جميع الانبياء يعلم الله نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم لاجلها أخبر بهذا الخبر اه * الثانى قد تبعه صلى الله عليه وسلم مع قلة سنى بعثته عدد كثير قال العلماء انه صلى الله عليه وسلم توفى عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة كلهم رآه وروى عنه ووقف معه بعرفة مائة ألف وعشرون ألفاً والله يعلم عدد من لم يقف معه ونوح عليه السلام مع طول مكثه فى قومه قال الله تعالى وما آمن معه الا قليل وكذا أمته عليه السلام أقصر الامم أعماراً وأكثرهم أجوراً ليلة القدر خير من ألف شهر وقد غزا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سبعا وعشرين غزوة وأما بعوثه وسراياه فتنيف عن الستين * وقد علم من الحديث أن كلا من مكة والمدينة حظيتا بنصيب وافر منه صلى الله عليه وسلم ويرحم الله شيخ شيوخنا أبا سالم سيدى عبد الله عياشا حيث قال مضمنا

ألا يا رسول الله شرفت طيبة * ومكة لما صرت طرز حلاهما
حللت بهذى مرة ثم مرة * بهذى فطاب الواديان كلاهما

(وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) الجملة حال من مفعول توفاه وأخرج ابن سعد باسناد صحيح عن ثابت عن أنس قال ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة بيضاء ويأتى للمصنف عنه ما عددت فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضاء وأما ما جاء من نفى الشيب فى رواية فالمراد به نفى كثرته لا أصله ومن ثم صح عن أنس ولم يشنه الله بالشيب ومقتضى اعتدال مزاجه صلى الله عليه وسلم أن لا يظهر فيه شيب قبل أوانه ولذلك قالوا نراك يارسول الله قد شبت فقال شيبتنى هود وأخواتها فبين صلى الله عليه وسلم أنه انما شاب قبل أوان الشيب لعارض اهتمامه بأمر أمته كما سيأتى ايضاحه ان شاء الله لكنه مع ذلك لم يكثر شيبه وانما ظهر فيه شيب

آدم كان شيث عليهما الصلاة والسلام وصيا على ولده ثم أوصى شيث بوصية آدم أن لا يضع هذا النور الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية اه وخرج البيهقى فى سننه ماولدنى من سفاح الجاهلية شىء ماولدنى الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شىء وروى أبو نعيم لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما وروى ابن مردويه قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم أى بفتح الفاء فقال أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح وفى الدلائل لابى نعيم عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم وكذا أخرجه الطبرانى فى الاوسط (قال الحافظ ابن حجر) لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن وفى البخارى عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وفى مسلم عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (وقال) الامام فخر الدين الرازى آباء النبى صلى الله عليه وسلم كلهم الى آدم على التوحيد لم يكن فيهم شرك يدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لم أزل أتنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات (وقال تعالى) انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا وقوله الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين معناه انه كان ينقل نوره من ساجد الى ساجد (وورد) من الاحاديث والآثار ما يدل على أنه لم تخل الارض من

قليل وحكمة قلة شيبه مع ماورد من أن الشيب وقار ونور ومن شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة أن النساء يكرهنه فى الطبع غالبا فلا تحصل الملاءمة الكاملة لما فيه من ازالة بهجة الشباب ورونقه والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم عيبا فانه يدل على الضعف ومفارقة قوة الشباب والنشاط وأما قول ابن حجر ومن كره من النبى صلى الله عليه وسلم شيا كفر فلا يصح على اطلاقه قال فى جمع الوسائل لان الكراهة الطبيعية خارجة عن الامور التكليفية * قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا حميد بن مسعدة البصرى) بفتح الباء وتكسر (قال حدثنا عبد الوهاب الثقفى عن حميد عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة) بمعنى المربوع القد والتأنيث باعتبار النفس يقال رجل ربعة وامرأة ربعة ومعناه المتوسط بين الطويل والقصير فقوله (وليس بالطويل ولا بالقصير) كالتفسير لقوله ربعة والمراد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد فلا ينافى انه أطول من المربوع كما تقدم وفى رواية ليس الخ بدون واو فيكون خبرا بعد خبر (حسن الجسم) أى جميله تعميم بعد تخصيص وهو خبر بعد خبر أى لونا ونعومة واعتدالا فى الطول واللحم (وكان شعره ليس بجعد ولا سبط) جعلهما هنا وصفا للشعر وفيما مر لصاحبه قال فى جمع الوسائل الظاهر أن نسبتهما هنا على الحقيقة وهناك على حذف مضاف أو للمبالغة (أسمر اللون) قال العراقى هذه اللفظة انفرد بها حميد عن أنس ورواه غيره عنه بلفظ أزهر اللون ثم نظرنا الى من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير أنس فكلهم وصفوه بالبياض دون السمرة وهم خمسة عشر صحابيا اه وعلى ثبوت هذه الرواية فالمراد بالسمرة الحمرة التى تخالط البياض لا الادمة التى هى شدة السمرة والعرب تطلق على من كان كذلك أسمر ويؤيده رواية البيهقى عن أنس كان أبيض بياضه الى السمرة قاله ابن حجر فلا منافاة بين هذه الرواية والتى قبلها (اذا مشى يتكفأ) اشارة الى صفة مشيته صلى الله عليه وسلم ويتكفأ بتشديد الفاء بعده همز وقد يترك همزه تخفيفا وفى رواية تكفأ بلفظ الماضى والتكفؤ الميل الى سنن المشى أى الى قدام كالسفينة فى جريها وسيأتى فى خبر على اذا مشى تقلع كانما ينحط من صبب وعنه أيضا اذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب وفى خبر هند اذا زال زال قلعا يخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب والتقلع رفع الرجل من الارض بهمة وقوة لا مع اختيال وتقارب خطا وتكسر وتثن وجر رجل فى الارض لان تلك مشية النساء والمتشبهين بهن والهون الرفق فالمعنى انه كان يرفع رجليه عن الارض بقوة ولا يجرهما بالارض وكان يضعهما عليها برفق وسكينة ووقار وحلم وأناة ولا يضرب برجله الارض ومعنى ذريع المشية واسع الخطوات لا متقاربها كخطوات المختالين فالمقصود أن مشيه كان على وجه التواضع لا على طريق التكبر والخيلاء قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال واقصد فى مشيك أى توسط بين الاسراع والتماوت * وقوله كانما ينحط من صبب كناية عن سرعة مشيه أى كانما ينزل فى موضع منحدر وأسرع ما يكون الماء جاريا اذا كان الموضع منحدرا فمن بمعنى فى كما فى نسخة والصبب الحدور كما يأتى ويفهم من هذا سرعة مشيته صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى باب ما جاء فى مشية رسول الله صلى

عهد نوح الى بعثته صلى الله عليه وسلم من ناس على الفطرة فى زمان الفترة يعبدون الله و يوحدونه و يصلون له و بهم تحفظ الارض ولولاهم لهلكت الارض ومن عليها * فمن ذلك ما أخرجه الامام أحمد بن حنبل فى الزهد والخلال فى كرامات الاولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال ماخلت الارض بعد نوح من سبعة يرفع الله بهم عن أهل الارض وما أخرجه عبد الرزاق فى المصنف وابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح على شرط الشيخين عن على بن أبى طالب قال لم يزل على وجه الارض فى الدهر سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك لهلكت الارض ومن عليها ودلت الاخبار والاحاديث على أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا فى كل قرن هم خيره أو من خيره فهم على كل حال فى السبعة المسلمين بمقتضى الاحاديث الصحيحة اه وقال ابن حجر أجمع أهل الكتابين على ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل عمه والعرب تسمى العم أبا بل فى القرآن ذلك قال تعالى و إله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك لوجب تأويله بهذا جمعاً بين الاحاديث اه و به يجاب أيضاً عن قوله كما فى مسلم ان أبى وأباك فى النار ولا يرد على ذلك ما فى الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبى طالب عند موته قل لا إله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فكان آخر كلامه أن قال انه على ملة عبد المطلب لانا لا نسلم ان ظاهر قوله على ملة عبد المطلب انه كان كافر الان عبد المطلب لم يدرك البعثة فكان على ملة ابراهيم وأبو طالب أدرك البعثة فلا تنفعه ملة عبد المطلب وقال ابن حجر ايضا فى حديث صححه غير واحد من الحفاظ ان الله أحيا للنبي صلى الله عليه وسلم أبويه فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم (٧) وذكره السهيلى فى الروض عن أبى الزناد عن عروة عن عائشة أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فاحياهما له وآمنا به ثم

الله عليه وسلم عن أبى هريرة ما رأيت أحداً أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث و يفهم من قوله كأنما الارض تطوى له انه كان يبارك له فى مشيته ومعنى قوله وانه لغير مكترث أن سرعته لم تكن بتكلف لانه غير مكترث بأصحابه فهو مع هون مشيته لا يلحق * قال المصنف رحمه الله (حدثنا محمد بن بشار يعنى العبدى) الظاهر انه ليس من كلام المؤلف بل من كلام بعض التلامذة والا لقال من أول وهلة محمد بن بشار العبدى ولا يحتاج الى قوله يعنى كما فى سائر الاسماء المنسوبه وانما لم يقل كذلك محافظة على لفظ الشيخ من غير زيادة وهذا أبهم فى رعاية الامانة ولهذا كان بياء الغيبة انظر جمع الوسائل وهو نسبة الى عبد قيس قبيلة من ربيعة كما فى القاموس (نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء بن عازب يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا) على رواية ضم الجيم اذا كان بالمعنى المتعارف يراد به كامل الرجولية و يكون قوله (مربوعا) خبراً آخر أو قوله رجلا موطئ للخبر وهو كثير فى العرف و فى القرآن أنتم قوم تجهلون أنتم قوم مسرفون فيكون قوله مربوعا صفة لرجل على هذا وان كان وصفا للشعر اذ الرجل بكسر الجيم وفتحها وضمها وسكونها بمعنى واحد وهو الذى فى شعره تكسر يسير و يؤيده ما فى بعض النسخ من كسر الجيم وسكونها فيكون قوله مربوعا خبرا آخر لكان كالاحتمال الاول (بعيد ما بين المنكبين) خبر آخر لكان والبعيد ضد القريب و يقرأ مضافا الى ما والمنكب مجمع عظم العضد والكتف ومعناه عريض أعلى الظهر قاله العسقلانى وهو مستلزم لعرض الصدر ومن ثم وقع عند ابن سعد رحيب الصدر وذلك علامة النجابة والقوة والجلالة (عظيم الجمة) أى كثيفها والجمة بضم الجيم وتشديد الميم وهى عند جمهور أهل اللغة ما سقط من شعر الرأس على المنكبين وأما الوفرة فهى التى تصل الى شحمة الاذن وأما ما نزل عن الاذنين ولم يصل الى المنكبين فهو اللمة وعلى هذا قول من قال

الوفرة الشعر لشحمة الاذن * وجمة ان هى لمنكب تكن
وسم ما بينهما باللمة * قد قال ذا جمهور أهل اللغة

وقال الزمخشرى فى المقدمة الجمة ما تدلى من الشعر الى شحمة الاذن و فى الصحاح الجمة الشعر المجموع على الرأس وظاهره مطلقاً و فى ديوان الادب ان الجمة هى الشعر اذا تدلى من الرأس الى شحمة الاذن والى المنكبين والى أكثر من ذلك فتحصل ان فى الجمة ثلاثة أقوال ما وصل الى المنكبين ما وصل الى شحمة الاذن ما تدلى من شعر الرأس مطلقاً فقوله (الى شحمة أذنيه) انما يأتى على القول الثانى والثالث دون الاول قال بعضهم يمكن أن يكون المراد انها لعظمها اذا جمعت وصلت الى شحمة الاذنين واذا أرسلت وصلت الى المنكب اه وقال بعضهم المراد بيان غلظها وعظمها لا بيان نهاية الجمة أى عظيم الجمة الواصلة الى شحمة أذنيه لا التى نزلت عن ذلك * وقد اختلفت الروايات فى منتهى شعره صلى الله عليه وسلم ففى بعضها الى أنصاف أذنيه و فى اخرى الى أذنيه و فى أخرى الى كتفيه وجمع القاضى عياض بينها بأن ذلك لاختلاف الاوقات

(٧) للجلال السيوطى فى هذه المسئلة تآليف سبعة أشار لها فى آخر كتاب الجنائز من الديباج على مسلم اه من خط المؤلف

أماتهما والله قادر على كل شئ وليس تعجز قدرته ورحمته عن شئ ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته صلى الله عليه وسلم اهـ وفائدة احيائهما مع أن أهل الفترة لا يعذبون اتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة لأن غاية أمرهم انهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فأُلحقا بمرتبة أهل الايمان زيادة في شرف كما لهما بحصول تلك المراتب لهما اهـ (ما مضت فترة من الرسل الا * بشرت قومها بك الأنبياء) الفترة ما بين موت رسول وبعث آخر يليه أي ما مضى زمن خال من الرسل ثم بعث رسول ووجد القوم على فترتهم الا وبشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم فيصدق بمن وقع لهم نسيانه ومن لا فيذكر الاولين ويبشرهم جميعاً فيزدادون ايمانا وتصديقاً فالأنبياء فاعل بشرت وقومها مفعوله وضميره يعود على الأنبياء وهو مقدم من تأخير لأنه فاعل وبك متعلق ببشرت وفي هذا الاستدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على ألسنة الرسل وشاهده قوله تعالى عن عيسى ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية ففيها من التنويه بقدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاعلام بعلو جاهه وشفوف منصبه وفخامة منزلته وضخامة مرتبته واصالة خصوصيته ما لا يخفى على من أطلع عليها وجه وجهة التأمل اليها فالميثاق بمعنى العهد وأل في النبيين للاستغراق وعبر بهم دون المرسلين تنبيها على زيادة المدح والتعظيم أي لم يؤخذ الميثاق على خصوص المرسلين الذين هم ثلثمائة وثلاثة عشر بل على جميع النبيين الذين هم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا من أرسل منهم ومن لا قال سيدنا علي وابن عباس رضي الله عنهم ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه اهـ ويؤخذ من الآية ما ذكر وهو من أخذهم الميثاق على قومهم بذلك لأنه اذا كلف الرؤس المتبوعون بالايمان به صلى الله عليه وسلم ونصره كلف بذلك اتباعهم بواسطتهم اذ المراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال الامام

فكان تارة يحلقه فيقصر وتارة يتركه فيطول وراجع آخر الباب الثالث (عليه حلة حمراء) حال وفي رواية مسلم وعليه بالواو والحلة ثوبان من جنس واحد وتكون غالبا ازارا ورداء وسميا بذلك لأنه يحل كل منهما على الآخر وبه فسره ابن حجر وفي القاموس لا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة والمتبادر من قوله حمراء انها حمراء خالصة وقد استدل به الشافعي على حل لبس الاحمر وان كان قانئا ومن يقول بمنع لبسه لما ورد من النهي يؤول الحمراء بالتي لها خطوط كالبرود اليمانية التي فيها خطوط حمر وبه فسر العسقلاني أو يعد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بعد تسليم صحة حديث النهي أو يحمل لبسه على ما قبل نهيه أو لبيان ان النهي للتنزيه وسيأتي في باب اللباس ما في لبس الاحمر من الخلاف (ما رأيت شيأ) من المخلوقات (قط أحسن منه) الجملة استئناف وهو اجمال بعد تفصيل اشارة لتعذر تفصيل أحوال كماله صلى الله عليه وسلم ورأى يحتمل أن تكون علمية فأحسن مفعول ثان ويحتمل أن تكون بصرية فأحسن صفة قوله شيأ والمراد بنفي رؤية شئ أحسن منه نفي رؤية الاحسن والمساوي معا والمعنى انه أحسن من كل ما وقع بصره عليه أو علمه بدلالة العرف كما يقال ليس في البلد أفضل من زيد بمعنى انه أفضل من كل أحد فيها والسر في ذلك أن الغالب من حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوي فاذا نفي أفضلية أحدهما ثبت أفضلية الآخر كذا ذكره المحققون انظر جمع الوسائل والحاصل ان هذا التركيب انما يدل بالمطابقة على نفي الاحسن وأما نفي المساوي فانما يستفاد من قرينة المقام اذ هو مقام مدح ومن هذا الباب قوله تعالى ومن أصدق من الله قيلا * وأما قول ابن حجر ان المعنى ما رأيت شيأ قط كان حسنه مثل حسنه لأن أفعل قد يراد به أصل الفعل اثباتا ونفيا وان قرن بمن خلافا لما يوهمه كلام غير واحد ومن ذلك قولهم العسل أحلى من الخل والصيف أحر من الشتاء اهـ ففيه أن من قال لا يكون أفعل بمعنى أصل الفعل اذا قرن بمن انما قال ذلك فيما تمكن فيه المشاركة في أصل الفعل كزيد أفضل من عمرو والمثالان المذكوران في كلامه خارجان عما نحن فيه نعم اذا تجرد أفعل عن أل والاضافة ومن قد يستعمل مجرداً عن معنى التفضيل مؤولا باسم الفاعل كهو أعلم بكم أو مؤولا بالصفة المشبهة كهو أهون عليه قاله الرضي والدماميني في شرح التسهيل نقله في جمع الوسائل ونظير قول البراء ما رأيت الخ قول عائشة رضي الله عنها تمدحه صلى الله عليه وسلم

وأجمل منك لم ترقط عيني * وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

وقال ما رأيت شيأ دون أن يقول ما رأيت انسانا ليفيد التعميم حتى يتناول الشمس والقمر وسيأتي لهذا تتمة في قول هند يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر * قال المصنف رحمه الله (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا سفيان) هو سفيان الثوري كما صرح به المصنف في جامعه في هذا الحديث بعينه قال في جمع الوسائل روى ان ابا جعفر الخليفة توجه الى مكة وقد وجه النجارين اليها لينصبوا له خشبا ليصلبه عليها وكان سفيان مضطجعا ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجله في حجر ابن عيينة فقالا يا أبا عبد الله اختف لا تشمت بنا أعداءنا فقام

السبكى دلت الآية على أنهم لو أدركوا زمانه لكان مرسلا اليهم فتكون نبوته و رسالته عامة لجميع الخلق للانبياء وأممهم من لدن آدم الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون فى قوله وأرسلت الى الناس كافة وحكمة أخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم بأنه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر ذلك فى الآخرة لانهم كلهم تحت لوائه وينزل عيسى فى آخر الزمان فيحكم بشريعته (تتباهى بك العصور وتسمو * بك علياء بعدها علياء) أى تتفاخر بوجودك العصور أى (١٩) الازمنة الطويلة جمع عصر ونسبة التباهى للعصور مجاز فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله بوجودك فيه بكمال أعلى مما قبله وأعظمها افتخاراً عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر أطوارك طوراً فطوراً ثم عصور أتباعك على تفاوتهم الى قيام الساعة ثم عصور أحوال يوم القيامة وقوله وتسمو أى تعلو وترتفع بسببك علياء تأنيث أعلى بعدها فى الزمان والعلو مرتبة أخرى علياء أى أعلى منها أى لك فى كل عصر من العصور المذكورة مرتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها ما بعدها وهكذا ولهذا قال رب زدنى علماً فكان صلى الله عليه وسلم دائم الترقى فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى ان ما قبلها دونها فيستغفر تواضعاً وطلباً لتزايد كماله وفى قوله وتسمو الخ من المدح ما لا يخفى من عكس المعهود من كونه يسمو بها لانه تعالى خلقه فى عالم الازل على أكمل كمال يمكن أن يوجد لمخلوق ثم أبرزه فى عالم الخلق مندرجا فى تلك المراتب لتشرف به لا ليشرف بها لانه كامل قبلها (وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء) أى ظهر للوجود أى لهذا العالم منك كريم أى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا تجريد وهو ان ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مماثل لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكماله فى ذلك الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله فى صفة الكرم صح أن ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذى ظهر وجد من أصل أى أب وأم كريم أى سالم من نقص الجاهلية

ودخل المسجد وتعلق بأستار الكعبة وقال أنا برئ منها ان دخل أبو جعفر مكة فمات أبو جعفر قبل أن يدخلها (عن أبى اسحق عن البراء بن عازب قال ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) من ذى لمة مفعول رأيت ومن زائدة للتنصيص على استغراق جميع الافراد وأعم من هذا قوله فى الخبر السابق ما رأيت شيأ الخ واللمة سبق معناها وقوله (له شعر يضرب منكبيه) ان كان معناه يكاد يضرب منكبيه كان تفسيرا أو بيانا للمة والا كان استئنافا لقصد التعديد (بعيد ما بين المنكبين لم يكن بالقصير ولا بالطويل) تقدم معنى ذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخارى (حدثنا أبو نعيم) هو الفضل بن دكين من شيوخ البخارى (حدثنا المسعودى) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود (عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن على ابن أبى طالب قال لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير شثن) بالثاء المثلثة (الكفين والقدمين) أى ممتلئهما لحما وفسر أبو عبيد الشثن بغلظ الاصابع والكف مع القصر وفسره الاصمعى بغلظ فى خشونة وتعقب كل من التفسيرين بأنه ثبت فى وصفه صلى الله عليه وسلم فى خبر هند الآتى انه كان سائل الاطراف وفى حديث أنس ما مسست خزا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتحقيق ان الشثن الواقع فى صفته صلى الله عليه وسلم معناه الغلظ من غير قيد قصر ولا خشونة فكانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما وهى مع ذلك لينة وسيأتى فى حديث هند رحب الراحة سائل الاطراف مسيح القدمين ينبو عنهما الماء وفى حديث جابر بن سمرة منهوس العقب أى قليل لحمه وعنه أيضا كان فى ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة أى دقة (ضخم الرأس) فى رواية هند بن أبى هالة عظيم الهامة وهو دال على كمال القوى الدماغية وبكمالها تكمل الانسانية (ضخم الكراديس) أى رؤس العظام نحو المنكبين والركبتين والوركين جمع كردوس بضمتين كل عظمين التقيا فى مفصل على ما فى القاموس والمراد أنه جسيم الاعضاء ويأتى عن على أيضا انه جليل المشاش والكتد وهو وما قبله يدل على النجابة والقوة المطلوبة فى الرجال (طويل المسربة) يأتى تفسيرها (اذا مشى تكفأ تكفأ كانما ينحط من صبب) سبق معناه (لم أر قبله ولا بعده مثله) لان حسنه صلى الله عليه وسلم واحد فى الوجود لا ثانى له

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وهذه العبارة مفيدة لهذا المعنى لان نفى المثل يدل عرفا على كونه أحسن من كل أحد كما يقال ليس فى البلد مثل زيد والسر فيه انه اذا نفى المثل الذى هو أقرب من الاحسن فى مقام ذكر المحاسن كان نفى الاحسن بالاولى والاحرى * قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبى عن المسعودى بهذا الاسناد نحوه) أى نحو الحديث المذكور قبله (بمعناه) أى بلفظ آخر مفيد للمعنى المتقدم وهذا مستفاد من قوله نحوه فزيادة قوله بمعناه للتأكيد كما فى ابن حجر وأما المثل فيستعملونه اذا كانت الموافقة بين الحديثين فى اللفظ والمعنى وقد يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر جرت عادة أهل الحديث

آباؤه جميعهم من لدن آدم اليه كالقلادة الا ... من ... العلية ... كما تقدم

(نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء) أى نسبه صلى الله عليه وسلم نسب عظيم بل لا أظهر ولا أجل منه فى الانساب تحسب أى تظن أيها المخاطب العلا جمع عليا ككبرى وكبر وهى المراتب العالية بحلاه جمع حلية بكسر أوله أى بسبب حلى ذلك النسب قلدتها والقلادة ما يجعل فى العنق وضميره عائد على العلا والجملة من قوله قلدتها فى موضع المفعول الثانى لتحسب والاول هو العلا والجوزاء فاعل قلدتها ونجومها على حذف الجار أى بنجومها والجوزاء اسم لبرج فى السماء وتطلق على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهى تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها أى من كمال هذا النسب وشرفه أن كل من تأمل فيه حسب بسبب ماتحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها أى جعلت نجومها قلادة لها فعلم من كلامه ان كل واحد من أولئك الآباء الكرام قد ارتفع فى زمانه حتى صار كانه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به فى ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده عنق تلك المراتب العلية (حبذا عقد سودد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء) حبذا كنعم معنى وعملا مع زيادتها عليها باشعارها بأن الممدوح بها محبوب للقلب وأصله حبب بالضم أى صار حبيبا ثم أدغم والاصح ان ذا فاعله و يلزم الافراد والتذكير مطلقا لانه كالمثل أولما فيه من الحذف كالحسن والامر والشان والعقد القلادة من الجوهر والسودد السيادة والفخار التمدح بالخصال الجميلة واليتيمة التى لا شبيه لها فى حسنها والعصماء من العصمة أى المحفوظة الممنوعة من ان تصل اليها يد الاغيار سنى (ومحيا كالشمس منك مضئ * أسفرت عنه ليلة غراء) المحيا الوجه وهو معطوف على عقد ومنك حال منه ومضئ مبتدأ خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا أو حال منه وأسفرت أى أضاءت عن ذلك المحيا وغراء أى بيضاء لظهور نوره صلى الله عليه وسلم فيها والجملة صفة أو حال

اذا ساقوا الحديث باسناد أولا ثم ساقوا اسنادا آخر يقولون فى آخره مثله أو نحوه اختصارا * قال المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبى البصرى وعلى بن حجر وأبو جعفر محمد بن الحسين وهو) تردد الشراح فى معاد هذا الضمير هل لمحمد أو والده الحسين وهو من كلام المصنف أو من كلام أحد تلامذته لبيان اجمال الكلام وكانه لعدم اشتهاره بالغ فى توضيحه (ابن أبى حليمة والمعنى واحد) الجملة حال من الفاعل أى حدثونا حال كون المعنى فى أحاديثهم واحدا يعنى ان مرويا تهم وقعت بألفاظ مختلفة ومعنى الكل واحد أو من المفعول أى حدثونا الاحاديث حال كونها بحسب المعنى واحدا قال العصام ونبه بهذا على ان اللفظ المروى لا يعلم انه لفظ على بعينه (قالوا) أى قال كل واحد منهم (حدثنا عيسى بن يونس) خرج حديثه الائمة الستة و يقال لما حج الرشيد ودخل الكوفة أمر أبا يوسف أن يأمر المحدثين بملاقاته الا اثنين عبد الله بن ادريس وعيسى بن يونس فارسل ولديه المأمون والامين أن يروحا اليه و يقرآن الحديث عليه ففعلا فأمر بعشرة آلاف درهم فامتنع فظنوا انه استقلها فضوعف له فقال ان ملأتم المسجد الى السقف ذهبا لم آخذ شيأ على الحديث قيل حج خمسا وأربعين حجة وغزا خمسا وأربعين غزوة (عن عمر بن عبد الله مولى غفرة قال نى ابراهيم بن محمد) صدوق روى عنه الترمذى والنسائى وابن ماجه (من ولد على ابن أبى طالب) من تبعيضية أو بيانية والغرض منه بيان تعيين محمد وهو محمد بن الحنفية المكنى بابى القاسم المشتهر بالعلم والشجاعة والعبادة وهو أفضل أولاد على بعد السبطين والحنفية أمه حصلت لعلى من سبى بنى حنيفة قيل من سخافة عقول طائفة من الرافضة أنهم يعتقدون فى محمد هذا الالوهية مع ان أبا بكر هو المعطى عليا أمه (قال) أى ابراهيم (كان على) قال المؤلف فى جامعه بعد ايراده هذا الحديث بهذا الاسناد ليس اسناده بمتصل أى لان ابراهيم هذا لم يسمع من جده أمير المؤمنين على ففيه انقطاع (اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط) أى المتناهى فى الطول من قولهم امغط النهار اذا امتد وأصله منمغط اسم فاعل من انمغط مطاوع مغطه بالتشديد فقلبت النون ميما وأدغمت فى الميم (ولا بالقصير المتردد) أى المتناهى فى القصر كانه تداخلت أجزاؤه (كان ربعة من القوم) اثبات لصفة الكمال بعد نفى صفتى النقص تكميلا للمدح وعدم الاكتفاء باستلزام النفى للاثبات فى مقام المدح من فنون البلاغة (لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط) تقدم معناه (كان جعدا رجلا) اثبات لصفة الكمال بعد نفى غيرها أيضا (ولم يكن بالمطهم) هو المنتفخ الوجه الذى فيه جهامة أى عبوس من السمن وقيل النحيف الجسم وهو من الاضداد ويأتى فى خبر هند سهل الخدين أى غير مرتفع الوجنتين (ولا بالمكلثم) هو المدور الوجه كما سيأتى ولما لم يكن هذا على اطلاقه بينه بقوله (وكان فى وجهه تدوير) أى تدوير ما فلم يكن مستديرا كل الاستدارة بل كان فيه بعض ذلك و يعبر عنه بأنه كان فيه سهولة والسهولة ضد الحزونة وهى فى الاصل ماغلظ من الارض والحاصل انه كان بين الاستدارة والاسالة كذا قال البيضاوى وأبو عبيد (أبيض مشرب) أى بحمرة والاشراب خلط لون بلون كان أحد اللونين

شبه وجهه صلى الله عليه وسلم بالشمس لمشابهته لها في الاضاءة والاستنارة والاشراق والحسن والبهاء وقد أوتي صلى الله عليه وسلم الحسن كله ووصفه به من وصفه من الصحابة فقال كأن الشمس تجري في وجهه وقال آخر اذا رأيته قلت الشمس طالعة وقال آخر لقد نظرت اليه والى البدر فلهو عندي أحسن من البدر ولان الشمس والقمر في وسط السماء ونورهما يغشى مشارق الارض ومغاربها فكذلك هو صلى الله عليه وسلم في موضعه من المدينة المشرفة ونوره قد عم الوجود شرقا وغربا وأرضا وسماء فينتفع المؤمن بل والكافر بشاهد وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ثم ان تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس والقمر على سبيل التقريب والتمثيل بأحسن ما يعرف في الوجود والا فهو صلى الله عليه وسلم أعلى وأجل ومجده أرفع وأكمل وحسنه أبهى وأعظم ونوره أكبر وأدوم ونفعه أتم وأعم ولا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به أرفع من المشبه فقد يكون بالمثل وبالدون بشاهد قوله تعالى مثل نوره كمشكاة وأين نور المشكاة من نوره تعالى

(ليلة المولد الذي كان للدين سرور بيومه وازدهاء) اتفق الاكثرون على أنه ولد عام الفيل أو قبله بخمسين يوما والذي عليه الجمهور وهو المشهور أنه ولد في ربيع الاول لاثنتي عشرة خلت منه وانما كان في شهر ربيع ولم يكن في غيره من الاشهر المعظمة قبل تنبيها على أن الزمان يحصل له الشرف به (قال السهيلي) في الروض وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان فكان لعشرين مضت منه اه وفصل الربيع هو أفضل الفصول وأحسنها وأكثرها ضوأ ونورا وأبهجها اشراقا وأقربها الى الاعتدال وأجلها لانشراح الصدور والارواح فتحيا به الارض بعد موتها وتخرج نباتها وبركاتها وتكسى أنواع الازهار والانوار فكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه روح كل شئ وحياة كل شئ ولذا قال مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم مميت حي الشقاوة ومحيي ميت السعادة فكانت ذاته صلى الله عليه وسلم نورانية فالانوار تسطع عليه لا تفارقه لا مطلق الانوار بل أنوار مصحوبة برونق غريب وحسن بليغ بديع فتنفعل له النفوس

سق اللون الآخر (أدعج العينين) أي شديد سواد حدقتهما مع سعة العين وشدة بياضها فالدعج شدة بياض البياض وسواد السواد ويأتي في خبر جابر بن سمرة أشكل العين أي يخالط بياض عينيه خطوط حمر ولا ينافي هذا ما تقدم من شدة بياض بياض عينيه صلى الله عليه وسلم وانما المنافي مخالطة الحمرة لجميع البياض وامتزاجها به نعم يشكل ما هنا مع ما يأتي في باب ضحكه صلى الله عليه وسلم عن جابر بن سمرة وكنت اذا نظرت اليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل والجواب ان معنى أكحل في كلامه مكحول فمن رآه يظن انه مكحول بالكحل وليس بمكحول وانما كان أكحل بحسب الخلقة وهذا أحسن ما أجيب به انظر جمع الوسائل (قلت) والاشكال مبني على ان معنى أكحل أسود مع انه من الكحل بفتحتين لا غير الجوهري رجل أكحل بين الكحل وهو الذي يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتحال ابن حجر الهيتمي قلت أكحل من الكحل محركا وهو ان يعلو منابت الشعر سواد خلقي أو ان تسود مواضع الكحل ذكره في القاموس والاول هو المشهور وليس بأكحل حقيقة وانما يظن به عند ابتداء النظر انه أكحل فالاثبات باعتبار ابتداء الرؤية والنفي باعتبار الحقيقة ويؤخذ من ذلك ان اسوداد العين بحيث يوهم انه كحل أشرف من حقيقة الكحل لانه صلى الله عليه وسلم لا يعطى الا الافضل مطلقا اه والجواب مبني على ان أكحل بمعنى مكحول مع ان كحيل هو الذي بمعنى مكحول فتأمل ذلك (أهدب الاشفار) جمع شفر بضم أوله وقد يفتح وهو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر قال الشامي والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط وانما الاشفار حروف العين ومعنى أهدب الاشفار طويل شعر الاشفار وطول شعر الاشفار مع الانعطاف هو المسمى بالوطف بفتحتين الذي وصفته به أم معبد فان الهدب هو الشعر ولا يحتاج هذا الكلام الى حذف مضاف كما قيل وانما يحتاج اليه في قول الاصمعي الآتي طويل الاشفار (جليل المشاش والكتد) يأتي معناهما (أجرد) أي غير أشعر والاشعر من عم الشعر جميع بدنه فالاجرد من لم يعمه الشعر فيصدق بمن في بعض بدنه شعر كالمسربة والساعدين والساقين وقد كان له صلى الله عليه وسلم في ذلك وفي أعلى الصدر شعر كما يأتي في حديث هند فوصفه صلى الله عليه وسلم به باعتبار أكثر مواضعه بجعل الاقل في حكم الاكثر وفي القاموس ان الاجرد اذا جعل وصفا للفرس كان بمعنى صغر شعره واذا جعل وصفا للرجل فمعناه لا شعر عليه فلا يصح تفسير الاجرد هنا بالذي قصر شعره خلافا لمن فسره به (ذو مسربة شثن الكفين والقدمين اذا مشى تقلع كانما ينحط من صبب) مر الكلام على معانيها (واذا التفت) الى أحد (التفت معا) وفي خبر هند الآتي جميعا أي بجميع بدنه اهتماما بشأن من التفت اليه للكلام أو غيره لا بلي العنق فقط لما في ذلك من التلون وامارة الخفة وعدم التصون وفي ألفية العراقي

يقبل كله اذا ما التفتا * وليس يلوي عنقا تلفتا

ويحتمل ان يكون المراد واذا التفت الى شيء أي شيء كان ويعني والله أعلم اذا كان ذلك الشيء خلفه لا عن يمينه أو شماله (بين كتفيه خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها بمعنى الطابع الذي يختم به والمراد هنا هو الاثر

الكريمة وتنجذب نحوه الطباع المستقيمة وتميل معه بكليتها الأرواح الغير المحجوبة ويشهد صحيح الادراك فى شهوده مطلوبه ومرغوبه وتحصل غاية السرور بقربه ورؤيته اذ هو صلى الله عليه وسلم كالجنة فيه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فناسب مجيئه فى الربيع اذهو للارواح قوت وربيع (وفى المواهب) فيا شهرا ما أشرفه وأوفر حرمة لياليه كأنها اللآلئ فى العقود ويا وجها ما أشرقه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا (٢٢) وحسنه بديعا (كما قيل) يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع

الحاصل به لا الطابع والختام الطين الذى يختم به ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقيل المراد آخره لانهم يجدون رائحة المسك آخره وأضيف الخاتم الى النبوة اما لانه علامة لنبوته صلى الله عليه وسلم فانه نعت به فى الكتب المتقدمة كما يأتى فى حديث سلمان فيكون من اضافة الدال الى المدلول واما لانه علامة تمامها لان الشىء انما يختم بعد تمامه واما لانه صلى الله عليه وسلم لما ختمت به النبوة كان بمنزلة بيت خبئت فيه النبوة وختم عليه فلا يصل اليه أحد بعده فتكون مصونة محفوظة من غيره كما يختم على الوعاء المملوء درا وياقوتا صيانة له عن الناس فلا يصلون الى ما خبىء فيه وسيأتى بقية الكلام على خاتم النبوة فى الباب بعده مستوفى (وهو خاتم النبيين) أى خاتم نبوة النبيين أى علامة تمامها أو خاتم بيتها فلا ينبأ أحد بعده فلا ينافى نزول عيسى عليه السلام متابعا لشريعته ولا يأتى هنا الوجه الاول من أوجه الاضافة المتقدمة ومعنى خاتم هنا ما تقدم ويحتمل ان يكون المكسور هنا بمعنى فاعل الختم فمعنى خاتم النبيين انه ختمهم أى جاء آخرهم فلا نبى بعده ولا يصح هذا الوجه فى خاتم النبوة وقد مثل النبى صلى الله عليه وسلم النبوة ببيت كمل الا موضع لبنة واحدة روى الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأكمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين فالنبوة كدائرة متألفة من نقط ووجود النقطة الاخيرة هو المتمم لصورة الدائرة والمظهر لحقيقتها الجميع أوصافها * وفى كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مزايا كثيرة دوام شريعته وعدم نسخها ووراثته لما تفرق فى الانبياء قبله فبهداهم اقتده والستر على أمته حتى لا يطلع على مساويهم غيرهم من الامم كما اطلعت هذه الامة على مساوى غيرها فكانت متعظة بغيرها لا متعظا بها (أجود الناس صدرا) اما من الجودة أى أحسنهم قلبا لسلامته وطهارته من كل رذيلة من بخل وغش وغيرهما من العيوب الباطنة وقد صح ان جبريل شقه واستخرج منه علقة سوداء ورمى بها وقال هذا حظ الشيطان منك واما من الجود بضم الجيم فيكون اشارة الى سخائه وكرمه صلى الله عليه وسلم ونسب الجود للصدر لانه فرع انشراحه وهو محل القلب الذى فيه الجود فيكون من تسمية الشىء باسم محله أو مجاوره وسيأتى الكلام على كرمه صلى الله عليه وسلم * وأخرج ابن سعد فى كتاب الطبقات من طريق سعيد بن منصور والحكم بن موسى قالا حدثنا عيسى بن يونس بهذا الاسناد بلفظ أجود الناس كفا وأرحب الناس صدرا والرحب بمعنى السعة فيكون المعنى أوسعهم قلبا بمعنى انه لا يمل ولا يضجر قلبه ولا يضيق صدره من الناس مع اختلاف طبائعهم فيحتمل انه وقع فى رواية المصنف اسقاط قاله فى جمع الوسائل (وأصدق الناس لهجة) أى لسانا أو تحريكه فالمعنى أصدقهم قولا (وألينهم عريكة) أى طبيعة وزنا ومعنى أى أسهل الناس خلقا وهو اشارة الى كمال مسامحته وحيائه ووفور حلمه وتواضعه مع أمته فقوله (وأكرمهم عشرة) أى صحبة كعطف أحد المتلازمين على الآخر وفى بعض النسخ عشيرة بوزن قبيلة ومعناه وقد وردان الله اختار القبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وسيأتى الكلام على تواضعه وخلقه وحيائه صلى الله

ووجهى والزمان وشهر وضعى * ربيع فى ربيع فى ربيع (والمشهور) أنه ولد يوم الاثنين ففى مسند الامام أحمد عن ابن عباس ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وهاجر من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين وفى بعض طرقه وأنزلت على سورة المائدة يوم الاثنين ورفع الحجر الاسود يوم الاثنين وفى هذا دلالة على أفضلية يوم الاثنين على سائر أيام الاسبوع الا يوم الجمعة وانما لم يولد فى يوم الجمعة اشارة الى أن الزمان يتشرف به ولهذا جاء فى السنة تفضيل يوم الاثنين وتشريفه على غيره من الايام الا يوم الجمعة والكلام فى نظائر يوم ولادته لا فيه بنفسه فانه أفضل من يوم الجمعة ومن سائر المواسم وقد كان يوم الجمعة معظما عند العرب ويوم السبت معظما عند اليهود ويوم الاحد معظما عند النصارى فعظم الله يوم الاثنين بولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليكون خاتمة الايام المعظمة كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ثم ما تقدم من كونه ولد نهارا أى بعيد طلوع الفجر جزم به غير واحد وورد ما يدل على أنه ولد ليلا كحديث الحاكم عن عائشة (قال العراقى) والصواب أنه ولد نهارا وجزم به ابن دحية وصححه الزركشى ولا ينافيه ما روى أن النجوم تدلت عند ولادته لان زمن النبوة صالح لخرق العوائد ويجوز سقوط النجوم نهارا على أنهم قالوا ولد بعيد طلوع الفجر بقربه فالنجوم باقية وفى ذلك من

المناسبة مالا يخفى (١) وقد صرح العلماء رضى الله عنهم بان ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر مطلقا سواء قلنا ولد ليلا أونهارا و وجه ذلك فى المواهب بوجوه ثلاثة كلها مدخولة والصواب ما حققه شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله وذلك أن نقول كل ماله شرف انما اكتسبه وناله منه صلى الله عليه وسلم فبه تشرف الزمان والمكان وغيرهما اذ هو الواسطة فى وصول كل نعمة لكل منعم عليه وبيده مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شىء من الخصوصيات والفتوحات والانوار والاسرار الا على يديه فشرف كل شريف بحسب القرب منه وعلى قدره ولا شك ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أقرب اليه من ليلة القدر ومن هنا كان خير القرون القرن الذى كان فيه الخ وأفضل الصحابة أبو بكر لشدة قربه منه المعنوى وانظر تفضيل العلماء لموضع قبره صلى الله عليه وسلم على العرش والكرسى والجنة وسدرة المنتهى وغيرها ولذا فضلوا الارض على السماء وقال مالك المدينة أفضل ثم مكة وماء زمزم أفضل من ماء الكوثر لغسل قلبه الشريف به وكذا الماء الذى نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم نقول انما نص على أفضلية ليلة القدر لتعلم أفضليتها اذ لا تعلم الا من النص وليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم لا يحتاج الى التنصيص على أفضليتها لشدة وضوحها وغاية ظهورها فهو كالاخبار بالمعلوم والله أعلم واذا ثبت أن ليلة ولادته التى ولد فيها أو ولد صبيحتها أفضل الليالى واليوم الذى تسفر عنه أفضل الايام فهو عيد وموسم فيعظم ويحترم ويعمل فيه مايدل على التعظيم

عليه وسلم فى تراجمها (من رآه بديهة) أى رؤية بديهة فهو مفعول مطلق أى أول رؤية من غير معرفة (هابه) أى خافه وأجله وعظمه لجلالته وفخامته قال العلماء والمهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله تعالى وجلاله ومحبته فان القلب اذا امتلأ بذلك حله النور ونزلت عليه السكينة وألبس رداء الهيبة واكتسى ثوب المحبة فأخذ بمجامع القلوب هيبة ومحبة وخنعت له الافئدة وقرت به العيون وأنست به القلوب ان سكت علاه الوقار وان نطق أخذ بالقلوب والاسماع وهكذا الشأن فى أولياء الله تعالى لامتلاء قلوبهم بمحبة الله واجلاله وعظمته * وفى الصحيح خيار أمتى الذين اذا رؤوا ذكر الله أى لما يعلوهم من البهاء والهيبة لانفراد قلوبهم بربهم وأنسهم به فلهم به نسبة وفى البردة

كأنه وهو فرد فى جلالته * فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

أى انه من شدة الرفعة وكثرة الجلالة يراه الرائى فيضطر الى تعظيمه ولا يجد محيدا عن اجلاله كأنه ملك فى وسط عساكره وجنوده محدقة به وذلك ان ماحوته السرائر على الاسرة يلوح * قال العلماء ولم يظهر للخلق كمال مهابته وجلاله رحمة من الله بخلقه ولو ظهر لهم ذلك لتلاشوا واضمحلوا ولم يقدروا على التلقى منه ومع عدم ظهور كمال جلاله كان يحدث أصحابه ويؤنسهم ويأخذ معهم فى تدبير أمورهم ويذاكرهم الدنيا والطعام ويمازحهم احيانا ولا يقول الا حقا ويذكرون أشياء بحضرته من أمور الجاهلية فينصت ويضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون ولا يزجرهم الا عن حرام وكل ذلك رفق بهم وكان بالمؤمنين رحيما وقد جاء اليه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فانى لست بملك ولا جبار وانما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته لما سكن روعه بقوله لست بملك لان الملوكية يلزمها الجبروتية وبقوله انما أنا الخ لان القديد مفضول وهو مأكول أهل المسكنة (ومن خالطه معرفة) أى مخالطة معرفة (أحبه) لما يتحققه من كمال جماله وجلاله وجمعه المحاسن الظاهرة والباطنة وشدة شفقته ورحمته وحسن تدبيره فى أمته وسيأتى فى باب التواضع عن على رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم وفيه أيضا يعطى كل جلسائه بنصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من فاوضه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء * روى مسلم عن عمرو بن العاصى صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ملأت عينى قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه لما قدرت وعلى قدر التحقق بذلك تكون المحبة حتى يصير عنده أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين ولا يصبر عنه ولا يقنع منه (١) ذكر البغوى فى تفسيره ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه

(١) وذكر الرصاع فى تأليفه فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر قال ذات يوم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم أحب من الدنيا ثلاثا جلوسى بين يديك وانفاق مالى عليك وكثرة الصلاة عليك ولقيه صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما أخرجك يا أبا بكر قال الشوق الى رؤيتك والنظر الى السيدة

(١) ذكر فى كتاب الاجارة من المعيار فى هذه المسئلة أربعة أقوال عن فقهاء تونس فقال القاضى أبو العباس بن حيدرة ليلة القدر أفضل وعكس ابن مرزوق وقال ابن عرفة بامكان اجتماعهما على القول بالانتقال رابعها الوقف وألف كل واحد فى تصحيح قوله اهـ من خط المؤلف

والاحترام(٣) كما اختاره الحافظان الزين العراقي والجلال السيوطي وقال الاسلم ابن عباد في رسائله وأما المولد فالذي يظهر لي انه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المبارك من ايقاد الشمع وامتاع البصر والسمع والتزين بلباس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب أمر مباح لا ينكر على أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح ثم ذكر حكايته مع الشيخ ابن عاشر السلاوي ثم قال في رسالة أخرى وكون هذا الامر لم يكن في الصدر الاول حيث الايمان راسخ في القلوب وشرائع الاسلام مطوية على تعظيمها والانقياد اليها الاضلاع والجنوب ليس بداقع له حيث لم يبق من الايمان الا الاسم ولا من شرائع الاسلام الا الرسم وقريب ان يذهب من أيدي هؤلاء الناس اسمه ورسمه وتسلب عنهم معرفته وعلمه فلم يبق اليوم بأيدي الناس من الدين الا انهم اذا سمعوا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم تضطرب له أفئدتهم وتنطلق بالصلاة عليه ألسنتهم بل المتفقة في مثل هذا الوقت المنحوس لو لم يحسن الناموس ويتحصن بالانقباض والعبوس ويلزم هيئة مستحسنة في الملبوس لم يسمع أحد منه فتوى ولا قبل له دعوى وان كان في

البشر

وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغير لونك فقال يارسول الله مابي من مرض ولا وجع غير أني اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزل ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية وجاء ان عبد الله بن زيد كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أحدا فكف بصره ويرحم الله القائل

اذا لم تراك العين في كل ساعة * ولم تسمع الآذان منك كلاما
تذوب من الشوق الشديد حشاشتي * عليك كما قلبي يذوب غراما

(والقائل)

أرى ساعة الهجران يوما ويومه * يخيل لي شهرا وشهره عاما
اذا غبت غاب الجفن في بحر دمعه * فلله جفن في المدامع عاما

وحكايات الصحابة في محبته صلى الله عليه وسلم أكثر من ان تذكر (يقول ناعته) لعجزه عن بيان جماله وكماله تفصيلا والمعنى من شأن كل من يريد نعته أن يقول (لم أر قبله ولا بعده مثله) لانه لا مثل له صلى الله عليه وسلم كما تقدم في شرح هذه العبارة فهذا علي رضي الله عنه وهو ماهو في العلم والمعرفة وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها بعد ان عدد بعض البعض من صفات جماله ونعوت كماله صلى الله عليه وسلم اعترف بالعجز عن استقصاء محاسن هذا الجناب الارفع ورجع الى القصور عن ادراك كمالات هذا الشفيع المشفع اشارة الى ان الجناب المذكور في غاية العلو ونهاية الارتفاع فمن طاوله ورام استقصاء كمالاته عجز وانقطع وقد نص العلماء على ان حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سر لطيف من أسرار الحق تعالى لا يطلع عليه في هذه الدار نبي مرسل ولا ملك مقرب وانما أدرك المؤمنون منه ظاهر صورته المحمدية فالخلق عاجزون عن ادراك جماله وعقله وجاهه وعلومه وعبوديته وخوفه ورجائه وزهده وتواضعه وشفقته ورحمته وجوده وقد قال العلماء رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم كنخلة اجتمعت فيها أقوات الخلق أصلها في الارض وفرعها في السماء وهي مثمرة من أرضها الى منتهى فرعها وكل واحد من الخلق في أخذ قوتهم منها على حسب قوته ونهاية طاقته ورأسها ممتنع عن الجميع لامتناع وصول

الانصارية التي قتل أبوها وأخوها وزوجها في غزوة أحد وخرجت تتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تسأل عن حاله وسلامته وتقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسيت مصيبتها ولم تطب نفسها حتى رأت وجهه الكريم فقالت مسهلة لمصيبتها بسلامته صلى الله عليه وسلم كل مصيبة بعدك جلل أي صغيرة حقيرة لان بقاءك هو الخير كله فلم تجد على أبيها ولا أخيها ولا زوجها لان حبه صلى الله عليه وسلم في قلبها أكثر من حب أهلها اه منه

(٣) أي بالامور المباحة أما اذا أدى التعظيم الى ارتكاب المحرمات من السرف بايقاد الضوء نهارا واجتماع النساء بالرجال واستعمال آلات اللهو فليس بتعظيم لان تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم انما هو باتباع سنته وارتكاب شريعته لا باستعمال البدع انظر المعيار فقد تكلم على المسئلة في كتاب الحبس مرتين وفي أولاهما اشنع على من يخص ليلة المولد بشيء وذلك لما يحدث من البدع وقد أطال الاستاذ أبو عبد الله الحفار في بيان ذلك وفي ثانيهما رخص في ذلك ان كان على الوجه المشروع ونحوه له أيضا في كتاب الاجارة فلينظر وعلى هذا فصل الشيخ ابن عباد أيضا في الرسائل وهو ظاهر لا يختلف فيه أحد من أهل الشرع وانظر المدخل لابن الحاج وانظر جامع المعيار اه من خط المؤلف أثابه الله بمنه

علم مالك مثلا (٣) والعوام لا يتأثرون الا بالمحسوسات من المنظورات والمسموعات والملموسات وأما الامور الروحانية فهم بمعزل عنها فلذا ترى الناس يصبحون فى ذلك اليوم متجملين متشوفين الى أن يقرع سمعهم قارع من ذكر اسم نبيهم وحبيبهم فيلهجوا بذلك فرحا وسرورا ويبتهجوا به استلذاذا وحبورا ومثل هذا لا يضيع لهم عند ربهم فى مرجعهم ومآبهم وهذا أبو لهب على ماهو عليه رآه العباس رضى الله عنه فسأله عن حاله فقال صرت الى النار ولا يخفف عنى الا يوم الاثنين لانى لما ولد محمد رسول الله بشرتنى به جاريتى فاعتقتها فاذا أدركت رحمة الله تعالى كافرا قطع عمره فى عداوته واذايته بسبب فرحه بولادته فما ظنك بمؤمن صدقه فى مقالته ولباه فى دعوته جعلنا الله تعالى من أمته برحمته اه بخ وانظر المواهب

(وتوالت بشرى الهواتف أن قد * ولد المصطفى وحق الهناء) أى تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يبصر شخصه والمراد هنا ما هو أعم من ذلك فيعم أخبار الاحبار والجان والحجر وحق الهناء أى وجب وثبت الفرح والسرور به لكل العالم فمن ذلك ما أخرجه ابن عساكر فى تاريخه فى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان بمر الظهران راهب يسمى عيصا من أهل الشام آتاه الله علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لاهل مكة يدخل كل سنة الى مكة فيلقى الناس ويقول يوشك يا أهل مكة ان يولد فيكم مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا

البشر الى السماء وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يعرفنى حقيقة غير ربى وفى ذلك رحمة بالعباد كما تقدم * قال الامام الخروبى ما أدرك الناس من حقيقة أمره وخفى سره الاعلى قدر عقولهم البشرية فاظهر لهم من ذلك فهو نعمة عليهم ليعرفوا قدره ويعظموا أمره وما خفى عنهم من أمره فهو رحمة من الله بهم اذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم والله تعالى أرسله رحمة للعالمين فكانت النعمة فيما ظهر والرحمة فيما استتر والله الموفق اه وفى هذا المعنى يقول شيخنا المحقق فى همزيته

كنه الاحمدى سر مصون * عن علاه تقاصر العلماء

(وقال فى أواخرها)

قصر القول فالجناب رفيع * من يطاوله أعجزته السماء
وارض بالعجز غاية فقديما * عجزت عن وصوله الشعراء

(وقال ابن الفارض)

كملت محاسنه فلو أهدى السنا * للبدر عند تمامه لم يخسف
وعلى تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ثم اعلم ان المنفى عموم الشبه لا أصله أو معظمه فلا ينافى ماذكره العلماء من أن الذين كانوا يشبهونه صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وابنته فاطمة وابناها الحسن والحسين وجعفر بن أبى طالب والسائب بن عبيد جد الشافعى وعبد الله بن عامر بن كريز العبشمى وكابس بن ربيعة رجل من أهل البصرة كان أنس اذا رآه بكى وعبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم ومسلم بن معتب بن أبى لهب وعبد الله بن أبى طلحة الخولانى فى آخرين من التابعين وذكر أيضا فيهم عثمان بن عفان قال فى المواهب وعدهم بعضهم سبعا وعشرين * قول المصنف (قال أبو عيسى) يريد به نفسه اذ هذه كنيته وكأن كنيته غلبت على اسمه ويحتمل ان يكون من كلام الرواة عنه ويشعر به ذكر الكنية (سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين) يعنى ابن أبى حليمة وهو أحد الشيوخ الثلاثة الذين روى عنهم هذا الحديث (يقول) الاظهر انه حال (سمعت الاصمعى) اسمه عبد الملك بن قريب لغوى مشهور منسوب الى جده أصمع بصرى سمع عن جماعة من الائمة منهم مالك بن أنس واتفقوا على انه ثقة وكان شديد التوقى لتفسير القرآن والحديث وكان هرون الرشيد استخلصه لمجلسه وكان يقدمه على أبى يوسف القاضى (يقول فى تفسير صفة النبى صلى الله عليه وسلم) لم يقل فى تفسير هذا الحديث لانه روى كلام الاصمعى كما سمع والاصمعى لم يذكره فى تفسير هذا الحديث ولذلك لم يراع ترتيب الحديث فى تفسير غريبه (الممغط الذاهب طولا قال) أى الاصمعى لا أبو جعفر ولا المصنف خلافا لمن زعم ذلك (وسمعت اعرابيا) منسوب الى الاعراب أهل البادية من العرب وهم أفصح من العرب الذين هم أهل الحضر من القرى لمخالطتهم بالعجم (يقول فى كلامه تمغط فى نشابته) بضم النون وهو السهم والممدود حقيقة وتر القوس فاضافة المد للنشابة لانها سببه فهى مجاز (أى

(٣) وذكر ابن السبكى فى الطبقات ان الشيخ كمال الدين أحمد بن عيسى بن رضوان القليوبى استنبط من قوله تعالى يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين ان ما يفعله علماء هذا الزمان فى ملابسهم من سعة الاكمام وكبر العمامة ولبس الطيالس حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزا لهم يعرفون به ويلتفت الى أقوالهم وفتاويهم اه من خط المؤلف كان الله لنا وله

زمانه فكان لا يولد بمكة ولد الا سأل عنه فلما كان صبيحة ذلك اليوم الذى ولد فيه المصطفى خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا فناداه فقال عيص كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يولد يوم الاثنين و يبعث يوم الاثنين الخ وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبى وكان من أوعية العلم ان اللات والعزى خرجا من خزائنهما وهما يقولان و يح قريش جاءهم الامين جاءهم الصديق وكانوا يسمعون صوتا من داخل الكعبة يقول الآن يردعلى نورى الآن يجىء زوارى الآن أطهر من أنجاس الجاهلية أيتها العزى هلكت وتزلزل

البيت ثلاثة أيام وأخرج ابن عساكر عن عروة بن الزبير ان نفرا من قريش منهم ورقة و زيد بن عمرو بن نفيل دخلوا على صنمهم فرأوه مكبوبا على وجهه فأنكروا ذلك وردوه لحاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب الثالثة فقالوا هذا لامر حدث

(وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ماتداعى البناء)

أى تحرك ايوان كسرى وانصدع بل سقط منه أربع عشرة شرافة والايوان بناء فى غاية العظمة والاتقان والاحكام يعد للملوك والحكام كان يظن به أنه لا تهده الا نفخة الصور وكسرى لقب لملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب والنجاشى لملك الحبشة والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك وفى سقوط العدد المذكور اشارة الى زوال ملكهم وعزهم بملك المصطفى وعزه وسر ذلك العدد الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا أربعة عشر فملك عشرة فى أربع سنين وأربعة الى زمان عثمان وقد فتح فى زمن عمر أكثر إقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر الى أقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان و زال ملكه بالكلية وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان أمواله وكنوزه تنفق فى سبيل الله فانقطع ملكه و زال من جميع الارض لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد بشر أمته فى حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة وكان من فقراء أصحابه كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما ظفر بهما عمر ألبسهما اياه اظهارا للمعجزة وقال الحمد لله الذى

مدها مدا شديدا) وانما تعرض لتفسير التمغط مع أنه ليس فى الحديث للمناسبة بين معناه و بين أصل المعنى المراد من الحديث وهو الامتداد والا فما فى الحديث اسم فاعل من انمغط مطاوع مغط فهو من باب الانفعال لا من باب التفعل (والمتردد الداخل بعضه فى بعض قصراً) مفعول له سمى بالمتردد لان أجزاءه كانها تداخلت وقيل لانه يتردد الناظر فيه هل هو صبى أو رجل (وأما القطط فشديد الجعودة والرجل الذى فى شعره حجونه) أى انعطاف ولما كان هذا على اطلاقه غير صحيح فى وصف شعره صلى الله عليه وسلم قيده من قيده بقوله (أى تثن) هو تفسير من المصنف أو أبى جعفر لكلام الاصمعى فلا يقال الاولى الذى فى شعره تثن لانه أخصر (قليلا) بالنصب أو بالرفع (وأما المطهم فالبادن) هو الضخم من بدن بمعنى ضخم (الكثير اللحم) وتقدم معنى آخر (والمكلثم المدور الوجه والمشرب الذى فى بياضه حمرة) تقدم ان الاشراب خلط لون بلون آخر كأن أحد اللونين سقى اللون الآخر فالتقييد بالبياض والحمرة كانه لبيان الواقع فى وصفه صلى الله عليه وسلم (والادعج الشديد سواد العين) الانسب بمقام المدح قول من قال الدعج شدة سواد العين فى شدة بياضها وتقدم ان هذا الاينافى ماورد من أنه كان أشكل العين (والاهدب الطويل الاشفار) على حذف مضاف كما تقدم أى شعر الاشفار اذ لم يذكر أحد من الثقات ان الاشفار هى الاهداب بل هى حروف العين كما تقدم (والكتد) بفتح التاء وكسرها (مجتمع) بضم الميم الاولى و بفتح الثانية اسم مكان (الكتفين وهو) أى مجتمعهما (الكاهل) بكسر الهاء (والمسربة هو الشعر الدقيق الذى كأنه قضيب) وابتداؤها (من الصدر) وانتهاؤها (الى السرة والشثن) بسكون المثلثة (الغليظ الاصابع من الكفين والقدمين) سبق تحقيقه (والتقلع ان يمشى بقوة) أى أن يرفع رجله من الارض رفعا قويا لا كمشى المختال والمرأة والمريض (والصبب الحدور) المكان المنحدر من الجبل ونحوه (يقال انحدرنا فى صبوب) بفتح المهملة وضمها وقيل بالضم جمع (وصبب وقوله جليل المشاش) بضم الميم جمع مشاشة (يريد رؤس المناكب) أى ونحوها كالمرافق والركب (والعشرة الصحبة والعشير الصاحب) و يطلق على الزوج لانه صاحب أيضاً فى الحديث يكفرن العشير (والبديهة المفاجأة) أى البغتة ومنه البديهى وهو الحاصل من غير ترو (يقال بدهته بأمر أى فجأته) وفى بعض النسخ فاجأته وهو المناسب لقوله والبديهة المفاجأة * قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع) قال العسقلانى ضعيف رافضى اه واختلف فى قبول رواية المبتدع والاصح قبولها ان كان ضابطا ورعا ولم تكن بدعته كفراً ولم يكن يدعوا اليها (ابن عمر) كذا فى نسخ الشمائل مكبرا وقال ابن حجر فى التقريب جميع ابن عمير بالتصغير فيهما (ابن عبد الرحمن العجلى) نسبة الى عجل قبيلة ينسب اليها جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم (املاء) أى حال كون جميع ممليا أى تاليا (علينا من كتابه) أى لا من حفظه أو يكون تمييزا أو مصدرا لقوله حدثنا وهو مصدر امليت بمعنى أمللت وهما لغتان فى القرآن والمضاعف هو الاصل (قال حدثنى رجل من بنى تميم) صفة لرجل (من ولد أبى هالة) صفة بعد صفة أى من أولاده واسباطه فالمراد ولد بالواسطة (زوج خديجة) صفة لابى هالة أو عطف بيان أو بدل منه واسمه هند بن زرارة

سلبهما كسرى وألبسهما سراقة (٣) (وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء) غدا بمعنى صار أو وقع والمرفوع بعدها اما فاعل أو اسم والمنصوب هنا مقدر أى مكروبا والمراد أهله وهو اما حال أو خبر والجملة من قوله وفيه كربة وبلاء دالة عليه والكربة بضم الكاف غم يأخذ النفس وربما أهلكها وحصل ذلك لهم مع بلاء عظيم صبه الله عليهم صبا من أجل خمود نارهم فروى ابن عساكر ان نيران كسرى خمدت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد اه وهم مجوس فى اقليم الفرس كانوا يوقدون النار ويعبدونها فأوقدوها المئين من السنين حتى أحالت عادتهم انطفاءها فلما انطفأت من بلادهم كلها وبيوتهم التى كانوا يوقدونها فيها فى ساعة واحدة بغير سبب وهم يوقدونها ويعالجونها علموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان ذلك سبباً لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق

(وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها اطفاء)

غارت العين أى جفت وذهب ماؤها وكان للفرس عيون تتفجر ماء منها عين ساوة وكان فيها من كثرة المياه وسعتها ما نحيل العادة غيضه طولها ستة أميال وعرضها كذلك والاستفهام للتعجب من حالهم وتوبيخهم وتقريعهم أى ما خمدت النار وانطفأت بالمياه المذكورة وانما ذلك لسر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم ليضمحل به كل لهو وباطل

زرارة وكان من أشرف قريش ومات فى الجاهلية وخديجة هى أم المؤمنين بنت خويلد (يكنى) صفة ثالثة لرجل لا لزوج وهو بضم الياء وسكون الكاف أو فتحها فقوله (أبا عبد الله) مفعول ثان ليكنى كان مشددا أو مخففا فى القاموس كنى زيدا أبا عمرو وبه كنية بالكسر والضم سماه به كاكناه وكناه أبو عبد الله هذا مجهول من الطبقة السادسة ولم يخرج حديثه أحد من أئمة الصحاح الا الترمذى فى هذا الكتاب ولقاؤه ابن أبى هالة منتف قطعا لان الطبقة السادسة لم يثبت لهم لقاء الصحابة وابن أبى هالة من قدماء الصحابة لا محالة كذا قال بعض الشراح قال فى جمع الوسائل انما يتم هذا لو أريد بابن أبى هالة ولده بلا واسطة أما على ان المراد به حفيده كما سيأتى فلا اشكال فى الاتصال (عن ابن لابى هالة) وفى نسخة عن ابن أبى هالة وهو حفيد أبى هالة لا ابنه بلا واسطة واسمه هند وهو ابن هند بن أبى هالة شيخ الحسن وتقدم ان اسم أبى هالة هند وعليه فهو ممن اشترك مع أبيه وجده فى الاسم (عن الحسن بن على رضى الله عنهما) سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة ولد فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة ولما قتل أبوه بايعه على الموت أربعون ألفا ثم سلم الامر الى معاوية فى سنة احدى وأربعين تحقيقا لما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه بقوله ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين مات فى سنة خمس وأربعين وبقى نسله من ابنيه حسن وزيد (قال سألت خالى) يعنى أخا أمه للام (هند بن أبى هالة) ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه خديجة أم المؤمنين (وكان وصافا) حال بتقدير قد والوصاف كما فى القاموس العارف للصفة (عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم) الجار متعلق بسألت ويحتمل ان يتنازعه سأل ووصافا لتضمنه معنى مخبرا والحلية الهيئة والشكل وتستعمل بمعنى الزينة وبمعنى ما يتزين به وبمعنى الصفة (وانا اشتهى) الجملة حال من فاعل سألت (ان يصف لى منها شيئا) من أوصافه الجليلة ونعوته الجميلة ابن حجر وتنوينه للتعظيم والتكثير أو للتقليل وهو الانسب بالسياق (أتعلق به) أى أتشبث وأتبرك به أو أتمسك وأتصف به وانما قال الحسن ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو فى سن من لا يقتضى التأمل فى الاشياء ويحفظ الاشكال والاعضاء (فقال) هند (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة (مفخما) خبر بعد خبر لكان أى عظيما فى نفسه معظما فى العيون والقلوب عند كل من رآه ولم يرد بالفخامة ضخامة الجسم وان كان ضخما فى الجملة لانه لم يكن نحيفا وسيأتى الكلام على ذلك عند قوله بادن متماسك ولصاحب جمع الوسائل هنا كلام سيأتى رده (يتلألأ وجهه) يستنير (تلألؤ القمر ليلة البدر) وهى ليلة أربعة عشر لان القمر فيها فى نهاية اضاءته وأشار بهذا الى انه صلى الله عليه وسلم كانت تشرق من طلعته الشريفة الانوار وتتلألأ منه الاضواء فى الليل والنهار وسيأتى قول أنس رضى الله عنه لما كان اليوم الذى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه المدينة أضاء منها كل شىء ومن ثم كانت الجدرات تلاحك وجهه صلى الله عليه وسلم أى يرى شخصها فى وجهه لاستنارته والملاحكة شدة الملاءمة ويرحم الله القائل

لم لا يضىء بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر

(مولد كان منه فى طالع الكفـ * ـر وبال عليهم ووباء) مولد أى عظيم اما بالجر بدل أو بالرفع أى هو صار من أجله على الدوام فى طالع الكفر أى ما به يطلع على عواقبه وغايته كنوم والهام وبال أى وخم عظيم ووباء أى مرض عام وهما كنايتان عن كسر شوكتهم

(٣) صرح ابن المنير بان هذا قاله النبى صلى الله عليه وسلم لسراقة لما لحقه مع أبى بكر فى طريق الهجرة ولم يكن سراقة اذ ذاك مسلما وكذا فى حفر الخندق ولم يكن أسلم لانه انما أسلم يوم الفتح أو بعد حنين وصرح السهيلى فى الروض بأنه قال ذلك حين أسلم فلا يبعد تعدد المقالتين اه من خط المؤلف

وضعف قوتهم وفى البيت من البديع الجناس اللاحق وعلامته اذا أبدل منه حرف من مخرجه أو قريب منه فهو مضارع كقوله تعالى وهم ينهون عنه و ينئون عنه وكقوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير والا فهو اللاحق كما فى البيت

(فهنيئا به لآمنة الفضـ ـل الذى شرفت به حواء) الفاء للسببية أى فبسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم فى هذا الكون لهذه الام من المزايا وله من العطايا ولآبائه ٢٨ وأمهاته من الشرف الاكبر والتميز الاظهر حق أن يقال فى شأن أمه هنيأ وهنيأ اسم فاعل من هنؤ كشريف من شرف وهو ما لا آفة فيه ولا نكد أو ما أتاك بلا مشقة وهو حال مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذلم يسمع الا كذلك والفضل مبتدأ ولآمنة خبر وبه أى بسببه صلى الله عليه وسلم و يعنى ان كل أم انتسب لها النبى صلى الله عليه وسلم فقد حصل لها الشرف والفضل الذى لا آفة فيه ولا نكد ثم وصف هذا الفضل بكونه هو الذى شرفت به حواء أم البشر لكنه فى آمنة أظهر لعدم الواسطة وخص هاتين بالذكر لان حواء هى سبب الايجاد الاول وآمنة سبب المنتهى فهى نتيجة الاسعاد ففيه ذكر الطرفين لدخول الوسط لانه أحرى من الطرف الاول لان مدار الفضل على القرب كما تقدم وهو حسى ومعنوى

(من لحواء انها حملت أحـ ـمد أو انها به نفساء) هذا بيان لتميز آمنة على حواء بذلك ومن استفهامية للاستبعاد بمعنى النفى و لحواء يتعلق بمحذوف أى يشفع يقول لو قدر لحواء ان تحمل بسيد المرسلين وتلده من غير واسطة لكان لها نهاية الفخر والفرح لكن لم يقدر ذلك وانما قدر لآمنة كما سبق فى علمه لانه خاتم النبيين فليس لحواء شفيع يشفع لها فى انها تلده لما سبق كذا قرروه و يحتمل عندى وجها آخر وهو انه لما ذكر ان حواء حصل لها شرف الولادة العليا قال من مخبرها بأن ذلك الولد الكامل قد برز وظهر ومصداق حملها به قد اشتهر فيبشرها بذلك فيكمل فرحها وضميرانها لآمنة والله أعلم

(يوم نالت بوضعه ابنة وهب * من فخار ما لم تنله النساء) يوم بدل من مولد والظاهر انه ظرف لما يليه وأظهر منه أن يكون يجب

فبشمس حسنك كل يوم مشرق * و ببدر وجهك كل ليل مقمر

وانما خص حسان رضى الله عنه ذلك بالليل فى قوله

متى يبد فى الداج البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظاما لحق أو نكالا لملحد

لان ظهور النور فى الليل أتم وأشد وأقوى وانما خص الجبين لان النور أول ما يظهر من الاماكن المرتفعة ثم ينتشر * وفى البخارى عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اه ولا يفهم من هذا ان استنارة وجهه خاصة بوقت السرور لان اصلها ظاهر فى كل وقت لان نورانيته صلى الله عليه وسلم ذاتية لازمة وكمالها وتمامها خاص بوقت السرور وهذا أمر معروف فى كل حسن يتجلى تمام حسنه عند السرور أكثر وقد دخل صلى الله عليه وسلم يوما على عائشة وأسارير ه تبرق أى يلمع منها شبه البرق فقالت يارسول الله أنت أحق بقول أبى كبير الهذلى فى ربيبه تأبط شرا

واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وهذا أصل كما قال القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين فى قلب المعنى الحسن وأخذه من غير حقه و وضعه فى حقه وكان صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه و رضاه فى وجهه لشدة صفاء بشرته وقوة نورانيته ثم اعلم ان تشبيه بعض صفاته صلى الله عليه وسلم بنحو الشمس والقمر انما يصح على ضرب من التجوز بل هما اللذان يشبهان بنوره صلى الله عليه وسلم اذ الاضعف هو الذى يشبه بالاقوى وما يقع فى الامداح من تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس والقمر والسراج فالمراد منه التمثيل باحسن ما يعرف فى الوجود والا فهذه الاضواء من نوره خلقت و به استنارت فهى الفروع ونوره الاصل وهى المتأخرة ونوره الاول وهى التى تطرأ عليها الطوارئ ونوره المصون المحفوظ منها بل هو الذى يجل عن البقاء على حاله اذ لا يزال يتزايد و يستفيض وليس المراد حقيقة التشبيه وطريقته الاغلبية وان وجه الشبه فى المشبه به أتم وهو به أولى انظر شرح همزية شيخنا المحقق (أطول من المربوع وأقصر من المشذب) هو الطويل البائن من التشذيب وأصله النخلة الطويلة التى شذب جريدها أى قطع لتطول (عظيم الهامة) أى الرأس وقد تقدم قول على ضخم الرأس (رجل الشعر ان انفرقت عقيقته) أى شعر رأسه وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل القاف الثانية وهى الخصلة اذا لويت وضفرت فالمراد شعره المعقوص والانفراق مطاوع التفريق أو الفرق والثانى أنسب بقوله (فرق) بالتخفيف يقال فرق شعره أى ألقاه الى جانبى رأسه فانفرق أى صار متفرقا والمعنى ان انفرقت وانشقت بنفسها عن المفرق فرقها أى أبقاها على انفراقها (والا) تنفرق بنفسها (فلا) أى فلا يفرقها بل يتركها مرسلة أو معقوصة وانظر هذا مع ما سيأتى فى باب ما جاء فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه فى مسلم من أن أهل الكتاب كانوا يسدلون رؤسهم وانه كان

متعلقا بمحذوف أى اذكر يوم وقالت أى أعطيت وحازت والفخار التمدح بالخصال الحميدة يقول ان آمنة أعطيت بسبب ولادتها النبى صلى الله عليه وسلم من الفخار والشرف مالم تنله امرأة من النساء وهذه مزية اختصها الله بها وهى لا تقتضى التفضيل على غيرها مطلقا انظر ابن حجر

(وأتت قومها بافضل مما * حملت قبل مريم العذراء) أى ويوم أتت آمنة قومها الرجال والنساء تبع بمولود أفضل اجماعا من عيسى الذى حملت به قبل آمنة مريم بنت عمران العذراء أى البكر التى لم تتزوج وأوقع الناظم (٢٩) ماعلى العاقل وهو عيسى نادرا وقيل انها تقع على آحاد من يعقل كثيرا والصواب انها هنا روعى فيها معنى الصفة على ماقالوا فى قوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء يريد أن يوم ولادة آمنة لهذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو يوم اتيانها بالمولود الذى هو أفضل من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بسبب ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الانبياء والمرسلين وخص عيسى بالذكر لما فيه من الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة فمن آيات عيسى أنه من أم بلا أب وانما نفخ جبريل فى جيب درعها فحملت به و وضعته من وقتها كرامة لها ومعجزة له وانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله ومامن مولود من بنى آدم الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا الا عيسى ابن مريم لقوله تعالى وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم و رفع الى السماء و ينزل فى آخر الزمان فيحكم بشريعة النبى صلى الله عليه وسلم وكلم الناس فى المهد وكل ذلك فى الحقيقة آية من آيات النبى صلى الله عليه وسلم لانه الخليفة الاشهر والملك الاكبر الذى له التصرف المطلق والاذن العام فى المملكة باجناسها وأنواعها وأصنافها و جزئياتها وذلك بتمليك الله تعالى له واستخلافه إياه فهو المعطى والممد والموصل الى كل ذى حظ حظه ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم القاسم لانه المتولى لقسمة نعم الله تعالى وأعطيته فكل من حصلت له رحمة فى الوجود أوخرج له قسم من رزق الدنيا والاخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات فانما خرج له ذلك على يديه و بواسطته صلى الله عليه وسلم وهو الذى يقسم الجنة بين أهلها ولذا عدوا من خصائصه

يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يقتضى ان فرقه وسدله كان عن قصد لا اتفاقيا كما يقتضيه ماهنا الا أن يكون المراد هنا انه كان يسدل ولا يفرق الا ان افرقت من ذات نفسها أى ثم بعد ذلك فرق كما يأتى ثم استأنف فقال (يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره) أى تركه موفرا فلم يأخذ منه وقيل يصح أن يكون يجاوز زمن دخول النفى أى ان افرق شعره بعد ماعقصه فرق أى ترك كل شئ فى منبته والا ينفرق بأن استمر معقوصا كان موضعه الذى يجمع فيه حذاء أذنيه فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره أى جمعه (أزهر اللون) فى المهذب الازهر الابيض المستنير (واسع الجبين) أى واضحه وهو معنى مافى رواية صلت الجبين والجبين مافوق الصدغ عن يمين الجهة وشمالها فلكل انسان جبينان والجبهة مابينهما وقد يطلق الجبين على الجبهة وهو المراد هنا وقيل كناية عن طلاقة الوجه وشبه بعضهم جبهته المقدسة صلى الله عليه وسلم فى بياضها المشوب بحمرة وصفائها واشراقها واستنارتها بلوح فضة يتموج فيه الذهب وفى هذا التشبيه وصف جبهته المشرفة بتمام الحسن وكمال الجمال وتفريج الناظر وظفره بأكمل المطالب وأشرف المآرب ومما ينسب لعائشة رضى الله عنها

فلو سمعوا فى مصر أوصاف خده * لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
ولحى زليخا لو رأين جبينه * لآثرن بالقطع القلوب على الايد

(أزج الحواجب) الحاجب الازج هو المقوس كالنون الطويل الدقيق المستوى بحيث لا تعدو شعرة منه الاخرى فى النبات والاستواء وأطلق الجمع على المثنى لان التثنية جمع فى المعنى بدليل قوله بينهما عرق الخ (سوابغ) أى كوامل حال من الحواجب لانه فى المعنى فاعل أى دقت وتقوست حال كونها سوابغ والاظهر انه منصوب على المدح قاله فى جمع الوسائل وانما قال سوابغ مع انه من أوصاف الازج ليرتب عليه قوله (فى غير قرن) بالتحريك مصدر قولك رجل أقرن أى مقرون الحاجبين وفى رواية من غير قرن ففى بمعنى من والاحسن انه حال متداخلة والمراد انه صلى الله عليه وسلم لم يكن أقرن أى متصل الحاجبين وان كان أبلج مابينهما أى نقيه من الشعر وعورض هذا بما فى وصف أم معبد رضى الله عنها حيث قالت أزج أقرن وجمع بينهما بأنه بحسب ماكان يبدو للناظر من بعد أو بغير تأمل وأما القريب المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلا دقيقا فهو أبلج فى الواقع أقرن بحسب مايبدو للناظر اذا كان بعيدا أومن غير تأمل قال الانطاكى وغيره والعرب تستملح البلج والعجم القرن ونظر العرب أدق وطبعهم أرق قال فى جمع الوسائل فكانه جمع بين لطافة العرب وظرافة العجم صلى الله عليه وسلم (بينهما عرق يدره الغضب) أى يحركه و يظهره وفيه دليل كمال قوته الغضبية التى عليها مدار حماية الديار وقمع الاشرار وكمال الوقار الا أنه صلى الله عليه وسلم لا يخرج عن مقتضى العدل فى الرضا والغضب ولا يغضب الا لله وليس غضبه كغضب غيره وسيأتى فى حديث هند فى باب كيف كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغضبه الدنيا وما كان لها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له لا نغضب لنفسه ولا ينتصر لها وسيأتى فى باب التواضع

صلى الله عليه وسلم انه اعطى مفاتيح الخزائن و بسبب حيازة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للفضائل كلها والفواضل باسرها استحق أن
يسمى محمداً ومعناه أصالة من كثر حمد الحامدين له فجاء هذا الاسم الشريف ملاءماً ومناسباً لذلك المسمى المنيف لما يدل عليه بحسب وضعه
الاصلى الملاحظ بعد الوضع العلمى من تعدد الحمد وكثرته وتكرره كما ان أسبابه متعددة وطرقه متكاثرة وموجباته غير منحصرة فهذا بذلك
وما أحسن وضع الشئ فى محله واعطاءه لمستحقه ومجيئه به على حقه ولذا قال بعض النحاة ان هذا الاسم الشريف يفيد ما يفيده

اللقب من المدح ومن
الفضائل التى له صلى الله
عليه وسلم أتمية حامديته لله
تعالى فانه الاحمد الاكبر
والمعروف الاعظم ولذا
وصف بأفعل والحامدون
كلهم نوابه اذ هو الذى عرفهم
الحمد وأوصل اليهم العلم
بأسبابه فهو الحامد على
الاطلاق والمثنى فى جميع
الاوقات والآفاق
والحامدون عالة عليه اذ
الثناء على الله بحسب المعرفة
به ومعرفته صلى الله عليه
وسلم لم يصلها ولا يصلها
أحد فكانت محموداته صلى
الله عليه وسلم على حسب
ذلك فضعفت المادة دلالة
على الكثرة وبهذا تعلم أن
كونه صلى الله عليه وسلم
أحمد سابق على كونه محمداً
وفى هذا الاسم الشريف
الاشارة الى كمال محبوبيته
صلى الله عليه وسلم لما فى
معناه من المكافأة لاحمديته
بثنائه تعالى عليه بنفسه فى
كتابه وبألسنة خلقه اذ
ألسنة الخلق أقلام الحق
فالمحبوبية فيه اظهر وان
كانت فى احمد ايضا من حيث اجتذابه اليه واستعماله فى خدمته وحمده ومعرفته ومعنى المحبة فيه في
اظهر ولظهور معنى المحبوبية فى محمد كان الذ سماعاً عند جميع المسلمين واشوق الى الصلاة والسلام على سيد المرسلين و يفهم من توجيه هذه
المطابقة بين الاسم والمسمى ان هذا الاسم الشريف هو اسمه الجامع لمعانى اسمائه اذ كلها دال على فضيلة او فاضلة نحو طاهر مطهر فاتح خاتم
مصطفى مختار امين مأمون الى غير ذلك من اسمائه ومحمد شامل لجميع ذلك اذ معناه محمود بالطهارة الخ فافهمه هذا بعض ما يتعلق بمعنى الاسم
واما لفظه فقال بعض العلماء فى اسم محمد ثلاث ميمات اذا بسطت كلا منها قلت ميم وعدتها تسعون فيحصل من الميمات الثلاث مائتان وسبعون

من حديث على رضى الله عنه لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفى باب الخلق عن عائشة رضى الله عنها ما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شئ فاذا انتهك من
محارم الله تعالى شئ كان من أشدهم فى ذلك غضبا (أقنى العرنين) وفى رواية أقنى الانف وهما بمعنى
واحد والقنى طول الانف ودقة أرنبته وحدب فى وسطه فليس بأفطس ولا باشم (له نور يعلوه) الضميران
للعرنين (يحسبه من لم يتأمله) أى يظن النبى صلى الله عليه وسلم من نظر الى وجهه ولم يتأمله (أشم)
مفعول ثان ليحسب والشمم ارتفاع القصبة مع استواء أعلاها واشراف الارنبة قليلا فلحسن قناه والنور
الذى علاه يخفى على الناظر اليه من غير تأمل حدب وسطه و يظن استواء القصبة ولو أمعن النظر لحكم
بخلاف ذلك و يفهم من هذه الاوصاف انه كان لانفه الشريف استقامة وسيلان ودقة أطراف ولطرفه
وهو الارنبة القدر المحمود من الاشراف ولقصبته ارتفاع وسط وحدب الوسط ولطوله القدر المعتدل السالم
من الشطط وان له نوراً يعلوه يخفى حدبه فيحسبه من لم يتأمله انه مرتفع أعلى القصبة (كث اللحية) أى كثير
شعرها وفى رواية كثيف اللحية وفى أخرى عظيم اللحية ومعلوم ان عظم اللحية بالاطول غير مستحسن
عرفا وان الطول الزائد بأن يكون فيه زيادة على القبضة غير ممدوح شرعا وسيأتى فى باب رؤية النبى صلى الله
عليه وسلم قول يزيد الفارسى فى نعته صلى الله عليه وسلم قد ملأت لحيته ما بين هذه الى هذه أى الاذنين قد
ملأت نحره أى عنقه فالاول اشارة الى عرضها والثانى اشارة الى طولها فقال ابن عباس لو رأيته فى اليقظة
ما استطعت ان تنعته فوق هذا (سهل الخدين ضليع الفم) أى عظيمه وواسعه وهو محمود عند العرب
وسيأتى فى حديث جابر بن سمرة قلت لسماك بن حرب ما ضليع الفم قال عظيم الفم والضليع فى الاصل
الذى عظمت أضلاعه فاتسع جنباه ثم استعمل فى موضع العظيم وان لم يكن ثم اضلاع وفيه ايماء الى
الفصاحة والبلاغة وقيل ضليع الفم كناية عن كمال الفصاحة وتمام البلاغة وقيل معنى ضليع الفم عظيم
الاسنان شديدها وانظر ما معناه اذ لا يصح ان يراد بعظمها غلظها ولا اتساعها لانه غير محمود والمحمود
تحديدها والتوسط بين الدقة والاتساع الكثير (مفلج الاسنان) بالفاء أى منفرجها وهو خلاف متراص
الاسنان ويروى أفلج الاسنان وليس المراد من أفعل هنا التفصيل وانما جاء الوصف من المادة على وزن
أفعل كاحرش وفى رواية لابن سعد مبلج الثنايا بالموحدة وسيأتى فى حديث ابن عباس أفلج الثنيتين
اذا تكلم رئى كالنور يخرج من بين ثناياه قال بعضهم المراد بالثنيتين العليان دون السفليين لان المدح
خاص بفلج العليين فرواية مفلج الاسنان ومبلج الثنايا ترجع لرواية ابن عباس لان انفراج الاسنان كلها غير
محمود و يأتى فى باب الكلام فى آخر حديث هند و يفتر عن مثل حب الغمام وفى رواية لابن عساكر براق
الثنايا فيفهم من ذلك انه كان لاسنانه صلى الله عليه وسلم غاية البياض والبريق واللمعان وفى رواية اشنب
والشنب دقة الاسنان ورونقها وصفاء مائها وعذوبتها قال ابن حجر أخرج أبو نعيم انه بزق فى بئر بدار أنس
فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها وأخرج أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم شرب من دلو ثم صب فى بئر أو قال مج

وأذا بسطت الحاء والدال قلت دال بخمسة وثلاثين وحاء بتسعة فالجملة ثلثمائة وأربعة عشر فتلك عدة الرسل عليهم الصلاة والسلام وقال آخر الميم الاولى للملكوت الاعلى ولمعرفة علم الاولين والآخرين ولمحو الكفر ولمن الله به على المؤمنين والحاء للحياة بالايمان والحفظ وحكمه في الخلق بحكم الله والميم الثانية للملكوت الباطن والملك الظاهر ومنه تشهير اسمه مع اسمه ومغفرته لامته والدال الدوام والاتصال لدفع وهي الانقطاع والانفصال وهو الدليل لجميع الخلق والداعي الى الله ثم ان هذا الاسم الشريف

باعتبار هيئته فيه إشارة إلى أن مسماه هو المقصود الاكبر من النوع الانساني ولذلك خلقوا على صورة اسمه وشكل كتابته فقد روى عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعمر أتدري من أنا أنا الذي خلق الله آدم وذرية على حروف هجائي

(محمد)

هكذا كانت كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم في القديم فالرأس والوجه بمنزلة الميم الاولى واليدان اذا امددتهما بمنزلة الحاء والبطن بمنزلة الميم الثانية والرجلان بمنزلة الدال اه ذكره العزفي وغيره وقد قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما ان من تسمى باشهر أسمائه أعني محمداً أو أحمداً أدخله الله الجنة لكرامة اسمه وروى ابن وهب عن مالك انه تطرح البركة في أهله وجيرانه وانظر المواهب تظفر بعجائب

في البئر ففاح منها رائحة المسك ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة ابن فرقد السلمي وكان به شرى أي قروح صغار حمر حكاكة مكربة فما كان يشم أطيب منه رائحة قالت أم عاصم امرأته كنا عند عتبة بن فرقد ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وما يمس عتبة طيبا الا أن يمس دهنا وكان أطيب ريحا منا فقلت له في ذلك فقال اصابني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه وألقيت ثيابي على عورتي فنفث في كفه ثم دلك بها الاخرى ثم أمرهما على ظهري و بطني فعبق بي ما ترون و بصق يوم خيبر بعيني علي و بهما رمد فبرئ وكان يوم عاشوراء يتفل في أفواه رضعائه و رضعاء ابنته فاطمة و يقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل وكان ريقه يجزيهم (دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة) الجيد هو العنق فغاير بينهما كراهية التكرار اللفظي والدمية في الاصل الصورة من العاج واستعمل هنا في مطلق الصورة التي بولغ في تحسينها فشبه عنقه بجيد الدمية في الاستواء والطول والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال و بالفضة في اللون والاشراف والجمال فقوله في صفاء الفضة خبر بعد خبر لكان وهو اشارة الى بياض رقبته صلى الله عليه وسلم والى أن بياضه كان في غاية الصفاء (معتدل الخلق) يحتمل ان يكون اشارة الى ان عنقه الشريف لم يكن مفرط الطول أو الى انه معتدل الخلق أي جميع الاعضاء فيكون اجمالا بعد تفصيل بالنسبة لما سبق (بادن) اسم فاعل من بدن بمعنى ضخم والضخامة قد تكون بعظم الاعضاء وقد تحصل بالسمن فان كان المراد هنا الاول كان قوله (متماسك) اشارة الى أن عظم اعضائه لم يخرجها عن حد الاعتدال وان كان المراد بالبادن السمين كان معنى قوله متماسك أنه ليس بمسترخي اللحم لان استرخاءه مذموم عند العرب مكروه في المنظر أي فهو معتدل الخلق بين السمن والنحافة وهذا هو الظاهر والخلاف في انه سمين أولا لفظي قاله في جمع الوسائل هنا وأما قوله في شرح قوله فخما مفخما انه صلى الله عليه وسلم زادت ضخامته في آخر عمره لما آتاه الله جميع سؤله وأراحه من غم أمته فضعيف أو غير صحيح فان غاية ما ورد أنه ثقل به بدنه حتى كان أكثر صلاته وهو جالس وكيف يلتئم ما ذكره من التعليل مع ما يأتي من انه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقوله شيبتني هود واخواتها نعم من الناس من تسمنه الغيبة في المحبوب فيشغله الفرح والسرور بمحبوبه عن السابقة والعاقبة و يكون اشتغاله بشهوده والفرح به أهم اليه فيسمن جسمه وقد مشى أبو يزيد البسطامي لزيارة رجل من القوم سبعمائة فرسخ فلما رآه وجده سمينا فندم على القدوم عليه فتوسم الرجل فيه ذلك فقال له ياأبا يزيد لا تفسد مسيرك الى سبعمائة فرسخ فان سمني من فرحي به وفي لطائف المنن نقلا عن الشيخ أبي العباس المرسي قال كان ببلاد المغرب ولي من أولياء الله تعالى يتكلم على الناس فرقي المنبر يوما ليتكلم على الناس فقال رجل مكشوف الرأس هذا رجل يزهدنا في الدنيا وهو كالدب فكوشف به الشيخ فقال من فوق المنبر ياأبا رؤيس ما سمنني الا حبه وقيل لبعض التابعين ماهذا السمن فقال كلما تذكرت كثرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وما اختصهم الله تعالى به ازددت سمنا وقال بعض العارفين كلما تذكرت اني عبد الله وانه أهلني للايمان

(شمتته الاملاك إذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء) التشميت بالمعجمة والمهملة هو ان يقال للعاطس يرحمك الله إما دعاء له بأن يرحمه الله و يحفظه من شماتة أعدائه أو ببقاء سمته على ما كان عليه لان العطاس ربما كان سببا في تغييره والاملاك جمع ملك كجمل وأجمال وشفتنا أفرحتنا وأدخلت علينا السرور بقولها الآتي الذي يشفي العليل و يبرد الغليل والشفاء بالفاء المشددة هي أم عبد الرحمن بن عوف فقد روي عنها انها قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله انظر تمامه في المواهب وظاهره ان استهلاله صلى الله عليه وسلم كان بالعطاس

(رافعا رأسه وفى ذلك الرفع الى كل سؤدد إيماء * رامقا طرفه السماء ومرمى * عين من شانه العلو العلاء)
(وتدلت زهر النجوم اليه * فاضاءت بضوئها الارجاء * وتراءت قصور قيصر بالروم * يراها من داره البطحاء)

روى أبو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدث وتقول أتانى آت حين مر بى من حمله ستة اشهر فى المنام وقال لى يا آمنه انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا (٣٢) واكتمى شأنك قالت ثم لما أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحد لا ذكر ولا أنثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالنى ثم رأيت كان جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الروع وكل وجع أجده ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بى فبينما أنا أتعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بى فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بى الامر وأنا أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك اذا بديباج أبيض مد بين السماء والارض واذا قائل يقول خذاه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا (١) قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فاذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذنى المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عنى ثم سمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته و يعلموا انه سمى فيها الماحى لا يبقى شئ من الشرك ممتلئهما

(١) أى ملائكة على صور الرجال والا فهم لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة اه مؤلف

والايقان زادسمنى وقال عياض رحمه الله

وبما زادنى طربا وبها * وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى * وأن صيرت أحمد لى نبيا

وأما ما ورد من أن الله يبغض السمين (١) فمحله كما قال فى جمع الوسائل اذا نشأ عن غفلة وكثرة نعمة حسية كما يدل عليه رواية يبغض اللحامين والله أعلم (سواء البطن والصدر) بالاضافة والمعنى ان صدره و بطنه متساويان و بطنه لضموره لا يزيد على صدره وصدره لكونه عريضا مساو لبطنه فقوله (عريض الصدر) كالمؤكد لما قبله (بعيد ما بين المنكبين) يستلزمه قوله عريض الصدر (ضخم الكراديس) سبق معناه (أنور المتجرد) بفتح الراء المشددة وكسرها أى مشرق العضو الذى هو موضع التجرد عن الثوب على الفتح أو مشرق العضو العارى عن الثوب على الكسر (موصول ما بين اللبة) وهى النقرة التى فوق الصدر (والسرة بشعر يجرى) يمتد (كالخط) أى طولا ودقة وفى رواية كالخيط (عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك) الخط والمعنى لم يكن على ثدييه و بطنه شعر غير مسربته وقولنا عارى الثديين من الشعر لا ينافى انه كان فى أعلى صدره شعر كما أشار له بقوله (أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر) أى كثيره أو طويله فلا يحتاج الى ما تكلفه بعضهم من أن المراد عارى الثديين من اللحم لئلا ينافى قوله وأعلى الصدر ونفى بعضهم شعر الابط وضعف بما صح انه عليه السلام كان ينتف شعر ابطيه نعم قال ابن حجر الذى نعتقده انه لم يكن لابطه رائحة كريهة كما ثبت فى الصحيح (طويل الزندين) بفتح الزاى وسكون النون و بالدال المهملة وهو من الذراع ما انحسر عنه اللحم وله رأسان الكوع والكرسوع قال فى القاموس الكوع بالضم طرف الزند الذى يلى الابهام والكاع طرف الزند الذى يلى الخنصر وهو الكرسوع بالعين المهملة كما فى القاموس ولبعضهم

فعظم يلى الابهام كوع وما يلى * لخنصره الكرسوع والرسغ ما وسط

فمعنى طويل الزندين طويل الذراعين والله أعلم (رحب الراحة) أى واسع الكف حسا ومعنى ولحسان ابن ثابت رضى الله عنه

له راحة لو ان معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر
له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

وقوله ان بكسر الهمزة (٢) بمعنى صب ومعشار بالرفع نائب الفاعل (شثن الكفين والقدمين) سبق ان معناه

(١) فى اختصار محمد بن عبد الباقى الزرقانى حديث ان الله يكره الحبر السمين حسن موقوف و رد نحوه مرسلا ولا أعلمه موصولا اه منه

(٢) قوله ان بكسر الهمزة كذا بالاصل ولعل الصواب بضم اذ هو مبنى للغائب كما لا يخفى اه

الاصحى فى زمانه ثم تجلت عنه فى اسرع وقت الحديث (وروى) الخطيب البغدادى بسنده ان آمنة قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحانى من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضا اسحق وفصاحة (٣٣) صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيي وزهد عيسى واغمسوه فى أخلاق النبيين قالت ثم انجلت عنى فاذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا بقائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا دخل طائعا فى قبضته قالت ثم نظرت اليه صلى الله عليه وسلم واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر فى يد أحدهم ابريق من فضة وفى يد الثانى طست من زمرذ أخضر وفى يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه فى الحريرة ثم احتمله فادخله بين أجنحته ساعة ثم رده الى (وروى) محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء (وروى) الطبرانى أنه لما وقع على الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى عن عثمان بن أبى العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على رواه البيهقى ويؤخذ منه ان ذلك النور من

ممتلئهما لحما (سائل الاطراف) أى طويل الاصابع ممتدها ليست بمنعقدة ولا متقصفة أى متكسرة وروى بعضهم سائن بالنون وهو لغة فى سائل كجبرين وجبريل (أوقال) شك من الراوى هند أو من دونه من رجال السند (شائل الاطراف) بالشين المعجمة من الشول وهو الارتفاع أى مائلة الى الطول ووقع فى رواية وسائر الاطراف بواو العطف وبالراء وهو اشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث قاله عياض فى الشفاء واما بدون واو فكانه على حذف كاف التشبيه ان صحت الرواية (خمصان الاخمصين) يقال خمص بالضم والفتح والكسر خمصا ورجل خمصان بالضم وامرأة خمصانة اذا كانا ضامرى البطن والاخمص باطن القدم فمعنى خمصان الاخمصين ضامر باطن القدمين بمعنى ان وسط قدمه مرتفع عن الارض ونقل فى النهاية عن ابن الاعرابى انه عليه السلام كان معتدل خمص الاخمص فلم يكن مرتفعا جدا ولا مستويا جدا لانه اذا كان هكذا فهو أحسن ما يكون واذا استوى أو ارتفع جدا فهو ذم اه وبه يظهر وجه الجمع بين هذه الرواية التى ذكرها المصنف وبين ما نقله القاضى عياض فى الشفاء عن أبى هريرة رضى الله عنه من انه عليه الصلاة والسلام كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له خمص اه وبيان الجمع ان من أثبت الخمص أراد ان فى قدميه خمصا يسيرا ومن نفاه نفى شدته وأما قول عياض ان قوله (مسيح القدمين) يوافق ما قاله أبو هريرة ففيه ان الراوى ذكر قوله مسيح القدمين عقب قوله خمصان الاخمصين فلو أريد به انه لم يكن أخمص لكان بينهما تدافع وانما معنى قوله مسيح القدمين انه أملس القدمين ليس فيهما تكسر ولا تشقق ويؤيد ذلك قوله (ينبو) اى يمر سريعا وينباعد ويتجافى (عنهما الماء) وقال ابن الجزرى مسيح القدمين الذى ليس بكثير اللحم فيهما انظر جمع الوسائل وانظره مع ما تقدم فى تفسير شثن الكفين والقدمين نعم سيأتى ان النبى صلى الله عليه وسلم قام الليل حتى تورمت أى انتفخت قدماه وقال البوصيرى نفعنا الله به

ورمت اذ رمى بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء

دميت فى الوغى لتكسب طيبا * ما أراقت من الدم الشهداء

فهى قطب المحراب والحرب كم دا * رت عليها فى طاعة ارحاء

{ وقال }

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

(اذا زال زال قلعا يخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب) سبق الكلام على هذا فى حديث أنس (واذا التفت التفت جميعا) تقدم فى حديث على رضى الله عنه (خافض الطرف) أى (البصر يعنى اذا لم ينظر الى شئ يخفض بصره لان هذا شأن من يكون دائم الفكرة لاشتغال قلبه بربه فقوله (نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء) كالتفسير لما قبله ويحتمل ان يكون وصفا مستقلا اشارة الى نهاية تواضعه وخضوعه وغاية حيائه من ربه وكثرة خوفه وخشوعه وسيأتى من حديث أبى سعيد الخدرى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها قال العراقى

النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما يفهم من الناظم انه من النجوم وأخرج الامام أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك انا دعوة أبي ابراهيم و بشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات الانبياء يرين وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة قالت لقد

حياؤه يربو على العذراء * في خدرها لشدة الحياء
نظره للارض منه أكثر * الى السماء خافض اذ ينظر

وأما ما رواه أبو داود من انه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس يتحدث يكثر ان يرفع طرفه الى السماء فيحتمل ان يقال الاكثر لا ينافي الاكثار و يحتمل ان الرفع محمول على حال توقعه انتظار الوحي في أمر ينزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء أو نظره الى الارض أطول حال السكوت وعدم التوجه الى أحد انظر جمع الوسائل (جل نظره الملاحظة) من اللحظ وهي النظر باللحاظ بفتح اللام وهو شق العين مما يلي الصدغ يقال لحظه ولحظ اليه أي نظر اليه بمؤخر العين والمراد والله اعلم انه لم يكن نظره الى الاشياء كنظر اهل الحرص والشره بل بقدر الحاجة سيما الى الدنيا و زخرفها و يحتمل ان يكون ذلك حال العبادة كما في جمع الوسائل * تتمة * و رد ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يرى البعيد كما يرى القريب و يرى من خلفه كما يرى من امامه و يرى في الليل كما يرى في النهار وانه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما أو اثني عشر فلم تكن رؤيته على الطريق المألوف من الخلق انظر شرح الهمزية لشيخنا المحقق (يسوق أصحابه) اي يقدمهم أمامه و يمشي خلفهم تواضعاً أو اشارة الى انه كالمربي فينظر في أحوالهم وفي هيئاتهم كمن يقدم دابته ليتفقد أحوالها أو رعاية للضعفاء واغاثة للفقراء أو تشريعا ونعليا لان خفق النعال وراء الاحمق قلما يبقي من دينه وأخرج الدارمي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال خلوا ظهري للملائكة قال العراقي

يمنع ان يمشي خلفه احد * بل خلفه ملائك الله الاحد

وفي بعض النسخ يقدم أصحابه من التقديم و يروى ينس أصحابه والنس السوق وفي ذلك رد على أرباب الجاه وأصحاب التكبر والخيلاء (و يبدر من لقي بالسلام) أي يسبق و يبادر بالتسليم على من لقيه لان ذلك شيمة المتواضع وقد نص العلماء على ان هذه سنة أفضل من الفرض لانه سبب لحصوله فثوابها أكثر وفي بعض النسخ يبدأ من البدء بمعنى الابتداء قال المصنف رضي الله عنه (حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر) هو المعروف بغندر (نا شعبة عن سماك بن حرب) أدرك ثمانين من الصحابة (قال سمعت جابر ابن سمرة) كلاهما من الصحابة (يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم) تقدم في حديث هند (اشكل العين) في نسخة العينين أي في بياضها خطوط حمر كما تقدم لنا في حديث علي (منهوس العقب) ضبطه الجمهور بالسين المهملة وقال صاحب مجمع البحرين وابن الانير روى بالمهملة والمعجمة وهما متقاربان أي قليل لحم العقب وهو بفتح العين المهملة وكسر القاف مؤخر القدم (قال شعبة) المذكور في السند (قلت لسماك) شيخه (ما ضليع الفم قال عظيم الفم) على هذا الاكثرون وقيل عظيم الاسنان كما تقدم (قلت ما أشكل العين قال طويل شق العين) بفتح الشين المعجمة قال عياض هذا وهم من سماك والصواب ما اتفق عليه العلماء وجميع أصحاب الغريب من ان الشكلة حمرة في بياض العين وهو محمود عند العرب جدا والشهلة بالهاء حمرة في سوادها (قلت ما منهوس العقب قال قليل لحم العقب) في القاموس المنهوس من

رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وأخرج أيضاً عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان آمنة قالت رأيت كانه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام * وعن همام بن يحيى عن اسحق بن عبد الله ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد قال في اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الارض و زالت به ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم وأما إضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو اشارة إلى ما خص الشام به من نور نبوته وانها دار ملكه كما ذكر كعب الاحبار أن في الكتب السالفة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى الشام انتهى ملكه ولهذا أسرى به صلى الله عليه وسلم إلى الشام إلى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام إلى الشام و بها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهي أرض المحشر والمنشر واخرج أحمد وابو داود وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبي اليها خيرته من عباده اه ملخصا من المواهب *(تنبيهات)* الاول روى ابن عساكر عن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم ولد معذورا

الرجال

أى مختونا مسرورا أى مقطوع السرة وروى الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كرامتى على ربى ان ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى أى عورتى وقول الحاكم فى المستدرك تواترت الاخبار بذلك مراده كما قال المنذرى وغيره الاشتهار والاستفاضة بين الناس لا التواتر اصطلاحا وفى العبارة تجوز لان الختان هو القطع وانما المراد انه ولد على تلك الهيئة من غير قطع انظر المواهب (الثانى) دار ولادته عليه الصلاة والسلام بمكة بالحومة المعروفة (٣٥) بزقاق المدكك ويقال زقاق المولد

الرجال قليل اللحم منهم قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا عبثر) بعين مهملة مفتوحة ثم باء موحدة ثم ثاء مثلثة مفتوحة ثم راء (ابن القاسم) الزبيدى بالتصغير (عن أشعث يعنى) هو من كلام المؤلف أو هناد أو عبثر (ابن سوار) ولم يقل أشعث بن سوار محافظة على لفظ الشيخ من غير زيادة وهذا أبهم فى رعاية الامانة كما تقدم وسوار بتشديد الواو وروى لاشعث هذا مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأخرج البخارى حديثه فى التاريخ فقول العصام انه ضعيف غير صحيح (عن أبى اسحق عن جابر بن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة) بالتنوين (اضحيان) بالتنوين أيضا وهو صفة ليلة أى مقمرة وانما صرف مع زيادة الالف والنون لانه ليس على وزن فعلان وانما جرد من التاء مع انه جار على مؤنث لتأويل الليلة بالليل أولانه من الاوصاف الخاصة بالمؤنث كطالق وحائض وفى الفائق انه يقال ليلة أضحيان وليلة اضحيانة وهى المقمرة من أولها الى آخرها ولا شك ان نور القمر فى هذه الليلة أعم وحسنه أتم (وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو عندى) انما زاد قوله عندى لبيان الواقع والافتخار باعتقاده لا للاحتراز عن غيره فانه كذلك عند كل مسلم رآه بنور النبوة خلافا لعمى البصائر كما أخبر عنهم عز وجل بقوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون أى جمالك وكمالك لنقصان بصائرهم كالخفاش لم يقدر على النظر لجرم الشمس من غير جرم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

(أحسن من القمر) لان حسن القمر ونوره وحسن كل حسن فى الوجود انما هو مستمد ومقتبس من حسنه ونوره صلى الله عليه وسلم فحسنه صلى الله عليه وسلم هو المشهود فى كل حسن ونوره صلى الله عليه وسلم هو المشهود فى جميع الانوار من شمس وقمر ونجوم وغيرها فصار كل من الشمس والقمر والنجم مظهرا ومجلى لنوره صلى الله عليه وسلم قال شيخنا المحقق فى شرح همزيته فعلى المحب أن يشهد جماله صلى الله عليه وسلم فى كل جميل عند رؤيته له فيذكره معظما بقلبه ويتبع ذلك بذكر لسانه وقد شاهدت بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى اذا رأى شيأ حسنا أو وقع فى قلبه معنى حسن بادر الى قوله الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ثم ذكر لى ان هذا المعنى بالقياس على ما اشتهر بين الناس عند رؤية الورد والزهر ونحوهما وشم ذلك فيثبت له ثواب الذكر اللسانى والقلبى ويفوز باستعمال تلك اللحظة فى خدمته صلى الله عليه وسلم بل وشهوده اهـ ومن ثم قال بعض العارفين ينبغى لمن زار وليا من أولياء الله تعالى ان يستحضر استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم فيكون بذلك زائرا له صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن المبارك وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يقم مع شمس قط الا غلب ضوؤه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوؤه ضوء السراج اهـ ولهذا لم يظهر له صلى الله عليه وسلم ظل فقد ذكر ابن سبع فى الشفاء ونقله القاضى عياض فى الشفاء انه لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر ويوجه ذلك أيضا بحفظ ظله الذى هو مثال صورته فى القدر عن الامتداد على الارض اجلالا أولان الظل المرتسم معرض للارتسام على الاماكن القذرة ولوطء المارين عليه وبأن الظل ملزوم للظلمة فى الجملة بالنسبة الى النور اذ هو حجاب له وهو صلى الله

ويقال زقاق الحجر وهذه الدار كان وهبها النبى صلى الله عليه وسلم لعقيل بن أبى طالب ولم تزل بيده الى أن مات وباعها ابنه لمحمد بن يوسف أخى الحجاج حتى حجت الخيزران جارية المهدى أم هرون الرشيد وقيل زبيدة زوجة هرون فجعلتها مسجدا فهو الى الآن يزار وموضع الولادة منه معين متميز عليه كسوة خاصة وكان الزقاق المذكور سمى بزقاق الحجر لاجل الحجرين اللذين هنالك ملصقين بجدارين أحدهما عن يمين الآتى من ناحية المسجد الحرام مارا بتلك الدار بقرب دار أبى بكر رضى الله عنه وبه أثر مرفق ذراع النبى صلى الله عليه وسلم يقال انه اتكأ عليه فلان والآخر يقابله بانحراف يقال انه كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم ويخبره عن حال أبى بكر وقد زرنا جميع ذلك والحمد لله (الثالث) لم يولد لابويه صلى الله عليه وسلم غيره فلم يشركه فى ولادة أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية قاله القسطلانى فى المواهب اللدنية (وبدت فى رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن ما فى اليتيم عنا غناء فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء) قال فى المواهب قد ذكروا انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التى لا يوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة قالت الوحوش نحن أولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب فى سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة

قالت حليمة فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ماتبض بقطرة لبن ومانمام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذلك لايجد في ثديي مايغنيه ولا في شارفنا مايغذيه فقدمنا مكة فوالله ماعلمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا (٣٦) أخذت رضيعا غيري فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله اني لا كره ان أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلا آخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي تخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فدنوت منه رويدا فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الايمن فأقبل عليه بما شاء من اللبن فحولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم أعلمه الله تعالى ان له شريكا فألهمه العدل اه (قلت) وأظهر منه أن يكون اشارة الى ماعليه شريعته وما استقرت اليه عادته من حبه التيامن في أموره كلها وانه هو وأمته من أهل اليمين وان البركة تظهر عليها لان اليمين البركة قال بعض المحققين وقد جرت عادة الله تعالى ان من قصر النظر على الصور والظواهر ولم يتأمل البواطن ولم يفحص عن الحقائق كان ذلك في حقه حجابا ومن نظر الى الشئ نظرا اجماليا ولم تنزل الى التفصيل لم يعلمه ولم يظفر بفائدته وذلك ضرب من التساهل والعجز والاعراض وعاقبته الحرمان ومن أمعن وتأمل وغاص على الحقائق واعتنى بما في طي الظواهر من السرائر انقشع عنه سحابها وتجلى له لبابها ومن نظر الى الاشياء بالتفصيل عثر على سواء السبيل ووصل الى التحقيق بالبرهان والدليل فغير حليمة من النسوة سلك المسلك الاول فجعل بينهن وبين الكنز طلسم الوهم الذي ليس عليه معول وهي سلكت المسلك الثاني فانجلت لقلبها لطائف معدن المعاني وحصل لها الجمع بين الباقي والفاني * ثم نقول جرت عادة الله

بالنصب

عليه وسلم النور المنير فلا تظهر منه ظلمة وبان الشمس والقمر منه ظهر او عنه نشأ فلا يستتران به اذ المظهر للشئ يمتنع ان يكون ساترا لما أظهره ولا يقال كيف يتأتى هذا مع انه صلى الله عليه وسلم بشر كما نطق به القرآن لانا نقول ليست بشريته كبشرية غيره فهو بشر ليس كالبشر كما ان الياقوت حجر ليس كالحجر كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فهو مع بشريته نور ولذلك سمي نورا قاله شيخنا المحقق في شرح همزيته وفي حديث عمر رضي الله عنه ياعمر بن الخطاب أتدري من أنا أنا الذي خلق الله عز وجل أول كل شئ نوري فسجد له فبقي في سجوده سبعمائة عام فاول كل شئ سجد له نوري ولا فخر ياعمر أتدري من أنا أنا الذي خلق الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم من نوري والشمس والقمر من نوري ونور الابصار من نوري والعقل الذي في رؤس الخلائق من نوري ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر اه فالانوار والاضواء كلها من نوره خلقت وبه استنارت فهي الفروع وهو الاصل ولا نسبة للفروع بالاصول فأهل الحسن وأرباب الجمال اذا تجلى بينهم جمال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبرز عليهم حسنه ظهر بكمال حسنه نقص حسنهم وتبين بارتفاع جماله انحطاط جمالهم ويرحم الله القائل في مدحه صلى الله عليه وسلم

بهرت بالحسن أهل الحسن فانبهروا * حتى كأنهم في الحي ماظهروا
وصرت قطب جمال فاستمد سنى * من وجهك النيران الشمس والقمر

وما أحسن قول حسان رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه ورجع الى قومه فقالوا له صف لنا ما رأيت وبذلوا له مالا على أن يهجوه بما يناسب بغضهم فيه

لما نظرت الى أنواره سطعت * وضعت من خيفتي كفي على بصري
خوفا على بصري من حسن صورته * فلست أنظره الا على قدر
أنوار من نوره في نوره غرقت * والوجه مثل طلوع الشمس والقمر
روح من النور في جسم من القمر * كحلة نسجت في الانجم الزهر

فقالوا له ماهذا فقال هذا الذي رأيت وعار على الرجل أن يصف الكذب * قال المصنف نفعنا الله به (حدثنا سفيان بن وكيع نا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي) بضم الراء بعدها همزة ويجوز ابدالها واوا (عن زهير) بن محمد التميمي ضعف لعدم استقامة رواية أهل الشام عنه قال أبو حاتم حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه وأما زهير بن حرب بن شداد فثقة ثبت روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث وأخرج حديثه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه ولم يدرك أبا اسحق قاله في جمع الوسائل نقلا عن العصام ثم رأيت في صحيح البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبي اسحق الخ الحديث فقال ابن حجر زهير بن معاوية ثقة فانظر عامه فيه فمراد المصنف هنا زهير بن معاوية كما في ابن حجر لا زهير بن محمد لانه ضعيف خلافا للعصام ولا زهير بن حرب لانه لم يدرك أبا اسحق فاعرف ذلك (عن ابي اسحق قال سأل رجل البراء بن عازب أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف) اي في البريق واللمعان (قال) اي البراء (لا بل مثل القمر)

تعالى بأن مجرد الطمع فى العرض الزائل عاقبته الحرمان والزهد فى الخير وعدم الاعتناء بالاحسان نتيجته الندم والخسران فالعاقل يصحب حظوظه حقوقا لتنغمر فيها وتؤمن غائلتها بمصاحبتها ولا يخليها من قصد صحيح ووجه حسن مليح حتى لا يكون من المتصرفين بمجرد الشهوة والهوى وناقص العقل يعتمد شهوته ويجعل طمعه عمدته غير ملتفت الى فوائد الخير ونتائج الاحسان ولا يراعى مقتضى الرحمة ومجازاة الرحمن فحليمة رضى الله عنها سلكت المسلك السابق فلاحت لها الحقائق وأثمرت لها الحدائق وغيرها سلك المسلك اللائق فبقى قاصرا عما وصلت اليه منقطعاً غير لاحق * ثم نقول جرت عادة الله بأن الشئ العزيز لا ينجلى لكل أحد ابتداء لان الابتذال ينافى العزة وانما ينجلى لمن صدق فى طلبه بالعزم الجازم وهو مدة العزم قبل الوصول منحجب عن الخصوصية فاذا استمر عزمه الى أن وصل اليه فحينئذ تنجلى له خصوصيته ليكون مطلوبا مراداً أو تحصل ثمرته على غرة وفجأة من غير ترتب على استعداد ولا انقياد الى محاولة وعلاج فلو تجلت خصوصيته صلى الله عليه وسلم للنسوة ابتداء لتسابقن اليه ولتقاتلن عليه لكن ليس المحب من يبذل له انما المحب من يبذل فيصل ويظفر * ثم نقول كانت حليمة رضى الله عنها أفقر تلك النسوة وأحوجهن فتحاماها أهل الرضعاء ولم يدفعوا لها صبيانهم من أجل فقرها فانهزم بذلك قلبها وانكسرت نفسها فجبر الله كسرها وصدعها وأمن روعها اذ انا بان فضله لا ينال بجاه ولا يتوصل اليه بعز ولا نخوة ولا يتغلب عليه بحول ولا قوة بل يؤتيه من يشاء من الفقراء والضعفاء لما لهم من وصف الانكسار ومعنى الاضطرار وبذلك يظهر باهر قدرته وغالب مشيئته حيث يرفع النازل ويظهر الخامل وعند ذلك تبطل دعاوى المدعين ويستبين عجزهم وفقرهم الى رب العالمين ثم نقول أيضاً ان السيدة حليمة لم يعرض عليها النبى صلى الله عليه وسلم ولا طلبته هى أولا وغيرها عرض عليه فاباه طلباً لعرض الدنيا والجاه فحصل له الحرمان والابعاد وهى رضى الله عنها رضيت بما لم يرض به أهل الغنى فازيح به عنها الشقاء والعنا وكانت فى القضية اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى الزهد فى الدنيا والاعراض عن أهلها وحب الفقراء والانحياش اليهم ومواساتهم

بالنصب خبر لكان المقدرة وقد تقدم ان هذا من التمثيل بأحسن ما يعرف فى الوجود وليس على حقيقة التشبيه الذى يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم فان نوره صلى الله عليه وسلم أبهى وأبهر من نور الشمس والقمر ويحتمل ان يكون المعنى لم يكن مثل السيف بل لم يكن مثل القمر بل كان احسن كما تقدم فى قول جابر فلهو عندى احسن من القمر لكن فى بعض النسخ برفع مثل وقد ورد فى مسلم عن جابر بن سمرة ان رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديراً * قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا أبو داود المصاحفى) نسبة الى المصاحف جمع مصحف بتثليث الميم أى كاتبه أو بائعه (سليمان بن سلم) بفتح فسكون (نا النضر بن شميل عن صالح بن أبى الاخضر عن ابن شهاب) هو أبو بكر محمد ابن مسلم الزهرى فقيه حافظ تابعى صغير متفق على جلالته واتقانه منسوب الى زهرة بن كلاب (عن أبى سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف اسمه عبد الله أو ابراهيم (عن أبى هريرة) اسمه على الاصح عبد الرحمن ابن صخر الدوسى وفيه ارب عون قولا (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ) أى صنع (من فضة) باعتبار ما كان فى بياضه من النور والاضاءة فلا ينافى انه كان مشربا بحمرة كما مر (رجل الشعر) قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث بن سعد) امام فى الفقه والحديث قال الشافعى انه كان أفقه من مالك الا انه ضيع فقهه أصحابه (عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله) أحد المكثرين رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض على الانبياء) بالمعنى الاعم الشامل للرسل والمذكورون فى الحديث كلهم رسل وكان هذا العرض ليلة الاسراء أو فى المنام قال فى جمع الوسائل تبعاً لابن حجر والمرئى على الاول صورهم الحقيقية التى كانوا عليها فى حياتهم لانه ثبت ان الانبياء أحياء وعلى الثانى فالمرئى أمثلة صورهم والله أعلم قال فى جمع الوسائل وفى قوله عرض على الانبياء ولم يقل عرضت على الانبياء ايماء الى فضيلته صلى الله عليه وسلم وان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالحشم له والعسكر يعرض على السلطان دون العكس ولهذا قال بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم بمنزلة القلب فى الجيش والانبياء مقدمته والاولياء ساقته والملائكة يمنة ويسرة تتظاهر متعاونين والشياطين قطاع الطريق فى الدين اه فالنبى صلى الله عليه وسلم هو قطب الدائرة وعليه المدار وهو سند الكل وعمدة الجميع ويرحم الله سيدى على بن وفا حيث قال

عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد

وكما ان نور العين المعبر عنه بانسان العين وبذباب العين هو سر العين وزينتها وفائدة وجودها وبه يتوصل الجسد الى منافعه ويهتدى الى مراشده ولولا هو لم يكن للعين ابصار ولكان الجسد صورة بلا روح وشبحاً بلا معنى لان الاعمى ميت وان لم يقبر كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو روح أولئك العيون وحياتها وسر وجودها ولولاه لم يكن له نور ولا دلالة بل لذهبت وتلاشت بل لم يكن لها وجود كما قال القطب مولانا عبد السلام بن مشيش ولا شئ الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط (فاذا موسى) عليه

السلام (ضرب من الرجال) أي متوسط بين الخفة والسمن (كانه من رجال شنوأة) بضم الشين المعجمة وضبطه العصام بفتحها وعبارة القاموس محتملة اسم قبيلة معروفة من اليمن ومنه ازد شنوأة وهم متوسطون بين الخفة والسمن قال في جمع الوسائل والظاهر أن المراد تشبيه صورته بهم لا تأكيد خفة اللحم لان الافادة خير من الاعادة وفي رواية البخاري مضطرب كانه الخ ومعناه طويل وفي رواية وأما موسى فآدم جسيم سبط كانه من رجال الزط اهـ والزط جنس من السودان طوال الاجساد مع نحافة ومعنى جسيم كما قال عياض طويل الجسم فلا ينافي ما تقدم من أنه ضرب من الرجال فلعل التشبيه في قوله كانه من رجال شنوأة في الطول فيكون غير قوله ضرب الخ وكانه شبهه بغير معين بخلاف من بعده لعدم تشخصه وتعينه في خاطره أو في نظرهم (ورأيت عيسى بن مريم) عليهما السلام (فاذا أقرب من رأيت) أي أبصرت (به) متعلق بقوله (شبها) منصوب على التمييز من نسبة أقرب الى المضاف اليه بين به أن المراد القرب بحسب الصورة (عروة بن مسعود) الثقفي خبر أقرب وعروة بن مسعود هذا هو أحد الرجلين اللذين قيل فيهما لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكان بالطائف والرجل الآخر هو الوليد بن المغيرة وكان بمكة شهد عروة صلح الحديبية كافرا ثم أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف واستأذنه في الرجوع فرجع فدعا قومه الى الاسلام فأبوا ورماه واحد منهم بسهم فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خبره مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه الى الله فقتلوه وكانه صلى الله عليه وسلم لم يضبط لهم حلية ابن مسعود اكتفاء بعلم المخاطبين لكن في صحيح البخاري ربعة أحمر كانما خرج من ديماس يعني الحمام وفيه أيضا فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر (ورأيت ابراهيم) عليه السلام (فاذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعني نفسه) من كلام جابر أو من دونه قال في جمع الوسائل ويبعد أن يكون من كلام المصنف لكونه بصيغة الغائب (ورأيت) عطف على رأيت (جبريل) عليه السلام عده من الانبياء لكثرة اختلاطه معهم في تبليغ الوحي اليهم تغليبا ولانه يطلق عليه رسول الله لقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ولا يضر اصطلاح الشرع أن الرسول انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه ويبعد عطفه على قوله عرض على الانبياء فيكون من عطف قصة على أخرى (فاذا أقرب من رأيت به شبها دحية) أكثر أهل الحديث واللغة انه بكسر الدال المهملة وقال ابن ماكولا في الاكمال بفتح الدال وهو ابن خليفة الكلبي من كبار الصحابة لم يشهد بدرا وشهد ما بعدها من المشاهد وبايع تحت الشجرة وهو ممن يضرب به المثل في الحسن والجمال نزل الشام وبقي الى ايام معاوية وفي الصحيحين كان جبريل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته أي غالبا والسر في ذلك ان العرب كانت في الجاهلية تبعثه الى الملوك والنبي صلى الله عليه وسلم أعظم الملوك فكان يأتيه جبريل في صورته جريا على عادتهم وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته العظيمة التي خلقه الله عليها مرتين فرآه وهو بغار حراء قد سد الافق له ستمائة جناح ورآه عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء قال في جمع الوسائل ولعل وجه تخصيص هؤلاء الرسل الثلاثة من بين الانبياء ان ابراهيم جد العرب والعجم وهو مقبول عند

﴿ تنبيهات ﴾ الاول توفى أبوه صلى الله عليه وسلم وهو ابن شهرين قاله ابن أبي خيثمة وقيل وهو ابن سبعة أشهر وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا وقيل بعد حمل أمه به بشهرين وهو الراجح المشهور وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم بالشام ومروا بالمدينة فتخلف عند أخواله بني عدي بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحرث فوجده قد توفى ودفن في دار التابعة وتوفيت أمه صلى الله عليه وسلم وعمره ست سنين ومائة يوم كما أسنده ابن سعد عن جمع وذكره ابن عبد البر واقتصر عليه ابن فارس ويذكر عن ابن عباس لما توفى أبوه صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك يتيما فقال الله عز وجل أنا حافظه وناصره وقيل لمولانا جعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق اه ومما قيل في قوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى وان كان خلاف الظاهر انه من قولهم درة يتيمة قال في الكشاف والمعنى ألم يجدك وحيدا في قريش عديم النظير اه واختار شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله أن يتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ارهاص(١) وتأسيس وذلك انه نشأ نشأة كاملة تامة من جهة التخلي عن كل نقيصة وبراءة الساحة من كل عيب وتقدس الجناب من كل ما يستقبح ومن جهة التحلي بفضائل الصفات وسني الحالات وأكمل الكمالات وليس ذلك من شأن الايتام الذين ليس لهم أب ولا أم فكان في ذلك آيات وعبر وعلامات تطابق مشهور الخبر تتنزل جميع على أوصافه في الكتب القديمة وتحقق انه لبنة التمام والدرة اليتيمة وقول سيدنا جعفر رضي الله عنه لئلا يكون عليه حق لمخلوق أي حق لازم في جل الاوقات لا يكافأ لعظمه فلا ينتقض بحق من كفله لانه يكافأ وقد كانت بركاته صلى الله عليه وسلم ظاهرة على كافليه فكانوا هم الذين يرغبون في كفالته وقربه لما شاهدوا من كراماته وخيراته والحاصل أن المراد ان تكون يده العليا على كل أحد وان يكون كل أحد يخضع له

(١) من الرهص بكسر الراء وهو أساس الحائط ويطلق على ما هو تأسيس لقاعدة النبوة اه من خط المؤلف بواسطة

ويتأدب معه فلم يناسب ذلك وجود الابوين ﴿ التنبيه الثانى ﴾ السيدة حليمة هى بنت أبى ذؤيب واسمه عبدالله بن الحرث يقال لها السعدية نسبة الى جدها سعد واسم زوجها الحرث بن عبد العزى وكانت حليمة وسيطة فى بنى سعد كريمة من كرام قومها اجتباها الله لرضاع نبيه كما اختاره من أشرف البطون والاصلاب قال ابن الجوزى وابن المنذر وعياض وغيرهم وقد قدمت على المصطفى بعد النبوة فاسلمت وأسلم زوجها قال فى الاستيعاب وروى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال جاءت حليمة بنت عبدالله أم النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه فجلست عليه روت عن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنها عبدالله ابن جعفر اه وصحح ابن حبان وغيره اسلامها واسلام ابنتها الشيماء (١) وذكر بعضهم انها أسلمت هى وزوجها وبنوها وذكرها الرعينى فى الصحابة عن الطبرانى وأبى عمر وأبى نعيم وابن منده وكذا ذكرها فيهم ابن الجوزى وروى يونس بن بكير عن ابن اسحق عن أبيه عن رجال من بنى سعد بن بكر ان الحرث بن عبد العزى زوج حليمة أباه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلم وحسن اسلامه فقالت له قريش ألا تسمع ما يقول ابنك هذا قال ما يقول قالوا يزعم ان الله عز وجل يبعث بعد الموت الحديث وفيه فصدقه الحرث اه قال المناوى وفى كونها حليمة السعدية من الفال الحسن والبشارة العظمى بحصول غاية الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفى عظيم وقعه وقد كان المصطفى يحب الفال الحسن اه قلت الظاهر ان اسمها قال له عليه الصلاة والسلام ونسبها قال لها لانها سعدت به ﴿ التنبيه الثالث ﴾ لما قال ابن اسحق فالتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء اعترضه النسابة عبد الملك بن هشام بأن الصواب المراضع كما قال الله عز وجل

جميع الطوائف وموسى وعيسى رسولا بنى اسرائيل من اليهود والنصارى ويستفاد من الحديث أنه ينبغى تبليغ صور العظماء الى من لم يرهم فان فى احضار صورهم بركة كما فى ملاقاتهم وفيه مزيد حث على ضبط خلقه صلى الله عليه وسلم اه قال ابن حجر وفيه جواز تشبيه الانبياء والملائكة بغيرهم ووجه مناسبته للترجمة دلالته على أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان أشبه الناس بأبيه ابراهيم * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع ومحمد ابن بشار والمعنى واحد قالا حدثنا يزيد بن هرون) أحد المشهورين بالحديث والفقه سمع كثيرا من التابعين قال يحيى بن أبى طالب سمعت يزيد بن هرون فى مجلسه ببغداد وكان يقال ان فى المجلس سبعين ألفا (عن سعيد الجريرى قال سمعت أبا الطفيل) اسمه عامر بن واثلة الليثى أدرك من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وتأخرت وفاته الى سنة مائة واثنتين ولم يبق على وجه الارض صحابى غيره كذا فى ابن حجر (يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وما بقى على وجه الارض) احترز به عن عيسى عليه السلام فانه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى السماء قيل وعن الخضر فانه كان حينئذ على وجه الماء (أحد رآه غيرى) لانه آخر الصحابة موتا وقال العصام توفى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة على وفق اخباره صلى الله عليه وسلم فى آخر حياته انه لا يبقى على رأس المائة ممن على وجه الارض أحد وقال سيدى العربى الفاسى رحمه الله

آخرهم موتا أبو الطفيل فى * مائة أو وعشرة وذا اصطفى

وفى قوله وما بقى الخ اشارة الى أنه أحق بان يسئل عن وصفه صلى الله عليه وسلم لانحصار الامر فيه ولذا قال سعيد راويه (قلت صفه لى قال كان أبيض مليحا) من الملاحة بمعنى حسن اللون وقيل الملاحة بمعنى الصباحة وهى قدر زائد على حسن اللون (مقصدا) أى وسطا فى جميع أحواله ومنه قوله تعالى واقصد فى مشيك أى توسط فيه فليس بطويل ولا قصير ولا جسيم ولا نحيف * قال المصنف (حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن نا ابراهيم بن المنذر الحزامى نا عبد العزيز بن ثابت الزهرى) قال بعض الشراح الصواب ابن أبى ثابت كما حققه المحققون من علماء أسماء الرجال احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه فترك (حدثنا اسمعيل بن ابراهيم ابن أخى) بالرفع صفة لاسمعيل فيكتب بالالف (موسى بن عقبة عن موسى بن عقبة عن كريب) مولى ابن عباس (عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين) الفلج بالتحريك فرجة بين الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين الثنايا فاريد بالفلج هنا الفرق بقرينة نسبته الى الثنايا فقط ذكره فى النهاية وتبعوه وفى القاموس رجل مفلج الثنايا منفرجها والفلج بالتحريك تباعد ما بين الاسنان وتقدم ان المدح خاص بالعليين فهما المراد هنا (اذا تكلم رؤى) لم يقل رأيت اشارة الى أن الرؤية لم تكن مختصة بأحد (كالنور) أى مثله أى شئ أبيض له صفاء يلمع وقيل الكاف زائدة للتعظيم (يخرج) أى خارجا فهو حال (من بين ثناياه) قال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر والحديث وان كان فى سنده هنا مقال الا أنه أخرجه الدارمى والطبرانى وغيرهما

﴿ باب ما جاء فى خاتم النبوة ﴾

(١) بهذا كله يرد ما وقع لابن السبكى فى أواخر الطبقات من انكار اسلامها والرد على ابن عبد البر اه من خط المؤلف بواسطة ويرد أيضا على الدمياطى وأبى حيان

وحرمنا عليه المراضع قال السهيلي في الروض والذي قاله ابن هشام ظاهر لان المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع ولكن لرواية ابن اسحق مخرج من وجهين أحدهما حذف المضاف كانه قال ذوات الرضعاء والثاني أن يكون أراد بالرضعاء الاطفال على حقيقة اللفظ لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعاً يرضع معه ولا بعد في أن يقال التمسوا له رضيعاً علماً بأن الرضيع لا بد له من مرضع اهـ فكلام الناظم يؤول بالوجه الاول ﴿التنبيه (٤٠) الرابع﴾ قال السهيلي في الروض التماس الاجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب حتى جرى المثل تجوع الحرة ولا تأكل بثديها وكان عند بعضهن لا بأس به فقد كانت حليمة وسيطة في بني سعد كريمة من كرائم قومها بدليل اختيار الله اياها لرضاع نبيه عليه السلام كما اختار له أشرف البطون والاصلاب والرضاع كالنسب لانه يغير الطباع * وفي المسند عن عائشة ترفعه لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن يورث * ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطراراً للازمة التي أصابتهم والسنة الشهباء التي أقحمتهم وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع فلوجهين أحدهما تفريغ النساء الى الازواج الثاني لينشأ الطفل في الاعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه وقد قال عليه السلام لابي بكر حين قال له ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد اهـ بخ (أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء أصبحت شولاً عجافاً وأمست * ما بها شائل ولا عجفاء) اقتصر أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء) اللبان بكسر اللام هو لبن الرضاع خاصة فاستعماله ثانياً في مطلقه للمشاكلة والشاء جمع شاة وانما سقتهم مع ذلك المحل لانها ببركة النبي صلى الله عليه وسلم أصبحت شولاً فهو تعليل لقوله فسقتها الخ أو حال من الشاء باعتبار صورته أو صفة له بمراعاة أل الجنسية على حد * ولقد أمر على اللئيم يسبني * وشولاً بالتشديد جمع شائل وهو في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها فاستعماله في الشاة مجاز علاقته المشابهة والعجاف الهزيلات وأمست أي صارت اذ ليس

أي ما جاء من الاخبار في صفة خاتم النبوة كلونه ومقداره وتعيين محله من جسده صلى الله عليه وسلم وفي كونه من العلامات التي كان أهل الكتاب يعرفونها وتقدم في حديث علي رضي الله عنه ضبط الخاتم ومعناه في الاصل وأوجه اضافته الى النبوة وقد اختلف في وقت وضع خاتم النبوة فقيل ولد به وهو قول نقله أبو الفتح وأنكره بعضهم وروى أبو نعيم انه جعل عقب ولادته وفي الحديث ما يقتضي ان وضع الخاتم كان عقب الشق بعد الرضاع قالوا وهو الاصح وفي حديث أبي ذر ما يقتضي انه وضع في الشق الثاني وهو ابن عشر سنين لكن قال بعضهم هذا وضع ثان للتأكيد والاعتناء وحكمة ختمه أنه لما ملئ قلبه الشريف بالاسرار الربانية والحكم الالهية التي لا شئ أنفس منها ولا ذخيرة تساويها ولا نقاربها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء دراً وياقوتاً لنفاسة ما فيه كما أشار اليه البوصيري رحمه الله في قوله

شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو * دع ما لم تذع له أنباء
صان أسراره الختام فلا الفض * ملم به ولا الافضاء

ثم أشار الى ثمرة الحكمة التي وضعت في قلبه بقوله

ألف النسك والعبادة والخلوة طفلاً وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلباً * نشطت للعبادة الاعضاء

قال المصنف (حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد قال نا حاتم بن اسمعيل عن الجعد بن عبد الرحمن قال سمعت السائب بن يزيد) يكنى أبا يزيد الكندي ولد في السنة الثانية من الهجرة حضر حجة الوداع مع أبيه ومات سنة ثمانين (يقول ذهبت بي خالتي) قال العسقلاني لم أقف على اسم خالته وأما أمه فاسمها علبة بضم العين المهملة وسكون اللام بعدها موحدة بنت شريح أخت مخرمة بن شريح (الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابن أختي وجع) بفتح الواو وكسر الجيم أي ذو وجع بفتح الواو وهو الالم وكان ذلك في لحم قدمه بدليل انه وقع في البخاري في أكثر الروايات وقع بالقاف المكسورة بدل الجيم والوقع بالتحريك هو وجع لحم القدم لكن قوله (فمسح رأسي) يقتضي أن مرضه كان برأسه وقد يقال انما مسح الرأس لانه رئيس الاعضاء فآثره لانه أشرف ويحتمل غير هذا (ودعا لي بالبركة) النماء والزيادة في العمر بدلالة المقام أو في غيره معه أو وحده وقد أخرج ابن سعد من طريق عطاء ولي السائب انه صلى الله عليه وسلم قال في حقه بارك الله فيك فاستجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم في حقه روى عن الجعد راويه أنه قال رأيت ابن يزيد وهو ابن أربع وتسعين حولاً معتدلاً وقال قد علمت أني ما تمتعت بسمعي وبصري الا ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على غاية تلطفه مع صحبه وكمال شفقته عليهم وعلى تقدس ذاته عن الكبر والخيلاء والترفع (وتوضأ) أي قصداً أو اتفاقاً (فشربت من وضوئه) الرواية بفتح الواو أي ماء وضوئه قال ابن حجر وهو ما أعد للوضوء أو ما فضل عنه أو ما استعمله فيه اهـ والاول بعيد بدليل فاء التعقيب ولهذا

المراد بالاصباح والامساء حقيقتهما وانما المراد انها كانت على حال فاعتراها نقيضه فى أقرب زمان وأسرعه والخصب بكسر أوله ضد الجدب أى كثر قوت الآدميين والدواب والضمير فى عندها عائد على حليمة أو الشاء ويرجحه قوله منها والمحل شدة الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض وانما حصل ذلك الاخصاب وقت أولاجل أن صار للنبي الاعظم صلى الله عليه وسلم من تلك الشاء غذاء بالمعجمة أى لبان يغذيه وفى حديث حليمة المتقدم فودع الناس بعضهم بعضاً وودعت أنا أم النبي صلى الله عليه (٤١) وسلم ثم ركبت أتانى وأخذت محمدا

اقتصر البيضاوى على الاحتمالين الاخيرين وفيه دليل على طهارة فضلة الوضوء والمستعمل فيه قال ابن مخلص وفيه أنهم كانوا يقصدون بركة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يصيبهم من الامراض ويستشفون ببركة لمس يده المباركة وبالشرب من بقية وضوئه فيجدون الشفاء فى ذلك (وقمت خلف ظهره) قصدا أو اتفاقا (فنظرت الى الخاتم) لانكشاف محله أو لكشفه صلى الله عليه وسلم له ليراه (بين كتفيه) الظاهر انه حال من الخاتم وهذه البينية تحتمل أن تكون حقيقية وهو الذى رجحه كثير من المحدثين وأعرضوا عن روايتى اليسرى واليمنى لتعارضهما وقال فى جمع الوسائل البينية المذكورة تقريبية والا فالاصح انه كان عند أعلى كتفه الايسر قاله السهيلى لما فى خبر مسلم من حديث عبد الله بن سرجس فنظرت خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى وفى رواية غضروف كتفه الايسر وفى رواية نغض كتفه الايسر ونغض الكتف بضم النون وتفتح وسكون المعجمة الاولى أعلاها وهو العظم الرقيق الذى على طرفها أو الذى يظهر منها عند التحرك يجىء ويذهب وهو الناغض وهو الغضروف وحكمة وضعه عند نغض كتفه الايسر انه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم قاله السهيلى وفى رواية أبى نعيم نه كان عند كتفه الايمن وهى ضعيفة وقد استفيد مما تقدم أن هذا الخاتم أثر ختم الملكين على قلبه صلى الله عليه وسلم وقول القاضى عياض ان هذا الخاتم أثر شق الملكين بين كتفيه رده النووى بان شقهما انما كان فى صدره وأثره انما كان خطا واضحا من صدره الى مراق بطنه اه ومن ثم صح عن أنس رضى الله عنه كما فى صحيح مسلم كنت أرى أثر المخيط فى صدره وتعقبه العسقلانى بأن سبب التغليط فهم أن الكتفين متعلق بشق وليس كذلك بل بأثر الختم لخبر أحمد وغيره انهما لما شقا صدره قال أحدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة أى فلما ثبت انه ختم بين كتفيه عند شق الصدر أضاف القاضى ذلك الاثر الذى كان بين كتفيه الى الشق الذى كان فى صدره والتام لانه وقت ظهوره فصار كانه أثره وليس مراده أن الشق نفسه وقع بين الكتفين بل الختم الذى جعل عند شق الصدر والله أعلم (فاذا هو مثل زر) بكسر الزاى والراء المشددة (الحجلة) الجمهور على أن المراد بالحجلة بفتح الحاء والجيم بيت كالقبة له أزرار وعرا وقيل المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها وهذا بعض ما ورد فى صفة الخاتم ويأتى للمصنف غدة حمراء مثل بيضة الحمامة ويأتى له أيضا شعرات مجتمعات ويأتى أيضا كان فى ظهره بضعة ناشزة ويأتى أيضا مثل الجمع حولها خيلان كانها الثآليل وفى بعض الاحاديث انه مثل البندقة من اللحم وفى بعضها كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة مما يلى الفقار وهو قول عائشة رضى الله عنها قالت فلمسته حين توفى فوجدته قد رفع قال العسقلانى ورواية كركبة عنز أو كشامة خضراء أو سوداء أو مكتوب فيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سر حيث شئت فانك المنصور لم يثبت منها شىء وتصحيح ابن حبان ذلك وهم اه قال بعض العلماء وليس هذا باختلاف بل كل شبه بما سنح له وقال القاضى عياض والقرطبى ما حاصله أن الاحاديث فى ذلك متقاربة متفقة على انه شىء بارز فى جسده عند كتفه الايسر قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة وما جاء مما يدل

صلى الله عليه وسلم بين يدى فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معى وصار الناس يتعجبون منى وتقول النساء لى وهن ورائى يا بنت أبى ذؤيب أهذه أتانك التى كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك مرة وترفعك أخرى فاقول تالله انها هى فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشانا عظيما قالت فكنت أسمع أتانى تنطق وتقول والله ان لى لشانا ثم شانا بعثنى الله بعد موتى ورد لى سمنى بعد هزالى ويحكن يا نساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين اه ومن المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حياة الموجودات وسرها

 وكيمياؤها فلذا حصل للاتان من حمله ومباشرته والاتصال به شبه الحياة بعد الموت والقوة بعد الضعف ودخول السرور بعد الغم والشبع بعد الجوع والفهم بعد الجهل والنطق بعد البكم فتقدمت على القوم ليتقدم الحقيق بالتقدم وسجدت شكرا لله تعالى على تلك النعمة العظيمة التى انعم عليها بها واعترفت بما أدركت من أفضليته صلى الله عليه وسلم ونظير هذا حزن ناقته بعد موته صلى الله عليه وسلم فلم تاكل ولم تشرب حتى ماتت والقاء حماره يعفور نفسه فى بئر فمات حزنا وصياح الجذع الذى كان يخطب عليه لما فارقه وسكونه لما التزمه ووضع يده المباركة عليه وميلان حراء فرحا به وهو كثير ثم قالت حليمة وجئت به رحلى فقام صاحبى تعنى زوجها الى شارفنا فاذا انها لحافل

فحلب ماشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي ياحليمة والله انى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم ترى ما بتنا فيه الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها وكانت غنمي تروح على حين قدمت به شباعا لبنا فنحلبها ونشرب ومايحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا لبنا قالت فقال أهل القرية ياحليمة ان هذا المولود الذي عندك على وجهه نور فلو أخذتيه معنا حتى نستسقى به الغيث قالت فاخرجته لهم فاخذوه وحملوه على

أيديهم وخرجوا الى ظاهر البلد فدعوا الله به واذا السحاب قد جاءت بالغيث حتى خفنا الغرق اه أي فبسببه صلى الله عليه وسلم حصلت الخيرات وتزايدت البركات للسيدة حليمة ثم لعظم قدره صلى الله عليه وسلم عم الخير جميع بني سعد ولذا قال في المواهب فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة وسمنت وارتفع قدرها وسمنت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة ولله در القائل

لقد بلغت بالهاشمي حليمة * مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها *
وقد عم هذا السعد كل بني سعد

(يالها منة لقد ضوعف الاجر عليها من جنسها والجزاء) يالها كلمة تعجب من هذه الفعلة الجليلة من حليمة وهي ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوى ترجوه والعرب اذا

ظاهره على المخالفة كرواية بيضة النعامة ورواية مثل الجمع اذا فسر بجمع الكف يؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة ماذكر لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة ونحوها قالوا وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم ينم أي يسطع مسكا * قال المصنف رضي الله عنه (حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني نا أيوب ابن جابر عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم غدة) بضم المعجمة وتشديد المهملة وهي قطعة اللحم المرتفعة والمراد انه شبيه بها (حمراء) أي مائلة للحمرة فلا ينافي ما في مسلم انه كان على لون جسده صلى الله عليه وسلم (مثل بيضة الحمامة) في المقدار * قال المصنف (حدثنا أبو مصعب المديني) وفي نسخة المدني وهو القياس نسبة لطيبة لانه منها وفي الصحاح النسبة لطيبة مدني ولمدينة المنصور يعني بغداد مديني ولمدائن كسرى مدائني وعلى هذا فالمديني لا يصح هنا وقال البخاري المديني من أقام بطيبة والمدني من أقام بها ثم فارقها فعلى ماذكره يصح ذلك قاله في جمع الوسائل تبعا لابن حجر (نا يوسف بن الماجشون عن أبيه) يريد به جده الاعلى الذي نسب اليه في قوله يوسف ابن الماجشون لانه يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (عن عاصم بن عمر بن قتادة عن جدته رميثة) صحابية لها حديثان ثانيهما في صلاة الضحى رواية عن عائشة (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أشاء أن أقبل الخاتم الذي بين كتفيه من قربه) أي الخاتم الذي بين كتفيه ومن تعليلية (لفعلت) جواب لو وجملة الشرط وجوابه معترضة وهذا يدل على كمال مباسطتها وخصوصيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاية تواضعه وحسن معاشرته ولطف خلقه مع أمته لاسيما العجائز والمساكين (يقول) بدل اشتمال من مفعول سمعت أو حال منه (لسعد بن معاذ) أي في شأنه أو لاجله أو عنه وليست اللام للمشافهة لتحقق موت سعد وهو سيد الانصار أسلم بالمدينة بين العقبة الاولى والثانية على يد مصعب بن عمير وأسلم باسلامه بنو عبد الاشهل ودارهم أول دار أسلمت من الانصار وكان مقدما مطاعا في قومه شهد بدرا وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحد ورمي بالخندق في أكحله فلم يرقأ الدم حتى مات بعد شهر وذلك في ذي القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة ودفن بالبقيع وحضر جنازته سبعون ألف ملك وقد أهدى للمصطفى حلة حرير فجعل صحبه يتعجبون من لينها فقال أتعجبون لمناديل سعد في الجنة خير منها وألين قال المناوي فاذا كان المنديل المعد للوسخ والامتهان ألين منها فما بالك بغيره (يوم مات) ظرف ليقول فيكون من كلامها هذا هو الظاهر ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله (اهتز له عرش الرحمن) فيكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أي تحرك العرش فرحا بلقاء الله تعالى سعدا فيكون من قبيل أحد جبل يحبنا ونحبه لا غضبا على من قتله اذلا يناسبه قوله الرحمن نعم لو قال القهار لناسب ذلك ويحتمل أن يكون المراد حركة أهل العرش من الملائكة استبشارا بقدوم روحه أو للنزول على وجه الارض ليصلوا عليه فيكون من باب حذف المضاف كقوله تعالى واسأل القرية ووقع في بعض طرق الحديث بلفظ اهتز العرش لموت سعد ففهم منه البراء رضي الله عنه أن المراد بالعرش السرير فقد روى البخاري في صحيحه هذا الحديث عن

استعظمت شيأ نادته على سبيل التعجب وهو من مجاز التشبيه شبه مايتعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل والتقدير يامتعجبا تأمل ما استقر لها ومنة تمييز أي نعمة منها عليه واللام في لقد للقسم وتضعيف الاجر كثرة الثواب أي توالى وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فالاستعلاء مجازى أو على للتعليل على حد قوله تعالى لتكبروا الله على ماهداكم وقوله من جنسها حال من الاجر وعطف الجزاء على الاجر من عطف المرادف والمعنى انها لما تكرمت على أكرم الخلق وجادت على أجود الموجودات جوزيت بما لا نسبة لعطائها له من صنف عطائها وهو لبن شائها ونوعه وهو تيسر قوتها وقوت زوجها وعيالها وذهاب أثر الجدب عنهم بل وعن قبيلتها (واذا سخر الاله أناسا *

لسعيد فانهم سعداء) أى من المقرر فى المعقول والمنقول ان الله تعالى اذا سخر أى ذلل ووفق الناس لخدمة سعيد ومحبته والقيام بشأنه ومؤنته
فانهم بسبب ذلك سعداء لان بركة ذلك السعيد ويمنه وبره تنسحب عليهم حتى يكون من سعداء الدنيا والآخرة لان المرء مع من أحب وان
لم يعمل بعمله كما صح فى الحديث ولان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف فى عالم الاجساد ومن أعظم اجرها وسعادتها
أن تبدل عسرها الباطن أى افلاسها من الايمان والهداية واتصافها بالجهالة والغواية وظلمة القبر بالكفر والشقاوة بحصول

الايمان والمعرفة بالله تعالى وتنوير القلب بأنوار اليقين والسعادة فخلفت الاضداد الاضداد وعوض عن أيام النحوس والاشكاس أيام السعود والاعياد راجع التنبيه الثانى المتقدم وفى البيت من فن البديع النوع المسمى بالكلام الجامع وهو أن يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيهاً أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول أبى الطيب
واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام
(حبة أنبتت سنابل والعصف لديه يستشرف الضعفاء) لما قرر ما حصل للسيدة حليمة من الخصب ومن الجزاء من جنس العمل بين المضاعفة المشار اليها أى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كحبة ووجه الشبه بينهما تضاعف الجزاء وتلك الحبة أنبتت سنابل كثيرة جمع سنبلة وهو مجتمع الحب فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن
يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف والواو
فى قوله والعصف واو الحال أى والحال ان ورق النبات اليابس يتطلع عنده الضعفاء أى حصلت تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنا بل
والحال أن الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما أن حليمة حصل
لها ذلك الخصب وكثرة اللبن والحال أن قومها يتطلعون الى ورقة حبة أو قطرة لبن فلا يجدونه كذا قرره ابن حجر وأن المشبه به مقيد بحال
الشدة وان قوله والعصف الخ من تمام المشبه به وليس بظاهر والذى ذكره المفسرون فى الآية المشار اليها هو الانفاق مطلقاً من غير تقييد بزمان

عن جابر وفيه فقال رجل لجابر فان البراء يقول اهتز السرير فقال جابر انه كان بين الحيين ضغائن سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ قال العسقلانى انما قال جابر ذلك
اظهارا للحق فكانه تعقب ذلك من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسى ثم قال وأنا وان كنت خزرجيا وكان
بين الاوس والخزرج ما كان لم يمنعنى ذلك من أن أقول الحق فذكر الحديث بلفظ اهتز عرش الرحمن لكن
العذر للبراء ما تقدم وقد تأوله ابن عمر أيضا بمثل ما تأوله البراء وقد صح عن ابن عمر أنه رجع عن ذلك وجزم
بأنه اهتز له عرش الرحمن وقد جاء حديث اهتز العرش لموت سعد عن عشرة من الصحابة قال الحاكم الاحاديث
المصرحة باهتزاز عرش الرحمن مخرجة فى الصحيحين وليس لمعارضها ذكر فى الصحيح اه بالمعنى * قال
المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبى وعلى بن حجر وغير واحد) ذكر منهم فيما تقدم على بن الحسين
وكان المصنف أشار بما ذكره هنا الى انه رواه عن غير الثلاثة أيضا (قالوا حدثنا عيسى بن يونس عن عمر
ابن عبد الله مولى غفرة قال) أى عمر المذكور (حدثنى ابراهيم بن محمد من ولد على بن أبى طالب قال) أى
ابراهيم (كان على) يقدم ان ابراهيم لم يدرك جده عليا ففيه انقطاع (اذا وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر) أى ابراهيم أو على وهو الاقرب (الحديث بطوله وقال) أى على (بين كتفيه خاتم النبوة
وهو خاتم النبيين) المقصود من ايراده فى هذا الباب مع أنه تقدم فى الباب الاول قوله بين كتفيه خاتم النبوة
فانه يدل على وجود الخاتم وتعيين محله من جسده صلى الله عليه وسلم قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا
أبو عاصم) الشهير بالنبيل مصغرا بالنون الموحدة من أكابر العلماء حديثه فى الصحاح الستة (نا عزرة
ابن ثابت نى علباء بن أحمر قال نى أبو زيد عمرو) بالواو (ابن أخطب الانصارى) صحابى جليل
من الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى جمع الوسائل قال فى
الاستيعاب ولا يصح ذلك وأبو زيد الذى هو أحد الاربعة المذكورين هو أبو زيد الانصارى اسمه
قيس بن السكن (قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا زيد ادن منى فامسح ظهرى) امره بذلك اما
لانه احس بشئ يؤذيه فى ظهره واما لانه تفرس واطلع على انه اراد النظر الى الخاتم فاجابه صلى الله عليه وسلم
الى ما أراده واستشرفت نفسه له بوجه لطيف وفيه دليل على كمال عنايته صلى الله عليه وسلم به وفى جامع
المصنف انه دعا له وفى رواية انه قال اللهم جمله قال عروة بن ثابت حفيده انه عاش مائة وعشرين سنة وليس فى
رأسه ولحيته الا شعرات بيض (فمسحت ظهره فوقعت أصابعى على الخاتم قلت) قائله علباء لابى زيد (وما
الخاتم قال شعرات) أى ذو شعرات أو ما فيه شعرات أو عليه شعرات (مجتمعات) وظاهره انه لم ير الخاتم
بعينه فاخبر عما وصل اليه يده وهو الشعر الذى كان عليه وانما قدرنا ما قدمنا ليحصل الجمع بين الاحاديث
وقد أخرج هذا الحديث ابن سعد بهذا الاسناد عن أبى رمثة قال قال لى الخ فيحتمل أن تكون رواية
الترمذى أصح ويحتمل تعدد الواقعة * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعى نا على
ابن حسين بن واقد حدثنى أبى نى عبد الله بن بريدة قال سمعت أبى) هو صحابى سكن المدينة ثم البصرة ثم

الجدب وهو أبلغ من تخصيصه به وعليه فتقدير كلام الناظم حالها كحال حبة أنبتت سبع سنابل ثم نبه على انه حصل لها هذا الامر خاصا بها دون قومها اذهم من شدة الجدب يطلبون العصف فلا يجدونه فظهرت عليها المزية واختصت باعظم الخصوصية وذلك فى الابتداء لتظهر الكرامه ثم بعد ذلك عم النفع وبلغ كل مرامه ولشيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله سنة باعتبارها هى خضرا * ءوفى حق غيرها شهباء انظر شرحه (وأتت جده وقد فصلته * (٤٤) وبها من فصاله البرحاء) أى وبعد ان انتهى رضاعه لبلوغه سنتين أتت به جده عبد المطلب والحال انها قد فصلته أى فطمته والحال انه قد لحق بها من أجل فصاله أى فطامه البرحاء أى التألم الكثير لما شاهدت من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها

(اذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بانهم قرناء) أى أتت به وقت أو لاجل انه أحاطت أى أحدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه الآتى وهذا ظاهر على الرواية الآتية بأنهم ثلاثة وكذا على رواية أنهما اثنان لانهما أقل الجمع عند جماعة فظنت حليمة بانهم الباء زائدة قرناء أى شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه وأسرعت به الى جده لتسلم من تبعته

(ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء) ورأى جده وأمه حين ردته اليهما وجدها أى شدة محبتها له وتعلقها به فرداه معها لذلك وليسلم من وباء مكة كما يأتى فى الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه ومن الوجد لهيب أى نار تصلى أى تحترق به الاحشاء جمع حشى وهو ما انضمت واليه عليه الضلوع والجملة حالية مبينة لعظمة ذلك الوجد الذى رآه بها ويحتمل انها استئنافية فى ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة أى شأن الوجد أنه ينشا عنه ذلك اللهب الذى يحرق الاحشاء وأن وجدها من هذا القبيل فمن ثم رثى لحالها وأطفأ نار ذلك الوجد برده اليها

(فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء) هذا بدل من أتت وكرها حال أى حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت فى اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها والحال انه كان عندها مقيما لا يمل منه الثواء أى الاقامة أى لا تمل اقامته

مرو وتوفى بها (بريدة) بالنصب بدل من أبى أو عطف بيان (يقول جاء سلمان الفارسى) هو من أصبهان ولا تعلق له بفارس الا أن العرب كانوا يسمون ما تحت ملوك العجم كله فارسا وأصبهان كان منها وكان من أبناء الامراء ولم يعلم اسم أبيه وسئل عن نسبه فقال أنا سلمان بن الاسلام ويقال له سلمان الحبر بالمهملة فالموحدة وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة فى الحديث ان الله ليرضى لرضا سلمان ويسخط لسخطه وان الجنة لتشتاق الى سلمان أشد من اشتياق سلمان الى الجنة وهو صحابى كبير قيل عاش مائتين وخمسين وقيل ثلثمائة وخمسين والاول أصح وقال أبو نعيم ادرك عيسى عليه السلام وعليه فعمره أكثر من ذلك وقرأ الكتابين وكان عطاؤه خمسة آلاف يفرقه ويأكل من كسب يده بعمل الخوص وله مزيد فى الزهد فانه مع طول عمره المستلزم لزيادة الحرص لم يزدد الا زهدا قيل هرب من أبيه فى طلب الدين القويم وكان ابوه مجوسيا فلحق براهب ثم بجماعة رهبان فى القدس الشريف وكان فى صحبتهم الى وفاة أخيرهم فدله الحبر على الحجاز وأخبره بظهور النبى صلى الله عليه وسلم فقصد الحجاز مع جمع من الاعراب فباعوه فى وادى القرى من يهودى ثم اشتراه منه يهودى آخر من قريظة فقدم به المدينة فأقام بها حتى قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الراهب قد وصف له العلامات الدالة على النبوة فجاء (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى السنة الاولى من الهجرة (حين قدم المدينة بمائدة) الباء للتعدية متعلقة بجاء أو للمصاحبة يدل على ذلك رواية فاحتملتها على عاتقى والمشهور عند أرباب اللغة ان المائدة خوان عليه طعام فاذا لم يكن عليه طعام فلا يسمى مائدة فعلى هذا قوله (عليها رطب) لتعيين ما عليها من الطعام وقال العسقلانى قد تطلق المائدة على كل ما يوضع عليه الطعام ولا تختص بوصف مخصوص أى ليس بلازم أن يكون خوانا (فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقى ظاهر هذا ان ما أحضره سلمان كان رطبا فقط وروى أحمد والطبرانى باسناد جيد من حديث سلمان نفسه انه قال فاحتطبت حطبا فبعته فصنعت به طعاما فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم وروى الطبرانى أيضا باسناد جيد فاشتريت لحم جزور بدرهم ثم طبخته فجعلته قصعة ثريد فاحتملتها على عاتقى ثم أتيته بها ووضعتها بين يديه فلعله كان فى المائدة طعام ورطب ولعله اكتفى فى هذا الحديث بالرطب لان معظم الطعام كان رطبا (فقال يا سلمان) يحتمل أن يكون هذا أول ملاقاته وعلم اسمه بالوحى أو باخبار جبريل أو بسؤاله اياه أو باخبار بعض من حضر مجلسه الشريف ممن عرف سلمان ويحتمل أن يكون لقيه قبل ذلك وعرفه (ما هذا) أى ما الحامل لك على الاتيان به ووضعه (فقال صدقة عليك وعلى أصحابك) مفهوم الصدقة مشعر بما لا يليق بالنبى صلى الله عليه وسلم لانها تنبئ عن ذليل الآخذ والترحم عليه (فقال ارفعها فانا) معاشر الانبياء أو أنا وأقاربى من بنى هاشم دون المطلب أو والمطلب أو الضمير للعظمة (لا نأكل الصدقه) ولا يصح ان يفسر ضمير المتكلم به وباصحابه اذ لم يقل أحد بتحريم الصدقة على أصحابه قال فى جمع الوسائل والصدقة فرضها وتطوعها عليه وعلى آله صلى الله عليه وسلم فمن جعله علة التحريم انها أوساخ الناس جعلها محرمة على آل محمد أبدا ومن جعل علة تحريمها دفع التهمة عنه أنه لم يعط حق الفقراء لم يجعلها بعده محرمة عليهم

بل تحب و يرغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس (قلت) والانسب تقديم هـذا البيت على الذى قبله لارتباطه بقوله اذ أحاطت به الخ ومعنى فارقته أجمعت وعزمت على فراقه وقدمت به على جده ولما رق قلبها فى حبه رق عليها بفر به والظاهر مما ذكروه هنا انه عليه الصلاة والسلام كانت تأتيه الملائكة تتعاهده وتزوره وتؤنسه ليعتادها فرآها والداه من الرضاعة نخافا عليه منها فرداه الى أمه ثم ردته اليهما فلما وقع الشق بالفعل اشتد خوفهما فرداه وتركاه عندها فانظره (شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء)

قالت حليمة رضى الله عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شئ على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركته عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة بقرب بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائماً منتقعاً لونه فاعتنقه أبوه فقال أى بنى ماشأنك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى وشقا بطنى ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا قال أبوه ياحليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى نرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمه قالت ما ردكما به وقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث قالت ماذاك بكما فاصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره قالت أحسبتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن عظيم فدعاه عنكما وفى حديث شداد ابن أوس عن رجل من بنى عامر عند أبى يعلى وأبى نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم فى بطن وادمع اتراب لى من الصبيان اذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من الذهب ملئ ثلجا فأخذونى من بين أصحابى وانطلق

والیه ذهب جماعة من متأخرى الشافعية وكذا جماعة من متأخرى أصحابنا الحنفية و بعض المالكية (قال فرفعها) أى من عنده صلى الله عليه وسلم الى أصحابه فقد روى أحمد والطبرانى أنه قال لاصحابه كلوا وأمسك وانما أكل صلى الله عليه وسلم من شاة صدقة أخذتها بريرة وقال هى صدقة عليها ولنا هدية ولم يأكل من صدقة سلمان على أصحابه لان مسئلة بريرة فيها تمليك ومسئلة الاصحاب انما فيها اباحة الاكل لهم فلا يصح لهم الاباحة لغيرهم قاله فى جمع الوسائل بمعناه قلت وانظر قوله انما فيها اباحة الاكل لهم دون التمليك مع انه قال صدقة عليك وعلى أصحابك فانه كالصريح فى التمليك اللهم الا ان يقال الصدقة على أصحابه انما كانت بالتبع للصدقة عليه وهو المقصود بها بخلاف صدقة بريرة فلو أكل مع أصحابه من صدقة سلمان عليهم لانعكس الحال وصار التابع متبوعا والمتبوع تابعا فى نفس الامر دون الظاهر المتبادر فكان مقتضى الاحتياط ترك الاكل بالكلية والله أعلم (فجاء) سلمان (الغد بمثله) أى بنحو ما جاء به أولا (فوضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا ياسلمان فقال هدية لك) مفهوم الهدية مشعر باكرام المهدى اليه والتحبب له والتقرب اليه ولم يقل هنا ولاصحابك اشارة الى ان القصد هو التقرب اليه من غير مشاركة لاحد معه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه) بطريق الانبساط (أبسطوا) أى أيديكم للاكل نظير لئن بسطت الى يدك أو من البسط بمعنى النشر أى انشروا الطعام فى المجلس بحيث تصل اليه يد كل واحد وانما أمرهم بهذا دفعا لما يتوهم من انه يختص بها عنهم واشارة الى حسن الادب مع الخدم والاصحاب اظهارا لما أعطاه الله من الخلق العظيم والكرم العميم وحديث من أهدى له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها ضعيف وعلى فرض ثبوته فالمراد بجلسائه الذين يداومون مجلسه و يعتكفون بابه و يتفقدون أموره لا كل من كان جالسا فى ذلك الوقت قاله الترمذى فى الاصول وأما ما اشتهر على الالسنة من ان الهدايا مشتركة فليس للفظه أصل وان كان هو فى معنى الضعيف المتقدم وقد أتى بعض المشايخ بهدية عظيمة من دنانير أو دراهم وكان عنده فقير مسافر فقال يامولانا الهدايا مشتركة فقال الشيخ الانفراد أحسن فظن الفقير أنه يريد الانفراد لنفسه فتغير حاله فقال الشيخ لك فشرع فى أخذه فعجز عن حمله وحده فاشار الشيخ الى بعض أصحابه باعانته ومن اللطائف ان الامام أبا يوسف أتى بهدية من النقود فقيل له الهدايا مشتركة فقال اللام للعهد أى الهدايا من الرطب والزبيب وأمثالهما قال فى جمع الوسائل فانظر الفرق البين بين علماء الظاهر والباطن وفى بعض النسخ انشطوا بنون ثم شين معجمة من النشاط وهو قريب من الانبساط أى كونوا ذوى نشاط للاكل معى وفى نسخة انشقوا بالنون والشين المعجمة والقاف المشددة من الانشقاق بمعنى الانفراج ولعله أمرهم به ليدنو سلمان و يقرب منه صلى الله عليه وسلم و يجلس فيما بينهم وفى الحديث قبول الهدية ممن يدعى انها ملكه اعتمادا على مجرد ظاهر الحال من غير بحث عن باطن الامر فى ذلك ولعل سلمان كان مأذونا فى ذلك من مالكه قاله فى جمع الوسائل وقد يقال للنبى صلى الله عليه وسلم أن يتصرف فى مال غيره بغير اذنه وفيه أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية وذلك من خصائصه اذ الحكام لا يجوز لهم قبولها لانها رشوة نعم قال فى المختصر

الصبيان هرابا مسرعين الى الحى فعمد أحدهم فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج احشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى وأنا أنظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيأ فاذا بالخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبى وامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى قال فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة من أمته فوزنونى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم فقال دعوه لو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عينك (قال فى المواهب) والمراد بالوزن فى قوله زنه بعشرة الخ الوزن الاعتبارى فيكون المراد به الرجحان فى الفضل وفائدة فعل ذلك ليعلم الرسول به فيخبر به غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية اه وقد ذكر ابن العربى الحاتمى فى الفتوحات حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وزنت أنا وأبو بكر فرجحته ووزن أبو بكر بالامة فرجحها اه قال فى المواهب والحكمة فى شق صدره الشريف فى حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره من حالة الصبا حتى يتصف فى سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ صلى الله عليه وسلم على أكمل الاحوال من العصمة اه قال المناوى وتلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فأزيلت من قلبه فلم يبق منه محل قابل لالقاء شئ منه وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم أخرجت لانها من الاجزاء الانسانية فعدمها نقص من البدن الانسانى ولان اخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها اه (ختمته يعنى الامين وقد أو * دع ما لم تذع له أنباء) سمى جبريل أمينا لانه امين الله على كتبه ووحيه

وفى هدية من اعتادها قبل الولاية قولان وجزم فى باب الفرض بالجواز فى هذه الصورة وقضية ابن الاتبية فى البخارى وغيره مشهورة فانظر ما فى كتاب الهبة ان شئت والله أعلم (ثم نظر الى الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا دليل الترجمة وأتى بثم الدال على التراخى لما فى كتب السير ان سلمان لبث بعد ذلك ينتظر رؤية الآية الثالثة التى أخبره عنها آخر مشايخه الى أن مات واحد من نقباء الانصار فشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازته وذهب معها الى بقيع الغرقد وجلس مع أصحابه فى ذلك المكان ينتظر دفنه فجاء سلمان واستدار خلفه لينظر الى خاتم النبوة فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبره عرف انه يريد أن يستثبت شيأ وصف له فألقى الرداء عن ظهره فنظر سلمان الى الخاتم (فآمن به) بلا تراخ ومهملة لما رأى من انطباق أوصافه المذكورة فى التوراة عليه صلى الله عليه وسلم فهذا مفرع على مجموع ما سبق من الآيات الثلاث (وكان لليهود) يحتمل انه كان مشتركا بين جماعة منهم ويدل عليه قوله الآتى على أن نغرس لهم ويحتمل انه على تقدير مضاف أى لبعض اليهود وقد صح عن سلمان انه قال تداولنى بضعة عشر من رب الى رب كما فى صحيح البخارى وكان ذلك من لطف الله سبحانه الخفى وهو اخفاء الامور فى صور أضدادها نحو ما أخفى ليوسف عليه السلام من انالة الملك فى الباس ثوب الرق حتى قال ان ربى لطيف لما يشاء فان ما وقع له رضى الله عنه كان سببا فى ملاقاته النبى صلى الله عليه وسلم ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان أحد النجباء الاربعة عشر وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت

لا تكره المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طى المصائب كامنه

(فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى خلصه من رقه ولذلك يعد من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسند أحمد عن سلمان أنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه كاتب يا سلمان فكاتبت على ثلثمائة نخلة وأربعين أوقية ذهبا زاد فى بعض الروايات وبقى الذهب فجاءه صلى الله عليه وسلم مثل البيضة من الذهب من بعض المعادن فقال صلى الله عليه وسلم لسلمان أدهذه عنك (بكذا وكذا درهما) قيل من ذهب (على ان نغرس لهم) أى لمن ملكه (نخيلا فيعمل سلمان) بالنصب عطف على نغرس فيفيد ان عمله من جملة الكتابة وبصريحه بالفاعل هنا يشعر أن فاعل يغرس هو النبى صلى الله عليه وسلم (فيه) أى النخيل وفى بعض النسخ فيها بالتأنيث والكل صحيح فى القاموس النخل معروف كالنخيل ويذكر واحده نخلة جمعها نخيل وفى القرآن نخل منقعر ونخل خاويه (حتى يطعم) بالياء والتاء أى حتى يثمر يقال أطعمت النخلة اذا أثمرت وهو بصيغة المبنى للفاعل واعلم ان فى كتب السير ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعانوا سلمان بأمره صلى الله عليه وسلم اياهم باعانته فجمعوا الفسلان على قدر مقدرتهم حتى اجتمع له ثلثمائة فسيل ثم حفر سلمان لها فى أرض عينها أصحابه ولما جاء وقت الغرس أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء (فغرس رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم) أى بيديه الكريمتين (النخل) أى جميعه (الا نخلة

واحدة

واحدة غرسها عمر) رضى الله عنه (فحملت النخل من عامها) أى من سنة غرسها وفى نسخة فى عامها وهى أظهر (ولم تحمل نخلة عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشأن هذه فقال عمر يارسول الله أنا غرستها) وكان عمر ماعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد بالغرس اظهار المعجزة بل مجرد المعاونة (فنزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرسها فحملت من عامها) فكان فى ذلك معجزتان غير ماسبق الغرس فى غير أوان الغرس والاثمار فى عامه وقد تضمن هذا الحديث قضية اسلام سلمان وماوقع فى ذلك من الآيات وقد أشار البوصيرى رحمه الله الى هذه الآيات وغيرها من الآيات التى ظهرت على يده الشريفة صلى الله عليه وسلم بقوله

درت الشاة حين مرت عليه * فلها ثروة بها ونماء
نبع الماء أثمر النخل فى عا * مها سبحت بها الحصباء
أحيت المرملين من موت جهد * أعوز القوم فيه زاد وماء
فتغذى بالصاع ألف جياع * وتروى بالصاع ألف ظماء
ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء
وازالت بلمسها كل داء * أكبرته أطبة وأساء
وعيون مرت بها وهى رمد * فاربها مالم تر الزرقاء
واعادت على قتادة عينا * فهى حتى مماته النجلاء

﴿ولشيخنا المحقق فى همزيته﴾

كفت السائلين قحطا وتحري * بافقها استسقاء واستصحاء
وغدا العود غصنا اذ أمسكته * يتثنى أوراقه خضراء
سبحت من جمالها وأبادت * من جلالها فى الوغى الحصباء

قال المصنف نفعنا الله تعالى به (حدثنا محمد بن بشار نا بشر بن الوضاح نا أبو عقيل) اسمه بشير بن عقبة (الدورقى عن أبى نضرة) اسمه المنذر بن مالك بن قطعة بضم القاف وفتح المهملتين (قال سألت أبا سعيد) هو سعد بن مالك بن سنان الانصارى ولابيه صحبة وشهد مابعد أحد (الخدرى) بالدال المهملة نسبة الى بنى خدرة (عن خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى خاتم النبوة) قائله أبو عقيل وضمير يعنى لابى نضرة (فقال كان فى ظهره بضعة) بفتح موحدة وسكون معجمة وفى النهاية وقد تكسر الباء قطعة من اللحم وهو بالنصب على انه خبر كان واسمها ضمير الخاتم وفى ظهره ظرف لغو وبالرفع على انه اسم كان وفى ظهره خبر مقدم أو على ان كان تامة وقوله (ناشزة) أى مرتفعة صفة لبضعة قال فى جمع الوسائل ذكر صاحب المشكاة عن أبى رمثة

والجملة من قوله وقد أودع حالية أى والحال ان ذلك القلب الشريف قد أودع حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية ما أى الذى أوشيأ لم تذع بضم التاء وكسر الذال المعجمة أى تنشره وتحط به أنباء أى اخبار لانه لا يعلمه الا مولاه المتفضل به عليه (صان أسراره الختام فلا الفضض ملم به ولا الافضاء) صان حفظ وأسراره مفعول به أى التى أودعت فيه والختام فاعل وهو مايختم به الكتاب فبسبب هذه الصيانة لا الفض أى الكسر بالتفرقة ملم به أى واقع لذلك الختم ولا الافضاء أى الاشاعة واقعة لذلك السر بمعنى ان ذلك السر ليس له انتقال عن ذلك المحل وتقدم شاهد الختم من الحديث وحكمة الختم انه لما ملئ قلبه الشريف بالاسرار الربانية والحكم الالهية التى لا شئ أنفس منها ولا ذخيرة تساويها ولا تقاربها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء درا وياقوتا لنفاسة مافيه والحديث السابق يقتضى ان وضع الخاتم كان عقب الشق بعد الرضاع قالوا وهو الاصح وموضعه عند نغض كتفه اليسرى على الصحيح ونغض الكتف بضم النون وبفتح وسكون الغين المعجمة أعلاها وهو العظم الرقيق الذى على طرفها أو الذى يظهر منها عند التحرك يجئ ويذهب وحكمة وضعه عند نغض كتفه الايسر أنه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم قاله السهيلى وما اصفته فقال القاضى عياض والقرطبى ماحاصله أن الاحاديث فى ذلك متعاربة وليس بينها اختلاف بل كل شبه بما سنح له واتفقوا على انه شئ بارز فى جسده الشريف عند كتفه الايسر قدر بيضة الحمامة أو زر الحجلة وما جاء مما يدل ظاهره على المخالفة كرواية بيضة النعامة ورواية مثل الجمع اذا فسر بجمع الكف أى بضم الاصابع الى الكف على هيئة اللاكز فيؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة ماذكر لكنه أصغر منه فى قدر بيضة الحمامة ونحوها وحولها شعر وخيلان بجمع خال وعن جابر رضى الله عنه قال أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمى فكان ينم على مسكا أى يسطع ريحه لامتلائه بسر الله وحكمته ﴿تنبيهات﴾ الاول روى شق صدره صلى الله عليه وسلم مرة ثانية وهو ابن عشر سنين رواها أبو نعيم

فى الدلائل و رواها عبد الله بن الامام أحمد فى زوائد مسند أبيه بلفظ قال أبو هريرة يارسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة قال انى لفى صحراء واسعة أمشى ابن عشر حجج اذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأخذانى فأضجعانى ثم شقا بطنى وكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى فيما أرى مفلوق لا أجد له وجعاً ثم قال اشقق قلبه فشق قلبى فقال

أخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال أدخل الرحمة والرأفة قلبه فأدخل شيأ كهيئة الفضة ثم ذر عليه ثم نقر ابهامى ثم قال اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير * وثبت شق صدره الشريف مرة ثالثة عند مجئ جبريل له بالوحى وهو بغار حراء رواها أبو نعيم ولفظه ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرأ باسم ربك الآيات والحكمة فيه كمال التهيؤ والتقوّى على ما يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوى فى أكمل أحوال التطهير * وثبت مرة رابعة ليلة الاسراء ففى البخارى وغيره أنه شق قلبه بها وهو بالمسجد قبل أن يخرج به الى ركوبه البراق فشق من ثغرة نحره الى قرب عانته فاستخرج قلبه ثم غسل بطست ذهب مملوء حكمة وايمانا ثم حشى وحكمة هذا الشق التهيؤ الى الملا الاعلى والتقوى على استجلاء ما يشاهد تلك الليلة وكونه بطست من ذهب لانه من أحوال الغيب فالتحق باحوال الآخرة اه ﴿الثانى﴾ هذا الشق أبلغ فى الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل مما هو مقدمة ابن ذبح فى مقتل واحد وهذا فعل فى مقاتل عديدة وهى شق الصدر واخراج القلب وشقه و وقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة لرواية فاقبل وهو منتقع اللون أى صار كلون النقع أى الغبار وهو شبيه بالوان الموتى ومعنى قول من قال فشقه وما شق عليه انه صبر صبر من لم يشق عليه ومما يدل على المشقة أنه بعيد ما فطم مع انفراده عن أمه ويتمه من أبيه واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تمهيلا لما يلقاه فى المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم أحد قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وفى رواية أنه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم أى

قال دخلت مع أبى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعنى أعالج الذى بظهرك فانى طبيب فقال أنت رفيق والله الطبيب قال الطيبى الذى فى ظهره خاتم النبوة فتوهم الرائى أنها سلعة تولدت من فضلات البدن فأجابه بانه ليس مما يعالج وان كلامه يفتقر الى العلاج حيث سمى نفسه طبيبا والله هو الطبيب العالم بحقيقة الداء والدواء وأنت ترفق بالمريض فى العلاج اه قال المصنف (حدثنا أحمد بن المقدام أبو الاشعث العجلى البصرى (نا حماد بن زيد) قال ابن معين ليس أحد أتقى منه وقال ابن يحيى ما رأيت أحدا أحفظ منه وقال ابن مهدى ما رأيت أعلم منه (عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس) سرجس كنرجس أو كجعفر (قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ناس من أصحابه فدرت هكذا من خلفه فعرف الذى أريد فألقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم) أى الطابع أو الاضافة بيانية (على كتفيه) أى قريبا من كتفه الايسر كما مر والقول بتعدد الخاتم بعيد جدا لم يقل به أحد وقال العصام أى مشرفا على كتفيه والمقصود ان ارتفاعه يزيد على ارتفاع كتفيه وقال ابن حجر أى بين كتفيه (مثل الجمع) بضم الجيم وسكون الميم يريد مثل جمع الاصابع أى ضمها الى الكف والتشبيه فى الهيئة لا فى المقدار (حولها) أى الخاتم وأنث باعتبار انه قطعة لحم (خيلان) جمع خال وهو الشامة فى الجسد (كأنها) أى الخيلان (الثآليل) كقناديل جمع ثؤلول وهى الحبة التى تظهر فى الجسد مثل الحمصة فما دونها (فرجعت) أى من خلفه (حتى استقبلته فقلت) شكر الالقائه الرداء حتى رأيت الخاتم (غفر الله لك يارسول الله) الظاهر انه انشاء لا خبر بدليل قوله (فقال ولك) أى وغفر الله لك أيضاً حيث استغفرت لى وهذا من مقابلة الاحسان بالاحسان ولا شك أن دعاء النبى له أفضل من دعائه حقيقة وان كان دونه صورة فلا ينافى قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها والقول بأن المعنى وغفر لك حيث سعيت لرؤية الخاتم بعيد قال عاصم الاحول الراوى عن عبد الله بن سرجس (فقال القوم) عند مسلم قال فقلت له أستغفر الخ فاسناد القول الى القوم جميعهم فى رواية المصنف على سبيل المجاز ويحتمل أن القوم أيضاً سألوه كما سأله عاصم فتارة نسب السؤال اليهم وتارة الى نفسه (استغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى رواية عند الطبرانى هل استغفر لك الخ فقوله هنا استغفر لك استفهام بحذف حرفه ويدل أيضا على انه استفهام لا خبر قوله (فقال) أى عبد الله بن سرجس (نعم ولكم) اذ لو كان خبرا لخلا قوله نعم عن الفائدة ومقصود عاصم بهذا الاستفهام تثبيت رؤية عبد الله بن سرجس النبى صلى الله عليه وسلم وصحبته له فقد نقل ابن عبد البر فى الاستيعاب عن عاصم انه كان ينكر صحبة عبد الله بن سرجس ولعل ذلك قبل أن يسمع هذه الواقعة منه ولهذا لما سمعها منه استفهمه متعجبا من هذه الواقعة فيحتمل انه رجع عن ذلك وروى عنه الحديث والله أعلم قاله فى جمع الوسائل بمعناه (ثم تلا) أى عبد الله بن سرجس استدلالا على ما ادعاه من ان النبى استغفر لهم كما استغفر له (هذه الآية واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فان النبى صلى الله عليه وسلم أمر فى هذه الآية بأن يستغفر لجميع من آمن به فدل ذلك على انه قد استغفر لهم البتة لان من شأنه المبادرة الى الامتثال قال

لأنه يقوي القلب و يسكن الرعب ﴿الثالث﴾ أخرج البيهقي والخطيب عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله دعاني الى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه بأصبعك فحيث أشرت اليه مال قال اني كنت أحدثه و يحدثني و يلهيني عن البكاء وأسمع وجبيه حين يسجد تحت العرش والمناغاة المحادثة وقد ناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم تكلم في أوائل ماولد وذكر ابن سبع في الخصائص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة له

ابن مخلص وفي هذه الآية اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم اهـ وفي هذه الآية اشارة الى ان في قوله ولكم تغليب الذكور على الاناث وتغليب الحاضرين على الغائبين وقال بعض الشراح قائل فقال القوم هو عبد الله والمراد بالقوم الصحابة وقالوا له ذلك استفهام تعجب وضمير فقال لعبد الله أو للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ضمير تلا قال في جمع الوسائل و يمكن الجمع بأن هذا القول صدر من الصحابة أولا ثم صدر من أصحاب عبد الله لما حدثهم به فارتفع ماذكره الشراح من المنازعات اهـ بالمعنى وهو بعيد فتأمله ثم المعتقد أن الانبياء معصومون من الذنوب مطلقا فيقال أي ذنب يتصور في حقه صلى الله عليه وسلم حتى أمر بالاستغفار منه في هذه الآية والجواب انه صلى الله عليه وسلم لا يزال في ترق دائم فكلما انتقل من مرتبة الى مافوقها رأى المقام في الاولى نقيصة بالنسبة لما فوقها وان كان في نفسه من أكمل الكمال فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين فامر بالاستغفار مما كان يراه نقيصة وقيل المغفرة على ضربين ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها بعد وقوعها وهذا مستحيل في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحيلولة بين العبد و بين الذنوب فلا يصدر منه شيء منها وهذا هو المراد هنا فيكون معنى استغفر لذنبك اطلب منه أن يحول بينك و بين الذنب أي طلب منه الثبات على العصمة التي وهبت لك وان كنت مأمون العاقبة رعاية لقاعدة الخشية فانها غاية عبودية المقربين

﴿باب ما جاء في شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

أي ما جاء من الاخبار في صفة شعره صلى الله عليه وسلم طولا وقصرا وكثرة وقلة وهل كان يضفره أولا وهل كان يرسله أو يفرقه * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا اسمعيل بن ابراهيم عن حميد) الطويل (عن أنس بن مالك قال كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم) منتهيا (الى نصف أذنيه) أضاف الواحد الى التثنية كراهية اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد أي نصف كل واحدة من أذنيه و يعني في بعض الاحيان أو اذا جمع وعقص أو حين لا يفرقه فلا ينافي ما ورد من أنه كان يصل الى منكبيه * قال المصنف (حدثنا هناد بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه) عروة بن الزبير بن العوام قال ابن شهاب كان عروة بحرا لا يكدر وقال ابن عيينة كان أعلم الناس بحديث عائشة وهو أحد الفقهاء السبعة المشار اليهم بقول من قال

فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أغتسل) في التعبير بالمضارع اشعار بتكرار ذلك واستمراره (أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم) بالرفع عطف على أنا بتغليب المتكلم على الغائب اذ لا يصح أن يكون قوله رسول الله فاعلا باغتسل كما غلب المخاطب على الغائب في قوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة ونكتة ذلك في الآية أن آدم عليه السلام أصل في سكنى الجنة وفي الحديث ان النساء محل الشهوات وهن الحاملات على الاغتسال فكن أصلا نقله في جمع الوسائل عن الطيبي وروي بالنصب على انه مفعول معه (من اناء واحد) زاد في رواية عن عائشة وما رأيت منه ولا رأى مني تعني الفرج قلت وهذا لا يمنع من

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها أول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث (ألف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء) لما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع له عقبه من شق صدره ذكر حكم نشأته في حال طفوليته وما بعدها مبينا أن ألفه ماذكر نتيجة ما أودعه الله في قلبه بعد شقه من لطائف الاسرار وكمالات الانوار فقال ألف النسك الخ وعطف العبادة على النسك من عطف التفسير أي اعتادهما واستمر عليهما وجعلهما ديدنه وهجيراه حتى صارا ألفه والخلوة الانفراد عن الناس وطفلا منصوب على الحال فيؤخذ منه ما بعده بالاحرى والجمهور على انه كان غير متعبد بشريعة من قبله وأما قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فالمراد بها التوحيد أو الرفق والحلم الذي لم يوجد كما لهما لمن قبله الا لابراهيم وقد قال تعالى فبهداهم اقتده وروى ابن اسحق وغيره انه عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى حراء شهرا في كل عام يتنسك فيه وكان من تنسك قريش في الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة والظاهر كما قاله غير واحد أن عبادته كانت الذكر والفكر مع اكثاره من الخلوة والانعزال عن الناس بحراء وغيره انظر ابن حجر وقد ذكر الصوفية رضي الله عنهم ان العزلة أحد الاركان التي هي أساس المريدين ولذا قال في الحكم ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان

فكر موقال المناوى حبب اليه الخلوة والانفراد والنفور من المخالطة حتى فى الاهل والمال والعيال بالكلية واستغرق فى بحر الاذكار العلية فما تقطع عن الاضداد فاستشعر حصول المراد وحصل له الانس بالخلوة فتذكر من أجل ذلك الجلوة ولم يزل ذلك الانس يتضاعف ومرآته تزداد من الصفاء والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال فظهرت تباشير صبح الوحى وأشرقت وانتشرت بروق السعادة وأبرقت فكان لا يمر بشجر وحجر الا قال بلسان فصيح ونطق فصيح السلام عليك يارسول الله فلا يرى شيأ اه قوله وهكذا النجباء أى

الاستدلال به على جواز نظر كل من الزوجين عورة الآخر والله أعلم اذلو حرم ذلك لوجب أن يتستر كل واحد من الزوجين من صاحبه خلافا لما فى جمع الوسائل وفى رواية للبخارى من اناء يقال له الفرق بفتحتين واختلف فى مقداره والمشهور عند الجمهور انه ثلاثة آصع وقيل صاعان ويؤيد الاول مارواه ابن حبان من طريق عطاء عن عائشة بلفظ قدره ستة أقساط والقسط بكسر القاف نصف صاع باتفاق أهل اللغة وفى الحديث ان فضلة ماء المرأة طهور كفضلة الرجل (وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة) اى كان فى بعض الاحيان شعره بين الجمة والوفرة وهى اللمة كما تقدم فى قول من قال

* الوفرة الشعر لشحمة الاذن * الخ وقد روى هذا الحديث أبو داود بهذا الاسناد الا انه قال فوق الوفرة ودون الجمة وقد جمع بينهما العراقى فى شرح جامع الترمذى بان المراد من قوله فوق ودون تارة بالنسبة الى المحل وتارة بالنسبة الى المقدار فقوله فوق الجمة أى أرفع منها فى المحل ودون الجمة أى أقل منها فى المقدار وكذا فى العكس قال العسقلانى وهو جمع جيد لولا أن مخرج الحديث متحد اه قال ابن حجر ويرد بانه اذا أول الفوق والدون بما ذكر لم يؤثر فيه اتحاد المخرج اه وقال بعض الشراح يمكن أن يقال لعل اغتسال عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وقع متعددا ويكون ذلك الاختلاف ناشئا عن اختلاف الاحوال قال فى جمع الوسائل لا يخفى ان هذا انما يتأتى على ان جملة وكان الخ حال وأما اذا كانت معطوفة على كنت فلا تعلق له بالاغتسال فيكونان حديثين مستقلين وهو أظهر والا فيلزم أن يكون فى كل غسل اختلاف حال وهو غير ملائم كما لا يخفى * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا أبو قطن) اسمه عمرو بن الهيثم بن قطن البصرى وهو قدرى لكنه صدوق ثقة أخرج حديثه الائمة الستة (نا شعبة عن أبى اسحق عن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا بعيدما بين المنكبين وكانت جمته تضرب شحمة أذنيه) أى معظمها يصل الى الشحمة وبقيتها الى المنكبين أو أطلق الجمة على الوفرة أو على مطلق الشعر وقد تقدم اختلافهم فى تفسير الجمة * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنى أبى عن قتادة) تابعى جليل بصرى ثقة ثبت ولد أكمه قد اتفقوا على انه أحفظ أصحاب الحسن البصرى روى عن ابن المدينى أنه قال سأل اعرابى على باب قتادة وانصرف ففقدوا قدحا فخرج قتادة بعد عشر سنين فوقف اعرابى فسألهم فسمع قتادة كلامه فقال صاحب القدح هذا فسألوه فأقر به وقد أخرج حديثه الائمة كلهم (قال قلت لانس) أى ابن مالك كما فى نسخة (كيف كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالجعد ولا بالسبط كان يبلغ شعره) أى المجموع منه أو فى بعض الاحيان (شحمة أذنيه) قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر المكى) اكثر الرواية عنه مسلم فى صحيحه وكل ماذكر فى الشمائل ابن أبى عمر فالمراد به محمد بن يحيى وكذا فى صحيح مسلم (نا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد) مات بمكة وهو ساجد لقى جماعة من الصحابة أمام فى العلم والفقه (عن أم هانئ) اسمها فاختة بكسر الخاء وقيل عاتكة وقيل هند (بنت أبى طالب) أخت على كرم الله وجهه أسلمت عام فتح مكة روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة

ومثلهم هذا الشأن العلى شأن الكرام فما بالك بأكملهم وسيدهم على الاطلاق وهذا تذييل وفى البيت تشابه الاطراف (واذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء) أى انما كان هذا شأن النجباء من الانبياء ثم صالحى أممهم لما هو المستقر المعلوم انه اذا حلت الهداية وهى الوصول الى الحق كما فى قوله تعالى انك لا تهدى من أحببت أى لا توصله وتطلق الهداية على الدلالة ومنه وأما ثمود فهديناهم أى دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا ما استحبوا ذلك وانما كان اذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وهذا من الكلام

الجامع * قال المناوى حفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى شبابه مما كان عليه أهل الجاهلية قال ابن اسحق فيما رواه البيهقى وأربعين وغيره شب المصطفى صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أدناس الجاهلية لما أراد من كرامته حتى صار أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق الدنيئة * وأخرج أبو نعيم عن عائشة ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب ماذبح لغير الله فما ذقت شيأ ذبح على النصب حتى أكرمنى الله برسالته وأخرج ابن عساكر عن جبير بن مطعم رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقف على بعيره بعرفة منفردا عن قومه حتى يدفع منه توفيقا من الله تعالى

قال العلماء كان صلى الله عليه وسلم يدعى قبل النبوة بالأمين قال ابن عباس كان يسمى بالأمين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وذكر ابن اسحق والبيهقي عن ابن عباس قال النضر بن الحارث لقريش قد كان فيكم محمد غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صدغه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر وكان صلى الله عليه وسلم يتحاكم اليه في الجاهلية قبل الاسلام لما استقر عندهم من عدله واصابة رأيه وصدقه وأمانته وظهور فصل المسائل على أتم وجه وأحسنه (٤٧) على يديه بحيث يستحسن ذلك

أهل العقول السليمة وتستصوبه أصحاب الآراء المستقيمة وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن داود بن الحصين قال قالوا شب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جوارا وأحسنهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا وأبعدهم من الفحش والاذى ما رؤى ممار يا ولا ملاحيا أحدا حتى سماه قومه الامين (وأخرج) أبو داود وأبو يعلى وابن مندة في المعرفة والخرائطي في مكارم الاخلاق عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ببيع فبقى له على شئ فوعدته ان آتيه في مكانه فذهبت فنسيت ذلك اليوم والغد فأتيته اليوم الثالث فوجدته في مكانه ذلك فقال لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك * وأخرج ابن سعد عن الربيع بن خيثم قال كان

وأربعين حديثا (قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قدمة) وكان له صلى الله عليه وسلم قدومات أربعة لمكة عمرة القضاء وفتح مكة وعمرة الجعرانة وحجة الوداع وبعض الروايات يدل على ان هذا المقدم يوم فتح مكة لانه حينئذ اغتسل وصلى الضحى في بيتها (وله أربع غدائر) جمع غديرة أي أربع ضفائر ويقال ذوائب ﴿تنبيه﴾ أورد المصنف هذا الحديث هنا من طريق مجاهد وقال في جامعه قال محمد يعني البخاري لا نعرف لمجاهد سماعا من أم هانئ وقال في فتح الباري في باب الجعد رجال هذا الحديث ثقات وأخرجه أبو داود أيضا وقال في موضع آخر أخرجه أبو داود والترمذي بسند حسن قال في جمع الوسائل أقول ولا منافاة اذ العلة التي ذكرها البخاري انما تمنع الصحة عنده اه * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك) ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد صوفي عابد وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان (عن معمر عن ثابت) البناني وهو أبو محمد البصري ثقة عابد مات وله أحوال ظاهرة (عن أنس ان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الى أنصاف أذنيه) أراد بالجمع ما فوق الواحد والمقصود من ايراد هذا الحديث من رواية ثابت عن أنس هنا مع ما تقدم من رواية حميد عنه أول الباب تقوية الحديث المذكور وانه روى باسنادين وانتفاء ما يتوهم من تدليس حميد * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهري نا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) فقيه ثبت أخرج حديثه الائمة وهو أحد الفقهاء السبعة وأبوه أيضا من أعيان العلماء الراسخين وجده عتبة أخو عبد الله بن مسعود (عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره) أي يرسله أي يترك شعر ناصيته على جبهته كالقصة بضم القاف وهو بفتح الياء وكسر الدال أو ضمها وقيل السدل أن يرسل الشخص شعره من ورائه ولا يجعله فرقتين والفرق أن يجعله فرقتين كل فرقة ذؤابة وهو المناسب للمقابلة بقوله (وكان المشركون يفرقون رؤسهم) بسكون الفاء وضم الراء وكسرها قال العسقلاني الفرق قسمة الشعر والمفرق وسط الرأس وأصله من الفرق بين الشيئين (وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم) أي شعرها (وكان صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ) اما لانهم أهل توحيد ونبوة فلهم مشاركة في القواعد الحنيفية واما لارادة تألفهم وتقريبهم الى الحق فانهم أقرب الى الايمان لانهم كانوا متمسكين ببقايا من شرائع الرسل فكانت موافقتهم أحب اليه من موافقة عبدة الاوثان قيل فعله ائتلافا لهم في أول الاسلام ليكونوا عونا له على مخالفة عبدة الاوثان فلما أغناه الله تعالى عن ذلك وظهر الاسلام خالفهم في أمور كصبغ الشيب ورد ان أهل الكتاب لا يصبغون مخالفة لهم وصوم يوم عاشوراء أمر بنوع مخالفة لهم فيه بصوم يوم قبله أو بعده واستقبال القبلة ومخالطة الحائض والنهي عن صوم يوم السبت فقد جاء من طرق متعددة وصرح أبو داود بأنه منسوخ وناسخه حديث أم سلمة انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم السبت والاحد يتحرى ذلك ويقول انهما يوما عيد الكفار وأنا أحب أن أخالفهم وفي لفظ ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صيامه يوم السبت والاحد أخرجه النسائي انظر جمع الوسائل (ثم فرق) بالتخفيف ويشدد (رسول الله صلى الله عليه

يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام فهو صلى الله عليه وسلم الامين المطلق الذي لا تقيد أمانته بقيد غريزة من خلقه العظيم عرفه بها من عرفه منذ عرفه وكذا العدل وهو وضع الشئ في محله ومعاملته بما هو أهله من غير افراط ولا تفريط وحصول هاتين الخصلتين يستتبع حصول غيرهما (بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء تطرد الجن عن مقاعد السمع كما تطرد الذئاب الرعاء فمحت آية الكهانة آيات من الوحي ما لهن امحاء) أي أرسل الله بقرب زمان بعثه صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة الشهب جمع شهاب وهي نار تحرق الشيطان المسترق للسمع أو تخبله وكانوا يسترقون السمع فيخطف أحدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة

كذبة ثم يلقيها الكاهن وقوله حراسا اما جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال أو مصدر أى لاجل الحراسة لشريعته التى سيأتى بها من الشياطين أن يخلطوا بها ماليس منها وهى للمبالغة والتأكيد لانه معلوم من قوله تطرد الجن ففيه التتميم كقوله تعالى و يطعمون الطعام على حبه ولكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين فى نواحى السماء ضاق عنها الفضاء أى المفازات الواسعة فلم يبق محل يجدونه حتى يسترقوا السمع منه وقوله وتطرد حال من الشهب أو صفة

له كاف * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * لكن ظاهر المقام ترجيح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة والجن أجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة وعن مقاعد أى أمكنة قريبة من السماء يقعدون فيها ليسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات اما لكون ربهم يلقى ذلك عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه أو ان بعضهم ينسخه من كتب البعض الآخر زيادة فى الاعتناء والظهور للملائكة ثم طرد تلك الشهب لاولئك الشياطين طردا بالغا جدا كالذى أو كطرد الذئاب جمع ذئب بالهمزة وتخفف الرعاء بضم أوله وكسره جمع راع أى كما تطرد الرعاة الذئاب اذا أرادت العدو على غنمهم وتشبيه الجن بالذئاب مصرح به فى الحديث فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آية الكهانة مفعول مقدم والكهانة بفتح الكاف مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أى

وسلم رأسه) بأن ألقى شعر رأسه الى جانبيه ولم يترك منه شيأ على جبهته وهل الفرق واجب أو مستحب أو جائز فقط قال القاضى عياض نسخ السدل فلا يجوز فعله ولا اتخاذ الناصية والجمة قال و يحتمل أن المراد جواز الفرق لا وجوبه و يحتمل أن الفرق كان اجتهادا فى مخالفة أهل الكتاب لا بوحى فيكون الفرق مستحبا اه وقال العسقلانى جزم الحازمى أن السدل نسخ بالفرق واستدل برواية معمر عن الزهرى عن عبد الله بلفظ ثم أمر بالفرق وكان الفرق آخر الامرين أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه وهو ظاهر والله أعلم وقال القرطبى انه مستحب وحكى ذلك عن عمر بن عبد العزيز وهو قول مالك والجمهور وقال النووى الصحيح جوازه انظر جمع الوسائل فتحصل ان من العلماء من جزم بوجوب الفرق ومنهم من جزم باستحبابه ومنهم من جزم بجوازه والله أعلم و يؤيد عدم وجوب الفرق ماروى أن من الصحابة من كان يسدل فلو كان الفرق واجبا ماسدلوا بعد ذلك قال فى جمع الوسائل والفرق زين العرب وهو أقرب الى النظافة وأبعد عن الاسراف فى غسله وعن مشابهة النساء ولذلك قالوا ان محل جواز السدل حيث لم يقصد به التشبه بالنساء والاحرم من غير نزاع اه وقوله وعن مشابهة النساء لعله فى ذلك الزمان والا فمن النساء من يفرق اليوم والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن ابراهيم بن نافع المكى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أم هانئ قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع) جمع ضفيرة كغدائر جمع غديرة وهما بمعنى والضفر نسج الشعر و غيره والضفيرة العقيصة قال فى الاحياء وكان صلى الله عليه وسلم يخرج كل اذن من بين غديرتين و ربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وقال أبو الربيع بن سبع يخرج الاذن اليمنى من بين غديرتين تكتنفانها واليسرى كذلك تتوقدان كأنهما الكواكب الدرية بين سواد شعره صلى الله عليه وسلم اه وهذا معنى قول شيخنا المحقق فى همزيته

اذنه والغدائر البدر والليل فهى مستنيرة سوداء

فشبه أذنه لما لها من النورانية والاضاءة بالكوكب وشبه سوالفه بالليل لذلك الكوكب وفى الحديث جواز الضفر للرجال ولا يختص بالنساء والفرق يكفى فى عدم التشبه بهن ومحصل الاخبار التى أوردها المصنف فى هذا الباب مع ما تضمنه حديث البراء المذكور فى الباب الاول من أن شعره صلى الله عليه وسلم كان يضرب منكبيه خمس روايات نصف أذنيه الى شحمة أذنيه فوق الجمة ودون الوفرة وعكسه و يوافق هذه رواية بين أذنيه وعاتقه كما فى البخارى من حديث أنس يضرب منكبيه له أربع غدائر وقد تقدم غير مرة وجه الجمع بينهما وظاهر هذه الاخبار أن المصطفى كان لا يحلق ولا يقصر لغير نسك وهو الذى اعتمده العراقى فقال

يحلق رأسه لاجل النسك * و ربما قصره فى نسك

قال بعض شراح المصابيح ولم يحلق النبى صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة الاعام الحديبية ثم عام عمرة القضاء ثم عام حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه فى تلك الازمنة وأقصرها ما كان بعد

مخبرا بالغيوب الخفية والآية العلامة وهى ما كانت تأتى به الكهان وتذكره من المغيبات التى تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الائمة ثم القائه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب وفاعل محت آيات من جملة آى الوحى مالهن امحاء أى ذهاب ولا تغير وأصل ماذكره الناظم قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن الى قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وفى حديث ابن عباس عند أحمد كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتى مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما أصاب

حجة

منه فشكوا ذلك لابليس فقال ما هذا الا لامر عظيم قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض رواه النسائي وصححه الترمذي وجاء عن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطئ أبدا

فنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري فعلم منه أن الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذي ينفصل تلك الشعلة وقيل ينفصل ثم يرجع الى مكانه ﴿تنبيهان﴾ الاول قال في الكشاف الصحيح ان الرجم كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية ولكن لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وفي قوله ملئت حرسا دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد أي نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها اه باختصار والحاصل ان أصل الرجم كان في الجاهلية وكثر عند ولادته صلى الله عليه وسلم تأسيسا وارهاصا وغلظ واشتد عند مبعثه ومنع الاستراق أصلا وبذلك يحصل التوفيق بين كلام الائمة ﴿الثاني﴾ في صحيح البخاري عن مولاتنا عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء (١) وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد حين فاجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ

حجة الوداع فانه توفي بعدها بثلاثة أشهر قال في جمع الوسائل ولم يرو تقصير الشعر منه صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة كما وقع في الصحيحين وقد اضطرب لفظ الشراح في تحقيقه لفظا ومعنى كما بين في موضعه اه وقد صرح ابن العربي وصاحب المدخل والطرطوشي بأن حلق الرأس لغير نسك بدعة وقال الجزولي اذا تمالأ قوم عليه وجب أن يجاهدوا لان ذلك علامة لبدعتهم لان المصطفى صلى الله عليه وسلم جعله من شعار الخوارج لخبر سيماهم التسبيد أي الحلق ولهذا قال العراقي أثر ما تقدم

وقد رووا لا تؤخذ النواصي * الا لاجل النسك الخاصي

ولكن ذلك لا يدل على المنع لانه لا يحرم علينا جميع ما يفعلونه وحكى ابن عبد البر الاجماع على الجواز وفهم الجمهور أن ترك النبي صلى الله عليه وسلم للحلق لم يكن لانه من السنة بل لان ذلك كان عادة قومه وعرفهم ومن كان عرفه بخلاف ذلك فليعمل على عرفه قال الشيخ علي الاجهوري في حاشيته على الرسالة تبعا للحطاب في حاشيته عليها انما يحبس الشعر اليوم غالبا من لا خلاق له أو من ليس من أهل العلم أو لغرض فاسد وقليل من يفعله اتباعا للسنة فيكون الحلق أولى لعدم التشبه بمن ذكر أي خلافا لمن قال بالمنع أو بالكراهة وليس بمثلة والا لما جاز في حج ولا عمرة

﴿باب ما جاء في ترجل رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

الترجل والترجيل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه وفي المشارق رجل شعره اذا مشطه بماء أو دهن ليلين ويرسل الثائر ويمتد المنقبض قال العسقلاني نقلا عن ابن بطال هو من باب النظافة وقد ندب اليه الشرع اه اي بقوله النظافة من الدين وأخرج أبو داود بسند حسن عن ابي هريرة رفعه من كان له شعر فليكرمه وفي الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ثائر الرأس واللحية فأشار اليه باصلاح رأسه ولحيته وهو مرسل صحيح السند وله شاهد من حديث جابر أخرجه أبو داود والنسائي بسند حسن ثم قال العسقلاني وأما حديث النهي عن الترجل الا غبا فالمراد به ترك المبالغة في الترفه قال في جمع الوسائل يعني المشعر بأنه من هوى النفس والمشير بأنه من تنظيف الباطن أولى والمومى الى الجمع بينه وبين ما ورد من حديث البذاذة من الايمان وهي رثاثة الهيئة وترك الترفه والتواضع مع القدرة لا بسبب جحد النعمة ووقع في أبي داود من حديث عبد الله بن بريدة قال قال رجل لفضالة بن عبيد مالي أراك شعثا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الارفاه بكسر الهمزة وسكون الراء بعده فاء وآخره هاء التنعم وقيد في الحديث بكثير اشارة الى أن الوسط المعتدل منه لا يذم وبذلك يجمع بين الاخبار اه وسيأتي الكلام على حديث نهى عن الترجل الا غبا * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري نا معن) ابن عيسى بن يحيى الاشجعي مولاهم ثقة ثبت كان يتوسد عتبة الامام مالك فلم يلفظ بشئ الا كتبه (نا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي شعره (وأنا حائض) يستفاد منه أن القرب المنهي عنه في قوله تعالى

(١) هذا لا ينافي ما تقدم من قول الناظم ألف النسك الخ لان ما هنا محمول على الترتيب الاخباري أو التحبب أخص من الائتلاف فهو غيره والله أعلم اه من خط المؤلف بواسطة

فقلت ما انا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ (١) فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم الحديث وكان هذا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة قيل وأربعين يوما وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة * والوحى كما قال المنذرى أصله القاء المعنى فى النفس فى خفاء ثم قيل للكلام الالهى الذى يلقى الى الانبياء وحى وهو أنواع * الاول الرؤيا الصادقة فى المنام * الثانى نفث الملك فى روعه من غير أن يراه للحديث الصحيح ان روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب * الثالث أن يأتيه الملك فى صورة رجل فيخاطبه وصح انه كان يأتيه فى صورة دحية الى غير ذلك من الانواع وغالبها فى صفة حامل الوحى وقول الناظم ماهن انمحاء يشير الى ان آيات الله تعالى باقية على ممر الدهور الى أن ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين أخبر الصادق عنهم بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيه أمر الله تعالى أى ريح لينة تقبض أرواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله فتقوم الساعة (ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء) شرع فى قصة تزويجه صلى الله عليه وسلم بخديجة وكان الاليق تقديمها ليوافق الواقع فقوله ورأته أى علمته وأبصرته لان وخديجة هى بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر والتقى هو التبرى من كل شئ سوى الله وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك وأوسطه اتقاء المحارم وقد قال عليه الصلاة والسلام ان أتقاكم وأعلمكم بالله انا والزهد هو أخذ أقل الكفاية مما يتيمن حله وترك الزائد على ذلك لله وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام بر ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى

ولا تقربوهن حتى يطهرن قرب خاص لا مطلق القرب وفى صحيح البخارى عن عائشة كان يأمرنى فأتزر فيباشرنى وأنا حائض وكان يخرج رأسه الى وهو معتكف فأغسله وأنا حائض وهذا توسط بين جانبى الافراط والتفريط فان اليهود لا يقربون الحائض بوجه والنصارى لا يتحاشون من جماع الحائض فجاء الشرع بمنع الجماع دون غيره وفى حديث البخارى دلالة على طهارة بدن الحائض وعرقها وأن المباشرة الممنوعة للمعتكف هى الجماع ومقدماته وأن الحائض لا تدخل المسجد وفيه جواز استخدام المرأة فى الترجيل ونحوه * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض) كذا فى بعض النسخ وهو تكرار مع الحديث قبله الا أن الاول عن هشام عن عروة وهذا عن ابن شهاب عن عروة قال بعض وكلاهما مستقيم لان مالكا أخذ العلم عن محمد بن شهاب الزهرى وعن هشام بن عروة وأخذ كل منهما عن عروة وقال فى جمع الوسائل مجرد صحة رواية مالك عن الزهرى لا يصح أن يكون هنا سند آخر والصواب أنه خطأ من الناسخ صحف هشاما بشهاب فجمع بينهما بعض النساخ فتوهم أنهما سندان ويدل على بطلان تعدد السند هنا عدم ذكر الشراح له مع اتفاقهم على أن أحاديث الباب خمسة وهذا فائدة التعداد * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا الربيع بن صبيح) بفتح الصاد (عن يزيد بن أبان) على وزن سحاب مصروف (هو الرقاشى) بفتح الراء وبقاف مخففة منسوب الى رقاش (عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن) بفتح الدال استعمال الدهن بضمها (رأسه وتسريح لحيته) بالنصب عطف على دهن وجره خطأ قال العسقلانى ذكر ابن الجوزى فى كتاب الوفاء عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل وضع له سواكه وطهوره ومشطه فاذا نبهه الله عز وجل من الليل استاك وتوضأ وامتشط وأخرج الخطيب البغدادى فى الكفاية عن عائشة قالت خمس لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يدعهن فى سفر ولا حضر المرآة والمكحلة والمشط والمدرى والسواك وفى رواية وقارورة دهن بدل المدرى وأخرج الطبرانى فى الاوسط من وجه آخر عن عائشة قالت كان لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم سواكه ومشطه وكان ينظر فى المرآة اذا سرح لحيته اهـ ملخص ما قاله العسقلانى قال فى جمع الوسائل وقال ميرك أورد ابن الجوزى فى الوفاء رواية الخطيب من طريق أبى ابراهيم الترجمانى قال نا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سبع لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتركهن فى سفر ولا حضر القارورة والمشط والمرآة والمكحلة والسواك والمقص والمدرى قلت لهشام المدرى ما باله قال لى أبى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له وفرة الى شحمة أذنيه فكان يحركها بالمدرى وهو بكسر الميم وسكون المهملة عود تدخله المرأة فى رأسها لئلا ينضم بعض شعرها الى بعض والمقص بكسر الميم آلة القص بمعنى القطع وهو المقراض (ويكثر القناع) أى لبسه واستعماله وهو خرقة تلقى على الرأس تحت العمامة بعد استعمال الدهن وقاية للعمامة من أثر الدهن واتساخها به (حتى) غاية ليكثر

(١) هذا استفهام طلب ودخلت الباء مشاكلة للاولين ولا يبعد اعتبار الاستبعاد فيكون شبيها بالنفى اهـ من خط المؤلف بواسطة

الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة هو وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل أى بالتحريك أى أردأ التمر ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضى الشهر ان لا يوقد فى بيته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء (١) والسجية الخلق الغريزى الطبيعى لان مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم غريزية غير مكتسبة والحياء فيه سجية أيضا على أكمل غاياته ففى البخارى من حديث أبى سعيد كان صلى الله عليه وسلم (٥١) أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها وهو ستر يجعل لها اذا شبت بجنب البيت تنفرد فيه حتى عن النساء وهى فيه أشد منها حياء خارجه اذ الخلوة مظنة وقوع الفعل فالمراد الحالة التى تعتريها عند الدخول عليها لا التى عليها حال الانفراد به أو اجتماعها بمثلها فيه قاله المناوى وهو أظهر مما فى ابن حجر والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من فعل ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح وارتكاب المليح ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم ولشيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله

ورأت خلقه فلم تر خلقا * مثله جل ماله أكفاء
بشر خارج عن الجنس كاليا * قوت فى جنسه له الاضواء
طابق الخلق خلقه ولمضمو * م المعانى مفتوحها سيماء

بمعنى ان خديجة رضى الله

(كأن ثوبه ثوب زيات) بفتح الزاى وتشديد الياء أى صانع الزيت أو بائعه واختلف الشيوخ ما المراد بهذا الثوب فقرره بعضهم على أن المراد به ما جاور رعنقه من القميص والرداء مثلا لانتشار الدهن اليه لكثرته والملابسة قناعه قال وهذا هو الذى يدل عليه سياق كثير من الاحاديث ولو أريد بالثوب القناع نفسه لكان المناسب أن يقال حتى كانه ثوب زيات وقرره آخرون على أن المراد بالثوب القناع نفسه لان المناسب لنظافته صلى الله عليه وسلم أن لا يكون ثوبه كثوب زيات ولو أريد المعنى الاول لم يكن لذكر القناع فائدة ولكان المناسب أن يقال كان يكثر دهن رأسه حتى كأن ثوبه ثوب زيات وقال بعضهم الربيع بن صبيح كان عابدا ولم يكن الحديث من صناعته فوقع فى حديثه المناكير من حيث لا يشعر كما قال ابن حبان ومن مناكيره قوله فى هذا الحديث كان ثوبه ثوب زيات فان النبى صلى الله عليه وسلم كان أنظف الناس ثوبا وأحسنهم هيئة وأجملهم سمتا وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه وقال صلى الله عليه وسلم أصلحوا ثيابكم حتى تكونوا كالشامة بين الناس لكن زيف شارح المصابيح كونه منكرا بايراد البغوى اياه فى المصابيح من غير تعرض لضعفه وكذا فى شرح السنة وبايراد الترمذى فى جامعه وفى جامع الاصول من غير تعرض لهذا على أن الربيع لم يتفرد به بل له متابع عند ابن سعد أخرجه من طريق عمر بن حفص العبدى عن يزيد بن أبان عن أنس بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التقنع بثوب حتى كأن ثوبه ثوب زيات أو دهان اهـ هذا ملخص ما فى جمع الوسائل قال فى سمط الجوهر الفاخر قال الفقهاء من قال ان ثوب النبى صلى الله عليه وسلم وسخ يريد بذلك عيبه قتل كفر الاحدا وقد نصوا على انه كان لا يتسخ له ثوب لانه كان لا يبدو منه الا طيب انتهى *قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا أبو الاحوص عن أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه) هو أبو الشعثاء اسمه سليم بن عامر وغلط من قال انه أدرك النبى صلى الله عليه وسلم (عن مسروق) سرق فى صغره فسمى بذلك وكان أعلم بالفتيا من شريح ثقة عابد مخضرم (عن عائشة قالت ان) مخففة من الثقيلة بدليل اللام بعدها أو هى مهملة أو اسمها ضمير الشأن محذوف (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحب التيمن) أى الابتداء باليمين لانها مشتقة من اليمن وهو البركة تفاؤلا باصحاب اليمين لانهم أهل الجنة يؤتون كتابهم بيمينهم أو لمزية مزيد قوتها المقتضية لمزيد اكرامها بمقتضى العدل لكن هذا انما يأتى فى اليد ولا يأتى فى غيرها مما يأتى انه يطلب فيه التيمن فاليمين وما نسب اليها وما اشتق منها محمود ممدوح دينا وشرعا ودنيا وآخرة والشمال على النقيض وقد شرف الله أهل الجنة بنسبتهم اليها كما ذم أهل النار بنسبتهم الى الشمال فقال ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وعكس فى أصحاب الشمال زاد البخارى فى رواية له ما استطاع فنبه على المحافظة على ذلك ما لم يمنع مانع وستأتى هذه الرواية فى النعل ويأتى شرحها باتم مما هنا فانظره هنالك (فى طهوره) بضم الطاء وفتحها أى تطهره وقد يستعمل المفتوح اسما لما يتطهر به فيحتاج الى تقدير مضاف أى استعماله (اذا تطهر) أى وقت اشتغاله بالطهارة وهو شامل للوضوء والغسل والتيمم وهذا بالنسبة لليدين والرجلين دون الخدين والاذنين (وفى ترجله) أى تسريح شعر رأسه ولحيته (اذا ترجل) أى وقت ايجاده هذا الفعل وفى معناه

عنها لما رأت خلقه الظاهر وصفاته الصورية وجماله الذاتى فلم تر خلقا مثله فى ذلك علمت ان اختصاصه بالمكارم دون سائر الناس لامر عظيم خص به فانه صلى الله عليه وسلم منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم وفى الحديث عن سيدنا على كرم الله وجهه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ويرحم الله ابن رشيد حيث يقول لتوراة موسى فاسألوا عن محمد * تقول لكم ما للحبيب مثيل

(١) راجع كلام ابن السبكى الذى نقلناه فى قوله مستقل دنياك الخ وحاصله ان هذا كان من النبى صلى الله عليه وسلم اختياريا اهـ من خط المؤلف بواسطة

لكل حبيب منزل ومكانة * ولكن ما مثل الحبيب رسول وهو صلى الله عليه وسلم بشرى الظاهر ملكونى الباطن (١) وقد قالوا انه صلى الله عليه وسلم كان لا يأتى شيأ من أحواله البشرية الا تأنيسا لامته وتشريعا ولذا قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه والله يا رسول الله ما أكلت ولا شربت ولا نكحت الا لنا وقد قال الناظم فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم ويرحم الله القائل محمد بشر لا كالبشر (٢) * بل هو (٥٢) كالياقوت بين الحجر فاستدلت خديجة رضى الله عنها بما رأت من كمال خلقه الظاهر

الادهان (وفى انتعاله) أى لبسه النعل (اذا انتعل) فيه احتراز من الاختلاع بانه يبدأ باليسار تشريفا لليمين ولا خصوصية للطهور والترجل والانتعال بهذا بل كل ما كان من قبيل التكريم حكمه كذلك ويدل على العموم رواية الشيخين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن فى تنعله وترجله وفى طهوره وفى شأنه كله ويدل على استثناء ما ليس من باب التكريم ما رواه أبو داود عن عائشة قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى قال النووى هذه قاعدة شرعية وهى ان ما كان من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب والسراويل والخف والانتعال ودخول المسجد والسواك وتقليم الاظفار وقص الشارب وترجيل الشعر ونتف الابط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والاكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الاسود وغير ذلك مما هو فى معناه يستحب التيامن فيه فاما ما كان بضده مثل دخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وأخذ النعلين وغسل الرجلين فى الطهارة وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه وذلك كله من كرامة اليمين وشرفها اه وقيل ان حلق الرأس من باب الخلع فيستحب فيه التياسر لا من باب التحسين وانظر حكاية أبى حنيفة مع الحجام فقد ذكرها القلشانى وغيره * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد) بن فروخ بفتح الفاء وضم الراء المشددة (عن هشام بن حسان) الظاهر انه فعال للمبالغة من الحسن فيصرف لان النون أصلية وان كان فعلان من الحس بتشديد السين فلا يصرف ونظيره انه قيل لبعضهم أتصرف عفان قال نعم ان هجوته لا ان مدحته لانه على الاول من العفونة وعلى الثانى من العفة (عن الحسن) أى البصرى كما فى نسخة وهو أنصارى مولاهم قال الفضيل بن عياض أدرك الحسن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثين وهو أفضل التابعين أو من أفضلهم كانت أمه خادم أم سلمة فكان اذا بكى فى صغره جعلت ثديها فى فيه فبورك فيه حتى صار عالما زاهدا أفقها فصيحا تضرب الامثال بنسكه مات بالبصرة سنة ستين أو خمس وسبعين (عن عبد الله بن مغفل) من أهل بيعة الرضوان (قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الترجل) أى تسريح الشعر (الا غبا) أى وقتا بعد وقت ومنه حديث زر غبا تزدد حبا رواه جماعة وقيل هو أن يفعل يوما ويترك يوما وأصله ورود الابل الماء يوما وتركه يوما ثم صار يستعمل فى فعل الشئ مرة وتركه أخرى قال ابن العربى موالاته تصنع وتركه تدنس واغبابه سنة وقال عياض المراد النهى عن المواظبة عليه والاهتمام به لانه مبالغة فى التزين اه وهذا فى حق الرجال وأما النساء فذلك الشأن فيهن * قال المصنف (حدثنا الحسن بن عرفة) بمهملتين مفتوحتين ثم فاء (نا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن أبى خالد) قال بعضهم الصواب اسقاط لفظ ابن لان أبا خالد كنية يزيد لا أبوه (عن أبى العلاء الاودى عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل) قيل هو الحكم بن عمرو وقيل عبد الله بن سرجس وقيل عبد الله بن مغفل وهو الاقرب للحديث الذى قبله (من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم) وأصحابه رضى الله عنهم كلهم عدول فيصح الاحتجاج

وهو بفتح فسكون على كمال خلقه الباطن لان الظاهر عنوان الباطن ولهذا المعنى قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير والمعروف عند حسان الوجوه خرجه البخارى فى التاريخ الكبير وابن أبى الدنيا والطبرانى عن عائشة والطبرانى أيضا والبيهقى عن ابن عباس وابن عدى عن عبد الله بن عمر وابن عساكر عن أنس ووجهه العلماء بان الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل وبين الخلق والخلق تقارب وتشابه فى الغالب قال الشاعر

لقد قال الرسول وقال حقا * وخير القول ما قال الرسول
اذا الحاجات عزت فاطلبوها * الى من وجهه حسن جميل

وهذا الغالب والنادر لا حكم له (وآتاها ان الغمامة والسرح أظلته منهما أفياء) أى أتاها الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهما ان الغمامة أى السحابة والسرح أى الشجر العظيم أظلته أفياء حال كونها منهما والافياء جمع فىء وهو ما بعد الزوال من فاء اذا رجع والظل الستر لا يتقيد بوقت فالظل أعم من الفىء وقد يطلق الفىء على ما يعم الظل مجازا قال أهل السير لما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتى عشرة سنة فى قول ابن سعد أو ثلاث عشرة فى قول ابن عبد البر خرج معه عمه أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال وهو آخذ

(١) وتأمل قوله تعالى قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك فلم يقل ولا أقول انى ملاك اه من المؤلف بواسطة (٢) قوله محمد الخ هكذا بالاصل وشطره الاول غير مستقيم الوزن فليحرر

الاحتجاج بالحديث ولا يضر الجهل بالصحابى خلافا لمن غفل فقال الحديث لا يحتج به للجهل فى اسناده (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يترجل غبا) وفى رواية النسائى عن حميد بن عبد الرحمن قال لقيت رجلا صحب النبي صلى الله عليه وسلم كما صحبه أبو هريرة أربع سنين قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمتشط أحدنا كل يوم * قال فى جمع الوسائل تنبيه ورد بسند ضعيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتنور وكان اذا كثر شعره أى شعر عانته حلقه لكن صح أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدأ بعانته فطلاها بالنورة وأعل بالارسال وهو لا يضر لان المرسل حجة عند الجمهور وأما خبر أنه صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق الحفاظ وان وقع فى كلام الدميرى قال ابن حجر ولم تعرف العرب الحمام ببلادهم ولا بعد موته صلى الله عليه وسلم

باب ما جاء فى شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى ما جاء من الاخبار الواردة فى تحقيق شيبه ومعناه كون الشعر أبيض والمتحصل من الروايات أن شيبه صلى الله عليه وسلم كان فى ثلاثة مواضع فى مفرق رأسه وفى الصدغين وفى العنفقة وهى ما بين الذقن والشفة السفلى وكان فيها أكثر من غيرها * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا أبو داود) الطيالسى لانه سمع همام بن يحيى دون المصاحفى واسمه سليمان بن داود (نا همام) بن أبى يحيى به يتميز عن همام بن منبه (عن قتادة قال قلت لانس بن مالك هل خضب) بفتح الضاد أى صبغ (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى شعره (قال لم يبلغ ذلك) الضمير المستكن فى لم يبلغ للنبي أو للشيب المذكور حكما بقرينة خضب والمشار اليه بذلك هو الخضاب المستفاد من خضب و يدل على ما ذكرنا من أن الاشارة بذلك للخضاب ما فى مسلم من رواية محمد بن سيرين قال سألت أنس بن مالك هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب فقال لم يبلغ الخضاب أى حده (انما كان) أى شيبه (شيأ) أى قليلا (فى صدغيه) تثنية صدغ وهو ما بين العين والاذن و يسمى الشعر النابت عليه أيضا صدغا وهو المراد هنا وفى رواية شيأ فى صدغيه أى بياضا يسيرا وفى رواية للبخارى انما كان شئ بالرفع أى شئ من الشيب واعلم ان فى هذا الحديث اشكالين أحدهما ان هذا الحصر ينافى ما سيأتى عن أنس انه ما عد فى رأسه ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضاء وما فى البخارى من أن البياض كان فى عنفقته والثانى ان كلام أنس يقتضى نفى خضابه صلى الله عليه وسلم وسيأتى خلافه عن ابن عمر فى الصحيحين وغيره والجواب ما أشار اليه العسقلانى ونصه وجه الجمع ما وقع عند مسلم عن أنس قال لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان البياض فى عنفقته بذ بضم ففتح أو فتح فسكون أى شعرات متفرقة وعرف من مجموع ذلك أن الذى شاب من عنفقته أكثر مما شاب من غيرها ومراد أنس انه لم يكن فى شعره ما يحتاج الى الخضاب وقد صرح بذلك فى رواية محمد بن سيرين قال سألت أنس بن مالك أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب قال لم يبلغ الخضاب ولمسلم من طريق حماد عن ثابت عن أنس لو شئت ان أعد شمطات كن فى رأسه لفعلت زاد ابن سعد والحاكم ما شانه بالشيب ولمسلم من حديث جابر

بيده هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له ما علمك به فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي وأنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل غضروف كتفه كالتفاحة وانا نجده فى كتبنا وسأل أبا طالب ان يرده تخوفا عليه من اليهود ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان المصطفى فى رعية الابل قال أرسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله ثم نزلوا فى ظل شجرة بقربه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصانها أى مالت وانعطفت عليه وروى أبو نعيم وابن عساكر ان أخته الشيماء بنت حليمة رأته فى الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت * وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وله اذ ذاك خمس وعشرون سنة فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطورا الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبى وفى رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس ثم ان المصطفى صلى الله عليه وسلم باع وربح ربحا لم يربحه أحد من أهل القافلة حتى قال له ميسرة تجرنا لخديجة سنين ما رأيت ربحا مثل هذا وكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة فقال له الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده ولما رجعوا الى مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى علية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه رواه ابو نعيم وهذا كله اعتناء بخديجة رضى الله عنها حيث أطلعها الله على هذه المعجزات وعرفها بهذه الخوارق للعادات حتى اهتدت لمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته والتصديق برسالته فكان ذلك نعم فامن الله اليها فكانت رضى الله عنها ونفعنا ببركاتها ممن تعرف الله اليهم بنوره ولا يستوى من تعرف الله اليه بنوره مع من تعرف الى الله بعقله اه قال ابن حجر وأشار غير واحد الى أن تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا للنبوة ومما يدل على انقطاع ذلك أن الصديق رضى الله عنه أظله صلى الله عليه وسلم حين قدما

المدينة في الهجرة لما أصابته الشمس فظلل عليه برداثه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمى الجمرة وظلل به مرة اخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا في أسفارهم اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم انتهى (وأحاديث ان وعد رسول الله * بالبعث حان منه الوفاء فدعته الى الزواج وما أحـ * سن ما يبلغ المنى الاذكياء) أي وأتاها أيضا أحاديث أي أخبار الاحبار والرهبان والكهان بأن وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مصدر مضاف لمفعوله أي وعد الله له وهو عند الاطلاق

لا يستعمل الا في الخير بالبعث أي بالارسال الى الخلق كافة حان أي قرب منه أي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله الوفاء أي قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك ما رواه ابن اسحق انه كان لنساء من قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن فيه فجاء يهودى فقال يامعشر نساء قريش يوشك أن يظهر فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبته النساء وقبحته وأغلظن عليه وعضت خديجة على قوله ووقر ذلك في نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رآه قالت ان كان ماقاله اليهودى حقا فهذا هو * ولما قدمت التجارة و رأت ربحها ضعف ما كانت تربح أضعفت له ماسمت له اه فبسبب مارأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة من عقل على أن

ابن سمرة قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين فان لم يدهن تبين انتهى كلامه قال بعضهم لم يظهر لى وجه الجمع بما ذكر وقال في جمع الوسائل والذى يظهر لى ان مراده والله أعلم ان هذا الحديث مقتطع من حديث طويل لانس فالجمع باعتبار المجموع قال ثم كلام العسقلاني متضمن للجواب عن اشكال آخر وهو انه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم خضب كما سيأتى في باب الخضاب فكيف يجمع بينه و بين قول أنس انه لم يخضب فأشار الى الجواب بأن مراد أنس أنه لم يكن في شعره ما يحتاج الى الخضاب بمعنى انه لم يكثر شيبه صلى الله عليه وسلم وهذا لا ينافي انه خضب وأما قول ابن حجر قول أنس لم يخضب انما قاله بحسب علمه فبعيد جدا لان أنسا خادم ملازم له صلى الله عليه وسلم فكيف يخفى عليه مثل هذا و يطلع عليه غيره نعم تمكن أن يقال من نفى الصبغ أراد نفيه بصفة الدوام والاغلبية ومن أثبته أراد اثباته بطريق الندرة فلا منافاة وقد ثبت عن ابن عمر في الصحيحين انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة وأما احتمال أن يكون مراده يصبغ الثوب لا الشعر فيرد بأنه ثبت عن ابن عمر انه كان يصفر لحيته انتهى ملخصا وقد تقدم لنا في شرح الحديث الاول ان حكمة عدم كثرة شيبه صلى الله عليه وسلم الرفق بأزواجه فان النساء يكرهن الشيب طبعا وجبلة لما فيه من ازالة بهجة الشباب و رونقه ومفارقة القوى والانذار بقرب الاجل فان الشيب عنوان الموت وقد شرح هذا المعنى من قال

قالت أرى مسكة الليل البهيم وفت * كافورة أخلقها راحة الزمن

فقلت طيب بطيب والتبدل في * روائح الطيب أمر غير ممتهن

قالت صدقت ولكن ليت ذاك كذا * المسك للعرس والكافور للكفن

﴿ وقال آخر ﴾

أعرضت حين أبصرت شعرات * في عذارى كأنهن الثغام

قلت هذا تبسم الدهر لكن * قد سعى في صدودك الابتسام

ولا يبعد الجمع الذى ذكره العسقلاني قوله (ولكن أبو بكر خضب) لان معناه انه كثر شيبه وخضب والله أعلم ووجه الاستدراك ان أبا بكر مناسب للنبي صلى الله عليه وسلم وقريب منه في السن (بالحناء) معروف (والكتم) في النهاية قال أبو عبيد الكتم بتشديد التاء والمشهور التخفيف واختلفوا في تفسيره ففي بعض كتب اللغة هو ورق يشبه ورق الآس يصبغ به وفي المهذب هو الوسمة وفي الصحاح الكتم نبت يخلط مع الوسمة وفي النهاية يشبه أن يكون معنى الحديث انه صبغ بكل منهما منفردا عن الآخر فان الخضاب بهما يجعل الشعر أسود وقد صح النهى عن السواد ولعل الحديث بالحناء أو الكتم بأو على التخيير ولكن الروايات على اختلافها بالواو اه وقال العسقلاني الكتم الصرف يوجب سوادا مائلا الى الحمرة والحناء يوجب الحمرة فاستعمالهما يوجب ما بين السواد والحمرة انتهى وعليه فالواو على بابها لا بمعنى أو ﴿ تنبيه ﴾ قول الحنفى ان الانسب بهذا الحديث باب الخضاب قال في جمع الوسائل فيه انه لما كان الشيب مثبتا في هذا الحديث

يغسل قدميه و يشرب غسلهما فدعته أي خطبته الى الزواج أي الى أن يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت ناسب يا ابن عم انى قد رغبت في نكاحك لما رأيته وعرفته منك وكان سنها يومئذ أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين سنة على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله رجلين وما أحسن بلوغ الاذكياء الامانى والاذكياء جمع ذكى كغنى وأغنياء والذكاء شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء وتسمى هذه القوة الذهن وجودة تهيئها لتصور ما يرد عليها من الغير الفطنة قاله في المطول والمنى بمعنى الامانى جمع أمنية وهى ما يتمناه الانسان أي شئ عظيم حسن ما يبلغ الاذكياء كل ما يتمنونه ومنهم بل من أكملهم خديجة رضى الله عنها فلذا كانت

أفضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن على الاصح كما سيأتي * ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها عليه السلام وأصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد أي من أصله وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته أي الكافلين له وسواس حرمه أي المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد

ناسب ذكره في هذا الباب وموضوع ذلك الباب انما هو ثبوت الخضاب اه بالمعنى * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور ويحيى بن موسى قالا نا عبد الرزاق) هو ابن همام بن نافع الحميري مولاهم ثقة حافظ كبير مصنف شهير روى الستة حديثه قال العصام وكان يتشيع والله أعلم (عن معمر عن ثابت عن أنس قال ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضاء) هذا لا ينافي قوله في صدر الكتاب وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء الذي هو بحسب العرف في معنى نحو العشرين لان الاربع عشرة نحو العشرين لانها أكثر من نصفها نعم قدمنا هنالك انه روي عن أنس ما شانه الله بالشيب ما كان في رأسه ولحيته الا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة بيضاء الا أن يكون هذا بحسب الظن والتخمين وما ذكره هنا اخبار عما تحصل عنده بالعد والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو داود نا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت جابر بن سمرة سئل) في نسخة وسئل (عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان اذا دهن رأسه) بفتح الهاء أي طلاه بالدهن وأما ادهن بتشديد الدال فهو وان كان بمعنى استعمل الدهن لكنه لازم فلا ينصب المفعول فلا يصح هنا دراية وان زعم بعض انه ثابت رواية والظاهر انه انما روي في حديث ليس فيه ذكر الرأس وسيأتي (لم ير منه شيب) لالتباس بياضه بلمعان الشعر من الدهن (فاذا لم يدهن) بضم الهاء (رئي منه) يفهم من الحديث قلة شيب رأسه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن عمر بن الوليد الكندي) بكسر الكاف منسوب الى كندة قبيلة من العرب (الكوفي نا يحيى بن آدم عن شريك عن عبيد الله بن عمر) بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ثقة ثبت قدمه أحمد بن صالح على مالك عن نافع وقدمه ابن معين على القاسم عن عائشة وعلى الزهري عن عروة عنها (عن نافع) مولى ابن عمر (عن ابن عمر) بن الخطاب ولد بعد البعثة بيسير قيل شهد أحدا وما بعده وقيل شهد الخندق وما بعده روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف وستمائة وثلاثون حديثا (قال انما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضاء) سبق الكلام عليه * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي اسحق) السبيعي (عن عكرمة) مولى ابن عباس من كبار التابعين (عن ابن عباس قال قال أبو بكر) لرقة قلبه وشدة شفقته على قرة عينه صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله قد شبت) أي ظهر فيك شيب وهذا لا ينافي ما سبق من قلة شيبه صلى الله عليه وسلم فلا يحتاج الى قوله في جمع الوسائل ان معنى قوله شبت ظهر فيك أثر الشيب من الثقل وضعف البدن ونحوهما فلا ينافي ما سبق من قلة الشيب اه وقد تكون حكمة سؤال أبي بكر رضي الله عنه عن ذلك ان مزاجه صلى الله عليه وسلم اعتدلت فيه الامزجة والطبائع الاربعة واعتدالها مستلزم لعدم الشيب قبل أوانه فكأنه يقول مقتضى اعتدال مزاجك أن لا يظهر فيك شيب الآن فأجابه صلى الله عليه وسلم بانه انما ظهر قبل أوانه اللائق باعتدال مزاجه لعارض اهتمامه بامر أمته وملاحظة عاقبة أمرهم وما لهم وشدة خوفه وشفقته عليهم أن يصيبهم شيء مما نزل بغيرهم من الامم حسبما قصه الله علينا في كتابه في سورة هود وغيرها من السور التي

ابن عبد الله لا يوزن برجل الارجح به فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل فزوجها أبوها منه وقد ذكر الدولابي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أصدق خديجة اثنتي عشرة أوقية ذهبا ونصف أوقية قالوا وكل أوقية أربعون درهما وما تقدم من أن والدها هو الذي زوجها اياه هو الذي في سيرة الزهري والذي عليه الاكثر وصححه السهيلي ان الذي زوجها هو عمها عمر بن أسد (وأتاه في بيتها جبريئيل ولدى اللب في الامور ارتياء) فاماطت عنها الخمار لتدري أهو الوحي أم هو الاغماء (فاختفى عند كشفها الرأس جبريـ

ـل فما عاد أو أعيد الغطاء) أي ومما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه لما أتاه جبريل ليلقي اليه الوحي وكان عندها من الايمان علم اليقين فاحبت أن تنتقل الى عين اليقين وكيف لا تريد هذه الرتبة العلية ولصاحب اللب أي العاقل الكامل في الامور أي الاحوال التي قد تشتبه ارتياء أي استبصار وفراسة يميز بها حسنها من قبيحها وهذا الشطر جملته اعتراضية مناسبة لما قبلها وما بعدها وفيه حكمة ومثل فبسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل أماطت أي أزالت عن رأسها ما تخمره به أي تغطيه به لتدري أي لكي تعلم عين اليقين أهو أي هذا الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حتى أخرجه عن حالته المألوفة منه الوحي أي حاصله وأمينه الذي كان يأتي به الانبياء قبله وأم هي معادلة الهمزة

المطلوب بهما التعيين والاغماءهومن الامراض العادية ومن ثم جازعلى الانبياء دون الجنون فبسبب ازالتها الخمار عن رأسها اختفى جبريل عند كشف خديجة رأسها فلما عادالى ان أعادت غطاء رأسها فاعيد ماض مبنى للمفعول والغطاء نائبه وقد أدخل الناظم أوالتى بمعنى الى على الماضى والمعروف عند النحاة انها لا تدخل الا على المضارع فلو قال أو يعاد الغطاء لسلم انظر ابن حجر (فاستبانت خديجة انه السكنـ * ـز الذى حاولته والكيمياء) أى لما اختفى جبريل عند القاء الخمار علمت خديجة وظهر لها اتم ظهور ان مايعرض للنبى صلى الله عليه وسلم الذى طلبت الوقوف فيه على عين اليقين الكنز أى الشئ النفيس الذى لا أنفس منه الذى حاولته أى أرادت حيازته والظفر به وانه الكيمياء وهو العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحى لان بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما ان الوحى كذلك وأيضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر كما ان الوحى لا يظفر به الا أكمل البشر وهم فى غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس ويحتمل ان يكون اسم ان عائدا على النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الاختبار الذى وقع من خديجة رواه اصحاب السير عنها انها علمت من عمها ورقة ان جبريل لا يحضر محلا فيه امرأة مكشوفة الرأس فلذا فعلت ماذكره الناظم * ثم اعلم ان السيدة خديجة رضى الله عنها ملكت امر نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم كما انفقت عليه مالها واتبعته فيما قال لها الله وامتثلت اوامره فيما امرها وتلك آية صدق المحبة وعلامة صحتها اذ علامة بيع الروح وتسليمها ايثار رضا المحبوب على هوى النفس حتى لا يبقى للمحب غرض فى غير رضا محبوبه فالروح اول ثمن المحبة فمن عزت عليه روحه فهو مفلس فى سوق المحبة فلا يطمع فى تحصيلها اذلا ثمن عنده والسلعة نفيسة عزيزة لها تجار يرصدونها فلا يصل اليها المطالون ولا يظفر بها المفلسون والشئ العزيز النفيس يكثر المدعون لتحصيله والا تتساب اليه لعزته وتنافسه فلذلك طولب المدعون للمحبة باقامة البينة على صحة دعواهم فان دعواهم تقتضى انهم بذلوا ارواحهم وذلك أمر

ذكر فيها ذلك ولهذا (قال) صلى الله عليه وسلم (شيبتنى هود) بالتنوين ان كان اسما للنبى ويكون على حذف مضاف أى سورة هود وبدونه ان كان علما على السورة (والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت) وأما قول ابن حجر ان اعتدال المزاج مستلزم لعدم الشيب ولو فى أوانه فغير صحيح لان الاعتدال انما يقتضى الاعتدال بان لا يتقدم على أوانه ولا يتأخر عن أوانه ولا يقتضى عدم الشيب ولو فى أوانه اللائق بالاعتدال قاله فى جمع الوسائل ثم المراد هذه السور وأمثالها مما يدل على أحوال القيامة وأهوالها او على أنواع العقوبات والمثلات التى نزلت بالامم السالفة وليس المراد خصوص هذه السور بدليل الرواية الآتية وهى قوله شيبتنى هود وأخواتها وقد أخرج ابن سعد عن أنس قال قال أبو بكر بابى وأمى ما أخواتها قال الواقعة والقارعة وسأل سائل واذا الشمس كورت وقد علمت ان القارعة وسأل سائل غير مذكورتين فى السور المذكورة هنا وأما قول ابن حجر كأن وجه تخصيص هذه السور بالذكر انه صلى الله عليه وسلم حالة اخباره بذلك لم يكن أنزل عليه مما يشتمل على ما مر غيرها فغير صحيح اذ لا شك ان السؤال كان بالمدينة والسور المكية هى التى تشتمل على وقائع الامم السالفة كالشعراء وطه والانبياء والقصص وغيرها والمدنيات منحصرة فى الخمس الاول وفى الرعد والفتح والتى قبلها وبعدها والرحمن والحديد وقد سمع والحشر والنصر وليس فى شئ منها ما يناسب المذكور فى غيرها قاله فى جمع الوسائل والاحاديث فى شدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بامته واعتنائه بامورهم وشفقته عليهم ورحمته بهم كثيرة مشهورة وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت قمت ذات ليلة أطلب النبى صلى الله عليه وسلم وقد خرج من البيت فوجدته بالبقيع فيقول قائما يارب أمتى وساجدا يارب أمتى فقلت يارسول الله وأين القرآن فقد نسيته لاجل هذه الامة فلما سمع قال لى ياعائشة أتعجبين من هذا أقول مادمت فى الحياة يارب أمتى فاذا دخلت القبر قلت يارب أمتى فاذا نفخ فى الصور أقول يارب أمتى وسيأتى للمصنف فى حديث صلاة الكسوف ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكى ويقول رب ألم تعدنى أن لا تعذبهم وأنا فيهم رب ألم تعدنى أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك وانظر الى ماذكره القرطبى فى التذكرة من قوله صلى الله عليه وسلم فاذا عصف الصراط بامتى نادوا وامحمداه وامحمداه فابادر من شدة اشفاقى عليهم وجبريل آخذ بحجزتى فانادى رافعا صوتى رب أمتى رب امتى لا أسألك اليوم نفسى ولا فاطمة ابنتى انتهى قال شيخنا المحقق فى كتابه الالمام والاعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام فيحق على المؤمن اذا سمع هذا وأمثاله أن تعظم محبته صلى الله عليه وسلم فى قلبه وان يعظمه ويوقره باتباع سنته ولزوم طريقته ولا يسعى الا فيما يرضيه ولا يحب أن ياتيه يوم القيامة الا بما يحب أن يظهر على امته وان يسعى فى تفريحه وادخال السرور عليه بتفريح امته وادخال السرور عليهم والاعتناء بامورهم الدنيوية والاخروية ومن هنا والله أعلم عظم ثواب من دعى لامته حتى كان لمن قال كل يوم على ماروى عن الخضر عليه السلام اللهم اغفر لامة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم أمة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم استر امة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجبر امة محمد صلى

خفي بينته ايثار رضا المحبوب وصيرورة هوى المحب تابعاله كما تقتضيه قاعدة الملك (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فعند ذلك افتضح كثير من المدعين وظهر عجزهم والصادقون منهم أقاموا البينة بمتابعة الحبيب في أقواله وأفعاله وأخلاقه فطولبوا بتزكية البينة وتزكية شهودها وذلك بالجهاد في سبيل الله لا يخافون لومة لائم والجهاد جهاد العدو وجهاد النفس وذلك هو بيعها لله تعالى المشار له بآية (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فلما عرفوا جلالة المشتري وفضل الثمن (٦١) وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار فقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقد وسلم المبيع قيل لهم قد صارت نفوسكم وأموالكم لنا ورددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء الآية) قال الشيخ زروق وقد قيل من الحكمة في اشترائه مع أن الملك ملكه ثلاثة أشياء (أحدها) البشارة بعدم الرد بالعيب لان المشتري عالم (الثاني) ليسلم العبد نفسه اليه فيتولى تدبيره اذ لا يتم بيع الا بعد تسليم ولا كفالة الا بعد اقباض (الثالث) اظهار تمام الفضل في ظهور النسبة الى الله تعالى اهـ وانظر شرح همزية شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله (فائدة) قال ابن عبد البر اتفقوا على أن خديجة أول من آمن مطلقا وقال ابن الاثير خديجة أول خلق الله اسلاما باجماع المسلمين

الله عليه وسلم انه يكتب من الابدال لما فيه من تفريحه صلى الله عليه وسلم بالاعتناء بأمته ومن عمل بهذه النية كثر ثواب عمله وسهل عليه العمل اذ من استحضر انه يرضي محبوبه الجليل العظيم الوجيه الفخيم خف عليه ما كان ثقيلا وقصر في نظره ما كان طويلا وجادبما كان به بخيلا انتهى * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا محمد بن بشر عن علي بن صالح عن أبي اسحق عن أبي جحيفة) صحابي مشهور كان في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ روى عنه خمسون حديثا حديثان في البخاري وثلاثة في مسلم (قال قالوا) أي الصحابة أو رئيسهم أبو بكر والجمع للتعظيم (يارسول الله نراك) بصرية أو علمية (قد شبت) حال على الاول ومفعول ثان على الثاني (قال شيبتني هود وأخواتها) أي اشباهها التي ذكر فيها أحوال السعداء والاشقياء وأهوال القيامة كما تقدم والهموم والاحزان اذا تفاقمت الانسان أسرع اليه الشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسوم نحافة ... ويشيب ناصية الصبي و يهرم

قال الزمخشري ومما مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر وأصبح أبيضه كالثغامة فقال رأيت القيامة والناس يقادون الى النار بالسلاسل فمن هول ذلك أصبحت كما ترون اهـ وفي هذا الحديث اشارة الى أن من شأن المؤمن العاقل أن يهتم بأمر ربه ويجعل الآخرة وأهوالها نصب عينيه وان يستعظم قبيح حالته ويخاف من عاقبة ذلك دنيا وأخرى ولا يأمن ان يكون ممن يصدق عليه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله الآية وقد ذكر في شرح السنة عن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت بأية آية قال قوله فاستقم كما أمرت اهـ فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته ورفعة منزلته يهتم لامر ربه حتى يظهر أثر ذلك في بدنه فكيف بامثالنا الغافلين عن حقوق رب العالمين فنسأل الله سبحانه ان يجمل خلاصنا بفضله وقد قطع خوف الطرد والبعد قلوب أقوام لا يحصون في هذه الامة المشرفة وحكاياتهم في ذلك كثيرة قال عطاء السلمي خرجنا مع عتبة الغلام فبينما نحن نمشي معه اذ مر بمكان فسقط مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فافاق فسألوه عن أمره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وأنشدوا

بكت عينه لما بكت عين قلبه * ولولا بكاء العين لم تدر ما به
اذاب بخوف الله صحة جسمه * وأبلى بتقواه رداء شبابه

وقال ميمون بن مهران لما نزل قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجمعين) صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير عن اياد بن لقيط العجلي عن أبي رمثة) يأتي في الباب بعد ان اسمه رفاعة (التيمي تيم الرباب) بكسر الراء وتخفيف الموحدتين واحترز عن تيم قريش قبيلة أبي بكر وتيم بالجر بدل من التيمي لان معناه المنسوب الى التيم ونكتة البدل تعدد التيم كأنه يقول أعني بالتيم الذي نسب اليه تيم الرباب لا تيم قريش قال

ولم يتقدمها رجل ولا امرأة وكذلك حكى هذا الاجماع الذهبي والثعلبي وانما اختلفوا فيمن أسلم بعدها وقال ابن الصلاح وأصله للطبراني الاولى التوفيق بين الروايات كلها فيقال أول من أسلم مطلقا خديجة وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام وتمرات فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف وجاء من وجوه انه صلى الله

ابن حجر الرباب خمس قبائل من جملتهم تيم غمسوا أيديهم في رب وتعاقدوا وتحالفوا فصاروا يدا واحدة اه والخمس ضبة وثور وعكل وتيم وعدي (قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي) الجملة حال من فاعل الاتيان ولم يسم هذا الابن وفي رواية أبي داود والنسائي رأيت النبي مع أبي زاد أبو داود ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ابنك الخ فرواية الترمذي عن الاب ورواية أبي داود والنسائي عن الابن والله أعلم (قال) أي أبو رمثة (فأريته) ان كان مبنيا للمفعول فالمعنى أرانيه الناس وعرفوني به وان كان مبنيا للفاعل فالمعنى انه أراه لابنه وعرفه بما رأى عليه من علامات النبوة ونورها وآثار الهيبة الالهية فان الظاهر عنوان الباطن وما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر كما قال في الحكم وتقدم قول من قال

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

فقوله (فقلت لما رأيته هذا نبي الله) على الوجه الاول تصديق لمن عرفه به وعلى الثاني ظاهر (وعليه ثوبان أخضران) الجملة حال من مفعول رأيت وقوله أخضران أي مصبوغان بالخضرة بتمامهما وهذا أكثر لباس أهل الجنة كما ورد ويحتمل انهما كانا بخطوط خضر كما ورد في بعض الروايات بردان بدل ثوبان ويأتي في باب اللباس والغالب أن البرود ذوات الخطوط وقال العصام المراد بالثوبين الرداء والازار (وله شعر قد علاه شيب) أي قليل لما تقدم من انه انما شاب منه قليل (وشيبه أحمر) يعني خلقة وهو مبادي الشيب أو بصبغ ويؤيده ما رواه الحاكم عن أبي رمثة أيضا أن شيبه أحمر مصبوغ بالحناء وسيأتي هذا في الباب بعده * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا سريج بن النعمان نا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قال قيل لجابر بن سمرة أكان في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم شيب قال لم يكن في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم شيب الا شعرات في مفرق) بفتح الميم وسكون الفاء وكسر الراء أي محل فرق شعر (رأسه) وقال الحنفي بوسطه وقال ابن حجر أي مقدمه ولم ينبه على ما كان في لحيته من الشيب لانه انما سئل عن الرأس (اذا ادهن) أي استعمل الدهن ووضعه على رأسه (واراهن) أي اخفاهن (الدهن) بضم الدال وان قرئ بفتح المهملة وساعدته الرواية فهو أظهر من جهة المعنى لان السببية فيه أقوى كما لا يخفى وروى مسلم كان اذا ادهن لم يتبين واذا شعث تبين قال الطيبي شعث أي تفرق شعر رأسه فدل هذا على انه عند الادهان كان يجمع شعر رأسه ويضم بعضه الى بعض وكانت الشعرات البيض من قلتها لا تبين فاذا شعث رأسه ظهرت اه ويقال شعث الشعر اذا تلبد لقلة تعهده بالدهن فله معنيان على هذا

﴿ باب ما جاء في خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

الخضاب يطلق على ما يخضب به أي ما يلون به كما في القاموس ويطلق مصدرا بمعنى التلوين وهذا المعنى أنسب بالباب لان معظمه بهذا المعنى خلافا لاستبعاد ابن حجر وانما جاء حديث واحد في الباب يناسب المعنى الاول قاله في جمع الوسائل (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم) بضم ففتح (نا عبد الملك بن عمير عن أياد

ابن

عليه وسلم قال أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون قال الشيخ ولي الدين العراقي خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار وقيل عائشة وكذا صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها لا والله ما رزقني الله خيرا منها الخ وجمع أبو أمامة بن النقاش بان سبق خديجة وتأثيرها في أول الاسلام وموازرتها ونصرتها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين وتأثير عائشة في أخذ الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامة مالم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به دون غيرها وفي حديث الحلية ومثله في الاستيعاب خطابا لفاطمة يابنية أما ترضين انك سيدة نساء العالمين فقالت ياأبت فأين مريم بنت عمران قال تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك اه وهو صريح في تفضيل فاطمة على أخواتها وعلى عائشة ويبقى النظر فيما بينها وبين أمها خديجة لحديث البخاري خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة أي نساء عالمها والتفضيل بلفظ السيادة أرجح في جانب فاطمة مع ضميمة كونها بضعة ورجحان كونها أفضل من مريم أظهر لفضيلة نساء هذه الامة وقد فضلت أمها التي فضلتهن فكيف لا تفضل مريم التي فضلت المفضول وهو نساء عالمها وتبين بهذا أيضا انتفاء نبوة مريم والا لما ساوت بخديجة في الحديث المذكور وكذا لا يلزم التساوي مع اخواتها لان اطلاق البضعة في حقها يفيد مزيد شبهه به في أخلاقه الكريمة وخلقه ولذلك قالت عائشة ما رأيت أصدق لهجة من فاطمة بعد أبيها وذكر علم الدين العراقي أن فاطمة وأخاها ابراهيم أفضل من الخلفاء الاربعة وروي عن مالك انه قال لما سئل عن ذلك لا أفضل على بضعة النبي أحدا قال بعض العارفين أما من حيث المعارف والاسرار الربانية فأبو بكر أفضل ثم هم على الترتيب وأما من حيث البضعة ففاطمة أفضل فكأنه يريد فاطمة أشرف من حيث الجوهر والجسم وأبو بكر أشرف من حيث العرض القائم بالجسم والسر المتوارد عليه اه ومن معنى هذا ما في نوازل

النكاح من المعيار من قول عمر في رسالته لعلي عند توقفه عن مبايعة أبي بكر رضي الله عنهم ولعمري انك أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولكنه أقرب منك قربة قال أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض القرابة لحم ودم والقربة روح ونفس اهـ وفي الاتقان للسيوطي ما نصه استدل الامام فخر الدين الرازي بقوله تعالى (وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) مع قوله (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) على ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الآية الاولى نزلت فيه باجماع اهـ قلت

ابن لقيط قال أخبرني أبو رمثة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابن لي) ظرف لغو متعلق بأتيت وفي نسخة معي بياء المتكلم خبر مقدم وقوله ابن لي مبتدأ مؤخر والجملة حال من فاعل أتيت لكنه اكتفى بالضمير (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابنك هذا) على حذف همزة الاستفهام وقد ظهرت في رواية أخرى (فقلت نعم) بفتحتين وقرئ في السبعة بكسر العين وحكى أهل اللغة كسرهما (اشهد به) جملة مقررة لقوله نعم يروى بصيغة الأمر من الثلاثي المجرد أي كن شاهداً على اعترافي بانه ابني وفي نسخة بصيغة المضارع من الثلاثي المجرد أيضاً أي أقرّ به واعترف ولما كان في هذه الجملة ما يشعر بأنه ملتزم لجنايته على عادة الجاهلية من مؤاخذة الوالد بجناية ولده وعكسه أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأن الشريعة المطهرة قد أبطلت ذلك (فقال) صلى الله عليه وسلم (لا يجني عليك ولا تجني عليه) أي لا تؤاخذ بذنبه ولا يؤاخذ بذنبك زاد في رواية قال وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تزر وازرة وزر أخرى وبه يظهر لك بطلان قول من قال يمكن أن يكون هذا الكلام دعاء لهما أو اخباراً عن الغيب (قال) أي أبو رمثة وأعاد كلمة قال لفصل الكلام وسقطت في بعض النسخ (ورأيت الشيب أحمر) أي خلقة لقربه من البياض أو بسبب الخضاب وتقدم ان في رواية الحاكم من هذا الوجه وشيبه أحمر مخضوب بالحناء ولابي داود من حديثه وكان قد لطخ لحيته بالحناء وعند أحمد فاذا رجل له وفرة بها ردع من حناء وفي رواية فرأيت برأسه ردع حناء وأخرج ابن الجوزي في طريق الوفاء من طريق غيلان بن جامع عن أياد بن لقيط عن أبي رمثة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكتم وهذه الرواية صريحة في خضابه صلى الله عليه وسلم (قال أبو عيسى) يريد به نفسه كما تقدم (هذا) الحديث (أحسن شيء) أي أرجح حديث (روي في هذا الباب) أي باب الخضاب (وأفسره) أي أوضحه دلالة على المراد وانظر هذا مع أن قوله وشيبه أحمر او رأيت الشيب أحمر يحتمل كما تقدم فكيف يكون هذا أفسر من غيره قال بعضهم ومعنى قوله (لان الروايات الصحيحة) أتت (أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب) أنه لم يظهر البياض في شعره كثيراً فلم يخضب وانما بلغ مقدمة الشيب وهي الحمرة الذاتية اهـ وهذا يدل على انه لم يصح عنده شيء من الروايات المصرحة بالخضاب في طرق حديث أبي رمثة قال ابن حجر بعد ذكر هذا التقرير وليس بظاهر لان الترمذي قائل بالخضاب بدليل سياقه لاحاديثه الآتية ولان هذا لو كان مراده لم يسق هذا الحديث في هذا الباب أصلاً بل كان يقتصر على سياقه في الباب قبله ولا يضره ذكر كونه احمر لان المراد حينئذ حمرته الذاتية التي هي مقدمة للشيب فذكره له بتمامه في البابين يدل على ان له مناسبة بكل منهما وهي ان فيها اثبات الشيب وهو المناسب للباب السابق وانه كان احمر بالخضاب وهو المناسب لهذا الباب واما الروايات الصحيحة انه لم يشب فمعناها انه لم يكثر شيبه مع انه كان يستره بالحمرة في بعض الاحيان اهـ قلت الظاهر ان مراد المصنف بهذا الكلام ما تقدم من ان حمرة شعره لم تكن بالخضاب وانما كانت ذاتية وانه لم يخضب وانما أعاد هذا الحديث في هذا الباب حينئذ اشارة الى أن أحاديث الخضاب وقع فيها اشتباه على الرواة فالتبس عليهم حمرة الشعر التي هي مقدمة الشيب بحمرة

ويتركب من الآيتين قياس من الشكل الاول وهو أبو بكر اتقى الناس بحكم الآية الاولى لان الحذف يقتضي العموم حتى يقوم دليل على الخصوص والمفضل عليه في الآية محذوف فيقدر عاماً وكل من كان اتقى من غيره فهو أكرم منه بمقتضى الآية الثانية ينتج أبو بكر أكرم من غيره أي من الامة وهو المطلوب ﴿تنبيه﴾ قال أبو عمر أجمعوا على أن خديجة ولدت له صلى الله عليه وسلم أربع بنات كلهن أدرك الاسلام وهاجرن وهن زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم وأجمعوا على انها ولدت له ابناً يسمى القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم وقال عقيل عن ابن شهاب ولدت له خديجة فاطمة وزينب وأم كلثوم ورقية والقاسم والطاهر وكانت زينب أكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب ويقال له الطاهر ولد بعد النبوة ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية هكذا الاول فالاول ثم مات القاسم بمكة وهو أول ميت مات من ولده ثم عبد الله مات أيضاً بمكة اهـ وولد للنبي صلى الله عليه وسلم ابراهيم من مارية القبطية وانظر تفصيل ذلك في المواهب وتوفيت خديجة رضي الله عنها في السنة الحادية عشرة من البعثة بعد موت عمه أبي طالب بثلاثة أيام وذكر في المواهب انه روى مرفوعاً انما سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة أخرجه الحافظ الدمشقي وروى الغساني مرفوعاً ان الله قد فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير

(ثم قام النبي يدعو الى الله * وفى الكفر نجدة واباء أمما أشربت قلوبهم الكفـ * ـر فداء الضلال فيهم عياء) أى ثم بعد نزول أول الوحى ووقوع الفترة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ قام النبي صلى الله عليه وسلم بجد واجتهاد فى حال كونه يدعو الى عبادة الله والايمان به وبرسوله وترك ماهم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وفى الكفر نجدة أى قوة تامة واباء أى امتناع من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به ومفعول يدعو أمما أى جماعات هم أمة الدعوة من وصفهم انهم حينئذ أشربت بالبناء للمفعول قلوبهم الكفر أى اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ فداء الضلال الذى استقر فيهم أى مرضه داء وبرؤه عياء بمهملة مفتوحة فتحتية أى داء عضال اعيا الاطباء مداواته والمعنى انه صلى الله عليه وسلم قام نذيرا يدعو الخلق الى الله تعالى امتثالا لقوله له قم فانذر وانما اقتصر على ذكر الانذار لانه الثابت اذ ذاك اذ لم يكن على وجه الارض مؤمن يستحق التبشير ومن المعلوم ان الارض كانت مملوءة بطوائف الكفار وصناديد الطغاة والعتاة فقام صلى الله عليه وسلم يخرجهم عن أديانهم وهو وحده لا وزير له ولا أتباع فى الارض وهو مع ذلك ثابت القلب قوى العزم لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يخشى عناد معاند ولا انكار منكر مع ان أهل الشر والعناد والطغيان والفساد لهم غاية القوة والشوكة ونهاية الجسارة والجرأة ان

(ورأينا آياته فاهتدينا * واذا الحق جاء زال المراء)
(رب ان الهدى هداك وآيا * تك نور تهدى بها من تشاء)

أى ورأينا معشر الامة أى أبصر الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة آياته أى معجزاته وخلقه وخلقه وبديع صفاته فاهتدينا أى وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الى ذلك لانا أصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه اذا جاء الحق زهق الباطل وزال المراء أى الضلال والجدال فيه

الخضاب فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم خضب مع انه لم يخضب ولاجل ان هذا هو مراده صدر هذا الباب بحديث أبى رمثة حتى يكون كل مايذكر بعده من الاحاديث ليس على مايتبادر منه من ثبوت الخضاب ثم استدل على نفى الخضاب بما ذكره من أن الروايات الصحيحة أن النبي لم يبلغ الشيب ولو كان مراده ماقال ابن حجر من أن شيبه كان أحمر بالخضاب لكان كلامه متدافعا متناقضا لان قوله لان الروايات الخ انما يصلح دليلا لنفى الشيب لا لثبوته والحاصل ان المصنف فهم ان شيبه كان احمر بغير الخضاب بدليل ماصح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب وحينئذ فيجب أن يكون حديث أبى رمثة هذا هو الحجة فى هذا الباب وغيره من احاديث الباب ليس على مايتبادر منه لكن مافهمه المصنف بعيد وغير متعين فقد تقدم حديث ابن عمر فى الصحيحين واخرج أبو نعيم الاصبهانى عن عائشة قالت كان أكثر شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فودى رأسه وكان اكثر شيبه فى لحيته حول الذقن وكان شيبه كأنه خيوط الفضة يتلألأ بين سواد الشعر فاذا مسه بصفرة وكان كثيرا مايفعل ذلك صار كأنه خيوط الذهب اه واما ما استدل به المصنف من انه صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب فليس معناه انه لم يخضب وانما معناه انه لم يكثر شيبه كما تقدم فى كلام ابن حجر وذلك غير مناف لقول من قال انه صلى الله عليه وسلم خضب وانما يبقى الكلام فى ثبوت الخضاب وعدم ثبوته والله أعلم ويأتى لذلك تتمة فى آخر الباب ويوجد فى بعض النسخ (وأبو رمثة اسمه رفاعة التيمى) نسبة الى تيم قبيلة وقد تقدم تحقيقه وكأن المصنف انما أخر هذا الى هذا الباب ليذكر اسمه ونسبه بعد تمام كلامه * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا أبى) وكيع (عن شريك عن عثمان بن موهب) بفتح الهاء وهذا نسبة الى جده وأبوه من الرابعة عبد الله كما نبه عليه بقوله الآتى وروى أبو عوانة الخ وعثمان هذا تيمى مولاهم مدنى شهير بالاعرج ثقة أخرج حديثه الشيخان وغيرهما واما عثمان بن موهب المنسوب الى الاب من الطبقة الخامسة لم يخرج من أصحاب الصحاح حديثه الا النسائى وهو الراوى عن أنس (قال سئل أبو هريرة هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم) سيأتى مافيه (قال أبو عيسى وروى ابو عوانة) هو الوضاح الواسطى البزار روى عنه الستة (هذا الحديث عن عثمان بن عبد الله بن موهب فقال عن أم سلمة) ظاهر هذا ان أم سلمة رضى الله عنها اخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم خضب وليس هذا هو المراد يبين لك ذلك ما أخرجه البخارى وابن ماجه واحمد ومن طريقه ابن الجوزى فى الوفاء وابن سعد قالا سمعنا من طرق كثيرة عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال دخلت على أم سلمة فاخرجت شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا هذا لفظ البخارى وزاد ابن ماجه وأحمد بالحناء والكتم ولابن سعد من طريق نصير بن ابى الاشعث عن ابن موهب ان أم سلمة أرته شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم احمر واخرجه البخارى أيضا وعند البخارى أيضا ان هذا الشعر كان عند أم سلمة فى جلجل من فضة وكان اذا اصاب الانسان عين أوشئ بعث اليها مخضبه اه فكانت تحرك ذلك الشعر فى ماء فاذا شربه العليل أو اغتسل به عوفى من مرضه قال الاسماعيلى ليس فيه بيان

وهذا فيه تعريض بمن لم يؤمن مع مشاهدته ماذكر ولكن يارب ان الهدى أى اتباع الحق ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت فى كتابك العزيز فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وان آياتك التى أقمتها أدلة على صدق أنبيائك نور كما قلت قد جاءكم من الله نور تهدى بها من تشاء هدايته وتضل عنها من لا تشاء هدايته وفيه اقتباس (كم رأينا ما ليس يعقل قد (٦٥) أل * هم ما ليس يلهم العقلاء اذ أبى الفيل

ما أتى صاحب الفيل ولم ينفع الحجا والذكاء) لما ذكر أن الهدى هدى الله وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان الآيات وحدها لا تجزى شيأ ذكر ما يستغرب من ذلك وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم مرة أى مرارا كثيرة رأينا أى علمنا أو أبصرنا ما أى شخصا ليس يعقل أصلا كالحيوان والجماد قد ألهم من المصالح والجملة فى موضع نصب مفعول ثان لرأى وما الثانية مفعول ألهم واذ ظرف أو علة وأبى امتنع الفيل مما أتى اليه أى عزم عليه صاحبه وهو أبرهة الحبشى والذى أتى اليه صاحب الفيل فامتنع الفيل منه هو هدم الكعبة وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وبين أبى وأبى الجناس المصحف كقوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولم ينفع الحجا أى العقل الوافر

ان النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى خضب بل يحتمل ان يكون احمر بعده لما خالطه من طيب فيه صفرة اه وهذا الاحتمال الذى أبداه الاسماعيلى قد ثبت معناه عند البخارى فى باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ونصه بعد قول أنس وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قال ربيعة فرأيت شعرا من شعره فاذا هو احمر فسألت فقيل احمر من الطيب اه قال فى جمع الوسائل نقلا عن بعض الشراح ولم يخرج ابن سعد ولا ابن الجوزى رواية ابى هريرة مع انهما استوعبا طرق أخبار من قال من الصحابة بخضابه صلى الله عليه وسلم ولم يتعرض العسقلانى لروايته وهذا دليل على انه لم يصح بل لم يرد عن ابى هريرة فى هذا الباب شئ فدل على ان مراد المصنف بايراد طريق ابى عوانة الاشارة الى ان رواية شريك شاذة بل منكرة وليس مراده بذلك تقوية خبر ابى هريرة اه فتبين انه لا دليل فيما ذكره هنا على أن النبى صلى الله عليه وسلم خضب اما فيما رواه شريك فلانه منكر واما فيما روى عن أم سلمة فلا دليل فيه كما تقدم عن الاسماعيلى والله اعلم * قال المصنف (حدثنا ابراهيم بن هرون نا النضر بن زرارة عن ابى جناب) بجيم مفتوحة فنون مخففة ثم موحدة كسحاب وما يوجد فى النسخ مما يخالف هذا غير صحيح وهو محدث مشهور ضعفوه لكثرة تدليسه (عن اياد بن لقيط عن الجهذمة) بفتح الجيم وسكون الهاء وفتح الذال المعجمة بعدها ميم (امرأة بشير) على وزن بديع (ابن الخصاصية) بفتح الخاء والصاد وتخفيف الياء وخطأ الفيروزبادى وهو صاحب القاموس ابن الاثير وغيره ممن قال بأن الياء مشددة قائلا بانه من أوزان المصدر وليس فى كلام العرب فعالية بالتشديد وانما هو بالتخفيف ككراهية وعلانية وطواعية قال ابن حجر وفيه نظر لان هذا من الاعلام وقد يقع فيها ما لا يوافق الاوزان المعروفة اه وهى اسم أمه ويقال غير النبى صلى الله عليه وسلم اسمها وجعله ليلى وابوه معبد (قالت أنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى تقديم المسند اليه افادة تفردها بهذه الرواية (يخرج من بيته) حال من المفعول (ينفض) بضم الفاء أى يمسح (راسه) اى شعر راسه بيده ليقطر عنه الماء والجملة حال متداخلة أو مترادفة وكذا قوله (وقد اغتسل) والواو فى قوله (وبرأسه ردغ) اما حالية أو عاطفة وردغ بفتح الراء وسكون الدال المهملة وبغين معجمة فى القاموس انه جمع ردغة بالتحريك أو التسكين وهو الوحل الشديد فعلى هذا الكلام على التشبيه اى فى رأسه لطخات غليظة من الصبغ الذى هو الحناء أو الزعفران أو غير ذلك (أو قال) اى ابراهيم شيخ المصنف (ردع) بعين مهملة وهو لطخ من زعفران وأثر الطيب على ما فى القاموس ولخفاء دلالة الرواية الاولى على المقصود صحح بعض الشيوخ الرواية الثانية وفى بعض النسخ (من حناء) بالمد ولا دلالة فى هذا أيضا على الخضاب لان الحناء قد تستعمل لغير الخضاب كالتداوى (شك فى هذا الشيخ) وفى نسخة الشك هو لابراهيم بن هرون وما لهما واحد * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن) هو ابو محمد الدارمى الحافظ صاحب المسند اخرج حديثه مسلم وابوداود والترمذى فى الشمائل قال ابو حاتم هو امام اهل زمانه (نا عمرو) بالواو (ابن عاصم نا حماد بن سلمة اخبرنا حميد) هو الطويل (عن أنس) أى ابن مالك (قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا) قال بعض الشراح الثابت عن

والذكاء اللذان اتصف بهما من لم يوفق لما وفق له الفيل وقصة الفيل معروفة مشهورة وفى كتب التفسير والسيرة مسطورة انظرها فى أوائل المواهب (والجمادات أفصحت بالذى أخ * رس عنه لاحمد الفصحاء) أفصحت أى نطقت بكلام فصيح من غير حياة أنطقها الله الذى أنطق كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده أو بخلق الحياة والادراك كما يدل عليه حنين الجذع ولذا التزمه النبى صلى الله عليه وسلم وضمه اليه وبشره وافصاحها كان بالشهادة بالانباء والارسال الذى أخرس عنه الفصحاء فهو نائب فاعل أخرس ولاحمد متعلق بافصحت بمعنى أن العرب مع كونهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت ألسنتهم من النطق له صلى

الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة وشهدت له بذلك الجمادات الصم بافصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى في يده ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر يسمع تسبيحهن من في الحلقة رواه جماعة وهو مشهور وصح عن ابن مسعود كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح أيضا انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى لاعرفه الآن قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان بممره صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه أهل مكة سلفا وخلفا وصح عن على كرم الله وجهه كنت أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحى مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى البزار وأبو نعيم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لاأمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى البيهقى وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاءته وقال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأبو بكر وعمر وعثمان على أحد أو حراء فتحرك فقال أثبت وضربه برجله فما عليك الا نبى وصديق وشهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة فدعاها وهو صلى الله عليه وسلم على شاطئ الوادى فأقبلت هذا تخد الارض خدا أى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفى رواية قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يارسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابى ائذن لى أن أسجد لك قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها انظر ابن حجر

أنس فى الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ شيبه الى الخضاب ولم يرو عنه خلاف ذلك الا فى هذا الخبر فاما ان يحكم بشذوذ هذه الرواية فان رواية حميد وان كان ثقة فهو مدلس قال حماد بن سلمة عامة مايرويه حميد عن أنس سمعه من ثابت فدلسه وأحاديث من هو أوثق منه عن أنس كمحمد بن سيرين وثابت وقتادة فى نفى الخضاب ثابتة فى الصحيحين وغيرهما وهو واحدوهم جماعة ولذا قال المصنف عقبه (قال حماد) المذكور (وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل) أى ابن أبى طالب الهاشمى وأم عبد الله زينب بنت على رضى الله عنه وعبد الله صدوق (قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك مخضوبا) اشارة الى شذوذ رواية حميد واما أن يكون معناه ان أنساً رآه مخضوبا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبى طلحة أو عند أمه أم سلمة (١) أو عند غيرهما وقد ورد عن ابى هريرة انه قال لما مات النبى صلى الله عليه وسلم خضب من كان عنده شىء من شعره ليكون أبقى له أخرجه الدارقطنى فى رجال مالك ورآه عبد الله بن محمد عند انس وقد أنكر احمد انكار أنس انه خضب وذكر حديث ابن عمر كما تقدم ووافق مالك أنسا فى انكار الخضاب وأول ماورد فى ذلك قال النووى والمختار أنه صلى الله عليه وسلم خضب فى وقت لما دل عليه حديث ابن عمر فى الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تأويله وتركه فى معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وهو صادق والله اعلم اه ويحتمل ان من أثبت الخضاب شاهد الشيب أبيض ثم لما واراه الدهن ظن انه خضب ومن نفاه علم انه لم يخضب وانما واراه الدهن ﴿تنبيهات حسنة * الاول﴾ قد اختلف أهل العلم هل الخضاب أولى لحديث الشيخين ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ولهذا خضب أبو بكر وعمر وعثمان والحسن والحسين أو ترك الخضاب أولى لحديث الترمذى عن كعب بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة واخرج الطبرى من حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره تغيير الشيب ولهذا لم يخضب على وسلمة بن الاكوع وأبى بن كعب وجمع من كبار الصحابة وأما ما اخرجه الطبرى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا من شاب شيبة فى الاسلام فهى له نور الا أن ينتفها أو يخضبها فقال العسقلانى اخرجه الترمذى وحسنه ولم أر فى شىء من طرقه الاستثناء المذكور اه وجمع الطبرى بأن من شانه الشيب ينبغى له الخضاب ومن لم يشنه فلا يستحب له ولكن الخضاب مطلقا أولى لان فيه امتثالا للامر فى مخالفة اهل الكتاب وفيه صيانة للشعر عن تعلق الغبار وغيره الا ان كان من عادة أهل البلد ترك الصبغ فالترك أولى لان فعله حينئذ داع الى الشهرة اه ويكون بما يحمر أو يصفر ويكره بالسواد لحديث جابر قال أتى بابى قحافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال صلى الله عليه وسلم غيروا

(١) قوله أم سلمة أصلح بعضهم وأظنه بنانى لفظة سلمة بسليم قائلا أم أنس هى أم سليم لا أم سلمة بل أم سلمة هى أم المؤمنين رضى الله عن جميعهم وعنا ببركتهم كذا بهامش الاصل

(ويح قوم جفوا نبيا بارض * ألفته ضبابها والظباء) ويح منصوب بفعل محذوف أو منادى على حد ياحسرة على العباد أى احضر هذا وقتك وقد صرح النحاة بأن المصدر اذا كان بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم يجوز رفع بعضها كويح وفى القاموس ويح لزيد و ويحا له كلمة رحمة ورفعه على الابتداء ونصبه باضمار فعل اه وقال ابن طاهر متى أضيفت وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدأ لا خبر له انظر المنح و ويح كلمة ترحم تقال لمن وقع فى مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى والاحسن أن الترحم هنا باعتبار النظر الى القرابة التى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه فلذا يحق أن يتأسف على قوم جفوا نبيا بلغ من مراتب الجلالة والتعظيم مالم يبلغه نبى أى بغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله بارض ألفته ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقى فى أحاديث كثيرة وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا أومن بك حتى يؤمن هذا فقال له ياضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال من أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الاعرابى وانظر حديث الضب مع ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قرب اليه لحم ضب فامتنع من اكله فسئل عن ذلك فقال لم يكن بارض قومى فاجدنى اعافه وقد يجاب بان معناه لم يكن بأرض قومى مأكولا فالنفى مسلط على الخبر والظباء جمع ظبى وحديثه رواه البيهقى وابو نعيم والطبرانى وساقه المنذرى وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء اذا هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى نائم عندها فقال ماحاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى أذهب فارضعهما وأرجع فقال وتفعلين فقالت عذبنى الله عذاب العشار (١) أى المكاس

هذا واجتنبوا السواد اخرجه مسلم والثغامة بضم المثلثة وتخفيف المعجمة نبات شديد البياض زهره وثمره وجنح النووى الى التحريم وأول من خضب بالسواد فرعون وهذا فى غير الجهاد وفى حق الرجال ويجوز للرجال فى الجهاد لايهام العدو ويجوز للنساء لانه زينة كما يجوز للمرأة خضب اليدين والرجلين دون الرجل ﴿الثانى﴾ يكره نتف الشيب عند أكثر العلماء لحديث لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم رواه الاربعة وقال الترمذى حسن وقال بعض العلماء لا يكره نتف الشيب الاعلى وجه التزين قال ابن العربى وانما نهى عن النتف دون الخضب لان فيه تغيير الخلقة من أصلها بخلاف الخضب فانه لا يغير الخلقة على الناظر اليه انظر جمع الوسائل وفى حواشى الحطاب على الرسالة قال فى سماع ابن القاسم من كتاب الجامع سئل مالك عن نتف الشيب فقال ماعلمه حراما وتركه أحب الىّ من نتفه قال ابن القاسم ولا أحب نتفه قيل له فقرضه قال أكره ان يقرضه من أصله وهو عندى يشبه النتف وأقره ابن رشد ووجهه فانظره فيه اه ﴿الثالث﴾ ورد فى فضل التعمير عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن معمر يعمر فى الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ السبعين أحبه الله واحبه اهل السماء فاذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيآته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى اسير الله فى الارض وشفع فى أهل بيته زاد فى رواية لابى هريرة فاذا بلغ مائة سنة سمى حبيب الله فى الارض وحق على الله ان لا يعذب حبيبه اه من تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب للامام الحطاب وفى الحديث ان الله يستحيى ان يعذب عبده وأمته اذا اسنا فى الاسلام وأنشدوا

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم أعتقوها قصد ابرار
وأنت يامالكى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق أعتقنى من النار

﴿باب ماجاء فى كحل رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

اعقبه للخضاب لانه نوع من التزين والكحل بالفتح مصدر بمعنى استعمال الكحل فى العين وبالضم اسم لما يكتحل به من اثمد أو غيره والمسموع من حيث الرواية الضم وان كان للفتح وجه بحسب المعنى فان الباب كما ذكر فيه ما يكتحل به ذكر فيه أيضا بيان كيفية اكتحاله صلى الله عليه وسلم *قال المصنف (حدثنا محمد ابن حميد الرازى) وهو أبو عبد الله روى عن ابن المبارك وروى عنه أحمد ويحيى واخرج حديثه أبو داود والترمذى وابن ماجه (نا أبو داود الطيالسى) منسوب الى الطيالسة جمع طيلسان (عن عباد بن منصور) وهو أبو سلمة البصرى القاضى بها وهو ضعيف اتفاقا ورمى بالقدر وكان يدلس (عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اكتحلوا بالاثمد) أى دوموا على استعماله وهو بكسر الهمزة وسكون المثلثة وميم مكسورة حجر يكتحل به قال التوربشتى هو الحجر المعدنى أى المعروف وقيل هو الكحل الاصفهانى ينشف

(١) أى الذى يأخذ العشر ظلما وهو معروف كذا عندنا ابن القا كهانى فى الفجر المنير ونص ماعند الحافظ زكى الدين سيدى عبد العظيم

ان لم أعد فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى فقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحا وتضرب برجلها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وفى ذلك قيل وجاء امرؤ قد صاد يوما غزالة * لها ولد خشف تخلف بالكدا فنادت رسول الله والقوم حضر * فاطلقها والقوم قد سمعوا الندا ولم يرد الناظم الحصر فى هذين وانما اقتصر عليهما لانهما (٦٨) أشد الوحوش توحشا فقد صح أن الذئب أخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال الا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه له فقال له الا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق وفى رواية بما مضى وما هو كائن الخ وكلمه أيضا الحمار والجمل وسجدت له الغنم انظر ابن حجر والفجر المنير لابن الفاكهانى

(وسلوه وحن جذع اليه وقلوه وودّه الغرباء) أى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله والحال انه قد حن جذع اليه كما جاء من طرق كثيرة صحيحة وذلك انه صلى الله عليه وسلم قبل أن يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات

الدمعة والقروح ويحفظ صحة العين ويقوى عصبها سيما للشيوخ والصبيان وفى رواية بالاثمد المروح وهو الذى أضيف اليه المسك الخالص كذا قاله الترمذى وفى سنن أبى داود أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاثمد المروح عند النوم وقال ليتقه الصائم (فانه) أى الاثمد أو الاكتحال به (يجلو البصر) اى يزيد نور العين ويدفع المواد الرديئة المنحدرة من الرأس (وينبت الشعر) اى شعر أشفار العين والمخاطب الاصحاء واما العين المريضة فقد يكون غير الاثمد خيراً لها بل ربما أضربها الاثمد قاله المناوى والامر للندب اجماعا قاله ابن حجر وتعليله بالمنافع الدنيوية لا ينافى كون الامر للسنية سيما وقد وقعت مواظبته الفعلية وترغيباته القولية وتلك المنافع وسيلة الى الامور الاخروية كمعرفة الطهارة وجهة القبلة وغير ذلك من منافع البصر وقد نص العلماء على ان الامر بالاكل قد يكون فرضا والامر بالسحور سنة مع ان نفعه راجع الى البدن قالوا ولو امتنع المضطر أو المرتاض عن الاكل بل عن السؤال حتى يموت جوعا مات عاصياً واتفقوا على حرمة أكل التراب والطين ونحوهما لاجل ضرر البدن وانما حرم الخمر لضرر العقل وبهذا تبين لك ما فى قول العصام لا يخفى انه لا يظهر اذا أمر بشئ لنفع البدن كونه سنة أو فرضا اه نعم فى التعليل اشارة لطيفة وهى أن المكتحل اذا أراد تحصيل السنة ينبغى أن يقصد بالاكتحال الدواء والمعالجة لا مجرد الزينة كالنساء ولهذا قال مالك بكراهة الاكتحال للرجال مطلقا الا للتداوى اه ملخصا من جمع الوسائل (وزعم) اى ابن عباس كما يفهم من رواية ابن ماجه وتصرح به الاحاديث الآتية والزعم قد يطلق بمعنى القول المحقق وهو المراد هنا وان كان اكثر ما يستعمل فيما شك فيه قال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا وانما اتى به المصنف ولم يقل وان النبي لطول الفصل كما يقع اعادة قال فى كثير من العبارات وايماء الى أن الاول حديث مرفوع والثانى موقوف والاول قولى والثانى فعلى وقيل ضمير زعم لمحمد بن حميد وعليه فالزعم باق على معناه المتبادر اشارة الى ضعف حديثه باسقاط الوسائط بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤيد هذا الاحتمال نسبة هذا القول فى الحديث الثانى الى يزيد بن هرون لان المراد بقول المصنف وقال يزيد بن هرون فى حديثه أى حديثه الذى يرويه عن ابن عباس لانه فى حديث نفسه خلافا للعصام قاله فى جمع الوسائل ولما كان زعم يستعمل غالبا بمعنى ظن فتح همزة أن فقال (أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة) بضم الميم والمهملة اسم آلة الكحل والمراد منها ما فيه الكحل (يكتحل منها كل ليلة) بالنصب أى قبل أن ينام كما يأتى وانما آثر الكحل بالليل لانه ليلا أبقى فى العين وأمكن فى السراية الى طبقاتها (ثلاثة فى هذه) أى اليمنى (وثلاثة فى هذه) اى اليسرى والمشار اليه عين الراوى بطريق التمثيل وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال من اكتحل فليوتر رواه أبو داود والواحد وان كان وترا لكن التعدد مطلوب وخصوصاً فى الادوية ولا وتر بعد الواحد الا الثلاث ويفهم من قوله ثلاثة فى هذه الخ انه لا ينتقل لليسرى حتى يستكمل اليمنى واختار بعض العلماء أخذا بالرواية الآتية والله أعلم أن يبتدئ باليمنى ويختم بها تكريما لها بأن يستعمل فيها أولا مرودين فاذا استكمل اليسرى رجع الى اليمنى فزادها مرودا ثالثاً والله اعلم وروى فى شرح السنة أن يكتحل فيهما خمسة ثلاثة فى اليمنى واثنين فى اليسرى

المنذرى فى كتاب الزكاة عن عقبة بن عامر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل صاحب مكس الجنة قال يزيد بن هرون يعنى العشار رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم كلهم من رواية محمد بن اسحق وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم كذا قال ومسلم انما أخرج لمحمد بن اسحق فى المتابعات قال البغوى يريد بصاحب المكس الذى يأخذ من التجار اذا مروا عليه مكسا باسم العشر قال الحافظ أما الآن فانهم يأخذون مكسا باسم العشر ومكوسا أخر ليس لها اسم بل شيأ يأخذونه حراما وسحتا ويأكلونه فى بطونهم نارا حجتهم فيه داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اه من المنذرى بلفظه اه من خط المؤلف بواسطة

اليسرى وعليه فينبغي أن يكون الابتداء والانتهاء باليمنى أيضاً كما أفاده الفيروزابادي وجوز ثنتين في كل عين وواحدة بينهما أو في اليمنى ثلاثاً متعاقبة وفي اليسرى ثنتين فيكون الوتر المأمور به بالنسبة اليهما جميعا وأرجحها الاول لحصول الوتر شفعا * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن الصباح الهاشمي البصري نا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن عباد بن منصور ح) من قاعدة المحدثين اذا كان للحديث اسنادان أو أكثر كتبوا عند الانتقال من اسناد الى اسناد ح اشارة الى التحويل من اسناد الى آخر وقيل هي من الحيلولة وقيل هي اشارة الى قولنا الحديث يعنون الى آخره وبعضهم يجعلها خاء معجمة يريد انها اسناد آخر وبعض المتقدمين من الحفاظ كتب مكانها صح وهذا اشعار بأنها رمزها قال العراقي في ألفيته

وكتبوا عند انتقال من سند * لغيره ح وانطقن بها وقد
رأى الرهاوي بأن لا تقرأ * وانها من حائل وقد رأى
بعض أولي الغرب بأن يقولا * مكانها الحديث قط وقيلا
بل حاء تحويل وقال قد كتب * مكانها صح فحا منها انتخب

وأشار بقوله وانطقن بها الى أن القارئ يتلفظ بها عند الوصول اليها فيقول حاء ويمر في القراءة وأشار بقوله وقد رأى الخ الى القول بعدم النطق بها وبه العمل عندنا فيما رأينا وفائدة هذا الرمز ليعلم أن الاسناد المذكور لم يصل الى منتهاه ولئلا يتوهم ان حديث هذا الاسناد سقط ولئلا يركب الاسناد الثاني على الاسناد الاول فيصيرا اسناداً واحداً * قال المصنف (ونا علي بن حجر) وفي بعض النسخ قال أي المصنف ونا ولعله وقع من تلامذته (نا يزيد بن هرون نا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل أن ينام) أي عند النوم كما يأتي (بالاثمد ثلاثا في كل عين وقال يزيد بن هرون في حديثه) أي في روايته عن ابن عباس (ان النبي صلى الله عليه وسلم) بكسر الهمزة نظراً الى قال ويجوز فتحها نظرا الى حديثه (كانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين) قيل حتى في السفر قال بعض الشراح قوله وقال يزيد بن هرون الخ موصول بالاسناد المتقدم وليس بمعلق ولا مرسل كما توهم والمقصود منه بيان اختلاف الالفاظ بين رواية اسرائيل ورواية يزيد يعني رواه اسرائيل باللفظ المتقدم ورواه يزيد بهذا اللفظ كلاهما عن عباد وقد فهم من كلام المصنف في حديث ابن عباس هذا ان الواسطة في الاسناد الاول المتصل بالباب بينه وبين عباد بن منصور اثنان وفي الاسناد الثاني ثلاث فهو بالنسبة الى ما قبله نازل باعتبار العدد لكن شيخه الاول محمد بن حميد الرازي لم يرو عنه الشيخان وعبد الله بن الصباح شيخه الثاني على شرط الشيخين وروى عنه أبو داود والنسائي فيكون الثاني أعلا من الاول علواً معنوياً أعني باعتبار الضبط والاتقان فلا يضره كثرة العدد وبملاحظة النزول المذكور تحول من سند ابن الصباح الى سند علي بن حجر شيخه الثالث فان الواسطة فيه بين عباد وبينه اثنان كالاول نقل ذلك في جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا محمد بن يزيد عن محمد بن اسحق) أي ابن يسار امام أهل المغازي صدوق أخرج

وضعه موضعه الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم الجمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد وفي رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية أخرى خار حتى تصدع وانشق وفي أخرى فجعل يئن أنين الصبي وفي أخرى حن حنين الناقة أي التي انتزع ولدها فنزل اليه النبي صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية فمسحه بيده وفي أخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفي أخرى والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل قالوا انه أبدع من احياء عيسى عليه السلام الموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم وفي رواية عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خيره بين أن يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه في الجنة يأكل أولياء الله من ثمره ثم أصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقلوه أي أبغضوه والحال انه قد وده أي أحبه الغرباء الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار من الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم ليعرض نفسه على قبائل العرب فلقي بعضا من الخزرج من أهل المدينة فعرض عليهم الايمان فاجابوه وواعدوه العام القابل ليأتوا بقومهم وهذه هي العقبة الاولى ثم لقيه منهم في العام القابل خمسة عشر فاسلموا ورجعوا وهذه هي العقبة الثانية فاظهر الله الاسلام فيهم وما في المدينة دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل اليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن فاسلم على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وجميع بني عبد الاشهل ثم جاؤا في العام الثالث بنحو الخمسين رجلا فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود ثم أمر صلى الله عليه وسلم من بقي معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام هو ينتظر الاذن له في الهجرة فاستأذنه أبو بكر فقال لا تفعل لعل الله يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر في ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وأمر من معه أن يلحق بالمدينة اشتوروا بدار الندوة في ان يحبسوه أو

حديثه البخاري فى التعليق والترمذى فى الشمائل و باقى الائمة الاربعة فى صحاحهم (عن محمد بن المنكدر) تابعى جليل أخرج حديثه الائمة الستة (عن جابر) أى ابن عبدالله كما فى نسخة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد) أى خذوه فهو راجع الى معنى قوله اكتحلوا (عند النوم فانه يجلوا البصر و ينبت الشعر) قد يكون من فوائد اكتحاله صلى الله عليه وسلم بالليل دون النهار الاشارة الى أنه من زينة النساء وفعله ليلا يذهب أثره وقد تقدم ان مذهب مالك انه للرجال مكروه الا لقصد التداوى * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أى ابن سعيد كما فى نسخة (نا بشر بن المفضل عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير) أى الاسدى مولاهم الكوفى ثقة ثبت فقيه روايته عن عائشة وأبى موسى مرسلة قتل بين يدى الحجاج أخرج حديثه الائمة الستة فى صحاحهم وهو تابعى جليل بل قيل هو أفضل التابعين (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خير أكحالكم الاثمد) فيه دليل على أن الاثمد نوع خاص من الكحل والمراد انه خير الاكحال لحفظ صحة العين لا لمرضها الا ان الاكتحال لا يوافق الرمد كما تقدم (يجلوا البصر) استئناف لتعليل الجملة قبله (و ينبت الشعر) عطف على المستأنف * قال المصنف (حدثنا ابراهيم بن المستمر البصرى نا أبو عاصم) الضحاك بن مخلد (عن عثمان بن عبد الملك عن سالم) أى ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب تابعى جليل أحد الفقهاء السبعة بالمدينة كان رأسا فى العبادة والزهد كان يلبس الثوب بدرهمين وأقرانه مثل على بن الحسين زين العابدين وقاسم بن محمد وهم أبناء الخالات وأمهاتهم بنات يزدجرد ملك فارس (عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد فانه يجلوا البصر و ينبت الشعر) كرر المصنف هذا الحديث باسانيد مختلفة تقوية لاصل الخبر وتأكيد المضمونه لما تقدم من أن عباد بن منصور ضعيف اتفاقا وكان يدلس و رمى بالقدر قاله فى جمع الوسائل

﴿ باب ما جاء فى لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

اللباس بالكسر ما يلبس والمراد ما جاء فى بيان ما كان يلبسه من الثياب وما كان يقوله عند لبس الثوب الجديد وقد تقدم لنا قبيل الترجمة الاولى ان وجه ادخال اللباس والطعام والنوم والاثاث ونحو ذلك فى الشمائل أن هذه الامور مما تدعو اليه ضرورة الحياة فالحقوها بما هو ضرورى لا اختيار للعبد فيه ككمال الخلقة وحسن الصورة وأعقب اللباس للترجل والخضاب والكحل لانه نوع من الزينة و يستفاد من الباب بيان خلقه صلى الله عليه وسلم فى اللباس فان أحاديث الباب متضمنة لذلك والمأخوذ من الاحاديث التى سردها المصنف ومن غيرها انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتأنق فى لباسه ولم تطلب نفسه التعالى فيه ميلا للتواضع والعبودية واشارة الى أن هذا الطريق أسلم بالنسبة الى كل طريق وان كرم المؤمن وعزه انما هو بتقوى الله لا بارتكاب أوجه الترفعات الدنيوية والتميز بها بين عباد الله ولان المباهاة والتزين من شأن النساء والمحمود للرجال نظافة الثوب والتوسط فى جنسه وعدم اسقاطه لمروءة لابسه ومن كلام عمر رضى الله عنه اياكم

أى يقتلوه و يخرجوه فاعترضهم ابليس فى صورة رجل جميل من أهل نجد وأظهر لهم انه يريد نصحهم وأمرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار أنفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال أبو جهل نرى ان نأخذ من كل قبيلة غلاما قويا نعطيهم شفارا فيضربه كل ضربة فيفرق دمه فى القبائل فلم يقدر أحد من أهله على حرب قومهم فيأخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأى فاجمعوا عليه فأتاه جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا فى الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فامر عليا رضى الله تعالى عنه بأن ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق أحد منهم الا أخذ الله على بصره فلم يره ونثر على رأس كل واحد منهم ترابا كان فى يده وهو يتلو يس الى لا يبصرون وصح انه ما أصاب واحدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا بخيبتهم فوضع كل يده على رأسه فوجد التراب وفى هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية (أخرجوه منها وآواه غار وحمته حمامة و رقاء وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء واختفى منهم على قرب مرآ ه ومن شدة الظهور الخفاء) آواه أى ضمه والورقاء ما فى لونها بياض يخالطه سواد وما فى قوله ما كفته مفعول ثان لكفته الاولى أى كفته العنكبوت أمر الاعداء الذى كفته اياه الحمامة والحصداء مستعار من قولهم شجرة حصداء أى كثيرة الورق لكثرة ريشها كذا عند الشراح وخطأهم الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء وقال الصواب انها الجنانة بالجيم ونونين وهى الدرع لانها تجن صاحبها أى تستره عند الحرب وملاقاة العدو والحصداء بالمهملات والدال المحكمة النسج و يفسره قوله فى البردة ولبستين وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع الخ واختفى عطف على آواه وعلى بمعنى مع ومرآه أى محل رؤيته وفيه تعجيب للسامع وحكمة هذا الاستتار أن من جملة شدة الظهور عليهم بالغلبة والمعونة الالهية الخفاء عنهم الذى حصل له خرقا للعادة واتيانه بالظهور مرادا به ما ذكر ومقابلته بالخفاء الموهم انه أريد به ضده تورية وايهام ثم اسناد الاخراج اليهم مجاز لان ابذاءهم له كان السبب فى ذلك ثم انتظر الاذن فاذن له قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلنى

مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا أخرجه الترمذي وصححه الحاكم وذكر الحكيم أن خروجه عليه الصلاة والسلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها وجزم ابن اسحق بأنه خرج أول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم به الاموي في المغازي عن ابن اسحق وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار أن خروجه يوم الاثنين الا أن محمد بن موسى الخوارزمي

ولبستين لبسة مشهورة ولبسة محقورة وقال بعضهم

اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد مما يناسب لباس قومه وكان من عادتهم ولم يقتصر من اللباس على صنف بعينه حتى لا يتميز على الناس ويكون فيما بينهم كواحد منهم فكان يلبس الكساء الخشن ويقسم أقبية الخز المخوصة بالذهب في صحبه هذا هو الغالب من حاله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم لبس أيضا من الثياب الفاخرة وأكل من اللذيذات الطيبة الطاهرة *قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازي نا الفضل بن موسى وأبو تميلة) بالتاء المثناة مصغرا يحيى بن واضح المروزي الانصاري (وزيد ابن حباب) أخرج حديثه الستة كالذين قبله (عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أم سلمة) قيل اسمها هند (قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص) أحب بالرفع اسم كان والقميص بالنصب خبرها ان كان المقصود تعيين الاحب وبالعكس ان كان المقصود بيان حال القميص عنده صلى الله عليه وسلم ورجحه العصام بان أحب وصف فهو أولى بكونه حكما وهما روايتان على ماقاله بعض والثياب جمع ثوب وهو ما يلبسه الناس من الكتان والقطن والصوف والخز والفراء والقميص قال في القاموس معلوم وقد يؤنث ولا يكون الا من القطن وأما الصوف فلا انتهى وكأن حصره المذكور للغالب والظاهر ان كونه من القطن مراد في الحديث لان الصوف يؤذي البدن ويدر العرق ورائحته يتأذى بها وقد أخرج الدمياطي كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين وقد ورد ان المصطفى لم يكن له الا قميص واحد فعن عائشة قالت ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قط غداء لعشاء ولا عشاء لغداء ولا اتخذ من شئ زوجين لا قميصين ولا ازارين ولا رداءين ولا زوجين من النعال انظر المناوي وانما كان القميص أحب اليه لانه أستر للبدن لاحاطته بالبدن بالخياطة بخلاف الازار والرداء والشملة ونحوها مما يحتاج الى ربط أو امساك أو لف أو عقد اذ ربما غفل عنه لابسه فيسقط عنه بخلاف القميص ولانه أخف على البدن وأقل مؤنة ولان لبسه من الامر القديم كما يدل عليه آية اذهبوا بقميصي هذا الخ ويقال ان هذا القميص هو قميص الخليل عليه الصلاة والسلام الذي أتاه به جبريل من الجنة لما عري في ذات الله وكان بنوه يتوارثونه وكان من خاصيته ان المبتلى اذا لبسه عوفي ولما أخبر يوسف بأن يعقوب عليهما السلام ابيضت عيناه من الحزن بعث به اليه ليعافى مما كان به والله أعلم *قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا الفضل ابن موسى عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أم سلمة قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص) المتن واحد والاسناد متعدد فذكره للحكم مؤكد *قال المصنف (حدثنا زياد ابن أيوب البغدادي) قيل الرواية باهمال الدالين وقيل الاولى مهملة والثانية معجمة وقيل بالعكس وهو أبو هاشم طوسي الاصل أخرج حديثه الشيخان والترمذي والنسائي (نا أبو تميلة عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أمه) لم تسم (عن أم سلمة قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج أثناء ليلة الاثنين وكان مدة مقامه بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر وأخبر عليه الصلاة والسلام عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداله أبي وأمي والله ماجاء به في هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بابي أنت وأمي يارسول الله قال السهيلي وذلك أن عائشة قد كان ابوها أنكحها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أبو بكر فخذ بابي أنت وأمي يارسول الله احدى راحلتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن (فان قلت) لم لم يقبلها الا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ماهو أكثر من هذا فقبل (أجيب) بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه الصلاة والسلام في استكماله فضل الهجرة الى الله وأن تكون على أتم الاحوال اه قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا

لهما سفرة من جراب وجعلنا فيها شاة مطبوخة فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وقطعة أخرى ربطت بها فم القربة فبذلك سميت بذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور جبل بأسفل مكة ولم يعلم بخروجه عليه الصلاة والسلام الا علي وآل أبي بكر ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروى أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعي يضربنه ويلسعنه ودموعه تتحدر وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده وفي الدر المنثور مما أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك قال لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر يا رسول الله دعني لادخل قبلك فان كان حية أو شيء كانت بي قبلك قال ادخل فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فلما رأى جحرا أخذ قطعة من ثوبه ثم ألقمها الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع وبقي جحر فوضع عليه قدمه وقال ادخل فلما أصبح قال صلى الله عليه وسلم أين ثوبك يا أبا بكر فأخبره بالذي صنع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة فأوحى الله اليه ان الله قد استجاب لك اهـ وأخرج ابن مردويه عن جندب بن سفيان قال لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار قال له أبو بكر لا تدخل يا رسول الله حتى استبرئه فدخل أبو بكر الغار فأصاب يده شيء فجعل يمسح الدم عن أصبعه وهو يقول هل انت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت اهـ وهذه مخاطرة منه رضي الله عنه بروحه وتغرير بنفسه في محبة

القميص) فقد اورد المصنف هذا الحديث بثلاثة أسانيد الا أن هذا السند الثالث يغاير الاسنادين قبله بزيادة عن أمه مع مغايرة بعض رجاله ووقع في هذا الاسناد في بعض النسخ جملة يلبسه قبل القميص أي كان يحبه للبسه لا لنحو افتراشه أو التغطي به أو اهدائه ثم لما كان قد يتوهم ان زيادة عن أمه من تصرفاته لمعرفته أنه سقط من اسناد زياد فدفع نقصان الاسناد بهذه الزيادة لم يكتف بالاسناد المتقدم وعقبه بقوله (قال) أي أبو عيسى المصنف كما في بعض النسخ وحذفه لدلالة السياق عليه (هكذا قال زياد بن أيوب في حديثه) أي بزيادة عن أمه في السند فالاشارة الى السابق والى اللاحق وهو ما في الاسناد من قوله (عن عبد الله بن بريدة عن أمه عن أم سلمة) ولم يكتف باسم الاشارة عن قوله عبد الله الخ لئلا يتوهم ان هكذا اشارة الى متن الحديث ثم أشار بقوله (وهكذا روى غير واحد) الى أن غير واحد من مشايخه من أهل الضبط والاتقان روى (عن أبي تميلة مثل رواية زياد بن أيوب) والمقصود بهذا تقوية رواية زياد بن أيوب وأما قوله (وأبو تميلة يزيد في هذا الحديث) أي في ذكره (عن أمه) فأشار به الى أنه لم يزد من الرواة عن عبد المؤمن هذه الزيادة وهي عن أمه الا أبو تميلة دون رفيقيه الفضل بن موسى وزيد بن حباب وغيرهم فانهم كلهم لم يزيدوا عن أمه وأما الرواة عن أبي تميلة فيفهم مما تقدم ان جميعهم روى عنه هذه الزيادة كزياد بن أيوب وغيره من مشايخ المصنف الا محمد بن حميد الرازي ثم أشار الى ترجيح زيادة عن أمه فقال (وهو أصح) في جامع المصنف انه سمع محمد بن اسمعيل يعني البخاري يقول حديث ابن بريدة عن أمه عن أم سلمة أصح اهـ فالمصنف مسبوق بهذا التصحيح وبذلك تعلم بطلان قوله في جمع الوسائل ان قائل هو أصح هو أبو تميلة وان المعنى أنه عقب قوله عن أمه بقوله وهو أصح وانما زاد قوله عن أمه تعيينا لموقع هذه الزيادة اهـ وانما حكم البخاري بكونه أصح اما لانه لم يثبت عنده سماع عبد الله بن بريدة عن أم سلمة مطلقاً أو في هذا الحديث بخصوصه واما لان أبا تميلة أوثق وأحفظ من رفيقيه وهما الفضل بن موسى وزيد بن حباب فان علي بن المديني قدم أبا تميلة على الفضل بن موسى وقال روى الفضل أحاديث مناكير وقال أحمد زيد بن الحباب صدوق ولكنه كان كثير الخطا واما أبو تميلة فثقة يحتج به عند الجماعة والله اعلم انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن محمد بن الحجاج) صدوق اخرج حديثه الترمذي فقط (نا معاذ بن هشام) اخرج حديثه الستة (حدثني أبي عن بديل) بدال مهملة مصغرا (يعني ابن ميسرة) هكذا الصواب كما حققه المحققون في أسماء الرجال كالمزني والذهبي والعسقلاني ووقع في بعض نسخ الشمائل بديل بن صليب بضم الصاد وفتح اللام وسكون الياء بعدها باء موحدة (العقيلي عن شهر بن حوشب) صدوق كثير الارسال قال النووي في شرح مسلم وثقه كثيرون من أئمة السلف حتى قال احمد بن حنبل ما احسن حديثه (عن أسماء بنت يزيد) الانصارى صحابية لها أحاديث (قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم) واصلا (الى الرسغ) في النسخ بالسين والصاد بدل السين لغة فيه وهو مفصل الساعد والكف وفي جعل الكم الى الرسغ توسط لانه متى جاوز اليد شق على لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش ومتى قصر عن الرسغ تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد

محبو به صلى الله عليه وسلم وعند ذلك يفتح باب الوصل للمحبين و يباح التمتع بالشهود للمشتاقين و يرحم الله القائل

ومن لم يخاطر فى هواه بروحه * فذاك برؤيا الحسن لا يتمتع و بكاؤه لم يكن شكاية بما لاقاه وحصل له فى طريق الحب انما كان من غلبة الالم والخوف من وصول ذلك الى الحبيب بعد موته هو ولو علم انه يموت و يسلم حبيبه و يبقى ماضره ذلك فان المحبين يفرحون ببذل أرواحهم فى محبوبهم ورضاه عنهم بذلك و يحصل لهم بذلك غاية السرور ولقد كان لسان حاله (٧٣) رضى الله عنه يقول قد لذلى فيك وجدى فاست بالوجد أشقى ولا أريد التشكى لما أنا فيك ألقى فان أمت فسرورى بأن أموت وتبقى و يحتمل أن يكون بكاؤه فرحا بما من الله به عليه من مرافقة حبيبه وخلوته بخليله وقد بكى لما أخبره بالهجرة معه ولما ذكر ابن اسحق قول عائشة ما كنت أرى أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح قال السهيلى فى الروض قالت ذلك لصغر سنها وانها لم تكن عالمة بذلك قبل وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فأخذته استحسانا له فقال الطائى يصف السحاب

دهم ادا وكفت فى روضة طفقت

عيون أزهارها تبكى من الفرح

وقال أبو الطيب و زاد على هذا المعنى

فلا تنكرن لها صرعة

فمن فرح النفس ما يقتل

وقال بعض المحدثين

ورد الكتاب من الحبيب بأنه

سيزورنى فاستعبرت أجفانى

(١٠ - جسوس) غلب السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى أبكانى (٥) اه وهذا لا ينافيه لا تحزن لانه قد يتبدل الحال برؤية ما يشوش الخيال من الخيال وفى مسند البزار ان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم

(٥) و بعده ياعين صار الدمع منك سجية * تبكين فى فرح وفى أحزان اه من هامش الاصل

والبرد وأخرج السيوطى عن ابن عباس كان يلبس قميصا وكان فوق الكعبين وكان كاه مع الاصابع وجمع بعض بينهما بأن هذا فى الحضر وذاك فى السفر أو يحمل على تعدد القميص أو تحمل رواية الكتاب على التخمين والتقريب و روى عن على رضى الله عنه انه ابتاع قميصا وأمر الخياط أن يقطع من كميه ما زاد على الاصابع وقال لا فضل للكمين على الاصابع ففى هذا دليل على ان السنة أن لا يتجاوز كم القميص الاصابع وفى حاشية الحطاب على الرسالة قال القرافى فى شرح الجلاب قال ابن شعبان فى الزاهى لا ينبغى أن يضيق الكم والجمال أقرب عند الله عز وجل وقد رد شريح شهادة رجل ضيق الكم قال مالك قصر الكم مثلة اه كلام القرافى وقال فى مختصر المدارك لابن رشيق قال مالك حياة الثوب طيه وعيبه قصر أكمامه اه وفى العارضة السنة فى القميص أن لا يطول كمه اه الحطاب و يريد بتطويل الكم أن يطول جدا ليتفق كلامه مع ما تقدم انتهى * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث نا أبو نعيم نا زهير عن عروة بن عبد الله بن قشير عن معاوية بن قرة) أخرج حديثه الستة (عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط) فى القاموس بسكون الهاء و يحرك قوم الرجل وقبيلته أو من ثلاثة الى عشرة وفى بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا فى أمم (من مزينة) صفة لرهط وهى قبيلة معروفة من مضر (لنبايعه) متعلق بأتيت (وان قميصه لمطلق) قال العسقلانى أى محلول غير مزرور والجملة حال (أو قال زر قميصه مطلق) بلا لام أى غير مشدود والازرار والشك من شيخ الترمذى فان ابن سعد أخرج عن أبى نعيم بهذا الاسناد ولم يشك بل قال ان قميصه لمطلق وأخرج أيضا من طريق عبد الله بن يونس والحسن بن موسى جميعا عن زهير بهذا اللفظ بغير شك فوهم من قال الشك من معاوية أو من دونه زاد ابن سعد قال عروة فما رأيت معاوية ولا أباه الا مطلقى الازرار فى شتاء ولا فى خريف اه والعبارة غير صريحة فى أنه كان لجيب قميصه زر وعروة فيحتمل أنه لم يكن له زر ولا عروة و يؤيد هذا ما ذكره ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عمر انه قال ما اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصا له زر (قال) أى قرة (فأدخلت يدى) بصيغة الافراد (فى جيب قميصه) المراد بالجيب هنا الطوق وفائدته الاتساع ليدخل الرأس بسهولة وأكثر ما كان على الصدر وقد يكون على أحد الكتفين قال فى العارضة ولا نبالى بالجيب كان بالمقدم أو بالجنب الا أن يكون للناس عادة يسلكونها فذلك أسلم للمرء قال الاسماعيلى جيب الثوب أى جعل فيه ثقبا يخرج منه الرأس قال العسقلانى وقوله فادخلت يدى يقتضى ان جيب قميصه كان فى صدره اه نقله فى جمع الوسائل وسلمه وانظر من أين يقتضى ذلك وقد يطلق الجيب على ما يجعل فى صدر الثوب ليوضع فيه الشئ و بذلك فسره أبو عبيد وليس هو المراد هنا (فمسست) بكسر السين الاولى على اللغة الفصيحة وحكى أبو عبيد الفتح أيضا (الخاتم) أى خاتم النبوة بقصد التبرك ومن ثم اغتفر له هذا الامر المنافى لرعاية الادب وفيه كمال تواضعه عليه الصلاة والسلام وان جعل جيب القميص على الصدر ليس ببدعة كما ظن من لا علم عنده وهذا على تسليم ما قاله العسقلانى وحل اطلاقه وسعته بحيث تدخل اليد فيه * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد) أخرج حديثه مسلم وغيره (نا محمد بن الفضل) اى السدوسى لانه الذى

وهراو بهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير الاحمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وقد روى ان الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخل لكسر البيض ونفسخ نسج العنكبوت * وذكر فى المواهب عن الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار اعين الكفار وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك حتى قيل

ودود القز ان نسجت حريرا
يجمل لبسه فى كل شى
فان العنكبوت أجل منها
بما نسجت على رأس النبى

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار * وقد صرحوا بأن العنكبوت انما كان مانعا من اقتحام الغار ودخوله لامن رؤيتهما وانما الله تعالى صرف أبصارهم بدليل ما ورد ان بعضهم جاء الى فم الغار وبال وهما ينظران اليه وفى الصحيح عن أنس قال أبو بكر يارسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدمه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما وروى أيضا ان أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحزن ان الله معنا يعنى بالمعونة والنصر فأنزل الله سكينته عليه أى على أبى بكر لانه كان منزعجا وأيده يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملائكة ليحرسوه فى الغار أو ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيتهما وقيل ان أبا بكر لما رأى الكفار وهو فى الغار ذكر ذلك للمصطفى صلى الله عليه وسلم فقال لو جاؤنا من هنا خرجنا من هنا فنظر أبو بكر الغار وقد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر وسفينة بجانب الغار قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر لكن لم يرد اهـ قال فى المواهب انظر وفى

أخرج عنه المصنف فى الشمائل (نا حماد بن سلمة عن حبيب) بفتح المهملة وكسر الموحدة (ابن الشهيد عن الحسن) أى البصرى (عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج) أى من بيته (وهو متكئ) أى معتمد (على أسامة بن زيد) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولاه وابن مولاته أم أيمن وحبه وابن حبه أمره على جيش فيه أبو بكر وعمر وهو دون عشرين سنة وسيأتى فى باب الاتكاء عن أنس بلفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان شاكيا فخرج يتوكأ على أسامة الخ وهذا يحتمل أن يكون فى شكواه الذى مات فيه وأن يكون فى مرض آخر والاول أظهر ففى رواية الدارقطنى أنه خرج بين أسامة بن زيد والفضل بن عباس الى الصلاة فى مرضه الذى مات فيه فصلى بأصحابه ويؤيده أيضا ما عند البخارى عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه وعليه ملحفة متغطيا بها قال العسقلانى أى متوشحا مرتديا ويعضده قول المصنف (عليه) أى على النبي صلى الله عليه وسلم (ثوب) بالتنوين (قطرى) منسوب الى قطر بكسر القاف بلد باليمن يجلب منها برود فيها حمرة ولها أعلام وفيها بعض الخشونة والجملة الاولى حال من فاعل خرج بالضمير والواو معا وهذه الجملة حال أيضا بالضمير وحده نحو كلمته فوه الى فى (قد توشح به) يقال توشح بثوبه وبسيفه اذا ألقاه على عاتقه كالوشاح قال بعض والمراد ههنا انه أدخل الثوب تحت يده اليمنى وألقاه على منكبه الايسر كما يفعل المحرم ويأتى قول آخر فى معنى التوشيح (وصلى بهم) أخرج ابن سعد من طريق أبى ضمرة الليثى عن حميد عن أنس انه قال آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم فى مرضه الذى قبض فيه فى ثوب واحد متوشحا به قاعدا * قال المصنف (قال عبد بن حميد) شيخ المصنف (قال محمد بن الفضل سألنى يحيى بن معين) بفتح الميم مجمع على جلالته وثقته وحفظه وتقدمه فى هذا الشان حتى قال أحمد بن حنبل السماع من يحيى بن معين شفاء لما فى الصدور وغسل على السرير الذى غسل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل على ما حمل عليه صلى الله عليه وسلم تشريفا له ذكره العصام (عن هذا الحديث) الذى فيه ذكر لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول ما جلس الى) أى أول زمان جلوسه أو زمان أول جلوسه (فقلت نا حماد بن سلمة فقال) يحيى بن معين (لو كان) أى التحديث (من كتابك) أى لكان خيرا لكونه أوثق ويحتمل أن تكون لو للتمنى فلا تحتاج الى جواب (فقمت) أى من المجلس (لاخرج كتابى) أى كتاب روايتى من بيتى (فقبض) يحيى (على ثوبى) أى أمسكه مانعا لى من القيام (ثم قال أمله على) بفتح الهمز وكسر الميم وتشديد اللام المفتوحة أمر من الاملال وهو بمعنى الاملاء يقال أمللت الكتاب وأمليته اذا ألقيته على الكاتب ليكتبه وفى بعض النسخ بسكون الميم وكسر اللام المخففة من الاملاء أى حدثنى بالاملاء أولا (فانى أخاف أن لا ألقاك) أى ثانيا لمانع كموت أحدهما قبل تلاقيهما ولذا قيل الوقت قاطع وبرق الخوف لامع وفيه كمال التحريض على تحصيل العلم والسير والتنفير من الامل سيما فى الاستباق الى الخيرات (قال) أى محمد (فأمليته عليه) أى على يحيى وفى نسخة فأمليت عليه بدون الضمير المنصوب والجمع بين اللغتين تفنن فى العبارة (ثم أخرجت كتابى فقرأت عليه) أى الحديث من اصلى أيضا

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوّى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا فكانت تحفة ثانى اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثانى فى الاسلام والثانى فى بذل النفس ولما وقى الرسول عليه السلام بماله ونفسه جوزى بجواراته معه فى رمسه وقام مؤذن التشريف ينادى على منابر الامصار ثانى اثنين اذ هما فى الغار ولقد أحسن حسان حيث قال لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم هل قلت فى أبى بكر شيأ اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا (٧٥) خير البرية أتقاها وأعدلها *

بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى الثانى المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا
وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد
طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من الخلائق لم يعدل به بدلا
فقال له أحسنت ياحسان وتأمل قول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل كلا ان معى ربى سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم تتعد منه المعية الى أتباعه ونبينا تعدت منه الى الصديق فلذا لم يقل معى لانه أمد سيدنا أبا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة الى أبى بكر والا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلى والشهود وأين معية الربوبية فى قصة موسى عليه السلام من معية الالهية فى قصة نبينا صلى الله عليه وسلم اه ﴿تنبيهان * الاول﴾ المشهور ان مكثهما فى الغار كان ثلاث ليال وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف أى ثابت المعرفة بما يحتاج اليه لقن أى سريع الفهم فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم فيريحها حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث وكان صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه استأجرا عبد الله بن أريقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام

وفى نقل رواية عبد بن حميد قول محمد بن الفضل مزيد توثيق لهذا السند اذ محمد بن الفضل كان ممن ستوثق به يحيى بن معين وكان واثقا فى هذا الحديث حيث وافقت روايته قراءته من كتابه قاله العصام *قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر أنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن اياس الجريرى) بضم الجيم (عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا) أى لبس ثوبا جديدا وعند ابن حبان من حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة (سماه باسمه) أى الموضوع له لا باسم خاص بخلاف أسلحته ودوابه فقد كان يجعل لها أسماء خاصة تتميز بها (عمامة أو قميصا أو رداء) بدل من قوله ثوبا أو من قوله باسمه لانه فى محل نصب على أنه مفعول ثان لسماه والمراد انه ان كان عمامة سماه عمامة وان كان قميصا سماه قميصا وهكذا مثل أن يقول رزقنى الله هذا القميص أو كسانى هذه العمامة (ثم يقول) أى بعد التسمية واللبس (اللهم لك الحمد كما كسوتنيه) الضمير راجع الى المسمى قال بعضهم ويحتمل أن يكون المراد بقوله سماه باسمه أن يأتى باسمه بدلا عن ضمير كسوتنيه بأن يقول اللهم لك الحمد كما كسوتنى هذا القميص أو هذه العمامة مثلا قال الطيبى والاول أظهر للعطف ثم اه وما مصدرية والكاف بمعنى على أو للتعليل على حد اذكروه كما هداكم أو للتشبيه أى الحمد على قدر نعمة الكسوة وبطبقه وازائه فالجار والمجرور راجع لقوله لك الحمد على الاظهر ويبعد أن يكون راجعا لقوله (أسألك خيره) اى ان توصل الى خيره (وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له) وخير الثوب بقاؤه ونقاؤه وكونه ملبوسا للضرورة والحاجة لا للفخر والخيلاء وكونه حلالا وخير ما صنع له هو دفع الضرورات التى من أجلها يصنع اللباس من الحر والبرد وشر الثوب عكس المذكورات وهو كونه حراما أو نجسا أو لم يبق زمانا طويلا او يكون ملبوسا للمعاصى والشرور وشر ما صنع له ان لا يتوصل به الى المطلوب من دفع الضرر ويحتمل ان يكون معنى خير ما صنع له أى خير ما خلق له وهو الشكر بالجوارح والقلب وشر ما صنع له اى خلق له وهو الكفران انظر جمع الوسائل فقد اشار الى الاحتمالين ﴿قلت﴾ ويحتمل ان يكون المعنى اسألك خيره وهو دفع ضرورة الحر والبرد والتجمل وخير ما صنع له اى ما شأنه ان يتخذ له كالصلاة به واظهار نعمة الله ونحو ذلك من المقاصد الحسنة وشره ان يكون مشؤوما على لابسه بان يحسد عليه ويؤذى من اجله بقتل او ضرب او نحو ذلك وشر ما صنع له ان يلبسه بنية سيئة كالكبر والخيلاء ونحو ذلك وهذا الاحتمال اقرب وللشراح هنا خبط كثير هذا وقد ورد فيما يدعو به من لبس ثوبا جديدا احاديث اخر منها ما اخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه والمؤلف فى جامعه وحسنه من حديث عمر مرفوعا من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما اوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى خلق فتصدق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله وفى ستر الله حيا وميتا ومنها ما اخرجه الامام احمد والمؤلف فى جامعه وحسنه وابو داود والحاكم وصححه وابن ماجه من حديث معاذ بن انس مرفوعا من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه زاد ابو داود فى روايته وما تأخر * قال المصنف رضى الله تعالى عنه (حدثنا هشام

ابن يونس السكوفى نا القاسم بن مالك المزنى عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه) أى فى المعنى ولو قال مثله يراد فى اللفظ كما تقدم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أنس بن مالك قال كان أحب الثياب) بالرفع والنصب (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه) ضمير المذكر لأحب وفى نسخة يلبسها وضمير المؤنث للثياب وهو احتراز من الافتراش وغيره (الحبرة) كعنبة خبر كان أو اسمها وهى نوع من برود اليمن تتخذ من كتان أو قطن مخططة بخطوط حمر وربما كانت بزرق أو خضر * قال القرطبى سميت حبرة لانها تحبر أى تزين والتحبير التحسين قال المناوى انما كانت أحب اليه للينها وموافقتها لجسده الشريف فانه كان على غاية من النعومة واللين ونحو الخشن يؤذيه ولا ينافى هذا ما سبق لان ذلك بالنسبة للمخيط وهذا لما يرتدى به أو القميص اذا كان عند نسائه والحبرة حين يكون بين أصحابه أو كان يتخذ القميص من الحبرة اه أو المراد ان ما ذكر من جملة الاحب كما قيل فيما ورد فى كثير من الاشياء انه أفضل العبادات قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن غيلان نا عبد الرزاق أنا سفيان) أى الثورى كما فى نسخة وقيل ابن عيينة (عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم) أى فى بطحاء مكة وهو موضع خارج مكة ويقال له الابطح ففى البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى بهم بالبطحاء بالهاجرة وخرج فى حلة حمراء مشمس وفيه أيضا قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ورأيت الناس يبتدرون بلل وضوئه اى ما فضل من ماء وضوئه فمن أصاب منه شيئا مسح به وجهه ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل صاحبه وزاد من طريق شعبة عن عون عن أبيه وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهى فاذا هى أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك (وعليه حلة حمراء) تقدم فى الباب الاول بيانها (كأنى أنظر) أى الآن (الى بريق ساقيه) أى لمعانه وفيه اشارة الى مطلوبية تقصير الثياب وسيأتى ما فى ذلك (قال سفيان) المطلق من هذا الاسم يراد به الثورى واذا أطلق الحسن فالمراد به البصرى واذا أطلق عبد الله فهو ابن مسعود قاله فى جمع الوسائل (أراها) بضم الهمزة (حبرة) أى أظن الحلة الحمراء حبرة أى ثوبا مخططا بخطوط حمر وفى نسخة نراه حبرة بضم النون وذكر الضمير بتأويل الحلة بالثوب وكأنه انما فسرها بذلك جمعا بين الادلة لحديث النهى عن لبس الاحمر أخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال رأى على النبى صلى الله عليه وسلم ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما وفى لفظ له فقلت أغسلهما فقال احرقهما والمعصفر هو المصبوغ بالعصفر وغالب ما يصبغ به يكون أحمر وهذا الذى قاله سفيان من تخصيص المنع بالذى يصبغ كله دون المخطط هو أحد الاقوال فى لبس الاحمر وللعلماء فى لبس الاحمر أقوال أحدها الجواز مطلقا أخذا بظاهر حديث وعليه حلة حمراء المنع مطلقا لحديث مسلم المتقدم ثالثها كراهة المفدم دون ما كان خفيفا لحديث ابن عمر نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المفدم بالفاء وتشديد الدال رابعها كراهة الاحمر مطلقا فى المحافل للشهرة ويجوز فى البيوت خامسها اختصاص النهى بما صبغ بعد النسج دون

صبغ

(١) فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق الساحل (الثانى) فى حديث أخرجه أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل العنكبوت وقال انه جند من جنود الله واخرج ابن سعد عن أبى بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك يا أبا بكر فى الغار قال المناوى وهذا فى عنكبوت خاص وهو ما لا يؤذى وأما (٧٦) ما يؤذى ففيه ورد ما أخرجه ابن عدى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال العنكبوت شيطان مسخه الله تعالى فاقتلوه أى ندبا وأخرج أبو داود فى مراسيله انه صلى الله عليه وسلم قال العنكبوت شيطان فاقتلوه انتهى (ونحا المصطفى المدينة واشتاقت اليه من مكة الانحاء) أى وقصد المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة مع أبى بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله ابن اريقط وذكر غير واحد انهم مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية (٢)

(٨) لفظ السهيلى فى الروض ولم يكن اذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح انه أسلم من بعد ذلك اه وفى الاصابة لابن حجر ولم أر من ذكره فى الصحابة الا الذهبى فى التجريد اه وفى نور النبراس أنه صحابى أسلم بعد هذه القصة اه من خط المؤلف بواسطة

(٢) قال السهيلى فى الروض وأما أم معبد التى مر بخيمتها فاسمها عاتكة بنت خالد احدى بنى كعب من خزاعة وهى أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية وقد قدمت أم معبد المدينة ومعها ابن لها قد بلغ السعى فمر فى المدينة على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق الى أمه يشتد فقال لها يا أمتاه انى رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يا بنى ويحك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها أبو معبد يقال ان له رواية أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرف اسمه وكان منزل أم معبد بقديد اه بمعناه وانظر آخر الاستيعاب لابن عبد البر فقد استوعب خبرها اه من خط المؤلف

صبغ غزله ثم نسج بناء على أن الحلة الحمراء والبرود الحمر التي لبسها النبي صلى الله عليه وسلم نسجت بعد صبغ غزلها سادسها اختصاص النهي بما يصبغ بالعصفر لورود النهي عنه دون ما صبغ بغيره ثم القائلون بالنهي منهم من علل بأنه من زي الاعاجم ومنهم من علل بما فيه من التشبه بالنساء وعلى الوجهين يكون النهي عنه لا لذاته بل للتشبه ومنهم من علل بالشهرة أو خرم المروءة وعليه فيفرق بين لبسه في المحافل والبيوت انظر العسقلاني وأخرج البيهقي في الشعب من طريق أبي بكر الهذلي وهو ضعيف عن الحسن البصري عن رافع بن يزيد الثقفي رفعه ان الشيطان يحب الحمرة فاياكم والحمرة وكل ثوب ذي شهرة انظر جمع الوسائل وقد ترجم البخاري بباب القبة الحمراء من أدم اشارة الى تضعيف أحاديث النهي عن الاحمر فانظره وقال عياض أجاز لبسه جماعة من السلف والفقهاء والشافعي وأهل الكوفة وقال مالك لا أعلمه حراما وغيره أحب الي منه انظر تمامه فقد ذكر ما في المسئلة من الخلاف وفي الابي بعد أن ذكر الخلاف ما نصه نعم قد يختص بلباسه في بعض الاوقات أهل الفسق والدعارة فيكره التشبه بهم وقد قال عليه السلام من تشبه بقوم فهو منهم ولا يختص هذا بالحمرة بل في جميع الالوان والاحوال حتى لو اختص أهل الفسق والظلم بشيء مما أصابته السنة كالخاتم والخضاب فينبغي لاهل الفضل أن لا يتشبهوا بهم وأيضا فقد يظن من لا يعرفهم أنهم منهم فيكون قد أعان على اساءة الظن به اهـ * قال المصنف (حدثنا علي بن خشرم نا عيسى بن يونس عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال ما رأيت احدا من الناس أحسن في حلة حمراء) لبيان الواقع لا للتقييد (من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كانت جمته) كأنه أطلقها على مطلق الشعر (لتضرب قريبا من منكبيه) * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا عبيد الله بن اياد) زاد في نسخة وهو ابن لقيط (عن أبيه عن أبي رمثة) بكسر الراء وسكون الميم وفتح المثلثة قاله المناوي (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان) في النهاية البرد نوع من الثياب مخطط معروف (أخضران) أي فيهما خطوط خضر لما تقدم عن النهاية وتقدم لنا في باب الشيب أن الاخضر أكثر لباس أهل الجنة كما ورد وقال ابن بطال الثياب الخضر من لباس أهل الجنة وكفى بذلك شرفا قال في جمع الوسائل قلت ولذلك صارت ثياب الشرفاء وهذا الحديث قال المؤلف في جامعه حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن اياد وفي المشكاة عن يعلى بن أمية قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا ببرد أخضر رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي انظر جمع الوسائل * قال المصنف رحمه الله (حدثنا عبد بن حميد نا عفان بن مسلم نا عبد الله بن حسان) بالصرف وعدمه (العنبري عن جدتيه دحيبة وعليبة) بالتصغير فيهما (عن قيلة بنت مخرمة) كذا وقع في نسخ الشمائل والصواب عن جدتيه دحيبة وصفية بنتي عليبة وهكذا ذكره المؤلف على الصواب في جامعه وابن منده وابن سعد في الطبقات وهما جدتا عبد الله بن حسان احداهما من قبل الاب والاخرى من قبل الام لوقوع الزواج بين ابن الخالة وبنت الخالة وهما يرويان عن جدة أبيهما قيلة بنت مخرمة وكانت ربتهما وكانت من الصحابيات وبهذا

وكانت امرأة برزة (٣) جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها تمرا ولحما ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيأ من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين فنظر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت خلفها الجهد عن الغنم قال هل فيها من لبن قالت هي أجهد من ذلك قال أفتأذنين لي أن أحلبها قالت نعم بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا حتى ملأه ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء أبو معبد زوجها يسوق أعنزا عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فوصفته له فقال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا اهـ قوله مرملين أي نفدت أزوادهم ومسنتين أي مجدبين وكسر الخيمة جانبها وتفاجت بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط أي يرويهم ويثقلهم والثج السيلان وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر ابن الخطاب وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما في الارض لبن قليل ولا كثير قوله واشتاقت اليه من مكة الانحاء أي النواحي والجهات فهو جمع نحو والنحو الجهة يعني ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا الى المدينة اشتاقت اليه مكة وحنت له وتأسفت على فراقه وتلهفت لذهابه وتوحشت لفقد الانس به اذ هو روح الكون كله وسر الوجود بأسره واشتياقها اليه وحنينها له صلى الله عليه وسلم حقيقة لا مجاز على الاصح وراجع ما تقدم

(٣) برزة على وزن ضخمة أي تبرز وليست محجوبة كالصغيرة من النساء ومعنى جلدة ذات قوة وشدة اهـ مؤلف

من حنين الجذع اليه وغيره وقد أنشد بعض الصحابة   الصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه لا يحمد   ومن جملة انجازه مكة الجمار الثلاث والمقام والبيت والمواقف والصفا والمروة وغيرها من نواحي الحرم وقد صرحوا بأن ألم الفراق أشد من ألم النار ﴿تنبيه﴾ كما اشتاقت مكة للحبيب صلى الله عليه وسلم اشتاق هو لها لما لها من النسبة اذ فيها بيت الله تعالى ومزار الانبياء ومنزل الرحمة ومحل التعظيم والاجلال حتى وعده الله بدخولها والتمكن من تطهيرها من آثار الكفر والتصرف فيها بمقتضى الحق فقال تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي الى معاد له شأن وبه اعتداد وذلك يوم الفتح لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور الاسلام وأهله وخمود الشرك وحزبه فالتنكير في معاد للتعظيم وبهذا الوصل منه عاد لمكة رونقها وانسها وزالت وحشتها وحزنها وبه أمكنها الصبر ولم تضمحل أجزاؤها لان الفراق اذا لم يكن عن بغض وتسخط من المحبوب فانه يرجى بعده الوصل ولا يعد هجراً الا في الصورة دون الحقيقة * قال ابن الفارض رحمه الله

اذا كان حظي الهجر منكم ولم يكن * بعاد فذاك الهجر عندي هو الوصل
وما الصد الا الود ما لم يكن قلى * وأصعب شيء غير اعراضكم سهل

(وتغنت بمدحه الجن حتى أطرب الانس منه ذاك الغناء)

تعلم بطلان ما قاله ابن حجر انظر جمع الوسائل (قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه أسمال مليتين) من قبيل جرد قطيفة فهو من اضافة الصفة الى الموصوف والاصل مليتان سملان والمراد بالجمع ما فوق الواحد ليطابق التثنية ومفرده سمل بفتحتين يقال ثوب سمل اذا كان خلقا ويقال ثوب اسمال اذا كانت الخلوقة فيه كله فالجمع اشارة الى أن كل جزء منه خلق حتى كأنه صار قطعا كما يقال برمة أعشار اذا انكسرت قطعا وهو أحد ما جاء على بناء الجمع ومليتين تثنية ملية بتشديد الياء تصغير ملاءة بالضم والمد لكن بعد حذف الالف قيل الازار وقيل الملحفة ويصدق بكل منهما قول القاموس هي كل ثوب لم يضم بعضه لبعض بخيط بل كله نسج واحد (كانتا) أي المليتان (بزعفران) أي مصبوغتين به (وقد نفضته) أي نفضت الاسمال الزعفران أو نفضت كل واحدة من المليتين الزعفران وفي نسخة نفضتا بالبناء للفاعل والفاعل ضمير المليتين والمفعول محذوف أي نفضت المليتان لون الزعفران وأصل النفض التحريك فاسناد النفض الى المليتين مجاز ويجوز أن يكون من قولهم نفض الثوب نفوضا فهو نافض أي ذهب بعض لونه وزال معظم صبغه ولم يبق الا اليسير منه وعليه فلا يحتاج الى ارتكاب حذف المفعول لكن يؤيد حذف المفعول نسخة نفضته بذكر المفعول ونسخة نفضتا بالبناء للمفعول ولا ينافي ما هنا ما في صحيح البخاري عن أنس نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل لان المراد أن يستعمله في بدنه لما فيه من التشبه بالنساء نعم فيه أيضا عن ابن عمر نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يلبس المحرم ثوبا مصبوغا بورس أو زعفران لكن مفهوم المحرم ان الحلال يجوز له ذلك وهذا مذهب مالك ومن يقول ان النهي عن لبس المزعفر يعتذر عما هنا بأنه لما نفض كان الباقي منه بمنزلة العدم قال في جمع الوسائل ويمكن أن يكون قبل النهي ويدل عليه ما في القصة الطويلة انها كانت في أول الاسلام ويأتي لهذا تتمة في باب الخلق في قوله عليه السلام لو قلتم له يدع هذه الصفرة وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم اتى آثر بذاذة الهيئة ورثاثة اللبسة جريا على ما تقتضيه حالة العبودية وميلا الى التواضع وغير ذلك مما تقدم وقد تبعه على ذلك السلف الصالح وجمهور الصوفية وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت اللحوق بي فليكن بلغتك من الدنيا كزاد الراكب ولا تستبدلي ثوبا حتى ترقعيه واياك ومجالسة الاغنياء وقال أبو هريرة كانت عائشة تتصدق بعشرة آلاف ودرعها مخروق وكانت تقول لا حاجة لي في الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لسلمان الفارسي مالك لا تلبس الخز من الثياب فقال ما للعبد وللثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى أبدا وقد طاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه ثوب مرقع بأزيد من اثنتي عشرة رقعة وكان منها اثنان من أدم وقد لبس يوم القدس جبته وهي مبلولة فعارضه في ذلك أبو عبيدة فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام فان طلبنا العز بغيره أذلنا الله فلما خرجت اليه الاحبار ووجدوه لابسا جبة مبلولة على بعير مخطوم قالوا كذا وجدنا انه يدخل علينا فلم يكن تنافسهم في تزيين الظاهر بالثياب السنية واستعمال المراكب البهية وانما كان المدار عندهم على طهارة القلوب ومراقبة علام الغيوب وما أحسن قول الشافعي رضي الله عنه

قالت أسماء بنت أبي بكر لما خفي علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام   ونفعنا
فخرجت اليهم فقال أين أبوك فقلت لا والله لا أدري أين أبي قالت فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم وجهي لطمة خرج منها قرطي
قالت وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو ينشد   جزى الله رب الناس خير جزائه *
رفيقين حلا خيمتي أم معبد   هما نزلاها بالهدى فاهتدت به * فقد فاز من أمسى رفيق محمد (١)   فيال قصي ما زوى الله عنكم *

(١) هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من أمسى رفيق محمد   كذا أنشده في الروض والذي في الاصل هو لفظ الاستيعاب اه مؤلف

بەمن فعال لا تجارى وسودد   لیهن بنی کعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنین بمرصد   سلوا أختکم عن شاتها وانائها *
فانکم ان تسألوا الشاة تشهد   دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصریح ضرة الشاة مزبد   فغادرها رهنا لدیها لحالب *
یرددها فی مصدر ثم مورد   فلما سمع ذلك حسان بن ثابت جعل یجاوب الهاتف وهو یقول (١) لقد خاب قوم غاب عنهم نبیهم *
وقدس من یسری الیهم و یقتدی   ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل علی قوم بنور مجدد هداهم به بعد الضلالة ربهم *

و نفعنا به آمین

علی ثیاب لو یباع جمیعها * بفلس لکان الفلس منهن أکثرا
وفیهن نفس لو یقاس ببعضها * نفوس الوری کانت أعز وأکبرا
وماضر نصل السیف اخلاق غمده * اذا کان عضبا حیث وجهته فرا

(وأنشدوا)

ماعیدك الفخم الا یوم یغفرلك * لاأن تجر به مستکبرا حللك
کم من جدید ثیاب دینه خلق * تکاد تلعنه الاقطار حین سلك
وکم مرقع أطمار جدید تقی * بکت علیه السما والارض حین هلك

ولما صار لباس الدون زی أهل الخصوصیة وتمیز وابذلك عن الناس تزیا بزیهم من لیس منهم فاتخذوا رثاثة الهیئة حیلة علی جلب الدنیا وشبکة یصطادون بها قلوب أهلها فانعکس الحال وصارت مخالفتهم فی ذلك لله من باب العمل بالحق قال فی العارضة کان رقیع الثیاب من شعار الصالحین وسنة المتقدمین حتی اتخذته الصوفیة شعارا فجعلته من الجدید وأنشأته مرقعا من أصله وهذا لیس بسنة بل بدعة عظیمة وانما المقصود بالترقیع استدامة لبس الثوب علی هیئته اهـ ومن ثم قال الشیخ أبو الحسن الشاذلی رضی الله عنه لدی رثاثة انکر علیه جمال هیئته یاهذا هیئتی هذه تقول الحمد لله وهیئتك هذه تقول أعطونی من دنیا کم شیأ لله فاذا حسنت النیة کان یقصد بحسن الهیئة التستر بحاله والبعد عن الریاء والسمعة فی أفعاله أو اظهار أثر نعمة الله علیه دون التفاخر والخیلاء کان التجمل محمودا أیضا وقد قال تعالی قل من حرم زینة الله التی أخرج لعباده والطیبات من الرزق وصح عنه صلی الله علیه وسلم انه قال ان الله جمیل یحب الجمال وفی روایة نظیف یحب النظافة وفی السنن ان الله یحب أن یری أثر نعمته علی عبده وکان صلی الله علیه وسلم یتجمل للوفود وروی النسائی ان النبی صلی الله علیه وسلم رأی رجلا وعلیه ثوب دون فقال له هل لك من مال فقال نعم فقال من أی المال قال من کل ما آتی الله من الابل والشیاه فقال کل ما آتاك الله من مال فلیر علیك أی کثرنعمته وکرامته علیك فأظهر أثر نعمته بلسان المقال و بلسان الحال قال تعالی وأما بنعمة ربك فحدث ومن الناس من یقصد بالتجمل السلامة من اذایة الناس والتوصل الی حقوقه معهم وقد قال علیه السلام فیما أخرجه البزار باسناد حسن اللهم اجعلنی شکورا واجعلنی صبورا واجعلنی فی عینی صغیرا وفی أعین الناس کبیرا قال شیخنا المحقق فی شرح الحکم وأی شیء یضر الانسان کونه فی أعین الناس کبیرا اذا کان عند نفسه صغیرا غایة الامر انهم یوفون حقوقه ولا یظلمونه ولا یؤذونه فینجون منه و ینجو منهم و یخالطونه بسلامة الصدر واسقاط الجاه لیس مطلوبا بالذات بل لما یتبعه من غلظ النفس أو لما یقع من الزیادة علی ما یحتاج الیه منه والا فلابد للانسان من جاه ما فی معاشه لئلا تبخس حقوقه وتنتهك حرمته اهـ وحیث صار الناس انما یعتبرون ظاهر الصور فلا بأس أن یستعمل الانسان من اللباس أو غیره ما یتوصل به الی حقه و یسلم به من

وأرشدهم من یتبع الحق یرشد
وهل یستوی ضلال قوم تسفهوا
عمایتهم هاد به کل مهتدی
وقد نزلت منه علی أهل یثرب
رکاب هدی حلت علیهم بأسعد
نبی یری مالا یری الناس حوله
و یتلو کتاب الله فی کل مسجد
وان قال فی یوم مقالة غائب
فتصدیقها فی الیوم أو فی ضحی غد
لیهن أبا بکر سعادة جده
بصحبته من یسعد الله یسعد
و یهن بنی کعب مقام فتاتهم
ومقعدها للمؤمنین بمرصد (٢)
ولم یبق بیت بمکة الا انتبه لهتف الهاتف بمخرج النبی صلی الله علیه وسلم واستیقظ فلما أصبحوا بکرة اجتمعوا وقالوا اسمعتم ما کان البارحة قالوا اسمعناه قالوا فقد کان مخرج صاحبکم عن طریق الشام من حیث نأتیکم المیرة فاطلبوا صاحبکم فردوه قبل ان

یستعین علیکم بکلاب العرب فجهوا سریة من خیل ضخمة فخرجت فی طلب رسول الله صلی الله علیه وسلم حتی نزلوا بأم معبد رضی الله عنها

(١) هذا لفظ الاستیعاب وحر وفه ولفظ الروض و یروی ان حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجنی وما هتف به فی مکة قال یجیبه انتهی قیل والظاهر انه انما قال ذلك بعد اسلامه اهـ من خط المؤلف بواسطة
(٢) هذا البیت الاخیر لم یذکره فی الروض وذکره فی الاستیعاب له اهـ من خط المؤلف بواسطة

فسألوها عنه فاشفقت عليه منهم فكتمت عليهم فقالت انكم لتسألونى عن أمر ما سمعت به قبل عامى هذا وهى صادقة لم تسمعه الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لاستوحش منكم تسألونى عن رجل يخبركم بخبر السماء وان لم تنصرفوا عنى لاصيحن فى قومى عليكم وكانت فى عز من قومها فى الجاهلية فانصرفوا ولم يعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه ولو قضى الله لهم أن يسألوا الشاة من حلبك لقالت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انها جعلت شاهدا فعمى الله عليهم مسئلة الشاة وسألوا أم معبد رضى الله عنها فكتمتهم

ولما ارتحل المصطفى صلى الله عليه وسلم عن أم معبد مر بعبد يرعى غنما فاستسقاه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير ان هنا عناقا حملت أول العام وما بقى لها لبن قال ادع بها فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا بحلب فسقى أبا بكر ثم الراعى ثم شرب فقال الراعى من أنت فقال محمد بن عبد الله رسول الله قال الذى تزعم قريش أنه صابئ(١) قال انهم يقولون ذلك قال فأشهد انك نبى وأن ما جئت به حق رواه البيهقى وهذا محمول على أن رب العبد أذن له فى ذلك وعلم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو نعيم عن مالك بن أوس الاسلمى قال لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لمن هذه الابل قال لرجل من أسلم فالتفت الى أبى بكر فقال سلمت ان شاء الله فقال ما اسمك فقال مسعود فالتفت الى أبى بكر فقال سعدت ان شاء الله اه (واقتفى إثره سراقة فاستهوته فى الارض صافن جرداء ثم ناداه بعد ما سمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء) اقتفى أى تبع وسراقة هو ابن مالك بن جعشم(٢) المدلجى والسين والتاء فى قوله فاستهوته لمجرد التأكيد أى (عن

الاذاية وقد أخذ بعضهم هذا من قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أى لتميز الحرة من الامة عند الخروج ومن ثم قال هلال بن هديل وكان من العلماء وذكره ابن رشد فى جامع البيان والتحصيل فى التجمل بالثياب

حسن ثيابك ما استطعت فانها * زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع فى اللباس تخشنا * فالله يعلم ما تسر وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة * عند الاله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعدما * تخشى الاله وتتقى ما يحرم

وقد كان مالك يتجمل فى ملبسه ولا يتبذل قال أبو يوسف دخل مالك على الرشيد وعليه ثياب عدنية سود والله ما رأيت قط شيأ أحسن منه فتزحزح له هرون حتى أجلسه معه على المنصة وقال أهل العلم ينبغى للعالم ان يظهر مروءته فى ثيابه اجلالا للعلم وكان عمر يقول أحب ان يكون القارئ أبيض الثياب وأستحسن لاهل العلم والصلاح حسن الزى والتجمل المباح وفى الرسالة من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله وفيها أيضا لان القى الله بجميع المعاصى أحب الى من أن القاه بذرة من التصنع * دخل سيار البصرة فبينما هو يصلى وكان حسن الصلاة وعليه ثياب جياد فرآه مالك بن دينار فجلس اليه فسلم سيار فقال له مالك هذه الصلاة وهذه الثياب فقال له سيار يا بى هذه ترفعنى عندك أو تضعنى قال تضعك قال هذا أردت ثم قال يا مالك انى لاحسب ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك ما لم ينزلك الله فبكى مالك وقال له أنت سيار فقال نعم فعانقه مالك وقعد بين يديه وبالجملة فالاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وعن عائشة ان قوما من الصحابة اجتمعوا بباب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج يريدهم فجعل ينظر فى آنية ماء ويسوى من رأسه ولحيته قالت قلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا قال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيئ من نفسه فان الله جميل يحب الجمال قال فى الاحياء والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وهيهات فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كى لا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته فى أعينهم كى لا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم اه (وفى الحديث قصة طويلة) اقتصر ابن حجر منها على ما نصه هى ما رواه الطبرانى بسند لا بأس به ان رجلا جاء فقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وعليه أسمال مليتين قد كانتا بزعفران فنفضتا وبيده عسيب نخلة قاعدا القرفصاء فلما رأيته أرعدت من الفرق فنظر الى فقال عليك السكينة فذهب عنى ما أجده من الروع اه قال فى جمع الوسائل القصة أطول من هذا بكثير وتركتها لما فى النسخة من كثرة التصحيف الذى لا يفهم معه المقصود مع طولها فانه قريب من ورقتين اه بمعناه وانظره بطوله فى غنية القاضى عياض وكذا فى الاستيعاب والاصابة لابن حجر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا بشر بن المفضل عن عبد الله بن عثمان بن خثيم) بالتصغير والثاء المثلثة

(١) بالهمز خارج من دين الى دين سموه بذلك زعما منهم انه خرج من دينهم الى الاسلام مع انه ما دخل فى دينهم قط اجماعا اه من خط المؤلف (٢) قوله جعشم ضبط فى نسخة بضم الجيم والشين وكتب عليه المؤلف ما نصه ضمهما هو الثابت وحكى الجوهرى فتحهما وأنكر عليه اه

غاصت قوائم فرسه فى الارض حتى بلغت الركبتين نخرعنها والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاث قوائم و يقيم الرابعة على طرف الحافر والجرداء الرقيقة الشعر والقصيرته مستعار من الشجرة التى قلم و رقها وفاعل نادى سراقة ومفعوله النبى صلى الله عليه وسلم بأن قال له الامان يامحمد وما مصدرية أى بعد سوم الفرس الخسف أى كادت الفرس أن تخسف جملة بعد خسف بعضها ومن الحكم المناسبة هنا الانها كالسبب لماقبلها فهو تذييل أنه قد ينجد الغريق النداء أى الدعاء لله بانكسار وتذلل قال الزهرى وأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن أخى سراقة بن جعشم ان أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول جاءنا كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتلهما أوأسرهما فركبت فرسى وخرجت لاحقابهما حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الارض حتى بلغت الركبتين نخررت عنها فنهضت فلم تكد تخلع يديها فلما استوت قائمة خرج من أثر يديها دخان ساطع فناديتهم بالامان فوقفا وركبت فرسى حتى جئتهم و وقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم انه سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك جعلوا فيك الدية وأخبره بخبرهم وما يريدون به وعرض عليهم الزاد فلم يأخذوا منه شيأ وسألوه أن يخفى أثرهم قال سراقة وسألته أن يكتب لى كتابا آمن به فأمر عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من أدم ثم مضى وفى رواية البخارى عن أبى بكر فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا الا سراقة على فرس له فقلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا حتى اذا دنا فكان بيننا و بينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت يارسول الله هذا الطلب و بكيت فقال لى لم تبكى قلت أما والله ما أبكى على نفسى ولكن أبكى عليك فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت فرسه الى بطنها فى أرض طر فوثب عنها وقال يامحمد ان هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه فوالله لاعمين عمن و رائى من الطلب وهذه كنانتى نخذ منها سهما فانك ستمر بابلى بموضع كذا وكذا انخذ منها حاجتك

(عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم) اسم فعل أى خذوا معشر الامة (بالبياض) أى بلبس الابيض البالغ فى البياض حتى كأنه عين البياض كرجل عدل و برشد اليه بيانه بقوله (من الثياب ليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها) أى الثياب البيض (من خير ثيابكم) علله فى الحديث الآتى بقوله فانها أطهر وأطيب ولم يقل خير ثيابكم حتى يدل على ان الابيض أفضل من غيره لاحتمال ان الاخضر أفضل فانه من لباس أهل الجنة أومساو للابيض لكن ورد أن أحب الالوان الى الله البياض وذلك يوجب القطع بكونه أفضلها و يؤيده أيضا اطلاق لفظ أطيب فى الحديث بعد فانه مشعر بزيادة من فى قوله من خير ثيابكم وانظر المناوى * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا البياض) أى الثياب البيض وجعلها نفس البياض مبالغة كما تقدم (فانها أطهر) لان المصبوغ اذا أصابته نجاسة لا تظهر فيه مثل ظهورها فى الابيض فاذا كانت فى الابيض أظهر كان من غيره أطهر ولان الابيض أكثر تأثرا من الثياب الملونة فيكون أكثر غسيلا فيكون أكثر طهارة ولان الابيض يغسل من غير مخافة على ذهاب لونه فيبالغ فى غسله مالا يبالغ فى غسل الملون فيكون أطهر من غيره (وأطيب) اما من طاب الشئ بمعنى حل ومعنى أطيب أحل ففى النهاية أكثر ما يرد الطيب بمعنى الحلال كما ان الخبيث بمعنى الحرام قال تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب اه وانما كان الابيض أحل من الملون لكونه أقرب الى التواضع وعدم التفات النفس اليه غالبا بخلاف الملون فتلتفت اليه النفس و يصحبه الكبر والخيلاء والعجب ولان الابيض أخف مؤنة فى الغالب من الملون فيتيسر تحصيله بادنى شئ بخلاف غيره واما من طاب بمعنى حسن فيكون معنى أطيب أحسن وانما كان الابيض أحسن من الملون لبقائه على اللون الذى خلقه الله عليه وترك تغيير خلق الله أحسن و يحتمل أن يكون معنى أطيب ألذ لان لذة المؤمن فيما يكون أنقى وأحل وأقرب الى التواضع وأنسب بالعبودية وأسهل تحصيلا وفى الحديث من كرامة المؤمن على الله نقاوة ثوبه ورضاه باليسير أى باليسير من الثياب أو بالقليل من الدنيا والقناعة بما يبلغه الى العقبى وقد علمت مما تقدم المغايرة بين المتعاطفين فليس من عطف المترادفين كما قيل (وكفنوا فيها موتاكم) للمزايا المتقدمة ولان الميت بصدد ملاقاة الملائكة والاجتماع بهم فتطلب مواجهتهم بما هو أطهر وأطيب كما يطلب ذلك فى المحافل والمساجد وملاقاة العلماء والكبراء الا يوم العيد فان المطلوب فيه التجمل بالثياب الفاخرة وفيه ايماء الى أن مآله الى الخلاقة والبلى فلا ينبغى للعاقل أن يتكلف و يتجمل فى تحصيل ما عاقبته البلى والى أن أحق ما يأتى به العبد مولاه الفطرة الاصلية التى فطر الله الناس عليها وهى فطرة التوحيد الجبلى فانها كالثياب البيض الباقية على أصل الخلقة والى طهارة الباطن من الغش والغل وسائر الاخلاق الذميمة الشبيهة بالنجاسات الحقيقية أو الحكمية قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ثم اعلم ان وجه دخول هذين الحديثين فى باب لباسه صلى الله عليه وسلم لا يخلو عن خفاء اذ ليس فيهما تصريح بأنه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى فيها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق ورجع الى صاحبه ولما رجع وجد القوم يلتمسون فقال ارجعوا فقد استبرأت لكم ما هنا قال فخرجت وأنا أحب الناس فى تحصيله ورجعت وأنا أحبهم فى أن لا يعلم به أحد وفى ذلك يقول سراقة مخاطبا لابى جهل

أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم * بان جميع الناس طرا يسالمه

واخرج سراقة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فنفذه وأمنه ومن يلوذ به ثم أسلم بالجعرانة بعد مارجع النبى صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف قاله ابن اسحق وقيل انه أسلم يوم الفتح وعليه اقتصر ابن حجر فى الاصابة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا لبست سوارى كسرى (١) فألبسهما له عمر اظهارا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى رضى الله عنه سنة أربع وعشرين فى صدر خلافة عثمان رضى الله عنه ﴿تكميل﴾ لما تسامع المهاجرون الذين اجتمعوا بقباء والانصار خروجه صلى الله عليه وسلم تحرك لذلك ما كان منهم ساكنا وظهر عليهم من آثار الشوق وعلامة الوجد ما كان فيهم كامنا فان قلوب أهل المحبة بعد الفراق تكون منطوية على نارها قد استمرت مع حرارة جمارها فاذا برق لهم بارق الوصال وطمعوا فى تبدل الانفصال بالاتصال من تأججت نارهم بهبوب رياح التذكار واشتعلت جمارهم باجتماع حطب الانتظار وحينئذ ينشد لسان حالهم فليت شعرى والدنيا مفرقة *

صلى الله عليه وسلم لبس الثوب الابيض لكن يفهم من أمره بلبسه وترغيبه انه كان يلبسه أيضا وقد وقع التصريح بذلك فى حديث أبى ذر المخرج فى الصحيحين حيث قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وسيأتى فى باب صفة عمامته صلى الله عليه وسلم انه لبس عمامة سوداء ويأتى وجه ذلك * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة) اسمه خالد ويقال هبيرة بالتصغير (نا أبى عن مصعب بن شيبة) فى نسخة سعية (عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة) قيل كلمة ذات مقحمة وفائدتها دفع مجاز المشارفة وقيل ذات الشئ نفسه وحقيقته والمراد به ما أضيف اليه أى خرج غداة أى بكرة فان العرب يستعملون ذات يوم وذات ليلة ويريدون حقيقة المضاف اليه نفسه (وعليه مرط) بكسر فسكون كساء طويل واسع من خز أوصوف أوشعر أوكتان يؤتزر به ولذا بينه بقوله (من شعر) وفى نسخة مرط شعر بالاضافة (أسود) بالرفع صفة مرط وبالفتح صفة شعر ممنوع من الصرف والجملة حال من فاعل خرج وقد أخرج مسلم وأبو داود هذا الحديث بلفظ وعليه مرط مرجل من شعر أسود ومرجل اما بالجيم المشددة بمعنى من لباس الرجال أو عليه صور المراجل أى القدور واحدها مرجل وأما بالحاء المهملة المشددة ومعناه الموشى المنقوش عليه صور الرحال وقيل المراد بيان اختلاف الالوان التى كانت فيه لان الارحل من الخيل هو الابيض الظهر ومن الغنم الاسود الظهر فكأنه كان موشى وهذا أقربها الى ما كان يلبسه وعلى هذا فوصف المرط بقوله أسود لاجل ان السواد فيه أغلب ووقع فى روايتهما من الزيادة فجاء الحسن بن على فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء على فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وفى ذلك اشارة الى انهم المراد بأهل البيت فى الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل عليهم كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم فقال انك على خير وعليه فلا اشكال فى الآية وان حملت الارادة على معناها المتبادر منها المقتضى ان الله أراد ذهاب الرجس بمعنى الاثم عنهم وان ما أراده هو الواقع وان كان المراد بأهل البيت ما يشملهم وغيرهم من كل من للنبى صلى الله عليه وسلم عليه ولادة وغيرهم من الاشراف الذين لهم قرابة بالنبى صلى الله عليه وسلم فيحتاج الى حمل ارادة فى الآية كما قال الشيخ أبو اسحق الشاطبى على الامرية وهى انما تستلزم الرضى بالمراد لا وجوب وقوعه لان مذهب أهل السنة ان عصاة أهل البيت فى المشيئة ومحل أحاديث التبشير على غلبة الرجاء فى حق من علم الله انه منهم لا الجزم بمؤاخذتهم لا يقال لا خصوصية لاهل البيت بارادة الامرية مع ان الآية جاءت لبيان مزيتهم وخصوصيتهم لانا نقول لما أمر أمهات المؤمنين باوامر ونهاهن عن نواه عقب ذلك بقوله انما يريد تحريكا للهمم العالية وتذكيرا لما خصهم به من المزية التى لا يناسبها الا غاية النزاهة وكمال الطهارة وهو معنى قوله أهل البيت نداء معترضا بين المتعاطفين أى قوموا بحفظ هذه النسبة العظيمة وصونوها وابعدوا عما لا يناسبها ولا يليق بالمتصف بها كأنه يقول انما أمرناكم بكذا ونهيناكم عن كذا لا لنا غرض لكم الا الكمال بأن تأتونا طاهرين

(١) نص ابن المنير على ان هذه المقالة كانت يوم لحقهما فى الهجرة والذى للسهيلى فى الروض انه قال ذلك حين أسلم ولا يبعد تعدد المقالة اه من خط المؤلف

بين الرفاق وأيام الورى دول هل ترجع الدار بعد البعد آنسة * أم هل تعود لنا أيامنا الاول ياظاعنين بقلبي أينما ظعنوا *
ونازلين بقلبي أينما نزلوا لقد جرى حبكم مجرى دمي فدمي * بعد التفرق في أطلالكم طلل وعن عروة بن الزبير قال لما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على اطم (١) من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه فنادى بأعلى صوته يابني قيلة (٢) هذا جدكم أي حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو اقيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم (٣) فتلقوه فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه قال أنس بن مالك لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شئ وخرجت ذوات الخدور وجعلت النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وجعلت نساء بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن

من كل شئ فهذا كما يقول الناصح لمنصوحه ذي المنزلة والقدر لا تفعل كذا وانما نهيتك عنه نصيحة ونظرا لك حتى يبقى قدرك محفوظا ولهذا قال بعض أهل العلم الحسنة في نفسها حسنة وهي في بيت النبوة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي في بيت النبوة أشين لانهم اقارب النبي صلى الله عليه وسلم وأولى الناس بالارث الاقارب لانهم أحق الناس باتباع طريقه والتخلق باخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم وهذه الآية كما قال أهل العلم هي منبع فضل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته في اذهاب الرجس الذي هو الاثم وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفي بعض الطرق تحريمهم على النار وهو فائدة كمال التطهير وغايته وحكمة ختم الآية بتطهيراً المبالغة في وصولهم لاعلاه ورفع التجوز عنه وتنوينه للتعظيم والتكثير والاعجاب المفيد انه ليس من جنس مايتعارف ويؤلف قرر ذلك شيخنا المحقق في شرح همزيته * حكى الحافظ أبو بكر الخطيب قال دخل يحيي بن معاذ على علوي ببلخ أو بالري زائراله ومسلما عليه فقال العلوي ليحيي ماتقول فينا أهل البيت قال ما أقول في طين عجن بماء الوحي وغرست فيه شجرة النبوة وسقي بماء الرسالة فهل يفوح منه الامسك الهدى وعنبر التقى فقال العلوي ليحيي ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فبفضلك علينا فلك الفضل زائرا ومزورا * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا يونس بن أبي اسحق) اسمه عمرو بن عبد الله السبيعي (عن أبيه) أبي اسحق (عن الشعبي) بفتح الشين وسكون العين اسمه عامر بن شراحيل (عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه) المغيرة (ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة) هي ثوبان بينهما قطن الا أن تكون من صوف فقد تكون غير محشوة (رومية) كذا هنا وفي أكثر روايات الصحيحين وغيرهما جبة شامية ولا منافاة بينهما لان الشام من عمالة قيصر ملك الروم (ضيقة الكمين) في رواية البخاري انها كانت من صوف وأن ذلك كان في سفر وانه غسل وجهه ولم يستطع أن يخرج ذراعيه منها فاخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعية ثم مسح برأسه قال المغيرة فاهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما وفي رواية أحمد وأبي داود ان ذلك كان في غزوة تبوك وفي الموطا ومسند أبي داود ان ذلك كان عند صلاة الصبح وفي مسلم عن المغيرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من المكان الذي توضأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجد الناس قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فافزع ذلك الناس وفي الحديث ان الاصل في الثياب الطهارة وان كانت من عمل الكفار ولا دليل في هذا على ان الصوف لا ينجس بالموت لاحتمال انه جز في الحياة خلافا للقرطبي وفي الحديث ان ملابس السفر قد تكون مخالفة لملابس الحضر لانه يحتاج فيه الى تشمير لا يحتاج اليه في الحضر ويحتمل انه لبسها للدفء من البرد أو غير ذلك وفيه جواز لبس الصوف وكرهه مالك لمن يجد غيره لما فيه من الشهرة بالزهد لان اخفاء العمل أولى ولعل هذا بالنسبة لاهل بلده الذين غلب عليهم لباس غير الصوف أما غيرهم فلا لانتفاء العلة المذكورة وروى الشيخان

---

(١) في القاموس الاطم بضمتين القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح الجمع آطام وأطوم اه وهذا الرجل من اليهود قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسمه اه من خط المؤلف

(٢) هي الجدة الكبرى للانصار والدة الاوس والخزرج وهي بنت كاهل بن عذرة اه من خط المؤلف

(٣) انما خرجوا بالسلاح اظهارا للقوة والشجاعة لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدومه عليهم ويظهر صدقهم له في مبايعتهم اياه على ان يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم اه من خط المؤلف

نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار (١) فرحبا بالنبي المختار * ومرحبا بسيد الابرار فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحببنني قلن أي والله فقال والله اني أحبكن قال الطبراني وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون جاء محمد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ وقد حق لهم والله أن يزدحموا على شهود تلك الطلعة المباركة و يتسابقوا الى رؤية ذلك الوجه الذي هو معدن كل خير و بركة و يقول قائلهم تولها بين جماله وجلاله صلى الله عليه وعلى آله

أبرق بدا من جانب الغور لامع * أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
نعم أسفرت ليلى فصار بوجهها * نهار به نور المحاسن ساطع
ولما تجلت للقلوب تزاحمت * على حسنها للعشقين مطامع
لطلعتها تعنو البدور ووجهها * له تسجد الاقمار وهي طوالع
تجمعت الاهواء فيها وحسنها * بديع لانواع المحاسن جامع

وان أردت الاطلاع على تمام خبر هذه السيرة فعليك بمطالعة كتب السيرة والله الموفق

(فطوى الارض سائرا والسموا * ت العلا فوقها له اسراء
فصف الليلة التي كان للمخـ * تار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسيـ * ن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى * دونها ماوراءهن وراء)

لاشك أن ملاحظة الواقع في نفس الامر تقتضي تقديم الاسراء على الهجرة والقعساء الثابتة الدائمة التي لا يطرقها تقصير ولا زوال ولا تغيير فهي رتب جليلة تسقط الاماني جمع امنية وحسرى جمع حسير من حسر أي عيي ودونها ظرف لتسقط أي لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت أمنياتهم وتخلفت طلباتهم عن نيل الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التأهل لها ولم لا وهي ماوراءهن وراء أي ماقدامهن قدام بمعنى انه ليس بعد تلك

انه صلى الله عليه وسلم كان له كساء ملبد يلبسه و يقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد وانظر باب صفة ازار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ باب ما جاء في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

كذا في النسخ ذكر هذا الباب في هذا المحل والانسب ذكره بعد الفراغ من أبواب اللباس وايراده بين بابي اللباس والخف غير مناسب والظاهر انه من صنيع ناسخ الكتاب وقد أعاد المصنف هذه الترجمة في آخر الكتاب بعد باب أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول في أحد البابين مالم يطول في الآخر ووقع في بعض النسخ الطويل بعد القصير وعليه شرح الشراح وفي بعضها على العكس وهو الذي رأيناه في النسخ التي وقفنا عليها بخط شيوخنا المغاربة وعليه نشرح نحن ان شاء الله وسيترجم المصنف بباب صفة خبزه وادامه وفاكهته صلى الله عليه وسلم لبيان أنواع الاطعمة التي كان يتقوت بها صلى الله عليه وسلم كما ترجم بباب اللباس لبيان انواع الثياب التي كان يلبسها صلى الله عليه وسلم والمقصود من باب عيشه صلى الله عليه وسلم بيان حاله صلى الله عليه وسلم في عيشه أي غذائه وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان يقتصر من ذلك على ما تدعو اليه ضرورة الحياة و يتخلى عن فضول الترفهات في مأكله كلباسه و زهدا في الدنيا ونعيمها وجريا على ما تقتضيه حالة العبودية التي هي أشرف أحوال الانسان لكن لو جمع المصنف أحاديث البابين في باب واحد لحصل المقصود وكانه لم يجمعهما في باب واحد للاهتمام بشأن هذا الباب فان غالب الناس انما يعبدون بطونهم فكان في تكرار أحاديث عيشه صلى الله عليه وسلم وقرع أسماعهم بذلك المرة بعد المرة تشنيع على من ضيع عمره فيما يملأ به بطنه كفانا الله تعالى شرها بمنه وقد قالوا من كانت همته في بطنه كانت قيمته ما يخرج منها * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو الاحوص عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم) الخطاب للتابعين أو للصحابة بعده صلى الله عليه وسلم (في طعام وشراب) متعلق بمحذوف بقرينة السياق أي متوسعين في طعام وشراب وقوله (ما شئتم) ما موصولة وهي بدل من الجار والمجرور ورابط الصلة محذوف أي فيما شئتم منهما و يحتمل غير هذا من الاعراب وفي هذا الكلام تعيير وتوبيخ ولذلك أتبعه بقوله (فقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم) أضافه فقال نبيكم ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم للتشريف وأضافه اليهم ولم يقل نبينا للالزام كأنه يقول نبيكم الذي أمرتم باتباعه اختار لنفسه خلاف ما أنتم عليه فكان يقتصر من الدنيا على ما لابد منه ولا يتوسع في مأكله ومشاربه فهذا ترغيب لهم في القناعة وترهيب من المخالفة والتوسعة فان الزهد في الدنيا هو رأس العبادة وقد قال المفسرون في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا و الزهد في الدنيا وقد قال عليه السلام ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وقد قال العلماء ان هذا الحديث هو أحد الاحاديث الاربعة التي عليها مدار الدين (وما يجد من الدقل) أي ردئ التمر فضلا عن غيره (ما يملأ بطنه) و روى مسلم يظل اليوم يلتوي وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وهذا كما يأتي انه

---

(١) قوله فرحبا بالنبي المختار كذا بالاصل ولعله فرحبا بذا النبي المختار أو نحو ذلك ليتزن اهـ

المراتب مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم اعلم أن الكلام فى الاسراء لا يفى ببيانه مخلوق ولكن نذكر بعضه ليستدل به على مجمل باقيه قال فى المواهب وقضية الاسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات وأقوى الحجج المحكمات وأصدق الانباء وأعظم الآيات وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه صلى الله عليه وسلم بعموم الكرامات والحق انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة فى القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عنه ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده اذ العبد اسم للجسد والروح كما فى قوله أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه ولان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام ولان الاسراء لا يكون فى النوم ولا يكون الا فى الليل وانما صرح باسم الليل مع ذلك فى الآية تنبيها على عظم خرق العادة اذ الليل يتعذر أو يتعسر فيه ما يسهل بالنهار وفيه انه قطع مسيرة أربعين مرحلة فى وقت واحد باعتبار بيت المقدس أو نحو ثمانية آلاف سنة بالنسبة الى السموات أيضا والتنكير فى ليلا للتقليل أى فى بعض منه فان العرب تقول سرى فلان ليلا اذا سار جميعه ولا يقال أسرى ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فتقول على هذا فائدة قوله ليلا التنصيص على ان ذلك وقع فى ليل واحد لان التنوين قد يراد به الوحدة فقط فلفظ أسرى يفيد انه وقع فى ليل مع احتمال تعدد الليالى فنص على الوحدة بقوله ليلا والله أعلم * وفى وقته خلاف كثير قيل ليلة الاثنين أو الجمعة أو السبت من رمضان أو شوال أو من رجب وبه جزم النووى فى الروضة أو من الحجة أو ليلة الثالث عشر من ربيع الآخر وبه جزم النووى فى فتاويه أو من ربيع الاول وعليه جرى فى شرح مسلم ثم قيل بعد البعث بخمس سنين أو بعشر أو باحدى عشرة أو اثنتى عشرة وحيث لم يرد فضل فى العمل فيها ولم تكن مقصودة لذاتها وانما المقصود ما وقع فيها لم يقع اعتناء بتعيينها فكثر الخلاف فيه وهو على الوجه المذكور الى تلك الحضرات العلية لم يكن لاحد من الانبياء غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولذا قيل ولقد سريت الى المهيمن ليلة * والله ما أحد سرى

انه صلى الله عليه وسلم شد على بطنه الحجر من الجوع قال الشيخ زروق نفعنا الله تعالى به فى شرح الحكم العارف تارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية وتارة يظهر عليه الفقر الى الله فيلتزم الرعاية فحين غلب الغنى بالله على حبيب الله أطعم ألفا من صاع وحين غلب عليه الفقر الى الله شد الحجر على بطنه من الجوع فافهم اه وقد اختلف الصوفية ما الافضل هل اظهار الافتقار الى الله أو اظهار الاستغناء بالله تعالى * قال الشيخ زروق رضى الله عنه والصواب ان الافضل اظهار هذا تارة والآخر أخرى لانه حاله صلى الله عليه وسلم وقد خيره الله بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وقال أجوع يوما فأسأل وأتضرع وأشبع يوما فأحمد وأشكر أو كما قال صلى الله عليه وسلم اه وسيأتى لهذا تتمة فى شرح الحديث الثالث * قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنا) وفى نسخة ان كنا بزيادة ان المخففة من الثقيلة (آل محمد) أى أعنى آل محمد وفى نسخة برفع آل على انه بدل من اسم كان وآل محمد شامل له عليه السلام لعدم وجود المأكول مع نفى ايقاد النار ولانهم اذا صبروا واشهر افهو أحق وأولى لتعذر شبعه دونهم للقطع بأنه عند الضيق يؤثرهم على نفسه فالحديث مناسب (نمكث) وفى نسخة لنمكث باللام الفارقة والظاهر ان هذه النسخة مبنية على نسخة ان كنا بان المخففة لانه يجب اقتران خبر الفعل الواقع بعدها باللام والعكس بالعكس وحينئذ فلا يشكل تجرد الخبر من اللام مع وجود ان المخففة المهملة (شهرا ما نستوقد بنار) أى لا للخبز ولا للطبيخ والجملة صفة لشهر بحذف الرابط (ان هو) أى ما هو أى المطعوم الصادق بالمأكول والمشروب لقوله (الا التمر والماء) وفى نسخة الا الماء والتمر وفى أخرى الا الاسودان بتغليب التمر والا فالماء لا لون له وأطلق على التمر أسود لانه غالب تمر المدينة والجملة استئنافية كأنه قيل ما الغذاء وفى رواية للبخارى كان يأتى علينا الشهر وفى أخرى ليمر بنا الشهر ونصف الشهر وما توقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لمصباح ولا لغيره وفى أخرى انها قالت لعروة يا ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ولهذه الرواية شاهد عند ابن سعد وزاد قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها اه وجيرانه سعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حرام وأبو أيوب خالد بن زيد وأسعد بن زرارة قال العسقلانى ويجمع بين هذه الروايات بان الامر وقع مكررا فى عهده صلى الله عليه وسلم ونقلت عائشة كل ذلك لعروة فى مجالس متعددة والله أعلم اه قال المناوى وقد انقسم الناس بعده صلى الله عليه وسلم أربعة أقسام قسم لم يريدوا الدنيا ولم تردهم كالصديق وقسم ارادتهم ولم يريدوها كالفاروق وقسم أرادوها وارادتهم كخلفاء بنى أمية والعباس خلا عمر بن عبد العزيز وقسم أرادوها ولم تردهم كمن أفقره الله وامتحنه بجمعها * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن أبى زياد نا سيار نا سهل بن أسلم عن يزيد بن أبى منصور عن أنس عن أبى طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا) أى كشفنا ثيابنا (عن بطوننا عن حجر

مسرا كاً بالجسم كان سرا لك لا عن ريبة * وبه قرت في ملكه عينا كا والاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والعروج من الارض الى السموات والمعراج آلة العروج وستأتي ومن الحكم في كون الاسراء ليلا أن النبي صلى الله عليه وسلم سراج والسراج تظهر قوة نوره في الليل وينشد قلت ياسيدي ولم تؤثر الليـ ـل على بهجة النهار المنير قال لا أستطيع تغيير رسمي * هكذا الرسم في طلوع البدور انما زرت في الظلام لكيما * يشرق الليل من أشعة نوري وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا أشرق فيك فقد عرج بشمس الوجود في الليل الى السماء والكلام على حديث الاسراء من وجوه ﴿أحدها﴾ قوله فيه أتيت بالبراق الخ حذف الفاعل للعلم به وهو جبريل وسمى براقا لسرعة سيره (١) أومن البريق واللمعان أومن قولهم شاة برقاء اذا كان في خلال بياضها سواد ولا ينافيه وصفه بالبياض لان البرقاء من الغنم معدودة من البيض والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما يأتي والحكمة في كونه دابة أي هو شبيه بها دون البغل وفوق الحمار ولم يكن على شكل الفرس للاشارة الى أن الركوب كان في سلم وأمن لا في خوف وحرب أو لاظهار المعجزة بوقوع الاسراء الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة ﴿الثاني﴾ روى معمر عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة الاسراء مسرجا ملجما فاستصعب عليه البراق فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق أكرم على الله منه قال فارفض عرقا أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان يعني ان البراق فعل فعل التائه المتكبر فخرج عن حسه ولم يضبط أمر نفسه لشدة فرحه وسروره بركوب سيد السادات وعين العيون وصدر الصدور عليه كأنه تاه بذلك عن الاكوان وغيبته لذة الانس ونشوة السكر بها عن

حجر) الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أي كشفنا عن بطوننا كشفا ناشئا عن حجر حجر يعني لكل واحد منا حجر واحد رفع عنه فالتكرير باعتبار تعدد المخبر عنهم بذلك ويحتمل ان الجار والمجرور بدل اشتمال باعادة الجار كما تقول زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق والرابط محذوف أي مشدود عليها (فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين) تسلية لهم وتأنيسا وكان عادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد الحجر على بطنه ليتقوم به صلبه فتسهل عليه الحركة ومن كان جوعه أشد ربط حجرين فكان صلى الله عليه وسلم أكثرهم جوعا فربط حجرين وقيل حكمة ربط الحجر انه يسكن بعض ألم الجوع لان المعدة ان كان فيها طعام كانت مشغولة به فاذا خلت منه اشتغلت حرارتها برطوبات الجسم وجواهره فيحصل الألم حينئذ فاذا ربط عليها الحجر الذي هو أبرد المعادن خفف من حرارتها فيخف الألم وهذا يفيد أن شد الحجر على قدر ألم الجوع فكلما زاد زيد والله أعلم ومما ينبغي ان يتنبه له هنا ان بين جوعه صلى الله عليه وسلم وجوع غيره من الناس فرقا ومما يقال في الفرق ان جوعه صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان كان اختيارا منه وطلبا للاجر وموافقة لاصحابه في حالهم تسلية لهم أو لغير ذلك من الفوائد *وقد قال التاج السبكي رضي الله عنه الذي أعتقده ان جوعه صلى الله عليه وسلم كان جوعا اختياريا لا اضطراريا وانه صلى الله عليه وسلم كان يقدر على طرده عن نفسه امابان تنصرف عنه شهوة الطعام والشراب مع تمام القوة باذن الله واما بتغذية الله المغنية له عن الطعام والشراب واما بتناول الغذاء فقد كان صلى الله عليه وسلم قادرا على ذلك وسماعي مرات كثيرة من الشيخ الامام الوالد رحمه الله وهو معتقدي انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا قط ولا كانت حالته حالة الفقراء بل كان أغنى الناس بالله وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه في نفسه وعياله ومعاشه وأحفظ ان الشيخ الامام رحمه الله أقام من مجلسه من قال كان النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا أقياما صعبا وكاد يسطو به وكان رحمه الله يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته والحق معه في هذا فان من جاءت اليه مفاتيح خزائن الارض وكان قادرا على تناول ما فيها كل لحظة كيف يوصف بالعدم انتهى وقال الحليمي في شعب الايمان من تعظيمه صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا قال في جمع الوسائل ومما أكرم الله سبحانه به نبيه عليه السلام انه مع تألمه بالجوع حفظ كمال قوته وصان نضارة جسمه فكان أشد رونقا وبهاء من أجساد المترفين ولا يظن به الجوع أحد ممن يراه اه بالمعنى وقد أشار البوصيري رحمه الله الى هذا المعنى بقوله

وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

فقف على قوله مترف الادم وانما آثر صلى الله عليه وسلم هذه الحالة مع انه يستوي في حقه الغنى والفقر ان استغنى شكر بل كان أشكر الشاكرين وان افتقر صبر بل كان أفضل الصابرين واذا كان من أمته من لا يبالي باقبال الدنيا ولا بادبارها فكيف به صلى الله عليه وسلم تواضعا وميلا الى ما يناسب حالة العبودية وامتثالا

(١) وليس هو بذكر ولا أنثى أبيض يضع خطوه عند منتهى طرفه اه من خط المؤلف بواسطة

مقتضى الادب فرده اليه جبريل وهكذا يقع لاهل الانس ولذلك يتوجه اليهم العتاب فحصل له الزهو على الوجود بسيد الوجود ولم يقصد الاستعصاء وانما غلب عليه الوجد فلم يضبط حال نفسه ولهذا لما نبهه جبريل عليه الصلاة والسلام سال عرقه وأدركه عظيم الخجل وفى رواية ابن سعد وكان الذى أمسك بركابه جبريل و بزمامه ميكائيل اه وفى المواهب ما نصه وفى كلام بعض أهل الاشارات لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها و رفعها الى حضرة قربته والطواف بها على ندمان حضرته أرسل اليه أعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما ولجنابه خادما وافاه على فراشه نائما فقال قم يانائم فقد هيئت لك الغنائم قال ياجبريل الى أين قال يامحمد ارفع الاين من البين انما أنا رسول القدم أرسلت اليك من جملة الخدم يامحمد أنت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وأنت مراد لاجله أنت صفوة كأس المحبة أنت درة هذه الصدفة أنت شمس المعارف وأنت بدر اللطائف ما مهدت الدار الا لاجلك ما حمى ذلك الحمى الا لوصالك ما روق كأس المحبة الا لشربك فقال عليه السلام ياجبريل الكريم يدعونى اليه فما الذى يفعل بى قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ياجبريل فما لعيالى وأطفالى قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ياجبريل الآن طاب قلبى ها أناذاهب الى ربى ثم قال جبريل يامحمد انما جاء بى اليك الليلة لا كون خادم دولتك وحاجب حاشيتك وحامل غاشيتك وجئت بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزار واحبيبا أو استدعوا قريبا وأرادوا اظهارا كرامه واحترامه أرسلوا أخص خدامهم وأعز نوابهم لنقل أقدامهم فجئناك على رسم عادة الملوك وآداب السلوك ومن اعتقد انه اتصل اليه بالخطا فقد وقع فى الخطا ومن ظن أنه محجوب بالغطاء فقد حرم العطاء اه و روى انه لما وصل الى بيت المقدس لم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثيرون ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم فلما انصرفت قال لى جبريل أتدرى من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبى بعثه الله

وامتثالا لقول الله تعالى ولا تمدن عينيك الآية ومخالفة لكسرى وقيصر اشارة الى أنهم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا واظهارا لحقارة الدنيا عند الله تعالى حيث أعرض عنها بالكلية وفى الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء وأنشدوا

فلو كانت الدنيا ثوابا لمحسن * اذن لم يكن فيها معاش لظالم

لقد جاع فيها الانبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

وليتأسى به الضعفاء لانه فى مقام التشريع والاقتداء فيزهدون فى الدنيا لانها عدوة الدين لما علم من ان أكثر الناس يفتتنون بشهواتها ولذاتها فيشتغلون بها عن ربهم و يفوتهم بذلك ما فاز به غيرهم من أهل المعرفة بالله تعالى روى الدمياطى عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال والله ما أمسى فى بيت آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة أبيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن ليتأسى به أمته انتهى واشارة الى أن الغنى الحقيقى هو غنى النفس وهو الذى يحصل معه اطمئنان النفس وسكونها وراحة البدن بالقناعة و رفع الهمة عن الخلق وتعلقها بالملك الحق والرضى بالقسمة وليس الغنى الحقيقى غنى اليد

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى صنع الفقر

واشارة الى أن الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر وهى مسئلة ذات نزاع كثير وليجمع بين ثواب الشكر وثواب الصبر فيكون له حظ من كل منهما وفى البخارى من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء وقال أبو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيأ يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها فى سبيل الله وسيأتى فى آخر الباب وجوه أخرى *(قال أبو عيسى) أى المصنف (هذا) أى الحديث السابق (حديث غريب من حديث أبى طلحة) أى غرابته ناشئة من طريق أبى طلحة لا من سائر الطرق (لا نعرفه الا من هذا الوجه) هذا لا ينافى الحسن والصحة فان الغريب ما انفرد بروايته عدل ضابط فان كان التفرد برواية متنه فهو غريب المتن وان كان بروايته عن غير المعروف عنه كأن يعرف عن صحابى فيرويه عدل عن صحابى آخر فهو غريب الاسناد وهو الذى يقول فيه الترمذى غريب من هذا الوجه وقد أكثر الناس الرد على أبى حاتم بن حبان حيث أنكر حديث وضع الحجر قائلا ان الرواية انما هى الحجز بالزاى وهو طرف الازار فتصحف وتمسك فيما سلكه من الانكار بحديث الوصال الذى فى الصحيحين وهو انه صلى الله عليه وسلم قال لا تواصلوا فقالوا انك تواصل فقال انى لست كأحدكم انى أطعم وأسقى وفى رواية يطعمنى و يسقينى وفى رواية انى أظل عند ربى يطعمنى و يسقينى وقد أجيب بأن عدم الجوع خاص بالوصال فاذا واصل أعطى قوة الطاعم والشارب أو يطعم و يسقى على خلاف فى ذلك والاول أظهر وأما فى غير حال الوصال فلم يرد فيه ذلك فان تحقق الجوع و ربط الحجر ثابت فى الاحاديث فوجب الجمع بحمل أحاديث جوعه على غير حالة

﴿الثالث﴾ فى رواية ابن اسحق انه عليه السلام قال لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيأ أحسن منه وهو الذى يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر والمعراج بكسر الميم وحكى ضمها من عرج بفتح الراء يعرج بضمها اذا صعد وهو آلة العروج ويقال السلم وفى رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج وفى شعرف المصطفى انه أتى بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة وفى رواية أبى سعيد عند البيهقى ثم أتيت بالمعراج الذى يعرج عليه أرواح بنى آدم فلم تر (٨٨)

الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج هذا وفى حديث ابن عباس فاخذ جبريل بيدى وأتى بى الى ناحية الصخرة ثم نادى يا اسمعيل دل المعراج فدلاه فاذا له مائة درجة ما رأيت شيأ أحسن منه فصعدت على أول درجة فرأيت ملائكة ثيابهم حمر وألوانهم حمر ثم صعدت الثانية فاذا بملائكة ثيابهم صفر وألوانهم صفر ثم فى الثالثة ملائكة ثيابهم خضر وألوانهم خضر وفى الرابعة ملك معه عمود وحوله ملائكة تبرق أجسادهم ووجوههم كما تبرق المرايا المجلوة وفى الخامسة فاذا عليها ملائكة مثل الجن والانس ويأجوج ومأجوج واذا فيها أنهار وأشجار ليس لهم كلام الا لا اله الا الله وفى السادسة فاذا ملك عظيم على كرسى من ذهب حوله ملائكة شاخصة أبصارهم هيبة لله تعالى ليس

الوصال ومن تلك الاحاديث ما فى الصحيح عن جابر ان الناس يوم الخندق عرضت لهم كدية وهى قطعة صلبة فاخبروا النبى صلى الله عليه وسلم فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فاخذ صلى الله عليه وسلم المعول فضرب به فعاد كثيبا اهيل أو أهيم وهما بمعنى واحد زاد أحمد والنسائى باسناد حسن أن تلك الصخرة لا تعمل فيها المعاول وانه صلى الله عليه وسلم قال بسم الله وضربها ضربة فنثر ثلثها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس وانى والله لابصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة ومنها الحديث الآتى وانظر بقية الاحاديث فى جمع الوسائل * قال المصنف (ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر كان أحدهم يشد فى بطنه الحجر من الجهد) بضم الجيم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وهو المراد هنا ومن للتعليل أى من أجل الجهد (والضعف) بفتح أوله ويجوز ضمه وهو كالتفسير لما قبله ولذا قال (الذى به من الجوع) بافراد الموصول أى الناشىء من الجوع الشديد فمن ابتدائية وقد تقدم بعض ما قيل فى حكمة ذلك وفيما ذكره المصنف رد لقول من قال ليس هنالك ربط حقيقى وانما هو من باب قولك لمن تأمره بالصبر اربط على قلبك حجرا وأما قول بعضهم انه كان بالمدينة أحجار تسمى المشبعة خلق الله تعالى فيها برودة تسكن الجوع وحرارته فكان الجائع يربطها على بطنه لذلك فقال فى جمع الوسائل لا نعرف حجر بالمدينة بهذه المثابة * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى صاحب الصحيح (نا آدم بن أبى اياس نا شيبان أبو معاوية نا عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ساعة لا يخرج فيها) أى لم يكن من عادته الخروج فيها فالجملة صفة ساعة (ولا يلقاه فيها أحد) أى بالدخول عليه فى حجرته وهو عطف على الصفة (فاتاه أبو بكر فقال) النبى صلى الله عليه وسلم (ما جاء بك) الباء للتعدية أى أى شئ أحضرك فى هذا الوقت (يا أبا بكر) وفيه ايماء الى أن الصديق خرج فى غير وقت خروجه المعتاد له أيضا (فقال خرجت ألقى) أى لعلى ألقى (رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر فى وجهه والتسليم عليه) بالنصب والجر عطفا على المعنى أى راجيا اللقاء والنظر فى وجهه والتسليم عليه أو طالبا للقائه الخ وفيه فعل واحد بنيات متعددة يتعدد الثواب بقدرها وذلك من نتائج التبحر فى علم النيات الذى لا يظفر به الا العارفون (فلم يلبث أن جاء عمر) أى لم يتأخر مجيء عمر فالفاعل المصدر المنسبك من أن المصدرية مع ما دخلت عليه (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ما جاء بك يا عمر فقال الجوع يا رسول الله) هذا لا ينافى ما أراده الصديق من اللقاء والنظر والتسليم وكأنه اقتصر عليه لانه الباعث الاصلى لانه خرج فى غير وقت خروجه أيضا ليتسلى عن الجوع بلقائه صلى الله عليه وسلم والنظر الى وجهه فان رؤية الاحبة تغيب عن الاحساس بالآلام أو تخففه لما فيها من الفوت للارواح على ان فى مسلم عن أبى هريرة أيضا فاذا هو بأبى بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله الحديث فصرح أبو بكر بالجوع كما صرح به عمر فاما ان القضية تعددت

لهم الا قول ما شاء الله وفى السابعة فكاد نور يخطف بصرى من نور ملائكة استقبلونى بالتعظيم وفى الثامنة فاذا فيها ملائكة وجوههم من نور وعليهم ثياب من السندس وبيدهم أعلام من نور فلما رأونى قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا أحمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة فسلموا على ورحبوا بى وفى التاسعة فرأيت ملائكة قصرت عن صفتهم وفى العاشرة فاذا ملائكة لا يحصون لكثرة عددهم ولا يحصيهم الا الذى خلقهم ولولا أن الله عز وجل ثبت بصرى لذهب من نورهم فاستقبلونى بالتعظيم والترحيب فلم أزل أصعد درجة درجة وجبريل يحث البراق

(١) ورسول يأتيني بعد رسول يقول ياجبريل عجل بمحمد صلى الله عليه وسلم الى حيث كنت فى أعلى درجة فسمعت الملائكة فى السماء يسبحون و يهللون و يقدسون للرب تعالى فقرع جبريل الباب فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة قالوا وقد بعث اليه وفى رواية وقد أرسل اليه قال نعم قالوا مرحبا بكم ثم فتحوا فصعدت الى سماء الدنيا وهى من موج مكفوف حبسه الله فى الهواء فلم يبق فيها ملك الا استقبلنى و رحب بى انما صادف أبواب السماء مغلقة تنويها بقدره وتحقيقا أن السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله ولو وجدها مفتوحة لم يتم انها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام ان المحل مصون وان فتحه له كرامة وتبجيل وقولهم وقد أرسل اليه الاظهر انه استفهام عن الارسال اليه للعروج الى السماء لان أصل بعثته قد اشتهر فى الملكوت الاعلى فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له والا ما قالوا ومن محمد مثلا ولذا أجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجئ جاء فكلامهم هذا يحقق معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته وهذا أجل ما يكون من حسن الخطاب والتعريف على المعروف من عادة العرب وقولهم من معك لما رأوا حين اقباله عليهم من زيادة الانوار وغيرها من المنائر الحسان زيادة على ما يعهدونه منهم كأنهم قالوا من الشخص الذى من أجله هذه الزيادة التى معك فمينه لهم وقد قال بعض العلماء فى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فاذا هو عروس المملكة اهـ فى بعض روايات الحديث المتقدم فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن يساره بكى فقال

تعددت أولما جاء عمر وذكر الجوع ذكره أبو بكر أيضا قاله فى جمع الوسائل (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) تسليا لهم وايناسا (وأنا قد وجدت بعض ذلك) فيه دلالة على ان الاخبار بالجوع وقلة المأكول اذا لم يكن على سبيل الشكوى والجزع لا ينافى الصبر والتوكل ولا يبعد أن يكون هذا بعد الفتوح لانهم كانوا يبذلون ما يسئلون فربما يحتاجون بل يؤيده ان الراوى أبو هريرة وهو انما أسلم بعد فتح خيبر وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وتوفى ودرعه مرهونة فى شعير استدانه لاهله كما يأتى عند المصنف فكان اذا أيسر أخرج ما عنده فى وجوه البر وكذا كان خلق صاحبيه بل أكثر أصحابه رضى الله عنهم وقد أوتى صلى الله عليه وسلم خزائن الارض وفتح عليه فى حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب اليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فصرف جميع ذلك مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين ولم يستأثر بشئ من ذلك ولا أمسك منه درهما (فانطلقوا) أى ذهبوا وتوجهوا (الى منزل أبى الهيثم) اسمه مالك (ابن التيهان) لقب واسمه عمرو بن الحرث وقيل عتيك بن عمرو (الانصارى) قيل هو قضاعى وانما هو حليف الانصار فنسب اليهم وفى رواية عند الطبرانى وابن حبان فى صحيحه أبى أيوب الانصارى فالقضية متعددة وفى رواية مسلم رجل من الانصار وهى محتملة لهما وعلى كل ففيه منقبة عظيمة لكل منهما اذ كانت فيه أهلية لمجئ النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه اليه وجعله ممن قال الله تعالى فيه أو صديقكم (وكان) أى أبو الهيثم (رجلا كثير النخل والشاء) جمع شاة وفى نسخة والشجر فيكون من عطف العام (ولم يكن له خدم) جمع خادم وهو توطئة لقوله (فلم يجدوه) فى مكانه لخروجه فى خدمة عياله (فقالوا لامرأته أين صاحبك) أى زوجك (فقالت انطلق يستعذب لنا الماء) أى يأتى لنا بالماء العذب وفيه جواز الميل الى المستطاب طبعا من ماء وغيره وان ذلك لا ينافى الزهد وقد قال الشافعى ان شرب الماء البارد الحلو يخلص الحمد لله وسيأتى لهذا تتمة فى باب صفة شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم و زاد مسلم فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا (فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم) أى الى أن جاء وحذف الجار مع أن مطرد أى انما وقع لهم مكث يسير لقرب مجيئه من مجيئهم الى منزله (بقربة يزعبها) بفتح العين وفى نسخة بضم الياء وكسر العين أى يتدافعها لثقلها أو يحملها ممتلئة الصحاح الزعب الدفع وزعبته عنى دفعته وأزعبت الشئ اذا حملته وجاء نا سيل يزعب زعبا أى يتدافع فى الوادى (فوضعها ثم جاء يلتزم النبى صلى الله عليه وسلم) أى يعتنقه وفيه شاهد لسفيان بن عيينة القائل بجواز المعانقة وكرهها مالك ابن رشد روى ان ابن عيينة دخل على مالك فصافحه مالك وقال يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقتك فقال ابن عيينة عانق من هو خير منك ومنى النبى صلى الله عليه وسلم قال مالك جعفر قال نعم قال ذلك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام فقال ابن عيينة ما يخص جعفرا يخصنا وما يعمه يعمنا اذا كنا صالحين ابن رشد رأى مالك خصوصه وكراهته لسائر الناس اذ لم يصحبه عمل انتهى وقال عياض سكوت مالك دليل على انه ظهر له ما قاله سفيان وهو

(١) هذا من جملة ما استدل به من قال ان العروج وقع بالبراق والاصح خلافه ولا دليل فيه لاحتمال انه صعد على المعراج والبراق مع ذلك بساق على عادة العظماء اهـ من خط المؤلف بواسطة

مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار قال عياض جاء ان أرواح الكفار في سجين وأرواح المؤمنين منعمة في الجنة فكيف تجتمع في سماء الدنيا والجواب أنها تعرض على آدم أوقات خروجها من الاجساد فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم واستشكل بان أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن وأجيب بانه يحتمل ان الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف

الحق حتى يدل دليل على التخصيص اه وهذا كله في معانقة الكبار وأما معانقة الصغار فقد قال القرطبي لا خلاف في جوازها فيما أحسب كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالحسن بن علي مداعبة ورحمة وملاطفة (ويفدّيه بأبيه وأمه) بتشديد الدال أي يقول له فداك أبي وأمي وفي نسخة يفديه كيرميه قال ابن حجر وهي تصحيف كنسخة يفديه بضم الياء وتخفيف الدال لان معنى فداه أعطى شيأ فانقذه كفاداه ومنه وان يأتوكم أسرى يفدوهم وتفادوهم في القراءتين ويقال أفدى الاسير اذا قبل منه فديته وكلا المعنيين لا يصح هنا اه بالمعنى وفي صحيح مسلم ان أبا الهيثم حين جاء قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم ضيفا مني (ثم انطلق بهم) الباء للتعدية أو المصاحبة (الى حديقته) هي الروضة ذات الشجر ويقال هي كل بستان له حائط (فبسط لهم بساطا) أي فرش لهم فراشا (ثم انطلق الى نخلة) أي من نخيله (فجاء بقنو) في مسلم بعذق والقنو من التمر بمنزلة العنقود من العنب وكان فيه بسر ورطب (فوضعه فقال صلى الله عليه وسلم أفلا تنقيت لنا من رطبه) عطف على مقدر أي أسرعت أفلا تنقيت لنا من رطبه والا للتحضيض وقدم الهمزة على العاطف لصدارتها أي اخترت جيد رطبه من رديئه وتركت ما فيه من البسر حتى يرطب فينتفع به (فقال يا رسول الله اني أردت أن تختاروا) أي أنتم بانفسكم (أو تخيروا) على حذف احدى التاءين وأو شك من الراوي (من رطبه وبسره) للتبعيض أي أردت أن تختاروا أحسن رطبه وبسره ومن اشتهى أحدهما تناول منه ما أراد فان الاغراض تختلف فلذلك أتيت بالنوعين وفيه ندب المبادرة باحضار ما حضر للضيف ومنه قوله تعالى فما لبث أن جاء بعجل حنيذ واستحباب تقديم الفاكهة لانها أسرع هضما من غيرها وقد يؤخذ ذلك من قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون (فأكلوا) من ذلك القنو (وشربوا من ذلك الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا) أي المقدم لنا (والذي نفسي بيده) أي بقدرته وهو قسم جيء به للتأكيد (من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة) في رواية مسلم فلما شبعوا وروا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وهو اشارة الى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم والمقصود منه تنبيههم على الشكر على النعم ومعرفة قدر النعمة فان النعم اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت والسؤال عن النعيم اما عن القيام بحق شكره كما قال عياض أو السؤال هنا سؤال تعداد النعم والامتنان بها واظهار الكرامة باسباغها كما قال النووي لا سؤال توبيخ ومحاسبة أو المراد كما قال ابن القيم ان كل واحد يسئل عن نعيمه الذي كان فيه هل ناله من حله ووجهه أولا فاذا خلص من هذا يسئل هل قام بواجب الشكر فاستعان به على الطاعة أم لا فيكون ممن استعان بنعمة الله على معصية الله فالاول سؤال عن سبب استخراجه والثاني عن محل صرفه (ظل بارد) خبر لمبتدإ مقدر والجملة قامت مقام التعليل للجملة السابقة (ورطب طيب) عطف على الخبر واكتفى به عن البسر تغليبا أو لقلة استعمال البسر (وماء بارد) أي وحلو وقال ابن حجر ظل بارد الخ بدل من هذا لئلا يتوهم أن المشار اليه واحد قال في جمع الوسائل وفيه بعد اه وفي قوله ظل الخ اشارة الى أن المطلوب من المؤمن أن يتنبه لجميع

له منها ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء أن تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها ﴿تنبيه﴾ قيل انما اقتصر الانبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها لان الصلاح صفة تشمل على خصال الخير كلها لان الصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعاني الخير وفي قول آدم والابن الصالح اشارة الى افتخاره بابوة النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا ليس في السماء موضع الا وفيه جبهة ملك يسبح الله قال ورأيت في السماء الدنيا ديكا له زغب أخضر وريش أبيض وبياض ريشه كأشد بياض رأيته قط وزغبه تحت ريشه كأشد خضرة رأيتها قط واذا رجلاه في تخوم الارض السابعة السفلى واذا رأسه عند عرش الرحمن ثان عنقه تحت العرش له جناحان في منكبيه اذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب فاذا كان في بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الملك القدوس سبحان الكريم ما أو قال الكبير المتعال لا اله الا الله الحي القيوم فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها وخفقت باجنحتها وأخذت في الصراخ فاذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الديكة في الارض ثم اذا كان في بعض الليل نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الله العلي العظيم سبحان الله العزيز القهار سبحان الله رب العرش الرفيع فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض بمثل قوله وخفقت باجنحتها وأخذت في الصراخ فاذا سكن سكنت ثم اذا هاج هاجت قال ثم مررت بخلق آخر أعجب العجب فاذا ملك من الملائكة

نصف جسده مما يلى رأسه نار والنصف الآخر ثلج وما بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو قائم بصوت له حسن يقول سبحان ربى الذى كف هذا الثلج عن هذه النار فلا يطفئ النار وكف هذه النار عن هذا الثلج فلا تذيبه اللهم يامؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين فقلت ياجبريل من هذا قال ملك من الملائكة يقال له حبيب وكله الله بأكناف السموات وأطراف الارضين وهو من أنصح الملائكة لاهل الارضين من المؤمنين وهذا قوله يدعو لهم بما تسمع منذ خلق قال ثم سرنا حتى انتهيت الى السماء

الثانية وهى من حديد فقرع جبريل الباب فاقبل ملك فى ألف موكب من الملائكة وسمعت ضجة أعظم من ضجة سماء الدنيا فقيل ياجبريل من هذا معك فقال محمد نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم ففتح بابا من أبوابها فاذا ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتهليل فرحبوا بى وقالوا نعم المجئ جاء واذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم سرنا فى الهواء مسيرة خمسمائة عام حتى دنونا من السماء الثالثة فسمعت أصواتا أشد من الصواعق بالتسبيح والتهليل حتى وقفنا بها وهى من نحاس فقرع بابها فرأيت ملكا حوله سبعون ألف ملك قد خرقت أقدامهم الارض السابعة قالوا ياجبريل من هذا قال محمد نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم فرحبوا بى وفتحوا واذا بيوسف قال هذا يوسف فسلم عليه

فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم سرنا فى الهواء مسيرة خمسمائة عام حتى انتهينا الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قالوا مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فسمعت ضجة الملائكة بالتسبيح والتقديس واذا هى من فضة فرأيت ملكا البحار العذبة فى نقرة ابهامه الايمن والبحار المالحة فى نقرة ابهامه الايسر وانه ليصير من عظمة الله كالعصفور الصغير فرقا من الله تعالى ورأيت رجلا قاعدا والدنيا كلها بين ركبتيه وهو دائما ينظر لا يلتفت وبيده لوح مكتوب قد شخص ببصره ينظر اليه فوقف جبريل عليه وقال ياملك الموت الا تسلم على محمد نبى الرحمة حبيب الله فقال ملك الموت يامحمد سلام عليك أبشر فانى رأيت الخير كله الا

ما هو عليه من النعم وأن يعدها على نفسه واحدة واحدة وأن يستعظم ما جل منها وما قل فان من جهل كثير من الناس أنهم لا يعدون النعم العامة للخلق نعما فلا يشكرون على روح الهواء والتمكن من اخراج النفس وادخاله والقدرة على طرح الاذى والتمكن مما يقضى به مجرد الضروريات من غير توسع وهى فى الحقيقة نعم عظيمة يعرف قدرها من فقدها (فانطلق أبو الهيثم) أى أراد الانطلاق (ليصنع لهم طعاما) أى مطبوخا (فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تذبحن) لنا (ذات در) أى لبن فى رواية مسلم فأخذ المدية فقال عليه السلام لا تذبحن لنا الخ فهم صلى الله عليه وسلم من قرائن الاحوال انه يريد أن يذبح لهم فقال له ذلك رفقا بأهله لانتفاعهم باللبن مع حصول المقصود بغيرها وفى رواية مسلم اياك والحلوب وكأنه رضى الله عنه لما علم ان هؤلاء الاضياف ليس لهم نظير فى العالم مع ندور حصول هذا المغتنم لم يقنعه شئ يقدمه اليهم لان كل كثير فى حقهم قليل سيما والمطلوب المبالغة فى اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والتكلف المنهى عنه هو تكلف السلف أو اذا كان فيه مشقة على المضيف ونقل (فذبح لهم عناقا) بفتح العين الانثى من ولد المعز مالم تبلغ سنة (أو جديا) شك من الراوى وهو بفتح فسكون الذكر من ولد المعز مالم يبلغ سنة (فأتاهم بها فأكلوا) أى منها (فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل لك خادم) أى غائب لان الحامل على سؤاله رؤيته له وهو يتعاطى خدمة بيته بنفسه والخادم يطلق على الذكر والانثى (قال لا قال فاذا أتانا سبى) أى مسبى من الاسارى عبد أو جارية (فأتنا) فيه احسان الضيف للمضيف بالفعل ان وجد والا فبالوعد وفى الحديث من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه وفى قوله هذا من النعيم الخ تنبيه على شكر المنعم الحقيقى وهو الله تعالى وان المعطى للنعم انما هو الله وان وصلت على يد مخلوق فالله سبحانه هو الذى دفعه الى ذلك واستعمله فيه وقاده اليه بسلسلة فى عنقه لا يستطيع لها نزاعا ومن ثم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه نحن لا نرى محسنا الا الله فلا نحب سواه فالمؤمن الكامل انما يشهد النعم من الله وان وصلت على يد مخلوق لان الخلق انما هو مظاهر تصرفاته تعالى وفى قوله فاذا أتانا سبى فأتنا اشارة الى القيام بحق الوسائط الذين أظهر الله نعمه على أيديهم فان شكرهم ومكافأتهم على ذلك شكر لله وتعظيم لنعمته وفى الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله وهذا هو الكمال فلا يقصر النظر على من وصلت النعمة على يده ويغفل عن المنعم بها حقيقة ولا يهمل حق الوسائط قياما بالشريعة (فأتى النبى صلى الله عليه وسلم برأسين) أى بأسيرين اثنين (ليس معهما ثالث) تأكيد لما قبله (فأتاه أبو الهيثم) أى اتفاقا أو بالقصد بمقتضى الوعد (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اختر منهما) أى واحدا (فقال يانبى الله اختر لى) هذا من كمال عقله رضى الله عنه وحسن أدبه وفضله لما علم من أن اختيار النبى له خير من اختياره لنفسه وقد قال الله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (فقال النبى صلى الله عليه وسلم أن المستشار مؤتمن) هذا حديث صحيح كاد أن يكون متواترا ففى الجامع الصغير المستشار مؤتمن رواه الاربعة عن أبى هريرة والترمذى عن أم سلمة وابن ماجه عن ابن مسعود والطبرانى فى الكبير عن سمرة وزاد ان شاء أشار وان شاء لم يشر وفى

عليك وفى أمتك فقر عيناً وطب نفساً ورأيت البيت المعمور يطوف به كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا تدور عليهم النوبة الى يوم القيامة واذا بادريس قال جبريل هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصنا فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح

قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجئ جاء فلما خلصنا فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزنا بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى قال العارف ابن أبى جمرة قد جعل الله تعالى فى قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرأفة والرحمة لأممهم وركب ذلك فيهم وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله أوفر نصيب فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته اذ ذاك وقت افضال وكرم وجود فرجا أن يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله أمته ببركة هذه الساعة فان قيل أمته لا تخلو من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذى هو على الايمان لا بد له من دخول الجنة والذى مات على الكفر لا يدخلها أبداً قلنا رجا للعصاة من القسم الاول التعطف والاحسان فى ذلك الوقت لانه وقت أسرى فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العظيم فطمع الكليم ان يلحق أمته نصيب من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله قال ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحباً به فنعم المجئ جاء فلما خلصت فاذا بابراهيم قال هذا ابراهيم أبوك فسلم عليه فسلمت فرد السلام وقال

الاوسط عن على كرم الله وجهه وزاد فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه والاستشارة استخراج الرأى من قولهم شرت العسل اذا أخرجته من خباياها والاسم المشورة والمشورة والمعنى أن المستشار أمين فيما يسئل عنه من الامور فعليه أن يشير بما يراه خيرا له ولا يخونه بكتمان مصلحته وامتناع نصيحته (خذ هذا) اشارة الى أحد الرأسين (فانى رأيته يصلى) أى والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهو تعليل لامره ودليل على وجه اختياره ويؤخذ منه أن من نصح أحدا ينبغى أن يبين له وجه النصيحة ليكون أعون للمستشير على الامتثال وفيه انه يستدل على خيرية الانسان وأمانته بصلاته للآية المتقدمة فالصلاة من أعظم امارات الخير وعلاماته وفى الحديث اذا رأيتم الرجل فى طريق الجامع فاشهدوا له بالايمان (واستوص به معروفا) أى افعل به معروفا وصية لك فمعروفا مفعول باستوص لانه بمعنى افعل وليس صفة لمصدر محذوف أى استيصاء معروفا كما قيل وقيل معناه صل معروفك به بحيث لا ينقطع عنه تقول وصيت الشئ بكذا اذا وصلته به قاله فى الصحاح وفى نسخة واستوصى بصيغة الماضى أى النبى صلى الله عليه وسلم بالعبد معروفا (فانطلق أبو الهيثم الى امرأته فاخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت امرأته ما أنت ببالغ) أى لو صنعت ما صنعت من المعروف به ما أنت بواصل (ما قال فيه) أى فى حقه (النبى صلى الله عليه وسلم) أى من المعروف (الا أن تعتقه قال) أبو الهيثم (فهو) اذن (عتيق فقال النبى صلى الله عليه وسلم) لما بلغه الخبر (غفر الله لهم) يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا (ان الله لم يبعث نبيا ولا خليفة) من الامراء أو العلماء أى فضلا عن غيرهما (الا وله بطانتان) بطانة الرجل صاحب سره الذى يستشيره ثقة به لخلوص محبته شبه ببطانة الثوب وهو خلاف الظهارة كما شبه بالشعار فى قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وفى الصحاح يقال بطنت الرجل اذا جعلته من خواصك (بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه) من الالو بمعنى التقصير استعمله متعديا الى مفعولين لتضمنه معنى المنع أى لا تمنعه (خبالا) أى فسادا أى من فساد يفعله (ومن يوق) أى يحفظ (بطانة السوء) بفتح السين وضمها لغتان كما فى الكره والضعف وقرئ بالوجهين عليهم دائرة السوء (فقد وقى) أى حفظ الفساد وجميع الاسواء والمكاره وجاء فى رواية والمعصوم من عصمه الله ثم ان كان المراد البطانة من الآدميين كانت القسمة ثلاثية فان الانبياء ومن التحق بهم لا يستبطنون الا أهل الخير والفجار لا يستبطنون الا أهل الشر ومن الناس من يستبطنهما معا فلعل المراد الملك والشيطان والله أعلم بمراد نبيه فيكون نظير قوله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى الا ان الله أعاننى عليه فاسلم فلا يأمرنى الا بخير روى فاسلم بصيغة الماضى والمضارع أى أنا منه وروى فاستسلم واسلام القرين هو ظاهر الحديث لقوله فلا يأمرنى الا بخير وللحاصة رضى الله عنهم حظ من هذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى السفر أى لانهم يذيبونه بذكر الله فهو انما يطوف بقلوبهم فى أوقات الفلتات على سبيل الاختلاس قال تعالى فى شأنهم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف الآية لذلك قال ابن مسعود شيطان

مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ﴿السادس﴾ قال في الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذا ياجبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات (١) وفي رواية مسلم أربعة أنهار من الجنة فيحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من أصلها وفي رواية عند البخاري انه رأى النيل والفرات في سماء الدنيا أي فأصلهما في (٩٣) سدرة المنتهى وعنصر انتشارهما في سماء الدنيا وفي رواية مسلم فلما غشيها من أمر الله ماغشيها فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وفي حديث أنس المرفوع انها في السماء السابعة وفي حديث ابن مسعود الموقوف انها في السادسة وحديث أنس موافق لقول الاكثر وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وملك مقرب وماخلفها غيب لا يعلمه الا الله أومن أعلمه ويجمع بينهما بان أصلها في السادسة وفروعها وأغصانها في السابعة وليس في السادسة منها الا أصل ساقها قال مقاتل وهي عن يمين العرش قيل قد أظلت السموات والجنة قيل وهي طوبى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ويستظل في الغصن منها ألف راكب لو وضعت ورقة منها في الارض لأظلت أهل الارض وأخرج عبد بن حميد عن سلمة بن وهران في قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا اليه أي لانه عروس المملكة والمجلى الاعظم والمرآة الكبرى التي تجلت فيها صفات الحق تعالى بحسب الدلالة والتعريف لا بحسب الحلول والتكييف اذهو أكبر المتخلقين باخلاق الربوبية ولذا سمي بكثير من أسماء الله تعالى كالرؤف والرحيم وبه فسر

المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذلك قال لانك تذيبني بكتاب الله عزوجل قال المصنف (حدثنا عمر بن اسمعيل بن مجالد بن سعيد نى أبي عن بيان) أي ابن بشر كما في نسخة (نى قيس بن حازم) وفي نسخة عن قيس بن أبي حازم (قال سمعت سعد بن أبي وقاص) اسمه مالك بن أهيب بضم الهمزة وقيل وهيب أحد العشرة رضي الله عنهم أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة وقال كنت ثالث الاسلام (يقول اني لاول رجل اهراق) أي أراق بفتح الهاء وسكونها وفي نسخة هراق (دما في سبيل الله) أي من شجة شجها المشرك روى ابن اسحق أن الصحابة كانوا اذا صلوا في أول الاسلام ذهبوا في الشعاب وأخفوا صلاتهم فبينما سعد في نفر منهم في شعب اذطلع نفر من المشركين وهم يصلون فعابوا عليهم واشتد الشقاق بينهم حتى تقاتلوا فضرب سعد رجلا منهم بلحي بعير فشجه فكان أول دم أريق في الاسلام قال المناوي ولم ينقل أن سعدا أول من قتل نفسا في سبيل الله ولو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله (واني أول رجل رمى بسهم في سبيل الله) روى ابن عائذ في مغازيه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ الابواء وهي أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبيدة بن الحرث وعقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواء وهو أول لواء عقده في ستين رجلا من المهاجرين فلقوا جمعا كثيرا من قريش قيل أميرهم أبو سفيان فتراموا بالنبل فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم فكان أول من رمى بسهم في سبيل الله وهذا لا ينافي قول ابن حجر لم يقع بينهم قتال لان المراد نفي القتال المعروف من الجانبين والابواء جبل بين مكة والمدينة كذا في النهاية وقيل قرية (لقد رأيتني) أي أبصرت نفسي (أغزو في العصابة) أي جماعة من العشرة الى الاربعين وكذا العصبة ولا واحد له من لفظه (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نأكل) أي شيأ (الا ورق الشجر والحبلة) في رواية البخاري رأيتني سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه وسلم مالنا طعام الا ورق الحبلة الحديث وقد ورد في رواية أنهم أبو بكر وعثمان والزبير وعلي وزيد بن حارثة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وكان اسلام من عدا علي وزيد على يد أبي بكر وأما علي وزيد فاسلما قبل ذلك لانهما كانا في عيال النبي صلى الله عليه وسلم فاسلما في جملة عياله والحبلة بضم المهملة وسكون الموحدة وبضمتين أيضا وهو بالنصب عطف على ورق ثمر السمرة يشبه اللوبيا وقيل ثمر العضاه والعضاه كل شجر يعظم وله شوك والسمر نوع منه وهو الطلح وهو شجر أم غيلان التي منها الصمغ العربي وفي نسخة بجر الحبلة وهو يقتضي ان الحبلة هي الشجرة نفسها وهو أيضا مقتضى رواية البخاري المتقدمة (حتى ان أحدنا ليضع كما تضع الشاة أوالبعير) ليبس فضلاتهم لعدم الغذاء المعروف والطعام المألوف وفيه ما كانوا عليه من الصبر في ذات الله والقناعة بالقليل من الدنيا والشدة مع ذلك على أعداء الله كما قال الله أشداء على الكفار وكان هذا في غزوة الخبط وأميرهم أبو عبيدة وكانوا ثلثمائة زودهم النبي صلى الله عليه وسلم جراب تمر فكان أبو عبيدة يعطيهم حفنة حفنة ثم قلل ذلك الى أن صار يعطيهم تمرة تمرة ثم أكلوا الخبط حتى صارت أشداقهم كأشداق الابل ثم ألقى اليهم البحر سمكة عظيمة فأكلوا منها

(١) فيه ان الباطن أحسن من الظاهر لانه جعل في الجنة ولذا قال ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم اه من خط المؤلف

قوله من رآني فقد رأى الحق قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول اهـ وقوله فاذا نبقها أي طعمها وما ثمره وقلال على وزن جبال جمع قلة آنية معروفة وهجر بهاء وجيم مفتوحتين وراء قال في القاموس وهي بلدة كانت قرب المدينة اليها تنسب القلال أو تنسب الى هجر اليمن اهـ وقال ابن حجر وهجر قال ابن اسحق هي محلة بالمدينة يعمل فيها القلال وقال غيره هي التي

شهرا أو نصفه وادهنوا بودكها حتى صلحت أجسامهم واسمها العنبر وأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه فمر الراكب تحته وقيل كان ما أشار اليه سعد في غزاة فيها النبي صلى الله عليه وسلم وعليه فالمناسبة للترجمة ظاهرة وعلى الاول فالمناسبة ان ضيق عيش صحبه يدل على ضيق عيشه لانه عليه السلام لا يستأثر عنهم بشيء ومن ثم اكتفى بجراب تمر في زاد جمع كثير منهم (وأصبحت) أي صارت (بنو أسد) وهم قبيلة معروفة (يعزرونني في الدين) أي يوبخونني بأني لا أحسن الصلاة مع سبقيتي في الاسلام ودوام ملازمتي له عليه السلام وصبري على تحمل المشاق العظيمة في نصرة خير الانام فمن هانت عليه روحه في مرضاة الله واعلاء كلمة الله ولقي في محبة الله وطاعته مالا تقوم له الجبال الراسيات كيف يساوم بتضييع الصلاة التي هي أمهات العبادات وأفضل الطاعات ومحل المناجاة ومعدن المصافاة فقوله يعزرونني من التعزير بمعنى التأديب وفي نسخة بحذف نون الرفع وفي أخرى تعزرني وفي أخرى على الدين وفي رواية البخاري تعزرني على الاسلام قال الطيبي عبر عن الصلاة بالاسلام ايذانا بانها عماد الدين ورأس الاسلام وكانوا وشوا به حين كان أميرا بالبصرة الى عمر فقالوا لا يحسن يصلي حسدا أو جهلا بمقادير الصحابة وعظيم ايمانهم (لقد خبت) أي حرمت من الخير وخسرت (اذن) أي ان كنت محتاجا لتأديبهم وتعليمهم (وضل) أي ضاع وبطل (عملي) وفي رواية للبخاري سعيي كما في قوله تعالى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وانظر تمام قصته ودعائه على من شهد فيه بزور واستجابة دعائه في صحيح البخاري وفي الحديث انه يجوز للانسان ذكر مآثره في الاسلام اذا احتاج الى ذلك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم *قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا صفوان بن عيسى نا عمرو بن عيسى أبو نعامة) بفتح النون (العدوي) بفتحتين (قال سمعت خالد بن عمير وشويسا) كلاهما مصغر (أبا الرقاد قالا بعث عمر بن الخطاب عتبة ابن غزوان) صحابي جليل مهاجري بدري أول من نزل البصرة واختطها (وقال) أي عمر (انطلق أنت ومن معك) أي من العسكر (حتى اذا كنتم باقصى أرض العرب) أي أبعدها (وأدنى) أي اقرب (أرض العجم) أي فانزلوا فان ذلك غاية سيركم وقصد بذلك عمر ان يرابطوا بذلك الثغر ليضبطوا تلك الجهة من العدو (فأقبلوا) أي توجهوا (حتى اذا كانوا بالمربد) موضع بالبصرة وهو في الاصل موضع يحبس فيه الابل والغنم أو يجمع فيه الرطب حتى يجف (وجدوا هذا الكذان) بالذال المعجمة كحسان حجارة رخوة بيض كانها مدر والبصرة أيضا حجارة رخوة مائلة الى البياض (فقالوا) أي قال بعضهم لبعض (ماهذه) أي ما اسمها (هذه البصرة) ان كان على حذف أداة الاستفهام فلا يحتاج الى تقدير والا كان من باب حذف القول أي قالوا هذه البصرة كما في نسخة وكان بناء ابن غزوان للبصرة في آخر خلافة عمر سنة سبع عشرة سنة وسكنها الناس سنة ثمان عشرة قيل ولم يعبد بارضها صنم ويقال لها قبة الاسلام وخزانة العرب والبصرتان الكوفة والبصرة (فساروا) أي فتعدوا عنها وساروا (حتى اذا بلغوا حيال) أي قبالة (الجسر) هو ما يبنى على الماء كالقنطرة (الصغير فقالوا) أي قال بعضهم لبعض (ههنا أمرتم)

بالبحرين وبه جزم الازهري وهو الحق وانما وقع التشبيه بها لكثرة استعمال العرب لها في أشعارهم فهي مشهورة عندهم قيل وكل قلة منها تحمل قربتين ونصفا بقرب الحجاز انتهى والآذان جمع أذن وهي حاسة السمع والفيلة بكسر الفاء بعدها ياء مثناة ولام مفتوحتان جمع فيل معروف سماها رؤية لبعض عظامه الدالة على عظم جثته والتشبيه في الموضعين بأعظم مايعرف مناسبا للمشبه تقريبا للافهام وقاعدة التشبيه نقصان مايحكى هذا وفي همزية ابن زكرى

سدرة المنتهى انتهى عندها العلم وعلمه ليس فيه انتهاء

قال في الشرح وانما قيل لها سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي عندها لايجاوزها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه ينتهي اليها مايهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله وقيل لانه ينتهي اليها من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون حقا والمنتهى اسم مكان أو مصدر ميمي بمعنى الانتهاء أي وعلى الاول جرى في النظم فأل في العلم خلف عن المضاف اليه أي انتهى عندها علم الخلائق وعلمه أي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتهاء أي ليس في متعلقه الذي هو المعلوم أو العلم بمعنى المعلوم وهذا على ماذكره السيوطي في الخصائص الكبرى من انه صلى الله عليه وسلم أوتي علم كل شئ حتى الخمس التي هي علم الساعة ومامعها وكذا علم الروح ولكنه أمر بكتم ذلك وماظنك بعلم منه علم اللوح والقلم كما في البردة وأما نفس العلم الحادث فهو مخلوق متناه اهـ ﴿السابع﴾ في رواية البخاري ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الاقلام

المستوى المصعد وهو محل عال يعلم الله حقيقته وصريف الأقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه من قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ماذكر فى الاثر قال ابن سبع فى شفاء الصدور وفى حديث ابن عباس قال مولانا على كرم الله وجهه سلونى قبل أن تفقدونى عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل فقام اليه رجل وقال ماهو قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر الى أبى بكر وعمر وعثمان والىّ فيما خيره ربه فيه من العلوم فاعلمنى قال كنت نورا فى وجه ابراهيم ودرة فى ظهره فلما عارضه جبريل وهو فى كفة المنجنيق قال هل لك من حاجة قال أما اليك فلا فعاد اليه ثانية ومعه ميكائيل فقال لا حاجة لى اليكما فعاد اليه الثالثة فقال هل لك من حاجة الى ربك فقال له من شأن الخليل أن لا يعارض خليله قال النبى صلى الله عليه وسلم فأنطقنى الله أن قلت لئن بعثنى الله نبيا واصطفانى بالرسالة لأجازين جبريل على فعله بأبى ابراهيم فلما كانت ليلة الاسراء كان جبريل السفير بى الى ربى الى أن انتهى الى مقام فقام عنده فقلت ياجبريل فى مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل هل لك من حاجة الى ربك فقال يامحمد سل الله أن أبسط جناحى على الصراط لامتك حتى يجوزوا على قال النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان اللقاء ذهلت عن حاجة جبريل فقال الله تعالى أين حاجة جبريل فقلت اللهم انك أعلم فقال يامحمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك (١) انتهى ولابن رشيد

أى بالنزول والاقامة حفظ الارض فارس عن خروج الهند من الجزائر الى قتال العرب عليها قاله المناوى (فتنزلوا وذكروا) عبر بضمير الجمع عن المثنى وفى نسخة فذكرا أى خالد وشويس وفى نسخة فذكر أى كل من الراويين أو محمد بن بشار أو صفوان أو أبو نعامة (الحديث بطوله) لم يستكمله لانه أراد سرعة الوصول الى مقصوده من كلام عتبة مما يدل على ضيق عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وانظره فى كتاب الزهد والرقائق من صحيح مسلم وانظر الاكتفاء للكلاعى (قال) أى كل من الراويين وفى نسخة فقالا (فقال عتبة بن غزوان لقد رأيتنى) أى أبصرت نفسى (وانى لسابع سبعة) أى فى الاسلام (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) لانه أسلم بعد ستة نفر فهو واحد من سبعة (مالنا طعام الا ورق الشجر) بالرفع على البدلية (حتى تقرحت) أى تجرحت (أشداقنا) جوانب الفم أى صار فيها جراح من خشونة الورق الذى نأكله وحرارته (قال فالتقطت بردة) أى عثرت عليها من غير قصد وهى شملة مخططة وقيل كساء أسود مربع فيه خطوط صفر يلبسه الاعراب (فقسمتها) بتخفيف السين وبجوز تشديدها (بينى وبين سعد) ابن أبى وقاص فى مسلم فقسمتها بينى وبين سعد ابن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها وفى نسخة وبين سبعة وهى تصحيف وتقتضى أنه كان ثامنا وهو خلاف ماتقدم من انه كان سابعا وان أمكن ان يكون المراد وبين بقية السبعة (فما منا من أولئك السبعة أحد الا وهو أمير مصر من الامصار) جزاء لهم فى هذه الدار وأعظم بجزائهم فى دار القرار وفيه اشارة الى أنهم لصبرهم فى طاعة الله وصدقهم فى نصرة دينه نصرهم الله تعالى على أعدائهم ومكنهم من رقابهم وأموالهم وبلادهم وصاروا أئمة أمراء بعد ان كانوا ضعفاء فقراء وفيه تحريض لمن كان يحدثهم بذلك على الجهاد وان به ارتفعت مراتب الصحابة وعلت مقاديرهم واستخلفهم الله فى الارض وعزوا وعز بهم الدين ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وستجربون الامراء بعدنا) أى فانهم لعدم رياضتهم وقلة مجاهداتهم باقون على أصل طباعهم المجبولة على الاخلاق القبيحة فلا تحصل لهم الاستقامة مع الحق ولا مع الخلق بخلاف الصحابة رضى الله تعالى عنهم فلعظيم ايمانهم ومعرفتهم الكاملة التى حصلت لهم من النور المحمدى وما سبق لهم من الرياضات وأنواع المجاهدات لا يقاس بهم أحد فى العدالة والديانة والاعراض عن الدنيا الدنية والاغراض النفسانية نفعنا الله تعالى بجميعهم وأماتنا على محبتهم آمين وربما أشعر قوله وستجربون الخ بأن المخاطبين لم يقدروا قدره ولم يعرفوا شدة وقوفه مع الحق حتى اضطروه الى ذكر بعض مآثره فى الاسلام كما وقع للسيد سعد بن أبى وقاص والله تعالى أعلم بما كان منهم وما قالوه فيه ويحتمل انهم لم يصدر منهم شىء فى جانبه وانما أراد ان ينبههم على أنهم معه فى نعمة عظيمة لا يجدونها مع غيره من الولاة بعده * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا روح بن أسلم أبو حاتم البصرى نا حماد بن سلمة نا ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت فى الله) ماض مجهول من أخاف بمعنى خوّف (ومايخاف) أى والحالة انه لا يخاف (أحد) أى غيرى لوحدته صلى الله عليه وسلم فى ابتداء اظهار الدين (ولقد أوذيت فى الله) أى فى دينه (ومايؤذى أحد) اذ لم يكن معه حينئذ أحد يؤذى فى

(١) مقتضى كلام سيدى محمد الزرقانى فى شرح المواهب انه بسكون الحاء اسم جمع صاحب معطوف على ضمير الخطاب اهـ من خط المؤلف بواسطة

بأقدامه في حضرة القدس قدسي * رسوله فوق المناصب منصب بأعلى السما أمسى يكلم ربه * وجبريل ناء والحبيب مقرب

﴿الثامن﴾ قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم ثم زج بي في النور زجا فخرق لي سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك وانسي فاذا النداء من العلي الاعلى ادن يا أحمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فأدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين (٩٦) او أدنى وأورثني علم الاولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل يذكرني به وعلم أمرني بتبليغه الى العام والخاص من أمتي وفي رواية ثم دلى لي رفرف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فرأيت أمرا عظيما لا تناله الالسن ثم دلى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فماذاق الذائقون شيأ قط أحلى منها فانبأني الله بها نبأ الاولين والآخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم أرشيأ فجعلت أرى بقلبي ولا أرى بعيني ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت من امامي الحديث وهذه الحجب انما هي بالنسبة الى المخلوق والحق سبحانه ليس بمحجوب اذ المحجوب مقهور وهو القاهر فوق عباده والقرب والبعد بالنسبة الى المسافة مستحيلان عليه تعالى لاستحالة الجهة والمكان في حقه تعالى وانما القرب منه والبعد معنويان لا غير فالقرب منه تعالى عبارة عن دوام حضوره بالقلب بأن يكون مشاهد القربه تعالى منه بالعلم والارادة والقدرة المشار اليه بقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ونحن أقرب اليه منكم ويرحم الله ابن رشيد البغدادي اذ يقول في وتريانه تدانى فادناه الى العرش ربه * ونادى تقدم يا وحيد محبتي تلذذ بنا واسمع لذيذ خطابنا * وعينيك نزه في عجائب قدرتي ترى العرش والكرسي والحجب قد بدت * لديك وأنواري عليك تجلت تأنس بنا هذا الوصال وذا اللقا * محب ومحبوب وساعة خلوة تقرب ولا تجزع وأقبل ولا تخف * وسل تعط عبدي أنت سيد صفوتي

الثلاثين

الله وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله تعالى والارض مملوءة بطوائف الكفار وصناديد الطغاة والعتاة قام يدعو الناس الى الله ويخرجهم عن أديانهم وحده ولا وزير له ولا أتباع الا انه كان يدعوهم اولا أفرادا وآحادا ولا يجهر بذلك في محافلهم وجماعاتهم فاسلم أبو بكر وخديجة وعلي وزيد بن حارثة ثم عثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله بدعاء أبي بكر الصديق ثم أبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وجماعة من الرجال والنساء حتى نزل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بعد ثلاث سنين من النبوة فجهر بالحق بين أظهرهم فكان يطوف على الناس في منازلهم يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ويعيب أديانهم ويذم آلهتهم ويسفه أحلامهم ويشتت نظامهم فاجمعوا على خلافه وعداوته وكان أشدهم اذاية للنبي صلى الله عليه وسلم المستهزؤن السبعة الى أن كفاه الله شرهم بمقتضى وعده الصادق في قوله انا كفيناك المستهزئين فماتوا كفارا وكان صلى الله عليه وسلم مع ما كانوا عليه من الفساد والطغيان والعناد وشدة السلاطة وقوة الشوكة ثابت القلب قوي العزم غير متخاذل ولا متزلزل ولا يخاف في الله لومة لائم وقد بسط أهل السير الكلام في أنواع اذايتهم فانظر ذلك هنالك والسبعة الاسود بن أسد بن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل السهمي والحرث بن قيس السهمي وعقبة بن أبي معيط ومن اذايته لعنه الله أنه وطئ على رقبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت أن ترض فدفعه عنه أبو بكر وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وأبو لهب ومن أعظم المؤذين ابو جهل وهو الذي وضع سلى جزور بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد خلف الكعبة فثبت المصطفى ساجدا حتى ألقته عنه فاطمة وهي جويرية وكان ذلك بمحضر جمع من قريش فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فلما اقضى صلاته قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد فقتلوا كلهم يوم بدر الا عمارة فانه مات بأرض الحبشة شرمونة متوحشا مجنونا ولما حاولت قريش قتله صلى الله عليه وسلم وتعاطوا كل سبب يوصلهم الى ذلك وطلبوا من أبي طالب المرة بعد المرة أن يخلي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم الى ذلك وخذلهم الله تعالى جعلوا يعذبون من آمن به كبلال وخباب بن الارت وعامر بن فهيرة وياسر وزوجته سمية وولدهما عمار وغيرهم من المستضعفين فصبروا وقد أخرج الشيخان عن خباب قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة ولقد لقيت من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال ان كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم أو عصب وما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله (ولقد أتت) أي مضت (على ثلاثون من بين ليلة ويوم) قال الطيبي تأكيد للشمول أي ثلاثون يوما وليلة متواترات لا ينقص منها شيء قال في جمع الوسائل والظاهر من تمييز

تعاليت قدرا عندنا ومكانة * وذكرك مرفوع فلا تنس نعمتي ﴿التاسع﴾ قال ابن حجر اختلف العلماء قديما وحديثا في أن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه أو بعين قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية انه رآه بعين بصره وفي أخرى انه رآه بقلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه الطبراني انه رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له ولغيره وجاء عن أنس باسناد قوي رأى محمد ربه واطلاق الرؤية انما ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصري رحمه الله يحلف أنه رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري ومعمر وآخرون وهو قول الاشعري وغالب أتباعه وسئل أحمد عن قول عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر واما قوله تعالى لا تدركه الابصار فالمراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلية ﴿العاشر﴾ اختلف في معنى قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقال الجمهور الضمير لجبريل أي دنا جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى فتدلى على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك رده الله الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة وقال آخرون الضمير لله تعالى أي دنا الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى والدنو والتدلي على هذا مجاز كما تقدم لان قرب الله تعالى من العبد ليس بالمسافة والانتقال والقرب المستفاد من التدلي أخص من القرب المستفاد من الدنو وبهذا يحسن العطف عليه وتقديم الدنو تقديم للاعم على الاخص والقاب مقدار المسافة أي كان جبريل من محمد عليهما السلام بالقرب بمقدار قوسين عربيين ومعناه من طرف العود الى طرفه الآخر وقيل من الوتر الى العود وقيل ليس القوس التي يرمى بها وانما هو ذراع

الثلاثين بقوله من بين ليلة ويوم ان العدد نصف شهر لا شهر كامل (مالي) في نسخة ومالي بالواو أي والحال انه ليس لي (ولبلال طعام يأكله) أي على وجه الشبع (ذو كبد) أي حيوان وفيه اشارة الى قلته (الا شيء) أي قليل جدا (يواريه) أي يستره (ابط بلال) كنى بالمواراة تحت الابط عن يسارته وعن عدم ما يجعل فيه ذلك اليسير من منديل ونحوه قال في جمع الوسائل وعدم ما يجعل فيه ذلك اليسير محتمل فقط لا متعين والله أعلم وهذا الحديث أخرجه المصنف في جامعه أيضا وقال معنى هذا الحديث حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة للطائف ومعه بلال انما كان مع بلال من الطعام ما يحمله تحت ابطه اه ويحتمل ان هذا كان وقت الحصار في الشعب مع بني هاشم بل هذا هو الظاهر فان الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج الى الطائف على ما ذكر أهل السير هو زيد بن حارثة فقط لا بلال فالله أعلم والابط قال الجوهري بكسرة الهمزة وسكون الموحدة وكسرها ما تحت الجناح يذكر ويؤنث والجمع آباط * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن انا عفان بن مسلم نا ابان بن يزيد العطار نا قتادة عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجتمع عنده غداء) بفتح معجمة فمهملة وهو الذي يؤكل أول النهار (ولا عشاء) بفتح أوله ما يؤكل آخر النهار وسمي عشاء لان العادة أكله في أول الليل عند صلاة العشاء أو عند صلاة المغرب فانها تسمى عشاء أيضا مجازا وحديث اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء بفتح العين يشمل الصلاتين لان المراد تفريغ القلب من الشغل بغير الصلاة ولذا يقال طعام مخلوط بالصلاة خير من صلاة مخلوطة بالطعام (من خبز ولحم) أي لا يجتمع في كل منهما خبز ولحم في حال من الاحوال (الا على ضفف) هذا ان كانت لا زائدة للتأكيد أي لم يجتمع عنده الغداء والعشاء معا من خبز ولحم الا على ضفف ويحتمل ان لا تكون زائدة والمعنى لم يجتمع عنده غداء من خبز ولحم الا على ضفف ولا عشاء من خبز ولحم الا على ضفف والله أعلم (قال عبد الله) أي ابن عبد الرحمن شيخ المصنف (قال بعضهم) أي من المحدثين أو اللغويين (هو) أي الضفف (كثرة الايدي) هذا أحد معانيه في القاموس الضفف محركا كثرة العيال أو التناول مع الناس أو كثرة الايدي على الطعام أو الضيق والشدة أو نكون الآكلة أكثر من الطعام انتهى فالمعنى الا على حال نادر وهو تناوله مع جميع عياله وأهل بيته أو مع الناس كالاضياف أو مع كثرة الايدي لا وحده أو على حال الضيق والشدة لا على حال التنعم والرفاهية أو اذا لم يكن الطعام على قدر الآكلين والله أعلم ويروى شظف ويروى خفف قال ابن الاعرابي الثلاثة في معنى ضيق المعيشة وقلتها وغلظتها * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد نا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك) بالتصغير (نا ابن ابي ذئب عن مسلم بن جندب عن نوفل بن اياس الهذلي قال كان عبد الرحمن بن عوف) هو أحد العشرة المبشرين رضي الله عنهم (لنا جليسا وكان نعم الجليس) أي المجالس هو (وانه) بكسر الهمز (انقلب بنا) أي رجع معنا من السوق أو غيره فالباء بمعنى مع ويحتمل أن تكون للتعدية أي ردنا من الطريق (ذات يوم) أي يوما من الايام (حتى اذا دخلنا بيته ودخل) أي مغتسله (فاغتسل ثم خرج واتينا) بصيغة المجهول من الاتيان (بصحفة فيها خبز ولحم) وهي اناء

تقاس به المقادير ذكره الثعلبي وقال انه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة قرب جبريل من محمد عليهما السلام مثل قاب قوسين قاله ابن جزى وتفسير القاب بالقدر قال السيوطي في الديباج هو المراد في الآية عند جميع المفسرين اهـ ومنه حديث لقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال ابن القيم واو ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وانها لا تزيد على ذلك البتة كما قال تعالى الى مائة ألف أو يزيدون تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة ألف رجلا واحدا وقوله تعالى كالحجارة أو أشد قسوة والله

كالقصعة (فلما وضعت) تلك الصحفة (بكى عبد الرحمن فقلت له يا أبا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي مات نظير قوله تعالى في حق يوسف حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا قال المناوى وفي استعمال هذا اللفظ في موت الانبياء قزازة (ولم يشبع هو وأهل بيته) أي نساؤه وأولاده وأقاربه (من خبز الشعير) وكانه كان في الصحفة ما يشبعهم فلما رأى ذلك تذكر فبكى وقد تقدم في أول حديث أبي الهيثم ما في الصحيحين عن أبي هريرة انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير أي فضلا عما هو افضل من خبز الشعير قال في جمع الوسائل أي دائما أو في بيته أو يومين متواليين كما جاء عن عائشة فلا يشكل بما مر من قصة أبي الهيثم وفي ذلك دليل على أن ضيق عيشه كان مستمرا في حال حياته الى حين وفاته اهـ وقد تقدم أن من أسباب ذلك ايثار ذوى الحاجات وفي ذلك أيضا تربية أهله على الزهد في الدنيا فكان يقف بهم على حد الضرورة لان دوام الشبع مما يطغي النفس ويوقع في نسيان الله تعالى وأيضا فان الاكمل أن يأخذ الانسان حظه من الشكر وحظه من الصبر لينال أجر الامرين ولهذا لما عرض عليه صلى الله عليه وسلم أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا قال لا يارب أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك رواه المصنف (فلا أرانا أخرنا) بصيغة المجهول (لما هو خير لنا) لان اكمل الاحوال وأسلمها عاقبة هو ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من ضيق العيش الى ان توفاه الله سبحانه وأما سعة العيش فما تخشى عاقبته ومن ثم كان عمر رضي الله عنه وغيره من الاكابر يخافون على من كان كذلك أن يكون ممن عجلت طيباته في الحياة الدنيا ولكثرة الخطر آثر الفقر على الغنى من غلب عليه حب السلامة كما قال القائل

وقائلة مالى اراك مجانبا * أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة * فنحن اناس بالسلامة نفرح

وأيضا فالخوف من التقصير في الحقوق بالنسبة الى الغنى أكثر ولهذا قالوا ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر * ويروى أن عمر بن الخطاب أرسل الى سعد بن عامر بألف دينار فبكى فقالت امرأته ما يبكيك هل بلغك شيء عن ثغور الاسلام قال لا قالت هل بلغك عن أمير المؤمنين انه توفي قال لا قالت فما يبكيك فبكى وقال أراد عمر أن يمحو اسمي من ديوان الفقراء بألف دينار فقالت ما عليك تصدق بها فقال لها هاتي درعك الخلق فأخذه وشقه وجعله صررا ثم قام يصلي ويبكي فلما أصبح خرج فوقف على الطريق وجعل كلما مر رجل أعطاه صرة حتى لم يبق منها شيء وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه من أغنياء الصحابة كعثمان بن عفان وطلحة الفياض والزبير بن العوام وسعد بن الربيع وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم ومن المعلوم ان الدنيا ليست مذمومة لذاتها بل لما يخشى من فتنتها والفتنة لا يؤمن معها من الهلاك فمن كملت انواره وتطهرت اسراره وكان من أهل التمكين والرسوخ في مقام اليقين لم تأخذ الدنيا من قلبه ولم تخدش في وجه معرفته وقربه ولا يكون تعاطيها والدخول في أسبابها شاغلا له عن ربه وليس من لازم الزهد قلة ذات اليد وضيق المعيشة

تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة وهذا أحسن وألطف من جعل أو بمعنى بل أو للشك بالنسبة الى الرائي أو بمعنى الواو وقوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى قال مولانا جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى غاية الملاطفة وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى أي كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب ولاطفه ملاطفة الحبيب للحبيب نخفى السر ولم يطلع عليه أحد ولم يعلم أحد ما اوحى الا الذى أوحى فقيل من جملة ما أوحى اليه ألم نشرح لك صدرك ومن جملته ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك الى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى

قال أبو محمد عبد الجليل القصري أثنى الله عليه بحقيقة الاستقامة أي ما مال الى النظر الى سواه وماطغى أي ما جاوز لان حد الادب في نظره اهـ فلم يزل صلى الله عليه وسلم في كمال أدبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات والسبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين فانتصبت له هنالك أقسام القرب انتصابا وانقشعت عنه سحائب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا وأقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلون فاذا كان في المعاد أقيم مقاما من القرب يغبطه به الاولون والآخرون واستقام هنالك على صراط مستقيم من كمال أدبه مع الله تعالى مازاغ البصر وماطغى فأقامه في هذا العالم على أقوم صراط الحق

والهدى وأقسم بكلامه القديم على ذلك فى الذكر الحكيم فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد أقامه على الصراط فسأل السلامة لاتباعه وأهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن هنا أخذ الصوفية رضى الله عنهم فى الوصول اشتراط الزهد فى المقامات حتى يكون الله فى القلب أعظم وأحب من كل شئ قال فى الحكم ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذى (٩٩) تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر وما أحسن قول الشيخ أبى الحسن الششترى رحمه الله فى هذا المعنى

فلا تلتفت فى السير غيرا وكل ما
سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه
حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى
عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

﴿ الحادى عشر ﴾ قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المذكور وفرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت أى رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى قال ما فعلت فقلت قد حط عنى خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فلم أزل ارجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال يا محمد هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة الخ واختلف العلماء فى توجيه فعل سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على أقوال قال بعض أهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام أضاءت له أنوار نور الطور فاسرع اليها ليقتبس فاقتبس فلما نودى فى النادى اشتاق الى المنادى فكان يطوف فى بنى اسرائيل

لان الزهد ليس هو عدم المال بل عدم احتفال القلب بالدنيا والاموال وان كانت فى ملكه فقد يكون الزاهد من أغنى الناس وهو زاهد لانه غير محتفل بما فى يده وبذله فى طاعة الله تعالى أيسر عليه من بذل الفلس على غيره وقد يكون الشديد الفقر غير زاهد بل فى غاية الحرص لشدة رغبته فى الدنيا وتعلق قلبه بها وامارة الزهد فى الدنيا لمن كان غنيا عدم الاكثار والادخار والاحسان منها والايثار وعلامة زهد الفقير وجدان الراحة منها عند فقدها كما قال الصديق رضى الله عنه فى المنام لابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه والمعلوم من أخبار هؤلاء السادات رضى الله عنهم ومن سيرهم وأحوالهم ان دنياهم انما كانت زادا لآخرتهم فلم تشغلهم عن الموافقة ولم توقعهم فى المخالفة فكانوا يأخذونها بالله ويصرفونها بالله وكانت يدهم فيها كيد غيرهم قد استوى عندهم التراب والتبر لا يبالون باقبالها ولا بادبارها ولا لها فى قلوبهم مزية كما قال تعالى وهو العالم بسرائرهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد تصدق سيدنا عبد الرحمن بن عوف يوما بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها وأنه أعتق ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار وبألف فرس فى سبيل الله ولامهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف ولمن بقى من أهل بدر لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وعثمان فيمن أخذ وكثر ماله رضى الله عنه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له بالبركة وكان يقول لو رفعت الحجر لرجوت أن أصيب تحته ذهبا ولما مات حفر الذهب من تركته بالفؤوس وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين ألفا نعم من كان من أهل البداية فيخاف عليه ان تأخذ من قلبه وتقطعه عن الوصول الى ربه فكان التقلل منها أليق به وأنفع لقلبه لان عند الفقير من فراغ القلب وقلة اشتغاله بالدنيا ما ليس عند الغنى وبقدر ذلك يتضاعف ثواب عباداته فان حركات الجوارح ليست مقصودة لاعيانها بل ليتأكد الانس بالمعبود فى قلب صاحبها ولا شك ان آثارتها للانس فى القلب الفارغ أشد بكثير من آثارتها فى قلب مشغول ولهذا قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو فى طلب الدنيا كمثل من يطفئ النار بالحلفاء وانظر قول صاحب الحكم ورود الفاقات أعياد المريدين ولم يقل أعياد العارفين لان أوقات العارفين كلها أعياد لا فرق عندهم بين فاقة وغنى وشدة ورخاء بخلاف أهل البداية ولذلك ابتلى الحق الصحابة بالفاقة فى ابتداء أمرهم حتى اذا تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم واقتعدوا صهوة التمكين والرسوخ فى مقام اليقين بذلها لهم وأفاضها عليهم فتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين فيما يليه وامتثلوا قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله عليها بالانفاق فى وجوه الخير حين وجدت وانما آثر النبى صلى الله عليه وسلم التقلل منها والاقتصار على القدر الضرورى من متاعها نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك اذ لو اقتدوا به فى الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل القوى بين يدى أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه بأنه لو أخذها لاخذها أولاده اذا رأوها فهلكوا والسير بسير الضعفاء سيرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ هم فى مقام الاقتداء والتشريع للكافة وعلى ذلك

من يحملني رسالة لربي ومراده ان تطول مناجاته مع الحبيب فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده في أمر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب وقال آخر لما سأل موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقي الشوق يقلقه والامل يعلله فلما تحقق ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم منح الرؤيه وفتح له باب المزية أكثر السؤال ليسعد بمن قد رأى كما قيل

وأستنشق الارواح من نحو أرضكم * لعلي أراكم أو أرى من يراكم

وأنشد من لاقيت عنكم عساكم * تجودون لي بالعطف منكم عساكم

فاتم حياتي ان حييت وان أمت * فياحبذا ان مت عبد هواكم

وقال آخر لما جلس الحبيب في مقام القرب ودارت عليه كؤس الحب ثم عاد وهلال ما كذب الفؤاد ما رأى بين عينيه وسر فأوحى الى عبده ما أوحى ملأ قلبه وأذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله

ياواردا من أهيل الحي يخبرني * عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر

ناشدتك الله ياراوي حديثهم * حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم

ولقد خلوت مع الحبيب و بيننا * سر أرق من النسيم اذا سرى

وأباح طرفي نظرة أملتها * ورجعت من فيض الجمال كما ترى

ثم ان هذه المراجعة من النبي صلى الله عليه وسلم لربه في شأن التخفيف هي من جملة ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاهتمام بامته والاعتناء بشأنهم والحرص على الخير لهم ما أمكنه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن مرزوق في شرح البردة فيهما انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة و بعضهم بالخسف و بعضهم بالمسخ فما أنت فاعل بامتي قال أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيآتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سألني أعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا أستر على العصاة وفي الآخرة أشفعك فيهم ولولا ان المحب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت أمتك ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يارب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتي فقال الله تعالى أنا لهم ما عاشوا وأنا لهم اذا ماتوا وأنا لهم في القبور وأنا لهم في النشور قال الشيخ أبو

أيضا يحمل هروب من هرب منهما من المشايخ الكاملين والائمة الراسخين ولكل وجهة هو موليها وكلا وعد الله الحسنى وبهذا تعلم أن أغنياء الصحابة ليسوا بمخالفين لسيرته صلى الله عليه وسلم ولا خارجين عن سنته وطريقته لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر علام الغيوب والمحذور ما يشغل عن الله تعالى والدنيا لذاتها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها قال في الاحياء ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله عز وجل وعمدة الاشتغال بالله القلب اه والحاصل ان كمال الاستقامة الذي هو التزام العبودية لا ينحصر في عمل مخصوص وحالة معينة فقد يكون بالعزلة وقد يكون بالاجتماع وقد يوجد بالتجرد وقد يوجد بالاسباب ويوضح لك هذا كل الوضوح كون عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضي الله عنهما معدودين من العشرة الذين هم أفضل الصحابة على الاطلاق وكون كثير من فقراء الصحابة كاهل الصفة رضي الله عن جميعهم ليسوا من العشرة والله أعلم وبه التوفيق

﴿ باب ما جاء في خف رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

هذا رجوع للكلام على بقية أبواب لباسه صلى الله عليه وسلم أي باب بيان ما جاء في صفته ولونه ومسحه عليه وهو ما صنع على هيئة القدم ساترا لمحل الفرض من جلد * قال المصنف (حدثنا هناد بن السري نا وكيع عن دلهم) بفتح الدال المهملة وسكون اللام وفتح الهاء (ابن صالح) أخرج حديثه أبو داود وابن ماجه والبخاري في جزء القراءة (عن حجير) بضم المهملة مصغر أخرج حديثه أبو داود والترمذي وابن ماجه (ابن عبد الله بن بريدة) هذا هو الصواب خلاف ما يوجد في بعض النسخ عن أبي بريدة (عن أبيه ان النجاشي) بفتح النون ويكسر وتخفيف الجيم وكسر الشين المعجمة وتخفيف الياء وتشدد وأما تشديد الجيم فخطأ كذا حققه العسقلاني فقول ابن حجر كسر النون أفصح غير صحيح وهو لقب ملوك الحبشة كتبع للمين وكسرى للفرس وقيصر للروم والشام وهرقل للشام فحسب وفرعون للقبط والعزيز لمصر وخاقان للترك وهذا اللقب جاهلية واسم النجاشي أصحمة بالصاد والسين تصحيف أرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري وكتب اليه يدعوه الى الاسلام فاسلم سنة ست وقال فيه رجل صالح ومات سنة تسع من الهجرة عند الاكثر على ما صرح به العسقلاني وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بموته في يوم موته وصلوا معه عليه وكبر أربعا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا ثانيا لما وجه ام حبيبة وسيأتي جوابه له وروى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها كنا نتحدث انه لا يزال يرى على قبر النجاشي لمسامات نور واما النجاشي الذي بعده فقد كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه للاسلام فلم يعرف له اسم ولا اسلام (اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة الى النبي يقال اهديت له واليه بمعنى (خفين اسودين ساذجين) بفتح الذال المعجمة أي غير منقوشين أو لاشية فيهما تخالف لونهما أو لا شعر

محمد بن أبي جمرة أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء لامته في هذا الموضع لما جبله الله عليه من الشفقة والرحمة وقد ذكر بعض العلماء ان الله تعالى نادى قبل ان يخلق الخلق بالفي عام فقال يا أمة محمد أرحمكم قبل ان تسترحموني واغفر لكم قبل ان تستغفروني وأعطيكم قبل ان تسألوني أهولا جل هذه المراجعة قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة وقال أرحنا بها يا بلال كان يتذكر بها تلك المراجعات الجليلة وسر كون الاسقاط بخمس خمس لتكون المراجعات مع الاصل عشر مراتب اشارة الى أن الله تعالى كان يكرم حبيبه في كل مرة بكرامة ويهدي له في كل مجيء هدية فهي عشر هدايا فلذا قال في المرة الاخيرة لكل صلاة عشر فكانت الحسنة بعشر أمثالها من بركته وعزته عنده به تعالى ولم يعطه ذلك في أول مرة لمحبوبيته عنده أظهر ذلك في احواجه الى المراجعات والاهداء في كل واحدة منها وفيه اشارة الى ان مراد الله تعالى من عباده المخصوصين ان لا يزول اليه اضطرارهم ولا يكون مع غيره قرارهم فلا يقضي لهم جميع مآربهم دفعة لمحبته وقوفهم ببابه ودوام التجائهم لجنابه وتذكر قوله تعالى يا جبريل أخر حاجة عبدي فاني أحب ان أسمع صوته ولذا لم يجعل لهم نعيمهم في الدنيا وأخر ذلك الى ملاقاته ليدوم سؤالهم ويتقرر عندهم ان النعيم انما يكمل برؤيته وفيه اشارة الى أن الله يحب من عبده الالحاح وأنه تعالى لا يتبرم بالحاح الملحين وههنا سر آخر بديع وهو أنه تعالى في كل رجوع كان يكثر العطاء ويعظم الهدية ويضاعف الفضل لحبيبه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل العطاء على حد سواء في مراتب الرجوع بل في المرة الثانية أكثر من المرة الاولى وفي الثالثة أكثر من الثانية وهكذا زيادة في اظهار شرفه صلى الله عليه وسلم والاعلام بمحبوبيته وبيانه أنه أسقط في المرة الاولى خمسا وأثبت ثوابها فيقسم على خمسة وأربعين يخرج تسع لكل واحد فالحسنة بمثلها وتسع الحسنة وفي الثانية أسقط خمسة أخرى وأثبت ثوابها فيقسم ثواب العشرة على الاربعين فالحسنة بمثلها وربع وفي الثالثة أسقط خمسة أخرى وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمس عشرة على خمسة وثلاثين يتوافقان بالخمس نخمس الخمسة عشر ثلاثة وخمس الخمسة والثلاثين سبعة فيقسم الوفق على الوفق يخرج ثلاثة أسباع

فيهما كما في قوله نعلين جرداوين (فلبسهما) اي على الطهارة ثم يحتمل أن تكون الفاء لمجرد التفريع ويحتمل أن تكون للتعقيب أي لبسهما عقب وصولهما اليه فيكون ذلك اظهارا لكون الهدية في حيز القبول وانها وقعت الموقع ووصلت وقت الحاجة اليها واشارة الى تواصل المحبة بينه وبين المهدي لكن قال ابن العربي ونقله عنه الزين العراقي وأقره المناوي ان هذه الهدية كانت قبل اسلامه وعليه فيكون ذلك تأليفا له ودعاء للاسلام من وجه لطيف (ثم توضأ) أي بعد ما أحدث (ومسح عليهما) أي بعد كمال وضوئه كما دلت عليه الروايات الصحيحة قال ابن حجر وفيه ان الاصل في الاشياء المجهولة الطهارة وجواز مسح الخفين وهو اجماع من يعتد به وما ورد عن بعض الائمة مما يخالف ذلك مؤول وقد روى المسح عليهما نحو ثمانين صحابيا ومن ثم قال بعض الائمة ان أحاديثه متواترة وأخشى أن يكون انكاره كفرا انتهى وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة قال ابن القصار انكار المسح على الخفين فسق وقال ابن حبيب لا ينكره الا مخذول ونقل ابن دقيق العيد عن بعض الصحابة أنه قال قد علمنا انه عليه السلام مسح عليهما غير انا لا ندري قبل نزول المائدة أو بعدها اهـ وقد أخرج ابن حبان من طريق الهيثم بن عدي عن دلهم بهذا الاسناد ان النجاشي كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد زوجتك امرأة من قومك وهي على دينك أم حبيبة بنت أبي سفيان وأهديتك هدية جامعة قميص وسراويل وعطاف وخفين ساذجين فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عليهما قال سليمان بن داود راوية عن الهيثم قلت للهيثم ما العطاف قال الطيلسان * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن الحسن بن عياش) أخرج حديثه مسلم والترمذي والنسائي (عن أبي اسحق عن الشعبي قال) أي الشعبي (قال المغيرة بن شعبة أهدى دحية) بفتح الدال وكسرها ابن خليفة الكلبي صحابي جليل ذو جمال بارع حتى كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في صورته كثيرا وتقدمت ترجمته أواخر الباب الاول (للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما)* قال المصنف (وقال اسرائيل) ان كان من قبل نفسه وهو الظاهر فهو معلق لانه لم يدركه وان كان من قبل شيخه قتيبة فلا يكون معلقا قاله ابن حجر ويحتمل أن يكون مقولا ليحيى فيكون عطفا بحسب المعنى على قوله عن الحسن بن عياش (عن جابر) أي الجعفي (عن عامر) هو الشعبي المذكور قبل (وجبة) بالنصب عطفا على خفين وفي رواية جبة من الشام والحاصل ان يحيى روى قصة اهداء الخفين فقط عن الحسن عن أبي اسحق عن الشعبي عن المغيرة وروى قصة اهداء الخفين مع الجبة عن اسرائيل عن جابر عن الشعبي عن المغيرة واما على احتمال أن يكون تعليقا من الترمذي فيحتمل أن يكون قوله عن المغيرة مرادا ولم يذكره لظهوره ويؤيده قوله وجبة بطريق العطف تأمل ويحتمل التعليق والارسال قاله في جمع الوسائل (فلبسهما) أي الخفين والجبة (حتى تخرقا) أي تقطعا ولعل هذه الجبة نوع تفاس من البرد يستعمله بعض العجم ويحتمل ان ضمير لبسهما للخفين فقط ويقويه قوله (لا يدري النبي صلى الله عليه وسلم أذكي) أي تذكية شرعية (هما) فاعل ذكي سد مسد الخبر مثل أقائم الزيدان ولا يحتمل أن يكون مبتدأ وذكي خبره لانه

أو نصف الا نصف سبع فالحسنة حينئذ بمثلها والنصف الا نصف السبع وفى الرابعة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم عشرون على ثلاثين يخرج ثلثان فالحسنة بمثلها وثلثى المثل وفى الخامسة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وعشرين على خمسة وعشرين فالحسنة بمثلها وفى السادسة اسقط خمسة واثبت ثوابها فيقسم ثواب ثلاثين على عشرين فالحسنة بمثلها ونصف المثل وفى السابعة اسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وثلاثين على خمسة عشر فالحسنة بثلاثة أمثالها وثلث المثل وفى الثامنة اسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم

وان كان على وزن فعيل لكنه بمعنى مفعول فلا يصح أن يكون خبرا عن المثنى بخلاف نحو والملائكة بعد ذلك ظهير (أم لا) وفى رواية أبى الشيخ أم ميتة أى لا يدرى هل كان الخفان من جلد المذكاة أم من جلد الميتة المدبوغ أوغير المدبوغ وفيه دليل على ان الاصل فى الاشياء المجهولة الطهارة ثم نفى الصحابى درايته صلى الله عليه وسلم اما لتصريحه له بذلك أولانه أخذ ذلك من قرينة عدم سؤاله وتفحصه (قال أبو عيسى) أى المصنف (وأبو اسحق هذا) أى الذى سبق ذكره (هو أبو اسحق الشيبانى) أى دون السبيعى كما يوهمه كون اسرائيل الراوى من ولده (واسمه سليمان) وروى الطبرانى فى الاوسط والكبير والبيهقى فى الدعوات باسناد صحيح عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الحاجة أبعد فذهب يوما فقعد تحت شجرة فنزع خفيه قال ولبس إحداهما فجاء طائر فأخذ الخف فحلق به فى السماء فانسلت منه أسود سالخ فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه كرامة أكرمنى الله بها ثم قال اللهم انى أعوذ بك من شر من يمشى على بطنه ومن شر من يمشى على رجلين ومن شر من يمشى على أربع وفى رواية فجاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت منه حية فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

باب ماجاء في نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى فى بيان صفتها وكيفية لبسها ونزعها والنعل قد تجىء مصدرا وقد تجىء اسما وهى هنا تحتمل المعنيين والثانى هو الاظهر وتطلق على كل ما يقى القدم وهى مؤنثة كما فى المحكم قال ابن العربى والنعل لباس الانبياء وانما اتخذ الناس غيره لما فى أرضهم من الطين اه ولعله أخذه من قوله تعالى اخلع نعليك مع ما ثبت من أن النبى صلى الله عليه وسلم لبس النعال بل كان ذلك هو الغالب من حاله صلى الله عليه وسلم وربما مشى حافيا بلا نعل تواضعا لله عز وجل وطلبا للثواب لا سيما فى عيادة المرضى قال العراقى

يمشى بلا نعل ولا خف الى * عيادة المريض حوله الملا

وفى حديث جابر عند مسلم رفعه استكثروا من النعال فان الرجل لا يزال راكبا ما انتعل وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه صاحب النعلين والوسادة والسواك والطهور وكان يلبسه نعليه اذا قام واذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم (حدثنا محمد بن بشار نا أبو داود) أى الطيالسى كما فى نسخة (نا همام عن قتادة قال قلت لانس بن مالك كيف كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى ألها قبالان أم لا وكان القياس كانت لانها كما تقدم مؤنثة قال ابن حجر الا أنه لما كان تأنيثها غير حقيقى ساغ تذكيرها أو باعتبار تأويلها بالملبوس (قال) أى أنس كان (لهما) أى لكل واحدة منهما (قبالان) وفى رواية للبخارى كان لها قبالان بالافراد وقد اختلفوا فى القبال فقيل هو الشسع وهو الزمام الذى يخرج من بين الاصابع ويربط فى الشراك الذى يكون على ظهر القدم فكان صلى الله عليه وسلم يضع أحدهما بين ابهام رجله والتى تليها ويضع الآخر بين الوسطى والتى تليها وقيل القبال هو الزمام الذى يعقد فيه الشسع الذى يكون بين اصبعى الرجل انتهى فيكون على هذا القبال هو الشراك وظاهر الحديث الثانى تغايرهما * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد

ثواب اربعين على عشرة فالحسنة بخمسة امثالها وفى التاسعة اسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة واربعين على خمسة فالحسنة بعشرة امثالها فانظر واعتبر هذه المنزلة العظيمة لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعطى هذا الفضل العظيم لكل مصل من أمته التى لا يعلم عددها الا الله تعالى ثم انه زاده وأفاض عليه العطاء فطرد هذا التضعيف فى جميع الحسنات ولم يخصه بالصلوات ورتب كتابة الحسنة على مجرد الاهتمام قبل العمل ولم يقابل بين الحسنات والسيات فى التضعيف بعد العمل ولا فى الاهتمام قبل العمل بكرامة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى ومكانته عنده والحمد لله الذى جعلنا من أمته تمم الله لنا ذلك بالعفو والعافية بمنه آمين ونذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة الحديث واسلك به مسلك تضعيف بيوت الشطرنج المذكور عند أهل الحساب تطلع على أعجب العجائب ولذا قيل

ابن

والمرء فى ميزانه أتباعه * فاقدر بذا قدر النبى محمد

وانظر قوله تعالى يا محمد لبيك وسعديك هى خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة وفى هذا من اللطف والرفق منه تعالى بعباده المؤمنين مالا يخفى قال فى الحكم علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر أمدادها وفى ضمن ضعف العبد ثبوت تقصيره وقصوره عن التوفية بحق الربوبية وعدم اتيانه بمقتضى العبودية وعامله تعالى على مقتضى ضعفه فقلل الاعداد وذلك بعد التكثير ادخالا للفرح والسرور على النبى صلى الله عليه وسلم

وقبول شفاعته وخصوصية أمته لاجله واظهارا للفضل والكرم والرحمة واللطف وفى ضمن احتياج العبد الى الفضل وتكثير الامداد التنبيه على ان اعطاءه ليس على قدر أعماله ولا بحسبها فليكن اعتماده اذن على فضل مولاه لا عليها وليرفع نظره عن طلب العوض عنها وليشكر مولاه على هدايته لها واستعماله فيها اعملوا فكل ميسر لما خلق له كفى العاملين جزاء على طاعته ان رضيهم له أهلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا واعلم ان هذه العشر هى الاصول التى يدور عليها التضعيف فى مقاماته لا على الاصل الاول الذى هو الحسنة الواحدة فنقول اذا كانت صلاة الشخص فى جماعة بخمس وعشرين درجة ضربت فى عشر فتكون الصلاة فى جماعة بمائتين وخمسين كما صرح به الائمة واذا كانت الصلاة فى بيت المقدس فذا بخمسمائة صلاة ضربت فى عشر فهى بخمسة آلاف صلاة ثم تضعف فى الجماعة واذا كانت الصلاة فى مسجد المدينة بألف صلاة كانت مضروبة فى عشرة بعشرة آلاف ثم تضعف فى الجماعة واذا قلنا بقول الشافعى ان الصلاة فى مسجد مكة بمائة ألف صلاة كانت مضروبة فى عشرة ثم تضعف فى الجماعة اه ملخصا من شرح شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله لهمزيته ﴿الثانى عشر﴾ قال النووى الجمهور على تفضيل السماء على الارض أى ماعدا ماضم الاعضاء الشريفة اه وهذا وان قاله الجمهور غير منصور وقد ذكر بعض أهل العلم ان الارض والسماء تقاولتا وتجاوبتا وافتخرت كل منهما على الاخرى فافتخرت السماء بأنها محل الطاعات والعبادات وهى المصونة من المعاصى والمخالفات ومسكن الملائكة الذين هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفيها الجنة وسدرة المنتهى والبيت المعمور وغير ذلك مما ليس فى الارض فاجابتها الارض بجواب مسكت مفحم وهو ان فيها مقام النبى صلى الله عليه وسلم وقراره حيا وميتا ولم تفز السماء بوطء أقدامه لها الا ليلة المعراج فاسكتتها بذلك وغلبتها وقول السماء انها مصونة من المعاصى لا تسلمه الارض لان ابليس قد عصى فى السماء على ان المزية لا تقتضى التفضيل وكفى الارض فضلا ان النبى صلى الله عليه وسلم خلق جسده الشريف منها لعموم قوله تعالى منها خلقناكم وان كان نوره

ابن العلاء نا وكيع عن سفيان) أى الثورى لا ابن عيينة لانه لم يرو عن خالد الحذاء خلافا لمن وهم من الشراح قاله فى جمع الوسائل (عن خالد الحذاء) بفتح المهملة وتشديد المعجمة وهو الذى يقدر النعل ويقطعها قيل وانما قيل له الحذاء لجلوسه فى سوق الحذائين لا لانه كان حذاء أخرج حديثه الستة وقد عيب بدخوله فى عمل السلطان (عن عبد الله بن الحرث) أى ابن نوفل الهاشمى التابعى الجليل له رواية ولابيه وجده صحبة أجمعوا على توثيقه وأخرج حديثه الستة (عن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى) بضم ميم ففتح مثلثة فنون مشددة اسم مفعول من التثنية وهى جعل الشئ اثنين وفى نسخة صحيحة بفتح ميم فسكون فكسر وتحتية مشددة كمرمى اسم مفعول من الثنى فى القاموس يقال ثنى الشئ كسعى رد بعضه على بعض أى أن جعل فلق على فلق قال فى جمع الوسائل والاظهر ان الشيئين فى التثنية لابد من انفصالهما بخلافهما فى الثنى فانه يلاحظ اتصالهما كما يفهم من عبارة القاموس المتقدمة فيحصل التباين بينهما فلا يصح اطلاقهما على محل واحد (شراكهما) بالرفع نائب الفاعل وهو بكسر الشين المعجمة أحد سيور النعل التى تكون على وجهها على ما فى النهاية * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع) أخرج حديثه الستة (نا أبو أحمد الزبيرى) أخرج حديثه الستة (نا عيسى بن طهمان) بفتح فسكون أخرج حديثه البخارى والنسائى (قال أخرج الينا أنس بن مالك نعلين جرداوين) أى لا شعر عليهما استعير من أرض جرداء لا نبات فيها أو خلقين وفى التاج للبيهقى الاجرد الصغير الشعر (لهما قبالان قال) أى ابن طهمان (فحدثنى ثابت) أى البنانى كما صرح به فى الجامع (بعد) أى بعد هذا المجلس أو بعد اخراج أنس النعلين الينا (عن أنس انهما) أى النعلين المذكورتين (كانتا نعلى النبى صلى الله عليه وسلم) وكان ابن طهمان رأى النعلين عند أنس ولم يسمع منه نسبتهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بذلك ثابت عن أنس وفى الحديث المذكور ندب حفظ آثار الصالحين والتبرك بها من ثيابهم ومتاعهم والتبرك بالآثار أمر مستفيض وقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وأنس ابن مالك وغير واحد من الصحابة التبرك بآثار النبى صلى الله عليه وسلم وتوخى مواضع صلاته ومواطئ أقدامه والشرب من قدحه وفى البخارى ان امرأة جاءت ببردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت انى نسجتها بيدى اكسوكها فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فخرج الينا وانها ازاره فقال رجل من القوم اكسنيها قال نعم فجلس ماشاء الله فى المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها اليه فقال له القوم ما أحسنت سألتها اياه وقد عرفت انه لا يرد سائلا فقال الرجل والله ما سألتها الا لتكون كفنى يوم أموت قال سهل فكانت كفنه اه وهذا الرجل يقال هو عبد الرحمن بن عوف وقد كان عند أنس قدح النبى صلى الله عليه وسلم ويأتى عند المصنف وكان عند عائشة بعض ما لبسه صلى الله عليه وسلم كما يأتى عند المصنف وعند معاوية وغيره شعر النبى صلى الله عليه وسلم وقد أمر أن يدفن معه تبركا به وتشفعا وتوسلا بصاحبه صلى الله عليه وسلم وتقدم فى باب الخضاب انه كان عند أم سلمة شعر النبى صلى الله عليه وسلم فى جلجل من فضة وكان الناس يستشفون ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ويأخذ بعضهم من يد بعض ولا يصعق

خلق قبلها وانه دفن فيها وهو أول من تنشق عنه الارض وقد قال الفاكهانى فى الفجر المنير فى أثناء كلام قالوا ولا خلاف أن البقعة التى ضمت أعضاء النبى صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الارض على الاطلاق حتى موضع الكعبة المعظمة قال غيره وكذا ما بين بيته ومنبره لثبوت انه من الجنة ثم قال الفاكهانى واقول أنا وافضل بقاع السموات أيضا ولم أر من تعرض لذلك والذى اعتقده ان ذلك لو عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض (١٠٤) افضل من جميع بقاع جميع السماء لشرفها بكون النبى صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندى الظاهر المعتبر اه وما احسن قول شيخ شيوخنا العلامة الشهير سيدى عبد السلام جسوس رحمه الله مشيرا الى هذا المعنى وزيادة

أيا سماء تعالت
والبدر فيها منير
وبالنجوم تحلت
والشمس فيها تدور
مالى أرى كل حين
منك الدموع تفور
أبعد رفع وحسن
هذا البكاء الكثير
أراك فارقت نورا
ما مثله فيك نور
ولا له فى سماء
ولا بعرش نظير
هلا مسكت بغرز
لما اتاك يزور
وهو وجبريل راق
وجبرئيل السفير
طابت به الارض نفسا
كادت سرورا تطير
قرت به العين منها
ودام فيها السرور
بشرى لنا قد حللنا
حيث البشير النذير
من شاء منا اتصالا
يغدو اليه يزور
فذاك منه قصور
عن ماقبره مثل شمس * أبداه رب غفور
من لم يزر قبره طه *
عليه أزكى صلاة * مادام فى الخلد حور
مختومة بسلام * حياه رب شكور

يا أرض تيهى دلالا * فالكون منك غيور
ويا سماء زيدى دمعا * لا بعتريك فنور

بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ومنهم من شرب بوله ومنهم من شرب دمه صلى الله عليه وسلم كل ذلك لقصد التبرك وسيأتى فى باب صفة الشرب ان أم سليم قطعت فم قربة شرب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جدة عبد الرحمن بن أبى عمرة لتتخذ ذلك المحل الذى أصابه فمه الشريف متبركا ووسيلة الى الاستشفاء به وغير ذلك وقد سأل أبو هريرة الحسن رضى الله عنه ان يكشف له المكان الذى قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرته فقبلها تبركا بآثاره وذريته وقد كان ثابت البنانى لا يدع يد أنس رضى الله عنه حتى يقبلها ويقول يد مست رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان الامام أحمد غسل قميصا للشافعى وشرب الماء الذى غسله به ولما تولى تقى الدين السبكى تدريس دار الحديث الاشرفية بالشام بعد وفاة الامام الصالح أحد من تفتخر به هذه الامة الشيخ محيى الدين النووى أنشد فيه لنفسه

وفى دار الحديث لطيف معنى * أحن الى جوانبها وآوى
لعلى ان أمس بحر وجهى * مكانا مسه قدم النواوى

واذا كان هذا تعظيما لاهل العلم فكيف بعقادير الصحابة فكيف بآثار سيد الكل وسند الجميع صلى الله عليه وسلم ولقد أحسن مجنون ليلى حيث يقول

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

ومن هذا القبيل التبرك بمثال نعاله صلى الله عليه وسلم المحاكى لها وتقبيله وتصور ما مثله عند مشاهدته لتصور المقصود بالذات صلى الله عليه وسلم فمن أعوزه التبرك بنعله صلى الله عليه وسلم لم يعوزه التبرك بمثالها ونظير ذلك التبرك بمثال ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كل سنة التى قيل فيها انها أفضل من ليلة القدر وهذا صريح ما ورد فى اشعار لائمة كبار وقد ذكر منها الامام المقرى فى فتح المتعال ما فيه كفاية قال قالت الشيخة العالمة الاديبة الشاعرة أم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد القرطبى وتعرف بسعدونة وقد بلغها قول بعض الادباء الغر ناطيين فى صفة نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيات آخرها

سألثم التمثال اذ لم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

﴿ فزادت عليه قولها ﴾

لعلنى أحظى بتقبيله * فى جنة الفردوس اسنى مقيل
فى ظل طوبى ساكنا آمنا * أسقى باكؤس من السلسبيل
وأمسح القلب به علّه * يسكن ما جاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهل الحب من كل جيل

وقال الشيخ الامام محمد بن ابراهيم بن بزيزة

(ثم وافى يحدث الناس شكرا * اذ أتته من ربه النعماء) أى ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء والمعراج ووافى مكة قبل الصبح فأصبح يحدث الناس بما رأى من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث فقوله شكرا اما تمييز او مفعول

عن العالم الحبر الامام أبي الفضل * روينا نعال المصطفى سيد الرسل
فبادر لك البشرى بلثم مثالها * عسى ان تنال الفوز في موقف الهول
فكم لاثم ترب الحبيب لانه * مواطئ اخفاف الركائب والنعل

وقال الشيخ الامام العلامة سراج الدين البلقيني رحمه الله ورضي عنه

قبل مثال النعل متضعا له * واذكر به نعلا سما بعليه
كم ذا علته وجاورت قدم النبي * حب الاله رسوله وصفيه

ومذهب كثير من العلماء وخصوصا المالكية الكراهة في غير ما ورد به الشرع كتقبيل الحجر الاسود قال الامام المقري ولعل من فعل تقبيل المثال الشريف ممن يقتدى به من المالكية مع ان مذهبهم الكراهة قلد من يرى جواز ذلك من علماء الامة والله أعلم بالصواب ولولا أمرهم باللثم والتقبيل لا مكن أن يقال غلبهم الشوق ففعلوا من غير اختيار وقال سيدنا الشيخ زروق رضي الله عنه بعد ان ذكر ما يشهد لجواز التبرك بالآثار وقد قطع عمر رضي الله عنه شجرة الرضوان خوفا من أن تعبد أو تجعل مثل ذات أنواط شجرة كانوا في الجاهلية ينوطون فيها الخيوط وغيرها للاستشفاء بذلك فقال الصحابة يارسول الله لو اتخذت ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهي الا كما قال بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة الحديث وقد يستدل بهذين الخبرين على المنع وليس كذلك بل هما دليل في كل ما يستدام أو يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشب أو حديد أو حجر أو بناء أو نحوه لا ما يمتهن أو يكون مستهلكا فاعرف ذلك واعلم ان الناس لا يزالون يتبركون بآثار أهل الخير كابرا عن كابر من العلماء والصلحاء وغيرهم من قديم الزمان الى هلم جرا من غير نكير ولا داعية للسكوت وهو مما تتوفر الدواعي على العمل به طبعا فلو كان حراما لنص عليه الشارع وحذرنا الائمة منه قديما وان كان التنزه أولى لمحل الاشتباه وبالله التوفيق اهـ قلت وأما السجود على الارض بين يدي قبور الصالحين عند التبرك بزيارتهم فمما لا يقول بجوازه مسلم فان السجود انما يكون لرب العالمين فليحذر المؤمن كل الحذر من فعل الجاهلين ولما استأذن معاذ بن جبل النبي صلى الله عليه وسلم في السجود له على قصد التعظيم والتكريم امتنع ونهاه وقال ابن حجر في باب التواضع لما قيل له عليه السلام ألا نسجد لك قال لو كنت آمرا أحدا ان يسجد لبشر لامرت المرأة أن تسجد لزوجها اهـ نعم قال في التوشيح فائدة استنبط بعضهم من تقبيل الحجر تقبيل المصحف والمنبر النبوي والقبر الشريف وقبور الصالحين وأجزاء الحديث وممن قال بذلك ابن أبي الصيف اليمني من الشافعية اهـ * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري قال أخبرنا معن قال نا مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري) اسمه كيسان نسب الى المقبرة لزهده وكثرة زيارته المقابر روى عنه الستة وهو تابعي لانه يروي عن أبي هريرة (عن عبيد ابن جريج) كلاهما مصغر أخرج حديثه الشيخان وغيرهما وهو مدني تابعي (انه قال لابن عمر رأيتك تلبس النعال السبتية) بكسر السين منسوبة الى السبت وهي التي سبت شعرها أي أزيل بالدبغ أو بغيره

لاجله أو حال أي شاكرا لله وإذ تعليلية أو ظرفية والنعماء بفتح النون جمع نعمة بفتحها أيضا قالت عائشة رضي الله عنها لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى رجال من المؤمنين الى أبي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء في غدوه ورواحه فلذلك سمي الصديق قال ابن اسحق ثم أقبل حتى انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله حدث هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يانبي الله صفه لي فاني قد جئته أي ليقع الرد على من شك في ذلك قال فرفع له حتى نظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله وفي رواية البخاري فجلا الله لي بيت المقدس اي كشف الحجاب بيني وبينه حتى رأيته وعند مسلم فسألوني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فرفعه الله لي أنظر اليه ماسألوني عن شئ الا أنبأتهم به فيحتمل أنه حمل الى أن وضع بين يديه بحيث يراه ثم أعيد ففي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر اليه وهذا أبلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد

(١٤ - جسوس) أحضر عرش بلقيس في طرفة عين وأما ما وقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد فخيل لي بيت المقدس وطفقت أخبرهم فان ثبت ذلك احتمل أن يكون المراد مثل قربيا بامسه كما قيل في حديث أريت الجنة والنار ويؤول قوله جيء بالمسجد جيء بمثاله وفي حديث أم هانئ المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها فجعلت أنظر اليه وأعدها بابا بابا وعند أبي يعلى ان الذي سأله عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم وأشار ابن أبي جمرة الى أن الحكمة في الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها

وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقق انه أسرى به الى بيت المقدس وان اطلع البعض لزم تصحيح الباقى فكان ذلك سببا لقوة ايمان المؤمنين و زيادة فى شقاق من عاند وجحد من الكافرين ور وى أصحاب السير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم ان من آية ما أقول لكم انى مررت بابل فى مكان كذا قد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها واخبرهم بعدتها وعدة ما فيها من الرعاة وانها تجىء يوم الاربعاء فلما كان ذلك أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجىء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيدله فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس كذا ذكره أبو بكر الشيبانى عن ابن اسحق ومقتضى حديث أم هانئ انها قدمت صباحا وهو الذى فى اكتفاء الكلاعى وعليه اقتصر المفسرون وقد يجمع بينهما بتعدد الابل فنها ما قدم أول النهار ومنها ما تأخر

(وتحدى فارتاب كل مريب

أو يبقى مع السيول الغثاء)

التحدى ادعاء الرسالة والاستناد فى ذلك الى القاطع الخارق فانه صلى الله عليه وسلم أتى أعلم الناس بفنون البلاغة وأشدهم تمكنا منها هى سليقتهم لا يحتاجون فيها الى تكلف بكلام واضح الدلالة بين المعنى على طريقة كلامهم ونهج خطابهم وطلب منهم أن يعارضوا شيأ منه فلم يستطيعوا اقالوا ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أوضح فى الآية وأقطع فى الدلالة من احياء الموتى الخ لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون فى ذلك وأما قريش فكان أعلى اربهم ومنتهى طلبهم التفنن فى فنون الفصاحة والتنزه فى رياض البلاغة فدل عجزهم عنه على انه من أعلام نبوته و براهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة قال الخطابى وقد كان صلى الله عليه وسلم أعقل خلق الله وقد قطع القول بأن ما أتى به من عند ربه وانهم لا يأتون بمثل أقصر سورة منه فلولا انه على بينة واضحة من ربه لم يقطع بذلك على انه لم يزل ينادى عليهم بالعجز عن معارضته والتقصير عن بلوغ الغرض فى مناقضته فلم يستطع أحد منهم شيأ من ذلك وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف فى فلاة لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدى أصدق خلق الله اه ومعنى كلام الناظم طلب صلى

الحديث أخرجه البخارى وفيه انه قال لابن عمر رأيتك تصنع أربعا لم أر أحدا من أصحابك يصنعها فذكر منها لبسه النعال السبتية فيحتمل انه انما أشكل عليه لبسها لانها كانت لباس أهل السعة والنعمة و يحتمل ان مراده أن يعرف ما الحكمة فى اختياره اياها ومواظبته عليها مع ان الصحابة ما كانوا يتقيدون بنوع من اللبس أو الاكل الا ما فيه المتابعة والاقتداء (قال انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر و يتوضأ فيها) أى فوقها أو وهو لابسها والاظهر ان المراد انه كان يستعدها حالة الوضوء ليلبسها بعده وفيه اشارة الى انه حال بلل الرجل لم يكن يحترز عنها اعتمادا على أصل طهارتها أو حصول الطهارة بدباغتها (فانا أحب أن ألبسها) أى محبة شرعية للاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم لا طبيعية للهوى على عادته رضى الله عنه فى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى كل شىء حتى فى العاديات كمواضع الصلوات وقضاء الحاجات وغير ذلك نظير ما يأتى فى باب صفة الادام من قول أنس رضى الله عنه فلم أزل أحب الدباء من يومئذ قال ابن عبد البر من صريح الايمان محبة ما كان المصطفى يحبه واتباع ما كان يفعله حتى المأكول والمشروب والملبوس* قال فى جمع الوسائل وقد استدل بهذا الحديث على جواز لبس النعال فى كل حال حتى فى المقابر وقد ثبت فى حديث أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى نعليه فاذا جاز دخول المسجد بالنعل فالمقبرة أولى وكره الامام أحمد لبسها فى المقابر لحديث بشر بن الخصاصية قال بينا أنا أمشى فى المقابر اذا برجل ينادى من خلفى ياصاحب السبتيتين اذا كنت فى هذا الموضع فاخلع نعليك أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم وتعقبه الطحاوى بانه يجوز أن يكون الامر بخلعهما لاذى فيهما وحديث ان الميت ليسمع قرع نعالهم يدل على الجواز قال العسقلانى و يحتمل ان النهى اكرام للميت كما ورد النهى عن الجلوس على القبر اه وهذا عند مالك رضى الله عنه محمول على الجلوس لقضاء الحاجة* قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى ذئب) اسمه محمد واسم أبيه عبد الرحمن وكان كبير الشان ولما حج الرشيد ودخل المسجد النبوى قاموا اليه الا ابن أبى ذئب فقيل له قم لأمير المؤمنين فقال انما يقوم الناس لرب العالمين فقال الرشيد دعوه فقد قامت منى كل شعرة (عن صالح مولى التوأمة) امرأة لها صحبة سميت توأمة لانها كانت مع أخت فى بطن وهى أخت ربيعة بن أمية بن خلف الجمحى (عن أبى هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان)* قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا أبو أحمد نا سفيان) اى الثورى لانه الراوى عن السدى لا ابن عيينة كما قيل (عن السدى) هو أبو محمد اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفى صدوق سمى بالسدى لانه كان يبيع المقانع والخمر فى سدة مسجد الكوفة وهى ما يبقى من الطاق المسدود أخرج حديثه مسلم والاربعة وهو السدى الكبير المفسر المشهور وأما حفيده محمد بن مروان فمتفق على ضعفه وهو ابن ابنة السدى الكبير أو ابن أخته رمى بالرفض (قال حدثنى من سمع عمرو بن حريث) صحابى صغير قرشى مخزومى أخرج حديثه الستة توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرة ولم أر فى شىء من الروايات التصريح باسم من حدث السدى وأظنه العطاء بن السائب فانه اختلط فى آخر عمره والسدى ممن سمع منه بعد الاختلاط فلذا

الله عليه وسلم من كفار مكة أن يعارضوه بالاتيان بمثل ما أتى به من الآيات الدالة على صدق نبوته مما وقع له في ليلة الاسراء وغيره فشك وخرس وانقطع كل مريب عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم ثم منهم من سلم وأسلم ومنهم من مات كافرا وجحد وابها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ويلزم من انقطاعهم عن معارضته اتضاح أمره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقي عنده في ذلك شك أيتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا بل انضح وما بقي معه شك وكيف يبقى مع السيول الغثاء بضم

الغين المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من النبات ونحوه فكما ان الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه في أسرع وقت فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان شك ولا ريب فاستعار السيول لما أتى به صلى الله عليه وسلم لان بها الحياة الحسية وجعلنا من الماء كل شيء حي كما ان بما جاء به الحياة المعنوية واستعار الغثاء لما يتخيلونه لانه أمر حقير لا بقاء له كما ان الغثاء كذلك وبين ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفي الختم التذييل وللنحاة في نظير قوله أو يبقى الخ كلام انظره في المغني وغيره

(وهو يدعو الى الاله وان شق عليه كفر به وازدراء) جملة قوله وهو يدعو حال من فاعل تحدى أي تحدى الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما أمر به من التبليغ

لم يصرح به لئلا يفطن له لكن للحديث شاهد وهو ما أخرجه ابن حبان من حديث أبي ذر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين من جلود البقر قاله في جمع الوسائل (يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين) صلاة جنازة أو غيرها الخصف الخرز ونعل مخصوفة أي مخروزة فيحتمل أن المراد بمخصوفتين انهما مرقعتان أو وضع فيهما طاق على طاق وهي ذات الطواق وكل طواق منها خصفه بسكون الصاد والطوق بالتحريك تثنى القربة والجمع أطواق وفي حديث عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه أخرجه ابن حبان والحاكم وقد استفيد من الاحاديث المتقدمة بعض صفات نعاله صلى الله عليه وسلم وروى أبو الشيخ باسناده الى أبي يزيد بن أبي زياد قال رأيت نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم ملسنة مخصرة والملسن من النعال كما في الصحاح وغيره الذي فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والمخصرة التي لها خصر رقيق أو التي قطع خصراها حتى صارا مستدقين كما في النهاية وقال العراقي رحمه الله

ونعله الكريمة المصونه * طوبى لمن مس بها جبينه
لها قبالان بسير وهما * سبتيتان سبتوا شعرهما
وطولها شبر واصبعان * وعرضها مما يلي الكعبان
سبع أصابع وبطن القدم * خمس وفوق ذا فست فاعلم
ورأسها محدد وعرض ما * بين القبالين اصبعان اضبطهما

* قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري نا معن نا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج) اسمه عبد الرحمن أبو داود المزني اشتهر بهذا اللقب أخرج حديثه الستة (عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمشين أحدكم) وفي نسخة لا يمشي وهو نفي صورة ونهي معنى وهو أبلغ من النهي الصريح وفي نسخة لا يمش بالنهي وهو للكراهة ثم محل النهي أن يكون من غير ضرورة والا فلا كراهة كما هو ظاهر قال ابن حجر وعليه يحمل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ربما فعله اهـ ويحتمل ان ذلك قبل النهي أو لبيان الجواز وقد روي فعله عن علي وعمر فيحتمل انه لعذر أو لكون النهي ما بلغهم ان ثبت تأخر فعلهم عن قوله صلى الله عليه وسلم انظر جمع الوسائل (في نعل واحدة) وروي واحد والتذكير بتأويل النعل بالملبوس وانما نهي عن ذلك لما فيه من الآفات الدينية والدنيوية من التشويه والمثلة وعدم الوقار وعدم أمن العثار وتميز احدى جارحتيه واختلال المشي أو ضعفه وايهام غيره في الاثم لاستهزائه به وقد أرشد المصطفى صلى الله عليه وسلم الى التحرز عنه بامره من أحدث في صلاته بقبض أنفه لايهام انه رعف لئلا يخوضوا فيه فيأثموا وقدوردلا يكن للشيطان عونا على أخيك قال ابن العربي ولانه مشية الشيطان قال الشيخ زروق في شرح الرسالة ولانه يؤدي الى الضرر بالرجل الاخرى بالحفاء كما جرب فصح واتفقوا على ان من انقطع شسع نعله لا يجوز له اصلاح الواحدة وهو يمشي في الاخرى وأجاز ابن القاسم قيامه في واحدة لاصلاح الاخرى

والدعاء الى العلم بوجوده عز وجل واتصافه بصفات الكمال وضمير به للاله أو للنبي والازدراء الاحتقار والانتقاص يعني انه صلى الله عليه وسلم مديم دعاءه لهم الى الله متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم لما جاء به وذلك انه صلى الله عليه وسلم بقي بعد النبوة ثلاث سنين مستخفيا حتى نزل فاصدع بما تؤمر أي اجهر بالحجة وفرق بين الحق والباطل فذكر آلهتهم وعابها سنة أربع فاجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصمه الله بالاسلام فروى أهل السير أنه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وغيره بالشعر والكهانة

والمجنون ومنهم من حثا التراب على راسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن أبي معيط لعنه الله على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان فجاء أبو بكر ودفعه عنه وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط شعره فقام أبو بكر دونه قائلا أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله (وروى) الامام أحمد في مسنده أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد (١٠٨) فاما النبي صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من القتل بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه الله

تعالى بقومه وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وربطوهم في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله تعالى وهان على قومه فاخذوه وأعطوه للولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد لمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها وأخرج البيهقي عن عروة أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم زنيرة فعميت فقالوا ما أعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها اه

(ويدل الورى على الله بالتوحيد وهو المحجة البيضاء) الورى الخلق انسهم وملائكتهم وجنهم بل والجمادات أي يدل الخلق على العلم بالله بطلب التوحيد منهم بان يقروا بانه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله والعلم بالتوحيد هو المحجة أي الطريقة البيضاء الواضحة النيرة التي لا يضل سالكها ولا يخاف فيها آفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك روى

(فبما رحمة من الله لانت * صخرة من ابائهم صماء) أي فتسبب عن صبره على اذايتهم في دعائهم أن وفقهم الله برحمته للاسلام فما زائدة والرحمة التفضل والانعام وهذا مقتبس من قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية لان صبر النبي صلى الله عليه وسلم ولينه لهم هو السبب في نجاتهم والصخرة هي الحجر العظيم ومن بيانية والاباء الامتناع والصماء الصلبة التي لا تؤثر فيها المعاويل وهو كناية عن شدة جفائهم وقسوة قلوبهم

وقال غيره لا بد من نزع الاخرى حتى يصلح اه وهو مقتضى التعليل بالعدل بين الجوارح والقعود كالقيام وعلى هذا فلا مفهوم لقوله لا يمش أحدكم نعم قال ابن يونس لا بأس بالمشي في النعل الواحدة لمقطوع الرجل الاخرى ونحوه في العتبية قال الشيخ زروق وهو ظاهر الوجه من ضرورة المشي به والله أعلم قال في جمع الوسائل والحق بعضهم بالمشي في نعل واحدة اخراج احدى اليدين من الكم والقاء الرداء على احدى المنكبين ولبس نعل في رجل وخف في أخرى ذكره في شرح السنة وتبعه ابن حجر بما لا يجدي اه (لينعلهما جميعا) قال العسقلاني ان جعل الضمير للقدمين جاز أن يكون مجردا ومزيدا وان كان للنعلين فهو مجرد في القاموس نعل كفرح وتنعل وانتعل لبسها ونعلهم كمنع وهب لهم النعال والدابة ألبسها النعل كانعلها ونعلها اه وبه يندفع قول من قال ان جعل الضمير للقدمين لا يحتمل المجرد لانه لا معنى للبس القدمين اه ثم قوله (أو ليحفهما جميعا) يؤيد أن الضمير للقدمين وفي بعض النسخ ليخلعهما وهي رواية لمسلم والموطا وهي تؤيد أن الضمير للنعلين وكلتا الروايتين صحيحة وعلى كل حال فالضمير عائد على ما يفهم من السياق اذ لم يجر لمعاده ذكر وهو كثير ومنه قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله سبحانه وتعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وهو بضم الياء وكسر الفاء من الاحفاء وهو الاعراء من النعل والخف ويقال حفي يحفى من باب علم يعلم ولكنه ليس بمتعد فلا يناسب هنا وأو للتخيير وجميعا بمعنى معا وكذا الضمير التثنية في الموضعين * قال المصنف (حدثنا قتيبة عن مالك عن أبي الزناد نحوه) أي مثله في المعنى دون اللفظ المتعلق بالمتن قال في جمع الوسائل والاظهر انه يريد بنحوه نحو الاسناد المتقدم فكأنه قال الى آخر الاسناد فلا يرد ما قاله العصام من أن حديث قتيبة منقطع ومرسل لاسقاط الاعرج من الاسناد واسقاط أبي هريرة نعم كان يكفي ان يقول عن مالك ويزيد بهذا الاسناد * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى حدثنا معن نا مالك عن أبي الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يأكل) قال جابر أو الراوي عنه يعني أي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بضمير يأكل (الرجل) والمرأة تابعة له في الاحكام وانما فسره دفعا لتوهم رجوع الضمير الى جابر (بشماله) متعلق بيأكل والنهي للكراهة عند المالكية والشافعية وللتحريم عند الحنابلة وفي مسلم أن المصطفى رأى رجلا يأكل بشماله فقال له كل بيمينك فقال له لا أستطيع فقال له لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد ذلك وهذا لا يدل على التحريم ومثل الاكل الشرب وانما نهى عن ذلك بالشمال تكريما للنعمة الله أن تتناول باليسرى المعدة لملاقاة النجاسات والله أعلم وقد سبق عدد ذلك في النظائر التي هي من باب التكريم فتكون باليمين وهذا من العدل بين الجوارح أيضا حيث أعطيت كل جارحة ما تستحقه (أو يمشي في نعل واحدة) لما في ذلك من الآفات الدينية والدنيوية كما تقدم وأو للتنويع فكل مما قبلها وما بعدها منهي عنه وليست للشك ولا بمعنى الواو وكما قيل لانه يوهم أن المنهي عنه اجتماع الامرين وليس كذلك فهو نظير قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا قال المناوي ووجه ايراد هذا الحديث في الباب الاشارة الى أن المصطفى لم يمش هذه المشية المنهي عنها أصلا اه وقد تقدم الجواب عما

أي زال امتناعهم عن طاعته فيما يأمرهم به فأطاعوه واتبعوه قال ابن حجر فعلم انه استعار الصخرة التي في غاية الصلابة لاباءهم منه أولا اذ كانوا في غاية النفرة منه والبغض والايذاء له وليونتها و زوال صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع أوامره ونواهيه آخرا و بين أن ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء اه والحاصل انه صلى الله عليه وسلم مازال يدعوهم و يتلطف بهم و يتحمل جفاءهم و يصبر على اذاهم حتى انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم وسئل مولانا علي كرم الله وجهه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه وكان قد أسر في سرية الرجيع قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما أحب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وسمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أباه أبا قحافة قبل اسلامه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعلت يا أبا بكر قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيدا يوم أحد وقتل عمر بن الخطاب خاله العاصي بن هشام يوم بدر الى غير ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين وقال و يتفاوت الناس في الايمان على قدر تفاوتهم في محبتي ألا لا ايمان لمن لا محبة له فبمحبة النبي صلى الله عليه وسلم نال من نال ما نال وسعد من سعد حتى وصل درجة الكمال ومن لازم المحبة الطاعة والخدمة ان المحب لمن يحب مطيع * وراجع ما تقدم وبالله التوفيق (واستجابت له بنصر وفتح *

روي انه ربما فعله وما روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما * قال المصنف (حدثنا قتيبة عن مالك ح) تقدم ما فيه (وحدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا انتعل أحدكم) أي اذا أراد أن يلبس أحدكم نعليه (فليبدأ باليمين) أي بالجانب اليمين من الرجلين أو النعلين وفي الصحيحين فليبدأ باليمين (واذا نزع) أي أراد خلعهما وفي رواية البخاري انتزع (فليبدأ بالشمال) أي من الرجلين أو النعلين والامر للاستحباب قال عياض اجماعا اه وفائدته اكرام اليمنى نعلا وخلعا وهذا مطلوب حتى عند الدخول للمسجد فيخرج رجله اليسرى من النعل ثم يضعها على ظهره ثم يخرج رجله اليمنى من النعل و يدخلها المسجد فيجمع لليمنى بين الفضيلتين وعند الخروج من المسجد يخرج رجله اليسرى أولا من المسجد و يضعها على ظهر النعل ثم يخرج رجله اليمنى و يلبسها نعلها ثم يلبس اليسرى نعلها فيجمع لليمنى أيضا بين الفضيلتين (فلتكن اليمنى) وفي نسخة فلتكن اليمين وهي أنسب بقوله فليبدأ باليمين و بقوله (أولهما تنعل وآخرهما تنزع) وكانه ذكر لتأويل اليمنى بالعضو وأول بالنصب ظرف لغو متعلق بالخبر وهو تنعل قال العصام لا في أو حال و يحتمل الرفع على انه مبتدأ والجملة الفعلية خبره وكذا يقال في قوله وآخرهما تنزع واذا كان فائدة الابتداء باليمين عند اللبس و بالشمال عند النزع ما تقدم فقوله فلتكن تكرير للتأكيد فكأنه يقول فلتكن هذه الخصلة ملكة راسخة ثابتة دائمة فان النفوس تأخذ هذا الامر هينا وليس بذاك قاله العصام بالمعنى قال في جمع الوسائل وأقول بل فيه زيادة افادة وهي أن المقصود من الفعلين السابقين على النهجين المذكورين انما هو رعاية اكرام اليمنى فقط نعلا وخلعا حتى لا يتوهم انه ساوى بين اليمنى واليسرى بان أعطى كلا منهما ابتداء في أحد الفعلين ونظيره تقديم اليمنى في دخول المسجد وتقديم اليسرى في خروجه وعكسه في دخول الخلاء وخروجه وزعم بعض النقاد أن قوله فلتكن الخ مدرج من كلام بعض الرواة شرحا وتأكيدا لما سبق وان المرفوع هو ما سبق فقط * قال المصنف (حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أشعث وهو ابن أبي الشعثاء) زاد هذا ليظهر قوله (عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن) أي تقديم جانب اليمين فيما هو من قبيل التكريم لشرف اليمين وقد تقدم وجه ذلك في باب الترجل (ما استطاع) أي مدة دوام قدرته على ما ذكر وجوز بعضهم أن تكون ما موصولة بدل من التيمن أي المستطاع منه بحذف الرابط وهذا تأكيد لاختيار التيمن ومبالغة في عدم تركه كما هو العرف في نظائره كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم قال العصام ولم يرد أنه ربما يتركه للضرورة وعدم القدرة اه قال في جمع الوسائل وهو ظاهر لانه لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم خلاف التيمن والذي يظهر أن المراد انه صلى الله عليه وسلم كان يكتفي باليمين فيما لم يتعسر احترازا عن نحو غسل الوجه خلافا للشيعة أو يتعذر بان كان يريد مثلا أن يأخذ العصا والكتاب فيتعين أن يأخذ أحدهما باليمين والآخر باليسار وكما وقع له الجمع بين أكل القثاء والرطب باليدين وكما في لبس النعلين اذا كان محتاجا الى استعمال اليدين اه وقال ابن حجر هو احتراز عما اذا احتيج لليسار لعارض باليمين فانه

بعدذالك الخضراء والغبراء) أى و بعد أن لا نوا ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له أى أجابت دعوته وامتثلت أشارته مع النصر والفتح أو بسببها بكثرة الاتباع والقاء الرعب فى القلوب والفتح لبلادهم بعد ذلك الضعف الذى كان والخضراء فاعل استجابت وهى السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك لانها موج مكفوف اخضرت من صخرة خضراء تحت الارض كما ورد انظر المنح والغبراء الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من طين والمراد أهلهما و يحتمل ان يكون استعار السماء للرفيع من الناس والأرض للوضيع منهم ولم يبق الامسلم أومسلم وتقييد اجابة أهل السماء بقوله بعد ذالك ظاهر لان الملائكة لم تنزل لنصرته الا ببدر ومابعدها وقد حصلت القوة والرعب فى القلوب بالاذن فى الجهاد (وأطاعت لامره العرب العر * باء والجاهلية الجهلاء) أى ومن جملة استجابة أهل الارض له بعد ذلك انه أطاعت لامره وهو القول الدال على الطلب أى ونهيه والعرب بفتحتين و يقال بضم فسكون وهم أولاد اسمعيل والعرباء و يقال العاربة وهم الخلص وغيرهم مستعربة ومتعربة أى دخلاء وفى قوله الجاهلية الجهلاء شبه التأكيد اللفظى وفيه مع ماقبله شبه تجنيس الاشتقاق وعطف الجاهلية على ماقبله من عطف العام على الخاص وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من الشدة والقوة مالم يبلغه تصميم غيرهما (وتوالت للمصطفى الآية الكبـ * رى عليهم والغارة الشعواء واذاما تلا كتابا من اللـه تلته كتيبة خضراء) أى وتتابعت للمصطفى من صلى الله عليه وسلم الآيات الكبرى أى العلامات الدالة على نبوته والمدحضة لما تقولوه وافتروه عليه كالقرآن وانشقاق القمر فللمصطفى متعلق بالآية الذى هو مفرد محلى بال فهو فى معنى الجمع و يدل عليه لفظ توالت لان التوالى يستدعى متعددا و يستفاد منه أن الآيات هى خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو أولى معنى من تعلقه بتوالت وان كان أظهر صناعة لصدقه بآية من تقدمه وتوالت له عليهم أيضا الغارة اسم مصدر لاغار على بلادهم وأموالهم ونفوسهم وذراريهم والشعواء الفاشية المتفرقة المحيطة بهم بسائر الجوانب التى لم تظفر لهم بنفس ولا مال الا أهلكته

لا كراهة فى تقديمها حينئذ (فى ترجله وتنعله وطهوره) تقدم فى باب الترجل انه ليس المراد الحصر فى الثلاثة بل المراد مراعاة التيمن فى أعلى البدن وأسفله وفى جملته ومما ورد فى باب التنعل وكثير من الناس التساهل فيه ماروى عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتعل الرجل قائما لكن ذكر فى شرح السنة أن الكراهة لمشقة تلحق فى لبس نعال فيها سيور لانه لا يمكن اللبس بدون اعانة اليد فلا نهى فيما ليس فيه تلك المشقة وفى الرسالة ولا بأس بالانتعال قائما قال الشيخ زروق قد ورد النهى فيه وكان مالك رآه معللا بكشف العورة فلا يكون مكروها لذاته وحيث يؤدى الى الكشف فممنوع اه والتعليل بما ذكره من كشف العورة أظهر مما علل به فى شرح السنة قال فى جمع الوسائل وفى معنى التنعل المنهى عنه لبس الخفين والسراويل قائما فان الكراهة متحققة فيهما لوجود المشقة اللاحقة بلبسهما من قيام انتهى وانظر تعليله ذلك بالمشقة فقد لا يتم * قال المصنف (حدثنا محمد بن مرزوق أبو عبدالله نا عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية) أى الضبى الزعفرانى أخرج حديثه الستة كذا فى جمع الوسائل وهو خطأ فان عبد الرحمن بن قيس لم يخرج حديثه أحد من الستة انظر المناوى (نا هشام) قال العصام المسمى بهشام فى أحاديث الشمائل خمسة اه بنقل جمع الوسائل ولم يبينهم (عن محمد) أى ابن سيرين (عن أبى هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لكل فرد منهما (قبالان وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما) فصل باسم كان وهو قبالان بين المعاطفات التى هى معمولة لخبرها وهو لنعل اذ العامل فى المضاف اليه وما عطف عليه هو المضاف اشارة الى الاهتمام به وانه المقصود بالاخبار والاصل كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر قبالان (وأول من عقد عقدا واحدا) أى اتخذ قبالا واحدا (عثمان رضى الله عنه) اشارة الى بيان الجواز وان لبسه صلى الله عليه وسلم للنعل بقبالين لكون ذلك كان هو المعتاد لا على قصد العبادة للعباد لما تقرر فى الاصول أن أفعاله صلى الله عليه وسلم دائرة بين أربعة مباح ومستحب وسنة وفرض وان كان المباح فى حقه قربة لانه انما يفعله بنية تصيره قربة فلو لم يبين ذلك عثمان رضى الله عنه لتوهم كراهة الاقتصار على قبال واحد أو انه خلاف الاولى لانه خلاف ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحباه و بهذا يعلم ان ترك لبس النعلين ولبس غيرهما ليس بمكروه أيضا قاله فى جمع الوسائل

﴿ باب ماجاء فى ذكر خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

كذا فى الاصول المصححة بزيادة ذكر بين فى ومجرورها وكان الحكمة فى تمييز هذا الباب بها على بقية أبواب الكتاب تكرار باب الخاتم وان كان قد ميز احداهما بالاضافة الى النبوة والاخرى بالاضافة الى النبى صلى الله عليه وسلم لان تكرار مابه التمييز يفيد التأكيد قاله فى جمع الوسائل وخاتم بفتح التاء وكسرها قال ابن حجر و يقال فيه خيتام وخاتام وخيتوم والمراد بها هنا الحلقة من الفضة التى كان يلبسها صلى الله عليه وسلم أى باب بيان ماورد فى صفتها وسبب اتخاذها ونقشها ومآل أمرها (حدثنا قتيبة بن سعيد وغير واحد) أى وكثير

ثم بعد أن أستجابت لله أهل السماء وأهل الارض ودخل الناس في دين الله أفواجا وكثرت اتباعه جدا صار اذا تلا أي قرأ كتابا أنزل عليه من الله وهو القرآن تبعته لاجل القراءة سمعه أو استماع قراءته كتيبة أي جماعة كالجيش خضراء أي يعلوها سواد السلاح فترى من بعد خضراء أو من شأنها ذلك وهي بصدده وان لم تتلبس به وكثيرا ما توصف الجماعة الكثيرة بكونها خضراء ومنه قول القاضي عياض رحمه الله

انظر الى الزرع وخامته * تحكي وقد مالت امام الرياح كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

(وكفاه المستهزئين وكم سا ء نبيا من قومه استهزاء و رماهم بدعوة من فناء الـ بيت فيها للظالمين فناء) يقال كفيت فلانا المؤنة اذا توليتها له ولم تحوجه اليها والمستهزؤن هم جماعة كانوا يسخرون منه و يبالغون في الاذاية فتولى الله اهلاكهم وفي قوله وكم ساء نبيا الخ تلميح أي اشارة الى قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية ولذا قال له فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واشار بصدر البيت الى قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ففيها التصريح بان الله جل وعلا هو الذي كفاه ذلك بنفسه وهو كذلك في الحقيقة وان كان جبريل مباشرا لذلك صورة وكسبا لا خلقا وايجادا اذ الله تعالى هو الفاعل حقيقة فان قيل هذا عام في كل فعل فأين الخصوصية التي خص الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم أجيب بانها هي نسبة ذلك اليه تعالى مرتين وعدم التعرض لذكر السبب الصوري الظاهر وفي كثير من قضايا الامم مع أنبيائهم تعرض لذكر الاسباب كذكر صنع السفينة وفوران التنور في قضية قوم نوح وذكر تقدم جبريل بفرسه في قضية اغراق قوم فرعون وذكر بعث رسل الملائكة في قضية قوم لوط الى غير ذلك وأشار الى أن علة اهلاكهم استهزاؤهم به صلى الله عليه وسلم اذ تعليق الحكم على الوصف المناسب يشعر بالعلية وانما لم يقل المستهزئين بك بل حذف المعمول لترفيع قدر حبيبه صلى الله عليه وسلم بترك التصريح بالاستهزاء به وان كان المعنى عليه ولم يقل شرا أو اذاية أو استهزاء المستهزئين تنبيها على انه كفاه مع ذلك انفسهم وذواتهم واستأصلهم من الوجود لشدة بغضه صلى الله عليه وسلم لهم لعلمه انهم لا يهتدون ولما كان صلى الله

من مشايخ المصنف (عن عبد الله بن وهب) أخرج حديثه أيضا النسائي وابن ماجه (عن يونس) أي الايلي (عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من ورق) بكسر الراء وسكونها أي فضة (وكان فصه) مثلث الفاء كما في القاموس وهو ما ينقش فيه اسم صاحبه أو غيره (حبشيا) وسيأتي وكان فصه منه وجمع بينهما بانه صلى الله عليه وسلم كان له خاتمان أحدهما فصه منه والآخر فصه حبشي وقال ابن العربي ما روي أن فصه كان حبشيا وان فصه منه ليس بمتناقض لانه لبس الصفتين واستقر الامر على خاتم فصه منه اهـ لكن قال بعضهم ادعاء التعدد يحتاج الى دليل ولم يثبت فلعل معنى كونه كان حبشيا انه على صنعة الحبشة أو ان صانعه حبشي فلا ينافي أن فصه منه وانه نقش عليه محمد رسول الله فان الحجر لا يمكن النقش عليه غالبا قال المناوي والذي اعتمده الامام السيوطي ولا محيد عنه ان الحبشي نوع من الزبرجد يكون ببلاد الحبش لونه الى الخضرة من خواصه انه ينفي العين ويجلو ظلمة البصر اهـ وأما قول البيهقي في الشعب الاشبه لسائر الروايات ان الذي كان فصه حبشيا هو الخاتم الذي اتخذه من ذهب ثم طرحه والذي فصه منه هو الفضة اهـ فمخالف لصريح قول أنس كان من ورق وكان فصه حبشيا قال في جمع الوسائل وما روي في التختم بالعقيق من أنه ينفي الفقر وانه مبارك وان المتختم به لا يزال في خير فكل ذلك غير ثابت على ما ذكره الحفاظ وفي خبر ضعيف ان التختم بالياقوت الاصفر يمنع الطاعون اهـ * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أي ابن سعيد (نا أبو عوانة) هو الوضاح روى عنه الستة (عن أبي بشر عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة) أي أمر بصياغته أو وجده مصوغا فاتخذه وكان ذلك في السابعة على ما في سيرة ابن سيد الناس أو السادسة على ما جزم به غيره (فكان يختم به) أي الكتب التي يرسلها للملوك وفي نسخة يتختم به أي يلبسه ولكنه ينافي قوله (ولا يلبسه) سيأتي في الاحاديث انه كان يلبسه في يمينه أو يساره على اختلاف في الاحاديث وانه كان اذا دخل الخلاء نزع خاتمه وذلك مناف لقوله هنا ولا يلبسه ووجه الجمع أن جملة ولا يلبسه حال فيفيد انه كان يختم به في حال عدم اللبس وهو لا يدل على انه لا يلبسه مطلقا والمراد انه لا يلبسه على سبيل الاستمرار والدوام أو المراد من هذه العبارة انه اتخذه للختم به لا للبس والتزين لان لبس الخاتم ليس من عادة العرب وكونه متخذا لهذا الغرض لا ينافي لبسه ويحتمل انه اتخذ خاتما للباس وخاتما للختم وقد تقدم عند أرباب هذا الفن أن التوفيق مقدم على الترجيح انظر جمع الوسائل ثم اعلم ان اتخاذ خاتم الفضة مستحب ولو لمن لم يحتج اليه للختم وقيل يكره الا لذي سلطان لحديث في ذلك كالقاضي لانه يحتاج اليه للختم به والاول هو المشهور لكن قال ابن عرفة هذا اذا اتخذ للسنة وأما اليوم فلا يفعله غالبا الا من لا خلاق له أو يقصد به غرض سوء فأرى أن لا يباح لمثل هؤلاء اهـ وعلى هذا فاذا صار شعار السفلة ومن لا خلاق له من أهل المجون والفسقة لم يجز لان صيانة العرض بترك سنة واجب وفي نوازل المعيار من كتاب الجامع سئل عز الدين هل يجوز ترك السنة لمشاركة مبتدع فيها فاجاب لا يجوز ترك السنة لذلك ومازال العالمون والصالحون يقيمون السنن مع العلم بمشاركة المبتدعين ولو ساغ ذلك لترك الاذان والاقامة والسنن الراتبة اهـ

عليه وسلم فى غاية الحاجة الى تدمير أولئك الكفرة لشدة جرأتهم ومضادتهم لظهور دين الله أكدله الحكم بهلاكهم بان وتكرير الاسناد وعبر بالماضى تنبيها على قرب الوقوع وتحققه فكأن هلاكهم قدوقع وصار من حيز ما يخبر بوقوعه ثم أخبر الناظم ان النبى صلى الله عليه وسلم رماهم أى أصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه وتلك الدعوة كائنة من فناء البيت أى من حوالى الكعبة ومن صفتها انها فيها (١١٢) فناء أى استئصال للظالمين والاظهار للتسجيل عليهم بالظلم الذى هو سبب هلاكهم والظلم وضع الشىء فى غير محله وبين فناء وفناء تجنيس محرف يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وشكاهم الى جبريل فقال له أمرت أن أكفيكهم وأشار الى كل بما أصابه فكان دعاؤه سببا لاشارة جبريل اليهم بالهلاك ﴿تنبيه﴾ ينبغى ان تتنبه الى أنه لامنافاة بين الوقوف مع مراد الله والتسليم له فى حكمه واستحضار حكمته فى افعاله وبين ضيق الصدر من أقوال الكفرة وأفعال الظلمة ومحبة هلاكهم والفرح بتدميرهم وذلك ان العبد العالم بقدرة سيده وكمال حكمته وتدبيره وهو مع ذلك معمور القلب بمحبته لايخلو حاله من أحد أمرين مقتضى علمه بما ذكر ومقتضى محبته للسيد فمن حيث علمه بما ذكر يسلم ويذعن ولا ينازع ويعلم انه لاغلبة تلحق السيد ولا قهر يناله اذ هو المدبر لذلك لحكم علمها وستنجلى وتتضح ويظهر انه هو الغالب والقاهر ومن حيث المحبة يضيق صدره بالامور الصورية التى يسمعها فى جانب حبيبه ويراها وان كانت ابن
صورية فقط ويفرح بظهور أمر سيده وقيام حرمته وعموم العلم بصولته وسطوته وانجلاء عزبه للضعفاء والشاكين والمنكرين فلا سبيل لخلو المؤمن عن أحد الامرين فلا يعزب عنك ولا يشتبه عليك الحال فى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون الآية فانه غير مناف لكمال المعرفة بل هو مقتضاها فافهم ولهذه الحكمة والله أعلم عبر بالمضارع فى جانب الضيق والقول مع ان كلا منهما قد وقع تنبيها على ان الضيق من لازم المؤمن وانه لا يذهب عنه وان مضى سببه وانه يتجدد بتجدد أسبابه فالمعنى انك يضيق صدرك عند استحضار أقوالهم وان مضت

وهذا عند التامل غير ما منعه ابن عرفة لانه لا يلزم من منع ما صار شعار من لا خلاق له منع ما فيه مطلق المشاركة فقط والله أعلم وقد تقدم قول الابى لو اختص اهل الفسق والظلم بشىء مما أصلته السنة كالخاتم والخضاب فينبغى لاهل الفضل أن لا يتشبهوا بهم وأيضا فقد يظن من لا يعرفهم انهم منهم فيكون قد أعان على اساءة الظن به اهو سيأتى فى الباب بعد حكم خاتم الذهب وغيره وفى بعض النسخ (قال أبو عيسى) أى المصنف (أبو بشر) أى المذكور فى السند (اسمه جعفر بن أبى وحشى) وفى نسخة وحشية بغير انصراف وقد اختلف فيه ثقة وضعفا * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا حفص بن عمر بن عبيد) بالتصغير (هو الطنافسى) بفتح الطاء وكسر الفاء منسوب الى طنافس جمع طنفسة البساط الذى له خمل صغير والنسبة للعمل أو البيع اشعارا بانه علم بالغلبة واشتهر به وهو ثقة (نا زهير أبو خيثمة) احترز به عن زهير أبو المنذر لانه غير ثقة (عن حميد) أى الطويل (عن أنس رضى الله عنه قال كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة وفصه منه) الضمير للخاتم ومن للتبعيض أى فصه بعض الخاتم أو الضمير للفضة والتذكير بتأويل الورق وهل كان مثلثا أو مدورا أو مربعا والتربيع أقرب الى النقش فيه والختم به قاله المناوى وفى رواية أبى داود من طريق زهير أيضا بهذا الاسناد من فضة كله وأخرج أبو داود والنسائى من حديث اياس بن الحرث بن معيقيب عن أبيه عن جده انه قال كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة وله شواهد منها ما هو مسند ومنها ما هو مرسل انظرها فى جمع الوسائل وقد ذكرانها هى التى سقطت فى بئر أريس وعليه فقد تعدد خاتمه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى حين رجع من الحديبية (أن يكتب) أى الكتب (الى العجم) أى عظمائهم وملوكهم يدعوهم الى الله تعالى (قيل له ان العجم) قائل ذلك من العجم أو من قريش ولا مانع من الجمع (لا يقبلون) أى لا يعتمدون (الا كتابا عليه خاتم) أى وضع عليه نقش خاتم لان الختم يؤمن معه من الزيادة والنقص فلا يتطرق فى المكتوب شك ومن ثم يختم على صحيفه الانسان عند موته ولانه يدل على الاعتناء بالمكتوب وبالمكتوب اليه وان ذلك سر بين الكاتب وبينه لم يطلع عليه أحد وهذا ربما يدل على ان الختم كان على ظهر الكتاب بعد طيه (فاصطنع خاتما) أى أمر أن يصنع له خاتم أخرج الدارقطنى فى الافراد من حديث سلمة عن عكرمة عن يعلى بن أمية قال أنا صغت للنبى صلى الله عليه وسلم خاتما لم يشركنى فيه أحد نقشه محمد رسول الله (كأنى أنظر الى بياضه) أى الخاتم لانه كان من فضة (فى كفه) فى القاموس الكف اليد أو الى الكوع وفى الحديث ندب معاشرة الناس بما يحبون وترك ما يكرهون واستئلاف العدو بما لا يضر ولا محذور فيه شرعا * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا محمد بن عبد الله الانصارى) أخرج حديثه الستة والمسمى بهذا الاسم ثلاثة أكبرهم هذا وثانيهم اسم جده حفص وثالثهم اسم جده زياد (حدثنى أبى) يعنى عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصارى أخرج حديثه البخارى والترمذى وابن ماجه (عن ثمامة) بن عبد الله بن أنس بن مالك أخرج حديثه الستة (عن أنس

فيكون استحضارها كاصل حصولها لفظاعتها وكذا يضيق عند وقوع ما هو من جنسها من أشباههم أي ان ذلك حالك ومقتضى محبتك فهو من شواهدها وأدلتها واتى عبر بالمضارع في جانب العلم تنبيها على حضوره وان كان العلم بحضوره وعدم انقطاعه حاصلا لكن استحضار ذلك الحضور مسل ومعين ومهون لفهم المحب انه على بال من حبيبه فالمعنى ولقد نعلم الآن وان كان العلم قديما دائما وهذه وان كانت هي حالة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لننزهه عن الغفلة لكن في ذلك اعلام بالاعتناء به وتنبيه لغيره على الائتساء به في استحضار حضور العلم ولما ذكر من التصريح بالاعتناء به وتنبيه الغير على الائتساء به أقسم على هذا الاجر وأتى بقد التي للتحقيق ولتحقيق مقتضى المحبة وشاهدها أتى بأن المفتوحة ولكمال التسلية أتى بقوله الذين يجعلون مع الله إلها آخر أي انهم تجرؤا على حضرة الوحدانية وادعوا الاشراك فليسهل عليك ما تلقى منهم وأحسن من هذا انه تمهيد لقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك أي ان سبب ضيقه وقوعهم في جنابنا الاعلى لا محبة نفسك والشفقة عليها وقولهم له ساحر ومجنون وغيرهما من هذا القبيل لانهم يقدحون في رسول الله ثم ذكر نعمته باستحضار الفرق بينه وبينهم بالمعرفة التي سلبوها والقرب الذي حصل لهم ضده كأنه يقول افرح بذلك واشكر الله عليه واعمل بمقتضاه اه (خمسة كلهم أصيبوا بداء والردى من جنوده الادواء)

(١٥ - جسوس) يصح في قوله خمسة أوجه الاعراب الثلاثة فالنصب بابداله من المستهزئين والجر بابداله من الظالمين والرفع بتقدير المبتدا والردى أي الهلاك مبتدأ أول والادواء جمع داء مبتدأ ثان ومن جنوده خبر عن الثاني والجملة خبر عن الاول أي والهلاك من جملة جنوده وأسبابه المعينة عليه الامراض وهذا ساقه مساق التعليل لما قبله أي انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل أسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا ثم عينهم وما أصابهم فقال (فدهى الاسود بن مطلب أ * ي عمى ميت به الاحياء)
دهى من الداهية وهي الامر العظيم المهلك والاسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى القرشي الاسدي كنيته أبو زمعة بابنه زمعة ماتا معا

ابن مالك قال كان نقش خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم) خبر كان محذوف ففي رواية البخاري كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر (محمد سطر) مبتدأ وخبر (ورسول) بالرفع بلا تنوين على الحكاية (سطر) ويجوز التنوين على الاعراب (والله) بالرفع والجر بناء على ما سبق (سطر) ظاهره انه لم يكن فيه زيادة على ذلك ورواية ان الذي كان مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله شاذة وكذا رواية بسم الله محمد رسول الله وظاهره انه كان على هذا الترتيب خلافا لمن قال ان كتابته كانت من أسفل الى فوق يعني ان الجلالة في أعلى الاسطر الثلاثة ومحمد في أسفلها فان ذلك ليس صريحا في شيء من الاحاديث بل رواية الاسماعيلي تخالف ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثاني رسول والسطر الثالث الله وظاهره ان كتابته لم تكن على السياق العادي فان ضرورة الختم به تقتضي ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا وفي تاريخ ابن كثير عن بعضهم ان كتابته كانت مستقيمة وكانت تطبع كتابة مستقيمة * قال المصنف (حدثنا نصر بن علي الجهضمي) نسبة الى جهضمة محلة بالبصرة (أبو عمرو) بالواو أخرج حديثه الستة (نا نوح بن قيس) أي الحراني نسبة الى حران بضم المهملة وتشديد الراء وهي قبيلة من الازد وهو بصري صدوق أخرج حديثه مسلم والاربعة لكن رمي بالتشيع (عن خالد بن قيس) أي ابن رباح البصري أخرج حديثه مسلم والاربعة (عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب) أي أراد أن يكتب بقرينة الحديث السابق (الى كسرى) بفتح الكاف وكسرها تقدم في أول باب الخف انه لقب ملك الفرس واسمه ابرويز بن هرمز ولما بلغه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مزقه فدعا عليه صلى الله عليه وسلم بتمزيق ملكه فمزق كل ممزق (وقيصر) تقدم انه لقب ملك الروم واسمه هرقل ولما وصله كتاب النبي صلى الله عليه وسلم حفظه فحفظ ملكه (والنجاشي) تقدم انه ملك الحبشة وأن اسمه أصحمة وانه لما بلغه كتابه صلى الله عليه وسلم أسلم وانه لما مات صلى عليه هو وأصحابه صلاة الجنازة راجع أول باب الخف (فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا بخاتم فصاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما) أي أمر بصوغه وتقدم ان الذي صاغه يعلى بن أمية (حلقته) بفتح اللام ويسكن (فضة) فيه اشعار بانه لم يكن فصه من فضة (ونقش) مبني للفاعل أو للمفعول (فيه) أي في الخاتم يعني في فصه (محمد رسول الله) بالرفع على الحكاية * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور أنا سعيد بن عامر والحجاج بن منهال) أخرج حديثهما الستة (عن همام عن ابن جريج عن الزهري عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء) أي أراد دخوله (نزع خاتمه) وفي رواية وضع خاتمه وانما كان ينزعه لاشتماله على اسم الجلالة واسم نبي من أنبياء الله ووصف من أوصاف جميع رسله أو صورة جملة من جمل القرآن وانما لم نقل ان هذه الجملة من القرآن لانها لا تكون من القرآن الا ان قصد بها التلاوة قال الحطاب ما حاصله ينبغي أن يتفق على استحباب ترك الذكر في الكنيف وادخال ما فيه ذكر كورقة أو درهم أو خاتم للكنيف ومراد من عبر بالجواز عدم المنع لا الجواز المستوي الطرفين ثم اعلم انه اختلف في الذكر اذا لم يكن قرآنا وما فيه ذكر سواء كان قرآنا أو غيره على قولين فقيل بجواز ذلك في الكنيف والمراد

كافرين وكان هو وأصحابه يتغامزون بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ويقولون قد جاءكم ملك الارض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر وأى عمى فاعل دهى أى عمى عظيم للبصر والبصيرة وعمى البصيرة به يصير الحى فى حكم الميت ولذا اعقبه بقوله ميت به الاحياء وميت مبتدأ والاحياء فاعل أغنى عن الخبر وجرى فيه الناظم على مذهب الاخفش والكوفيين فانهم لا يشترطون تقدم نفى ولا استفهام قال فى التسهيل ولا يجرى ذلك المجرى باستحسان الا بعد نفى أو استفهام خلافا للاخفش والكوفيين اه قال الدماميني أى

فى تجويزهم ذلك من غير تقدم نفى ولا استفهام وأشار المصنف بقوله باستحسان الى أن الوصف قد يجرى ذلك المجرى وان لم يعتمد لكن لا باستحسان ثم قال وتلخص من هذا ان سيبويه والاخفش متفقان على جواز قائم الزيدان والخلاف بينهما انما هو فى الاستحسان فسيبويه يقول ليس بحسن والاخفش يقول حسن وكذا الكوفيون اه والى مذهب سيبويه أشار فى الالفية بقوله * وقد يجوز نحو فائز أولو الرشد * ولم يشر به الى مذهب الاخفش والكوفيين خلافا لحل الشراح لما علمت مما تقدم وبه تعلم رد ما فى ابن حجر هنا ثم ان من جوز الابتداء بالوصف من غير تقدم نفى ولا استفهام لا يشكل عليه كونه نكرة بلا مسوغ وقول المغنى المسوغ العمل فى المرفوع نظر فيه الدماميني بأن اشتراط المسوغ انما هو فى أحد قسمى المبتدا وهو المحكوم عليه لان هذا القسم هو الذى تعريفه مناسب وأما القسم الآخر من قسمى المبتدا وهو المحكوم به كالوصف المذكور فيشترط أن يكون نكرة ولا يجوز تعريفه كما نصوا عليه فلا حاجة فى وقوعه مبتدأ مع تنكيره الا أن يقال تخصص بالعمل وقد أقر الشمنى ما للدماميني وهو حقيق بذلك وكلام المغنى والازهرى فى التصريح ما تقدم فى رده صريح واللبيب يستغنى بالتلويح عن التصريح ثم ان ما أشار اليه الناظم هو ان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على الاسود لعنه الله ان يعمى الله بصره ويثكله ولده خرج يستقبل ولده زمعة وقد قدم من الشام فقعد بظل شجرة فجعل جبريل يضرب عينيه بورقة من ورقها خضراء أو بشوكة منها

بالجواز ما تقدم أى نفى الكراهة الشديدة وقيل بالمنع وهل المراد به التحريم وهو ظاهر كلام بعضهم أو الكراهة المؤكدة وهو ظاهر كلام جماعة وهو الظاهر وأما قراءة القرآن فى الكنيف فتمنع وهل المراد بالمنع الكراهة أو التحريم وهو الظاهر وهذا كله مع الاختيار وأما ان اضطر للذكر لخوف أو لادخال ما فيه ذكر أو قرآن لان نزعه يضر به أو لعدم من يحفظه له فالجواز انتهى وحصل فى الاستنجاء بالخاتم الجواز وهو الذى يفهم من كلام ابن القاسم وعلله لقوله انى لا فعله والكراهة وهى التى تفهم من كلام مالك فى مواضع ثلاثة من العتبية ومن اللخمى والتحريم وهو المفهوم من التوضيح وابن عبد السلام وابن العربى فى العارضة حيث قال فلا يحل لمسلم ان يستنجى بخاتم فيه اسم الله وما روى عن مالك من جواز ذلك رواية منكرة عند أهل المذهب عن آخرهم باطلة اه ثم اعلم أن هذا الحديث أخرجه أبو داود فى سننه وقال فى آخره حديث منكر وانما يعرف عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهرى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه قال والوهم فيه من همام ولم يروه الا همام وكذا ضعفه أيضا النسائى والبيهقى وأما المؤلف فاخرجه أيضا فى الجامع وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه ابن حبان أيضا والحاكم فى المستدرك وقال على شرط الشيخين قال فى جمع الوسائل الحكم على حديث همام هذا بالشذوذ أولى من الحكم عليه بالنكارة لانه ثقة باتفاق الأئمة والشاذ هو ما رواه الثقة مخالفا لما رواه من هو أرجح منه لمزيد ضبطه أو لكثرة عدده ولهذا صححه الترمذى لكنه حكم عليه بالغرابة لانه لم يروه غيره ثم قال على ان أئمة الحديث أطبقوا على ان الزهرى وهم فى الحديث الذى أشار اليه أبو داود وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه قال عياض المعروف عند غيره من أهل الحديث ان الخاتم الذى طرحه انما هو خاتم الذهب لا خاتم الورق اه ومنهم من استعظم نسبة الزهرى الى الوهم مع انه كان الغاية فى الحفظ والضبط فأجاب عن هذا الوهم باجوبة قال فى جمع الوسائل والاظهر فى الجواب انه صلى الله عليه وسلم بعد تحريم خاتم الذهب لبس خاتم الفضة على قصد الزينة فتابعه الناس محافظة على متابعة السنة فرأى ان فى لبسه ما يترتب عليه من العجب والكبر والخيلاء فرماه فرماه الناس فلما احتاج الى لبس الخاتم لاجل الختم به لبسه وقال للناس انا اتخذنا خاتما ونقشنا فيه نقشا للمصلحة فلا ينقش عليه أحد أى اسمنا بل ينقش اسمه اذا احتاج الى الختم اهـ وحاصله ان طرحه كان قبل أن ينهاهم عن نقشها على نقش خاتمه فلما نهاهم عن ذلك لبسها ثم لبسوا خواتيمهم * قال المصنف (حدثنا اسحق ابن منصور نا عبد الله بن نمير) أخرج حديثه الستة (نا عبيد الله بن عمير) مر ذكره (عن نافع عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق فكان فى يده) أى حقيقة بان كان لابسه فى اصبعه فالمراد باليد جزؤها (ثم كان) بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (فى يد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ثم كان فى يد عثمان رضى الله عنه) أى للتختم به وللختم أيضا كالنبى صلى الله عليه وسلم وفى الحديث التبرك بآثار الصالحين وجواز لبس ملابسهم ولبس الخاتم وان النبى صلى الله عليه وسلم لم يورث اذ لو ورث لدفع الخاتم الى ورثته بل كان الخاتم والقدح والسلاح ونحوها من الاثاث صدقة للمسلمين يصرفها من ولى الامر فى المصالح فجعل

القدح

فاستغاث بغلامه فقال لا أحد يصنع بك شيأ غير نفسك وأما ابنه زمعة فقتل يوم بدر (ودهى الاسود بن عبد يغوث * ان سقاه كأس الردى استسقاء) الاسود بن عبد يغوث بن وهب الزهرى ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول له أما كلمت اليوم من السماء يا محمد وشبه الردى بالمشروب وأثبت له ماهو من لوازم المشبه به من الكاس والسقى استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية و بين سقى واستسقاء جناس الاشتقاق وأشار الى ماروى ان جبريل أومأ الى بطنه فاصابه الاستسقاء الزقى وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد فمات منه وقيل انه خرج من عند أهله فأصابته السموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب و رجع فساح حتى مات عطشا وهو يقول قتلنى رب محمد وروى الطبرانى والبيهقى ان جبريل أومأ الى رأسه فأصابته الاكلة فتمخط رأسه قيحا فمات و يقال عطش فشرب الماء فلم يرو حتى انشق بطنه و يحتمل ان الكل حصل له (وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم وهو عم أبى جهل لعنهما الله ووالد سيدنا خالد رضى الله عنه أصابته خدشة سهم أى أثر جرحه قصر عن تلك الخدشة الحية الرقطاء أى التى يخالط سوادها نقط بيض ووجه القصور ان لسعة الحية قد تبرأ يروى انه مر برجل يريش أسهما فوطئ على سهم منها فخدشه خدشا يسيرا فأومأ اليه جبريل فأصابته منه الاكلة فمات وقيل أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر أن يهوى لاجلها فضربها بالسوط فاصابت رجله فتأكلت ومات بها قبل وقعة بدر (وقضت شوكة على مهجة العاصى فلله النقعة الشوكاء) وقضت أى أهلكت شوكة دخلت فى أخمص رجله فاستولت على مهجة العاصى اسما وفعلا ابن وائل بن هشام بن سعد بن سهم وهو والد سيدنا عمرو وفيه نزل قوله تعالى وضرب لنا مثلا الآية فقتلته تلك الشوكة قتلا عجيبا فلذا اعقبه بما يفيد التعجب وهو قوله فلله هذه النقعة أى الموت من قولهم الناس نقائع الموت أى يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة والشوكاء من قولهم بردة شوكاء اى خشنة الملمس اى ما اعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت له من تلك الشوكة

القدح عند أنس اكراما له بخدمته ومن أراد التبرك به لم يمنعه وجعل باقى الاثاث عند أناس معروفين وأبقى الخاتم عنده للحاجة التى اتخذها لاجلها صلى الله عليه وسلم قاله النووى واعترضه العسقلانى بأنه يجوز أن يكون الخاتم اتخذ من مال المصالح فانتقل للامام ينتفع به فيما صنع له قال فى جمع الوسائل قلت هذا احتمل والاصل هو الاول فيكون عليه المعول اه وقد فهم من كلامهم ماذكرنا من انهم اتخذوه للختم به والاظهر انهم لبسوه أحيانا لاجل التبرك به وكان فى أكثر الاوقات عند معيقيب جمعا بين الروايات و يبعد ان يكون المراد انه كان فى حوزهم فقط كما يقال الشىء الفلانى فى يد فلان ولم يكن فى يدهم حقيقة بدليل قوله (حتى سقط فى بئر أريس) وكان عثمان جالسا على شفتها يأمر بحفرها لاهل المدينة وأريس بفتح الهمز وكسر الراء هو بستان معروف و يجوز فيه الصرف وعدمه قاله العسقلانى وهو قريب من مسجد قباء وظاهر السياق انه وقع من يد عثمان وفى رواية للبخارى حتى وقع من عثمان فى بئر أريس وفى النسائى ان عثمان طلب الخاتم من معيقيب ليختم به شيأ فكان فى يده يعبث به أى يكثر ادخال خاتمه واخراجه وهو متفكر فى شىء فسقط وصريح ما يأتى فى الباب بعد انه وقع من يد معيقيب مولى سعيد بن العاصى وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وستأتى ترجمته ولا منافاة فيحتمل ان عثمان لما أراد رده الى معيقيب سقط من بينهما فلم يدر الراوى من يد أيهما سقط فنسب ذلك تارة الى عثمان وتارة الى معيقيب والله أعلم زاد فى البخارى عن أنس فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده ونقل جلال الدين السيوطى فى التوشيح عن بعض العلماء قال كان فى خاتمه صلى الله عليه وسلم شىء من الاسرار كما كان فى خاتم سليمان عليه السلام لان سليمان لما فقد خاتمه ذهب ملكه وعثمان لما فقد خاتم النبى صلى الله عليه وسلم انتقض عليه الامر وخرج عليه الخارجون وكان ذلك مبدأ الفتنة الدنيوية والاخروية التى أفضت الى قتله واتصلت الى آخر الزمان قلت ونظير ذلك ان المنبر النبوى لما احترق كان ذلك علامة زوال المملكة من يد بنى العباس فلم تعد الى الآن اليهم انتهى ولهذا والله أعلم بالغ عثمان فى التفتيش عليه ولكونه أثر النبى صلى الله عليه وسلم قد لبسه واستعمله وختم به ومثل ذلك يساوى فى العادة قدرا عظيما من المال ولو كان غير خاتم النبى صلى الله عليه وسلم لاكتفى فى طلبه بدون ذلك ولان الخاتم المختص المحتاج الى الختم به لا يقاس عليه غيره لانه يترتب على ضياعه مفاسد كثيرة وعلى هذا فقول ابن بطال يؤخذ من الحديث أن يسير المال يجب البحث فى طلبه والاجتهاد فى تفتيشه يعنى دفعا لاضاعة المال وقد فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لما ضاع عقد عائشة وحبس الجيش حتى وجده اه فيه نظر فان العقد لم يكن يسيرا من المال وكان أمانة عند عائشة ولا يلزم من بحث عثمان عن هذا الخاتم ان يقاس به غيره من الاموال اليسيرة للخصوصيات والمزايا التى اختص بها خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وأما قول العسقلانى ان عقد عائشة نشأت عنه فائدة عظيمة وهى الرخصة فى التيمم فكيف يقاس عليه غيره ففيه ان الاستدلال صحيح حيث وقع البحث وأما ظهور الاثر فامر مترتب عليه فلا دخل له فى القياس انظر جمع الوسائل (نقشه محمد رسول الله) أى هذه الجملة فلا يحتاج لرابط وفيه جواز استعمال خاتم منقوش باسم

القليلة التأثير عادة فلله درها من شوكة نحرته فى أسرع وقت (يروى) انه خرج فى يوم مطير على راحلته يسير وهو يوم مجىء سيدنا جبريل بكفايتهم فنزل شعبا يتنزه و يتغدى فلما وضع قدمه على الارض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى صارت كعنق البعير فمات مكانه (وعلى الحرث القيوح وقدسا * ل بها رأسه وساء الوعاء) أى وقضت على الحرث بن قيس السهمى كان يأخذ حجرا يعبده فاذا رأى أحسن منه طرحه وأخذ الاحسن وفيه نزل أفرأيت من اتخذ الهه هواه أى مهويه وكان يقول قد غر محمد

آخر بعد موته لانه لا التباس بعد الموت فيصح ان يجعل علامة التوثيق قاله العصام قال فى جمع الوسائل وفيه ان الالتباس متحقق عند عدم وجود التاريخ اه قلت و يحتمل أن أبا بكر ومن بعده كانوا يختمون به للتبرك مع الختم بخواتيمهم فلا يبقى لبس ولو لم يكن تاريخ و يفهم من هذا الحديث أيضا جواز نقش اسم الشخص على خاتمه وقد فعله ابن عمر وابنه سالم والقاسم بن محمد وكان مالك يقول من شأن الخلفاء والقضاة نقش اسمائهم فى خواتيمهم اه وكذا نقش اسم من اسماء الله تعالى وقد روى ان نقش خاتم على الملك لله ومحمد الباقر العزة لله والنخعى الثقة بالله ومسروق بسم الله وهذا قول الجمهور ونقل عن ابن سيرين و بعض أهل العلم كراهة نقش اسم من اسماء الله تعالى وروى ان عمر نقش على خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر وانه كان فى خاتم موسى عليه السلام لكل أجل كتاب وفى خاتم سليمان لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وفى خاتم آدم لا اله الا الله محمد رسول الله

﴿ باب ما جاء في تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

أى فى كيفية لبسه الخاتم فالغرض من هذا الباب غير ما سبق فى الباب قبله وفى بعض النسخ باب فى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه قال ابن حجر لا ينافى ذكره تختمه فى يساره لما سيأتى اه وفيه إشعار بأن روايات التختم فى اليمين أرجح عند المصنف من روايات التختم فى اليسار ولذا لم يخرج حديثا فيه التصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم تختم فى اليسار بل قال فى آخر الباب على ما فى بعض النسخ وفى جامعه روى بعض أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم تختم فى يساره وهو حديث لا يصح ولذا رجح كثير من اهل العلم الاحاديث المذكورة فى هذا الباب وأكثرها صحاح لكن استدل الجمهور برواية مسلم عن أنس رضى الله عنه كان خاتمه صلى الله عليه وسلم فى هذه وأشار لخنصر يسراه و برواية أبى داود عن ابن عمر رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يتختم فى يسراه و بقول بعض الحفاظ التختم فيها مروى عن عامة الصحابة والتابعين و بقول الحافظ ابن رجب ورد فى حديث ان تختمه فى يساره هو آخر الامرين من فعله صلى الله عليه وسلم و بأن وكيعا قال التختم فى اليمين ليس بسنة أولا جل اختلاف أحاديث التختم أجمع الفقهاء كما قال النووى على جواز التختم فى اليمين واليسار واختلفوا أيهما أفضل فتختم كثير من السلف فى اليمين وتختم كثيرون فى اليسار واستحب مالك اليسار اه أى لما ورد من انه آخر الامرين من فعله صلى الله عليه وسلم و بذلك وفق الذهبى بين أحاديث التختم المختلفة ولانه أبعد من الخيلاء والكبر لقلة حركات اليسرى ولانه يكون كالمودع فيها و يحصل تناوله منها باليمين وكذا وضعه فيها ولذا قال فى الرسالة والاختيار مما روى فى التختم التختم فى اليسار لان تناول الشىء باليمين فهو يأخذه بيمينه و يجعله فى يساره اه وكأنه أشار بقوله لان تناول الخ الى جواب ما يقال التختم من باب التكريم فينبغى ان يكون باليمين فاجاب بأن معنى التختم باليمين ان يأخذ الخاتم بيمينه فيجعله فى يساره وقال الشيخ

نفسه وصحبه اذ وعد أصحابه أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والحوادث والقيوح جمع قيح وهى المدة البيضاء التى لا يخالطها دم والحال انه سال بها رأسه وساء أى قبح ذلك الرأس الذى هو الوعاء لتلك القيوح و بين سال وساء الجناس الناقص وفى الختم التذييل يروى أنه أصابته جائحة فابتلى بمخيط القيح من أنفه حتى مات وقيل أكل حوتا مملوحا فلم يزل يشرب عليه حتى انقد بطنه رواه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة وقيل أصابته الذبحة وجع فى الحلق (خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء) كف الاذى أى الذى كان يصل للناس لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم منهم بهم أى بسبب فقدهم أو مع فقدهم شلاء أى فاقدة الحركة فشبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة أن الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده بأى وجه كان ثم أثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى لفقدهم صار معطلا لا حركة له ولا تأثير ففيه استعارة مكنية تبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح ﴿تكميل﴾ اقتصر الناظم رحمه الله على الخمسة المذكورين لشهرتهم بالاذاية وشدتهم فيها وقد ذكروا منهم عقبة بن أبى معيط وأبا لهب ومالك بن الطلاطلة بطاءين مهملتين الاولى منهما مضمومة والحكم بن أبى العاصى ابن أمية بن عبد شمس فاما عقبة بن أبى معيط لعنه الله فقد تقدمت اذايته وكان فى مبدإ أمره يجلس مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يؤذيه

زروق وجه الدلالة انه الامر الا بسر وقد جاء فى الحديث التختم فى اليمين وفى اليسار والخلاف فى الاولوية وقد ألف فى الخاتم ونقشه وغير ذلك من أحكامه اه وأما قول ابن حجر جوابا عما تقدم من أدلة التختم فى اليسار ان حديث التختم فى اليمين رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والمصنف وقال قال محمد يعنى البخارى هذا أصح شىء روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب اه فقال فى جمع الوسائل لا يخفى على أولى الالباب انه لا يصلح للجواب اه وجنحت طائفة الى استواء الامرين وجمعوا بين الاحاديث المختلفة بذلك وأشار اليه أبو داود حيث ترجم باب التختم فى اليمين واليسار ثم أورد الاحاديث مع اختلافها فى ذلك بغير ترجيح وهذا هو المفهوم من قول العراقى رحمه الله مع الاشارة الى جمع آخر .

يلبسه كما روى البخارى * فى خنصر يمين أو يسار
كلاهما فى مسلم ويجمع * بأن ذا فى حالتين يقع
أو خاتمين كل واحد بيد * كما بفص حبشى قد ورد

(حدثنا محمد بن سهل بن عسكر البغدادى) تقدم فى داليه أربعة أوجه (وعبد الله بن عبد الرحمن قالا) أى ابن سهل وعبد الله (أنا يحيى بن حسان) تقدم انه يجوز فيه الصرف وعدمه (نا سليمان بن بلال) أخرج حديثه الستة (عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر) ذكر جده تمييزا له عن شريك بن عبد الله القاضى (عن ابراهيم بن عبد الله بن حنين) مصغرا (عن أبيه) أخرج حديثه الستة (عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه فى يمينه) وجه من اختاره ان التختم فيه نوع تشريف وزينة واليمين بها أولى قلت ينافى كون ذلك للزينة جعل فصه مما يلى كفه فانه تحرز عن الزينة بقدر الامكان ولذلك طرح خاتم الذهب كما يأتى والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا أحمد بن صالح) روى عنه البخارى وأبو داود (نا عبد الله بن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر نحوه) أورده المصنف من وجهين وقد صححه ابن حبان وأخرجه أبو داود والنسائى * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا يزيد ابن هرون عن حماد بن سلمة قال رأيت ابن أبى رافع) اسمه عبد الله شيخ لحماد بن سلمة روى عنه الاربعة (يتختم فى يمينه فسألته عن ذلك) أى سببه (فقال رأيت عبد الله بن جعفر) أى ابن أبى طالب الهاشمى أحد الاجواد ولد بأرض الحبشة وله صحبة مات سنة ثمانين وهو ابن ثمانين أخرج حديثه الستة (يتختم فى يمينه وقال عبد الله بن جعفر كان النبى صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه) * قال المصنف (حدثنا يحيى بن موسى نا عبد الله بن نمير) مصغرا (نا ابراهيم بن الفضل) قال فى جمع الوسائل لم أطلع على ترجمته قلت تبع فى هذا العصام قال المناوى وهو قصور هو ابراهيم بن الفضل بن سليمان المخزومى قال الذهبى شيخ مدنى روى عنه المصنف وابن ماجه وقال ابن معين ضعيف لا يثبت حديثه ليس بشىء وقال جمع متروك وقال أحمد ليس بقوى (عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عبد الله بن جعفر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه) أورده المصنف من وجهين أيضا * قال المصنف (حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى) أخرج حديثه الستة

وكان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه جيرته فقدم وصنعه ودعا المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بالذى آكل من طعامك حتى تتشهد فتشهد وكان له خليل غائب بالشام فقدم ليلا فقال لامرأته ما فعل محمد فقالت أشد ما كان قال ما فعل خليلى قالت صبأ فلما أصبح أتاه ابن أبى معيط فحياه فلم يرد عليه قال مالك قال صبوت قال أوقد فعلتها قريش لا والله لكن رجل دخل على آخر فأبى أن يأكل من طعامه الا أن يتشهد له فاستحيا فتشهد قال ما أنا بالذى أرضى عنك حتى تأتيه فتبزق فى وجهه وتشتمه ففعل فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم لئن وجدتك بين جبال مكة ضربت عنقك صبرا فلما كان يوم بدر أبى أن يخرج فقال أصحابه اخرج معنا فقال قد وعدنى هذا الرجل ان وجدنى خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقى صبرا فقالوا لك جمل أحمر لا يدرك فان كانت الهزيمة سرت عليه فلما هزم الله المشركين دخل به جمله فى خدمن الارض فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى سبعين منهم فقال لم بزقت فى وجهى فأنزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه الآية فضربت عنقه لعنه الله آمين وأما أبو لهب فرماه الله بعد وقعة بدر بسبع ليال بالعدسة وهى بثرة تصيب الجسد فتقتل وكانت العرب يرون أنها تعدى فنفر القوم منه فتركه أهله حتى مات وترك ثلاثة أيام لم يدفن حتى نتن فخافوا العار فحفروا حفرة فقذفوه فيها بالحجارة وأما الحكم فعده منهم العراقى فى الالفية فانه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشتمه ويسمعه ما يكره قال المناوى لكنه أسلم أى أظهر الاسلام وكان بعد ما أظهر الاسلام مغموصا أى مطعونا فى دينه وكان يمشى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكيه فى مشيته فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فرآه يفعل ذلك فقال كذلك فلتكن فكان الحكم يرتعش من يومئذ ونفاه النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة فنزل الطائف وأخرج الطبرانى وأبو نعيم فيما حدث به الحكم قال رأيت بعينى هاتين حين تواعدنا يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم لنأخذه فجئنا اليه فسمعت صوتا ما ظننا انه بقى جبل بتهامة الا تفتت فغشى علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه

فجاءت الصفا والمروة حتى التقت احداهما بالاخرى فقالتا بيننا وبينه فوالله ما تعقلنا ذلك حتى رزق الله الاسلام وأذن لناقيه اهـ وفى الالفية ثامنهم أسلم وهو الحكم * فقد كفاه شره اذ يسلم ﴿تنبيه﴾ ذكر الجلال السيوطى فى تفسيره من جملة المستهزئين عدى بن قيس ولم نر من ذكره من أهل السير ولعله الحرث بن قيس كما تقدم والله تعالى أعلم (فديت خمسة الصحيفة بالخمسة اذ كان للكرام فداء) فديت بالبناء للمفعول دعاء أى اللهم اجعلهم فداء لخمسة الصحيفة

يلقون الاذى دونهم بان يجعل كل من الخمسة فداء لكل واحد من الخمسة أهل الصحيفة ولكن لا فداء للكرام وأولئك الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد لانهم بذلوا أنفسهم فى أمر عظيم كما يعلم من ذكر القصة وذلك أن قريشا لما رأت عزة النبى صلى الله عليه وسلم حيث أمر فى سنة خمس من النبوة بضعة عشر من أصحابه منهم عثمان وزوجه السيدة رقية بالهجرة الى الحبشة وأسلم حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام وفشا الاسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا اليه بعمارة بن الوليد وقالوا هذا أعزفتى فى قريش فخذه بدل ابن أخيك وادفعه الينا فقال لهم حتى اذا راحت الابل بالعشى فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وجمع بنى هاشم ماعدا أبا لهب و بنى المطلب وأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم و بنى المطلب أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة تأكيدا فى حفظها وذلك فى هلال المحرم سنة سبع من النبوة وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وقطعوا عنهم الاسواق فلا يتركون طعاما يقدم مكة الابادروا وهم اليه حتى ان أبا جهل لعنه الله لقى حكيم بن حزام معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بنى هاشم وأراد أن يفضحه فانتصر له أبو

نا عبد الله بن ميمون) ضعيف بالاتفاق كما سيأتى (عن جعفر بن محمد) اى الصادق لقب به لكمال صدقه أخرج حديثه البخارى فى التاريخ ومسلم والاربعة أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر رضى الله عنهم قال له يوما سفيان الثورى لا اقوم حتى تحدثنى فقال جعفر اما انى احدثك وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان اذا انعم الله عليك بنعمة فاحببت بقاءها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله عزوجل قال فى كتابه لئن شكرتم لازيدنكم واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله تعالى قال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا يعنى الدنيا والآخرة يا سفيان اذا أكربك امر من سلطان أو غيره فاكثر من لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانها جناح الفرج وكنز من كنوز الجنة فعقد سفيان بيده وقال ثلاث واى ثلاث قال جعفر عقلها والله ابو عبد الله ولينفعنه الله بها وقال استنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكاة ومن احزن والديه فقد عقهما ومن ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط اجره ومن احتفر لاخيه بئرا سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ودخل على المنصور وقد أضجره ذباب فقال له المنصور يا ابا عبد الله لم خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة وقال لا يتم المعروف الابثلاثة بتعجيله وتصغيره وستره وابنه موسى الكاظم كان أعبد اهل زمانه وأعلمهم واسخاهم وفيه قال الشافعى رضى الله عنه قبر موسى الكاظم الترياق المجرب وحفيده على الرضا بن موسى الكاظم كان أوحد اهل زمانه أسلم على يده معروف الكرخى أستاذ السرى السقطى وكان معروف يقول للسرى اذا كانت لك الى الله حاجة فاقسم عليه بى وعلى هذا هو الذى دخل نيسابور فتعرض له ابو زرعة الرازى ومحمد بن أسلم الطوسى فى خلائق لا يحصون وطلبوا منه ان يحدثهم بحديث عن آبائه فقال حدثنى أبى موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه على زين العابدين عن ابيه الحسين شهيد كربلاء عن ابيه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنى جبريل قال سمعت رب العزة سبحانه يقول لا اله الا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى فعد اهل المحابر الذين كانوا يكتبون فاناقوا على عشرين الفا قال الامام احمد لوقرأت هذا السند على مجنون لبرىء من حينه وولده محمد بن على الرضا كان العجب فى العلم والحلم قال له رجل اوصنى بوصية مختصرة جامعة فقال له صن نفسك عن عار العاجلة ونار الآجلة ومن كلامه كيف يضيع من الله كافله وكيف ينجو من الله طالبه ومن انقطع الى غير الله وكله الله اليه ومن عمل على غير علم افسد اكثر مما يصلح (عن ابيه) اى محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الملقب بالباقر لانه بقر العلم اى شقه وعلم اصله وفرعه وجليه وخفيه امه ام عبد الله بنت الحسن بن على بن ابى طالب وهو تابعى جليل سمع جابرا وانسا وروى له البخارى ومسلم كان رضى الله عنه يقول فى جوف الليل امرتنى فلم أأتمر وزجرتنى فلم ازدجر هذا عبدك بين يديك ولا اعتذر وقال يا جابر انزل الدنيا كمنزل نزلت به فارتحلت عنه او كمال اصبته فى منامك فاستيقظت وليس معك منه شىء انما هى مع اهل الله والعاملين لله تعالى كفىء الظلال فاحفظ ما استرعاك الله تعالى من دينه وحكمته

وحكمته وقال كان اخ لى فى عينى عظيم وكان الذى عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه وقال انا لندعوا الله بما نحب فاذا وقع ما نكره لم نخالف الله عزوجل فيما احب ووالده زين العابدين على بن الحسين وهو الذى مدحه الفرزدق بقصيدته المعروفة التى منها قوله

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

ماقال لاقط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نعم

دخل على محمد بن اسامة بن زيد فى مرضه فجعل يبكى فقال ما شأنك فقال على دين فقال كم هو قال خمسة عشر الف دينار قال فهو على وكان يقول ان صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل وكان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة ولما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة وسبه رجل فتغافل عنه فقال له الرجل اياك أعنى فقال وعنك أعرض اشارة لقوله تعالى خذ العفو الآية (عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه) قال العسقلانى فى اسناد هذا الحديث لين أى لان عبد الله بن ميمون تكلم فيه قال البخارى ذاهب الحديث وقال أبو زرعة واهى الحديث وقال المصنف منكر الحديث وقال أبو حاتم متروك وقال ابن حبان لايجوز الاحتجاج بما انفرد به قال فى جمع الوسائل أقول للحديث شواهد كما يرى فقوى بذلك روايته وخرجت عن حد نكارته * قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازى نا جرير عن محمد بن اسحق عن الصلت بن عبد الله) أى ابن نوفل بن حارث بن عبد المطلب أخرج حديثه أبو داود والترمذى (قال كان ابن عباس يتختم فى يمينه ولا إخاله) بكسر الهمزة قال فى القاموس والفتح لغية وهو متكلم أى لا أظنه وظاهر السياق ان قائل ذلك هو الصلت و يحتمل ان يكون لواحد ممن قبله (الا قال) أى ابن عباس (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه) * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر) هو محمد بن يحيى بن عمر ينسب الى جده (نا سفيان) هو ابن عيينة (عن أيوب بن موسى) أى ابن عمرو بن سعيد بن العاصى الاموى أخرج حديثه الستة (عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة وجعل فصه مما يلى كفه) أى مما يلى بطن كفه كما فى الصحيحين قال العلماء لم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك بشئ فيجوز جعل فصه فى باطن الكف وظاهرها وقد عمل السلف بالوجهين وممن اتخذها فى ظاهرها ابن عباس قالوا ولكن الافضل فى باطنها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ولانه أصون لنقش فصه وأسلم وأبعد من الزهو والاعجاب كذا ذكره النووى فى شرح مسلم وللاعلام بأنه لم يكن يقصد الزينة وانما اتخذه للختم به (ونقش فيه محمد رسول الله) أى هذه الالفاظ (ونهى) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ان ينقش) بضم القاف (أحد عليه) أى مثل نقشه لئلا يلتبس أمر الختم و يقع التخليط وقد جاء فى بعض الطرق ان معاذا رضى الله عنه اتخذ خاتما نقش فيه محمد رسول الله فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم به قال آمن كل شئ من معاذ حتى خاتمه ثم أخذ ذلك الخاتم من معاذ فكان فى يده رواه الدميرى فى شرح المنهاج للنووى فاما ان يقال كان هذا قبل النهى أو لم يبلغه النهى أو حمل النهى على التنزيه وأخذ النبى صلى الله

البخترى بن هشام وقال طعام كان لعمته عنده بعثت اليه أفتمنعه أن يأتيها به خل سبيله فأبى فضربه بلحى جمل فشجه ووطئه وطأ شديدا فلما مضت تلك المدة قام الخمسة الآتى ذكرهم فى نقض تلك الصحيفة وكان رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حبيب العامرى من بنى عامر بن لؤى لعزته بعمه لامه وهو نضلة بن هاشم وكان واصلا لهم وذا شرف فى قومه فكان يأتى بالبعير ليلا قد أوقره طعاما حتى اذا أقبل على فم الشعب قلع خطامه من رأسه ثم ضربه على جنبه فيدخل الشعب ولعزته بعمه المذكور مشى الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم المخزومى أخو أم سلمة أم المؤمنين وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب فقال يازهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معى لنقضتها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدى واستنجده حتى قال لو وجدت رجلا فاخبره بما تقدم فقال ابغنا رابعا فذهب الى أبى البخترى بن هشام واستنجده أيضا فقال وهل من معين فذكر له أولئك فقال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود فاستنجده فقال وهل من أحد الا على هذا الامر فذكر له القوم فاجتمعوا فى الحجون وأجمعوا على نقضها فقال زهير وأنا أول من يتكلم قال فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة انا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم فيما ترون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة الضالة القاطعة فقال له أبو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب مارضينا كتابتها حيث كتبت وقال أبو البخترى صدق زمعة مانرضى ما كتب فيها ولا نقر به وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمر ونحوا من ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم وهذا لاينافى ماسيأتى من أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عمه بأكل الارضة لما عدا اسم الجلالة لاحتمال ان أبا

طالب لما أخبرهم بذلك وازدادوا كفرا انتصر أولئك الخمسة فى قطعها (فتية يبتوا على فعل خير * حمد الصبيح أمره والمساء)
أى هم فتية جمع فتى و يطلق على السخى الكريم بيتوا أى دبروا واشتوروا بالجون ليلا وفعل الخير هو نقضها والمخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش فى ابقائها مع كثرتهم وعتوهم واسناد الحمد الى الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لانه اذا احمد الزمان على ذلك فالعقلاء أولى وأحق ولا يخفى ما فى كلامه من الطباق (يالامر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الأتاء)
يالامر هو بفتح اللام والامر هو نقضها ونداؤه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا يفيد التعجب من وقوعه وهشام هو أول من سعى فى ذلك كمامر والهمزة من انه مكسورة للاستئناف والاتاء صيغة مبالغة من أتى أى كثير الاتيان لمن استنجده واستنصر به وتقدم ان زمعة هو أول من كذب أبا جهل و ردعن زهير وأيده (و زهير والمطعم بن عدى * وأبو البخترى من حيث شاؤا)
أى أتى هؤلاء الخمسة نقض الصحيفة اتيانا كائنا بمواطأة واتفاق من حيث شاؤا أى من المكان الذى أرادوه وقصدوه لتدبير أمرهم وتشاورهم فيه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه وأنتج الانتاج الذى دبروه
(نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد
ت عليه من العدا الانداء)
نقضوا بدل من فعل خير يقال نقض العهد أى أبطله ومبرم بفتح الراء أى محكم واذ بمعنى وقت وشدت أى صممت على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقضها الا أن يسلم اليهم والانداء فاعل شدت جمع ناد وهو العشيرة والاصحاب ومنه فليدع ناديه وأصله المكان الذى يجلس فيه للتحدث سمى من فيه باسمه ومن العدا بيان للانداء أى نقضوا هذا الامر المبرم الذى قواه عشائرهم وصمموا عليه ﴿ تنبيه ﴾ هؤلاء الخمسة كلهم كانوا كفارا حين قصدوا لنقض الصحيفة قال ابن اسحق ولم يسلم منهم غير زهير وهشام أما هشام فاسلم عام الفتح وشهد حنينا وأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم من غنائمها خمسين بعيرا وأما زهير فيذكر فى المؤلفة قلوبهم وهذا من كمال عناية الله تعالى بحبيبه صلى الله

عليه وسلم له يدل على ان ذلك لم يكن خصوصية لمعاذ خلافا لمن زعمه انظر جمع الوسائل (وهو الذى سقط من معيقيب) بضم الميم وفتح المهملة وسكون التحتيتين وقاف مكسورة بينهما وموحدة فى آخرها وهو ابن أبى فاطمة الدوسى بدرى ابتلى بالجذام فعولج منه بأمر عمر بن الخطاب بالحنظل فتوقف أمره وهو مولى سعيد ابن العاصى خلافا لقول ابن حجر انه غلام عثمان وكان أسلم قديما وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وأقام بها حتى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان على بيت المال (فى بئر أريس) تقدم * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حاتم بن اسمعيل عن جعفر بن محمد) هو الصادق بن الباقر (عن أبيه قال كان الحسن والحسين رضى الله عنهما يتختمان فى يسارهما) أى اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فانه فعله فى آخر أمره ولو لم يريا النبى صلى الله عليه وسلم يتختم فى يساره لما فعلاه وبهذا يظهر وجه مناسبة الحديث لعنوان الباب وقد أخرج أبو الشيخ بن حيان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من طريق سليمان بن بلال عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا والحسن والحسين رضى الله عنهم كانوا يتختمون فى اليسار وأخرج البيهقى فى الادب من طريق جعفر نحوه ولم يذكر عثمان والله أعلم ولا يخفى ان هذا الحديث منقطع لان محمدا لم ير الحسنين وكان ينبغى تأخيره عن أحاديث الباب أو تقديمه اذ لا يحسن الفصل بينها به * قال المصنف (حدثنا محمد بن عبيد المحاربى) نسبة لبنى محارب قبيلة من العرب أخرج حديثه أبو داود والترمذى والنسائى (نا عبد العزيز بن أبى حازم) أخرج حديثه الستة (عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب فكان يلبسه فى يمينه) أى قبل تحريم الذهب على الرجال فى رواية للبخارى عن ابن عمر وجعل فصه مما يلى كفه ونقش فيه محمد رسول الله (فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فطرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى رواية للبخارى من طريق جويرية فرقى المنبر وأثنى عليه فقال انى كنت اصطنعته وقال انى لا ألبسه فنبذه فنبذ الناس قال فى جمع الوسائل والظاهر ان الفاء فى قوله فطرحه تعقيبية لا تفريعية خلافا للعصام فى قوله ان المنهى عنه الاتخاذ من غير اعتبار اللبس اذ ليس فى الحديث ما يدل على ان الطرح قبل لبسهم بل قوله (وقال لا ألبسه أبدا) يدل على ان المنكر وهو لبسه لا مجرد اتخاذه وكذا قوله (فطرح الناس خواتيمهم) يدل على ان المقصود كراهة اللبس وانهم لبسوه قال ابن حجر وهذا هو الناسخ لحله مع قوله صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة وقد أخذ ذهبا فى يد وحريرا فى يد هذان حرام على ذكور أمتى حل لاناثهم اه والنهى عن خاتم الذهب يحتمل أن يكون من أجل المشاركة أو من زهوهم بلبسه ويحتمل ان يكون لكونه من ذهب وصادف وقت تحريم لبس الذهب على الرجال واعلم ان الجمهور على ان النهى للتحريم وذهب بعض العلماء الى أنه للتنزيه فقول عياض الناس مجمعون على تحريمه اما أن يكون أراد بالناس الجمهور أو يقال انقرض قول من قال بكراهة التنزيه واستقر الاجماع بعد على التحريم والا فقد روى ابن أبى شيبة فى مصنفه أن جماعة من الصحابة كسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وصهيب

عليه وسلم فسخر عدوه في نصرته واستعمل مبغضه في خدمته قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي كنت في بعض سياحتي وقد أويت الى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فمكثت ثلاثة أيام لم أذق طعاما ثم دخل علي ثلاثة من الروم كانت قد أرست سفينتهم هنالك فلما رأوني قالوا قسيس من المسلمين ووضعوا عندي طعاما وادا ما كثيرا فعجبت كيف رزقت على أيدي الكافرين ومنعت ذلك من المسلمين فاذا النداء علي يقال لي ليس الرجل من ينصر بأحبائه انما الرجل من ينصر بأعدائه انتهى (أذكرتنا بأكلها أكل منسأ * ة سليمان الارضة الخرساء)

هذه جملة استئنافية لبيان ان أكل الارضة للصحيفة له نظير وضمير أكلها يعود على الارضة وهي فاعل أذكرتنا وتبتها التمديم وأكل مفعول ثان لاذكرتنا والمنسأة العصا لانه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر والارضة بفتح الراء وسكونها ضرورة وهي دويبة تأكل حتى الخشب أكلا سريعا والخرساء صفتها أي التي لا تنطق وفيه تمام التعجب من شأنها اذ ليس من شان الاخرس التذكير ووصفها بالخرساء مجاز اذ هو نفي النطق عما من شأنه ذلك يروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمله سنة وقضى الله بموته سأل الله أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب كما أخبر بذلك مولانا جل

وصهيب وجابر بن سمرة وعبد الله بن يزيد الخطمي وحذيفة وأبي أسيد كانوا يجعلون خواتم من ذهب وأغرب من هذا ان البراء روى عنه حديث النهي المتفق على صحته وهو حديث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع وذكر الحديث وفيه نهانا عن خاتم الذهب وقد وردان البراء كان يلبسه روى أحمد عن البراء قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فألبسنيه فقال البس ما كساك الله ورسوله قال العسقلاني ثبت عن البراء انه لبسه بعد النبي صلى الله عليه وسلم فالجمع بين روايته وفعله اما بان يكون حمل النهي على التنزيه أو فهم الخصوصية من قوله البس ما كساك الله ورسوله ثم ذكر ما يؤيد هذا الاحتمال الثاني فانظره ﴿ تنبيهان ﴾ الاول فهم مما تقدم حكم التختم بالفضة وبالذهب وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى بيد رجل خاتما من ذهب فقال انزع عنك حلية أهل النار ثم جاء وفي يده خاتم من صفر فقال مالي أجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالي أرى عليك حلية أهل النار قال يا رسول الله مم أتخذه قال اتخذه من فضة ولا تتمه مثقالا كذا ذكره عز الدين ابن جماعة في سيرته وحديث الشيخين اطلب ولو خاتما من حديد يدل على ان النهي ليس للتحريم بل للكراهة وهو الذي نقله البرزلي عن ابن رشد وظاهر الرساله المنع وعليه فقوله في الحديث ولو خاتما من حديد المراد منه المبالغة فلا يدل على الجواز وروى أبو داود بسند جيد انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم حديد ملوي عليه فضة قال بعضهم ولعل هذا الخاتم هي خاتم الفضة التي قال الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم طرحها بعد ان لبسها وتقدم في الباب قبل هذا ما قيل في رواية الزهري أو يحمل حديث النهي عن الحديد على ما كان صرفا ﴿ الثاني ﴾ في خبر ضعيف كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد حاجة أوثق في خاتمه خيطا وروى أبو يعلى كان صلى الله عليه وسلم اذا أشفق من الحاجة ان ينساها ربط في أصبعه خيطا ليذكرها لكن قيل انه موضوع ذكره ابن حجر والله أعلم * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا محمد بن عيسى وهو ابن الطباع) أخرج حديثه البخاري في التعليق والاربعة (حدثنا عباد بن العوام) أخرج حديثه الستة (عن سعيد بن أبي عروبة) أخرج حديثه الستة (عن قتادة عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يمينه) قال المصنف في جامعه هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا الا من هذا الوجه وروى بعض أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تختم في يساره وهو حديث لا يصح أيضا اه قال في جمع الوسائل وأغرب ابن حجر فحمل هذا الذي في جامعه من متن الشمائل أيضا اه وقوله لا يصح أيضا أي من هذا الوجه والا فقد صح من طريق أخرى وقد تقدمت رواية مسلم عن أنس وأبي داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يساره وتقدم ان النووي قال كلتا الروايتين صحيحة

﴿ باب ما جاء في صفة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر تراجم آلات الحرب بعد ترجمة الخاتم التي اتخذها لختم رسائل الملوك اشارة الى أن القتال انما يكون بعد

وعلا في كتابه العزيز فمكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته وعلم كونه حولا بحساب ما أكلته الارضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا قاله السيوطي (وبها أخبر النبي وكم أخـ * ـرج خبأ له الغيوب خباء) أي وبأكل الارضة للصحيفة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وهو أخبر قريشا وكم مرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم واظهر خبأ أي شيأ مخبأ مستورا من نعته وصفته الغيوب له خباء أي ساترة فكان سبحانه وتعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على المغيبات وكفى بالقرآن شاهدا على ذلك وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد رفع لي الدنيا فانا أنظر اليها والى

الدعاء الى الاسلام و بدأ من آلات الحرب بالسيف لانه أنفعها وأيسرها وأغلبها استعمالا وأيضا فان تحلية السيف رخصة للذكور كاتخاذ خاتم الفضة * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا وهب بن جرير نا أبى عن قتادة عن أنس قال كانت قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة) أخرجه المصنف فى جامعه أيضا وأبو داود والنسائى والدارمى والقبيعة بفتح القاف وكسر الموحدة ما على رأس مقبض السيف من فضة أو حديد أو غيرهما على ماقاله الجوهرى ونحوه فى النهاية وقيل هى ماتحت شاربى السيف مما يكون فوق الغمد فيجىء مع قائم السيف وقائم السيف مقبضه قاله الزبيدى ولا خصوصية للقبيعة فقد جزم ابن القيم بأن قائمته وحلقته وذؤابته و بكارته ونعله من فضة و يدل له مارواه ابن سعد عن عامر قال اخرج الينا على ابن الحسين سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قبيعته من فضة وحلقته التى يكون فيها الحمائل من فضة وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال كانت نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلقته وقبيعته من فضة وعن أنس قال كانت نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة وقبيعته فضة وما بين ذلك حلق فضة انظر المناوى وكانت له عليه السلام تسعة أسياف لكل واحد اسم خاص وكانه لم يثبت عند المصنف عددها ولا أسماؤها فلذلك لم يذكرها وقال العراقى رحمه الله

أسيافه الحتف وذوالفقار * مأثور والعضب مع البتار
كذاك مخذم كذا رسوب * والقلعى لم يسم والقضيب

وكانت القبيعة لسيفه ذى الفقار بكسر الفاء وفتحها وكان لا يكاد يفارقه ودخل به يوم الفتح مكة وهو الذى رأى فيه الرؤيا أى وقعة أحد وسمى ذا الفقار لان فى ظهره فقرات كفقرات الظهر غنمه عليه السلام من بدر وقيل صنع من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن أبى الحسن) أخى الحسن البصرى أخرج حديثه الستة وهذا الحديث مرسل لانه من أوساط التابعين لكن يشهد له الحديث المتقدم (قال كانت قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة) * قال المصنف (حدثنا أبو جعفر محمد بن صدران) بضم مهملة وسكون أخرى (البصرى نا طالب بن حجير) أخرج أيضا حديثه البخارى فى الادب المفرد له (عن هود) بالتنوين (وهو ابن عبد الله بن سعيد) أى العبدى قال فى جمع الوسائل كذا وقع فى بعض نسخ الشمائل المقروءة وصوابه سعد بغير ياء أخرج أيضا حديثه البخارى فى الادب (عن جده) أى لامه كما فى نسخة وهو مزيدة بفتح الميم واسكان الزاى وفتح الياء كذا ضبطه الاكثر وقال العسقلانى ككبيرة ابن مالك العصرى بفتح مهملتين العبدى بن عبد القيس صحابى قال ابن منده وكان من الوفد الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنزلت فقبلت يده (قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح) كان ذلك فى اليوم العاشر من شهر رمضان المعظم سنة ثمان من الهجرة وكان فى عشرة آلاف وكان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود كان بيده و يقول جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء

ماهو كائن الى يوم القيامة كما انظر الى كفى هذه وروى أبوداود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى قيام الساعة الا حدثنابه وهذا الباب واسع جدا وقد ألم القاضى عياض فى الشفاء ببعضه فانظرها والمواهب وأشار الناظم الى ماذكره ابن سيد الناس فى خبر الصحيفة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبى طالب ان ربى قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما لله الا أثبتته فيها ونفت القطيعة والظلم والبهتان قال أربك أخبرك بهذا قال نعم فانطلق أبو طالب فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد فظنت قريش انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل فقال أبو طالب يامعشر قريش قد جرت أمور بيننا و بينكم فأتوا بالصحيفة التى فيها مواثيقكم فلعل أن يكون بيننا و بينكم صلح فأتوا بها معجبين لا يشكون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم فوضعوها بينهم وقالوا لابى طالب قد آن لكم ان ترجعوا فقال انما أتيتكم فى أمر فهو نصف بيننا و بينكم أخبرنى ابن أخى ان هذه الصحيفة بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها الا ذكر الله فان كان كما قال فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أخبر بخبرها قبل فتحها فقالوا هذا سحر ابن أخيك فقال ان الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب الى الحنث والسحر من أمرنا ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى بايديكم فنحن أحق أم أنتم اه وهذا الحق لا يعارض ما تقدم من أن الخمسة سعوا فى نقضها لاحتمال ان يكون اتفق اتفاقهم على نقضها مع اخبار النبى صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واتيانه لاخبارهم بذلك ولما رأى الخمسة الخبر موافقا للخبر جدوا فى النقض والابطال ﴿تنبيه﴾ كاتب الصحيفة هو هشام بن عمرو و يقال منصور بن عكرمة و يلقب بالبغيض قال فى الخصائص الكبرى أخرج أبو نعيم عن عثمان بن سليمان قال كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدرى فشلت يده حتى يبست فما كان ينتفع بها فكانت قريش تقول بينها ان الذى صنعنا ببنى هاشم لظلم انظروا ما أصاب منصور

ابن عكرمة اه (لا تخل جانب النبي مضاما * حين مسته منهم الاسواء كل أمر ناب النبيين فالشـــدة فيـه محمودة والرخاء لو يمس النضار هون من النا * ر لما اختير للنضار الصلاء) لا تخل بفتح التاء الفوقية والمعجمة فعل مضارع من خال أي ظن والجانب في الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل واضافته الى النبي بيانية والمضام المضيع والاسواء الاذايات الكثيرة ومنهم في موضع نصب على الحال واشار به الى ماوقع منهم له صلى الله عليه وسلم من ضربه وخنقه واغراء سفهائهم به وشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يحتمله بل جانبه لم يزل يرتقي مع ذلك في مراتب النصرة والفتح الى أن بلغ غاية العزة والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر و يضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان على أن ما اصابه صلى الله عليه وسلم من اذايتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله وكل أمر من الامور العظيمة أصاب النبيين فالشدة فيه التي تحصل لهم منه محمودة لانها ترفع درجاتهم العلية والرخاء أي السعة فيه محمودة أيضا لانه يكثر اتباعهم و يفني أعداءهم ومما يوضح ذلك أن من المقرر في العقول انه لو يمس هوان النضار أي الذهب من ادخاله النار لا ختياره من الغش لما اختير للنضار الصلاء أي العرض على النار لعزته على النفوس وشحها به من أدنى نقص يصيبه فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التي تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة ولا يخفى ما اشتمل عليه كلام الناظم من الكلام الجامع البليغ والحكم وهو مأخوذ من خبر ورد ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ﴿تنبيهان﴾ الاول كل ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم مما تقدم ذكر بعضه لم يصده عن الدعاء الى الله تعالى ولم يرده عن التعريف به والدلالة عليه فان الصادق في المحبة لا يرده عنها ما يصيبه من الابتلاء في جانب المحبوب بل اذا استحضر رضا محبوبه عنه اضمحل ذلك كله في نظره ولم يؤثر فيه شيأ بل قد يستحليه و يتلذذ به من حيث انه تصرف المحبوب وفعله به ولا غرض للمحب الا في الوصلة من المحبوب وعند هذا تحصل الغيبة عن

الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى حنين فاستعمل على مكة عتاب بن أسيد يصلي بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفرائض وفي ذلك دليل على ان الصلاة والعلم أهم أمور الدين وآكد ذلك العلم فانه ملاك الامر (وعلى سيفه ذهب وفضة قال طالب فسألته عن الفضة) أي ما محلها من السيف (فقال كانت قبيعة السيف فضة) فهم من هذا الحديث جواز تحلية السيف بالذهب كما يفهم منه ومن الاحاديث قبله جوازها بالفضة وعلى الجواز فيهما اقتصر الشيخ خليل وقيل لا تجوز تحلية السيف بالذهب وأما قوله وعلى سيفه ذهب وفضة فيحتمل أن المراد أن فضته كانت مموّهة بالذهب وليس المراد انه كان فيه ذهب خالص و يرشد الى هذا قوله فسألته عن الفضة حيث لم يسأل عن الذهب على ان هذا الحديث ضعيف وقد ذكره صاحب الاستيعاب في ترجمة مزيدة العبدي وقال ليس اسناده بالقوي وقال ابن القطان هو عندي ضعيف لا حسن وقال أبو حاتم الرازي منكر ولا يصح الجواب بأن هذا قبل ورود النهي عن تحريم الذهب لان تحريمه كان قبل الفتح على ما نقل الشيخ زروق والمشهور في تحلية سائر آلات الحرب المنع وثالثها الجواز فيما يطاعن به و يضارب دون ما يتقي به و يتحرز اه فعلى المشهور لا تحل الحلية في لجام ولا سرج ولا سكين ولا في غير ذلك من آلات الحرب اقتصارا على ما ورد في الشرع وهو السيف وقال الحطاب على قول الشيخ خليل وحرم استعمال ذكر محلى ولو منطقة وآلة حرب الا المصحف والسيف أشار بلو الى الاقوال الثلاثة المقابلة للقول المشهور وهي الجواز مطلقا والجواز الا في السرج واللجام والسكاكين والمهاميز والجواز الا في هذه وفيما يتقي به اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن شجاع) بضم الشين وقيل انه مثلث (البغدادي) أخرج حديثه النسائي أيضا (نا أبو عبيدة الحداد) أخرج حديثه أيضا البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي (عن عثمان بن سعد) ضعيف أخرج حديثه أيضا أبو داود (عن ابن سيرين) لقب لمحمد بن سيرين من بين اخوته (قال صنعت) وفي نسخة صغت والمراد انه أمر بذلك (سيفي على سيف سمرة) أي ابن جندب أي على شكله وصفته (وزعم سمرة) أي قال أو ظن (أنه صنع) بصيغة المعلوم أو المجهول من الصنع (سيفه) وفي نسخة صيغ بصيغة المجهول من الصوغ وسيفه نائب الفاعل (على سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان) أي السيف (حنفيا) أي على هيئة سيوف بني حنيفة قبيلة مسيلمة بمعنى انه كان من عملهم وهم معروفون بحسن صنعة السيوف و يحتمل انه أتى به من بني حنيفة وان لم يكونوا صنعوه ثم يحتمل ان يكون هذا من كلام ابن سيرين أي قال ابن سيرين وكان سيف سمرة حنفيا أو من كلام سمرة أي وقال سمرة وكان سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حنفيا و يمكن ان يكون على هذا التقدير أيضا من كلام ابن سيرين على سبيل الارسال انظر جميع الوسائل قال المصنف في جامعه هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد تكلم يحيي بن سعيد القطان في عثمان بن سعد الكاتب وضعفه من قبل حفظه * قال المصنف (حدثنا عقبة) بضم فسكون (ابن مكرم) بصيغة المجهول من الاكرام (البصري) أخرج حديثه مسلم وغيره (حدثنا محمد بن بكر) أخرج حديثه الستة (عن عثمان بن

مقتضى الطبع لتوجه وجهته الكلية لمطلوبه واستغراقها فى محبة محبوبه ولذا قال الجنيد سألت سريا السقطى هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة و يحكى انه لما قدم الحلاج لتقطع يده قطعت اليد اليمنى أولا فضحك ثم قطعت الاخرى فضحك ضحكا بليغا فخاف أن يصفر وجهه من خروج الدم فكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وأنشأ يقول

الله يعلم ان الروح قد تلفت * شوقا اليك ولكنى أمنيها
ونظرة منك ياسؤلى و يا أملى * أشهى الى من الدنيا ومافيها

ياقوم انى غريب فى دياركم * سلمت روحى اليكم فاحكموا فيها
لم أسلم النفس للاسقام تتلفها * الا لعلمى بأن الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة * لعل مسقمها يوما يداويها

ثم رفع رأسه الى السماء وقال يامولاى انى غريب فى عبادك وذكرك أغرب منى والغريب يالف للغريب ودخل جماعة من الناس على الشبلى فى مارستان وقد حبس فيه وجمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتى ان صدقتم فيها فاصبروا على بلائى الى غير ذلك من الحكايات المذكورة عند القوم وقد جلب من ذلك الامام سيدى أبو عبد الله ابن عباد فى شرح الحكم جملة وافرة فانظره و يروى ان أهل مصر مكثوا أربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل فى القرآن الكريم قطع النسوة ايديهن للملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك و يرحم الله القائل (١)

سقمى فى الحب عافيتى * ووجودى فى الهوى عدمى
وعذاب ترتضون به * فى فمى أحلى من النعم
ما الضر فى محبتكم * عندنا والله من ألم

﴿الثانى﴾ هذه الامتحانات التى تقع للانبياء

سعد بهذا الاسناد) أى المذكور قبل (نحوه) كانه يريد الى آخر الاسناد والحديث المتقدم والله أعلم

﴿باب ماجاء فى صفة درع رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

الدرع بكسر الدال المهملة يذكر و يؤنث وهو هنا جبة من حديد و يسمى الزرد يصنع حلقا حلقا وهو من ملابس الحرب فلذلك ذكره المصنف عقب باب السيف وفى هذا الكلام مضاف مقدر أى صفة لبس درعه ليوافق حديثى الباب كذا ذكره بعضهم قال فى جمع الوسائل وهو حسن وقول ابن حجر وهو غفلة عما يأتى فيهما على انه ليس فى أولهما صفة اللبس اه خطأ لان فى قوله كان عليه درعان صفة لبسه وهو لبس الاثنين منه اه وكان له صلى الله عليه وسلم سبعة أدراع قال العراقى نفعنا الله به

ادراعه سبعة السعدية * ذات الفضول وكذاك فضة
ذات الحواشى مالها كفاء * ذات الوشاح الخرنق البتراء

وقال بعضهم

سبع من الادراع كانت للرسول * ذات الوشاح والحواشى والفضول
سعدية بتراء ثم خرنق * وفضة فعدها محقق

و يقال السغدية كانت درع داود التى لبسها لقتال جالوت وهى وفضة أصابهما من بنى قينقاع وذات الفضول سميت بهذا الاسم لطولها أرسلها اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر قال بعضهم وهى التى رهنها صلى الله عليه وسلم (١) وأخرج ابن سعد من طريق حاتم بن اسمعيل وسليمان بن بلال كلاهما عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان درع النبى صلى الله عليه وسلم لها حلقتان من فضة عند موضع الثدى أو قال عند موضع الصدر وحلقتان خلف ظهره قال فلبستها فخطت الارض (حدثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد الاشج) أخرج حديثه الستة (نا يونس بن بكير) أخرج حديثه الجماعة الا النسائى (عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير) أخرج حديثه الاربعة (عن أبيه) أى عباد أخرج حديثه الاربعة (عن جده عبد الله بن الزبير) أحد العبادلة الاربعة وهو من كبار متأخرى الصحابة عالم زاهد استخلف بعد معاوية وتملك بلاد الاسلام سوى الشام صلبه الحجاج (عن الزبير بن العوام) كذا فى بعض النسخ وهكذا أخرجه المؤلف فى جامعه و بذكره يكون الحديث مسندا متصلا و بحذف الزبير كما فى بعض النسخ يحتمل ان يكون الحديث من مراسيل الصحابة بأن يكون سمعه من أبيه الزبير وحذفه فى الاسناد و بهذا يكون قوله بعد فسمعت النبى يقول اوجب طلحة غير كذب والا فان عبد الله بن الزبير لم يحضر وقعة أحد فان مولده فى السنة الاولى من الهجرة و يقال فى السنة الثانية وهو الارجح و وقعة أحد كانت فى السنة الثالثة من الهجرة و يؤيد كونه مرسلا الحديث بعد ومعلوم

(١) بياض بالنسخ بايدينا ولعل الشارح أراد ان يكتب عند أبى الشحم اليهودى اه

(١) هو الامام أبو حامد الغزالى رواها عنه ونسبها له تلميذه أبو بكر بن العربى كما فى الطبقات لابن السبكى اه من خط المؤلف

ان مرسل الصحابة حجة عند الكل (قال) أي الزبير أو ابنه نقلا عنه (كان على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان) هما ذات الفضول وفضة كما رواه بعض أهل السير (فنهض الى الصخرة) اى أراد ان يستعلي عليها (فلم يستطع) لثقل درعيه ولان النبي صلى الله عليه وسلم جرح جراحات وسال الدم من رأسه وجبهته لما أصابه من حجر رمى به روى انه صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته اليمنى وجرحت شفته السفلى وشج وجهه ودخلت حلقة المغفر في وجنته ووقع في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فسقط بين القتلى حتى قال ابن قمئة أقمأه الله قتلنا محمدا فاراد صلى الله عليه وسلم ان يستعلي على الصخرة ليراه الناس وتعلم حياته فلم يستطع (فاقعد طلحة تحته) هو طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي أحد المبشرين بالجنة والثمانية الذين سبقوا بالاسلام والستة أصحاب الشورى شهد المشاهد الا بدرا فكان فيها غائبا بالشام في مصلحة للمسلمين فضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهمه وسماه طلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الفياض باع أرضا بسبعمائة ألف ففرقها على فقراء المدينة في ليلة فاصبح وعنده منها درهم (فصعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى استوى على الصخرة) حجر عظيم يكون غالبا في سفح الجبل (قال) أي الزبير (فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أوجب طلحة) أي فعل فعلا يوجب له الجنة وهو قعوده للنبي صلى الله عليه وسلم حتى استعلى على الصخرة أو حيث جعل نفسه فداء ووقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جرح بضعا وثمانين جرحا وشلت يده في دفع الاعداء عنه صلى الله عليه وسلم وكان راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى القوم فيقول طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك وقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ممن قضى نحبه أي نذره كانه ألزم نفسه ان يموت على وصف فوفى به وقال صلى الله عليه وسلم فيه خير شهيد يمشي على وجه الارض وكان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة قال أبو بكر كنت أول من فاء فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه فقلت كن طلحة حيث فاتني ثم نظرت الى رجل خلفي كانه طائر فلم أنشب أن ادركني فاذا أبو عبيدة بن الجراح فدفعنا الى النبي صلى الله عليه وسلم واذا طلحة بين يديه صريع فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونكم أخاكم فقد أوجب قال وقد رمى صلى الله عليه وسلم في جبهته ووجنته فأهويت الى السهم في جبهته لانزعه فقال لي ابو عبيدة نشدتك الله يا أبا بكر الا تركتني قال فتركته فأخذ ابو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه أي يحركه ويكره أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استله بفيه ثم أهويت الى السهم الذي في وجنته لانزعه قال أبو عبيدة نشدتك الله يا أبا بكر الا تركتني فأخذ السهم بفيه فجعل ينضنضه ويكره أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استله قتل طلحة رضي الله عنه يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن أربع وستين وقبره بالبصرة مشهور وقضيته هذه من أمثلة الغيبة في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا ما كان في قلبه من عظمة محبوبه وعزته وحلاوة وصله والقرب منه ولذة رضاه ومشاهدته وخدمته لما أطاق

عليهم الصلاة والسلام اشتملت على حكم وفوائد منها علم كثير من الاحكام الشرعية كصلاة الخوف واتخاذ الحراس عند الخوف من العدو فقد كان له صلى الله عليه وسلم حراس يحرسونه حتى نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل وكالتداوي عند المرض وان ذلك لا ينافي التوكل فقد كان صلى الله عليه وسلم يحتجم ويشرب الدواء وكاستعمال الصبر والرضا والاستسلام والتفويض عند نزول المكاره والدعاء على المتمردين كما تقدم في دعائه صلى الله عليه وسلم على أبي جهل وأصحابه لانه لحق الله لا لحق نفسه ومنها تكثير الاجر واعظام الثواب ومضاعفة العطاء قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال قال الله سبحانه اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزانا أو انشر له ديوانا وسأل صلى الله عليه وسلم طائفة من الصحابة فقال ما أنتم قالوا مؤمنون قال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وظهور أثر الرضا فيما يخالف هوى النفس أزيد وأكثر ومن هنا تظهر لك حكمة كون الانبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس بلاء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ومنها الاقتداء بهم عليهم الصلاة والسلام أي التخلق باخلاقهم عند نزول البلايا وهذا غير علم الاحكام اذ لا يلزم من العلم العمل ومن أخلاقهم عند تكذيب الخلق لهم وتسلطهم عليهم الصبر الجميل والرحمة لهم والعفو عنهم ورؤية الفعل من الله دونهم والاعراض عنهم والتعلق بالله والاكتفاء به وسلط الله عليهم اذاية الخلق أولا ليعلم بعد نصرهم انهم رسل الله وان نصرهم ليس الا من الله وبالله لان الخلق كانوا لهم أولا أعداء ثم ظفرهم الله بهم ونصرهم عليهم ولذلك لم يكونوا من أبناء الملوك والرؤساء وانظر قول هرقل هل كان من آبائه من ملك ثم قال فذكرتم ان لا فلو كان في آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه اهـ

(كم يد عن نبيه كفها الله وفي الخلق كثرة واجتراء * اذ دعا وحده العباد وأمست منه في كل مقلة أقذاء)

الكف المنع والخلق أي المخلوقون الذين هم أعداؤه والاجتراء الجرأة والشجاعة والاقدام على فعل ما خطر في النفس من غير نظر في عاقبته وإذ ظرف لكف أي وقت دعا أي طلب حال كونه وحده أي منفردا والعباد جمع عبد أي دعاهم الى توحيد الله تعالى وعبادته وأمست أي حصلت في المساء والمراد مجرد الحصول في كل الازمنة منه صلى الله عليه وسلم في كل مقلة منهم وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض أقذاء جمع قذى وهو ما يسقط في العين مما يؤلمها ويكدرها حتى يصير صاحبها غير قادر على أن يرفع رأسه فاستعير لما أصابهم من الذل والهوان بسبب الكفر والطغيان يشير الى أنه صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادي عليهم في أنديتهم بتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى أقرب أقاربه كعمه أبي لهب في اذايته والتجرىء عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله تعالى مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه ورعايته متماد على ما هو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابر عليه الصبر الجميل وأمره لا يزداد الا ظهورا وعلوا وأصحابه وأعوانه يكثرون ويتقوون على أعدائهم شيأ فشيأ الى أن مكنه الله من نواصي أعدائه فأذاق من بقي منهم على كفره الهوان وأحل من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء كثرة من أراد اذايه النبي صلى الله عليه وسلم فعصمه الله تعالى منهم فانظره ومن جملة ذلك ما أشار اليه الناظم رحمه الله بقوله

باب

(هم قوم بقتله فأبى السيـ * ـف وفاء وفاءت الصفواء
وأبو جهل اذ رأى عنق الفحـ * ـل اليه كأنه العنقاء)

أبى السيف أي امتنع من الوصول اليه لاجل الوفاء بما أخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير ما مرة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة تظله فبينما هو تحتها اذ جاءه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني قال الله عز وجل فارتعدت يده وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه وصح عن

ذلك فان الطاقة البشرية لا تقوى على ذلك والشجاعة وان كانت غريزة لكن بلوغ هذا المبلغ العظيم من بذل الروح والفداء بالمهجة لا يكون لمجردها * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر نا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خصيفة) بضم معجمة ففتح مهملة اخرج حديثه الستة (عن السائب بن يزيد) حضر حجة الوداع مع أبيه وهو ابن سبع سنين (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه يوم احد) أي في السنة الثالثة من الهجرة (درعان قد ظاهر بينهما) اي لبس احداهما فوق الاخرى حتى صارت كالظهارة لها والظهارة خلاف البطانة وقيل معناه اوقع الظهارة بينهما بان لبس درعا ولبس فوقها ظهارة ثم لبس الدرع الاخرى فوق ذلك لان لبس درع فوق اخرى بدون حائل بينهما كالمتعذر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان السائب هذا لم يشهد وقعة أحد لما تقدم وعند أبي داود عن السائب عن رجل قد سماه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر يوم أحد بين درعين وهذا الرجل المبهم يحتمل أن يكون الزبير فانه روى معنى هذا الحديث كما تقدم وقد ذكره صاحب الاستيعاب في ترجمة معاذ التيمي فقال عن السائب عن رجل من بني تيم يقال له معاذ ان رسول الله الخ ويحتمل أن يكون طلحة ويؤيده ما وقع في البخاري عن السائب قال صحبت ابن عوف وطلحة بن عبيد الله والمقداد وسعدا فما سمعت أحدا منهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اني سمعت طلحة يحدث عن يوم احد وقد اخرج أبو يعلى من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن طلحة أنه صلى الله عليه وسلم ظاهر بين درعين يوم أحد انظر العسقلاني وانما ظاهر صلى الله عليه وسلم بين درعين مع انه سيد المتوكلين والعارفين برب العالمين اهتماما بشأن الحرب وتعليما للامة الاخذ بالحذر من العدو واشارة الى أن الحزم والتوقي من الاعداء لا ينافي التوكل والتسليم والرضا اذ ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل بل ينبغي ان يكون مقرونا بالسبب ولهذا لم يبرز للقتال منكشفا وقد قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي أهمل ناقته وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عليه الصلاة والسلام فأسر بعبادي ليلا وقد اختفى صلى الله عليه وسلم في الغار واستأجر الخبير واتخذ خندقا حول المدينة يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان اذا أراد غزوة ورى بغيرها تعمية واخفاء وقال الحرب خدعة وقال التدبير نصف العيش مدح هذا التدبير بقرينة قوله بعده والتودد نصف العقل قال العلماء أي النظر في أدبار الامور وعواقب الانفاق الذي يحترز به عن الاسراف والتقتير فان كمال العيش شيآن مدة الاجل وحسن العيش فيه قال شيخنا المحقق في شرحه على الحكم وأما حمله على الدم اي نصف عيش لا عيش كامل فبعيد من السياق اه ثم ان كانت غزوة احد قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس فالامر ظاهر وان كانت بعد نزولها فيكون تحصنه صلى الله عليه وسلم مما عدا القتل كالجرح والكسر وقد كان يحرس حتى نزلت الاية فقال انصرفوا فقد عصمني الله رواه الحاكم

آخر انه اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده في يده مصلتا فقال من يمنعك مني قال الله فسقط من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خيراً آخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى أن قريشا ضربوه في يوم أحد بنحو سبعين ضربة بالسيف ولم تعمل فيه شيأ وقوله وفاءت الصفواء أي رجعت الحجارة على من أراد الرمي بها وهو أبو جهل وقت ان رأى عنق الفحل وقد برز اليه كانه العنقاء أي الداهية العظيمة أو الطائر العظيم وكان أبو جهل من أشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو وقريش يوما فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم وتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم فاظهروا له شدة الامتناع والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم أبو جهل يامعشر قريش ان محمدا قد أبى الا ماترون واني أعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر مايطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بنو عبد مناف مابدا لهم فقالوا والله مانسلمك لشئ أبدا فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون احتمل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يده على حجره حتى قذفه فقاموا اليه وقالوا مالك ياأبا الحكم قال قمت اليه لافعل به ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل صورته وأنيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني ويذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل لو دنا منه لاخذه اه (واقتضاه النبي دون الارا * شي وقد ساء بيعه والشراء ورأى المصطفى أتاه بما لم * ينج منه دون الوفا النجاء هو ماقد رآه من قبل لكن * ماعلى مثله يعد الخطاء) أشار بهذه الابيات الى ماوقع لكهلة بن عصام بن أراش وذلك انه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه أبو جهل ثم مطله بأثمانها فوقف الاراشي على نادمن قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فقال يامعشر قريش هل من رجل يخلصني من أبي الحكم بن هشام فاني غريب ابن سبيل وقد غلبني على حقي

﴿ باب ما جاء في صفة مغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

في نسخة ابن حجر ماجاء في مغفر الخ باسقاط لفظ صفة ولعله هو الصواب لانه ليس في حديث من أحاديث الباب تعرض لصفته والمغفر بكسر الميم وفتح الفاء ما يلبس تحت البيضة و تطلق على البيضة أيضا وأصل الغفر الستر كذا في المغرب وقيل هو ما يكون منسوجا من جملة الدرع خارجا من الدرع على الرأس كهيئة قب البرنوس (حدثنا قتيبة بن سعيد نا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه مغفر) وفي رواية من حديد ولا يعارض هذا الحديث ما في مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحدكم أن يحمل بمكة السلاح لان مكة أبيحت له صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار ولم تحل لاحد بعده كما صح عنه صلى الله عليه وسلم فلذا دخلها متهيأ للقتال أولان النهي اذا لم تدع ضرورة لحمله ولذا دخل عام عمرة القضاء والسلاح في القراب أولان المراد النهي عن حمل السلاح للمحاربة مع المسلمين أولان النهي انما كان بعد هذا على أنه يجوز له صلى الله عليه وسلم مالا يجوز لغيره قاله في جمع الوسائل (فقيل له) اي بعد ان نزع المغفر كما يأتي في الحديث بعد (هذا ابن خطل) بمعجمة ومهملة مفتوحتين اسمه عبد العزى فلما أسلم سمي عبد الله (متعلق باستار الكعبة) خبر بعد خبر اي خوفا من أن يقتل لانه كان ارتد عن الاسلام بعد أن كتب الوحي وقتل مسلما كان يخدمه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة ونزل منزلا وامره ان يذبح له تيسا و يصنع له طعاما ثم نام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله واتخذ قينتين تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين احداهما فرتني اسلمت والاخرى قريبة قتلت كافرة (فقال اقتلوه) الخطاب بهذا على سبيل فرض الكفاية فسقط بقتل واحد واختلف في قاتله فقيل سعيد بن زيد رواه الحاكم وقيل سعد بن ابي وقاص رواه البزار وقيل الزبير بن العوام رواه الدارقطني والحاكم والبزار والبيهقي في الدلائل وقيل عمار بن ياسر رواه الحاكم وقيل سعد بن حريث ذكره أهل السير وقيل أبو برزة الاسلمي قال القسطلاني في المواهب وهو أصح ماورد في تعيين قاتله وتحمل بقية الروايات على انهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم أبو برزة ضرب عنقه بين الركن والمقام ثم لادليل في هذا لمن قال بحتم قتل الساب وهو مذهب مالك رحمه الله وجماعة لان هذا كان كافرا وعلى تقدير انه أسلم فيحتمل انه قتل قصاصا بالمسلم الذي قتله ولا حجة فيه أيضا على اقامة الحد والقصاص في المسجد لانه لم يكن اذ ذاك مسجدا انما كانت الكعبة فقط ثم بعد ذلك أدار به عمر رضي الله عنه سورا كذا قيل وفيه نظر وقد سماه الله تعالى مسجدا قبل ذلك ولا على ان الحرم لا يمنع من اقامة الحدود كما هو مذهب المالكية لان مكة اذ ذاك كانت دار حرب وابن خطل مرتد التحق بالمشركين فوقعت المصالحة بقتل أربعة منهم على القول بان مكة لم تفتح عنوة وأما على الصحيح ان فتحها كان عنوة فلا اشكال فيه قاله في جمع الوسائل وفي الاكمال فيه حجة لمن قال باقامة الحدود بها الا ان الذي أحل له منها قتالها حتى استولى عليها وقتله لابن خطل انما كان

فقالوا لا يخلصك الا ذلك الرجل يهزؤن به لما يعلمون بينه و بين أبي جهل من العداوة اذهب اليه فهو يخلصك منه فاقبل الاراشي حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياعبد الله ان أبا الحكم قد غلبني على حقي وقد سألت أولئك القوم فاشاروا اليك فخلصني منه يرحمك الله قال انطلق اليه وقام معه فلما رأوه قام معه قالوا لرجل اتبعه فانظر ماذا يصنع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بابه فضربه عليه فقال من هذا فقال محمد فاخرج الي فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال اعط هذا حقه قال نعم لا يبرح حتى يأخذه فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه

فأقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله تعالى خيرا فقد والله أخذ لي حقي وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال رايت عجبا من العجب والله ماهو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه ومامعه روحه فقال اعط هذا الرجل حقه قال نعم لا يبرح حتى اخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اياه ثم لم يلبث أبوجهل ان جاء فقالوا له ويلك مالك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط قال ويحكم والله ماهو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل مارأيت مثل هامته ولا صورته ولا انيابه لفحل قط والله لوابيت لا كلني اه قوله وقدساء بيعه والشراء اى نئس وقبح أي ماساء بيعه وشراءه مع هذا الرجل وغيره قوله ورأى المصطفى اى ومن ثم راى ابوجهل

بعد استيلائه وغلبته واذعان أهلها اه قال ابن حجر وهو ظاهر ان ثبت تأخر قتل ابن خطل عن الساعة التي أحلت له ثم الحديث لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن لان ابن خطل ممن استثناه النبي صلى الله عليه وسلم روى الدارقطني والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة لا أأمنهم لا في حل ولا في حرم الحويرث بن نقيد وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبي سرح وفي حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه لكن قال أربعة نفر وامرأتان وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة اه وقد أسلم ابن أبي سرح فلم يقتل وقد حكى ابن عطية في معنى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا ثلاثة أقوال أحدها ان هذا كان في الجاهلية أما في الاسلام فمن ارتكب موجب حد أقيم عليه ولا يجيره الحرم الثاني ان هذا في الجاهلية والاسلام لان الاسلام زاد البيت شرفا وتوقيرا فلا يتعرض لمن جنى والتجأ اليه ولكن لا يكلم ولا يعامل حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج أقيم عليه الثالث كان آمنا من النار وضمير دخله للبيت أو للحرم لانه بسبب البيت وحرمته * قال المصنف (حدثنا عيسى بن أحمد) ثقة أخرج حديثه الستة (نا عبد الله بن وهب نى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح) أي سنة ثمان من الهجرة (وعلى رأسه المغفر) جمع القاضي عياض بين هذا الحديث وحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء الآتي في الباب بعد بأنه صلى الله عليه وسلم نزع المغفر عقب دخوله ثم لبس العمامة السوداء فخطب بها واختار العراقي هذا الجمع قال في جمع الوسائل وفيه ان ظاهر الحديث يدل على أن العمامة كانت على رأسه حين دخوله مكة لان زمان الحال يجب أن يكون متحدا مع زمان عامله اللهم الا أن يقصد الاتساع في زمان دخوله مكة والله أعلم اه قلت لم لا يقال انه صلى الله عليه وسلم جمع بين المغفر والعمامة وأخبر كل من الراويين عن شئ وقد جزم القسطلاني بان العمامة كانت فوق المغفر فلا يتعارض الحديثان نعم قول ابن حجر من اقتصر على المغفر بين انه دخل متهيأ للقتال ومن اقتصر على العمامة بين أنه دخل غير محرم اه يشعر بهذا الجمع لكن فيه ان لبس المغفر يكفي للدلالتين وأما ما حكاه ابن بطال عن بعضهم من انكار قول مالك وعليه المغفر وانه تفرد به والمحفوظ في سائر الطرق انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء اه فهو متعقب بان العلماء وجدوا بضعة عشر نفرا غير مالك تابعوه في ذكر المغفر (قال) أي أنس هذا هو المطابق للسياق خلافا لقول ابن حجر ان فاعل قال هو ابن شهاب وان الحديث معلق فانه على تسليمه مرسل (فلما نزعه جاءه رجل) قيل هو أبو برزة الاسلمي (فقال ابن خطل) مبتدأ (متعلق باستار الكعبة) خبر (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (اقتلوه) الخطاب للرجل ولمن كان معه (قال ابن شهاب) هذا موصول بالاسناد المتقدم لما وقع في رواية الموطا من رواية أبي مصعب وغيره قال مالك قال ابن شهاب ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ محرما (و بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن) حينئذ (محرما) أي على صورة المحرم لانه كان لابسا لباس الحلال والله أعلم بالحال وقد أخرجه البخاري

اللعين المصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بما اى بفحل من الابل اى بعلك في تلك الصورة و ينج بفتح ثم ضم او بضم ثم كسر من نجا ينجو وانجى ينجى فعلى الاول يكون النجاء على وزن ضراب مبالغة في الناجي اى رأى المصطفى اتاه بما لم ينج منه دون الاداء للاراشي الناجي وعلى الثاني يكون النجاء بفتح النون وتخفيف الجيم اى النجاة اى لاتنجيه نجاة من هروب ونحوه دون وفاء الدين الذي عليه ثم اخبر الناظم ان هذا الفحل الذي رآه في هذه الواقعة هو الفحل الذي رآه في الواقعة قبلها لكن لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين ماعلى مثله في العتو والتهور السالبين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو أبلغ من عليه على حد مثلك لا يبخل والخطاء بالمدلغة في المقصور

أى لا يستغرب فى حقه تكرار الافعال المنكرة والامور المستقبحة لعتوه وسفاهته وقباحته فخطؤه لا ينحصر ومعايبه لا تعد لما طبع الله على قلبه من الكفر وسبق له فى سابق الازل من سوء الخاتمة والعياذ بالله ولذا تصدى لاذاية النبى صلى الله عليه وسلم وتمكن منها ظاهرا فى بعض الاحيان كغيره ممن سبقت له الشقاوة فيكون ذلك سببا لاهلاكهم وظهور عزة النبى صلى الله عليه وسلم ونصره انظر ابن حجر

(وأعدت حمالة الحطب الفهـ * ـر وجاءت كأنها الورقاء يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـ * ـلى من أحمد يقال الهجاء وتولت وما رأته ومن أيـ ـن ترى الشمس مقلة عمياء) اى هيأت حمالة الحطب وهى أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان زوجة ابى لهب لقبت بذلك لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم والفهر الحجر الذى يملأ الكف والحال انها جاءت كأنها الورقاء أى الحمامة فى شدة الاسراع وأعدت ذلك يوم جاءت فى حال كونها غضبى من شدة ما سمعت قائلة أفى مثلى وأنا بنت سيد مخزوم يقال الهجاء أى السب والذم حال كونه صادرا من أحمد وتولت أى رجعت والحال أنها ما رأت النبى صلى الله عليه وسلم وكيف تراه وهو فى ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس بل أظهر وهى أى تلك المرأة اللعينة فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن أين ترى الشمس عين عمياء وذلك أنه لما نزل فيها وفى زوجها سورة تبت يدا ابى لهب الخ وسمعت ما اشتملت عليه السورة من ذمها وذم زوجها اشتد غضبها فحملت حجرا فى يدها وقصدت به النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد مع أبى بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله انها امرأة بذية اللسان فلو قمت فقال انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت يا أبا بكر أين صاحبك كيف يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله انى لشاعرة وأنشدت مذمما عصينا * وأمره أبينا وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه فكان عليه الصلاة والسلام يقول ألا تعجبون لما صرف الله تعالى عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد فقال لها أبو بكر لا والله هو لا يقول الشعر فقالت انت

البخارى من طريق يحيى بن قزعة عن مالك بهذا الاسناد وقال فى آخره قال مالك ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم محرما اه وانما لم يجزم بعدم الاحرام مع انه كان لابسا للمغفر والعمامة على ما تقدم لان الاحرام بالنية واللبس جائز للضرورة وعليه يحمل قول جابر فى رواية مسلم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام وأما قول الطحاوى ان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة غير محرم من خصائصه ودليله قوله صلى الله عليه وسلم انها لم تحل لى الا ساعة من نهار وان المراد بذلك جواز دخولها بغير احرام لا تحريم القتال فيها لانهم أجمعوا على ان المشركين لو غلبوا والعياذ بالله على مكة حل للمسلمين القتال معهم فيها فقد عكس استدلاله النووى فقال فى الحديث دلالة على ان مكة تبقى دار اسلام الى يوم القيامة فبطل ما صوره الطحاوى على ان فى دعوى الاجماع نظرا فان الخلاف ثابت وقد حكاه القفال والماوردى وغيرهما قال فى جمع الوسائل قلت ما صوره الطحاوى فرض غير لازم الوقوع ولذا خالف من خالف وأما دعوى الاجماع فصحيحة ولا ينافيها مخالفة القفال وغيره اه وقد عد المالكية من خصائصه صلى الله عليه وسلم دخوله مكة بلا احرام وبقتال أى من غير ضرورة والا فيجوز ذلك لغيره أيضا عندهم

﴿ باب ما جاء فى عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

وفى نسخة ما جاء فى صفة عمامة الخ والعمامة بكسر العين خلافا للعصام فى قوله بالفتح كغمامة والمراد بها هنا كل ما يعقد على الرأس تحت المغفر أو فوقه وما يشد على القلنسوة أو غيرها وما يشد على رأس المريض وفى القاموس العمامة المغفر والبيضة وما يلف على الرأس فهى أعم من المغفر فترجمة العمامة بعد المغفر من باب ذكر الاعم بعد الاخص والله أعلم (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن سلمة ح وحدثنا محمود بن غيلان نا وكيع عن حماد بن سلمة عن أبى الزبير عن جابر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء) وفى رواية مسلم بغير احرام وفى رواية ابن أبى شيبة دخل مكة يوم الفتح وعليه شقة سوداء وان عمامته كانت سوداء وروى ابن سعد ان رايته سوداء تسمى العقاب قال ابن حجر وكأن حكمة السواد فى العمامة واللواء مع ما ورد فى فضل البياض الاشارة الى السودد الذى أعطيه صلى الله عليه وسلم وتميز به على سائر الانبياء فى ذلك اليوم وهو أن الله تعالى أحل له مكة ساعة من نهار ولم يحلها لاحد قبله والى سودد مكة على سائر البلاد والى سودد أمته وعزتهم بذلك الفتح العظيم والى سودد الاسلام وظهوره ظهورا لم يكن قبل الفتح كما بينته سورة النصر والى ثبوت هذا الدين المحمدى واستمراره وعدم تبدله اذ السواد أبعد عن ظهور الدنس والتبدل من سائر الالوان وقول من قال ان سوادها لم يكن أصليا بل لحكايتها ما تحتها من المغفر تكلف لا دليل عليه اه وقد جمع السيوطى جزأ فى لبس السواد ذكر فيه أحاديث وآثارا قال فى جمع الوسائل وفى بعض شراح هذا الكتاب زعم بعض الخلفاء العباسيين من أولاد المعتصم بالله ان تلك العمامة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس وهى بين الخلفاء يتداولونها بينهم ويجعلونها على

عندى مصدق فانصرفت فقلت يارسول الله كيف لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحيه وفى رواية قد أخذ الله تعالى بصرها عنى وفى تفسير النسفى وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل (ثم سمت له اليهودية الشا * ة وكم سام الشقوة الاشقياء

فأذاع الذراع مافيه من سـ * ـم بنطق اخفاؤه ابداء

وبخلق من النبي كريم * لم نعاقب بجرمها العجماء) أى ثم بعدما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقعت له كرامة أخرى فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهى انه صلى الله عليه وسلم سمت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية الشاة أى جعلت له سما قاتلا لوقته بعد ان شوتها وأكثرت منه فى الذراع والكتف لانها أخبرت أنه يحبه وكم مرات كثيرة سام من السوم الذى هو مقدم الشراء وبين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق الشقوة أى نابر عليها وتحلى بها الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل هم أضل سبيلا ومنهم تلك المرأة وبينهما تجنيس الاشتقاق فاذاع أى أظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع مافيه من سم نطق معجزة له صلى الله عليه وسلم واخفاؤه عن الحاضرين ابداء له صلى الله عليه وسلم وبخلق من النبى كريم بل لا أكرم منه لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم أى بسبب ماتحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح لم نقاصص بجرمها وفى نسخة بجرحها لان السم يجرح البواطن كما يجرح الحديد الظاهر العجماء البهيمة شبهها بها فى قلة العقل المؤدى لهلاكها بتعرضها لاكبر الايذاء لسيد الوجود ولفظ البخارى فى القضية التى أشار اليها الناظم فى كتاب الجزية والطب من طريق الليث عن سعيد عن أبى هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال صلى الله عليه وسلم اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود فجمعوا اليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقونى عنه فقالوا نعم ياأبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم قالوا أبونا فلان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل أنتم صادقونى عن شىء ان سألتكم عنه فقالوا نعم ياأبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما

رأس من تقرر له الخلافة وهى الآن بمحروسة مصر فى يد أولاد الخلفاء اه قال المناوى ولا بأس بلبس القلنسوة اللاطئة بالرأس والمرتفعة تحت العمامة وبلا عمامة لان ذلك كله جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وبذلك أيد بعضهم ما اعتيد فى بعض الاقطار من ترك العمامة من أصلها وتمييز علمائهم بطيلسان على قلنسوة بيضاء لكن الافضل العمامة اه أى خلافا لمن قال السنة الجمع بين القلنسوة والعمامة أو الاقتصار على العمامة أما الاقتصار على القلنسوة فهو من زى المشركين لحديث أبى داود والمصنف فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس *قال المصنف غريب وليس اسناده بالقائم قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان) أى بن عيينة (عن مساور) بضم الميم وكسر الواو (الوراق) بتشديد الراء بائع الورق أو صانعه أو منسوب الى ورق الشجر أخرج حديثه مسلم والاربعة (عن جعفر بن عمرو بن حريث) مصغر حرث روى عنه مسلم والاربعة (عن أبيه قال رأيت على النبى صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء) يحتمل عام الفتح أو غيره وحال الخطبة أو غيرها يوم الجمعة أو غيره وسيجىء ما يبينه *قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان ويوسف بن عيسى قالا نا وكيع عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عمامة سوداء) وفى نسخة عصابة سوداء وهو بمعنى العمامة كما فى القاموس مأخوذة من العصب وهو الشد وحديث عمرو بن حريث فى معنى حديث جابر المتقدم وأورده من طريقين وزاد فى الطريق الثانى خطب الناس أى يوم فتح مكة وهذه الخطبة عند باب الكعبة على ما يفهم من كلام العسقلانى ولم تكن على المنبر وأخرج مسلم من طريق أبى أسامة عن مساور قال حدثنى جعفر بن عمرو ابن حريث عن أبيه قال كانى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه وفى بعض نسخ مسلم طرفها بالافراد عياض وهو الصواب المعروف اه وفيه دليل على ان لبس السواد لم يكن بمكة فقط لان خطبته بمكة لم تكن على منبر بل على باب الكعبة ولهذا ذكر صاحب المصابيح هذا الحديث فى باب خطبة الجمعة وقد لبس السواد جمع منهم على يوم قتل عثمان وغيره والحسن كان يخطب بثياب سود وعمامة سوداء وابن الزبير كان يخطب بعمامة سوداء ومعاوية فانه لبس عمامة سوداء وجبة سوداء وأنس وعبد الله بن جزء وعمار كان يخطب كل جمعة بالكوفة وهو أميرها وعليه عمامة سوداء وابن المسيب كان يلبسها فى العيدين وابن عباس كان يعتم بها والخلفاء العباسيون وكثير من الخطباء ومستندهم ما ورد من دخول المصطفى صلى الله عليه وسلم مكة بعمامة سوداء أرخى طرفها بين كتفيه وخطب بها فتفاءل الناس بذلك لانه نصر وعز قال القرطبى ولم يكن السواد فى كل لباس المصطفى بل فى العمامة خاصة وورد بسند واه هبط على جبريل وعليه قباء أسود وعمامة سوداء فقلت ماهذه الصورة لم أرك هبطت بها على قط قال هذه صورة الملوك من ولد العباس عمك قلت وهم على حق قال جبريل نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للعباس وولده حيث كانوا وأين كانوا قال جبريل ليأتين على أمتك زمان يعز الله فيه الاسلام بهذا السواد فقلت رياستهم ممن قال من ولد العباس قلت ومن أتباعهم قال من أهل خراسان قلت أى شىء

عرفتة فى أبينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها (١) والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقونى عن شئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم (٢) فى هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا أردنا ان كنت كذابا أن نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفى حديث جابر عند أبى داود ان يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣١) فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فا كل منها (٣) وأكل رهط من أصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى للذراع فقالت نعم قلت ان كان نبيا لم يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة وفى رواية غيره جعلت زينب بنت الحرث امرأة ابن مشكم تسأل أى الشاة أحب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنزلها فذبحتها وأصلتها ثم عمدت الى سم لا يطنئ يعنى لا يلبث ان يقتل من ساعته وقد شاورت يهود فى سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء

بسكون قال الاخضر والاصفر والحجر والمدر والسرير والمنبر والدنيا الى المحشر والملك الى المنشر وسأل الرشيد الاوزاعى عنه فاجابه بانه يكره لانه لا يجلى فيه عروس ولا يلبى فيه محرم ولا يكفن فيه ميت انظر ابن حجر قال النووى وفى الحديث جواز لبس الاسود فى الخطبة وان كان الابيض أفضل منه قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمذانى) بسكون الميم نسبة الى قبيلة باليمن أخرج حديثه الاربعة (نا يحيى بن محمد المدينى) نسبة الى مدينه السلام على الاصح وفى نسخة المدنى أخرج حديثه أبو داود وابن ماجه (عن عبد العزيز بن محمد) أخرج حديثه الستة (عن عبيد الله بن عمر) نسبة الى الجد اذ هو عبيد الله بن عبد الله بن عمر أخو سالم مات قبل أخيه سالم (عن نافع عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اعتم) أى لبس عمامته (سدل عمامته) أرخى طرفها وهل المراد سدل الطرف الاسفل حتى يكون عذبة او الاعلى بحيث يغرزها ويرسل منها شيأ خلفه كل محتمل قاله الزين العراقى ولم يكن يسدل دائما بدليل رواية مسلم انه دخل مكة بعمامة سوداء من غير ذكر سدل وصرح ابن القيم بنفيه لانه كان على أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس فى كل موطن ما يناسبه وبه يعرف ما فى القاموس من قوله لم يفارقها قط قال المناوى قال بعض الحفاظ أقل ما ورد فى طولها أربع أصابع وأكثر ما ورد ذراع وبينهما شبر ويحرم الفاحش طولها بقصد الخيلاء وفى خبر حسن من لبس ثوبا يباهى به الناس لم ينظر الله اليه حتى يرفعه قال الشافعى ولو خاف من ارسالها نحو خيلاء لم يؤمر بتركها بل يفعلها ويجاهد نفسه اه وفى المدخل الرواية لم يكونوا يرسلون منها الا القليل نحو الذراع أو أقل منه قليلا أو أكثر منه قليلا اه (بين كتفيه) وفى رواية أرسلها بين يديه ومن خلفه ولعل هذا انما هو اذا أرخى طرفيها معا قال المناوى وارسالها بين الكتفين أفضل منه على الايمن لان حديث الاول أقوى وأصح اه وقد تحصل مما تقدم أن للابس العمامة أن لا يتخذ عذبة وله أن يتخذها من خلفه أو من بين يديه ومن خلفه وان الافضل اتخاذها وأن تكون من بين الكتفين ثم المنكب الايمن وفى المدخل نقل مالك رحمه الله انهم كانوا يعتمون حتى تطلع الثريا ومعنى ذلك ان طلوعها انما يكون فى زمن الحر فيزيلونها اه بنقل الحطاب فى حاشيته على الرسالة (قال نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك) كأن هذا من كلام عبيد الله وقوله (قال عبيد الله) من كلام عبد العزيز ونبه عليه بترك العطف لاختلاف الراوى ولو كان من كلام المصنف لكان بالعطف (ورأيت القاسم بن محمد وسالما يفعلان ذلك) أى ما ذكر من سدل طرف العمامة بين الكتفين وفى هذا دليل على أن السدل سنة معمول بها لكن قال بعضهم صارت العذبة اليوم شعار قوم يسمون الصوفية فلا ينبغى أن يتخذها الا من كان على طريقهم والا كان كاذبا اه ولم يتعرض المصنف لبيان قدر عمامته صلى الله عليه وسلم قال المناوى قال فى تصحيح المصابيح لابن الجوزى تتبعت الكتب وتطلبت من السير والتواريخ لاقف على قدر عمامته صلى الله عليه وسلم فلم أقف على شئ حتى أخبرنى من أثق به انه وقف على شئ من كلام النووى ذكر فيه انه كان للنبى صلى الله عليه وسلم عمامة قصيرة وعمامة طويلة وان القصيرة كالسبعة أذرع والطويلة اثنا عشر ذراعا اه وذكر فى المدخل ان عمامته كانت سبعة أذرع ولم يذكر انه

---

(١) قوله اخسؤا أى اسكتوا فيها سكوت ذلة وهوان وانزجروا انزجار الكلاب عن هذا القول اه مؤلف

(٢) قوله هل جعلتم ويجمع بينهم باعتبار المشاورة والموافقة اه من خط المؤلف

(٣) قوله فا كل منها أى مضغ مضغة ثم رماها أو ازدردها قولان أسنده اليهما بأنه ابتلع ما انفصل منها بريقه دون اللحم اه من خط المؤلف

(١) فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانهش منها وتناول بشر عظما آخر فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر بن البراء ما في فيه وأكل القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه أن بشر بن البراء مات (٢) وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى أولياء بشر بن البراء فقتلوها (٣) رواه الدمياطي وفي مغازي سليمان التيمي أنها قالت ان كنت كاذبا أرحت الناس منك وقد استبان لي الآن انك صادق وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال الزهري فانصرف عنها حين أسلمت وفيه موافقة الزهري على اسلامها والحاصل ان الذي في حديث جابر وأبي هريرة انه لم يأمر بعقابها والذي رواه ابن سعد والدمياطي انه دفعها الى أولياء بشر فيحتمل ان يكون لاجل اسلامها لم يعاقبها وعليه الزهري والتيمي ومن ثم جزم في الاصابة بانها صحابية ويحتمل ان يكون تركها أولا لانه لا ينتقم لنفسه ولما مات بشر قتلت قصاصا وهذا هو الذي يستفاد من كلام الناظم ويحتمل ان يكون تركها أولا لكونها أسلمت وانما أخر قتلها حتى مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني قيل وفيه نظر لان قصتها ان صحت على هذا الوجه كان فعلها قبل الاسلام وبعد الاسلام لا تؤاخذ بما صدر منها اه ويجاب بأنه صلى الله عليه وسلم اعتبر في وجوب القصاص الموت لا سببه لان موت ابن البراء كان بعد اسلامها فوجب القصاص ومن هنا نشأ الخلاف بين الفقهاء هل المعتبر في وجوب القصاص الموت أو سببه

ابن (من فضلا على هوازن اذ كا * ن له قبل ذاك فيهم رباء) من هو معطوف بحذف

كان له عمامة قصيرة وعمامة طويلة وعلى كل حال فقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه أتم وأنفعه للناس أعم فان كبر العمامة يعرض الرأس للآفات كما هو مشاهد في كثير من الفقهاء والقضاة وصغرها لا يقي من الحر والبرد فكان يجعلها وسطا بين ذلك قاله ابن حجر ونقله في جمع الوسائل قال المناوي ولا يسن تحنيك العمامة عند الشافعية واختار بعض الحفاظ ما عليه كثيرون انه يسن وهو تحديق الرقبة وما تحت الحنك واللحية ببعض العمامة وأطالوا في الاستدلال له بما رد عليهم اه وفي المدخل لا بد في العمامة من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين وقول بسم الله والذكر الوارد ان كان ما لبس جديدا وامتثال السنة في صفة التعميم من التحنيك والعذبة وتصغير العمامة اه وفي المدخل أيضا نقلا عن الغزالي عليك أن تتعمم قائما وتتسرول قاعدا اه ومنه أيضا كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول انما المكروه العمامة التي ليس فيها تحنيك ولا عذبة فان كانا معا فهو الكمال في امتثال السنة وان كان أحدهما فقد خرج به عن المكروه اه بنقل الحطاب على الرسالة * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا أبو سليمان وهو عبد الرحمن بن الغسيل) أخرج حديثه الشيخان وغيرهما والغسيل اسمه حنظلة وهو جد أبيه لانه عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة ولقب بالغسيل لانه كان جنبا حين سمع نفير أحد فخرج مسرعا قبل أن يغتسل فلما استشهد رأى النبي صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله غسل الجنابة (عن عكرمة) أي مولى ابن عباس (عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عصابة دسماء) في نسخة عمامة بدل عصابة ولا تنافي لان العصابة تأتي بمعنى العمامة كما في القاموس وغيره ومعنى دسماء سوداء أو ملطخة بدسومة شعره صلى الله عليه وسلم لانه كان يكثر دهنه كما مر والدسمة غبرة الى السواد أو من العرق أو من الطيب الذي كان يستعمله وقد يكون ذلك لونها في الاصل وفي حديث أنس عند البخاري انها حاشية برد والحاشية غالبا تكون من لون غير لون الاصل قال المناوي وهذه الخطبة وقعت في مرض النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه وفيها الوصية بشأن الانصار كما أخرجه البخاري في صحيحه عن أحمد بن يعقوب عن ابن الغسيل بهذا الاسناد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ملحفة متعطفا على منكبيه وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ان الناس يكثرون و يقل الانصار حتى يكونون كالملح في الطعام فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وفي حديث أنس عنده في هذه القصة فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم

﴿ باب ما جاء في صفة ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

المراد بصفة الازار ما يتناول صفته في نفسه وصفة لبسه المتضمنة لبعض آداب اللباس والازار بالكسر الملحفة ويؤنث كذا في القاموس قال في جمع الوسائل والمراد هنا ما يستر أسفل البدن ويقابله الرداء وهو ما يستر أعلى البدن ولعل المصنف حذفه من الترجمة اكتفاء كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أي والبرد وذكر

(١) بشر بن البراء بن معرور الانصاري الخزرجي الصحابي ابن الصحابي البدري وشهد ما بعدها حتى مات رضي الله عنه اه مؤلف
(٢) جزم السهيلي بأنه مات بعد حول وقيل من ساعته اه من خط المؤلف
(٣) ونحوه عند ابن سعد عن شيخه الواقدي بأسانيد متعددة قال وهو الثابت فيقدم على حديث جابر المتقدم اه مؤلف

حرف العطف على لم تعاقب خلا فالما يوهمه كلام الشارح انه استئناف أى أنعم نعمة عظيمة فضلا مفعول مطلق كفرحت جذلا أو مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ماذكره الله تعالى فاما منا بعد واما فداء فمن بتخلية سبيلهم بعد أن ملكهم المسلمون أى رفع الرق عنهم لاجل فضله أى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه العلة والتى تليها المستفادة من اذ أن منه معلل بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه تربى فيهم وعليه فحرف العطف مقدر (١٣٣) الثبوت و يصح أن تكون الثانية علة للاولى وابهامه قصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء علق على هوازن بمن أو بفضلا اكتفاء بقرينة السياق وهوازن قبيلة حليمة السعدية رضى الله عنها وهم أهل حنين المذكور فى القرآن وهو واد قريب من ذى المجاز السوق المشهور من أسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادى و بين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت أشراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان فى اثنى عشر ألفا عشرة جاء بهم من المدينة وألفان من طلقاء مكة فلما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطائف وأمر أن يجعل سبى هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى يأتى اليهم وكان السبى وهو النساء والذرارى ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرون ألفا والغنم فوق أربعين ألفا وأربعة آلاف أوقية فضة * ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ فى قسمة الغنائم فجاؤا مسلمين فقالوا يارسول الله انا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك فامنن علينا مما من الله عليك وقام رجل من نجد حليمة فقال يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك لانهن قرابات حليمة وحاضناتك اللاتى كن يكفلنك ولو انا أرضعنا الحرث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وأنت خير المكفولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فقالوا أبناؤنا ونساؤنا فقال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر

ابن الجوزى فى الوفاء باسناده عن عروة بن الزبير قال كان طول رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعين ونصفا ونقل ابن القيم عن الواقدى أن رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم برد طوله ستة أذرع فى ثلاثة أذرع وشبر وازاره طوله أربعة أذرع وشبر فى ذراعين اه ويحتمل أن يكون المراد بالازار هنا ما يحمل على البدن كله وهو الملحفة * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم نا أيوب) أى السختيانى (عن حميد بن هلال) روى عنه الستة (عن أبى بردة) قيل اسمه عامر وهو تابعى كوفى كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج وهو جد أبى الحسن الاشعرى الامام فى علم الكلام (عن أبيه) أى أبى موسى الاشعرى الصحابى المشهور كذا فى بعض النسخ وفى أكثرها وهو الذى فى البخارى اسقاط قوله عن أبيه وهو الصحيح وعلى الاسقاط فلا يصير الحديث مرسلا لان أبا بردة كما يروى عن أبيه يروى عن عائشة أيضا قاله العصام قال فى جمع الوسائل مجرد روايته عنها لا يجعل الحديث متصلا الا ان ثبت انه سمعه من عائشة أيضا (قال) أى أبو بردة (أخرجت الينا عائشة) أى اما بنفسها أو بأمرها (كساء) المراد هنا رداء كما فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر ويحتمل ان المراد ما يستر البدن كله (ملبدا) النووى فى شرح مسلم الملبد المرقع وقيل الذى ثخن وسطه حتى صار كاللبد (وازارا غليظا) أى خشنا (فقالت) أى دفعا لما يتوهم ان هذا اللباس كان فى أول أمره قبل الفتوحات (قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين) فهو اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم بقى على حال الزهد فى الدنيا والاعراض عن لذاتها وشهواتها والاقتصار على أدنى ما تحصل به الكفاية منها حتى لقى الله تواضعا وميلا للعبودية واتباعا لجمهور الانبياء وليتأسى به الضعفاء وغير ذلك مما تقدم فى باب اللباس * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود عن شعبة عن الاشعث بن سليم) بالتصغير (قال سمعت عمتى) اسمها رهم بضم الراء وسكون الهاء بنت الاسود بن خالد وقيل بنت الاسود بن حنظلة (تحدث عن عمها) أى عم عمة أشعث بن سليم اسمه عبيد بن خالد المحاربى سكن الكوفة (قال بينا أنا أمشى بالمدينة) وفى نسخة بينما بحذف الميم وهما ظرفا زمان مضافان الى الجملة التى بعدهما وقيل انهما مكفوفتان بما وبالالف عن العمل فى المضاف اليه قال الرضى و بين فى الحقيقة مضاف الى زمان مضاف الى الجملة أى بين أوقات كذا اه ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى وكان الاصمعى يستفصح فى جوابهما أن لا يكون فيه اذ واذا والكثرة مجئ جوابهما بدونهما قال الرضى والكثرة لا تدل على أن المكثور غير فصيح بل تدل على ان الاكثر أفصح وانما أدخلت اذ واذا فى جوابهما ليدلا على اقتران مضمون الاول بالثانى مفاجأة بلا تراخ والاولى القول بحرفية كلمتى المفاجأة كما هو مذهب ابن برى والعاملى فى بينا و بينما حينئذ ما بعد كلمتى المفاجأة اه فمعنى بينا زيد قائم اذ رأى هندا أى زيد هندا بين أوقات قيامه وقال الزمخشرى عاملهما مقدر من معنى المفاجأة وعليه فالتقدير وقت قيام زيد فاجأ رؤية هند فتقدير الحديث وقت مشيى بالمدينة فاجأ كون انسان خلفى قائلا ارفع الخ فقوله (اذا) بالالف للمفاجأة وقوله (انسان خلفى) مبتدأ وصفه و (يقول) أى ذلك الانسان الذى هو انسان العين خبر المبتدا ويحتمل

ان الظرف خبر لمبتدا والمسوغ للابتداء بالنكرة اذا الفجائية وجملة يقول حالية (ارفع ازارك) أي عن الارض (فانه) أي الرفع (أتقى) من التقوى أي أقرب اليها وأدل عليها لانه يدل غالبا على انتفاء الكبر والخيلاء و في نسخة أنقى بالنون من النقاء أي أنظف من الوسخ (وأبقى) بالموحدة أكثر دواما للثوب فمال صلى الله عليه وسلم أمره بالمصلحة الدينيـة وهي طهارة القلب أو القالب أولا لانها المقصودة بالذات وثانيا بالمنفعة الدنيوية فانها التابعة للآخرة وفيه ايماء الى ان المصالح الاخروية لا تخلو عن المنافع الدنيوية (فالتفت) أي نظرت الى وراءي (فاذا هو) أي ذلك الانسان (رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت) معتذرا عن فعلي (يارسول الله انما هي) أي الازار والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (بردة) كساء يلبسه الاعراب (ملحاء) بفتح الميم تأنيث أملح يقال كبش أملح ونعجة ملحاء أي فيها بياض يخالطه سواد على ما في الصحاح فالملحاء التي فيها خطوط من سواد و بياض وقيل ما فيه البياض أغلب وأما قول ابن حجر ملحاء بضم أوله فهو سهو قاله في جمع الوسائل أي لان فعلاء بالضم غير محفوظ في أوزان المؤنث الممدود وكأن مراد الصحابي ان هـذا الثوب ليس من فاخر الثياب التي يخاف منها الخيلاء والكبر و لم يعتذر عن قوله أبقى لان أمره أخف فاجابه صلى الله عليه وسلم بطلب الاقتداء به لانه صلى الله عليه وسلم لا يرتكب الا الاكمل الذي هو الاحب الى الله تعالى ولذلك (قال أمالك) استفهام انكاري وما نافيـة (فيّ) بتشديد الياء أي أليس لك في فعلي (اسوة) بضم الهمزة وكسرها أي قدوة ومتابعة (فنظرت) أي الى لباسه (فاذا ازاره الى نصف ساقيه) أي واذا كان هو صلى الله عليه وسلم مع انه مأمون عليه مما يخاف على غيره من آفات الدين كالخيلاء والكبر لا يرتكب ما هو مظنـة ذلك فاولى غيره قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى فبغى عليهم في قصة قارون كان من بغيه انه زاد في ثيابه شبرا على ثياب الناس وفي قوله أمالك الخ تأكيد للامر برفع الازار فان الفعل أقوى من القول وفيه أيضـا اشارة الى ان السنة تعرف من أفعاله كاقواله وان الاليق بالمؤمن حسم مادة ما يتوقع منه الضرر في دينه وغلق أبواب الشر ما أمكن وأن لا يثق بنفسه في هذا وما كان من قبيله والله أعلم بمراد رسوله * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن اياس بن سلمة بن الاكوع) روى عنه الستة (عن أبيـه) أي سلمة بن الاكوع وهو نسبة الى الجد فانه سلمة بن عمرو بن الاكوع غزا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم سبع غزوات (قال كان عثمان بن عفان) بالصرف وعدمه (يأتزر) بهمزة ساكنة و يجوز ابدالها ألفا أي يلبس الازار و يرخيه (الى أنصاف ساقيه) المراد بالجمع ما فوق الواحد بقرينة ما أضيف اليه وقيل في الجمع المذكور اشارة الى التوسعة (وقال) أي عثمان و يحتمل سلمة على بعد و يؤيد الاول تكرار قال وانما لم يقل و يقول بلفظ المضارع لانه يدل على التكرار و لم يسمع ذلك منه مكررا (هكذا) أي مثل هـذا الاتزار المذكور (كانت ازرة صاحبي) بكسر أوله وسكون الزاي بصيغة فعلة نوع وهيئة (يعني) أي يريد عثمان بصاحبه (النبي صلى الله عليه وسلم) وقائل يعني هو سلمة وفائدة نقل سلمة الازرة عن عثمان مرفوعـة ولم يرفعها هو ليفيد انها سنة باقية بين أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم سيما الخلفاء الراشدون فيتأكد

بالمسلمين فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم فضل المسلمين ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم و بنو فزارة وعباس بن مرداس من بني سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من أول سبي من نصيبه بما (١٣٤) طابت به نفوسهم فردوا من بقي عندهم (وأتى السبي فيه أخت رضاع * وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا
س به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء
أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسـ
وة والسيدات فيه إماء)

السبي في الاصل الاسر والمراد به هنا المسبي أي أتى المأسورون الى الجعرانة للقسم فيها على المسلمين وكان ذلك السبي فيه أخت النبي صلى الله عليه وسلم من رضاع واسمها الشيماء ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله اني أخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله اني أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك في ظهري فعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن وضع أي خفض الكفر القائم بها قدرها وكذلك وضع قدرها السباء أي الاسر القائم فاضمحل في جنب هذين ما فيها من اخوته صلى الله عليه وسلم ثم من الله عليها بالاسلام فحباها أي أعطاها ما لم يكن في حسابها وجاد على قومها لاجلها برا أي لاجل برها اذ رحم الرضاع كرحم النسب و يجوز أن يكون برا هو المفعول الثاني بدليل ابدال قوله بسط منه الندب توهمت الناس الذين رأوا ذلك البر أي وقع في وهمهم أي ذهنهم به أي بسبب ذلك البر الذي وصل اليها منه أنما بفتح الهمـزة أداة حصر السباء أي المسبيات اللواتي معها في السبي هداء بالكسر مصدر هديت المرأة الى زوجها أي مهديات كرجل عدل والجملة في محل مفعول توهمت الناس أي توهموا ان النسوة اللواتي معها في السبي لم يسبين لعظم ما بلهن به من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم ثم أبدل من حباها أو من برا قوله بسط الخ والظاهر ان من زائدة على مذهب الاخفش ومن تبعه من عدم اشتراط النفي

وشبهه أى نشر صلى الله عليه وسلم لها رداءه كان عليه وجعله لها فراشا لتجلس عليه و يصح أن تكون تبعيضية وعلى كل حال فهنيئا لها بذلك الا كرام أى فضل أى شرف عظيم لا غاية له حواه أى جمعه ذلك الرداء بمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وحينئذ خيرها فقال ان أحببت بقيت عندى مكرمة محببة وان أحببت متعتك ورجعت الى أهلك فاختارت قومها فأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم تزل فيهم بقية من نسلهما فغدت أى صارت مندرجة فيه أى فى ذلك الفضل والحال انها هى سيدة أولئك النسوة اللواتى معها من سبى هوازن لما حصل لها من التميز الباهر عليهن وان أولئك النسوة اللواتى هن السيدات قبل أسرهن فيه أى فى ذلك الفضل اماء اى صارت كانها سيدتهن وكانهن مع كونهن سيدات اماءها و بين السيدات والاماء طباق والجملة الاخيرة مؤكدة للاولى التى هى حال من فاعل غدت

(فتنزه فى ذاته ومعانيـ
ـه استماعا ان عز منها اجتلاء
واملا السمع من محاسن يمليـ
ـها عليك الانشاد والانشاء
كل وصف له ابتدأت به استو
عب أخبار الفضل منه ابتداء)

التنزه حقيقة التباعد عن الادناس و يستعمل فى النزهة فى الرياض ونحوه لان فيه تباعدا عن الاكدار والاغيار فشبه جماله صلى الله عليه وسلم بالمتنزه الرفيع البديع الجامع لاشتات المحاسن على سبيل الكناية ودل على ذلك بالامر بالتنزه وهذا أولى مما فى ابن حجر وغيره أى استعمل جوارحك وقالبك وقلبك فى النزهة فى أوصاف ذاته وأوصاف معانيه الخارجة عن أوصاف ذاته من جهة اصغائك الى اسماع أوصاف ذاته و جميل صفاته ان فقد اجتلاءه منها أى إبصار ورؤية من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتلوتها اذا نظرت اليها مجلوة أى مكشوفة مزينة أى ان فاتتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته المعظمة فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته وعلى صفاته ولا تقتصر على سماعك للقليل من ذلك بل املا السمع بأن تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما تسمعه شئ محسوس وان سمعك اناء واسع لملأه ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها

الندب * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أى ابن سعيد كما فى نسخة (نا أبو الاحوص عن أبى اسحق) أى السبيعى (عن مسلم بن نذير) مصغرا أخرج حديثه البخارى فى الادب المفرد والنسائى وابن ماجه وفى نسخة يزيد بفتح التحتية وكسر الزاى (عن حذيفة بن اليمان) صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين والفتن أسلم هو وأبوه وقبل بدر وشهد أحدا وقتل أبوه فى المعركة قتله المسلمون خطأ فوهب لهم دمه وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن وقال فيه صلى الله عليه وسلم ما حدثكم فصدقوه وكان عمر يقول له نشدتك الله هل تعلم فى نفاقا وكان يسأله عن المنافقين وروى الترمذى والحاكم عن على رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان كل نبى أعطى سبعة نجباء رفقاء وانى أعطيت منهم أربعة عشر فعد منهم حذيفة (قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضلة ساقى) فى النهاية عضلة على وزن طلحة وفى القاموس محركة وهو الموافق للنسخ المعتمدة وعضلة الساق اللحمة المجتمعة أسفل من الركبة بمؤخر الساق (أو ساقه) شك من الرواة مسلم أو من دونه وأما من حذيفة فبعيد وفى بعض الطرق بلفظ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم أسفل من عضلة ساقى بغير شك (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (هذا) أى العضلة وذكر المبتدأ باعتبار الخبر وهو (موضع الازار فان أبيت) فى الاخذ بالاكمل وأردت التجاوز عن العضلة (فاسفل) بالرفع أى فموضعه أسفل من العضلة قريب من الكعبين (فان أبيت فلا حق للازار فى الكعبين) أى فى وصوله اليهما فوصوله اليهما خلاف السنة وحديث البخارى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أسفل من الكعبين من الازار فى النار يدل على أن الاسبال الى الكعبين جائز وان ما أسفل منه هو الممنوع فيحمل حديث حذيفة على المبالغة والاحتياط سدا للذريعة على وزان كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه فيفهم منه بطريق الاولى ان ما أسفل من الكعبين أشد كراهة والحاصل ان المستحب نصف الساق والجائز بلا كراهة أسفل من ذلك والى الكعبين من المتشابه الذى تركه أولى وما أسفل من الكعبين محرم ان كان خيلاء لان العبد لا يليق به الا التواضع لحديث ابن عمر فى البخارى مرفوعا لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء ولحديث أبى هريرة عنده أيضا بلفظ لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا والبطر بفتحتين التكبر والطغيان ولحديث ابن عمر مرفوعا بينا رجل يجر ازاره خسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة ومكروه ان كان عادة فقط وأما حديث ما أسفل من الكعبين من الازار فى النار فمحمول على حديث التقييد بالخيلاء ويؤيده ما وقع فى بعض طرق حديث ابن عمر المذكور عند البخارى أيضا ان أبا بكر لما سمع ذلك قال يا رسول الله ان أحد شقى ازارى يسترخى الا أن أتعاهد ذلك منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء وجائز ان كان لضرورة كمن يكون باسفل كعبيه جرح يؤذيه الذباب ان لم يستره بازاره اه وقد حكى عياض الاجماع على ان المنع من الاسبال فى حق الرجال دون النساء لما ثبت فى سنن النسائى وجامع الترمذى وصححه ان أم سلمة ام المؤمنين لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعيد فى حق مسبل الازار قالت كيف تصنع النساء بذيولهن فقال يرخين

صلى الله عليه وسلم لا يلحق أحد آثارها ولا يشق كامل غبارها والمحاسن جمع محسن على غير قياس ويمليها من أمليته الكتاب و يجوز أمللته أي يلقيها عليك الانشاد من غير الناظم والانشاء منه وانشاد الشعر قراءته واسماعه وانشاؤه وضعه واختراعه ومما يحملك على استفراغ وسعك في ذلك المتنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك أن تعتقد أن محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك أن تحيط بها وكيف وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت

أنت أو أنا به في الذكر أو ابتدأت بذكره لتحيط بغايته استوعب أخبار الفضل مفعول مقدم أي جميع أخبار الفضائل والكمال منه متعلق بقوله ابتداء الذي هو فاعل استوعب أي كلما ابتدأت بوصف له صلى الله عليه وسلم وتأملت مااشتمل عليه صريحا وايماء جمع ذلك الوصف المبتدأ به جميع أنواع الفضائل وغاية الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من أوصافه صلى الله عليه وسلم آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من أوصاف الانسان كالحلم مثلا الا أن كمل في بقية أوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل على ماوضع له مطابقة وعلى ماعداه منها ايماء واستلزاما كما لا يخفى على من سبر ذلك وتأمله وههنا شرع الناظم رحمه الله في ذكر شيء من خلقه صلى الله عليه وسلم وصفاته الظاهرة الزكية الطاهرة المنيعة الباهرة ليعرفها الجاهل ويستحضرها الغافل ويتوصل الخلي الى تحلية باطنه بتشخصه فانه من أشرف العبادات والى جلب رؤيته من جاري العادات لان من أكثر من ذكر محبوبه واستعمل فكره في أوصاف مرغوبه كان سببا في نظر طلعته ومشاهدة بهجته والى التمييز بين الرؤية الصحيحة والسقيمة من الادلة المستقيمة وليتبرك المؤمن بذلك ويعمر به وقته ويحرك مافيه من الحب الساكن والشوق الكامن ويحصل من انشراح الصدر وتفريح القلب ماينا سب اجلاء تلك المحاسن وبتذكرها أيضا يزيد ويمو ويتضاعف ويتجدد الاقبال على الخير والتحلي بانواع البر ولذا قال فتنزه أي يا كل من يتأتى له ذلك فهو ايقاظ لاعمال الفكر وقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة

شيرا فقالت اذن ينكشف أقدامهن قال فيرخينه ذراعا لايزدن عليه ﴿تنبيهات﴾ الاول في معنى الازار القميص والسراويل وسائر الملبوسات وخص الازار بالذكر لانه غالب ملابسهم ويدخل في النهي عن جر الثوب تطويل أكمام القميص والعذبة ونحوهما قال العراقي حدث للناس اصطلاح وصار لكل صنف من الخلائق شعار يعرفون به فمهما كان ذلك بطريق الخيلاء فلا شك في تحريمه وما كان على سبيل العادة فلا يجرى النهي فيه مالم يصل الى حد الاسراف المذموم ﴿الثاني﴾ لما كان صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه الاطيب كان علامة ذلك أن لا يتسخ له ثوب ومن خواصه أن ثوبه لم يقمل ونقل الفخر الرازي ان الذباب لم يقع على ثوبه قط وان البعوض لم يمتص دمه وقال الامام قاضي القضاة سيدي محمد بن ابراهيم التتائي المالكي المصري رحمه الله تعالى من معجزاته صلى الله عليه وسلم أن من كتب هذه الامور العشرة ووضعها في بيت لم يحترق ومن كتبها وطرحها على النار خمدت الاولى ماوقع ظله صلى الله عليه وسلم على الارض قط الثانية ماظهر بوله على الارض قط الثالثة لم يقع عليه الذباب قط الرابعة لم يحتلم قط الخامسة لم يتثاءب قط السادسة لم تهرب دابة ركبها قط السابعة ولد مختونا الثامنة تنام عيناه ولا ينام قلبه التاسعة ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه العاشرة كان اذا جلس بين قوم كانت كتفاه أعلى منهم والله أعلم انتهى وقد نظم بعضهم هذه العشرة في قوله

خص نبينا بعشرة خصال * لم يحتلم قط ولا له ظلال

والارض مايخرج منه تبتلع * كذلك الذباب عنه ممتنع

تنام عيناه وقلب لاينام * من خلفه يرى كما يرى أمام

لم يتثاءب قط وهي السابعة * ولد مختونا اليها تابعة

تعرفه الدواب حين يركب * تأتي اليه سرعة لاتهرب

يعلو جلوسه جلوس الجلسا * صلى عليه الله صبحا ومسا

وماذكر من انه ولد مختونا هو أحد ثلاثة أقوال ذكرها المناوي الثاني ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مأدبة حكاه ابن عبد البر وغيره عن ابن عباس الثالث ختنه جبريل عند حليمة لما شق صدره رواه الطبراني في الاوسط قال الذهبي وهو منكر ﴿التنبيه الثالث﴾ اختلفوا هل لبس النبي صلى الله عليه وسلم السراويل فجزم بعضهم بعدمه واستأنس له بأن عثمان لم يلبسه الا يوم قتل لكن صح انه صلى الله عليه وسلم اشتراه قال ابن القيم والظاهر انه اشتراه ليلبسه اه ونقل السيوطي في فتاويه عن أبي هريرة قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زن وأرجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشيء أحق بحمله الا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه عليه أخوه المسلم انتهى قال ابن القيم وروي انه لبسه وكانوا يلبسونه في زمانه وباذنه اه قال بعضهم ومما يرجح أنه صلى الله عليه وسلم لبسه

على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وطربا وذلك يحدث عنها بسببين أحدهما انها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر بها العقل الثانى انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره فى الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر وفى هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ماهو أعجب من سكر الشراب وأقوى فى اللذة من عناق الشواب

وقد ذكر الامام أحمد رضى الله عنه وغيره ان الله تعالى يقول لداود فى الجنة مجدنى بذلك الصوت الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا فيقول كيف وقد أذهبته فيقول أنا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا اسمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لاسيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغنى عن الجنة ونعيمها بمالا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة قاله ابن حجر واعلم انه لما حاز باطن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الكمال كله فقد حاز ظاهره الجمال كله فكمل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرن له بين جميع الفضائل الدينية والدنيوية نسقا فمن جماله ظهر كل جمال فهو اذن أجمل من كل اجمل ولذا يخضع له كل جميل فى الوجود ومن كماله نكون كل كمال فهو اذن أكمل من كل أكمل ولذا عرف بالتلذذ بالخضوع له كل أكمل وما أبدع قول مولاتنا عائشة رضى الله عنها

واجمل منك لم ترقط عينى * واكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

وكذا قول ابن الفارض على لسان الحضرة النبوية

وروحى للارواح روح وكل ما * ترى حسنا فى الكون من فيض طينتى

وعلى الجملة فقد أعطى سيدنا يوسف عليه السلام شطر الحسن والحسن كله لنبينا صلى الله عليه وسلم الا أنه صلى الله عليه وسلم كان ماسكا للارواح فلم يقع به افتتان ولذا قال الناظم

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد ذكر العلماء ان من تمام الايمان به الايمان

لبسه أمره به فقد أخرج العقيلى وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الادب عن على مرفوعا انه عليه السلام قال اتخذوا السراويلات فانها من أستر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم اذا خرجن نقله فى الجامع ﴿فائدة﴾ من ابن حجر ملابس الاوبار والاصواف تدفئ وتسخن وملابس الكتان والحرير والقطن تدفئ ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير ألين من القطن وأقل حرارة منه وأسخن من الكتان وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة وليس فى ثياب الحرير شىء من اليبس والخشونة فهى نافعة للحكة وقد رخص صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير لحكة كانت بهما وفى رواية أرخص لهما فيه لما شكيا اليه القمل ويحتمل أن الحكة نشأت عن القمل والله أعلم

﴿باب ماجاء فى ماشية رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

أى هيئة مشيته المعتادة له (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء ابن عقبة الحضرمى صدوق وجزم النووى بضعفه فى التهذيب وفى التقريب خلط بعد احتراق كتبه (عن أبى يونس عن أبى هريرة قال ما رأيت) أى أبصرت وعلمت وهو أبلغ (شيأ أحسن) صفة على الاول أو مفعول ثان على الوجه الثانى (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) سبق ان معنى هذه العبارة عرفا أنه أحسن من كل شىء وانه واحد فى حسنه صلى الله عليه وسلم (كأن الشمس تجرى فى وجهه) استئناف بيانى شبه الشمس بالانوار التى تلوح على وجهه وعكس التشبيه مبالغة والاصل كأن الانوار التى تلوح على وجه الشمس فقوله تجرى صفة المحذوف وقد أخرج الطبرانى والدارمى من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء لو رأيته لرأيت الشمس طالعة والقصد من هذا اقامة البرهان على أحسنيته وانما خص الوجه بذلك لانه الذى تظهر به المحاسن لان حسن البدن تابع لحسنه غالبا (وما رأيت أحدا أسرع فى مشيته) بكسر الميم للهيئة وفى بعض النسخ مشيه بفتح الميم بلا تاء (من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى) أى تجمع وتجعل مطوية (له) تحت قدميه (انا) استئناف للبيان (لنجهد) قال الجزرى بضم النون وكسر الهاء ويجوز فتحهما (أنفسنا) أى نحملها فوق طاقتها فى حال سيره صلى الله عليه وسلم طمعا فى مماشاته فلا نقدر على ذلك يقال أجهد دابته وجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها (وانه لغير مكترث) الجملة حال من فاعل نجهد أى غير متكلف سرعة مشيه لان سرعته كانت من كمال القوة لا من تكلف المشقة والجهد والعجلة المذهبة بالبهاء والوقار وقد تقدم يخطو تكفؤا ويمشى هونا وقد تقدم الكلام على صفة مشيته صلى الله عليه وسلم فى آخر الحديث الثانى من الباب الاول فانظره هنالك وما هنا لا يستلزم تقدمه صلى الله عليه وسلم على أصحابه فى المشى حتى يعارض ما تقدم فى حديث ابن أبى هالة من أنه كان يسوق أصحابه بل يدرك هذا المعنى وهو قوة مشيته صلى الله عليه وسلم مع السوق كما يظهر مع السبق وبيانه أن السوق مستلزم لتقدم المسوق على سائقه فاذا كان

بأن الله عزوجل خلق بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم على وجه لم يظهر قبله ولا بعده بدن آدمي حسنا وكمالا وبهاء واعتدالا ولذا قال الناظم فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم وقد أفرد الناس التأليف في أوصافه صلى الله عليه وسلم وشمائله كالترمذي وغيره والناظم رحمه الله ذكر بعضها فمن ذلك قوله (سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفاء) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ما رأيته مستجمعا قط ضاحكا أي مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخاري أيضا

المسوق لا يقاوم سائقه في مشيته أدركه من التعب بحسب ضعفه وقوته لانه لا محيد له حينئذ عن جهد نفسه في المشي واستفراغ جهده فيه والا كان مسبوقا لا مسوقا فيتحقق بسبب هذا اعتدال السابق قوة السائق وهذا مما يجده المرء من نفسه ويعتمد في ادراكه على حسه قاله بعض شيوخنا رحمه الله قال في جمع الوسائل ولعل المناسبة بين الجملتين ان حسن وجهه كان مستمرا لم يتغير في حال دون حال بخلاف غيره اهـ * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر وغير واحد قالوا نا عيسى بن يونس عن عمر بن عبد الله مولى غفرة) بضم معجمة فسكون فاء (ني ابراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب قال كان علي اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان) أي الرسول (اذا مشى تقلع) من قلع الشجرة اذا نزعها من أصلها أي مشى بقوة أي رفع رجله عن الارض بهمة وقوة لا مع اختيال وتقارب خطا لان تلك مشية النساء ومن تشبه بهن (كأنما ينحط في صبب) أي ينزل فيما انحدر من الارض كناية عن سرعة مشيه فان الماء أسرع ما يكون جاريا اذا كان منحدرا وفي نسخة من صبب فهي بمعنى في أو تعليلية أي من اجله والحديث سبق في صدر الكتاب وهذا مختصر منه أو حديث برأسه وكذا الحديث الذي بعده وهو قوله (حدثنا سفيان ابن وكيع نا أبي عن المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز) بضم الهاء والميم غير منصرف (عن نافع بن جبير) بالتصغير (ابن مطعم عن علي رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا) أي مال الى سنن المشي (كأنما ينحط من صبب) تقدم معناه

﴿باب ماجاء في تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

التقنع قال في القاموس تقنعت المرأة لبست القناع وفلان تغشى بثوب انتهى فهو تغطية الرأس بطرف العمامة أو الرداء فوق العمامة أو تحتها وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم أتى بيت أبي بكر في القائلة متقنعا بثوبه والظاهر انه كان متغشيا به فوق العمامة لا تحتها لانه كان مستخفيا من أهل مكة يريد الهجرة الى المدينة والمراد بالقناع هنا ثوب يلقيه الشخص على رأسه بعد ادهانه لئلا يصل أثر الدهن الى القلنسوة والعمامة وأعالي الثوب بدليل الحديث الذي ذكره فقول ابن حجر بين التقنع والمشي مناسبة تامة لاحتياج الماشي اليه كثيرا للتوقي من الحر أو البرد اهـ يوهم أن المراد به هنا ما يستعمل للتوقي من الحر والبرد وقد علمت ان المراد به هنا خلاف ذلك وأيضا فانه لو قدم التقنع على الباب قبله لكانت المناسبة حاصلة أيضا مع مناسبات أخر باعتبار ماقبله وما بعده قاله في جمع الوسائل بمعناه والحاصل كما قال العصام ان الفصل بين هذا الباب وبين باب اللباس غير ظاهر وقد ذكره البخاري في تراجم اللباس وكذا الفصل به بين المشية والجلسة الا أن ينظر الى أن التقنع قد يستعمل عند ارادة المشي في الجملة كما في حديث الهجرة فناسب أن يذكر بعد باب المشي (حدثنا يوسف ابن عيسى نا وكيع نا الربيع بن صبيح) بالتكبير فيهما (عن يزيد بن أبان) بالصرف وبدونه (عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القناع) بكسر القاف أي لبسه واستعماله (كان ثوبه) الذي

فضحك حتى بدت نواجذه أي بالذال المعجمة وهي الاضراس وهي لا تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عائشة انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه ثم الذي دل عليه مجموع الاحاديث ان الغالب من حاله هو التبسم وربما ضحك والمنهي عنه هو كثرته لانه يميت القلب والتبسم مبادئ الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفي فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة قلت من تتبع الاحاديث التي ورد فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وجدها كلها في الاخبار عن أمور الآخرة وعن سعة رحمة الله سبحانه فيها فكان يبالغ في ذلك لاجل كثرة الفرح بما هنالك لشدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر أمته وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان الهوينا

تصغير الهون وهو السكينة والوقار فالتصغير للتعظيم كقوله وكل أناس سوف تحدث بينهم * دويهية تصفر منها الانامل هو وقد مدح الله تعالى من يمشون كذلك فقال عز من قائل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن أبي هريرة ما رأيت أسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث أي لانه كان يبارك له في مشيه فلذلك كانوا لا يلحقونه وعن علي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب وفي رواية له كان اذا مشى تقلع يعني انه كان يستعمل التثبت في مشيه مع رفق وسكينة ووقار ﴿تنبيه﴾ روى ابن سبع انه صلى الله عليه وسلم ألطف خلق الله ولذا لم يؤثر

مشيه في الرمل ولا ينافيه تأثيره في الحجارة فانه لبقاء أثره وتبكيت حاسديه وأيضا لان الصخر ودخلته الرطوبة وثبت الرمل ولم يزل لئلا يصيبه تعب واعياء فذلك استحياء والى هذا يشير شيخ شيوخنا ابن زكري بقوله لين القدمين لان له الصخر ورمل تحابس استحياء ولله در القائل هو الذي اختاره الباري وأرسله * برا رؤفا رحيما بالمساكين ان سار في الرمل لم تنظر له أثرا * وان علا الصخر عاد الصخر كالطين وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى معه أصحابه قدمهم أمامه وقال خلوا ظهري للملائكة أي وليتعاهد أحوالهم أيضا وكان اذا مشى في شمس أو قمر لم ير له ظل فيهما كما يأتي * وأما نومه صلى الله عليه وسلم فهو الاغفاء أي أخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء كان تنام عينه ولا ينام قلبه ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ماهو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين لا القلب فهي نائمة والقلب يقظان مستغرق في شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه فلذلك لم يدرك مرور الوقت الطويل وفي الواقعة من تشريع الاحكام الكثيرة مالا يخفى ثم شرع الناظم في ذكر بعض محاسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقال (ماسوى خلقه النسيم ولا غير محياه الروضة الغناء) أي ليس غير خلقه النسيم أي الريح التي في غاية اللطافة واللين والطيب يعني لا يشبهها خلق أحد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة والخلق قال الراغب هو بالضم والفتح في الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة والحق انه غريزي وتمامه مكتسب لخبر البخاري ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم وفي الصحيح أيضا اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وصح أيضا أنه كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق ولا يهدي لاحسنها

هو ذلك القناع أو أعالي ثوبه لانه وان ألقى على رأسه القناع لابد أن يصل منه شيء الى أعلى ثوبه (ثوب زيات) بائع الزيت أو صانعه فان الغالب أن يكون ثوبه بهما دهن وقد تقدم في باب الترجل الكلام على هذا الحديث

﴿باب ماجاء في جلسة رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

الجلسة بكسر الجيم هيئة الجلوس قال في جمع الوسائل والظاهر ان المراد بالجلسة هنا مقابل القيام ليشمل الباب حديث الاستلقاء أيضا انتهى ويأبى مالابن حجر في وجه المناسبة (حدثنا عبد بن حميد نا عفان بن مسلم نا عبد الله بن حسان عن جدتيه) وفي نسخة بالافراد (عن قيلة بنت مخرمة انها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء) بضم القاف والفاء يمد ويقصر مفعول مطلق وهي جلسة المحتبي يقال قرفص الرجل اذا شد يديه تحت رجليه والمراد هنا أن يقعد على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه على ساقيه كما يحتبي بالثوب وقيل هي ان يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه أي يجعل كلا تحت ابط وهي جلسة الاعراب قلت وهذا التفسير الثاني أنسب هنا لما في هذه الهيئة من تنكيس الرأس والخضوع ومن ثم قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع وفي القاموس القرفصاء مثلثة القاف والفاء مقصورة وبالضم ممدودة وبضم القاف والراء على الاتباع اهـ لكن الرواية هنا ما تقدم (قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع) أي المتواضع صفة رسول أو مفعول ثان لرأيت اذا كان بمعنى علمت واستظهر المناوي انه حال فتكون الالف واللام زائدة والتفعل هنا لزيادة المبالغة لا للتكلف فهو كوصفه تعالى بالمتكبر (في الجلسة) أي في هيئة جلسته المتضمنة اظهار عبوديته كما أشار اليه بقوله أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد لا على هيئة جلوس الجبارين المتكبرين من التربع والاتكاء وشموخ الانف وعدم الالتفات الى المساكين والاحتجاب عن المحتاجين (أرعدت) بالبناء للمجهول أي حصلت لي رعدة (من الفرق) بفتح الفاء والراء أي الخوف الالهي المستفاد من تواضعه في جلوسه أو مما كان يغشاه من هيبة الله وجلاله وفي الحديث من خاف الله خوف منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء وقد تقدم وجه ذلك في الباب الاول في قول علي رضي الله عنه من رآه بديهة هابه فكان مع تخشعه وتواضعه عظيما مهابا وقع في هذه القصة بعد قولها أرعدت من الفرق فقال له جليسه يا رسول الله أرعدت المسكينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر الي وأنا عند ظهره يامسكينة عليك السكينة قالت فأذهب الله ما كان دخل قلبي من الرعب ولعل هذه أول ملاقاة حصلت لها وقد تقدم قوله للرجل الذي أرعد بين يديه هون عليك فاني لست ملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد * قال المصنف (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا نا سفيان عن الزهري عن عباد بن تميم) أي الانصاري المزني ثقة وقيل ان له رؤية (عن عمه) أي عبد الله بن زيد بن عاصم بن محمد صحابي شهير روى صفة الوضوء وغير ذلك ويقال هو الذي قتل مسيلمة الكذاب روى عنه الستة (انه رأى النبي صلى الله

الأ أنت فهو جبلة في نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه أو كماله أمر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى و يصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بأنه ملكة تسهل على صاحبها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال مالا يحصره حد ولا يحيط به عد أثنى الله عليه في كتابه الكريم فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظيم وزاد في المدحة باتيانه بعلى المشعرة بأنه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالي الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظم دون الكرم الغالب وصفه به لان كرمه يراد به السماحة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين كان عنده غاية الشدة والغلظة على الكافرين فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم تسكن له همة في سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه و باينهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الاعمال وفي الموطا بلاغا بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن قال السهروردي في عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها اه وقال بعض العارفين لما كان خلقه أعظم خلق بعثه الله تعالى الى جميع العالمين وعلم من كلام عائشة ان كمالات خلقه لا تتناهى كما ان معاني القرآن لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق لم يكن باكتساب ولا رياضة وانما كان في أصل خلقته بالجود الالهي والامداد الرحماني الذي لم تزل تشرق أنواره في قلبه الى ان وصل لاعظم غاية وأتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه هو الذي تقتبس به الفضائل وبه تجتنب الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره الصبر وعقل نبينا صلى الله

عليه وسلم مستلقيا) أي مضطجعا على قفاه (في المسجد) ولا يلزم منه النوم (واضعا احدى رجليه على الاخرى) أي مع نصب الاخرى أو مدها وهذا الحديث في الصحيحين وهو بظاهره ينافي ما رواه مسلم عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستلقين أحدكم ثم يضع احدى رجليه على الاخرى فاما ان يحمل حديث الباب على وضع احدى الرجلين على الاخرى مع مدهما وحديث النهي على وضع احدى الرجلين على ركبة الاخرى بعد نصبها واما أن يحمل حديث الباب على حالة الامن من انكشاف العورة كالمتسرول وحديث النهي على حالة عدم الامن من ذلك كالمؤتزر قال العسقلاني والتأويل أولى من ادعاء النسخ لانه لا يصار اليه بالاحتمال وكذا القول بان الجواز من خصائصه بعيد لانه لا يثبت بالاحتمال أيضا ولان من الصحابة من كان يفعل ذلك بعده صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه أحد وفيه جواز الاتكاء والاضطجاع والاستراحة في المسجد مطلقا ويمكن تقييده بحالة الاعتكاف لما علم ان جلوسه كان على الوقار والتواضع اه المناوي والظاهر من حال المصطفى صلى الله عليه وسلم انه انما فعله بالمسجد عند خلوه ممن يحتشم منه * وقال ابن حجر وجه مناسبة الحديث للباب ان فيه دليلا على حل الجلوس على سائر كيفياته بالاولى لان هذا الاضطجاع اذا جاز في المسجد فاولى ان يجوز سائر أنواع الجلوس في المسجد وغيره اه وقد تقدم أول الباب عن جمع الوسائل توجيه آخر * قال المصنف (حدثنا سلمة بن شبيب) بفتح المعجمة وكسر الموحدة الاولى أخرج حديثه مسلم والاربعة (نا عبد الله بن ابراهيم المدني) وفي نسخة المديني أخرج حديثه أبو داود أيضا (نا اسحق بن محمد الانصاري) مجهول أخرج حديثه أبو داود أيضا (عن ربيح) مصغر ربح براء فوحدة فمهملة (ابن عبد الرحمن بن أبي سعيد) أخرج حديثه أبو داود وابن ماجه (عن أبيه) أي عبد الرحمن (عن جده أبي سعيد الخدري) بالدال المهملة (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المسجد) وفي نسخة في المجلس (احتبى بيديه) زاد البزار ونصب ركبتيه أي جعلهما مكان الاحتباء بالثوب في الصحاح احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته وقد يحتبي بيديه اه والاحتباء جلسة الاعراب لقيامه مقام الاستناد الى الجدار وجاء النهي عنه في المسجد والامام يخطب لانه يستجلب النوم فربما يفوت سماع الخطبة أو الصلاة في الجماعة وجاء عن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء أي نقية بيضاء ذكره النووي في الرياض وقال صحيح رواه أبو داود وباسانيد صحيحة قال في جمع الوسائل فنقول اختلفت أحواله صلى الله عليه وسلم فتارة تربع وتارة احتبى وتارة استلقى وتارة ثنى رجليه توسعة للامة المرحومة وقال ابن حجر احتباؤه انما كان في غير ما بعد صلاة الصبح اه فجعل هذا الحديث مخصصا لحديث الباب والله أعلم بالصواب

﴿ باب ما جاء في تكأة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

تكأة كهمزة ما يتكأ عليه من وسادة وغيرها مما هيئ وأعد لذلك لخروج الانسان اذا اتكأ عليه فلا

يسمى

عليه وسلم وصل فى الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى أبو نعيم عن وهب انه وجد فى أحد وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم ولا كحبة رمل بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحباءهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء المحدثين وقوله ولا عبر محياه

الروضة الغناء المحيا الوجه والغناء الكثيرة النبات والثمار والازهار أى ليست الروضة الغناء الا وجهه لانه أحسن الخلق وجها صلى الله عليه وسلم

(رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء)

رحمة وهى عطف وميل نفسانى غايتها التفضل والانعام أى عينها مبالغة أو ارادتها وهو خبر مقدم وأخبر بهذه وما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كأنها هو وكأنه هى اى ركب منها وطبع عليها وخلق منها كما قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل ومفعولا من أجله وعلى حذف مضاف أى الا ذا رحمة والعالمون قيل الجن والانس وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل عليه أيضا ليكون للعالمين نذيرا وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية والامان وللكافرين بتأخير العذاب ولسائر الحيوانات لان بوجهه صلى الله عليه وسلم يستسقى الغمام وبدعائه ينزل قطر السماء فينبت النبات ويكون لها سقيا ورعيا وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب أهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه الى الموت أو الى القيامة وامامن صدقه فله الرحمة فى الدنيا والآخرة فعلم ان ذاته رحمة للمؤمنين والكافرين كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وروى الدارمى والبيهقى حديث انما أنا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال آخر الانبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال والانفس

يسمى تكأة ولهذا ترجم المصنف لهما بابين فاندفع الاعتراض بأن الكل باب واحد فلا وجه للفصل بينهما وقدم باب الاتكاء على غير الانسان لانه الاصل وأما الاتكاء على الانسان فعارض قليل وعبر هنا بالتكأة وفيما يأتى بالاتكاء لان التكأة مقصودة للاتكاء بطريق الذات فكان النص عليها بالترجمة أولى والمتكأ عليه هناك ليس كذلك فكان حذفه لاجل ذلك والنص على الاتكاء أولى فاندفع الاعتراض أيضا بان القياس استواء البابين فى التعبير بالتكأة هنا وبالمتوكأ عليه هناك أو فى التعبير بالاتكاء فى البابين قال معناه ابن حجر وسلمه فى جمع الوسائل (حدثنا عباس بن محمد الدورى) بضم المهملة نسبة الى محلة من بغداد أو قرية من قراها (البغدادى) ثقة حافظ أخرج حديثه الاربعة (نا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أبصرته حالة كونه (متكأ على وسادة) أى مخدة ويقال وساد بلا تاء واسادة بالهمز (على يساره) أى كائنة على الجانب الايسر وهذا لبيان الواقع لا للتقييد فيجوز الاتكاء عليها يمينا وشمالا وسيأتى للمصنف ان اسحق انفرد بهذه الزيادة ومن ثم قال فى جامعه حديث حسن غريب لكنه مع ذلك يحتج به ويفهم من قوله على يساره ان المراد بالاتكاء هنا الميل والاعتماد على أحد الشقين لا الاستواء قاعدا كما قيل * قال المصنف (حدثنا حميد بن مسعدة نا بشر بن المفضل نا الجريرى) هو سعيد بن اياس (عن عبد الرحمن بن أبى بكرة) هو أول تابعى ولد بالبصرة روى عنه الشيخان وغيرهما (عن أبيه) أبى بكرة نفيع بن الحرث صحابى مشهور بكنيته نزل من الطائف من بكرة تعلق بها فكناه النبى صلى الله عليه وسلم بابى بكرة وكان مثل النصل من العبادة قال الحسن البصرى لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها أفضل من عمران بن حصين وأبى بكرة وكان يأبى ان ينتسب ويقول أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أولاده أشرافا فى البصرة بالولايات والعلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم) وفى نسخة أخبركم والهمزة للاستفهام ولا للنفى والمعادل محذوف والتقدير أينتفى اخباركم بأكبر الكبائر أم لا ينتفى وانما لم يعلمهم بها من أول وهلة ايذانا بغاية التنفير منها لانها أفحش المعاصى وأشنعها ومرتكبها مشتغل بتخريب إيمانه وافساده (بأكبر الكبائر) أى بكبائر هى أكبر الكبائر أى أعظمها وأشنعها فالموصوف متعدد لان الحديث يدل على ان أكبر الكبائر متعدد فلا يرد ما قاله العصام ان تعدد أكبر الكبائر مشكل لان معناه كبيرة أكبر من جميع ما عداها من الكبائر وحاصل الجواب ان المراد ان هذا العدد من الكبائر كل واحد منه أكبر من جميع ما عداه من الكبائر وادعاء ان الاكبر لا يكون الا واحدا انما هو ان أريد الحقيقى أما ان أريد النسبى فانه يكون متعددا وهو المراد هنا ولا يلزم من هذا ان كل فرد من افراد هذا العدد مساو لغيره لكن يرد أن يقال القتل أكبر من العقوق بل ليس بعد الشرك أكبر منه والزنا أكبر من العقوق فلم لم ينبه على ذلك وأجيب بان ذلك علم من أحاديث أخر والنبى صلى الله عليه وسلم كان يراعى فى مثل ذلك أحوال الحاضرين ولذلك قال مرة أفضل الاعمال الصلاة لاول وقتها وأخرى أفضل الاعمال الجهاد وأخرى أفضل الاعمال بر الوالدين وقد اختلف العلماء فيما تمتاز به

لا نا نقول انما ذلك لمن أدبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن أوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار المنتقم * وفى الشفاء وحكى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شئ فقال نعم كنت أخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم أحد قالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون أى اغفر لهم هذا الشئ الخاص الراجع لذاتى لا مطلقا والا

لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق بأن الله يملأ بطونهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعاء لله تعالى لا لحظ نفسه وحزم كله أى جميع أحواله صلى الله عليه وسلم التى تصدر منه انما تصدر على غاية الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل الكامل وقدمر أنه لا أكمل من عقله بل لا مساوى له من نبى ولا ملك وعزم كله من عزم على الشئ قطع به أى جميع ما يفعل بوحى أو اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ولا تردد وتحير ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها (١) حينئذ واستمر يصلى ركعتين بعد العصر الى وفاته ووقار كله لان الله تعالى ألقى عليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة بن زيد كما رواه أبو داود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس فى مجلسه وعن أبى سعيد الخدرى كان اذا جلس فى المسجد احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان ضحكه تبسما المناط وكان كلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير جاء اليه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون

الكبائر عن الصغائر على أقوال منها انها تمتاز بالعد قال القلشانى قال بعضهم استقريت من جميع الاحاديث انها ثمان عشرة كبيرة أربعة فى القلب الشرك بالله والامن من مكر الله والاياس من رحمته والاصرار على الذنب وثلاثة فى البطن أكل مال اليتيم وأكل الربا وشرب الخمر وخمس فى اللسان الكذب وشهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والغيبة واثنان فى اليد البطش والسرقة واثنان فى الفرج الزنا واللواط وواحدة فى الرجل الفرار من الزحف وواحدة فى جميع البدن وهى العقوق وقال ابن عباس هى الى السبعين أقرب وفى رواية الى سبعمائة أقرب وقيل حدها مبهم لتترك كل معصية خوف الوقوع فى الكبيرة كما أخفيت الوسطى والاسم الاعظم وليلة القدر وساعة الجمعة وانظر بقية الاقوال فى جمع الجوامع وغيره وأما حصر الصغائر فمتعذر قال ابن حجر كقبلة أجنبية ولعن ولو لبهيمة وكذب لا حد فيه ولا ضرر وهجو مسلم وهجره فوق ثلاثة أيام واشراف على بيت غيره وجلوس مع فاسق لا يناسب ونجش واحتكار وبيع معيب علم عيبه ولم يذكره انظر بقيتها فيه وتأمل بعض هذه الامثلة فقد لا يسلم ان جميعها من الصغائر (قالوا بلى يا رسول الله) أى أخبرنا بذلك وفائدة النداء الاشارة الى عظيم الاذعان لرسالته وما ينشأ عنها من بيان الشريعة واستجلاب ما عنده من الكمالات والعلوم (قال الاشراك بالله) أى اعتقاد ان له سبحانه شريكا فى ألوهيته والاظهر ان المراد هنا مطلق الكفر وخص الاشراك بالذكر لغلبته فى الوجود لا سيما فى بلاد العرب والا فبعض الكفر أعظم قبحا من الاشراك وهو التعطيل ويكفى فى قبح الكفر قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكل ذنب ترجى مغفرته الا الكفر وفى الحديث الصحيح يقول الله عز وجل من لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بى شيأ لقيته بمثلها مغفرة وقال تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به وقال تعالى والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى وقال تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وقال تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير الآية فهو كسر لا يجبر فاعرف قدر نعمة الايمان (وعقوق الوالدين) أى كل من الوالدين قال فى جمع الوسائل وهذا أظهر من قول ابن حجر جمعهما لان عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالبا ويجر اليه اهـ والعقوق ان يفعل مع الوالد ما يتأذى به تأذيا ليس بالهين فى العرف بهذا ضبطه بعضهم وارتضاه ابن حجر قال فى جمع الوسائل وحاصله ان العقوق مخالفة توجب الغضب واما ما دونه فمن الصغائر ويؤيده ما ورد رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد رواه الترمذى والحاكم عن ابن عمر والبزار عن ابن عمر ولا شك ان بين الرضا والسخط حالا متوسطا فقوله تعالى ولا تقل لهما أف من باب المبالغة فى الزجر اهـ قال ابن حجر وهل المراد بقولهم ليس بالهين بالنسبة للوالد حتى ان ما يتأذى به كثيرا وهو عرفا بخلاف ذلك كبيرة أو بالنسبة الى العرف فما عده أهله مما لا يتأذى به كثيرا ليس بكبيرة وان تأذى به كثيرا كل محتمل والذى يظهر ان المراد الثانى بدليل انه لو أمر ولده بنحو فراق حليلته لم يلزمه طاعته وان تأذى بذلك كثيرا فعلمنا ان ليس

---

(١) كتب عليه المؤلف كذا فى ابن حجر وتأمله اهـ من خطه اهـ مصحح

عليك فانى لست بملك ولا جبار انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها الناس انى أوحى الى ان تواضعوا حتى لا يبغى احد على احد ولا يفخر أحد على احد وكونوا عباد الله اخوانا ورأته قيلة بنت مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصاء فارتعدت من الفرق رواه ابوداود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما له صلى الله عليه وسلم (١٤٣) ولو قيل لى صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو

المناط وجود التأذى كثيرا بل أن يكون ذلك من شأنه ان يتأذى منه كثيرا اه قلت قد يتأذى الوالد بما لا يتأذى به لسوء طبعه أو لنقصان عقله ومن الناس من لا يرضيه شىء فالظاهر والله أعلم انه اذا فعل معه ما لا يسميه الناس اذاية فان ذلك لا يكون عقوقا وان لم يقنع بذلك منه ثم اعلم ان العقوق من الذنوب التى تعجل عقوبتها فى الدنيا فان العاق قل ما ينجح له عمل دينى أو دنيوى وفى الحديث ملعون من سب والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه قال القرطبى انما استحق ساب أبويه اللعن لمقابلته نعمة الابوين بالكفران وانهائه الى غاية العقوق والعصيان كيف وقد قرن الله برهما بعبادته وان كانا كافرين وبتوحيده وشريعته اه بل قد يؤدى العقوق الى الكفر أخرج الدارقطنى والبيهقى فى شعب الايمان وفى دلائل النبوة عن عبد الله بن أبى أوفى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ههنا غلاما قد احتضر فيقال له قل لا إله الا الله فلا يستطيع ان يقولها قال أليس كان يقولها فى حياته قالوا بلى قال فما منعه منها عند موته فنهض النبى صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه حتى أتى الغلام فقال يا غلام قل لا إله الا الله قال لا أستطيع أن أقولها قال ولم قال لعقوق والدتى قال أهى حية قال نعم قال أرسلوا اليها فجاءته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنك هو قالت نعم قال أرأيت لو ان نارا أججت فقيل لك ان لم تشفعى فيه قذفناه فى هذه النار فقالت اذن كنت أشفع له قال فاشهدى الله وأشهدينا بانك قد رضيت عنه فقالت قد رضيت عن ابنى فقال يا غلام قل لا إله الا الله فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أنقذه بى من النار وذكره السيوطى فى شرح الصدور وكأن هذا والله أعلم وجه ذكر العقوق اثر الاشراك بالله مع ان شهادة الزور أعظم من العقوق (قال) أى أبو بكرة (وجلس وكان متكأ قال وشهادة الزور) أكد صلى الله عليه وسلم التحذير من شهادة الزور بالجلوس بعد الاتكاء مع ان الاشراك أعظم منها لتساهل الناس فيها وتسارعهم اليها مع انه يترتب عليها مفاسد كثيرة من زنا وقتل وتحريم حلال وعكسه قال القرطبى وليس بعد الشرك أعظم منها وقال النووى القتل أعظم منها ويكفى فى قبحها انه سبحانه قرنها فى التنزيل بالشرك فقال اجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور فجمع الشرك وقول الزور فى قران واحد لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال اجتنبوا عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا الزور كله لا تقربوا شيأ منه لتماديه فى القبح والسماجة وما ظنك بشىء من قبيله عبادة الاوثان وجاء من شهد زورا علق من لسانه يوم القيامة قال الابى وهى أن يشهد بما لم يعلم عمدا وان طابقت الواقع كمن شهد ان زيدا قتل عمرا وهو لا يعلم انه قتله وقد كان قتله (أو قول الزور) هو أعم مطلقا من شهادة الزور والشك قال المناوى هو من الراوى لا من الصحابى اذ يبعد نسيانه مع المبالغة وكثرة التكرار اه وقد صرح مسلم بان الشك من الراوى لانه ذكر الحديث عن أبى بكرة ثم ذكره عن أنس بن مالك بالشك ثم قال وقال شعبة وأكثر ظنى انه شهادة الزور اه قال فى جمع الوسائل والاظهر ان أو للتنويع ورواية البخارى لا شك فيها وهى الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا

من اجلاء الصحابة فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر احد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاشار جبريل يستشيره فاشار اليه ان تواضع فاختار العبودية وعصمة كله اى حفظ يستحيل شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها فى سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره وعلانيته جده وهزله رضاه وغضبه وقد اجمع الصحابة رضى الله عنهم على اتباعه والتأسى به فى كل ما يفعله من قليل اوكثير صغير اوكبير سرى اوعلانى علم بهم اولم يعلم مالم تظهر الخصوصية ومن عصمته صلى الله عليه وسلم حفظه من اعدائه الحريصين على

قتله فكان اصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى وتواعد جماعة على قتله فلما هموا سمعوا صوتا هائلا فغشى عليهم ثم تواعد وامرة اخرى فلما رأوه جاءت الصفا والمروة فحالتا بينه وبينهم وحياء كله كما فى البخارى عن ابى سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق مأخوذ من الحياة او من الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفها وهو انواع منها حياء الكرام ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه

أحدا بما يكرهه بل اذا بلغه عن أحد شى قال ما بال أقوام ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب فى غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحى منه لامحالة ومنها حياء المؤمن من نفسه ان رضيت بالنقص أو قنعت بالدون حتى كان له نفسين فيستحى باحدهما من الاخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتى الا بخير والحياء من الايمان وجعل من الايمان مع انه غريزى (١٤٤)

لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزى والغريزى معين على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها (لا تحل البأساء منه عرا الصبر ولا تستخفه السراء) لا تحل البأساء أى الشدة وان أفرطت لا سيما فى الحروب وقد أسعرت نيرانها واصطلمت عقول شجعانها منه متعلق بما بعده من المضاف أو المضاف اليه أو بتحل وعرا جمع عروة وهى أخت الزر والصبر هو حبس النفس على ما تكره أى لا تحل اسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة المشبهة فى اشتمالها على من قامت به حتى منعته من وقوع بادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت على شى وأحكمت فى عرا فاستمسكت عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها وتشبيه الصبر بالثوب السايغ ذى الازرار والعرا المحكمة استعارة بالكناية وذكر لا تحل ترشيح والعرا تخييل وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه يوم أحد فى اشد ما نالوا به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على أصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله عليهم فقال اللهم اغفر لقومى واهد قومى فانهم لا يعلمون أى لا تعاجلهم بالعقوبة من أجلى فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم فى ذلك من أنواع العذاب وأصناف العقاب (وروى) عن عمر رضى الله عنه انه قال بأبى وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر الآية اهديت

ألا سكت وهو من عطف الخاص على العام وقال ابن دقيق العيد يحتمل انه عطف تفسير فانا لو حملنا القول على الاطلاق لزم ان الكذبة الواحدة كبيرة وليس كذلك (قال) أى أبو بكرة (فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها حتى قلنا ليته سكت) أى تمنوا سكوته لانهم كانوا اذا غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد خوفهم خوف ان يغضب الله لغضب رسوله أو تمنوا سكوته فى تلك الحالة اشفاقا عليه وكراهة لما يزعجه ويؤلمه وفى الحديث ما كانوا عليه من كثرة الخوف من الله تعالى والادب مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمحبة له والشفقة عليه وان افادة العلم مع الاتكاء لا تنافى الادب والكمال فى بعض الاحيان ومع بعض الاشخاص وان الواعظ ينبغى له أن يبالغ فى التحذير مما يقع الاستخفاف به من حقوق الخالق أو المخلوقين حتى يرحمه السامعون وليس فى هذا الحديث ولا فى الحديث بعده مناسبة للباب وان كان الاتكاء يستلزم التكأة

*قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا شريك عن على بن الاقمر عن أبى جحيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئاً) لان وقت الاكل وقت تواضع وشكر لله تعالى والاكل متكئا صفة المتكبرين وهذا ظاهر ان فسر الاتكاء بالميل على شق حالة الاكل ومنه الاعتماد على اليد اليسرى عند الاكل فانه نوع من الاتكاء كما قال مالك وكذا ان فسر بالاستناد الى وسادة ونحوها لما فى ذلك من التهاون بنعمة الله ومن ذلك الاكل مضطجعا وأما ان فسر بالجلوس على وجه يتهيأ معه الاكثار من الاكل كالتربع وبه فسره القاضى عياض فلان ذلك من فعل المستكثرين من الاطعمة المتنعمين المشغوفين بكثرة الاكل الذين لهم نهمة وشره وعلى كل فهو حرام فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وكان تارة يجلس على صدور قدميه وتارة ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى وقال ابن القيم يذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متكئا على ركبتيه ويضع ظهر قدمه اليمنى على بطن اليسرى تواضعا لله عز وجل وأدبا بين يديه قال وهذه الهيئة أنفع هيآت الاكل وأفضلها لان الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعى الذى خلقه الله تعالى عليه اه بنقل ابن حجر ونقله فى جمع الوسائل أيضاً بعد هذا المحل وأما فى حق غيره فالاتكاء مكروه على الاصح وحينئذ فليس النهى مقصورا عليه ووجه تخصيصه نفسه الشريفة بذلك ان المناسب لكماله عدم الاتكاء فى الاكل اذ مقامه الشريف يأباه من كل وجه فامتاز عليهم بذلك قاله ابن حجر قال فى جمع الوسائل والاظهر ان مراده التعريض بغيره من الجاهلية والعجم الذين يفعلون ذلك اظهارا للعظمة والكبرياء والافتخار والخيلاء والمراد أما أنا ومن تبعنى فلا أفعل ذلك فاكتفى بذكر المتبوع عن التابع وفيه اشارة الى نهى المؤمنين عن ذلك وتنفيرهم عن فعله بوجه لطيف وهو انه لا يفعل ذلك بوجه لان أما تفيد المبالغة والتأكيد والله أعلم

* قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان) هو الثورى كما صرح به العسقلانى عن على بن الاقمر قال سمعت أبا جحيفة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا) يظهر الفرق بين الحديثين باختلاف رجال السند وتغيير يسير فى المتن والغرض تأكيد هذا الامر بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى وان اتكاءه انما كان فى غير حالة الاكل وعند ابن ماجه والطبرانى باسناد حسن

ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قلوبهم نارا الا ان الحق لله وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله امتثالا لقول الله سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في أماكن متعددة لأسباب مختلفة لكن مرجعها الى انه لم يغضب لنفسه بل

أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه يأكل فقال له اعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا قال ابن بطال وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا لله ومن ثم قال انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد ثم ذكر من طريق أيوب عن الزهري قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم يأته قبلها فقال ان ربك يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا فنظر الى جبريل كالمستشير له فاومأ اليه ان تواضع فقال بل عبدا نبيا قال فما أكل متكئا وهذا مرسل أو معضل وقد وصله النسائي من طريق آخر عن ابن عباس نحوه * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا حدثنا وكيع نا اسرائيل عن سماك) ابن حرب (عن جابر بن سمرة) صحابيان (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا على وسادة) أي مخدة (قال أبو عيسى) هو المصنف (لم يذكر وكيع فيه) أي في هذا الحديث (على يساره) أي هذا اللفظ (وهكذا روى غير واحد عن اسرائيل نحو رواية وكيع ولا نعلم أحدا ذكر فيه على يساره الا ما روى اسحق بن منصور عن اسرائيل) حاصله ان اسحاق تفرد بزيادة على يساره من بين سائر الرواة عن اسرائيل وكان الاولى ايراد هذا الطريق عقب طريق اسحاق بن منصور أول الباب بل لا وجه لايراده آخر الباب قاله المناوي

﴿ باب ما جاء في اتكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

المقصود من هذه الترجمة كما تقدم بيان اتكائه على أحد من أصحابه حال المشي لعارض مرض ونحوه كما يفهم من الحديثين الموردين هنا فالمراد من البابين مختلف فلذلك لم يجعلهما بابا واحدا كما تقدم (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا عمرو بن عاصم انا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شاكيا) أي مريضا والشكوى المرض يقال شكا يشكو واشتكى شكاة وشكاوة وشكوى (فخرج) أي من الحجرة الشريفة (يتوكأ) من التوكؤ بمعنى الاتكاء أي يعتمد (على أسامة) أي بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعليه) أي النبي صلى الله عليه وسلم (ثوب قطري) نوع من البرد غليظ وفيه اعلام (قد توشح به) أي أدخله تحت يده اليمنى وألقاه على منكبه الايسر كما يفعله المحرم وقيل التوشح هو ان يخالف بين طرفي الثوب على عاتقه وهو الاشتمال على المنكبين بان يأخذ طرف الثوب الايسر من تحت اليد اليسرى فيلقيه على المنكب الايمن ويأخذ الطرف الايمن من تحت اليد اليمنى فيلقيه على المنكب الايسر قاله في المشارق (فصلى بهم) أي اماما باصحابه قيل وكان هذا في مرض موته وتقدم هذا الحديث في باب اللباس * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا محمد بن المبارك نا عطاء بن مسلم الخفاف الحلبي نا جعفر بن برقان) بموحدة مضمومة فراء ساكنة فقاف (عن عطاء بن أبي رباح عن الفضل بن عباس قال) أي الفضل (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه على رأسه عصابة) هي ما يشد به الرأس لوجع أو نحوه أو العمامة (صفراء) لعل صفرتها كانت عارضة في أيام المرض لا أصلية ولا مانع من كون لونها الاصلي

لربه عز وجل ففي المواهب روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد ابن سعينة بالمهملة وبالنون المفتوحتين كما قيده به عبد الغني وذكره الدار قطني وبالمثناة التحتية ثبت في الشفاء وصحح عليه مؤلفه بخطه وهو الذي ذكره ابن اسحق وهو كما قال النووي أجل أحبار اليهود الذين أسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتطلف له لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى أجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر أي عدو الله

 أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرني بحسن الاداء وتامره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل قال فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك اني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا (وروى) أبو داود ان اعرابيا جاء اليه صلى الله عليه وسلم فجذبه

بردائه وكان خشنا حتى أثر فى عنقه الشريف وقال احملنى على بعيرى هـذين فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله وكررها ثلاثا ثم أمر له بحمل بعير تمر او بعير شعيرا (وروى) البخارى ان أعرابيا جاذبه حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر له بعطاء وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يصفح أى لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخارى ان رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال بئس أخو العشيرة و بئس ابن العشيرة فلما جلس اليه ألان له القول وانبسط اليه فلما مضى سألته عائشة عما قال وعما فعل فقال متى عهدتنى فحاشا والعشيرة القبيلة وقال فيه أولا ما قال لانه اطلع على باطن حاله وعاقبة ما آل له قيل وهو عيينة بن حصن الفزارى وقد كان منه أمور فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و بعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد فى زمن الصديق وحارب ثم أسلم فى زمن عمر فقوله فيه من علامات النبوة وانبساطه اليه تألف له لانه رئيس قومه وفيه تعليم الامة وجواز المداراة اتقاء الشر وقد قال العلماء المداراة سنة والمداهنة معصية قال ابن القيم الجوزية والفرق بينهما ان المدارى يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده اليه أو عن الباطل والمداهن يتلطف به ليقره على باطله و يتركه على هواه قال فالمداراة لاهل الايمان والمداهنة لاهل النفاق وقد مثل لذلك بمثال مطابق وهو رجل به قرحة عرف حالها الطبيب المداوى الرفيق فلينها حتى نضجت ثم بطها برفق ثم وضع عليها المرهم حتى منع فساد موضعها ونبت فيه اللحم ثم ردد على ما نبت منه ما نشف الرطوبة عنه الى أن تم برؤه والمداهن يقول لصاحبه لا بأس عليك هى لا شىء فلم تزل مادتها تقوى وتستحيل حتى عظم فسادها اهـ فان قيل ما مر من أنه صلى الله عليه وسلم لم ينتقم لنفسه ينافيه ما ثبت من أنه أمر بقتل عقبة بن أبى معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم أجيب بأن ذلك ليس انتصارا لنفسه لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون

أصفر وتقدم فى باب العمامة عصابة دسماء (فسلمت) أى فرد على السلام هو أو غيره (فقال يا فضل قلت لبيك يا رسول الله) فيه الجواب بالتلبية لغير الله تعالى ونقل الشيخ فى توضيحه عن ابن أبى جمرة ان اجابة الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم بالتلبية من خصائصه وان الاجابة بها لغيره مكروهة وقد اعترضه الشيخ مصطفى فى حواشيه على تت بان الاصل عدم الخصوصية قال وما ذكره من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله مع أصحابه خلاف ما العياض وما ذكره أبو نعيم عن عائشة وترجمة البخارى لذلك تدل على عدم الخصوصية انظر بقية كلامه رحمه الله وما نقله من نصوص الائمة فى ذلك فانه حسن (قال اشدد بهذه العصابة رأسى) فيه التداوى واظهار الافتقار والمسكنة والتبرى من الحول والقوة (قال ففعلت ثم قعد) بعدما كان مضطجعا (فوضع كفه على منكبى) أى ليستعين بذلك على القيام و يسمى هذا اتكاء اذ قد يراد به مطلق الاعتماد على الشىء (ثم قام ودخل المسجد) وفى نسخة فدخل فى المسجد والشائع تعدية دخل بنفسه (وفى الحديث قصة) أى طويلة كما فى نسخة وهى انه صعد المنبر وأمر بنداء الناس وحمد الله وأثنى عليه والتمس من المسلمين أن يطلبوا منه ما فى ذمته من الحقوق ولا يتركوه للآخرة و بالغ فيه فطلب منه رجال حقوقهم وتفصيله فى مطولات كتب الاثر وقال ذلك لينبه على ان لهذا الحديث فى غير هذا الباب تتمة لئلا ينكرها من يراها بعد ما سمع هذا الحديث المختصر قاله المناوى

﴿ باب ما جاء فى صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

أى فى بيان بعض آداب أكله من أنه كان يأكل بأصابعه لا بآلة وانه كان يلعق أصابعه بعد الفراغ من الاكل وانه كان يأكل على هيئة التواضع لله تعالى لا متكئا والاكل قال ابن حجر ادخال غير المائع من الفم الى المعدة والشرب ادخال المائع اليها (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن سعد) بفتح فسكون وفى نسخة سعيد قال المناوى وهو تصحيف (ابن ابراهيم عن ابن لكعب بن مالك) عبد الله بن كعب من كبار التابعين مات سنة سبع أو ثمان وتسعين أو عبد الرحمن وهو أيضا تابعى وقيل انه ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومات فى خلافة سليمان بن عبد الملك (عن أبيه) أى كعب بن مالك الانصارى السلمى بفتح السين المدنى صحابى مشهور وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا مات فى خلافة على رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يلعق) بفتح العين أى يلحس (أصابعه) أى بعد الفراغ لا فى الاثناء قال ابن حجر فيسن قبل المسح والغسل و بعد الفراغ من الاكل لعقها لرواية مسلم و يلعق يده قبل ان يمسحها تنظيفا ومحافظة على البركة فى الحديث اذا أكل أحدكم طعامه فليلعق أصابعه فانه لا يدرى فى أيهن البركة أى لا يعلم البركة فى أى واحدة منهن فليس فيه حذف مضاف خلافا لمن وهم فيه اهـ قال فى جمع الوسائل قلت الظاهر ان فيه حذف مضاف والتقدير فى أى طعامهن البركة و يؤيده رواية مسلم لانه لا يدرى فى أى طعامه البركة ومن المعلوم أن محل البركة الطعام لا مجرد الاصبع فتأمل اهـ قال النووى معنى قوله فى أى طعامه البركة ان الطعام

حرمات الله تعالى وحصل الاياس من ايمانهم ومن ثم لما طمع فى ايمان المنافقين أمهلهم مع شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر قوله ولا تستخفه السراء أى لا تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره السراء أى الرخاء والسعة فى الجيوش والفتوح التى منحها فى آخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ولما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم فتحها خضع لله تعالى حتى كاد رأسه يصل الى رحل ناقته

 صلى الله عليه وسلم بهذه الكرامات

الطعام الذى يحضر الانسان فيه بركة لا يدرى ان تلك البركة فيما أكل أو فيما بقى على أصابعه أو فيما بقى أسفل القصعة أو فى اللقمة الساقطة من يده فينبغى أن يحافظ على هذا كله لتحصيل البركة اهـ قلت فى قوله انه لا يدرى فى ايه البركة توجيه لنفس اللعق وفى قوله لا يدرى فى أيهن البركة توجيه لتعميم الاصابع التى تلعق بها الطعام باللعق ومعنى رواية لا يدرى فى ايه البركة متضمن لمعنى رواية فى أيهن وزيادة والله أعلم ومعنى ذلك والله أعلم زيادة التغذية وكفاية القليل منه فان أصل البركة الزيادة والاتساع فى الشىء والتقوية على الطاعة وقد أبدى القاضى عياض علة أخرى للعق فقال انما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام وقال ابن دقيق العيد وقد يعلل بان مسحها قبل لعقها فيه زيادة تلويث لما يمسح به مع الاستغناء عنه بالريق قال العسقلانى والعلة المذكورة فى الحديث لا تمنع ماذكره ابن دقيق العيد فقد يكون للحكم علتان فاكثر والتنصيص على واحدة لا ينفى الزيادة (ثلاثا) استظهر ابن حجر تبعا للحنفى ان ثلاثا قيد للعق فيؤخذ من الروايات الآتية ان اللعق فى ثلاث أصابع ومن هذه الرواية ان اللعق ثلاثا لكل من تلك الثلاث والاظهر ماقاله المناوى من أن قوله ثلاثا حال من قوله اصابعه ليوافق الروايات الآتية اذلم يأت التصريح فى رواية بانه كان يلعق أصابعه ثلاث مرات ووقع التصريح بلعق أصابعه الثلاث فى كثير من الطرق فينبغى حمل هذه الرواية عليها من باب حمل المجمل على المبين لا سيما مع اتحاد الراوى وهو كعب بن مالك فسيأتى من حديثه بلفظ كان يأكل باصابعه الثلاثة ويلعقهن فتكون الرواية الثانية مفسرة لروايته الاولى ويؤيد هذا الحمل قوله (قال أبو عيسى) يعنى المصنف (وروى غير محمد بن بشار هذا الحديث قال كان يلعق أصابعه الثلاث) أى الابهام والمسبحة والوسطى قال يوسف بن عمر وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يلعق أصابعه حتى تحمر اهـ ونقله الشيخ زروق والحطاب فى حاشيته على الرسالة وقال العراقى هذه الزيادة لا أصل لها قال العسقلانى وقع فى حديث كعب بن عجرة عند الطبرانى فى الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل باصابعه الثلاث الابهام والتى تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام وكان السر فيه ان الوسطى أكثر تلويثا لانها أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها ولانها لطولها أول ماتقع فى الطعام أولان الذى يلعق الاصابع يكون بطن كفه الى جهة وجهه فاذا ابتدأ بالوسطى انتقل الى السبابة الى جهة يمينه ثم الى الابهام كذلك اهـ وقال الشيخ يوسف بن عمر قال التلمسانى يبدأ من الخنصر ثم الابهام ثم الوسطى ثم البنصر ثم السبابة وقد حفظنا عنه قبل هذا غير هذا الترتيب اهـ فاللعق على ترتيب خاوبس وقال بعضهم على ترتيب خوابس قال ابن حجر بعد ذكر الترتيب الوارد فى الحديث الثانى واعتراض ذلك بان نسبة الثلاث للفم سواء غفلة عن الخبر والمعنى المذكورين اهـ قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة ظاهر كلام المؤلف ان اللعق أولا ثم المسح ثم الغسل وهو أنظف وأطيب للنفس وذكر لى بعض الاصحاب ان الزناتى ذكر أنه السنة اهـ وقد فهم من الحديث ان الاكل يكون بالاصابع لا بآلة وان السنة الاكل بثلاثة أصابع وقد قال الشافعى الاكل باصبع واحد مقت وباثنين تكبر وبثلاثة سنة وما

التى لم توجد فى غيره لانه كرمت نفسه لانه تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية فى حضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على اقتضاء كمال حكمه وماسبق فى ارادته وعلمه ثم أعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه نبى الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد بل لا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر ممدا لها فى علمها المتقدم على علم الاشباح فكان هو الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات فهو وان تأخر وجود جسمه فهو أول المخلوقات متميزا عن العوالم كلها برفعته وتقدمه اذهو خزانة السر الصمدانى وممتد بقوة الامداد الرحمانى وراجع افتتاح المواهب فان فيه من هذا النمط أعجب العجائب ولله در تاج العارفين سيدى

على بن وفا اذ يقول سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * هذا النعيم هو المقيم الى الابد أصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن * جار الحبيب فعيشه العيش الرغد عش فى أمان الله تحت لوائه * لا خوف فى هذا الجناب ولا نكد لا تختشى فقرا فعندك بيت من * كل المنى لك من أياديه مدد رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو فى المحاسن كلها فرد أحد قطب النهى غوث العوالم كلها * أعلى على سر أحمد من حمد روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ما تم الوجود لمن وجد عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد لو أبصر الشيطان طلعة نوره * فى وجه آدم كان أول من سجد أو لو رأى النمروذ نور جماله *

عبد الجليل مع الخليل وما عند لكن جمال الحق جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد (١) عين الوفا معنى الصفا سر الندى * نور الهدى روح النهى جسد الرشد هو للصلاة مع السلام المرتضى * الجامع المخصوص ما دام الأبد فبسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتشريفها وتنزيههما من كل رذيلة ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء كيف وقلبه قد طهر بشق الملائكة له المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار المختلفة واخراج ما في (١٤٨) قلبه مما جبل عليه النوع الانساني ثم طهر وغسل وحشي من الحلم والعلوم بما لا يحيط به الا المنان به عليه وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى من انتفاء السوء لانها السوء الذي جاوز حده لان المقام مقام اطناب

(عظمت نعمة الاله عليه فاستقلت لذكره العظماء) أي اذا تأملت ما آتاه الله تعالى من تلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت أنه قد عظمت نعمة الله عليه عظمة قطعت سائر الخلق عن أن يصل أحد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت لذكره أي عند أي وقت ذكر ما أنعم الله به عليه العظماء جميع ما أنعم الله به عليهم لانه أوتي غاية الكمالات الباهرة التي لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرض معها على ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التي أوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان ما أوتيه أعظم وأجل وأفخم

(جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء)

زاد على ذلك شره اهـ وقد تورع بعض السلف عن الاكل بالملاعق لكون الوارد انما هو الاكل بالاصابع وقد أحضر الرشيد طعاما ودعا بالملاعق فقال أبو يوسف جاء في تفسير جدك ابن عباس في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها وأكل باصابعه وأما ما أخرجه سعيد ابن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل بخمس فمحمول على القليل النادر لبيان الجواز أو على المائع فان عادته في أكثر الاوقات هو الاكل بثلاث أصابع قاله في جمع الوسائل وفي الاكمال من اضطر الى أكثر من ثلاث أصابع لخفة الطعام وعدم تلفيقه بالثلاث فليدعمه بالرابعة اهـ قال ابن حجر ويسن لعق الاناء لخبر أحمد والمصنف وابن ماجه وابن شاهين والدارمي وغيرهم من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة قال المصنف وهو حديث غريب وروى أبو الشيخ من أكل ما يسقط من الخوان أو القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمى والديلمي من أكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجوه ونفي عنه الفقر أورده في الاحياء بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده والثلاثة مناكير اهـ وقد جاء من التقط فتاتا من الارض وأكلها كان كمن أعتق رقبة وجاء في التقاط ما يقع من الطعام انه مهر الحور العين وجاء ان من داوم على ذلك لم يزل في سعة قال في المواهب وهي أحاديث واهية اهـ قال في جمع الوسائل في الجامع الصغير من لعق الصحفة ولعق أصابعه أشبعه الله في الدنيا والآخرة رواه الطبراني بسند ضعيف عن العرباض والعمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال جائز عند أرباب الكمال اهـ * قال المصنف (حدثنا الحسن بن علي الخلال نا عفان نا حماد عن ثابت عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أكل طعاما لعق) بكسر عينه (أصابعه الثلاث) * قال المصنف (حدثنا الحسين بن علي بن يزيد الصدائي) نسبة الى صداء قبيلة (البغدادي حدثنا يعقوب بن اسحق يعني الحضرمي نا شعبة عن سفيان الثوري عن علي بن الاقمر عن أبي جحيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا) تقدم في باب التكأة ما فسروا به الاتكاء وتحقيق ما في ذلك وذكر ابن حجر هنا ان الميل على أحد الجانبين عند الاكل يضر بالآكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي على هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء واخرج ابن أبي شيبة عن النخعي كانوا يكرهون أن يأكلوا متكئين مخافة أن تعظم بطونهم اهـ * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان عن علي بن الاقمر نحوه) ظاهره انه موقوف عليه ويحتمل رفعه وكان المناسب أن يذكر هذا الحديث باسناديه أول الباب أو آخره لئلا يقع فصل بين أحاديث الاكل بالاصابع الثلاث ولعقهن قاله في جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمداني نا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن ابن لكعب بن مالك عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل باصابعه الثلاث ويلعقهن) بفتح الياء مضارع الثلاثي أو بضمها مضارع الرباعي وقد قال ابن حجر في الحديث الاول في رواية يلعق أو يلعق أي يلعقها غيره فينبغي لمن يتبرك به ان يفعل ذلك مع من لا يتقذره من نحو ولده وخادم وزوجة

أي آذوه أذى لا يطاق فضربوه وخنقوه وأغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى أن أدموا رجليه فسال منهما الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا

(١) فابشر بمن سكن الجوانح منك يا * أنا قد ملأت من المنى عيناويد هذا البيت موضعه بين الصمد وعين وكأن المصنف لم يطلع عليه اهـ من طرة الاصل بتصرف اهـ مصحح

لاجله بني هاشم و بني المطلب في شعبهم سنتين وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة فاغضى عنهم حلما وتكرما لاسيما وقد جاءه لما ان اشتد أذاهم له ملك الجبال وقال له يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بأمرك ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيأ فكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم قوله وأخو الحلم هو التأني في الامور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وان عظم أي الذي تطبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دأبه أي شأنه وعادته المستمر عليها الاغضاء وهو في الاصل اطباق العين عن رؤية المكروه واستعير هنا للتغافل عن ان يلتفت الى أنه أذى فضلا عن أن ينتقم ممن آذاه والجامع بينهما الاعراض عن المكروه وفيه تذييل وختم بالمثل السائر ومن ثم لما آذوه يوم أحد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون أي علما ينتفعون به اما لجهلهم أي اعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه واما لعنادهم كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فنزل علمهم منزلة الجهل واذا كان أخو الحلم دأبه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذي تولى تأديبه بنفسه وأفاض عليه من حقائق حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك (وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء) العالمين جمع عالم من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد الذي هو العالم أدل على الشمول والاستغراق

وزوجة يحبونه و يتلذذون بذلك منه فان في ذلك بركة لحديث اذا أكل أحدكم طعامه فليلعق أصابعه فانه لا يدري في أيهن البركة اه وقد تقدم معنى هذا الحديث * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا الفضل ابن دكين) بضم ففتح (نا مصعب) بصيغة المفعول (ابن سليم) مصغر (قال سمعت أنس بن مالك يقول أتى) أي جيء (رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر فرأيته يأكل وهو مقع) اسم فاعل من الاقعاء (من الجوع) أي لاجله والاقعاء يطلق على معنيين أحدهما أن يجلس جلوس البدوي المصطلي وهو جلوسه على أليتيه ناصبا فخذيه واضعا يديه بالارض والثاني أن يفترش رجليه و يضع أليتيه على عقبيه وكل منهما منهي عنه في الصلاة عند المالكية وأما في هذا الحديث فقيل المراد به الوجه الاول قال ابن حجر وهو الاصح ثم وجه ذلك بما بحث فيه المناوي فانظره وقيل المراد الوجه الثاني وهو رجوعه على صدور قدميه و يبعده قوله من الجوع فانه يدل على أن جلوسه كان حينئذ على وجه يحصل به استراحة مما كان به من الضعف فالظاهر تفسيره هنا بالوجه الاول وهو الاحتباء مع استناد الى ما وراءه قال في القاموس أقعى في جلوسه أي تساند الى ما وراءه فمعنى مقع من الجوع جالس على أليتيه ناصب ساقيه مستند الى ما وراءه من الضعف الحاصل له بسبب الجوع وقد أشار ابن حجر الى هذا الوجه ثم قال و بما تقرر تعلم ان الاستناد ليس من مندوبات الاكل بل من ضروراته لانه صلى الله عليه وسلم لم يفعله الا لذلك الضعف الحاصل له

﴿ باب ما جاء في صفة خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

أي بيان أنه كان من شعير في غالب الاوقات وأنه لم يأكل خبزا مرققا الى أن فارق الدنيا (حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد) أبو بكر الكوفي ثقة من كبار الثالثة (يحدث عن الاسود) هو أخو عبد الرحمن الراوي عنه أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن مخضرم ثقة مكثر فقيه من الثانية على ما في التقريب (ابن يزيد) أي ابن قيس النخعي (عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم) يعني عياله الذين كانوا في مؤنته وليس المراد بهم من حرمت عليهم الصدقة قال المناوي و يحتمل أن يكون لفظ آل مقحما و يؤيده ان المصنف أخرج هذا الحديث من طريق شعبة باسناده في آخر الباب بلفظ ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ و يحصل به المطابقة بين الحديثين و بين الترجمة أيضا قلت خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خبز آله فالمطابقة بين الحديثين والترجمة حاصلة على كل حال (من خبز الشعير يومين) أي فاحرى خبز البر لكن في رواية البخاري من حديث عائشة أيضا التقييد بثلاث ليال كما يأتي قريبا الا أن يقال لا مفهوم لقوله ثلاث ليال فلا تنافي (متتابعين) مفهومه انه كان يشبع يومين غير متتابعين ومما ينبغي ان يتنبه له ما ذكره الاليري من أن الشبع في حقه انما هو ما يحمل جسمه و يحفظ حياته وصحته لا الامتلاء من الطعام والشبع المتعارف وقال في جمع الوسائل المذموم من الشبع هو الشبع المثقل الموجب للكسل المانع من تحصيل العلم والعمل اه وقد نص العلماء

لان الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة والافلاك والدواب والجماد واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض أفراد تلك الاجناس فقط وغلب في جمعه العقلاء لشرفهم وعدل عن جمع الكثرة مع تبادره تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله تعالى وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل العالم خاص بالانسان

فان كل واحد من افراده عالم من حيث انه مشتمل على ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع انظر ابن حجر وقوله علما تمييز أي وسع علمه علوم العالمين الانس والملائكة والجن لان الله تعالى أطلعه على العالم فعلم علم الاولين والآخرين ما كان منه وما يكون وحسبك في ذلك القرآن الذي أوتيه وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فالعلوم كلها مندرجة منغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم وقوله وحلما تمييز أيضا أي وسع حلمه حلم العالمين بأسرهم كما سبق وما من حليم الا وقد عرفت له زلة أو هفوة تخدش في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا تزيده شدة الاذى له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا فهو بسبب جمعه لتلك المعالي التي لم تجتمع لغيره بحر أي واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ فقال

أي كالبحر لم تعيه من أعيا فلان في مشيه أي تعب ووقف والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء بكسر أوله بعدها موحدة ثم همزة الحمل والثقل من أي شيء كان أي لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعياء للاكدار والاعباء للشبه والجهالات

(مستقل دنياك أن ينسب الامـ * ـساك منها اليه والاعطاء)

على ان الشبع الى حد التخمة وافساد المعدة حرام ومادون ذلك مما يؤدي الى الثقل مختلف فيه بالكراهة والاباحة وعليهما اختلف في الجشا هل يقول عندها الحمد لله أو استغفر الله وجمع بعضهم بينهما وهو أحسن فيحمد الله اعتبارا بالنعمة ويستغفر الله لسوء أدبه في أكله ومالا يحصل معه الثقل مما لا يخل بقواه هو المطلوب وعليه نبه سبحانه بقوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فالاكل على هذا الوجه من الدين وهو الذي تظهر أنواره على صاحبه وفي الحديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب المؤمن لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس أخرجه المصنف وصححه (حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) اشارة الى استمراره على تلك الحالة الى الوفاة وظاهره نفي الشبع يومين متتابعين قبل الهجرة وبعدها وفي رواية البخاري عنها بلفظ ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض فانظر هل قولها منذ قدم المدينة تقييد وفي هذا الحديث وما في معناه من أحاديث الباب دليل على اعراضه صلى الله عليه وسلم عن نعيم الدنيا وزهده فيها واقتصاره على ما تدعو اليه ضرورة الحياة كما تقدم غير مرة ثم لا ينافي هذا انه صلى الله عليه وسلم كان يدخر لعياله قوت سنة لقول النووي في شرح مسلم انه كان يفعل ذلك أواخر حياته لكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيخرجه فيها فصدق انه ادخر قوت سنة وانهم لم يشبعوا لانه لم يبق عندهم ما ادخر لهم قال في جمع الوسائل وهذا يقتضي ان ضيق حالهم انما كان في آخر السنة والاحاديث تقتضي عموم الاحوال فالاحسن في الجواب ان يقال لم يكن يدخر لهم على وجه الشبع الى أن قال مع انه لا تصريح فيه انهم كانوا لا يشبعون من القلة وانما كان عادتهم عدم الشبع نعم ما كانوا يجدون من لذيذ الاطعمة المؤدية الى الشبع غالبا وقد روى الشيخان عن عائشة توفي النبي صلى الله عليه وسلم وليس عندي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني اهـ وقد تقدمت فوائد اختياره صلى الله عليه وسلم هذه الحالة في الحديث الثالث من باب ما جاء في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أول حديث أبي الهيثم وفي آخر حديث من الباب المذكور فراجعه ففيه كفاية والله الموفق وذكر في الشفاء ان قلة الاكل هو المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان يأمر به ويحض عليه ولم تزل العرب والحكماء تتمدح بقلة الاكل وتذم بكثرته لان قلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة وسبب للصحة وحدة الذهن وكثرة الاكل دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة جالب لمضار الدنيا والآخرة وأمراض البدن وغلبة النوم الجالبة لعدم الذكاء والفطنة وقساوة القلب والكسل وتضييع العمر في غير نفع اهـ وعلى هذا كانت سيرة السلف الصالح رضي الله عنهم قالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع فان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وقيل البطن عضو ان أشبعته جاع سائر الاعضاء وان أجعته شبع سائر الاعضاء وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت أو هممت والحاصل ان الشبع يحرك النفس للمعاصي وفي الحديث عن أبي جحيفة قال أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتجشأ

فقال اكفف أو احبس عليك جشاءك أبا جحيفة فان أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة قال الراوي فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشى لا يتغدى واذا تغدى لا يتعشى اه وفي النصيحة الشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام (١) * قال المصنف (حدثنا عباس بن محمد الدوري) بضم الدال (نا يحيى بن أبي بكير) مصغر وفي نسخة ابن أبي بكرة (نا حريز) كعزيز (ابن عثمان عن سليم) مصغر (ابن عامر قال سمعت أبا امامة) بضم الهمزة وهو الباهلي (يقول ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خبز الشعير) كناية عن عدم شبعهم * قال ابن حجر المعنى لم يكن كثيراً ما يجدونه ويخبزونه من الشعير عندهم حتى يفضل عندهم منه شيء بل كانوا لا يجدون ما يشبعهم في الاكثر اه وقال المناوي أي كان لا يبقى في سفرتهم فاضلاً عن مأكولهم وهذا لا يدل على انهم كانوا لا يشبعون من ذلك الخبز بخلاف الاحتمال الاول * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي) بضم جيم وفتح ميم (نا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً) أي خالي البطن جائعاً يقال طوى بالكسر يطوى طوى اذا جاع فهو طاو وطيان أي جائع وطوى بالفتح يطوي طياً اذا جوع نفسه قصداً يقال فلان يطوي ليالي وأياماً قاله المناوي (هو وأهله) أي عياله ويكنى بالاهل عن الزوجة ومنه قوله تعالى وسار بأهله وتأهل تزوج وأهل البيت سكنه قاله في المغرب (لا يجدون) أي الرسول وأهله (عشاء) بفتح أوله وهو ما يؤكل عند العشاء بالكسر والمعنى لا يجدون ما يأكلونه في الليل أو ما يقاربه من آخر النهار (وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) فيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من المبالغة في ستر حاله عن أصحابه لشرف نفسه وفخامة منصبه ورأفته بهم ورحمته وعلو همته ومزيد حشمته وقد قال لقمان لابنه ان افتقرت يوماً فاجعل فقرك فيما بينك وبين الله عز وجل ولا تحدث الناس بفقرك فتهون عليهم وانما في ذلك أن يحزن صديقك ويفرح عدوك ولبعضهم في ذلك

لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة * في القلب مثل شماتة الاعداء

وهذا خلاف قول القائل

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

* قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي نا عبد الرحمن وهو ابن عبد الله بن دينار نا أبو حازم عن سهل بن سعد انه) أي الامر والشان (قيل له) أي لسهل (أكل) بحذف اداة الاستفهام وفي نسخة أأكل بذكرها (رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي) أي من النخالة (يعني الحوارى) بضم الحاء وتشديد الواو وراء مفتوحة وهو الذي نخل مرة بعد مرة من التحوير وهو التبييض فهو تفسير للنقي أدرجه

(١) بياض بالاصلين اللذين بايدينا اه

أي اذا تأملت ما تقدم من أوصاف كمالاته الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي اندرجت البحار كلها في يمه والحليم الكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت حياطة كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعصمته عن الالتفات لما سوى الله تعالى مستقل أي محتقر دنياك أي الاموال التي هي من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السماء والارض وعدل عن التعبير بالزهد لانه انما يزهد فيما له بال والدنيا لا قدر لها ولا بال عنده صلى الله عليه وسلم ثم أبدل من قوله دنياك بدل اشتمال ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء منها لانها لفنائها وكثرة شغلها عن المعالي حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها احتقاراً لشأنها وتعليماً للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها أشد الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب لكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وفيه الاستلذاذ بخطابه تعالى في الحالين وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال ياجبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم ياجبريل أمر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن أمر اسرافيل ينزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرني ان أعرض عليك ان أردت ان تسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت فان شئت نبياً ملكاً وان شئت نبياً عبداً فاومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبياً عبداً قالها ثلاثاً ثم اعلم ان الناس في طلب الدنيا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وهذا في الحقيقة لا دنيا له لان دنياه لآخرته قال ابن عطاء الله سمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول العارف لا دنيا له دنياه لآخرته وآخرته لربه والاشياء انما تذم وتمدح بما تؤدي اليه

فالدنيا ليست تذم بلسان الاطلاق ولا تمدح كذلك بل المذموم منها ما شغلك عن مولاك ومنعك من الاستعداد لاخراك والممدوح منها ما اعانك على طاعته وأنهضك الى القيام بخدمته ولكونها ذات وجهين وردت أحاديث بذمها والتنفير منها وأخرى بمدحها والثناء عليها فمن الاولى حديث الدنيا جيفة قذرة وحديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما وحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة وصح انه صلى الله عليه وسلم (١٥٢) مر على شاة ميتة فقال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ومن الثانية حديث لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر لكن لما كان حال أكثر الناس طلبها لحظوظ أنفسهم العاجلة واشتغالهم بها عن الله وعن الآجلة كانت أحاديث ذمها والتحذير منها أكثر وأشهر وتعاطى أسبابها على الوجه الشرعى والمنهج المرعى لا يشغل عن الله ولذا قال فى التنوير لا بد من الاسباب وجودا ومن الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث أثبتها الحق بحكمته ولا تستند اليها لعلمك بأحديته وهذا لا ينافى الزهد لان الزهد عبارة عن طرح الدنيا من القلب وعدم تعلقه بها والحب لها وان كانت فى يده وعدم الزهد هو تعلق القلب بها والالتفات اليها وان لم تكن فى اليد قال القرافى فى الفرق الخامس والخمسين والمائتين بين قاعدة الزهد وعدم ذات اليد اعلم أن الزهد ليس عدم المال بل عدم احتفال القلب وصنيع بالدنيا والاموال وان كانت فى ملكه فقد يكون الزاهد من أغنى الناس وهو زاهد لانه غير محتفل بما فى يده وبذله فى طاعة الله تعالى أيسر عليه من بذل الفلس على غيره وقد يكون الشديد الفقر غير زاهد بل فى غاية الحرص لاجل ما اشتمل عليه قلبه من الرغبة فى الدنيا اه وفى لطائف المنن للمسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد قال أما انه ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال ولكن ان تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك وان يكون ثواب المصيبة أرجح عندك من بقائها وقال فى التنوير للزهد فى الدنيا علامتان علامة فى وجدها وعلامة فى فقدها فالعلامة

الراوى فى الخبر (فقال سهل ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى) أى فضلا عن أكله ففيه مبالغة لا تخفى (حتى لقى الله عز وجل) كناية عن موته لان الميت بمجرد خروج روحه تهيأ للقاء ربه ثم لا يلزم من نفى رؤيته عدم وجوده عند غيره وظاهره انه صلى الله عليه وسلم لم يره قبل البعثة وبعدها وفى رواية البخارى عن سهل ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقوله من حين ابتعثه الله يحتمل التقييد لانه صلى الله عليه وسلم توجه فى أيام الفترة مرتين الى الشام تاجرا ووصل الى بصرى والخبز النقى عندهم كثير والظاهر انه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك عندهم ويحتمل عدم التقييد ويؤيده انه أطلق فى رواية المصنف ويأتى نظير هذا فى آخر الباب (فقيل له) أى لسهل (هل كانت لكم) أى معشر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد من كان قاطنا بالمدينة من المهاجرين والانصار (مناخل) جمع منخل بضمتين على غير قياس آلة النخل وهى ما ينخل به الدقيق وفتح الخاء لغة (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى زمانه (قال ما كانت لنا مناخل) قال فى جمع الوسائل فيه مقابلة الجمع بالجمع فلا يرد انه لا يلزم من نفى الجمع نفى المفرد والمراد ما كانت لنا مناخل فى عهده ليطابق الجواب السؤال وليوافق ما فى الواقع اذ بعده صلى الله عليه وسلم كانت لهم ولغيرهم مناخل ممن لم يثبت على حاله ولذا قيل المنخل أول بدعة فى الاسلام (فقيل كيف كنتم تصنعون بالشعير) أى بدقيقه مع كثرة نخالته (قال كنا ننفخه) فى رواية نقول اف (فيطير منه ما طار) مما فيه خفة كالتبن ويبقى ما فيه رزانة كالدقيق (ثم نعجنه) بفتح النون وكسر الجيم وفى هذا بيان تركه صلى الله عليه وسلم التكلف والاهتمام بشأن الطعام فانه لا يعتنى به الا أهل البطالة والغفلة ولهذا كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل أهله طعاما قط ولا يشتهيه ان أطعموه أكل وما طعموه قبل وما سقوه شرب وما عاب طعاما قط قال المناوى قال الغزالى وهذا لا يقتضى ان اتخاذ المناخل لنخل الطعام منهى عنه وان كان أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المنهى عنه هو بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته وليس نخل الطعام كذلك لان القصد منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط اه ﴿تنبيه﴾ قال ابن حجر روى البزار بسند ضعيف قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه وحكى البزار عن بعض أهل العلم وصاحب النهاية عن الاوزاعى انه تصغير الارغفة وهذا أولى من خبر الديلمى صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه فانه واه ومن ثم ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ومن خبر البركة فى صغر القرص فانه كذب كما نقل عن النسائى اه قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام نا أبى) هو هشام الدستوائى (عن يونس) هو ابن أبى الفرات البصرى المشهور بالاسكاف كما صرح به المصنف فيما سيأتى (عن قتادة) هشام من المكثرين عن قتادة وكأنه لم يسمع هذا الحديث منه وسمعه من يونس عنه (عن أنس بن مالك قال ما أكل نبى الله صلى الله عليه وسلم على خوان) المائدة ذات الارجل جمعه أخونة والاشهر كسر المعجمة ويجوز ضمها وفيه لغة ثالثة وهى اخوان بكسر الهمزة وسكون المعجمة قال فى جمع الوسائل ولعلها سميت بذلك لاجتماع الاخوان عندها قال ابن حجر والاكل على المائدة ذات الارجل لم يزل من دأب بعض المترفين

التي في وجدها الا يثار منها والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها فالا يثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان وذلك لان الحق سبحانه كما ينعم بوجودها ينعم بصرفها بل نعمته في صرفها أتم وقال الشيخ أبو يزيد البسطامي مر علينا شاب حاجا فقال لي ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا قلت له فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وفي شرح الوغليسية للشيخ سيدي أحمد زروق

سئل الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك واجعلها في يدك فانها لا تضرك وقال شيخنا أبو العباس بن عقبة الحضرمي ليس الرجل الذي يعرف وجوه تفريق الدنيا فيفرقها انما الرجل الذي يعرف كيفية امساكها فيمسكها قلت وذلك لانها كالحية وليس الشأن في قتل الحية وانما الشأن في امساكها وقال الشيخ ابو العباس المرسي في اشارة قوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى الآية يقال للولي وما تلك بيمينك أيها الولي فيقول هي دنياي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي وغنمه اعضاؤه ولي فيها مآرب أخرى فيقال له ألقها فناء عنها فالقاها فيكشف له عن حقيقتها فاذا هي حية تسعى فيقال له خذها ولا تخف فيأخذها باذن كما تركها باذن فاطاع الله في أخذها كما أطاعه في تركها وقال الشيخ أبو مدين الدنيا جرادة اذا قطع رأسها حلت ورأسها حبها اه

وصنيع الجبابرين لئلا يفتقر الى خفض الرأس عند الاكل فالاكل عليه بدعة لكنها جائزة ان خلا عن قصد التكبر (ولا في سكرجة) بضم السين والكاف والراء المشددة وصوب بعضهم فتح الراء اناء صغير كانت العجم تستعمله في الكوامخ وما أشبهها من الجوارشات على الموائد حول الاطعمة للاشتهاء والهضم وذلك من دأب المترفين وعادة أهل الحرص على الاكل (ولا خبز له مرقق) بالرفع على انه نائب الفاعل وفي نسخة بالنصب على انه حال من المفعول أو بتقدير أعني والجار هو النائب والمرقق هو الملين وهو المغربل حتى صار خالصا حواري أو المرقق هو الموسع كالثريد في عرفنا ولا شك ان المرقق دأب أرباب التكلف والتنعم الذي هو صلى الله عليه وسلم برئ منه وظاهر السياق أنه لم يأكله قبل البعثة ولا بعدها وانه كان يأكله اذا أخبز لغيره لكن ظاهر الحديث الآتي آخر الباب انه لم يأكله مطلقا ويأتي ما يؤيده (قال) أي يونس (فقلت لقتادة فعلى ما) باثبات الالف في نسخ الشمائل على الاستعمال القليل والاكثر حذفها وهو الذي عند أكثر رواة البخاري أي فعلى أي شئ (كانوا يأكلون) أي النبي وأهله أو الصحابة لانهم كانوا يتأسون باحواله ويقتدون باقواله وأفعاله فالسؤال عن أحوالهم كالسؤال عن حاله صلى الله عليه وسلم (قال) أي قتادة (على هذه السفر) بضم ففتح جمع سفرة قال في النهاية وهي في الاصل طعام يتخذه المسافر والغالب انه يحمله في جلد مستدير فنقل اسمه الى ذلك الجلد وسمي به كما سميت المزادة راوية واشتهرت لما يوضع عليه الطعام جلدا كان أو غيره ماعدا المائدة لما مر انها شعار المتكبرين غالبا (قال محمد بن بشار يونس هذا الذي روى عن قتادة هو يونس الاسكاف) هو في اللغة الخفاف أي الخراز * قال المصنف (حدثنا أحمد ابن منيع نا عباد بن عباد المهلبي) بفتح اللام المشددة (عن مجالد) بكسر اللام (عن الشعبي) بفتح فسكون هو عامر بن شرحبيل الكوفي أحد الاعلام من التابعين ولد في خلافة عمر قال أدركت خمسمائة من الصحابة وقال ما كتبت سوداء في بيضاء قط ولا حدثت بحديث الا حفظته مات سنة أربع ومائة وله اثنان وثمانون كذا في أسماء الرجال لمؤلف المشكاة وقد مر به ابن عمر وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت وهو أعلم بها مني وقال ابن سيرين لابي بكر الهمداني الزم الشعبي فلقد رأيته يستفتي وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالكوفة وقال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام اه نقله في جمع الوسائل في باب الحجامة (عن مسروق) سمي بذلك لانه سرق صغيرا ثم وجد أسلم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك الصدر الاول من الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم شهد حرب الخوارج ومات بالكوفة سنة اثنين ومائة كذا في جامع الاصول (قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فدعت لي بطعام) أي ضيافة (وقالت ما أشبع من طعام) أي طعام كان هذا ظاهره لا خصوص الخبز واللحم كما قاله ابن حجر (فأشاء أن أبكي الا بكيت) قال ابن حجر أي تحزنا وتأسفا لتلك الشدة التي قاساها صلى الله عليه وسلم أو تحسرا على فوات ذلك المقام الاكمل الذي كانت أعينت عليه ورضيت به ببركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم اه وقال بعضهم في بكائها غاية الاعتراف بالنعم

وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة رضوان الله عليهم وكذا من بعدهم من صلحاء الامة الذين بسط لهم في الدنيا فكثرت أموالهم واتسعت فيها أحوالهم وبذلك وصفهم الله سبحانه وهو المطلع على أسرارهم العالم بهم في سائر أطوارهم فقال عز من قائل في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الآية فاخبر عنهم بأنهم لا يلهيهم ماذكر عن طاعته فأثبته لهم ونفى عنهم الشغل به عنه اشارة الى أنه قد طهر أسرارهم وكمل انوارهم فلم تأخذ الدنيا من قلوبهم ولم تخدش في وجه معرفتهم وزهدهم ولذا قال تعالى في حقهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكذا حال العارفين والاولياء

والتحـدث بسببها المفعم والاعتراف بالنعم شـكر عظيم والتحـدث بها ثناء على المنعم بها جسيم (قال) أى مسروق (قلت لم قالت أذ كرالحال التى فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا والله ماشبع من خبز ولحم مرتين فى يوم واحد) هذا يقتضى انه لم يشبع من مجموعهما مرتين فى يوم واحد وهذا لا ينفى شبعه من مجموعهما مرة ولا شبعه من أحدهما مرتين فى يوم لـكن فى نسـخه من خبز ولا لحم بلا النافية وليس فى هذا بيان صفة خبزه صلى الله عليه وسلم فانظر ماوجه ادخاله فى ترجمته *قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبوداود نا شعبة عن أبى اسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الاسود بن يزيد عن عائشـة قالت ماشبع رسـول الله صلى الله عليه وسـلم من خبز شعير) أى فضلا عن خبز بر (يومين متتابعين حتى قبض) وفاء بقوله أجوع يوما فأصبر وأشبع يوما فأشكر* فال المصنف (حـدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا عبد الله بن عمرو) بالواو (أبومعمر) كنية عـبد الله بن عمرو (قال) أى عبد الله (نا عبد الوارث عن سعيد ابن ابى عروبة) بفتح فضم (عن قتادة عن أنس قال ما أكل رسول الله صلى الله عليـه وسلم على خوان ولا أكل خبزا مرققا حتى مات) فائدة تكرار الحديث مع الاختلاف فى السند كا أو بعضه التقوية كما تقرر غير مرة وظاهر النهى انه لم يأ كله قبل البعثة لـكن فى رواية للمصنف من حين بعثه الله فاحتمل أنها للتقييد لانه قبل البعثة دخل الشام وفيها المرقق وغيره من مأكولات المترفهين فيحتمل انه أكله ويحتمل انه لبيان الواقع لا للتقييـد ويؤيده مافى البخارى عن أنس ما أعلم ان النبى صلى الله عليه وسـلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا رأى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله والسميط ما أزيل شعره بماء سخن وشوى بجلده وانما يفعل ذلك بصـغير السن كالسخلة وفيـه عن أنس أيضا ما أكل النبى صلى الله عليـه وسـلم خبزا مرققا ولا شاة مسموطة حتى لقى الله

﴿ باب ما جاء في صفة ادام رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

لما بين صفة خبزه صلى الله عليه وسلم تعرض هنا لبيان صفة ادامه وهو ما يؤتدم به أى يؤكل به الخبز من خل وتمر ولحم وزيت ودباء وحلواء وعسل وغـير ذلك من المائعات وغيرها قال المناوى الادام بكسر الهمزة كالادم بضم الهمـزة وسكون الدال المهملة ويقال بضمها أيضا ما يؤتدم ويؤكل مـع الخبز وجمعها أدم بضم الهمزة والدال ككتاب وكتب واختار العسقلانى فى مقدمة شرح البخارى ان الادم بضم الهمزة وسكون الدال جمع ادام وبما ذكره المصنف فى هذا الباب وغيره من أنواع المأكولات نعلم انه صلى الله عليه وسـلم لم يكن من عادته حبس نفسه على نوع واحـد من الاغـذية فان ذلك يضر غالبا بالطبيـعة وان كان أفضل الاطعمة بل كان يأكل ما تيسر من لحم وفاكهة وغيرها مما سيأتى (حـدثنا محمد بن سهل بن عسكر وعبد الله ابن عبد الرحمن قالا أنا يحيى بن حسان نا سليمان بن هلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل) ورواه أحمد ومسلم والثلاثة أيضا وهو حـديث مشهور كاد ان يكون متواتر

الـكاملين وانظر قول بعضهم لمن قال له الى متى الجلوس فى الحانوت وتعاطى الـكسب الجسد فى الحانوت والقلب فى الملـكوت وانما يخشى من اتساع الدنيا وبسطها على أهل البداية لعدم تمكنهم ورسوخهم فيخشى عليهم ان تأخذ من قلوبهم وتقطعهم عن الوصول الى مطلوبهم ولذا ابتلى الحق سبحانه الصحابة بالفاقة فى أول أمرهم حتى اذا تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم بذلها لهم وأفاضها عليهم فتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين فيما يليه وامتثلوا قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وأخرج ابن عساكر عن أنس انه صلى الله عليه وسـلم قال ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهـما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ولا تـكونوا كلا على الناس على ان من الناس من لا تتم وجهته الى ربه ولا يجمع قلبه على حبه الا بسعة الحال وكثرة المال والفقر يشوش باله ويوجب اختلاله ففى بعض الاحاديث القدسية ان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفـقر وان بسطت له أفسده ذلك وان من عبادى المؤمنـين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسـده ذلك وان من عبادى المؤمنين مـن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان مـن عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا السـقم ولو أصححتـه لافسده ذلك انى أدبر أمور عبادى لعلمى بقلوبهم انى عليم خبير ذكره ابن الجوزى فى صفوة الصفوة وقد كان سـعد بن عبادة سـيد الخزرج رضى الله عنـه يدعو اللهم هب لى حمدا وهب لى مجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال اللهم انى لا يصلحنى القليـل ولا أصلح عليه ذكره فى الصفوة أيضا وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة والافضال وسمت همته لدرك المعالى ابتغاء بذلك مرضاة الـكبير المتعال كما عبر عنه من قال أردت بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبـلى كما ان ايثار الفـقر مذهب من غلب عليه حب السـلامة وآثرها لـكثرة الخطر على تلك الـكرامة كما قال القائل وقائلة مالى أراك مجانبا * أمورا وفيها للتجارة مربح فقلت لها مالى بربحك حاجة * ونحن أناس بالسلامة نفرح والحاصل كما قال فى الاحياء ان المقصود اصلاح القـلوب لتتجرد لذكر علام الغيوب فرب شخص يشغله

وبعدم المال ورب شخص يشغله عدمه والحذر ربما يشغل عن الله تعالى والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله عز وجل وعمدة الاشتغال بالله القلب اه وقد ذكر في الاحياء ان زهد النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا واعراضه عما عرض عليه من خزائنها وايثاره للتقلل منها والاقتصار على القدر الضروري من متاعها انما كان نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل القوي بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه انه لو أخذها لاخذها أولاده اذا رأوها فهلكوا والسير بسيرة الضعفاء سيرة الانبياء عليهم السلام اذهم في مقام الاقتداء والتشريع للكافة وعلى ذلك يحمل أيضا هروب من هرب منها من المشايخ الكاملين والائمة الراسخين ولكل وجهة هو موليها وكلا وعد الله الحسنى * وفي طبقات ابن السبكي في ترجمة ابن حبان بعد كلام تنبغي مراجعته وسماعي مرات كثيرة من الشيخ الوالد رحمه الله وهو معتقدي انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا قط ولا كانت حالته حالة الفقراء بل كان أغنى الناس بالله وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه في نفسه وعياله ومعاشه وأحفظ أن الشيخ الامام رحمه الله أقام من مجلسه من قال كان النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا قياما صعبا وكاد يسطو به وما نجا منه الا أنه استتابه واستسلمه وكان رحمه الله يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان يجد مالا يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد ذلك والحق معه فان من جاءت اليه مفاتيح خزائن الارض وكان قادرا على تناول ما فيها كل لحظة كيف يوصف بالعدم ونحن لو وجدنا من معه مال جزيل في صندوق من جوانب بيته لوسمناه بسمة الغنى المفرط مع العلم بانه قد يسرق أو تغتاله غوائل الزمان فيصبح فقيرا فكيف لا يسمى غنيا من

متواترا (قال عبد الله بن عبد الرحمن في حديثه) أي في روايته (نعم الادم) بضم فسكون وبضمتين (أو الادام الخل) يعني وقع الشك في حديثه دون حديث محمد بن سهل وقد اختلف الائمة في المراد من الحديث فقال الخطابي معناه مدح الاقتصاد في المأكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة والتقدير ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده ولا تتأنقوا في الشهوات فانها مفسدة للدين والبدن ونقله عياض في الاكمال وقال النووي والصواب الذي ينبغي الجزم به انه مدح للخل نفسه وأما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد أخراه وجمع ابن حجر بين التفسيرين فقال ما معناه الاولى ان يقال استفيد من مدحه انه ادام فاضل جيد ومن الاقتصار عليه مدح الاقتصاد في الاكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة وشهواتها اه * وقال في جمع الوسائل ما قاله النووي غير ظاهر لذوي الالباب فضلا عن أن يكون هو الصواب اذ ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمدح طعاما ولا يذمه فان في الاول شائبة الشهوة وفي الثاني احتقار النعمة اه قال مقيده عفا الله تعالى عنه لا يخفى ان المراد من الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمدح طعاما من حيث شهوة النفس لا مطلقا فلا ينافي ما ورد من مدحه للخل لاسباب أخر ففي رواية جابر بن عبد الله في مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اهله الادم فقالوا ما عندنا الا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الادام الخل فمدحه صلى الله عليه وسلم لما أفهم كلامهم انه ليس من الادم المستحسنة وعن أم سعد رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل اللهم بارك في الخل وفي رواية فانه كان ادام الانبياء من قبلي وفي حديث لم يفقر بيت فيه خل رواهن ابن ماجه وفي الرواية الثانية رد على ابن حجر حيث أتى باداة الحصر فقال ثم الثناء عليه بذلك انما هو بحسب مقتضى الحال الحاضر لا لتفضيله على غيره خلافا لمن ظنه لان سبب الحديث ان أهله قدموا اليه خبزا فقال أما من أدم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادام الخل جبرا وتطييبا لقلب من قدمه لا تفضيلا له على غيره اذ لو حضر نحو لحم أو عسل أو لبن لكان أولى بالمدح منه اه وأيضا فقد قال في جمع الوسائل ولا يخفى ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع ان الحديث ليس فيه الا مدحه لا أنه أفضل من سائر الادم اه قال ابن حجر وفي طلبه صلى الله عليه وسلم الادام اشارة الى أن أكل الخبز مع الادام من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما اه وذكر الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ان في الخل منافع دينية ودنيوية وانه بارد يقطع حرارة السموم ويطفئها وذكر ابن حجر انه سهل الحصول قامع للصفراء نافع لاكثر الابدان قال في جمع الوسائل لا يصلح ذلك أن يكون تعليلا لمدحه صلى الله عليه وسلم فان شيأ من الاشياء لا يخلو عن فائدة وخاصية عند الاطباء وذلك لا يناسب ان يحمل عليه كلام سيد الانبياء اه قال مقيده كان الله سبحانه له مدحه صلى الله عليه وسلم للخل لما فيه من الخواص ولكونه دواء وغذاء ولغير ذلك من الاسباب غير مناف لما علم من أن كل عشبة نابتة إلا وفيها حكمة ثابتة وقد سبق اكتحلوا بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر والاحاديث في هذا المعنى كثيرة فلا بعد في كون حديث نعم الادام الخل منها والله أعلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا أبو الاحوص) سلام بن سليم ثقة متقن صاحب حديث من السابعة مات سنة

خزائن الارض بالنسبة اليه أقرب من الصندوق بالنسبة الى صاحب البيت وهي في يديه بحيث لا تتغير بل هو آمن عليها بخلاف صاحب الصندوق فما كان النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا مسكينا نعم كان أعظم الناس جؤارا الى ربه وخضوعا له وأشدهم في اظهار الافتقار اليه والتمسكن بين يديه اه (شمس فضل تحقق الظن فيه * أنه الشمس رفعة والضياء) أي هو شمس سماء العلوم والكمالات بأسرها بجامع الحسن والاشراق على الوجود والامداد لكل موجود كيف وكل فضل تحلى به كامل فانما هو

بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك تحقق أي ثبت الظن أي انتقل الظن من الرجحان الى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع فيه أي في ذاته وصفاته انه بالنسبة الى بقية الكمل في اشراقه ورفعته عليهم الشمس المشرقة على هذا العالم رفعة لا يصل اليها أحد منهم وانه الضياء المفيض عليهم أضواء الكمالات وخوارق الامتدادات فالجملة من قوله تحقق الظن الخ حالية مؤكدة لما قبلها وبين الشمس والضياء مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ وقد تقدم بيان هذا التشبيه وان المشبه أعلى من المشبه به وأرفع ولذا قال (فاذا ما ضحا محا نوره الظـ * ـل وقد أثبت الظلال الضحاء) الفاء للسببية أي فبسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به كان شأنه صلى الله عليه وسلم انه اذا ما ضحا أي مشى عقب طلوع الشمس والمراد مزاجا ماهو أعم لكنه في هذا الوقت أظهر لقوة ضياء شمس الضحى محا نوره الظل أي ظل ذاته الكريمة أي لا يكون له ظل كما يكون لغيره من كل قائم لان نوره أصل كل نور والظل ظلمة وهي تضمحل مع وجود النور ويحتمل أن يكون معنى ضحا ظهر ونوره ما جاء به ودعا اليه والظل كل ما نهى عنه من الكفر والضلال قوله وقد أثبت الظلال الضحاء الواو للحال والظلال جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس أو ينسخها والضحاء بالضم والقصر الشمس والمدضر ورة ويصح أن يكون بالفتح والمد وهو ما بعد الضحى بقرب الزوال وخص الوقت المذكور لشدة ظهور

تسع وسبعين ومائة قاله المناوي (عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم في طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه) سبق في باب عيشه صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بهذا الحديث معنى واعرابا وسبق توجيه الاضافة في قوله نبيكم ولم يقل نبينا أو نبيي ونبيكم بأن المراد حثهم على الاقتداء به والاعراض عن الدنيا ومستلذاتها ما أمكن قال ابن حجر وأما قتل خالد مالك بن نويرة لما قال له كان صاحبكم يقول كذا فقال صاحبنا وليس بصاحبك ثم قتله فهو ليس لمجرد هذه اللفظة بل لانه بلغه عنه انه ارتد وتأكد ذلك عنده بما أباح له الاقدام على قتله * قال المصنف (حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي نا معاوية بن هشام عن سفيان) أي الثوري (عن محارب بن دثار) بكسر الدال المهملة وتخفيف المثلثة (عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل) تقدم انه حديث مشهور كاد أن يكون متواترا قال المصنف (حدثنا هناد نا وكيع عن سفيان عن أيوب عن أبي قلابة) بكسر القاف اسمه عبد الله بن زيد (عن زهدم) بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الدال المهملة (الجرمي) بالجيم المفتوحة والراء الساكنة أبو مسلم البصري ثقة من الثالثة (قال كنا عند أبي موسى الاشعري فأتي) بصيغة المجهول نائب الفاعل ضمير أبي موسى خلافا لمن قال ان النائب قوله (بلحم دجاج) مثلث الدال كما ذكره المنذري وابن مالك ولم يحك النووي ضم الدال واحده دجاجة مثلثة أيضا سمي به لسرعته في الاقبال والادبار من دج يدج اذا أسرع وقيل ان الدجاج بالكسر اسم للذكران دون الاناث الواحد منها ديك وبالفتح اسم للاناث دون الذكران والواحد دجاجة بالفتح أيضا والمعنى انه أتي بطعام فيه دجاج كما يأتي (فتنحى) أي تباعد (رجل من القوم) ليس هو زهدما كما قيل لان زهدما بين هذا الرجل بصفته ونسبته كما في الرواية الآتية (فقال) أي أبو موسى لذلك الرجل (مالك) أي ما الموجب لتنحيك (قال اني رأيتها) أي أبصرت الدجاجة أي جنسها (تأكل شيأ) أي من القاذورات وفي نسخة نتنا بنونين بينهما فوقية مكسورة ويجوز سكونها أي شيأ ذا نتن (فحلفت أن لا آكلها) أي لاستقذارها ونفرة طبعه منها بدليل قوله في الرواية الآتية فقذرته لا لتوهم حرمتها كما قيل لانه لو اعتقد الحرمة ما احتاج الى اليمين ولانه من التابعين وفي أيام الصحابة فلا يحرم حلالا بغير دليل قطعي مع ان الطعام مطبوخ في بيت أبي موسى قاله في جمع الوسائل (قال ادن) أي اقرب وخالف طبعك واتبع شرعك (فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم دجاج) فاللائق بالمؤمن متابعته لقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال النووي في الاربعين حديث صحيح وفي رواية البخاري ان أبا موسى حدث الرجل بحديث الاشعريين وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف أن لا يحملهم ثم أعطاهم خمس ذود وقال والله ان شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا أتيت الذي هو خير وتحللتها قال المناوي قال ابن القيم ولحم الدجاج حار رطب في الاولى خفيف على المعدة سريع الهضم جيد الخلط يزيد في الدماغ والمني ويصفي الصوت ويحسن اللون ويقوي العقل ويولد دما جيدا وهو مائل الى الرطوبة ولحم الديوك أسخن

الشمس فيه وأشار الناظم بالبيت الى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يرتسم له ظل فى شمس ولا قمر ووجهه القاضى فى الشفاء بقوله لانه كان نورا أى ولانه وان كان بشرا لكن بشريته ليست كبشرية سائر البشر فهو بشر ليس كالبشر كما ان الياقوت حجر ليس كالحجر فهو مع بشريته نور ولذلك سمى نورا وقد قال ابن عباس لم يقم صلى الله عليه وسلم مع شمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج رواه ابن الجوزى ووجه أيضا بحفظ ظله الذى هو مثال صورته

من اجاؤأقل رطوبة اه وليس فى الحديث شاهد للمشهور فى مذهب مالك من جواز أكل الجلالة اذ لا يلزم من أكله صلى الله عليه وسلم لحم الدجاج أنه أكل الجلالة وفى خبر ابن عدى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياما ثم يأكلها بعد ذلك والله أعلم * قال المصنف (حدثنا الفضل بن سهل الاعرج البغدادى نا ابراهيم بن عبد الرحمن بن مهدى) بفتح الميم (عن ابراهيم بن عمر بن سفينة عن أبيه) أى عمر (عن جده) أى سفينة وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أبا عبد الرحمن ويقال كان اسمه مهران فلقب بسفينة لكونه حمل معه شيأ كثيرا فى السفر صحابى مشهور له أحاديث (قال أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حبارى) بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وفتح الراء وألفه للتأنيث خلافا للجوهرى فى قوله انها ليست للتأنيث ولا للالحاق وانما بنى الاسم عليها فصارت كأنها من نفس الكلمة وهو طائر معروف يقع على الذكر والانثى واحده وجمعه سواء وان شئت قلت فى الجمع حباريات وهو من أشد الطير طيرانا وذلك انها تصاد بالبصرة فتوجد فى حواصلها الحبة التى شجرتها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام ولذلك قالوا فى المثل أطلب من الحبارى واذا نتف ريشها وأبطأ نبتها ماتت حزنا وهو طائر كبير العنق رمادى اللون فى منقاره بعض الطول لحمه بين البط والدجاج وهو أخف من لحم البط ومن شأنها تصاد ولا تصيد وهى من أكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق قال ابن القيم ولحم الحبارى حار يابس بطىء الانهضام نافع لاصحاب الرياضة والتعب قال ابن حجر وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أكل لحم حمار الوحش والجبل والارنب وروى مسلم انه أكل من دواب البحر اه وفى ذلك كله رد على من حرم أكل اللحم من الفرق الضالة قال المصنف فى الجامع وهذا حديث غريب لا يعرف الا من هذا الوجه * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن القاسم التميمى عن زهدم الجرمى قال كنا عند أبى موسى قال) أى زهدم (فقدم طعامه وقدم فى طعامه لحم دجاج وفى القوم) أى الحاضرين (رجل من بنى تيم الله) هم حى من بنى بكر يقال لهم اللهازم (أحمر كأنه مولى قال) أى زهدم (فلم يدن) أى لم يقرب الى الطعام أو لم يتناول منه (فقال له أبو موسى ادن فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منه قال) أى الرجل (انى رأيته يأكل شيأ فقذرته) بالذال المعجمة أى استقذرته (فحلفت أن لا أطعمه) فتح العين أى لا آكله (أبدا) أى مدة ما أعيش فى الدنيا والجمع بين هذه الرواية والرواية الاولى بتعدد قوله ادن لانه قال له حين تنحى ادن مالك أو مالك ادن كما هو العادة ولما تعلل بما تعلل قال له ادن فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث كذا قال فى جمع الوسائل وتأمله فان الرواية الاولى تدل بظاهرها على أن اعتذار الرجل عن تنحيه مقدم على قول أبى موسى ادن فانى رأيت الخ والرواية الثانية تدل بظاهرها على عكس ذلك * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد الزبيرى وأبو نعيم قالا نا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن رجل من أهل الشام يقال له عطاء) فى التقريب شامى أنصارى سكن الساحل مقبول من الرابعة (عن أبى أسيد) بفتح فكسر على الصحيح فى التقريب هو ابن ثابت المدنى الانصارى قيل

عن الامتداد على الارض اجلالا له ولان الظل المرتسم معرض للارتسام فى الاماكن القذرة وأيضا الظل مسلزوم للظلمة فى الجملة بالنسبة الى النور اذ هو حجاب له وهو صلى الله عليه وسلم النور المنير فلا تظهر منه ظلمة وأيضا الشمس والقمر منه ظهرا وعنه نشأ فلا يستتران به اذ المظهر للشئ يمتنع ان يكون ساترا لما أظهره ﴿فائدة﴾ ذكر بعض العلماء أن من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان من كتب هذه الامور العشرة الآتية ووضعها فى بيت لم يحترق ومن كتبها وطرحها على النار خمدت وهى ما وقع ظله صلى الله عليه وسلم على الارض قط ما ظهر بوله على الارض قط لم يقع عليه الذباب قط لم يحتلم قط لم يتثاءب قط لم تهرب منه دابة ركبها قط ولد مختونا تنام عينه ولا ينام قلبه ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه

كان اذا جلس بين قومه كانت كتفاه أعلا منهم (فكأن الغمامة استودعته * من أظلت من ظله الدفقاء)

لما ذكر ان نوره صلى الله عليه وسلم يمحو كل ظل ورد عليه ان الغمامة كانت تظله فلم لم يمح نوره ظلها فأجاب بقوله فبسبب محو نوره الظل الحسى صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى كأن الغمامة لما أظلته قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه أمره أعلمته بأنها استودعته الامة بأسرها لكن أصحابه بلا واسطة وهم الدفقاء ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله

وامدادهم لمن بعدهم لمن ذلك الظل فالذين بواسطتهم هم الذين أظلتهم بمظل ظله الاعظم الدفعاء جمع داف كعلماء جمع عالم وهم الجيوش سموا بذلك لانهم يدفون نحو العدو أى يسيرون اليه لدفعه ولا ستئصاله وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص وثانيتهما إعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه أمره من أن الله سبحانه سيجعل له أمة أكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذى قبله وان الكل مستمدون وممدون من ظله فظله المعنوى عم جميع الادمية فالمحو المذكور هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل لما ذكر هذا محصل ما فى المنح ولا يخلو عن تكلف الجأه اليه ارادة الارتباط بين هذا البيت والذى قبله باعتبار المعنى الثانى وهو غير لازم والصواب أن يقال انه أشار الى ذكر حكمة تظليل الغمامة له وانه لا ينافى محو الظل لان المراد به ما فى الارض لا ظل السماء فيكون الناظم رحمه الله أشار هنا الى أن الغمامة لما ظللته بظلها الحسى فكانها استودعت عنده بسبب ذلك أمته ليظلها بظله المعنوى خدمة منها له صلى الله عليه وسلم لما تعلمه من محبته لامته كأنها تقول بلسان حالها هذا الظل خدمة منى اليك وان كنت لا حاجة لك به لكنى قصدت به ان تكون لى به يد عندك وأنت أكرم من جازى وتلك المجازاة جعلتها لامتك ويصير سبك البيت كأن الغمامة استودعت النبى صلى الله عليه وسلم جميع أمته الذين أظلتهم من أجل ظلها له النبى صلى الله عليه وسلم فكان الظل أولا ما كان الا لهم لغناه هو عنه وهم الدفعاء وذكر الشهاب الخفاجى فى رحلته عن بعض الشيوخ انه غلط الشراح فى هذا البيت رواية ودراية قال وانما هو هكذا

فكأن الغمامة استودعته * مذ ظلت من ظله الدقعاء

فاستودعت وأظلت مبنيان للمفعول ومذ بضم الميم واعجام الذال والدقعاء بدال مهملة مفتوحة وقاف وعين مهملة والمد وهى الارض وترابها والمعنى ان الغمام انما أظله لئلا يمس ظله الارض فلذا أخذه وديعة عنده ليصونه عن مس التراب وهذا معنى بديع يعرفه

اسمه عبد الله (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت) أى مع الخبز فلا يرد ان الزيت مائع فلا يكون تناوله أكلا ولا الاعتراض بعدم مناسبته للباب قاله فى جمع الوسائل (وادهنوا به) أمر من الادهان بتشديد الدال وهو استعمال الدهن والامر للاستحباب لمن كان قادرا الا للاباحة بدليل تعليله بقوله (فانه) أى أصله (من شجرة مباركة) لكونها تنبت فى الارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام ويلزم من بركة هذه الشجرة بركة ثمرتها وهى الزيتون وبركة ما يخرج منه من الزيت وكيف لا وفيه التأدم والدهن وهما نعمتان عظيمتان وقد ورد عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور رواه الطبرانى وأبو نعيم عن عقبة بن عامر وورد عليكم بزيت الزيتون فكلوه وادهنوا به فانه ينفع من الباسور رواه ابن السنى عن عقبة بن عامر أيضا وروى أبو نعيم فى الطب عن أبى هريرة بلفظ كلوا الزيت وادهنوا به فان فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام قال ابن القيم والدهن فى البلاد الحارة كالحجاز من أسباب حفظ الصحة واصلاح البدن وهو كالضرورى لهم وأما فى البلاد الباردة فضار وكثرة دهن الرأس به فيها خطر بالبصر انتهى ومناسبة الحديث للباب ان الامر بأكله يستدعى أكله صلى الله عليه وسلم منه أو يقال المقصود من الترجمة معرفة ما أكل منه صلى الله عليه وسلم وما أحب الاكل منه قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (نا يحيى بن موسى نا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة قال أبو عيسى) يعنى المصنف (وعبد الرزاق) أحد رواة هذا الحديث والواو للاستئناف والاولى اسقاطها (كان يضطرب فى هذا الحديث) أى فى اسناده (فربما) بيان للمراد بالاضطراب هنا (أسنده) أى أوصله كما سبق (وربما أرسله) أى فحذف الصحابى لما سيأتى وكان من حق المؤلف أن يؤخر هذا الكلام الى ايراد الاسانيد بالتمام قال ابن حجر الاضطراب تخالف روايتين أو أكثر اسنادا أو متنا مخالفة لا يمكن الجمع بينهما ما لم تترجح احداهما لنحو كثرة طرق احدى الروايتين أو كونها أصح أو أشهر أو رواتها أتقن أو معهم زيادة علم كما هنا فان المسند معه زيادة علم على المرسل سيما والمرسل أسنده مرة أخرى فوافق اسناد غيره له دائما وهو أبو أسيد فى الرواية السابقة اهـ أى فان كان ترجيح فالحكم للراجح ولا اضطراب حينئذ والا فمضطرب يستلزم الضعف * قال المصنف (حدثنا السنجى) بكسر المهملة وسكون النون وبالجيم نسبة الى سنج قرية من قرى مرو (وهو أبو داود سليمان بن معبد المروزى السنجى) ذكره أولا وثانيا اشارة الى أنه قد يقع فى كلام المحدثين ذكر نسبته فقط وقد يقع ذكر اسمه ونسبه ونسبته (نا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه) أى مثله لفظا أو معنى (ولم يذكر فيه عن عمر) يعنى فيكون الحديث بهذا الطريق مرسلا فالحديث مضطرب والاضطراب انما نشأ من عبد الرزاق * قال المصنف (حدثنا محمد ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدى قالا نا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال كان

من ذاق حلاوة الشعر وفي قوله مذ أظلت الخ معنيان أحدهما مذ مس ظله التراب والآخر مذ صارت الارض كلها في حمايته لانه ظل الله اهـ فليتأمل وقد قالوا من جملة نكت هذا التظليل خدمة الامور العلوية له وانه صاحب الملك الحقيقي الذي لا يحتاج الى تكلف كسائر الملوك ففيه التنبيه على انه ذو الملك التام والعزة البالغة وان شمسيته أجمل وأحسن وأكمل وأبهى وأعظم من الشمس المحجوب عنها لان المحفوظ من الشيء أعظم من ذلك الشيء فكان حجبه عنها حجب حفظ لا حجب منع من اشراق نوره وفيضان فضله وأيضاً شأن الشمس انها تمنع التمكن من التأمل فيها فاذا انتشرت عليه فظلل ليتم التمكن من التأمل فيه فكأن التظليل عين الجلاء وأيضا ليتمحض النور له ولا يشاركه فيه شيء وأيضا جماله صلى الله عليه وسلم من جمال الشمس أجمل وجلاله من جلالتها أجل ونوره من نورها أنور وبهاؤه من بهائها أبهى وأبهر فخجلت منه حين طلوع طلعته وبروز سنا رفعته فاختفت عن موضعه ولم تستطع أن تلقاه وذلك مقتضى استحياء الاصاغر من الاكابر والخدام من السادات ألم تر ان الوزير يكون في تصرفاته الهائلة وأحكامه المتطاولة فاذا أشرف عليه الامير أخفى ذلك وقطعه وأزال ثوب التقدم ونزعه اجلالا ومهابة واستحياء وأدبا وان التلميذ يكون في تقريراته المحققة وتحريراته المرونقة فاذا اشرف عليه المعلم قعد للتعلم بين يديه وفوض أمر التقرير والتحرير اليه ويرحم الله القائل

أفضل الخلق أحسن الناس خلقا * زانه الله ما أشد احتشامه
ان جلا في الدجا هلال جبين * وعن الوجه ان أماط لثامه
اخجل الشمس في الضحى واعار البد * ر في الليل نوره وتمامه

ولسيدي عبد الرحيم البرعي رحمه الله

نبي ما رأته الشمس الا * وكلت عن محاسنه حياء

) خفيت عنده الفضائل وانجا * بت به عن قلوبنا الاهواء أمع الصبح للنجوم تجل * أم مع الشمس للظلام بقاء) أي اذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان نوره يمحو الظل علم انه قد خفيت عنده أي في جنب ما أوتيه الفضائل التي أوتيها غيره من الانس والملائكة والجن وانه قد انجابت أي انكشفت به أي بسبب ما بينه لنا من علومه وآدابه وأخلاقه عن

النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الدباء) بضم الدال وتشديد الموحدة ممدود ويجوز القصر حكاه الفراء وأنكره القرطبي وهو اليقطين وهو القرع واحده دباءة (فأتي بطعام أو دعي له) أي وفيه دباء والشك من أنس أو ممن دونه قال أنس (فجعلت أتتبعه) أي أطلب الدباء من حوالي القصعة (فأضعه بين يديه) أي قدامه صلى الله عليه وسلم فيه جواز مناولة من على المائدة بعضهم بعضا مما بين أيديهم لان جميعه لهم وانما يكره من ذلك أن يناول من على مائدة لمن على مائدة أخرى وفيه جواز جولان اليد في الطعام المختلف اذا قلنا ان هذا من المختلف والا فوجه ذلك ان أنسا لم يكن معه غير النبي صلى الله عليه وسلم فكان الطعام بين أيديهما معا لا لغير وانما ناول أنس ما كان بين يدي نفسه وغير ذلك كان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أو انه كان يأكل مع من يعلم سروره بذلك وفرحه به أو لان الطعام كان عمل للنبي صلى الله عليه وسلم فكان جميعه له انظر المعلم والاكمال (لما أعلم) أي لعلمي (انه يحبه) وفي بعض النسخ بفتح اللام وتشديد الميم أي حين اعلم أنه يحبه أي يرضيه أكله ويستحسنه ويحب تناوله قال ابن حجر وكان سبب محبته له صلى الله عليه وسلم ما فيه من افادة زيادة العقل والرطوبة المعتدلة وما كان يلحظه من السر الذي أودعه الله فيه اذ خصصه بالانبات على اخيه يونس عليه السلام حتى وقاه حر الشمس وبرد الليل وتربى في ظله فكان له كالام الحاضنة لولدها * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حفص بن غياث) بكسر اوله (عن اسمعيل بن ابي خالد عن حكيم بن جابر) ثقة من الثالثة مات سنة اثنين وثمانين (عن ابيه) اي جابر بن طارق الاحمسي بمهملتين وهو صحابي مقل (قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي في بيته (فرأيت عنده دباء يقطع) من التقطيع وهو جعل الشيء قطعة قطعة (فقلت ما هذا) اي ما فائدة تقطيعه لا ماحقيقته وان كان الاصل في ما انه لا يجهل حقيقته قاله ابن حجر ردا على شارح والمراد والله اعلم السؤال عن تقطيعه هل هو ليطبخ وحده او ليصنع به دواء اولغير ذلك (قال نكثر) من التكثير وهو جعل الشيء كثيرا (به) أي بتقطيعه (طعامنا) قال ابن حجر وفي بعض النسخ يقطع بالبناء للمفعول من القطع ويكثر من الاكثار مسند الى طعامنا وفيه ان الاعتناء بأمر الطبخ وما يصلحه لا ينافي الزهد والتوكل بل يلائم الاقتصاد في المعيشة المؤدي الى القناعة (قال أبو عيسى وجابر هذا) أي المذكور في اسناد هذا الحديث (هو جابر بن طارق ويقال ابن أبي طارق) يعني لا جابر بن عبد الله لانه من المكثرين وهو وأبوه صحابيان وانما نبه المصنف على هذا لان جابر بن عبد الله هو المشهور من الصحابة والمطلق ينصرف اليه عند المحدثين (وهو) أي جابر بن طارق (رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نعرف له) بالبناء للفاعل أو المفعول (الا هذا الحديث الواحد) قال ابن حجر قيل لا وجه لذكره هذا في جابر وتركه في أبي أسيد السابق مع أنه مثله فيه اهـ وليس في محله لانه يحتمل ان حال أبي أسيد مشهور فاكتفى عن ذلك فيه لشهرته أو انه حفظ ذلك في هذا دون ذاك فبين ما عرفه وسكت عما لا يعرفه اهـ * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة انه) أي اسحق

عقولنا معشر أمة الاجابة الاهواء أى الضلالات والنقائص فلم تقع فى ورطة شئ منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى
ثم استدل على ذلك الخفاء وكشف الاهواء بما أفاده الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر المرتب أيوجد مع الصبح
للنجوم تجل أو يوجد مع الشمس للظلام بقاء أى انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما أن
النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه
كالشمس والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفى البيت الكلام الجامع

(معجز القول والفعال كريم
الخلق والخلق مقسط معطاء)

أى هو صلى الله عليه وسلم معجز القول لان الله تعالى أنعم عليه بجوامع الكلم مع كونه أفصح أهل الفصاحة وهم العرب ومن ثم قيل ان كلامه معجز كالقرآن والا كثر على خلافه وهو معجز الفعال فلا يقدر مخلوق ان يوجد فعلا مطابقا السائر المصالح الظاهرة والباطنة فى ذلك الوقت الذى أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وارث حضرة الالهية التى لا يدخل أحد اليها الا باذنه وتقدم بعض كرم خلقه وخلقه وسيأتى بعض آخر منها وبين القول والفعال والخلق والخلق تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف فان
فى الثانى والمقسط العادل فى أحكامه وأقواله وأفعاله فلا يصدر عنه شئ قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم أحواله
حتى أعداؤه وبهذا كانوا يسمونه الامين والمأمون وصح ان رجلا قال له وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت
ان لم أعدل وكان يقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وكان لا يؤاخذ
أحدا بقول أحد ولا يصدق أحدا فى أحد وأشار بقوله معطاء وهو مفعال من العطاء لكثرة عطائه صلى الله عليه وسلم وجوده وسخائه وفى

(سمع أنس بن مالك يقول ان خياطا) قال العسقلانى لم أقف على اسمه لكن فى رواية ثمامة عن أنس انه كان غلاما للنبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ ان مولى خياطا (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه فقال أنس فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك الطعام) اما بدعاء مخصوص أو تبعا له لكونه خادماله صلى الله عليه وسلم فهو مدعو حكما لان الكبير العظيم اذا دعى لا يأتى وحده عادة (فقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا من شعير ومرقا) بفتحتين (فيه دباء وقديد) لحم مملح مجفف فى الشمس أو غيرها فعيل بمعنى مفعول والفدا القطع طولا وفى السنن عن رجل ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال أملح لحمها فلم أزل أطعمه منه الى المدينة نقله ابن حجر (قال أنس فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع) أى يتطلب (الدباء حوالى القصعة) بفتح اللام وسكون الياء وكسرت هنا لالتقاء الساكنين وهو مفرد لفظا مجموع معنى أى جوانبها خلا فالمن قال أصله حوالين كجانبين فسقطت النون للاضافة ومنه حديث اللهم حوالينا ولا علينا والقصعة بفتح القاف هى التى يأكل منها عشرة أنفس وفى نسخة حوالى الصحفة وهى التى يأكل منها خمسة كذا فى المهذب والصحاح وأغرب ابن حجر فقال تسع ضعفى ما تسع القصعة وقيل هما واحد انتهى قاله فى جمع الوسائل قال ابن حجر وتتبعه صلى الله عليه وسلم حوالى القصعة اما بالنسبة لجانبه دون جانب البقية أو مطلقا ولا يعارضه نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك لانه للتقذر والايذاء وهو منتف فيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يودون ذلك منه لتبركهم بآثاره صلى الله عليه وسلم حتى نحو بصاقه ومخاطه يدلكون به وجوههم وقد شرب بعضهم بوله وبعضهم دمه انتهى وفى رواية عن أنس انه قال فلما رأيت ذلك جعلت أجمعه بين يديه ولا أطعمه وفى الحديث جواز طبخ اللحم مع غيره من الخضر لتكثير الطعام وتطييبه وليس من باب ادامين ولا من السرف وقد تقدم قوله نكثر به طعامنا مع ما فى ذلك من تدبير طبى لكسر حرارة القديد وتعديل يبسه ببرد القرع ورطوبته انظر الاكمال (فلم أزل أحب الدباء من يومئذ) أى محبة شرعية لا طبيعية وهذا من صريح ايمانه رضى الله عنه فان محبة المصطفى مؤدية الى محبة ما كان يحبه حتى من مأكول ومشروب وملبوس وفى الحديث فوائد مؤاكلة الخادم وان كسب الخياط ليس بدنىء وانه يسن محبة الدباء لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا كل شئ كان يحبه ذكره النووى وبيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من عظيم التواضع والتلطف والرفق بأصاغر أصحابه وتعاهدهم بالمجىء الى منازلهم وانه يندب اجابة الدعوة وان قل الطعام وكان المدعو شريفا والداعى دونه من محترف أو غيره ومما كتب به مولانا أحمد الذهبى للشيخ القطب العارف بالله سبحانه سيدى محمد البكرى نزيل مصر نفعنا الله به بخط يده بعد كتبه كتابا

ولما نأيت ولم أستطع * وصولى اليكم بنقل القدم
أتيت اليكم برجل الرسول * وخاطبتكم بلسان القلم

فأجابه الشيخ المذكور

الصحيحين من حديث انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس قال في المواهب وأجود أفعل تفضيل من الجود وهو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه هو أسخى الناس لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة لا بد ان يكون فعله احسن الافعال وشكله املح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق فلا شك ان يكون أجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وفي مسلم عن أنس ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين

فان زرتم وتفضلتم * وشرفتمونا بنقل القدم
فليس بعار ولا منقص * دخول الموالي بيوت الخدم

* قال المصنف (حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي وسلمة بن شبيب) كحبيب (ومحمود بن غيلان قالوا أخبرنا أبو اسامة) قيل اسمه حماد بن أسامة (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل) الحلواء بالمد ويجوز قصره كل ما فيه حلاوة فالعسل تخصيص بعد تعميم وقال الخطابي يختص بما دخلته الصنعة وفي كتاب فقه اللغة للثعالبي ان حلواءه صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها المجيع كعظيم وهي تمر يعجن بلبن وقيل ماصنع وعولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة وقيل المراد به المستلذات من المباحات وعلى غير هذا القول الاخير من الاقوال المتقدمة فكل ما شابه الحلواء والعسل من أنواع المآكل اللذيذة داخل في معنى هذا الحديث لان الحلواء والعسل من جملة الطيبات قال ابن حجر وفيه ان محبة الاطعمة النفيسة اللذيذة لا تنافي الزهد لكن من غير قصد وتكلف لتحصيلها ومن ثم قال الخطابي لم تكن محبته صلى الله عليه وسلم للحلواء على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزوع النفس وانما كان ينال منها اذا احضرت نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه اه وقال ابن حجر بعد هذا المحل فلا محذور في محبة الملاذ بالطبع لان هذا من كمال الخلقة وانما المحذور المنافي للكمال التفات النفس وعناؤها في تحصيل ذلك وتأثرها لفقده قال ولم يصح أنه صلى الله عليه وسلم رأى السكر وخبر انه صلى الله عليه وسلم حضر ملاك أنصاري فجاءت الجواري معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فأمسكوا أيديهم فقال صلى الله عليه وسلم ألا تنتهبون فقالوا انك نهيت عن النهبة قال أما العرسان فلا قال معاذ فرأيته صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه غير ثابت كما قال البيهقي في سننه قال ولا يثبت في هذا المعنى شيء وشنع على احتجاج الطحاوي به لمذهبه ان النثار غير مكروه وبين ان فيه ضعيفين ومجهولا وانقطاعا انتهى قال في جمع الوسائل قلت لو لم يثبت عنده لما احتج به لمذهبه اه قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني) بفتح الفاء نسبة الى قرية يقال لها الزعفرانية (نا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج) بجيمين مصغرا اسمه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فهو نسبة الى الجد (أني محمد بن يوسف ان عطاء بن يسار أخبره ان أم سلمة) إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن اسمها هند بنت أبي أمية (أخبرته انها قربت) بتشديد الراء أي قدمت (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبا) وفي نسخة لحما (مشويا) قال شارح من شاة ورد بأنه لا دليل لهذا التقييد (فأكل منه) قال ابن حجر بين بذكر هذا عقب الحلواء والعسل ان هذه الثلاثة أفضل الاغذية وأنفعها للبدن والكبد والاعضاء ولا ينفر منها الا من به علة أو آفة واللحم سيد طعام أهل الجنة وقد روى ابن ماجه وغيره بسند ضعيف اللحم سيد الطعام لاهل الدنيا والآخرة وله شواهد منها عند أبي نعيم عن علي مرفوعا سيد طعام أهل الدنيا اللحم ثم الارز ومنها عند أبي الشيخ عن أبي سمعان سمعت علماءنا يقولون كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وهو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة قال الزهري

فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وعنه أيضا عن صفوان ابن امية قال لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لمن أبغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وفي مغازي الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان يومئذ واديا مملوأ ابلا ونعما فقال صفوان أشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي وأخرج ابن عدي من حديث انس مرفوعا أنا أجود بني آدم فكان جوده صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع لهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم وروى البخاري من حديث جابر ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا أي ما طلب منه شيء من أمر الدنيا فمنعه أي لا ينطق

 بالرد وانما يعطي أو يسكت وقد يقول لا على جهة الاعتذار وروى الترمذي انه حمل اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال وجاءه رجل فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءني شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار يارسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت وروى انه في يوم حنين أعطى عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطى ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف وفي البخاري من حديث أنس انه أتى بمال من البحرين فامر بصبه في المسجد وكان اكثر مال اتى به صلى الله

عليه وسلم يخرج الى المسجد فلم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء العباس فقال اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفع الى قال لا قال فارفعه أنت على قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فعل ذلك ثلاث مرات ثم احتمله فألقاه على كاهله فانطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام عليه الصلاة والسلام وثم درهم منها وفي رواية ابن أبي شيبة كان مائة ألف وكان صلى الله عليه وسلم قد أتاه سبي فشكت اليه فاطمة ماتلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وفي ابتغاء مرضاته ويؤثر على نفسه وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار على جهة الاختيار

(لا تقس بالنبي في الفضل خلقا * فهو البحر والانام اضاء)

يقال قست الشئ بغيره اذا قدرته على مثاله أي لا تشبه بالنبي في الفضل الجامع الذي أعطيه خلقا من نبي أوملك أي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه أو يقاربه في وصف من أوصاف الكمال والانام أي الخلق بالنسبة اليه اضاء بالكسر والمد جمع أضاة كقناة وهو الغدير وشتان ما بين البحر والغدير وفيه مراعاة النظير (كل فضل في العالمين فمن فضـ * ـل النبي استعاره الفضلاء) والمرء

أي وكيف لا يكون كذلك وكل فضل وجد في العالمين أي الانس والملائكة والجن فهو كائن من فضل ذلك النبي الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين في حال كون ذلك الفضل استعاره الفضلاء أي اكتسبوه من فضله لانه الممد لهم اذ هو المتلقي عن الحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطة فلا يصل منها لكامل شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره لانه كالشمس وهم كالكواكب فبنوره صلى الله عليه وسلم نطق كل

وأكله يزيد سبعين قوة قال الشافعي أكله يزيد في العقل وعن علي رضي الله عنه انه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه ذكره في الاحياء اهـ قال في المدارك كان لمالك في كل يوم في لحمه درهمان قال مطرف لو لم يجد مالك في كل يوم درهمين يبتاع بهما لحما الا ان يبيع في ذلك بعض متاعه لفعل وفي الجامع الصغير روى الطبراني وأبو نعيم في الطب والبيهقي عن بريدة سيد الادام في الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية يعني ورق الحناء (ثم قام الى الصلاة وما توضأ)* قال المصنف حديث صحيح فيكون ناسخا لحديث توضؤا مما مسته النار ان كان المراد منه الوضوء الشرعي كما عليه الجمهور خلافا لبعض أهل الغريب ويوافقه الخبر الصحيح كان آخر الامرين من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا ابن لهيعة) بفتح فكسر (عن سليمان بن زياد عن عبد الله بن الحرث قال أكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء) بكسر أوله ممدود أي لحما مشويا بالنار ويعني مع الخبز كما في رواية (في المسجد) فيه دليل لجواز أكل الطعام في المسجد جماعة وفرادى ان لم يحصل ما يقذر المسجد والا فيكره أو يحرم وزاد ابن ماجه ثم قام فصلى وصلينا معه ولم نزد على أن مسحنا أيدينا بالحصباء * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا مسعر) بكسر فسكون ففتح (عن أبي صخرة جامع بن شداد عن المغيرة بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال ضفت) بكسر أوله (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة) ذات صلة ترفع احتمال أن يراد بالليلة مطلق الزمان فهي مع الليلة بمنزلة رأيت عين زيد قاله الابي في ذات يوم وقد تقدم نحو هذا أثناء باب اللباس فراجعه هنالك أي نزلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل ضيفين له يقال ضاف القوم وتضيفهم نزل عليهم ضيفا وأضافوه وضيفوه أنزلوه انظر الصحاح قال القاضي اسمعيل وقد وقعت هذه الضيافة في بيت ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم وقال العسقلاني ويحتمل انها كانت في بيت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها اهـ وعليه فتكون مع بمعنى عند وهو أحد معانيها كما في المغني (فاتي بجنب مشوي) وفي رواية أبي داود فأمر بجنب فشوي (ثم أخذ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (الشفرة) بفتح الشين وسكون الفاء وهي السكين العريض الذي امتهن بالعمل ويسمى الخادم شفرة لانه يمتهن في الاعمال كما تمتهن هذه في قطع اللحم (فجز) أي قطع (لي بها منه) أي من ذلك الجنب المشوي وفي نسخة فجعل يحز لي وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم احتز من كتف شاة فدعي الى الصلاة فالقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام فصلى ولم يتوضأ ولا يعارض هذا ما رواه أبو داود والبيهقي في شعب الايمان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنأ وأمرأ لقولهما ليس هو بالقوي ولانه يجوز ان يكون احتزازه صلى الله عليه وسلم ناسخا لنهيه عن قطع اللحم بالسكين وأن يكون لبيان ان النهي للتنزيه أو ان النهي في لحم قد تكامل نضجه أو في صغير والاحتراز في الكبير لشدة لحمه أو لان النهش أطيب ولذا علله بقوله فانه أهنأ وأمرأ والهنيء اللذيذ الموافق للغرض

ناطق وحسن كل حسن وعقل كل عاقل وكرم كل كريم وعلم كل عالم الى غير ذلك من أنواع الفضائل انظر ابن حجر والمواهب فقد أجاد وأفاد وتذكر قول الناظم فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس فى الظلم وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

(شق عن قلبه وشق له البد * ر ومن شرط كل شرط جزاء) يوجد فى بعض النسخ عن صدره وهى صحيحة أيضا لانه شق عن صدره أولا ثم عن قلبه المرة بعد المرة أربع مرات مبالغة فى التطهير والتخليص من الاغيار عند الانتقال من الاطوار وشق له أى لاجله صلى الله عليه وسلم البدر أى القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا فى عناده وطلبوا منه آية يريها لهم تدل على صدقه وهى أن ينشق له القمر نصفين فسأل ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن وتواترت به الاحاديث ولفظ البخارى عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدلها شىء من آيات الانبياء لظهوره فى ملكوت السموات خارجا عن جملة الطباع لما فى هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد فى الوصول اليه بحيلة واختلفوا هل تعدد أم لا ومن قال بعدم التعدد أول رواية انشق مرتين بفلقتين كما فى رواية اخرى وشاهده من كان بمكة وغيرها وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج قلبه ثم شق أى جرح وطهر فجوزى على ذلك اذ من شرط كل شرط ولو فى البدر لغرض مقصود ان يكون له جزاء أى من علامة كل شرط يقع فى الجسد جزاء من برء ونحوه فانه لما روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة بما حصل له من الخوف جوزى على ذلك بخير عظيم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو أظهر معجزاته وأبهر آياته وفى كلامه أولا وثانيا الجناس التام ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وكذا قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار وقوله تعالى يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من

والمرىء من الاستمراء وهو ذهاب ثقل الطعام وفى الحديث انه ينبغى للكبير أن يحز للصغير اظهارا للمحبة وتألفا له وتواضعا (قال) أى المغيرة (فجاء بلال) هو أبو عبد الرحمن كان يعذب فى ذات الله فاشتراه أبو بكر رضى الله عنه وأعتقه وهو أول من أسلم من الموالى شهد بدرا وما بعدها ومات بدمشق سنة ثمان عشرة وله ثلاث وستون سنة من غير عقب وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال له حدثنى بأرجى عمل عملته فى الاسلام عندك فانى سمعت الليلة خشف نعليك فى الجنة قال ما تطهرت الا صليت ما كتب لى وفى البخارى عن جابر كان عمر يقول أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعنى بلالا وهو من النجباء الاربعة عشر وكان ملازما للنبى صلى الله عليه وسلم فى الحضر والسفر يتصرف فى حوائجه ولبعض الادباء رحمه الله

أبو بكر حباه الله مالا * وحين دعى أجاب نعم بلالا
لقد واسى النبى بكل خير * وأعتق من ذخائره بلالا
لو أن البحر يبغضه اعتقادا * لما أبقى الاله به سلالا

(يؤذنه) بسكون الهمز ويبدل واوا من الايذان بمعنى الاعلام وفى نسخة بهمزة مفتوحة وقد يبدل واوا وتشديد الذال من التأذين وهو الاعلام بوقت الصلاة (بالصلاة فألقى) أى رمى النبى صلى الله عليه وسلم (الشفرة فقال ماله) أى لبلال (تربت يداه) بكسر الراء أى لصقت بالتراب من شدة الافتقار فهو فى الاصل دعاء بالعدم والفقر وجرى فى ألسنة العرب غير مراد به ذلك بل مجرد اللوم كانه صلى الله عليه وسلم كره تأذينه حين الاشتغال بالطعام مع اتساع الوقت قاله ابن حجر ويحتمل أنه أنكر عليه ترك قص شاربه اذا قلنا ان الضمير المضاف اليه فى قوله (قال وكان شاربه قد وفى) يعود على بلال وهو الذى قرر به ابن حجر وغيره من الشراح وهو المتبادر من ظاهر العبارة ولكن وقع فى رواية أبى داود وكان شاربى وفى فقصه لى على سواك وعليه فيتعين ان يكون ضمير شاربه للمغيرة بن شعبة ويكون فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذا كان ضمير قال للمغيرة بن شعبة فان كان فاعل قال هو المغيرة بن عبد الله نقل كلام المغيرة بن شعبة فلا التفات انظر جمع الوسائل (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (له) أى لبلال أو للمغيرة (أقصه لك على سواك) أى أأقصه بتقدير الاستفهام أو هو مجرد اخبار (أو قصه) أى أنت (على سواك) وهو العود الذى يستاك به بان يوضع تحت الشارب ثم يقص ما فضل عن السواك والشك من المغيرة أو ممن دونه قال ابن حجر فيه دليل لما قاله النووى من ان السنة فى قص الشارب ان لا يبالغ فى احفائه بل يقتصر على ما تظهر به حمرة الشفة وطرفها وهو المراد باحفاء الشوارب فى الاحاديث اه وقال الحطاب فى حاشيته على الرسالة قال فى المقدمات فى كتاب الجامع يجمع بين الاحاديث الواردة فى قص الشارب والاحاديث الواردة فى احفائه بان يقص أعلاه ويحفى منه الاطار الذى على الشفة قال وهذا الذى ذهب اليه مالك اه بالمعنى وقال الحطاب أيضا قال ابن يونس فى جامعه سئل مالك عن رجل أحفى شاربه فقال يوجع ضربا وهذه بدعة اه وقال النووى ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب وفعل ذلك عمر رضى الله عنه وغيره ولا بأس أيضا

الكتاب أي بما كتبت أيديهم لتحسبوه من التوراة والانجيل وما هو من جنس كتاب الله تعالى انظر ابن حجر فله كلام بديع فيما يرجع لفن البديع (ورمى بالحصى فاقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء) أي ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أيضا انه في غزوة بدر وغزوة حنين رمى الاعداء بالحصى فاقصد أي أصاب فأهلك جيشا عظيما كانوا تألبوا عليه وما استفهام انكاري أي ما العصا التي ألقاها موسى على حبال سحرة فرعون

وعصيهم حتى ابتلعت ذلك عنده أي الحصى المرمى أي في جنبه وما الالقاء على تلك الحبال والعصي الذي فعله سحرة فرعون أي لا تقس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم في القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى عليه السلام في القاء عصاه لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر وأبهر اذ القاء موسى لعصاه حاكى به القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تحاك قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذي هو ألوف مؤلفة حتى هزمهم الله عن آخرهم وشتت شملهم أبهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها تلك الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو ولا شتتت شملهم بل زادوا بعد ذلك طغيانا وعتوا على موسى وقومه وأشار الناظم بالبيت الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وذلك انه لما التقى الجمعان تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه أي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم وكذلك لما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمون من هوازن ما لم ير مثله فتفرق المسلمون فأمر صلى الله عليه وسلم أن ينادى في الناس ليرجعوا فلما سمعوا النداء أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها يقولون يا لبيك يا لبيك واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو التنور الذي يخبز فيه أي اشتد حر الحرب حتى أشبهت التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلف الله منهم انسانا الا ملأ عينه من تلك القبضة

بتقصيره روى ذلك البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما اه وقال ابن حجر رأى الغزالي وغيره انه لا بأس بترك السبالين اتباعا لعمر ولان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وكره الزركشي ابقاءه لخبر صحيح ابن حبان ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال انهم قوم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم وكان يجز سباله كما تجز الشاة والبعير وفي خبر عند أحمد قصوا اسبالكم ووفروا الحاكم ثم قال ابن حجر وفي مرسل عند البيهقي كان صلى الله عليه وسلم يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل الخروج الى الصلاة وروى النووي كالعبادي من أراد أن يأتيه الغنى على كره فليقلم أظفاره يوم الخميس وفي حديث ضعيف يا علي قص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة قيل ولم يثبت في قص الظفر يوم الخميس حديث بل كيفما احتاج اليه ولم يثبت في كيفيته ولا في تعيين يوم له شيء وما يعزى من النظم في ذلك لعلي أو غيره باطل اه وفي الحديث اشارة الى طلب تحسين الهيئة والاحسان الى المخالط والمقارب والمحافظة على ما يستمر به حسن الصورة المشار اليه بقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم وفي ذلك محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب لان الانسان اذا بدا في هيئة جميلة كان ادعى لانبساط النفوس اليه فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس ولهذا اطلبت سائر خصال الفطرة * قال المصنف (حدثنا واصل بن عبد الاعلى نا محمد بن فضيل عن أبي حيان التيمي) وفي نسخة التميمي بميمين وهو يحيى بن سعيد بن حيان الكوفي ثقة عابد من السادسة مات سنة خمس وأربعين ومائة (عن ابي زرعة) بضم الزاي وسكون الراء وهو ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي واختلف في اسمه فقيل هرم وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل جرير (عن أبي هريرة قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع) هو اليد من كل حيوان لكنها من الانسان من طرف المرفق الى طرف الاصابع تؤنث وقد تذكر ومن البقر والغنم ما فوق الكراع وهو المراد هنا وقول شارح انه الساعد رده المناوي (وكانت تعجبه) قال النووي لسرعة نضجها مع زيادة لينها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها وبعدها عن مواضع الاذى اه ويمكن أن يكون لافادة زيادة القوى بها قاله في جمع الوسائل (فنهس منها) بالمهملة وفي نسخة بالمعجمة في النهاية النهس أخذ اللحم باطراف الاسنان والنهش بجميعها وقيل لا فرق بينهما وانه أخذ ما على العظم من اللحم باطراف الاسنان وفعله صلى الله عليه وسلم لانه أهنأ وأمرأ كما جاء في الحديث الصحيح ولانه ينبيء عن ترك الكبر والتكلف وترك التشبه بالاعاجم فهو أولى من القطع بالسكين وان كان جائزا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا أبو داود عن زهير يعني ابن محمد عن أبي اسحق عن سعد) وفي نسخة سعيد (بن عياض عن ابن مسعود قال كان النبي صلى الله عليه وسلم تعجبه الذراع قال) أي ابن مسعود (وسم في الذراع) يحتمل أن يكون نائب الفاعل ضمير النبي أي أعطى النبي صلى الله عليه وسلم السم في الذراع ويحتمل انه الجار والمجرور قال ابن حجر سم في الذراع في فتح خيبر جعل له فيه سم قاتل لوقته فأكل منه صلى الله عليه وسلم لقمة ثم أخبره جبريل بانه مسموم فتركه ولم يضره ذلك السم يعني حينئذ والا فلم تزل تلك الاكلة تعاهده صلى الله

﴿تنبيه﴾ قال ابن حجر أكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري مامن الانبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا وفي معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى أن المراد ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى يوم القيامة لايمر عصر الا ويظهر فيه شيء أخبر بأنه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أكثر اذ مايدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول والى هذا يشير الناظم في البردة بقوله

دامت لدينا ففاقت كل معجزة ... من النبيين اذ جاءت ولم تدم

(ودعا للانام اذ دهمتهم ... سنة من محولها شهباء

فاستهلت بالغيث سبعة أيا ... م عليهم سحابة وطفاء

تتحرى مواضع الرعي والسقـ ... ي وحيث العطاش توهى السقاء

وأتى الناس يشتكون أذاها ... ورخاء يؤذي الانام غلاء

فدعا فانجلى الغمام فقل في ... وصف غيث اقلاعه استسقاء)

أي ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انه دعا للانام أي أهل المدينة ومن ضاهاهم وقت أن دهمتهم بكسر الهاء أي غشيتهم سنة شهباء اي لا خضرة فيها ولا مطر من أجل محولها أي شدة جدبها وقحطها والسنة العام فشهباء تأسيس أو زمن الجدب فشهباء تأكيد وسبب دعائه ما في الصحيحين ان الناس أصابتهم سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اعرابي وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وليس في السماء قطعة سحاب فما وضعهما حتى صار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل حتى أصابهم مطر واستمر الى الجمعة الثانية فقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله

عليه وسلم الى أن مات بها وذلك ليجمع الله له بين ثواب الرسالة والشهادة وعند الدمياطي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للقوم الذين أكلوا معه ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبر بانها مسمومة (وكان يرى) بالبناء للمفعول أو الفاعل وهو ابن مسعود (ان اليهود سموه) أسنده الى اليهود لانه صدر عن أمرهم واتفاقهم والا فالمباشر لذلك زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودي وقد أحضرها صلى الله عليه وسلم وقال ما حملك على ذلك فقالت قلت ان كان نبيا لا يضره السم والا استرحنا منه فاحتجم على كاهله وعفا عنها ولم يعاقبها لانه كان لا ينتقم لنفسه قال الزبير وغيره فاسلمت وعن الزهري انها أسلمت فتركها فيحتمل انه تركها لاسلامها ولانه لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر بن البراء وكان أكل معه منها دفعها لورثته فقتلوها قودا وبه جمع القرطبي وغيره بين الاخبار المتدافعة قال ابن حجر ثم اسلامها رواه سليمان التيمي في مغازيه وانها استدلت بعدم تأثير السم فيه على انه نبي قال في جمع الوسائل ولعل هذا هو السر في أن جبريل والشاة ما أخبراه قبل تناوله صلى الله عليه وسلم منها لتظهر هذه المعجزة وليكون سببا لاسلام من أسلم وحجة على من عاند في كفره وتصمم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا مسلم بن ابراهيم نا أبان بن يزيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي عبيد) بالتصغير بلا تاء وهو ولي للنبي صلى الله عليه وسلم واسمه كنيته (قال طبخت للنبي صلى الله عليه وسلم قدرا) بكسر أوله أي لحما في قدر فذكر القدر وأراد ما فيه مجازا (وكان تعجبه الذراع فناولته الذراع) ظاهر السياق انه لم يطلبه أول مرة وانما ناوله بلا طلب لعلمه بانه يعجبه (ثم قال ناولني الذراع فناولته) أي الذراع فحذف المفعول (ثم قال ناولني الذراع فقلت يارسول الله وكم للشاة من ذراع) ابن حجر الظاهر انه استفهام استعظام وتعجب لا انكار لانه لا يليق بهذا المقام (فقال والذي نفسي بيده) هذا مما فيه مذهبان مذهب السلف انه من المتشابه فنعتقد تنزيهه تعالى عن ظاهره المستحيل ونفوض فهم المراد منه الى الله تعالى ومذهب الخلف التأويل وان المراد باليد القدرة (لو سكت) عما قلت وامتثلت أمري (لناولتني الذراع ما دعوت) أي ما طلبت أي مدة دوام طلبه وانما كان كلامه مانعا من رؤية هذه الكرامة لما فيه من الخشونة وقلة الادب بين يدي الكبراء ولذلك يقال اذا جالست الكبراء ففارق ما تعلم وذلك أن شهود هذه الكرامة فيه نوع تشريف لمن اطلع عليها وذلك التشريف لا يليق الا بمن كمل تسلمه حتى لم يبق فيه أدنى حظ ولا ارادة أشار الى ذلك ابن حجر وهذا من باب تكثير الطعام الذي هو أحد معجزاته عليه السلام وهو باب أكثر من أن يحاط به انظر الشفاء * قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني نا يحيى بن عباد عن فليح بن سليمان قال حدثني رجل من بني عباد) قبيلة (يقال له عبد الوهاب بن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان الذراع أحب اللحم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي على الاطلاق لما سيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب اللحم لحم الظهر (ولكنه كان لا يجد اللحم الا غبا) أي وقتا دون وقت (وكان يعجل) بفتح الجيم أي يسرع (اليها لانها أعجلها) أي اللحوم المفهومة من قوله لا يجد اللحم لانه مفرد محلى باللام فهو معنى الجمع (نضجا) بضم أوله أي طبخا وليس فيما قالته منافاة لبقية أحاديث الباب

لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا زاد في رواية اللهم على الآجام والآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر والآجام بفتح الهمزة وكسرها الشجر الملتف والآكام كذلك الربوة من الأرض والظراب بكسر الظاء الجبال الصغار فأقلعت السحاب وخرجوا يمشون في الشمس وسال الوادي شهرا ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود أي بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فلذا قال الناظم فبسبب دعائه استهلت بالغيث أي صب المطر (١٦٦) بشدة سبعة أيام كوامل بالغاء الكسر عليهم سحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة حملها الماء حال كونها تتحرى أي تقصد تلك السحابة بمائها والاسناد مجازي أو المراد الملائكة الموكلون بها مواضع الرعي أي الكلا الذي يرعى ومواضع شرب البهائم فقط بقرينة قرنه مع الكلا ثم عمم فقال وتتحرى أيضا حيث العطاش أي مواضعهم التي يوهي بالبناء للمفعول السقاء وهو القربة منهم فيها أي ان تلك السحابة عمت جميع تلك الاماكن بمائها حتى انها تتحرى الاماكن المعطشة التي تخترق أسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها والانسب تأخير هذا البيت عن البيتين بعده ولما استمرت عليهم تلك المدة أتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم في الوقت المذكور يشتكون أذى تلك السحابة أي الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وفي ذكر الناس مجاز فكأنه أي الاعرابي متكلم بلسانهم لاشتراكهم في ذلك ورخاء أي سعة من المطر يؤذي الانام غلاء أي شدة عظيمة فبسبب ان هذا الرخاء بهمز الذي المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها دعا صلى الله عليه وسلم ربه أن يكشفه عنهم فانجلى الغمام أي زال السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون في الشمس واذا تقرر هذا فقل أيها العالم بهذه الواقعة ماشئت من الكلام الدال على التعجب في وصف غيث اقلاعه أي انكشافه استسقاء أي ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه ﴿تنبيه﴾ ما تقدم من أن الناظم أشار الى القضية التي وقعت في المدينة هو الظاهر وقد ذكرها البخاري في مواضع عديدة من صحيحه ويحتمل أن يكون أشار الى ما في

من كونه كانت تعجبه الذراع اذ يجوز كانت تعجبه وليست باحب اللحم اليه كما قال بعضهم ولا محذور في محبته صلى الله عليه وسلم للحم وغيره من المستلذات لان محبة ذلك بالطبع والغريزة من كمال الخلقة وانما المحذور المنافي للكمال كما تقدم التفات النفس وعناؤها في تحصيل ذلك وتأثرها لفقده ثم كما يحتمل انه كان يعجل للذراع لما قالته عائشة يحتمل أن يكون ليقل زمن الاكل ويتفرغ لمصالح نفسه والمسلمين كما قال ابن حجر * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد نا مسعر قال سمعت شيخا من فهم) بفتح فسكون قبيلة واسم هذا الشيخ محمد بن عبد الله بن أبي رافع الفهمي ويقال اسم أبيه عبد الرحمن مقبول من الرابعة كذا في التقريب (يقول) وفي كثير من النسخ قال بلفظ الماضي (سمعت عبد الله بن جعفر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أطيب اللحم) أي ألذه وأحسنه (لحم الظهر) وجه مناسبة هذا الحديث للترجمة ان أطيبيته تقتضي انه صلى الله عليه وسلم ربما تناوله في بعض الاحيان لان من لم يذق لم يعرف ويمكن أن يكون بطريق الكشف قاله في جمع الوسائل وفي الجامع الصغير كان يعجبه الذراع والكتف رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة قال ابن حجر ومما كان يحبه صلى الله عليه وسلم أيضا الرقبة على ماورد عن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت شاة فارسل اليها النبي صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم فقالت ما بقي عندي الا الرقبة واني لاستحيي ان أرسل بها اليك فقال للرسول ارجع اليها فقل أرسلي بها فانها هادية الشاة وأقرب الشاة الى الخير وابعدها من الاذى أي فهي كلحم الذراع والعضد أخف على المعدة وأسرع هضما ومن ثم ينبغي أن يؤثر من الغذاء ما كثر نفعه وتأثيره في القوى وخف على المعدة وكان أسرع انحدارا عنها وهضما لان ما جمع ذلك أفضل الغذاء اه وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يكره من الشاة سبعا المرارة والمثانة والحياء والذكر والانثيين والغدة والدم وكان أحب الشاة اليه مقدمها قال في الجامع الصغير رواه الطبراني في الاوسط عن ابن عمر والبيهقي عن مجاهد مرسلا وابن عدي والبيهقي عن مجاهد عن ابن عباس وفي الجامع الصغير أيضا كان يكره الكليتين لمكانهما من البول رواه ابن السني في الطب عن ابن عباس وفيه أيضا كان يكره أن يأكل الضب رواه الخطيب في التاريخ عن عائشة * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا زيد بن الحباب عن عبد الله بن المؤمل) بتشديد الميم المفتوحة وقيل بكسرها (عن ابن أبي مليكة) بالتصغير قيل هو عبد الله بن عبد الله بن أبي مليكة منسوب الى جده ويقال اسم أبي مليكة زهير (عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل) كان المناسب ذكر هذا وما بعده متصلا بما تقدم أول الباب * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا أبو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة وهو مشهور بكنيته واسمه شعبة أو محمد أو عبد الله أو سالم أو رؤبة أو مسلم أو مطرف او حماد أو خبيب وهو المقرئ صاحب عاصم القارئ المشهور (عن ثابت عن أبي حمزة الثمالي) بضم المثلثة وتخفيف الميم منسوب الى ثمالة وهو لقب عوف بن أسلم أحد أجداد أبي حمزة لقب بذلك لانه كان يسقيهم اللبن بثماله أي برغوته يروي عن أنس وغيره وعنه وكيع وأبو نعيم وخلق ضعفوه (عن الشعبي عن أم هانئ

البخاري أيضا عن ابن مسعود قال ان قريشا أبطؤا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله وفي رواية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر قال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم اه وفي البخاري أيضا ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون اه

(ثم أثرى الثرى فقرت عيون
بقراها وأحييت أحياء
فترى الارض غبه كسماء
أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو
ر رباها البيضاء والحمراء)

أي ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم أثرى الثرى من أثرى الرجل اذا كثر ماله أي اهتزت الارض وربت وعلا ترابها وكثر حتى كثرت فوائده بانباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال فبسبب هذه الكثرة قرت أي فرحت واطمأنت عيون بعمارة قراها أي العيون أو المدينة جمع قرية بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها وأحييت بعد ما حصل لها من الجدب والشدة ما صيرها كالموتى من أحياه الله فحيي والاكثر الادغام والاحياء جمع حي أي قبائل العرب وفيه تجنيس الاشتقاق في ثلاثة فترى أنت لو شاهدت تلك الواقعة الارض غبه أي عقب ذلك الغيث المتولد عنه ما يدهش الابصار من النبات والازهار كسماء حال ان كانت الرؤية بصرية أو مفعول ثان على انها علمية أشرقت الظلماء من أجل نجومها أي زالت عنها والمراد تبدلت ظلمتها بالاشراق من نجومها ووجه الشبه زوال الظلمة الحقيقية في السماء باشراق نجومها والمجازية في الارض بمحو الجدب وسدل الخصب فلذا تراها أيضا تخجل بضم التاء من أخجله اذا أدهشه وحيره وفي القاموس خجل كفرح استحيا ودهش وبقي ساكنا لا يتكلم ولا يتحرك والدر اللؤلؤ وهو مفعول مقدم واليواقيت جمع ياقوتة معطوف عليه وهو جوهر معروف فارسي معرب أجوده الاحمر الرماني واسناد الخجل

بهمز في آخره هي بنت أبي طالب واسمها فاختة وقيل هند لها صحبة وأحاديث (قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم) أي في بيتي يوم فتح مكة (فقال أعندك شيء) أي مما يؤكل (فقلت لا الا خبز يابس وخل) الظاهر ان لا لنفي الجنس وما بعد الا بدل من اسم لا المحذوف أي لا شيء عندنا الا خبز الخ وفيه دليل لجواز حذف المبدل منه كما قال ابن مالك وأما قول ابن حجر انها عاملة عمل ليس وان الاستثناء مفرغ فليس بظاهر لان ما قبل الا غير طالب لما بعدها فكيف يكون مفرغا والله أعلم ولم تقل لي عندي خبز يابس وخل اظهارا لحقارة ما عندها في جنب عظمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم طيب خاطرها بقوله (هاتي) أي أحضري ما عندك (ما أقفر) أي ما خلا (بيت من ادم) بضمتين ويسكن الثاني متعلق باقفر (فيه خل) صفة بيت وفيه الفصل بين الصفة والموصوف بالاجنبي قال في جمع الوسائل وفي رواية الطبراني وأبي نعيم عنها والحكيم الترمذي عن عائشة بلفظ ما أقفر من ادم بيت فيه خل وبه يزول الاشكال ويحمل التغيير على انه من بعض الرواة وقال ابن حجر ليس فيه الفصل باجنبي من كل وجه لان أقفر عامل في بيت وصفته وفيما فصل بينهما وفي النهاية أي ما خلا من الادام ولا عدم أهله الادام والقفار الطعام بلا ادام وأقفر الرجل اذا أكل الخبز وحده والقفار هي الارض الخالية التي لا ماء فيها وفي الحديث الحث على عدم النظر للخبز والخل بعين الاحتقار وانه لا بأس بسؤال الطعام ممن لا يستحيي السائل منه لصدق المحبة والعلم بود المسؤل لذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن عمرو بن مرة) بن عبد الله بن طارق (عن مرة) بن شراحيل (الهمداني عن أبي موسى) أي الاشعري (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) سيأتي هنا تفسير الثريد وفي الحديث بعد تفسير الثريد وما بعده قال المناوي من أطلق نساءه ورد عليه خديجة وهي أفضل من عائشة على الصواب لتصريحه بانه لم يرزق خيرا من خديجة ولخبر ابن أبي شيبة فاطمة سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران وآسية وخديجة فاذا فضلت فاطمة فعائشة أولى ومن أول بنساء زمنها ورد عليه فاطمة وفي شأنها قال المصطفى ما سمعت وقد قال جمع من السلف لا يعدل ببضعة رسول الله أحد قال البعض وبه يعلم أن بقية أولاده كفاطمة اه ومما يرجح القول بان خديجة أفضل من عائشة ان عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها عز وجل ويفهم من حديث ابن أبي شيبة أن خديجة أفضل من فاطمة ويعارضه ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون وسئل ابن داود أيهما أفضل فاطمة أم أمها فقال فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وسلم فلا نعدل بها أحدا وسئل السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة وعن ابن العماد ان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا السيادة انتهى وانما لم يساو فاطمة غيرها من أخواتها لشدة شبهها به صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا ولان سائر أخواتها متن في حياته صلى الله عليه وسلم وفاطمة انما ماتت بعده فكان صلى الله عليه وسلم في

اليهما مجاز والمراد اضمحلال حسنهما بالنسبة الى تلك الازهار وعدم قوتهما على مقاومة حسن تلك الانوار لان النبات يحصل بشمه الانتعاش ويكفى مؤنة المعاش أوهو على حذف مضاف أى أهلهما بمعنى ان من بأيديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلاونهارا لا يملكون أنفسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة والنور بفتح النون أى الزهر وهو بيان لفاعل الخجل والربا بضم الراء المحال المرتفعة لان نباتها أبهى وأبهر والبيضاء فاعل تخجل وهو راجع للدر والحمراء راجع لليواقيت أى تدهش تلك الانوار المنوعة الالوان التى هى نور رباها الدر واليواقيت ففيه لف ونشر مرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين وقد أكثر الشعراء من تشبيه نبات الارض بالذهب والفضة وغيرهما كما يحكى ان أبانواس غفر الله له بقوله

تأمل فى نبات الارض وانظر
الى آثار ماصنع المليك
عيون من لجين شاخصات
وأحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

(وقال آخر)

ان هذا الربيع شئ عجيب
تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودرّ
حيث درنا وفضة فى فضاء

(ليته خصنى برؤية وجه
زال عن كل من رآه الشقاء)

لماذكر الناظم رحمه الله من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة مايشوق كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم لان من رأى ليس كمن سمع تمنى ذلك فقال ليته أى النبي صلى الله عليه وسلم خصنى برؤية وجهه الكريم مناما أو يقظة لان من رآه مناما فقد رأى الحق لان الشيطان لا يتمثل به كما صح فى الحديث الذى رواه البخارى عن أنس وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى زاد مسلم أو فكأنما رآنى فى اليقظة والحق انه لا يشترط فى حقيقة رؤيته صلى الله عليه وسلم ان يرى على صورته التى كان عليها لكن اذا رئى عليها كانت الرؤية على ظاهرها لا تحتاج الى تعبير واذا رئى على غيرها كان ذلك راجعا الى الرائى لتخيله الصفة على غير ماهى عليه ويحتاج حينئذ الى التعبير قاله

ميزانها كذا كان يقرره شيخنا العلامة أبوعبدالله سيدى محمد بن أحمد المسناوى رحمه الله تعالى وفى الحديث فاطمة خير بناتى انها أصيبت بى وقد اختلف أيضاً هل الافضل مريم بنت عمران على القول بانها ليست بنبية أم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقد تعرض للكلام فى ذلك الشيخ تقى الدين السبكى فى فتاويه الحلبيات وشفى الغليل واقتضب الشيخ جلال الدين السيوطى من كلامه ماهو المقصود وكأنهما مالا الى تفضيل فاطمة على الكل وخديجة على عائشة وقال الشيخ زكريا ما حاصله الذى اعتقده الآن ان جهات التفضيل مختلفة ففاطمة أفضل من جهة البضعة وخديجة أمها أفضل من جهة المؤازرة والنصرة والمواساة قال النبي صلى الله عليه وسلم والله مارزقنى الله خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس وعائشة أفضل من جهة العلم فقد حفظت شيأ كثيرا حتى قيل ان ربع الاحكام منقول عنها وعنه صلى الله عليه وسلم خذوا دينكم عن هذه الحميراء يعنى عائشة وقال عطاء بن أبى رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا لكن قال فى جمع الوسائل اذا لوحظت الحيثية فما يوجد أفضل على الاطلاق مطلقا ولذا قيل ان عائشة أفضل من فاطمة لان كلا منهما تكون مع زوجها فى الجنة ولا شك فى تفاوت منزلتهما وحكى ابن السبكى عن بعض أئمة عصره انه فضل الحسن والحسين على الخلفاء الاربعة أى من حيث البضعة لا مطلقا فهم أفضل منهما علما ومعرفة وأكثر ثوابا وآثارا فى الاسلام ثم قال فى جمع الوسائل والحاصل ان الحيثيات مختلفة والروايات متعارضة والمسئلة ظنية والتوقف لاضرر فيه قطعا فالتسليم أسلم والله أعلم انتهى وفضل عائشة رضى الله عنها ورد فيه شئ كثير وهى عائشة بنت أبى بكر الصديق عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين ودخل عليها وهى بنت تسع سنين ومات صلى الله عليه وسلم وهى بنت ثمان عشرة سنة وعاشت بعده خمسين سنة وتوفيت على رأس ثمان وستين سنة رضى الله عنها وصلى عليها أبوهريرة رضى الله عنه قال العسقلانى فى الصحيح لما جاءت فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ألست تحبين ما أحب قالت بلى قال فاحبى هذه يعنى عائشة وقال تقى الدين السبكى وهذا الامر لاصارف لحمله على الوجوب وحكمه عليه السلام على الواحد حكم على الجماعة فيلزم من هذا وجوب محبتها على كل احد انتهى هذا والثريد هو أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم وانما كان الثريد أفضل على سائر الطعام لانه جامع بين القوة واللذة وسهولة التناول وقلة المضغ بل قال فى النهاية ان القوة اذا كان اللحم نضيجا فى المرق أكثر مما فى نفس اللحم وقال الاطباء انه يعيد الشيخ الى صباه وفى حديث سلمان رواه الطبرانى والبيهقى البركة فى ثلاثة فى الجماعة والثريد والسحور وفى ضرب المثل به اشعار بما أعطيته عائشة رضى الله عنها من حسن الخلق وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأى ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهى تصلح للتبعل والتحدث والايناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مالم يعقل غيرها من النساء وروت مالم يروه مثلها من الرجال قاله الطيبي وتقدم ماقيل ان ربع الاحكام الشرعية منقول عنها وقول

عطاء

المازرى وعياض والقشيرى وبه جمع الحافظ ابن حجر بين القولين ولذا قالوا رؤيته شابا جلدا تدل على سنة شديدة وناقص بعض الاعضاء تدل على خلل فى دين الرائى وزيادته تدل على ادخاله فى الدين ماليس منه قال سيدى ابن أبى جمرة وهذا هو الحق وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه صلى الله عليه وسلم حتى يتبين للرائى هل عنده خلل أم لا لانه صلى الله عليه وسلم نورانى مثل المرآة المصقولة ما كان فى الناظر اليها من حسن أو غيره تصور فيها وهى فى ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها ولا شين اه هذا والاظهر أن الناظم رحمه الله تمنى

عطاء بن أبى رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا وقال عروة بن الزبير ما رأيت أحدا اعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة *قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا اسمعيل بن جعفر نا عبدالله ابن عبدالرحمن بن معمر أبو طواله) بضم الطاء كان قاضى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز (انه سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد) فعيل بمعنى مفعول وهو الخبز المأدوم بالمرق سواء كان مع اللحم وهو الاغلب أو لم يكن كما تقدم (على سائر الطعام) أى باقى ذلك الطعام فالثريد الذى هو الخبز المفتت فى مرق اللحم أو غيره أفضل من ذلك الباقى وليس المراد ان الثريد أفضل الاطعمة على الاطلاق أو يقال المراد تفضيل الثريد على سائر الاطعمة التى كانت معروفة عند العرب لا على الاطعمة كلها *قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا عبدالعزيز بن محمد عن سهيل بن أبى صالح) قيل اسمه ذكوان (عن ابيه عن ابى هريرة انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ من ثور أقط) الثور بالمثلثة القطعة العظيمة من الاقط كما فى القاموس وهو لبن يجمد بالنار فالاضافة بيانية والمعنى انه توضأ وضوءه للصلاة من أجل أكل قطعة عظيمة من الاقط وفى هذا الوضوء مما مست النار وفى الحديث توضؤا مما مست ولو ثور اقط لكن هذا منسوخ كما تقدم بحديث جابر قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار وهو حديث صحيح رواه أبوداود والنسائى وغيرهما من أهل السنن باسانيدهم الصحيحة ونحو حديث جابر قوله هنا (ثم رآه أكل من كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ) فبين أبو هريرة ان الوضوء مما مست النار نسخ باكله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كتف شاة وترك الوضوء عنه وصلى كما يدل عليه كلمة ثم المقتضية للتراخى وهذا مما أجمع عليه بعد الصدر الاول وأما حمل الوضوء على معناه اللغوى فبعيد من قوله ثم صلى ولم يتوضأ كما تقدم قال فى جمع الوسائل والظاهر من ايراد هذا الحديث فى هذا الباب أن المصنف أراد أن يبين أنه صلى الله عليه وسلم أكل ثور الاقط وكتف الشاة طريق الائتدام وليس فى لفظ الخبز ما يدل عليه صريحا اللهم الا أن يقال انهما من جملة الادام عادة فاعتبر العرف وحمل عليه الحديث وذكره هنا والله أعلم بالصواب *قال المصنف (حدثنا ابن ابى عمر) قيل اسمه محمد بن يحيى بن ابى عمر منسوب الى جده وقيل ان اباعمر كنية يحيى (نا سفيان ابن عيينة عن وائل بن داود عن ابنه وهو بكر بن وائل عن الزهرى عن أنس بن مالك قال أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق) هو دقيق القمح أو الشعير المقلو أى جعل طعام وليمته عليها التمر والسويق وفى الصحيحين أولم عليها بحيس وهو الطعام المتخذ من التمر والاقط والسمن وقد يجعل عوض الاقط الدقيق كذا فى النهاية والوليمة اسم لطعام العرس خاصة من الولم وهو الجمع وزنا ومعنى لان الزوجين يجتمعان وقيل ان اسم الوليمة يقع على كل دعوة تتخذ لسرور من نكاح وختان وغيرهما لكن استعمالها عند الاطلاق فى النكاح ويقيد فى غيره فيقال وليمة الختان ونحو ذلك وصفية هذه هى بنت حيى بن أخطب اليهودى وهى من نسل هرون أخى موسى الكليم عليهما السلام قال لها النبى صلى الله عليه وسلم لما أغضبها بعض نسائه جدك نبىّ وعمك نبىّ وزوجك نبىّ وهى من أجمل نساء قومها كانت عروسا تحت كنانة بن الربيع بن أبى

أن يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة فى دار الدنيا وقد ذكر الغزالى ان أرباب القلوب قد يشاهدون فى يقظتهم الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يرتقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق نطاق النطق عنها اه قيل وتواترت الاخبار عن الاولياء بذلك وصح عن مولانا أبى الحسن الشاذلى أنه قال لو حجب عنى النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين وصح ذلك أيضا عن تلميذه سيدى أبى العباس المرسى والناظم تلميذه فيغلب على الظن انه سأل هذه الرؤية الخاصة ولا صحبة بهذه الرؤية لان شرطها الوقوع فى الحياة المتعارفة والباء فى قوله برؤية باء الاختصاص والغالب دخولها على المقصور كما هنا لكن على معنى ليته جعلنى من جملة من خص بالرؤية وقصرت

 عليه فتمناه الانخراط فى سلك من سبقت له العناية فصار من جملة من أتحف بالرؤية التى هى منتهى كل نهاية ولذا قال زال أى تحول وذهب عن كل من رآه مؤمنا جميع أنواع الشقاء أو معنى الاختصاص راجع الى ما ثمرة تلك الرؤية من العوارف والمعارف والامدادات ولا بدع فى أن يخص بشئ لم يكن لغيره لان الجناب رفيع والملجأ منيع ويحتمل أن يكون مدخول الباء مقصورا عليه والقصر اضافى أى ليته جعلنى مقصورا على الرؤية بحيث تستغرقنى مشاهدته ولا تغيب عنى طلعته وهذا أنسب بالمعنى الذى ظن بالناظم انه قصده وأظهر من ذلك كله ان يكون ليته جعلنى من أهل الخصوصية بسبب رؤية وجهه الشريف ﴿فائدة﴾ من الاسباب المهمة فى رؤية

النبي صلى الله عليه وسلم كثرة التحبب اليه ظاهرا بكمال التقوى في الدين ودوام ذكره الشريف ومفاخره ومعجزاته وخصائصه وكثرة الصلاة والسلام عليه جهرا وسرا خالصا مخلصا وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير أن من صلى بهذه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهي اللهم صل على روح محمد في الارواح اللهم صل على جسد محمد في الاجساد اللهم صل على قبر محمد في القبور اه وذكر اليافعي ان (١٧٠) من قام ليلة الخميس نصف الليل وتوضأ وصلى ثلاث عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة وسورة أرأيت الذي يكذب بالدين عشر مرات و يستغفر الله بين كل ركعتين ثلاثين مرة و يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فانه مادعا الله بشيء عقب ذلك الا استجيب له اه (١) وقال أبو بكر بن العربي في قانون التأويل ذهبت الصوفية الى أنه اذا حصل للانسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق وحسم أسباب مواد الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والاقبال على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له الغيوب ورأى الملائكة وسمع أقوالهم واطلع على أرواح الانبياء وسمع كلامهم اه ومن المقرر المعلوم أن الانبياء بعد ما قبضوا ردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم وقد رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر أن صلاتنا معروضة عليه وان سلامنا يبلغه وان الله تعالى حرم الارض ان تأكل لحوم الانبياء وقد ألف البيهقي جزأ في حياة الانبياء فنبينا صلى الله عليه وسلم

الحقيق فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع و وقعت في السبي واصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وكانت رأت قبل أن القمر سقط في حجرها فتؤول بذلك قال الحاكم وكذا جرى لجويرية أم المؤمنين و في رواية انها صارت لدحية فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر له جمالها وقال له صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبي غيرها وحكمة أخذها منه انها بنت بعض ملوكهم فلقلة نظيرها في السبي وكثرة نظراء دحية خشي من تغيير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان في ذلك رضا الجميع وأسلمت فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها توفيت سنة خمسين وقيل اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع *قال المصنف (حدثنا الحسين بن محمد البصري نا الفضيل بن سليمان نا فائد مولى لعبيد الله بن علي بن أبي رافع) هو القبطي واسمه ابراهيم أو أسلم أو ثابت أو هرمز (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كان للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس أعتقه وكان اسلامه قبل بدر و روى عنه خلق كثير مات قبل قتل عثمان بيسير (قال حدثني عبد الله بن علي) أي ابن أبي رافع (عن جدته سلمى) بفتح أوله وهي زوجة أبي رافع وهي قابلة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وغاسلة فاطمة بنت عميس (ان الحسن بن علي) وفي نسخة الحسين بن علي بالتصغير (وابن عباس وابن جعفر) أي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (أتوها) زائرين لها (فقالوا لها اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان كان من العجب بفتحتين فرسول مرفوع وهو من باب علم وضمير الموصول محذوف في الصلة أي مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وان كان من الاعجاب فرسول اما مرفوع أيضا أي يستحسنه رسول الله أو منصوب قاله في جمع الوسائل والظاهر هو الوجه الثالث (ويحسن أكله) من الاحسان أو التحسين أي يعده من المأكول الحسن لانه يكثر من أكله (فقالت يابني لا تشتهيه اليوم) أفردت مع أن الجمع هو الملائم ايثارا لا كبرهم أو لانهم لما اتحدت طلبتهم صار وابمنزلة شخص واحد (قال بلى اصنعيه لنا) لا نا نشتهيه على سبيل البركة و نفيها محمول على طريق الطبع وعرف الوقت لا تساع العيش وذهاب ضيقه الذي كان أولا ولهذا قيدته باليوم (قال) أي الراوي عن سلمان أو أحد الثلاثة (فقامت فاخذت شيئا من الشعير) أي قليلا (فطحنته ثم جعلته) أي دقيقه (في قدر وصبت عليه شيئا) أي قليلا (من زيت) أي زيت الزيتون أو غيره (ودقت الفلفل) حب هندي معروف (والتوابل) بفتح الفوقية وكسر الموحدة ابزار الطعام وهي أدوية حارة يؤتى بها من الهند وقيل هو مركب من الكزبرة والزنجبيل والكمون جمع تابل بموحدة مكسورة أو مفتوحة (فقربته) أي الطعام بعد طبخه (اليهم فقالت هذا مما كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله) قال ابن حجر و روى المصنف وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم أكل السلق مطبوخا بالشعير وأكل الخزيرة بمعجمة مفتوحة فزاي مكسورة فتحتية فراء قال الطبراني كالعصيدة الا انها أرق وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم والجوهري كالقتبي لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه دقيق وقيل هي بالاعجام من النخالة و بالاهمال من اللبن وأكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف

(١) وذكر ابن منظور على خصائص القرآن ان سورة المزمل من أدمن على قراءتها شهرا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ونال منه ما يريد وذكر أيضا في سورة القدر أن من قرأها مائة مرة في زوال الشمس رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه اه ومن منافع القرآن ما نصه من قرأ سورة الكوثر ليلة الجمعة ألف مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة ونام رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه اه منه

الـكاف وتخفيف الموحدة وبمثلثه آخره النضيج من ثمر الاراك وقيل ورقه وفي نهاية ابن الاثير انه كان يحب جمار النخل وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم أتى بجبن في تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو احمد نا سفيان عن الاسود بن قيس عن نبيح) بضم نون وفتح موحدة وسكون تحتية وحاء مهملة (العنزى) بفتح المهملة والنون منسوب الى بني عنزة (عن جابر بن عبد الله) صحابيان (قال أتانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة) يصدق بالضأن والمعز والذكر والانثى (فقال كانهم علموا أنا نحب اللحم) أي فاضا فونا به وقصد بذلك تأنيسهم وجبر خواطرهم دون اظهار الشغف باللحم والافراط في محبتـه وفيه ارشاد المضيف الى أنه ينبغي له أن يبادر على ما يحبـه الضيف ان عرفه والى الضيف الى أنه يخبر بما يحبه حيث لم يوقع المضيف في مشقة قاله ابن حجر ويحتمل انه قصد بذلك مدح اللحم مطلقا كما تقدم نظيره أو في ذلك الوقت للاحتياج الى القوة لمدافعة العدو ومقاومتهم قاله في جمع الوسائل (وفي الحديث قصة) قال المناوي هي معجزة عظيمة محصولها انه طبخ شاة وعجن شيئاً من دقيق الشعير وأخبر النبي سرا فنادى في أهل الخندق بتمامهم هلموا ثم بصق في العجين وفي البرمة فاكلوه وهم ألف حتى تركوه وانحرفوا والبرمة تغط اي تغلي والعجين يخبز وهي مشهورة فلعل الاشارة اليها لكن الحديث المذكور هنا يدل على ذبح الشاة بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم منزلهم وحديث الخندق فيه ان ذبح الشاة كان قبل المجيء فالظاهر انها غيرها اه قال في جمع الوسائل ويمكن دفع الاشكال بان يقال قوله أتانا أي أراد أن يأتينا بمعنا داتنا اياه فذبحنا له شاة فناديناه وأعلمناه بما عندنا من اللحم وصاع الشعير فقال كانهم علموا أنا نحب اللحم ويمكن أن يكون المعنى فذبحنا له شاة أخرى لما رأينا من كثرة أصحابه ويمكن انه صلى الله عليه وسلم جاء منزل جابر لحاجة ثم رجع فانقلب جابر الى بيته وصنع ما صنع ثم أخبره به فوقع ما وقع والله أعلم وهـذا الحديث من باب المعجزات واستيفاؤها يستفاد من المطولات وقد نقل ابن حجر هنا منها جملة وافرة * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر) أي محمد بن يحيى نا سفيان نا عبد الله بن محمد بن عقيـل) أي ابن أبي طالب (سمع جابرا قال سفيان) أي في اسناد آخر (ونا محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه فدخل على امرأة من الانصار) أي معها خدمها وحشمها (فذبحت له شاة فاكل) أي النبي صلى الله عليه وسلم أصالة وغيره معه تبعا (منها وأتته بقناع) بكسر القاف و والطبق الذي يؤكل عليه (من رطب فاكل منـه ثم توضأ للظهر وصلى ثم انصرف) من صلاتها أو من محلها (فأتته بعلالة) بضم العين المهملة أي بقية (من علالة الشاة) أي من بقية لحمها والعلالة كما في القاموس بقية اللبن وغيره فمن للبيان خلافا لمن استبعده (فاكل) فيه دليل على انه لا حرج في الاكل بعد الاكل وان لم يطل فصل ولا انهضم الاول أي ان أمن التخمة باعتبار عادته أو قلة المأكول ولم يتخلل بينهما شرب لانه حينئذ أكل واحد وفيه انه أكل من لحم في يوم مرتين لا انه شبع منه في يوم مرتين كما توهم اذ لا يلزم من أكله مرتين الشبع في كل منهما فمن عارضه بقول عائشة السابق ما شبع في يوم من لحم مرتين لم يكن على بصيرة قاله المناوي (ثم صلى العصر ولم يتوضأ) فيه دليل على ان الوضوء الاول

حي بجسده وروحه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الارض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منها شيء وانه مغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء باجسادهم فاذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد اكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي الى التخصيص برؤية المثال وقد سئل بعضهم كيف يراه الراؤن المتعددون في أقطار الارض فانشد

كالشمس في أفق السماء وضوءها * قطع البلاد مشارقا ومغاربا

وقد صح عن جماعة من الاولياء انهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فمن ذلك ما ذكروه عن الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الظهر فقال لي يا بني ألا تتكلم فقلت يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء بغداد قال افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا وقال تكلم على الناس وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج علي فرأيت عليا قائما بازائي في المجلس فقال لي يا بني لم لا تتكلم فقلت يا أبتاه قد ارتج علي فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا فقلت لم لم تكملها سبعا قال تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عني فقلت غواص الفكر يغوص في بحر القلب على در المعارف فيستخرجها الى ساحل الصدر فينادي عليها بشار ترجمان اللسان فتشترى بنفائس حسن الطاعة في بيوت اذن الله أن ترفع اه ورأى بعض العارفين النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه ان يقول اللهم ان حسناتي من عطائك وسيئاتي من قضائك فجد بما أنعمت على ما قضيت وامح ذلك بذلك جلت ان تطاع الا باذنك أو تعصى الا بعلمك اللهم ما عصيت حين عصيت استخفافا بحقك ولا استهانة بعذابك لكن لسابقة سبق بها علمك فالتوبة اليك والمغفرة لديك اه وقد شاع عن سيدي أحمد الرفاعي انه لما حج ثم وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف فقبلها ورآها كل من حضر هذا وقد قال شيخ شيوخنا ابن

ﷺ كرى رحمه الله فى همزيته   نظرة منه تجذب القلب والرو * ح فتسعى لأمره الاعضاء   نظرة فيه تكسب النور والقر *
ب وفيها السرور والآلاء   (مسفر يلتقى الكتيبة بسا * ما اذا اسهم الوجوه اللقاء)   هذه صفة ثانية لوجه أى مشرق نوره الذى
يكاد يخطف الابصار يلتقى ذلك الوجه أيضا الكتيبة أى الجيش من تكتب اذا اجتمع حال كونه بساما أى متبسما يفتر عن مثل سنى
البرق أو حب الغمام   ان تبسم يلمع   النور من فيـ * ـه أو افتر تنجلى الظلماء   وذلك اذا أسهم الوجوه اللقاء من سهم

وجهه اذا احمر وتغير أى اذا غير اللقاء للعدو الوجوه فان وجهه صلى الله عليه وسلم فى هذه الحالة التى تتغير فيها الوجوه وتضطرب يزداد نورا واشراقا وابتساما لما رزقه الله تعالى من عظيم الشجاعة المحصلة لغاية الطمأنينة والثبات والسكينة لعلمه بأن الله ناصره وحافظه وقوة يقينه بمولاه وشجاعته صلى الله عليه وسلم وثباته فى المواطن الهائلة أمر معروف مشهور وفى كتب السير بعضه مسطور (جعلت مسجد الله الارض فاهتـ * ـز به للصلاة فيها حراء) الضمير فى له للوجه المكرم وأمته تبع له والمسجد موضع السجود والارض للعموم أى جميعها صالح للسجود فيه مباح له أو المسجد على بابه مجاز أى لانه لما جازت الصلاة فى كل جزء منها صار جميعها كانه مسجد وفى البخارى عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم

قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من   فلا
أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس
عامة اهـ وفى حديث آخر وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم وقيل ان الصلاة لم تكن تباح لهم الا فى موضع يتيقنون طهارته بخلاف
هذه الامة فابيحت لهم فى كل الارض الا ما يتيقنون نجاسته والاول أولى فبسبب هذا الجعل المذكور اهتز أى تحرك طربا وفرحا به صلى الله
عليه وسلم لاجل الصلاة فى الارض الجبل الذى الشان فيه انه يرسى الارض اذا تحركت وهو حراء يمد و يقصر و يؤنث و يذكر باعتبار البقعة

لم يكن مما مست النار أو الاول بطريق الاستحباب والثانى لبيان الجواز قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف
(حدثنا العباس بن محمد الدورى نا يونس بن محمد نا فليح بن سليمان عن عثمان بن عبد الرحمن عن يعقوب
ابن أبى يعقوب عن أم المنذر) يقال اسمها سلمى بنت قيس بن عمرو الانصارية من بنى النجار و يقال هى
احدى خالاته صلى الله عليه وسلم قال صاحب المشكاة هى بنت قيس الانصارية و يقال العدوية لها صحبة
و رواية (قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى على ولنا دوال) جمع دالية وهى العذق من النخلة
يقطع بسرا ثم يعلق فاذا أرطب يؤكل والواو فيه منقلبة عن الالف (معلقة) بالرفع صفة مؤكدة لدوال (قالت
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل) أى قائما كما هو الملائم للمقام أو قاعدا (وعلى معه يأكل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مه) مه اسم فعل بمعنى اكفف (ياعلى فانك ناقه) اسم فاعل من نقه الشخص
بفتح القاف وكسرها أى قريب العهد بالمرض (قال فجلس على والنبى صلى الله عليه وسلم يأكل قالت
فجعلت لهم) أى لاهلها وللضيفان ووقع فى بعض نسخ المصابيح وفى بعض نسخ الشمائل له بضمير الافراد
والاظهر انه للنبى صلى الله عليه وسلم لانه الاصل والمتبوع كما يدل عليه صيغة الجمع ويبعد أن يكون الضمير
لعلى (سلقا) بكسر فسكون بقل معروف (وشعيرا) والمعنى فطبخت وقدمت لهم (فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ياعلى من هذا) أى لا من غيره (فأصب) قال ابن حجر أى امامن هذا فاصب فالفاء جواب مقدر (فان هذا)
وفى نسخة فانه (أوفق لك) لان السلق والشعير من أنفع الاغذية للناقه لما فى ماء الشعير من التغذية والتلطيف
والتليين وتقوية الطبيعة بخلاف الفاكهة فانها تضر بالناقه لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم
القوة فاوفق بمعنى موافق اذ لا أوفقية فى الرطب أصلا و يصح كونه على حقيقته بان يدعى ان فى الرطب موافقة
له من وجه وان ضره من وجه آخر وفى الحديث انه ينبغى الحمية للمريض والناقه آكد فان التخليط يوجب
انتكاسه وهو أصعب من ابتداء المرض وقد نطق التنزيل بطلب الحمية حيث قال وان كنتم مرضى الى
قوله فتيمموا فحمى المريض من استعمال الماء لكونه يضره وأما الخبر الدائر على الالسنة الحمية رأس الدواء
والمعدة بيت الداء ودواء كل جسد مااعتاد فليس بحديث وانما هو من كلام الحرث بن كلدة طبيب
العرب قاله المناوى وفيه أيضا ان التداوى مشروع ولا ينافى التوكل اقتداء بسيد المتوكلين كما لا ينافيه دفع
الجوع بالاكل وقد ورد فى طلب التداوى أحاديث * ففى الصحيح ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء فتداووا
و ورد ان الله تعالى بعث ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء والدواء فكل ما شرب المريض من الدواء لم يقع
على الداء فاذا أراد الله برأه أمر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وأما خبر من
استرقى واكتوى برئ من التوكل فمعناه برئ من توكل المتوكلين السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير
حساب فان بعض التوكل أفضل من بعض أو برئ من التوكل ان استرقى بمكروه أو علق شفاءه بوجود نحو
الكى وأعرض عن أن الشفاء من عنده تعالى وأما من فعله على وفق الشرع ناظرا الرب الدواء متوقعا للشفاء
من عنده قاصدا لصحة بدنه للقيام بطاعة ربه فتوكله باق بحاله فان سيد المتوكلين عمل بذلك فى نفسه وغيره

والمكان فيمنع من الصرف و يصرف وهو جبل بقرب مكة على يسار الخارج منها ذاهبا الى منى كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وأشار بهذا الى ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال عليه الصلاة والسلام اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد ورواه البخاري في أحد بلفظ انه كان معه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله الشريفة وقال اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ورواه النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل

يقابل حراء وكان معه عليه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارة الحضيض أي التي في قراره وأسفله فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وهذا محمول على تعدد القضية بدليل اختلاف المحال والحال فيهما وفي قول الناظم اهتز اشارة الى أن اهتزازه للفرح والطرب لا للسخط والغضب وذلك لان الله تعالى خلق في الجمادات ادراكا أدركت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما حل على تلك الجبال حصل لها من ذلك الجلال ما أوجب تحركها نشاطا ثم ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن المقام يقتضي الفرح مع ملازمة الادب و يحتمل أن يكون تحركها هيبة وجلالا فعرفها بأن من حل عليها يغلب في جانبه مشاهدة ما يناسب حاله من غاية الادب ولا ينافي الفرح والطرب بل الاولى هو الجمع فافهمه والله أعلم

فلا بد من التعلق بالله تعالى ولا بد من عمل الاسباب في الظاهر وخلو الباطن من التعلق بها وانظر النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه وربط على بطنه الحجر من الجوع وجاهد وواصل الايام العديدة وقال بعد ذلك لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل رحمته فرجع الى التعلق بالله وترك النظر الى الاسباب والتعلق بها فالتمسك بالحقيقة فقط أو بالشريعة فقط خلاف الصواب الذي هو الجمع بينهما وقد قيل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا فتعطيلها يقدح في التوكل انظر استيفاء ذلك في كتاب الاحياء وسيأتي شيء من هذا أول باب الحجامة وانه اختلف هل ترك التداوي فضيلة أو التداوي أفضل ودليل كل من القولين ثم الادوية المعنوية كصدق الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه والخضوع بين يديه مع الصدقة والاحسان والتفريج عن المكروب أصدق فعلا وأسرع نفعا من الادوية الحسية بشرط تصحيح النية ومن ثم ربما تخلف الشفاء عمن استعمل طب النبوة لمانع قام به من نحو ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول وهذا هو السبب أيضا في عدم نفع القرآن لكثيرين مع أنه شفاء لما في الصدور انظر جمع الوسائل وابن حجر وقد ذكر ابن حجر هنا كثيرا من الامراض التي طبها صلى الله عليه وسلم فانظره * قال المصنف (حدثنا محمود ابن غيلان نا بشر بن السري عن سفيان) أي الثوري (عن طلحة بن يحيي عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيني فيقول أعندك غداء) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة والمد وهو الطعام الذي يؤكل أول النهار (فاقول لا) أي احيانا (قالت فيقول اني صائم) في رواية صحيحة اني صائم اذن أي ناو للصوم وفيه انه لا بأس باظهار النوافل لحاجة كتعليمهم مسئلة كما هنا وفيه جواز الصوم بنية من النهار وبجواز ذلك قال أبو حنيفة والشافعي والاكثرون وقال مالك يجب التبييت لعموم حديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل قال ولا دليل في اني صائم اذن لاحتمال اني صائم اذن كما كنت أو انه عزم على الفطر لعذر ثم تمم الصوم واستبعد ابن حجر حمل اني صائم على ذلك (قالت فاتاني يوما فقلت يا رسول الله انه) أي الشأن (أهديت لنا هدية قال وما هي قلت حيس) بحاء مهملة مفتوحة وتحتية ساكنة بعدها سين مهملة هو التمر مع السمن والاقط وقد يجعل عوض الاقط الدقيق أو الفتيت ثم يدلك حتى يختلط وأصل الحيس الخلط قاله في جمع الوسائل وقال العسقلاني

السمن والتمر معا ثم الاقط * الحيس الا انه لم يختلط

(قال أما) بالتخفيف للتنبيه (اني أصبحت صائما قالت ثم أكل) قال ابن حجر فيه التصريح بجواز الخروج من صوم النفل وهو مذهب الشافعي كالاكثرين ويوافقه خبر الصائم المتطوع أمير نفسه ان شاء صام وان شاء أفطر ومنعه مالك الا لعذر لقوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولامره صلى الله عليه وسلم عائشة بالقضاء لما أكلت في صوم نفل وجوابه ان الآية محمولة على الفرض جمعا بين الادلة والحديث مرسل فلا حجة فيه وعلى التنزل فيحمل الامر بالقضاء على الندب جمعا بين الادلة أيضا اه وفيه ان الحديث ليس بصريح في

(مظهر شجة الجبين على البر * ء كما أظهر الهلال البراء) مظهر ذلك الوجه الشريف شجة أي جرح الجبين وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ والمراد هنا الجبهة فهو من مجاز المجاورة وعلى البرء أي فيه أو معه وما مصدرية والبراء أول ليلة أو يوم من الشهر أو آخرها أو آخره وأشار الناظم الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقد روى الطبراني وغيره ان عبد الله بن قميئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن قميئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله أي صغرك وأذلك فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن اسحق عن حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعيته

صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وعند ابن عائذ من طريق الاوزاعى بلغنا انه لما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيأ فجعل ينشف دمه وقال لو وقع شيء منه على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وروى (١٧٤) عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها وراجع المواهب وغيرها من كتب السير تطلع على تمام الخبر وأشار بقوله كما أظهر الخ الى أن وجهه المكرم أظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين بل فيه غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراؤن لذلك والراوون عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها فيقتدوا به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال فى وجهه الذى هو أحسن من الهلال ولذا قال

(ستر الحسن منه بالحسن فاعجب

لجمال له الجمال وقاء) أى ستر ذلك الوجه الحسن الاصلى منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال أصلى له الجمال العارض وقاء وذلك لان الله تعالى أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التى لم يعطها لمخلوق فى باطنه وظاهره فجعله كله نورا ولذا لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من أنوارها الباطنة ما يصيرها كالهلال فى وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بمحسوس يوضح ذلك ويكشفه فقال (فهو كالزهر لاح من سجف الاكمام والعود شق عنه اللحاء) فهو أى ماظهر بالشجة من باطن بدنه الشريف كالزهر أى نور النبات اذا لاح أى ظهر من السجف بفتح السين وكسرها وسكون الجيم وفتحه ضرورة أى ستر والاكمام جمع كم بكسر الكاف

المقصود لاحتمال ان معنى أصبحت صائما أى مريد اللصوم وقاصدا له من غير صدور نية جازمة ويمكن انه كان صائما ثم أكل لضرورة وان الحديث المرسل حجة عند الجمهور وحمل الامر على الندب خلاف الاصل وأما حديث الصائم المتطوع الخ فمعناه انه أمير نفسه قبل الشروع ولو كان عادته ذلك الفعل تطوعا وقد أجمع العلماء على ان الشروع فى الحج والعمرة يلزم فكذا غيرهما من العبادات والا فيلزم الملعبة فى الصلاة مثلا بان يشرع فيها ويقطعها قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا عمر بن حفص بن غياث نا أبى عن محمد بن أبى يحيى) قيل اسمه سمعان (الاسلمى عن يزيد بن أبى أمية) لم يسم (الاعور) صفة لاحدهما (عن يوسف بن عبد الله بن سلام) صحابيان وفى نسخة صحيحة زيادة عن عبد الله بن سلام قال صاحب المشكاة فى أسماء رجاله يوسف بن عبد الله يكنى أبا يعقوب كان من بنى اسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل اليه وأقعده فى حجره وسماه يوسف ومسح رأسه ومنهم من يقول له رواية ولا رواية له وأما أبوه عبد الله بن سلام بتخفيف اللام فيكنى أبا يوسف (قال) أى عبد الله على نسخة زيادة عن عبد الله أو ابنه (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمرة ثم قال هذه) أى التمرة (ادام هذه) أى الكسرة (وأكل) قال الطيبى لما كان التمر طعاما مستقلا ولم يكن متعارفا فالائتدام به أخبر صلى الله عليه وسلم انه صالح للائتدام به وفى الحديث تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على الاصح فالجمع بينهما من أحسن التدبير وفيه القناعة فى الائتدام بما تيسر وفيه جواز وضع الادام على الخبز قال ابن حجر ومحله ان سلم ما اذا لم يقذره بحيث يعافه غيره * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن) يعنى الدارمى (قال نا سعيد بن سليمان عن عباد بن العوام عن حميد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الثفل) بضم المثلثة ويكسر وسكون الفاء وهو فى الاصل ما يرسب من كل شيء أو ما يبقى بعد العصر وقد يطلق على ما بقى فى آخر الوعاء من نحو الدقيق والسويق (قال عبد الله) أى شيخ المصنف (يعنى) أى يريد أنس بالثفل (ما بقى من الطعام) أى فى القدر ولعل وجه اعجابه انه منضوج غاية النضج القريب الى الهضم فهو أهنأ وأمرأ والذ أو فى الصحفة ويؤيده ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل فى قصعة فلحسها استغفرت له القصعة رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن نبيشة وقيل الثفل هو الثريد وهو مختار صاحب النهاية وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع فكان يؤثر الناس باول الطعام وأعلاه ويختار لنفسه ما يبقى منه فى أسفل الوعاء وكثير من أغبياء الاغنياء يتكبرون ويأنفون من أكل الثفل ويريقونه وقد جعل الله تعالى فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله صلى الله عليه وسلم صنوف اللطائف وألوف المعارف والظرائف فطوبى لمن عرف قدره واقتفى أثره والاظهر ان المصنف ختم الباب بهذا الحديث المشتمل آخره على ما بقى من الطعام اشارة الى براعة الختم * قاله فى جمع الوسائل بمعناه

(باب

غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد وهو أيضا مثل العود الذي يتطيب به اذا شق عنه اللحاء وهو قشره الاعلى من لحوت الشجر ألحوه اذا قشرته فظاهر الجلد كاللحاء و باطنه كالعود وفي هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه فاق جمال ظاهره ومن ثم قال

(كادأن يغشى العيون سنى منـ * ـه لسر حكته فيـه ذ كاء) فاعل كاد يعود على ما ظهر بالشجة أو على وجهه الكريم و يغشى بالغين المعجمة و بالمهملة أي يعطى العيون سنى بالقصر أي ضوء عظيم خارج منه لسر عظيم حكته أي شابهتـه في ذلك الباطن الذي ظهر ذكاء أي شمس أي شابهت أصله وفي قوله كاد اشارة الى ان هذا الامر وان اقتضاه الحال لم يقع ليتمكن الناس من الاخذ عنه و ينتفعوا بما يشاهدون منه

(صانه الحسن والسكينة ان تظـ * ـهر فيه آثارها البأساء) لما تقرر ان من أسباب عدم شينه بتلك الشجة ما أوتيه من الحسن الذي لم يؤته غيره قال صانه ذلك الحسن أي حفظه لو انفرد فكيف وقد انضم اليه السكينة أي وقار الظاهر مع طمأنينة الباطن وعدم تحركه بما يمتحن به من المؤذيات التي لا يسكن عندها غيره فهما صاناه ان تظهر فيه آثارها البأساء أي الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية الطمأنينة ونهاية الجمال كما مر فهو صلى الله عليه وسلم على غاية الجمال ونهاية الكمال في حالتي السراء والبأساء

(وتخال الوجوه ان قابلته ألبسته ألوانها الحرباء) أي تظن أيت الوجوه ان قابلته أي عاينت وجهه الكريم فوقعت عليها أنواره وجواب ان محذوف أي خجلت من فرط جماله وتلونت بالوان مختلفة كما يشاهد ممن قوي خجله حتى كأن تلك الوجوه عند ذلك التلون ألبستها الحرباء ألوانها وهي دويبة تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة (فاذا شمت بشره ونداه * أذهلتك الانوار والانواء) أي فبسبب هذا الجمال الباهر اذا شمت أي نظرت من شام البرق اذا نظر الى سحابه أين يتوجه بمائه والبشر بكسر الموحدة طلاقة الوجه والندى جوده الفائض العام أي اذا تطلعت الى مخايله ببصرك منتظرا اليه أذهلتك أي أنستك ما كنت بصدده الانوار أي أنواره الباهرة التي تحصل لك من بشره عند رؤية

﴿باب ماجاء في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام﴾

تضمن الحديثان الاولان من أحاديث الباب ان الوضوء الشرعي غير مطلوب عند الطعام وانما يطلب عند الصلاة وتضمن الحديث الثالث ان الوضوء اللغوي وهو غسل اليد مطلوب قبل الاكل و بعده فدل ذلك على ان مراد المصنف بيان كيفية الوضوء المستحب عند الطعام قبله و بعده وحملنا الحديث الثالث على الوضوء اللغوي لئلا يتحقق التناقض بين الاخبار فكأنه يقول باب ماجاء في بيان أن المطلوب عند الطعام الوضوء اللغوي دون الشرعي وكأنه أطلق الوضوء في الترجمة على النظافة الشاملة للشرعي ولغيره انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب) السختياني (عن أبي مليكة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الخلاء) هو في الاصل المكان الخالي والمراد هنا مكان قضاء الحاجة (فقرب اليه طعام فقالوا الا) للعرض (نأتيك بوضوء) بفتح الواو ما يتوضأ به والمعنى الا تتوضأ كما في الحديث الآتي (قال انما أمرت بالوضوء) بضم الواو وهو الوضوء الشرعي (اذا قمت الى الصلاة) أي لا عند الاكل فالحصر اضافي فان الوضوء يجب أيضا عند سجدة التلاوة ومس المصحف وارادة الطواف وليس في هـذا الحديث والذي يليه تعرض لغسل اليدين لاجل الطعام لا نفيا ولا اثباتا فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم غسل يديه عند شروعه في الاكل فلا يتم استدلال من احتج به على نفي الوضوء مطلقا قبل الطعام لوجود الاحتمال * قال المصنف (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي نا سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن الحويرث عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط) هو في الاصل ما انخفض من الارض كانوا يأتونه للحاجة قبل اتخاذ الكنف في البيوت فكنوا به عن نفس الحدث لمجاز المجاورة والمراد به هنا هو المعنى الاصلي بدليل الحديث السابق (فأتي بطعام فقيل له الا توضأ) على حذف احدى التاءين (فقال أأصلي فاتوضأ) روي منصوبا لكونه بعد الاستفهام الانكاري وروي مرفوعا * قال المصنف (حدثنا يحيي بن موسى نا عبد الله بن نمير نا قيس ابن الربيع ح) اشارة الى تحويل الاسناد ولذا عطف فقال (وحدثنا قتيبة قال نا عبد الكريم الجرجاني عن قيس بن الربيع عن أبي هاشم عن زاذان عن سلمان) أي الفارسي (قال قرأت في التوراة) أي قبل الاسلام (أن) بفتح الهمزة ويجوز كسرها (بركة الطعام الوضوء) أي غسل اليدين (بعده) أي بعد أكله (فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما قرأت في التوراة) عطف تفسير و يمكن ان يكون المراد بقوله فذكرت ذلك الخ أي سألته هل بركة الطعام الوضوء بعده والحال اني أخبرته بما قرأت في التوراة من الاقتصار على الوضوء بعده (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده) يحتمل ان يكون اشارة الى تحريف ما في التوراة و يحتمل أنه اشارة الى أن هـذه الشريعة زادت الوضوء قبله أيضا والمراد من الوضوء الاول غسل اليد والحكمة فيه تعظيم نعمة الله ليبارك له فيه نفسه

وجهه والانواء جمع نوء وأصله النجم الذي تضيف العرب المطر اليه فيقولون مطرنا بنوء كذا وهنا كناية عن فواضله وعوارفه وخيراته الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه وأمله وفيه لف ونشر مرتب وجناس لاحق وتشابه الاطراف وهو ختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى نحو قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الآية فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار (أو بتقبيل راحة كان لله * و بالله أخذها والعطاء) أي أوليته خصني بتقبيل أي لثم راحة أي كف كان أخذها

بالله وعطاؤها لله أي لا لاجل ابتغاء وجهه دون غرض آخر و بسبب شهود اعانته وقدرته لبراءته عن كل غرض ينافي الكمال الاعظم لم يقع تصرف منه في شيء منذ أفاض الله عليه خوارق جوده الامع شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى (تتقي بأسها الملوك وتحظى بالغنى من نوالها الفقراء) بفتح التاءين أي تخاف وتحذر بأسها أي شدتها في الحرب الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس الى أن ظفرها الله بجميعهم وكانت تحظى أي تفوز بالغنى الحسي والمعنوي من بعض نوالها أي عطائها العظيم الفقراء جمع فقير أي لانه كان أجود الناس فيعطي عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفي ابتغاء مرضاته يبذل الاموال تارة للفقراء والمحتاجين وتارة ينفقها في سبيل الله وتارة

فان اليد لا تخلو عن تلوث في تعاطي الاعمال فغسلها أقرب الى النظافة والنزاهة ولان المقصود بالاكل الاستعانة على العبادة فهو جدير بان يجري مجرى الطهارة من الصلاة فيبدأ فيه بغسل اليد وظاهر هذا ان غسل اليد مطلوب ولو كانت نظيفة وفي الرسالة وليس غسل اليد قبل الطعام من السنة الا ان يكون بها أذى قال شارحها كرهه مالك وقال انه ليس من الامر أي من السنة المأمور بها فيلزمنا التزامها لانها من فعل الاعاجم ولم يروعن السلف الا أن يخشى أن يكون قد مس بيده شيأ يكره ان يباشر به الطعام انتهى ونحوه في اللمع للتلمساني وقال في المدخل فاذا أراد أن يأكل فلا يخلو أن تكون يده نظيفة أم لا فان كانت نظيفة فهو مخير في الغسل والترك والغسل أولى الا أن التزامه أعني المداومة عليه بدعة فان كان على يده شيء أوحك بدنه أومس اعراقه فلا بد من غسلها اه وقال في الكافي وغسل اليد قبل الطعام و بعده حسن و بركة فيه ثم ذكر حديث سلمان هذا والمراد من الوضوء الثاني غسل اليد والفم من الدسومات والحكمة فيه النظافة واتقاء الروائح الكريهة والمؤذيات قال صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر بفتحتين ولم يغسله فاصابه شيء فلا يلومن الا نفسه أخرجه المؤلف في جامعه وابن ماجه في سننه وأبو داود بسند صحيح على شرط مسلم والنمو والزيادة في فوائد الطعام وآثاره بان يكون سببا لسكون النفس وتقوية العبادات والطاعات والاخلاق المرضية والافعال السنية قال ابن حجر جعله نفس البركة للمبالغة والا فالمراد انها تنشأ عنه فينمو و يزيد بالاول وتعظم فائدته بالثاني لاستلزامه زوال نحو الغمر المستلزم لبعد الشيطان ودحصه وورد بسند ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيأ فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذي من حذاءه اه قال في جمع الوسائل وأغرب بعض الشافعية فقال المراد بالوضوء هنا الوضوء الشرعي وهو خلاف ما صرح به أصحاب المذاهب من أن الوضوء الشرعي ليس بسنة عند الاكل ﴿تنبيه﴾ قال المؤلف في جامعه بعد ايراد حديث سلمان هذا لا يعرف هذا الحديث الا من حديث قيس بن الربيع وهو ضعيف في الحديث اه وقال الذهبي في الكاشف في ترجمته كان شعبة يثني عليه وقال ابن معين ليس بشيء وقال أبو حاتم ليس بقوي وقال ابن عدي عامة رواياته مستقيمة وقال ابن حجر في التقريب صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه انظر جمع الوسائل

﴿باب ماجاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الطعام﴾

﴿أي قبل أكله والمراد به التسمية و بعد ما يفرغ منه﴾

أي من الطعام والمراد به الحمد * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا ابن لهيعة) بفتح فكسر واسمه عبد الله (عن يزيد بن أبي حبيب) اسمه سويد بالتصغير (عن راشد اليافعي) نسبة الى موضع أو الى قبيلة من رعين على ما في القاموس (عن حبيب بن أوس عن أبي أيوب الانصاري) أي الخزرجي واسمه خالد بن زيد وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه كلها ومات بالقسطنطينية مرابطا سنة احدى وخمسين وذلك مع يزيد بن معاوية

يتألف من بها يقوى اسلامه أومن يسلم باسلامه نظراؤه وفي البيتين تجنيس التقابل في ثلاثة مواضع بين الاخذ والعطاء وتتقي وتحظى والملوك والفقراء (لا تسل سيل جودها انما يكـ * فيك من وكف سحبها الانداء) لا تسل أصله بالهمز ثم خفف والسيل الماء الكثير الجاري و بينهما تجنيس التحريف والجود بفتح الجيم المطر الغزير أي لا تسأل هذا الامر المكني به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شيء لا يقدر أحد من البشر قدره بل انما الذي يليق بك ان تسأل ما يكفيك وهو يصل اليك من وكف اي قطر سحبها بضم السين جمع سحاب الانداء جمع ندى وهو البلل أي بلل قطرها على أن بلل هذا القطر فيه الغنى الكلي فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت

سببا لغناه فى الدارين ورضى الله عن سيدنا حسان اذ يقول

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

(درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها ونماء)

أى من أوصاف تلك الراحة العالية أيضا انها درت الشاة أى أرسلت لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن بالكلية اذ لم يطرقها فحل قط ثروة اى كثرة اللبن بها أى بسبب تلك الراحة الكريمة ونماء (١٧٧) أى زيادة فى تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم حين خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قرب رابغ على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا منها لحما ولبنا يشترونه فلم يجدوا عندها شيا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسألها هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك والله ما ضربها من فحل قط فقال صلى الله عليه وسلم أفتأذنين لى أن أحلبها قالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا وشرب هو آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى وتركه عندها راجع ما تقدم

(نبع الماء أثمر النخل فى عا * م بها سبحت بها الحصباء)

أى ومن اوصاف تلك الراحة الجليلة أيضا انه نبع الماء بها أى بسببها ولم يقل منها ليفيد انه نبع تارة منها وتارة من غيرها ببركتها اما الاول فقد قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه الكريمة قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ورويت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزنى صاحب الشافعى ان هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى لان الحجر مألوف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما فى الصحيحين عن أنس أن الناس احتاجوا لصلاة العصر فلم يجدوا الماء فاتى النبى صلى الله

معاوية لما أعطاه أبوه القسطنطينية خرج معه فرض فلما ثقل قال لاصحابه اذا أنا مت فاحملونى فاذا صافقتم العدو فادفنونى تحت أقدامكم ففعلوا ودفنوه قريبا من سورها وقبره معروف الى اليوم معظم يستشفون به فيشفون فكانه اشارة الى أن من تواضع رفعه الله روى عنه جماعة شهد بدرا وأنزل المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة عنده (قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقرب) أى اليه كما فى نسخة (طعام فلم أر طعاما كان أعظم بركة منه أول ما أكلنا) أى فى أول وقت أكلنا فما مصدرية وأول منصوب على الظرفية (ولا أقل بركة) اى منه (فى آخره) اى فى آخر وقت اكلنا اياه (قلنا يا رسول الله كيف هذا) اى ما السبب فى كثرة البركة اول الاكل وقلتها آخره (قال انا ذكرنا اسم الله تعالى حين اكلنا ثم قعد من اكل ولم يسم الله تعالى فاكل معه الشيطان) لان الشيطان يستحل الطعام الذى لم يذكر اسم الله عليه كما فى مسلم فياكله وذلك حقيقة عند جمهور العلماء سلفا وخلفا لامكانه شرعا وعقلا ثم ان تنزيل الحديث على القول بان التسمية سنة عين ظاهر وهو ظاهر المذهب واما على انها سنة كفاية وهو الذى حكاه النووى عن الشافعى فالظاهر كما فى جمع الوسائل ان يقال كلام الشافعى محمول على ما اذا اجتمع جماعة على الطعام فسمى واحد منهم فتسمية هذا الواحد تجزئ عن البواقى من الحاضرين لا عن شخص لم يكن حاضرا معهم وقت التسمية فاذا لم يحضر انسان وقت التسمية عند الجماعة لم تؤثر تلك التسمية فى عدم تمكن شيطان ذلك الانسان من الاكل معه واما ما اختاره ابن حجر من ان المراد هنا ان هذا الذى اكل معه الشيطان انما قعد بعد فراغهم من الاكل ولم ياكل معهم فلم تنفعه تسميتهم فهو خلاف ظاهر الحديث اذ قوله اول ما اكلنا يقتضى ان معنى قوله فى آخره فى آخر اكلنا فيقتضى انه اكل قبل فراغهم واما كلمة ثم فانما تدل على تراخى قعود الرجل عن اول اشتغالهم بالاكل لا على قعوده بعد فراغهم من الاكل والله اعلم نعم انما يحسن الجواب الاول اذا فرضنا ان من اكل بغير تسمية انما جاء بعد فراغ النبى صلى الله عليه وسلم من الاكل والا فيبعد او يستحيل ان ياكل الشيطان معه عليه الصلاة والسلام وربما ارشد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام فى رواية عائشة الآتية لو سمى لكفاكم ولم يقل لكفانا قال ابن مخلص فى هذا الحديث بركة ذكر اسم الله تعالى عند الطعام والشراب وكل ما يستفتح به وانه حرز لذاكره وفيه ان الشيطان لا يقرب ما ذكر اسم الله عليه وانه مطردة للشيطان وفيه ان البركة تقل بترك ذكر اسم الله عز وجل ومخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا يحيى بن موسى نا ابو داود نا هشام الدستوائى) كان يبيع البز الدستوائية فنسب اليها (عن بديل العقيلى عن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن ام كلثوم) قيل هى اللتبية المكية وقيل تميمة بنت محمد بن ابى بكر الصديق (عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم فنسى) اى ترك نسيانا قال ابن حجر وألحق به ائمتنا ما اذا تعمد او جهل او اكره (ان يذكر اسم الله تعالى يعنى على طعامه) اى الذى يريد ان ياكله اى ثم تذكر فى اثنائه انه ترك التسمية (فليقل بسم الله اوله وآخره) اى فى اوله وآخره اى على جميع اجزائه كما يشهد به المعنى الذى قصد بالتسمية فلا يقال ذكرهما يخرج الوسط فهو كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا

عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين أصابعه حتى توضؤا كلهم زاد البخارى وكانوا ثمانين وفى رواية أخرى فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلثمائة وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشتكون العطش فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كامثال العيون فتوضؤا وشربوا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة الف لكفانا وفى رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك فى غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ماء فأتى بها فصبها فى صحفة ثم وضع راحته فيها فتخللت عيون بين أصابعه فرواهم وابلهم وتزودوا منه * وأما الثانى ففى مسلم عن معاذ انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى فسبق رجلان والعين مثل الشراك تبص بشئ من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيأ قالا نعم فسبهما وقال لهما ماشاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شن ثم غسل عليه الصلاة والسلام به وجهه ويديه ثم صب الغسالة فى العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماهنا قد ملئ جنانا أى بساتين وعمرانا وفى الموطأ فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ﴿تنبيه﴾ قال النووى فى أول كتاب الفضائل من شرح مسلم وفى كيفية هذا النبع يعنى فى القسم الاول قولان حكاهما القاضى عياض وغيره أحدهما انه كان يخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم و ينبع من ذاتها وهذا قول أكثر العلماء والثانى ان الله تعالى كثر الماء فى ذاته فصار يفور من بين أصابعه اه قال الحطاب فى شرح المختصر وعلى القول الاول فهو أشرف مياه الدنيا والآخرة اه ومن أوصافها أيضا انه أثمر النخل فى عام أى فى سنة غرسه بها أى بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل وذلك فى قصة سلمان الفارسى وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وأربعين أوقية ذهبا ثم أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فامر أصحابه أن

مع قوله تعالى ا كلها دائم او يقال المراد باوله ماا كل و بآخره ماسيؤ كل بلاواسطة بينهما وفى حديث رواه ابوداود كان رجل يا كل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه الا لقمة فلما رفعها الى فيه قال بسم الله اوله وآخره فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال مازال الشيطان يأ كل معه فلما ذ كراسم الله عليه استقاء مافى بطنه ففائدة التسمية فى اثناء الا كل تحصيل السنة فى الباقى وليقىء الشيطان ماا كل فى الفائت وعلى هذا لو سمى بعد الفراغ من الا كل لكان فى ذلك فائدة وهى الاضرار بالشيطان فان فيه رضا الرحمن والله اعلم بل قال ابن حجر انه يشمله اطلاق الحديث وقال شيخنا العلامة فى شرح الحصن للشارع ان يجعل التسمية المتاخرة كالمتقدمة فتنسحب بركتها على اوله وآخره اما المتاخر عنها فظاهر واما الماضى فيندفع بالتسمية ما كان يترقب من ضرر تركها وكذلك يندفع ماوقع بالشفاء منه ان كان مرضامثلا ونحو ذلك الاترى ان ماا كله الشيطان يقيئه كما وردانتهى قال ابن مخلص وفى الحديث تدارك مافات الانسان من طاعة اوذ كراواتباع سنة اذا نسى وان الله تعالى يعوضه عما فاته خيرا اذا بادر الى اصلاح مافرط فيه وفعل ماترك تفضلا منه فانه يقبل معذرة من اعتذر وتوبة من ندم واستغفر قال الله عز وجل كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن الصباح الهاشمى البصرى نا عبد الاعلى عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر بن ابى سلمة) اسمه عبد الله بن عبد الاسد (انه) أى عمر وهو ربيب النبي صلى الله عليه وسلم من أم سلمة ولد بالحبشة ومات سنة ثلاث وثمانين (دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده طعام فقال ادن) بضم الهمز والنون أمر من الدنو اى أقرب (يا بنى) بصيغة التصغير شفقة واهتماما بحاله وفيه انه ينبغى للكبير ملاطفة الصغير لاسيما على الطعام لشدة الاستحياء (فسم الله تعالى) الامر للسنية ومن سنة التسمية ان ينطق بها جهرا ليذ كر الغافل و يعلم الجاهل (وكل بيمينك) الامر للندب وقد تقدم الكلام على ذلك أثناء باب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكل مما يليك) اى ندبا وقيل وجوبا لما فيه من الحاق الضرر بالغير وفى الرسالة واذا أ كلت مع غيرك أ كلت مما يليك قال الحطاب قال ابن الفا كهانى ناقلا عن ابن رشد هذا اذا كان الطعام صنفا واحدا كالثريد واللحم وشبهه وأما اذا كان أصنافا مختلفة كانواع الفا كهة فى طبق مما يختلف اغراض الآ كلين فيه فلا بأس للرجل ان يتناول مما بين يدى غيره وذلك منصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ونقله ابن ناجى انتهى وفى جمع الوسائل لا ينبغى التعميم فى الفا كهة بل يحمل على ما اذا لم يكن عنده مما يكون عند غيره ومع هذا لايخفى مافيه من الشره والتطلع الى ماعند غيره وترك الايثار الذى هو اختيار الابرار انتهى وتقدم توجيه تتبع النبي صلى الله عليه وسلم الدباء حوالى القصعة و يؤخذ من الحديث كما قال ابن حجر انه يندب لمن على الطعام تعليم من ظهر منه اخلال بشئ من مندوباته وفى قوله سم الله حض على التبرك بذ كراسم الله تعالى فى أول طعامه وهو السنة وفى قوله كل بيمينك تعليم لما كان يحبه من التيمن فى شأنه كله وتحذير من خلق الشيطان الذى لا يأ كل الا بشماله كما فى الحديث وفى قوله وكل مما يليك تعليم لحسن العشرة مع المؤا كل حتى لا يعدو عليه ولا يستثقله ولا يأتى بما يكره منه * قال المصنف

يبيذوه بالودى فاتوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فاثمرت كلها فى عامها وجيء النبى صلى الله عليه وسلم بمثل دجاجة من ذهب من بعض المعادن فاعطاها له فقال وأين تقع هذه مما على" فقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية ومن أوصافها أيضا انها سبحت بها أى فيها الحصباء أى الحصا واحدها حصبة كقصبة وأرض حصبة كفرحة ومحصبة كثيرتها وحصبه رماه بها وروى البزار والطبرانى والترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فقبض حصيات فسبحن فى كفه الشريف حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن أبا بكر فسبحن فى كفه ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم أخذها الحاضرون فلم يسبحن مع أحد منهم قال العسقلانى ليس لحديث تسبيح الحصى الا طريق واحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس نعم أخرج البخارى من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وفى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم مرض فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه فسبح (أحيت المرملين من موت جهد أعوز القوم فيه زاد وماء) أى من أوصافها العلية انها أحيت المرملين جمع مرمل أى المحتاجين الذين نفد زادهم حتى أشرفوا على الموت فتسميتهم موتى حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز أيضا فهو استعارة تبعية وقوله من موت جهد أى قحط شديد أطلق عليه الموت لما كان سببا له والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت أطلق عليه اسمه وقوله أعوز القوم أى أعجزهم وضمير فيه يعود على الجهد والزاد فى الاصل طعام المسافر وعبر به لقلته عندهم فصاروا كالمسافرين الذين فنى زادهم فأشرفوا على الهلاك (فتغذى بالصاع ألف جياع * وتروى بالصاع ألف ظماء) أى فبسبب احيائه لهم كثر الله كرامة ومعجزة له الطعام والماء القليل جدا حتى تغذى بالمعجمة من الغذاء بكسر الغين والدال المعجمتين وهو ما به نماء الجسم وقوامه وبفتح الغين والدال المهملة المأكول وقت الغداة وهو ما قبل الزوال وجياع جمع جائع من الجوع ضد الشبع والظماء جمع ظامئ أى عاطش وقد وقع هذا فى

المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو احمد) اسمه محمد بن عبد الله بن الزبير (الزبيرى) بالتصغير (نا سفيان) أى الثورى (عن أبى هاشم عن اسمعيل بن رياح عن رياح بن عبيدة) بفتح فكسر (عن أبى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من طعامه) أى من أكله (قال الحمد لله) معنى هذه الجملة الثناء على الله تعالى بان جميع المحامد ثابتة له وفى ضمن ذلك الاعتراف بان جميع الكمالات له لان الحمد لا يكون الا فى مقابلة جميل (الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين) أى موحدين منقادين لجميع أمور الدين وفى ختم الاكل بهذا الحمد اشارة الى ان المطلوب من العبد كلما تجددت عليه نعمة أن يشهدها من الله تعالى وان يحمده عليها فان شهودها منه سبحانه نوع من الشكر عليها وسبب فى امتلاء القلب بمحبة المنعم بها وتعظيمه وحمده عليها موجب لدوامها والمزيد منها بشهادة لئن شكرتم لأزيدنكم وقدم الطعام لانه الباعث على الحمد وثنى بالسقى لانه من تتمته لان الطعام لا يخلو من شرب يعقبه غالبا وثلث بنعمة الاسلام تذكيرا بنعمة الدين فيقع الحمد على النعم الدنيوية والدينية فيكون ترقيا من نعمة الدنيا الى نعمة الدين التى هى أفضل النعم وأشرفها وأجلها وكل نعمة وان عظمت فهى تبع لها وكل عمل لا يقبل دونها فيكون اشارة الى انها بالحمد أولى وأحق * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد نا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان) يكنى أبا عبد الله الشامى الكلاعى من أهل حمص قال لقيت سبعين رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ثقات الشاميين مات بطرسوس سنة أربع ومائة (عن أبى امامة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفعت المائدة من بين يديه) فيه اشعار بان الحمد انما يطلب بعد الفراغ من الاكل وانكر ابن الحاج البسملة على كل لقمة والحمد على بلعها وقال هذا وان كان حسنا فالسنة احسن منه وهى التسمية اولا والحمد آخرا وتقدم انه صلى الله عليه وسلم ما أكل على خوان قط فالمراد بالمائدة هنا السفرة وشبهها مما يوضع عليه الطعام ويصان من الارض لا خوان الخشب المعد لذلك وقد تطلق المائدة على الطعام نفسه فيكون مراد أبى امامة اذا رفع من عنده صلى الله عليه وسلم ما وضع عليه الطعام أو بقيته (يقول) رافعا صوته للتعليم وان كانت سنة الحمد كما قال علماؤنا الاسرار اذا لم يفرغ جلساؤه لان رفع الصوت به اذ ذاك كالامر بالانكفاف لمن سمعه من الآكلين كذا فى جمع الوسائل وغيره قلت وقوله اذا رفعت المائدة من بين يديه يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما جهر بالحمد حتى فرغ الآكلون من الاكل فلا حاجة الى الاعتذار بانه جهر بالحمد للتعليم وان كانت السنة الاسرار به (الحمد لله) تقدم معنى هذه الجملة (حمدا كثيرا طيبا) أى خالصا من الرياء والسمعة التى لا تليق بجنابه تعالى وتقدس لانه طيب لا يقبل الا الطيب وليس فى رواية البخارى لفظ حمدا (مباركا فيه) أى الحمد أى حمدا ذا بركة دائما لا ينقطع لان نعمه لا تنقطع عنا فينبغى ان يكون حمدنا لا ينقطع أيضا ولو نية واعتقادا (غير مودع) بنصب غير باضمار أعنى أو على انه حال من حمدا وفتح دال مودع وتشديدها أى غير متروك ذلك الحمد بل الاشتغال به دائم من غير انقطاع كما ان نعمه سبحانه وتعالى لا تنقطع عنا طرفة عين ويحتمل أن يكون حالا من الله أى غير متروك الطلب منه والرغبة فيما عنده وعند البخارى غير مكفى ولا

الخندق فى قصة شاة جابر وذلك كما فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه رأى فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته وأخبرها فأخرجت صاعا من شعير وشاة داجنة أى سمينة فذبحها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم فى البرمة ذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره وطلب أن يأتى بنفر معه فصاح صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع صورا (١) فحيهلا بكم ثم أمره أن لا ينزل البرمة وان لا يخبز العجين حتى يجيء فلما جاء بصق فى العجين ثم فى البرمة و برك ثم أمرها أن تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فأكلوا وهم ألوف حتى تركوه وان عجينهم و برمتهم كما هما وفى الصحيحين أيضا عن أنس أن أم سليم أرسلت مع أنس الى النبى صلى الله عليه وسلم أقراصا من شعير ملفوفة بخمار فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال له أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فتقدمهم أنس فأخبر عمه فقال يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله و رسوله أعلم فتلقى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سليم هلمى ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت عكة فآدمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا فخرجوا فقال ائذن لعشرة وهكذا فأكلوا وشربوا وهم ثمانون ثم أكل صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا بقية وروى مسلم انهم فى غزوة تبوك جاعوا فسال عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو بفضل أزوادهم ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شىء يسير فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فما تركوا فى العسكر وعاء الا ملؤه فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال عليه الصلاة والسلام أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله وفى الصحيحين عن أنس أيضا ان أمه أرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيسة من تمر وسمن واقط فى تور وهو عروس بزينب

مودع الخ ومعناه كما قال الخطابى غير محتاج الى أحد بل هو الذى يطعم عباده و يكفيهم وقيل غير ذلك (ولا مستغنى عنه) أى الحمد او الله على الاحتمالين فيما قبله قال ابن حجر ليس عطف تفسير كما قيل بل فيه فائدة لم تستفد من سابقه نصا وهى انه لا استغناء لاحد عن الحمد لوجوبه على كل مكلف اذ لا يخلو أحد عن نعمة بل نعم لا تحصى وهو فى مقابلة النعم واجب كما صرحوا به لكن ليس المراد بوجوبه ان من تركه لفظا يأثم بل من أتى به فى مقابلة شى أثيب عليه ثواب المندوب أما شكر المنعم بمعنى امتثال أوامره واجتناب نواهيه فهو واجب شرعا على كل مكلف و يأثم بتركه اجماعا اه وقد بحث شيخنا العلامة فى شرح الحصن فى كلام ابن حجر هذا من وجوه منها ان قوله نصا يقتضى انها تستفاد لا نصا بل لزوما وفيه ان نفى الترك لا يستلزم نفى الاستغناء ومنها انه ان أراد بقوله لوجوبه الخ ان هذا الحمد يجب بهذا اللفظ و يقيد كونه بأثر الاكل مثلا ففى الوجوب على كل أحد نظر لا يخفى وان اراد الحمد اللغوى أى الوصف بالجميل فلا شك انه يجب الثناء على الله سبحانه ولا يجوز تركه ولا الاستغناء عنه لكن يظهر من تعليله بقوله اذ لا يخلو أحد الخ ان المراد العرفى وهو كذلك ايضا لا يجوز تركه ولا الاستغناء عنه ومنها ان مقتضى قوله اذ لا يخلو الخ انه لا يتصور الا فى مقابلة النعمة فلا يكون الا واجبا ومقتضى قوله وهو فى مقابلة النعم الخ انه ينقسم الى واجب وغيره والى ما يكون فى مقابلة نعمة وغيره اللهم الا ان يقال اذا قصدت المقابلة كان واجبا واذا لم تقصد المقابلة فلا وجوب وفيه نظر اذ هى دعوى تحتاج لدليل فقد يقال لا مانع من ان يكون حكمه الندب وان كان فى مقابلة النعمة و يكون الاعتراف بالنعمة عند تذكرها هو القدر الواجب و زيادة النطق بخصوص هذا الثناء أو بلفظ الحمد ونحوه مستحبا و يبقى الوجوب على حقيقته من ترتب الذم والعقاب على تركه والمدح والثواب على تحصيله والله تعالى اعلم واما احتمال ان يكون مودع بكسر الدال على انه حال من القائل أى غير تارك الحمد أو غير تارك الطلب والرغبة فيما عنده ففيه مع بعده انه غير ملائم لقوله ولا مستغنى عنه اذ الرواية فيه ليست الا على صيغة المفعول كما هو مقتضى الرسم قاله فى جمع الوسائل (ربنا) بتثليث الموحدة فالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف أى هو ربنا أو أنت ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا أو على انه مبتدا خبره غير مودع الخ بالرفع مقدم عليه والنصب على انه منادى باسقاط حرف النداء اى يا ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا أو على المدح أو الاختصاص والجر على انه بدل من الله او من الضمير المجرور بعن على احتمال انه عائد على الله و يؤيده رواية الدارمى ولا مستغنى عن ربنا * قال المصنف (حدثنا ابو بكر محمد بن ابان) بالصرف وعدمه (نا وكيع عن هشام الدستوائى) بفتح فسكون ففتح (عن بديل) بضم موحدة وفتح مهملة (ابن ميسرة العقيلى) بالتصغير (عن عبد الله بن عبيد بن عمير) بالتصغير فيهما (عن ام كلثوم عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام) اللام للعهد الذهنى اى طعاما كما فى نسخة (فى ستة) اى مع ستة اوكائنا فى ستة (من اصحابه) وفيه اشارة الى كثرة الطعام (فجاء اعرابى فأكله) ولم يسم الله تعالى (بلقمتين) وفى نسخة فى لقمتين والمآل واحد (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) بضم المهملة وسكون الواو بغير همز قال ابن الاثير أى طعاما يدعو اليه الناس قال واللفظة فارسية اه من خط المؤلف

فامره أن يدعو من لقى فدعا من لقى فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده فى تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله تعالى ودعا عشرة فاكلوا حتى شبعوا قال أنس فما أدرى حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم تداولوا قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة و يقعد عشرة فقيل له مم كانت تمد فقال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار الى السماء رواه الدارمى وابن ابى شيبة والترمذى والحاكم والبيهقى وصححه

(١٨١)

(ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء)

وفى بتخفيف الفاء وتشديدها أى اكمل قدر بيضة أى بيضة الدجاجة والنضار بضم النون الذهب وسلمان هو الفارسى رضى الله تعالى عنه والدين الموفى بقدر البيضة من النضار أربعون أوقية من ذهب فى كل أوقية أربعون درهما كما تقدم فالدين عظيم والبيضة صغيرة لكن ببركة مس النبى صلى الله عليه وسلم لها براحته الكريمة وفت الدين المذكور حين حان أى قرب الوفاء أى حلول الاجل و بين وفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر و بين دين وحين وحان الجناس اللاحق وسبب ترتب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا أى رقا بالباطل فاعتق باداء نجوم الكتابة لما أينعت اى اخضرت الاقناء حال كونها من نخيله التى كوتب عليها والاقناء جمع قنو وهو العرجون وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد فى المجوسية حتى صار رئيسا فمر بكنيسة للنصارى فاعجبوه فذكر ذلك لابيه فقيده وقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم وكان سألهم عن اصل دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم اذا جاءكم أحد من الشام فاخبرونى ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها فسأل عن أعلمهم فدل عليه فخدمه الى أن مات ثم خدم من أقيم مقامه فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بنصيبين فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال بفلان بارض الروم فلما احتضر قال له بمن توصينى فقال يا بنى ما أعلم أحدا على ما كنا عليه آمرك أن تأتيه وانه اظل زمان نبى وهو مبعوث

لو سمى لكفاكم) اى الطعام ببركة التسمية وفى نسخة لكفانا وفيه تصريح بعظيم بركة التسمية وفائدتها والظاهر ان هذه الواقعة غير الواقعة المتقدمة اول الباب عن ابى ايوب الانصارى واخبار عائشة بذلك اما عن رؤيتها قبل الحجاب او بعده أو عن اخبار من النبى صلى الله عليه وسلم او من غيره قاله ابن حجر * قال المصنف (حدثنا هناد ومحمود بن غيلان قالا نا أبو اسامة عن زكريا) بالقصر و يمد (ابن ابى زائدة عن سعيد ابن أبى بردة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد) اى يقبل عليه بان يستعمله فى طاعته و يثيبه على اكله وشربه ثوابا عظيما فهو احسان مخصوص واكرام عظيم يلفى عبده به وهذا ظاهر اذا كان اكله على وجه العبادة كان يأكل بنية التقوى على العبادة والقيام بحق البدن وانما يحتاج الى هذا اذا اريد بالرضا اعلاه واما مطلق الرضا فيحصل بمجرد التلفظ بالحمد لانه ثناء على الله عز وجل (ان يأكل الاكلة) بفتح الهمزة اى المرة من الاكل حتى يشبع واما رواية الاكلة بضم الهمزة اى اللقمة فلا تلائم قوله (او يشرب الشربة) فانه بالفتح لا غير وليست او للشك من راو خلافا لزاعمه وانما هى للتنويع (فيحمده) هو فى النسخ بالرفع اى فهو اى العبد يحمده (عليها) وفى نسخة بزيادة هذه الجملة بعد الفقرة الاولى ايضا وفيه ان الشكر على النعمة ولو قلت سبب لنيل رضاه تعالى الذى هو اشرف احوال اهل الجنة لحديث احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا وكان الشكر سببا لذلك الاكرام العظيم لانه يتضمن معرفة المنعم وافتقار الشاكرين اليه وفيه ان اصل سنة الحمد يحصل بكل ما يدل على الثناء على الله تعالى وما سبق من حمده صلى الله عليه وسلم المشتمل على تلك الصفات البليغة البديعة انما هو لبيان الاكمل وفيه ان كرمه تعالى لا يشبهه كرم يرزق العبد و يلهمه الحمد والشكر على ذلك ثم يثيبه على ذلك الحمد بما لا نهاية له فهو تعالى يعطى العبد و يعطيه على ذلك العطاء فسبحانه من محسن ما أكرمه ومتفضل ما أرحمه قال بعضهم فى قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا الآية ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض اضعافا قال سيدى أبو عبد الله بن عباد نفعنا الله به واستقراض الرب من عبده ما وهبه له غاية فى ترفيعه لقدره وابانته لشرفه و وعده مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية فى اكرامه له وتفضله عليه انتهى (تنبيه) مما يتعلق بالاكل ما أشار اليه ابن حجر فى الباب قبل ونصه روى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم أتى بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا وأبو نعيم عن أنس مرفوعا كان يكره الكى والطعام الحار و يقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة ألا وان الحار لا بركة له و روى أبو نعيم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن النوم على الاكل و يذكر انه يقسى القلب ولذا قال الاطباء من أراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه مضر جدا ومما يسهل الهضم الصلاة بعد الاكل ونقل ابن حجر فى هذا الباب ما نصه كان صلى الله عليه وسلم اذا أكل عند قوم لا يخرج حتى يدعو لهم فدعا فى منزل عبد الله بن بسر بقوله اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم وفى منزل سعد أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة رواه أبو داود وسقاه آخر لبنا فقال اللهم أمتعه

بشبابه فرت عليه ثمانون سنة فلم ير شعرة بيضاء رواه ابن السني وفي خبر مرسل عند البيهقي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلا وروى ابن ماجه والبيهقي مرفوعا اذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له في الطعام حاجة انتهى

﴿ باب ماجاء في قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

أي في صفته والقدح هو ما يشرب به قال ابن الاثير هو اناء بين اناءين لا صغير ولا كبير وربما وصف بأحدهما وفي المصباح جمعه اقداح كسبب واسباب * قال المصنف (حدثنا الحسين بن الاسود البغدادي نا عمرو بن محمد نا عيسى بن طهمان عن ثابت قال اخرج الينا أنس بن مالك قدح خشب) بالاضافة البيانية وهي على معنى من خلافا لما يوهمه ابن حجر (غليظا مضببا بحديد) أي مشدودا بضباب من حديد جمع ضبة وهي حديدة عريضة يضبب بها أي يجمع بها الخشب ويمنعها من التفريق وفي بعض النسخ بجر غليظ ومضبب (فقال) أي أنس (يا ثابت هذا قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم) اشارة الى كمال تواضعه وترك تكلفه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في الصحيح ان قدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان عند أنس هو قدح جيد عريض أي طوله أقصر من عرضه اتخذ من النضار بضم النون وخفة المعجمة ومعناه العود الخالص وقال بعض أرباب السير أصله من النبع بفتح النون وسكون الموحدة وقيل انه كان من الاثل يميل الى الصفرة وفي الصحيح أيضا انه قد انصدع فسلسل بعضه ببعض بفضة ففي البخاري عن عاصم الاحول رأيت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار فيحتمل ان الواصل هو النبي صلى الله عليه وسلم أو أنس وصح أيضا ان أنس ابن مالك أراد ان يجعل مكان حلقة الحديد التي كانت في قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقة من فضة أو ذهب فنهاه أبو طلحة زوج أم سليم والدة أنس وقال لا تغير شيأ صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر واشترى هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف وعن البخاري انه رآه بالبصرة وشرب منه * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا عمرو بن عاصم نا حماد بن سلمة نا حميد وثابت عن أنس قال لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) يقال سقى وأسقى وكل منهما يستعمل في الخير وضده قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال وسقوا ماء حميما وقال لاسقيناهم ماء غدقا وقال وأسقيناكم ماء فراتا خلافا لابن حجر في قوله ان سقى للخير وأسقى لضده (بهذا القدح) الظاهر ان المشار اليه القدح المذكور في الحديث السابق اذ لم يثبت في الاحاديث الصحيحة تعدد القدح النبوي عند أنس (الشراب كله) أي أنواعه كلها وفيه أيضا تعليم الناس زهد النبي صلى الله عليه وسلم وانه في قدح واحد سقاه الشراب كله على عادته صلى الله عليه وسلم في اقتصاره على أقل ما يكفي في كل شئ فلم تكن له أقداح كثيرة وفي ألفية العراقي

أقداحه

بن ابراهيم يخرج من أرض العرب يهاجر الى أرض بين حرتين يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر به نفر من كلب فقال لهم احملوني الى أرض العرب وأعطيكم ما عندي فحملوه فلما بلغوا وادي القرى ظلموه فباعوه من يهودي فباعه من ابن عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني اليها فعرفتها وبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلم أسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما أنا أجني لسيدي تمرا اذ جاءه ابن عمه فقال قاتل الله بني قيلة وهي أم الاوس والخزرج انهم الآن لجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فاخذتني رعدة شديدة حتى ظننت اني ساقط فنزلت فقلت لسيدي ماذا قال لك هذا فغضب ولطمني لطمة شديدة وقال مالك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى أخذ شيأ جمعه وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقال له هذا صدقة فامر أصحابه با كله ولم يأكل فجمع شيأ آخر وأتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فا كل هو وأصحابه ثم جاء وهو بالبقيع وقد تبع جنازة وجعل ينظر الى ظهره فعرف انه يتامله لشئ وصف له فالقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه وأسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب كما تقدم نظرا لحالته الراهنة والافهو من جملة الاحرار وفي صحيح البخاري عن سلمان انه تداوله بضعة عشر من رب الى رب ولذا قيل

لا تكره المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله في طي المصائب كامنه

وقوله أفلا تعذرون سلمان أي اتلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به فلا تعذرون سلمان أي ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته لما أي حين ان عرته اي غشيته من اجل ذكره أي ذكر اليهودي لقريبه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به في قبا العرواء أي قوة الحمى ومسها في أول أخذها

الانسان بالشدة والرعدة و بين عرنة والعرو أء تجنيس شبه الاشتقاق (تنبيه) تقدم ان السيد سلمان هو من اصبهان ولا تعلق له بفارس الاآن العرب كانوا يسمون ماتحت ملوك العجم كله فارسا وكان رضى الله عنه من أبناء الامراء ومع ذلك لما سئل عن نسبه قال أنا سلمان ابن الاسلام وفى الحديث ان الله ليرضى لرضا سلمان و يسخط لسخطه وان الجنة لتشتاق الى سلمان أشد من اشتياق سلمان الى الجنة قيل عاش مائتين وخمسين سنة وهو الاصح وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وكان عطاؤه

خمسة آلاف فيفرقها و يأكل من كسب

أقداحه الرباب والمغيث * وآخر مضبب يغيث

به اذامامسهم من حاج * وقدح آخر من زجاج

وقدح تحت السرير عيدان * يقضى به حاجته فى الاحيان

(الماء) هو وما بعده بدل بعض مما قبله واقتصر على هذه الاربعة لكونها أشهر أنواعه (والنبيذ) هو ماء يجعل فيه تمرات أو غيرها من الحلاوات كالزبيب والعسل ليحلو وكان ينبذ له صلى الله عليه وسلم أول الليل و يشرب به اذا أصبح يومه ذلك والليلة التى تجىء والغد الى العصر فان بقى منه شئ سقاه الخادم أو أمر به فصب رواه مسلم ولعله انما سقاه الخادم لما حدث فيه من الرائحة التى تكره لا خوف الاسكار والا لما سقاه الخادم ولا غيره وهذا النبيذ له نفع عظيم فى زيادة القوة ولم يكن يشرب به بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار (والعسل) أى ماء العسل لانه يلحس ولا يشرب الا ان يقال بالتغليب كذا ذكروه لكن قال تعالى يخرج من بطونها شراب قاله فى جمع الوسائل (واللبن)

باب صفة فاكهة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الراغب الفاكهة هى الثمار كلها وقيل ماعدا التمر والرمان لعطفهما عليها فى قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان والاصل فى العطف المغايرة ولان التمر غذاء والرمان دواء وقال ابن حجر الفاكهة مايتفكه به أى مايتنعم بأكله ولا يتغذى به كالطعام ولا يتداوى به * قال المصنف (حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى) بفتح الفاء والزاى نسبة الى بنى فزارة (نا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء) بكسر القاف و يضم وتشديد المثلثة ممدود نوع من الخيار (بالرطب) وورد فى الصحيح أنه كان يأكل الرطب بالقثاء ولعل الفرق بينهما ان المقدم أصل فى المأكول كالخبز والمؤخر كالادام وقد أخرج الطبرانى بسند ضعيف ان عبد الله بن جعفر قال رأيت فى يمين النبى صلى الله عليه وسلم قثاء وفى شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة انتهى وهو محمول على تبديل مافى يديه لئلا يلزم الاكل بالشمال قاله فى جمع الوسائل وفى الحديث كما قال النووى جواز أكل الطعامين معا والتوسع فى الاطعمة ولا خلاف بين العلماء فى جوازه وما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا محمول على كراهة اعتياد هذا التوسع والترفه والاكثار منه لغير مصلحة دينية وأخرج أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن بسر السلمى قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر وفيه كما قال القرطبى جواز مراعاة صفات الاطعمة وطبائعها واستعمالها على قانون الطب فانه رأس العلماء والحكماء والاطباء كان يعدل الضد بضده ان أمكن والا تناول بقدر الحاجة من غير اسراف وذلك غير ضار ومن فوائد هذا المركب تعديل المزاج وتسمين البدن أخرج ابن ماجه من حديث عائشة قالت أرادت أمى ان تعالجنى للسمن لتدخلنى على النبى صلى الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتى أكلت الرطب بالقثاء فسمنت كأحسن السمن * قال

يده بعمل الخوص وفى القاموس الخوص بالضم ورق النخل والخواص بائعه اه

(وأزالت بلمسها كل داء أكبرته أطبة رؤساء) أى ومن أوصاف تلك الراحة انها أيضا أزالت بلمسها لمن به مرض كل داء أكبرته أى استعظمته وعجزت عن برئه اطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان بدفع ماحصل من المرض ومنع مالم يحصل ورؤساء جمع رئيس أى مهرة فى الطب وفى بعض النسخ واساء بكسر الهمزة جمع آس كراع ورعاء وهو الطبيب والنسخة الاولى أولى لمزيد الفائدة وروى الدارمى ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى وروى

البخارى ان سلمة أصيب يوم خيبر بضربة فى ساقه فنفث فيها النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط

(وعيون مرت بها وهى رمد * فارتها مالم تره الزرقاء) أى ومن أوصافها أيضا انها برئت بها عيون جمع عين أى باصرة مرت بها تلك الراحة السكريمة وهى رمد جمع رمداء من الرمد بفتح الراء والميم وهو هيجان العين و وجعها فارتها أى أرت تلك الراحة تلك العيون أى جعلتها ترى ما أى الشئ البعيد الذى لم تره الزرقاء اى زرقاء اليمامة التى كانت ترى مسيرة ثلاثة ايام و روى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال ابن على فقيل يشكو عينيه قال ارسلوا اليه فأتى به فبصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبرانى

يعين علي فارمدت ولا صدعت منذ دفع الى النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند احمد ثم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم راسي في حجره ثم بزق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتها حتى الساعة و روى ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان وقع على بيض حيه فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان (واعادت على قتادة عينا * فهي حتى مماته النجلاء) اى ردت على قتادة ابن النعمان عينا الله ذهبت فهي الى مماته النجلاء اى الواسعة حسا ومعنى وذلك ان عينه اصيبت يوم احد و وقعت على وجنته فاتى بها النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان رأتني تقذرني فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من انت فقال

ابونا الذى سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى ايمارد
فعادت كما كانت لاول امرها
فياحسن ماعين و ياحسن ماخد

فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلي وفي رواية اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان واخرج الطبراني وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه الكريمتان فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا قال ابن حجر والجمع بين رواية الواحدة والاثنتين ان من ذكر الواحدة لم ينف الاخرى اوظن ان الساقطة واحدة فاخبر بما علم وغيره علم انهما اثنتان وزيادة الثقة مقبولة اه قلت وهذا الجمع متعذر لقوله فاجعلها احسن عينيه الخ فانه صريح في ان الاخرى كانت سالمة فتامله

المصنف (حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي البصري حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ) وفي رواية الطبيخ بتقديم الطاء وهي لغة في البطيخ أيضا (بالرطب) ويقول كما في رواية على ما في الجامع الصغير يكسر حر هذا ببرد هذا او برد هذا بحر هذا وهذا يقتضي ان المراد بالبطيخ الاخضر فان فيه برودة يعدلها بالرطب والا فالبطيخ الاصفر حار أيضا ويحتمل ان المراد به الاصفر فان في الاصفر بالنسبة للرطب برودة وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة وهو المعبر عنه بالخربز في الحديث الذى أشار له فقال (حدثنا ابراهيم بن يعقوب نا وهب بن جرير نا أبي قال سمعت حميدا يقول أوقال ني حميد) المقصود غاية الاحتياط في عبارة الرواية والافرتبة السماع والقول واحدة عند المحدثين في اصطلاحهم (قال وهب وكان) أي حميد (صديقا له) أي لجرير أو بالعكس والجملة حالية معترضة (عن أنس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الخربز) بكسر الخاء والباء (والرطب) أو يحمل الخربز والبطيخ على نوع من الاصفر وهو الذى لم يتم نضجه فان فيه برودة وروى الطيالسي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يأكل الخربز بالرطب ويقول هما الاطيبان وهو لا ينافي مارواه أحمد انه صلى الله عليه وسلم سمى اللبن بالتمر الاطيبين * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا محمد بن عبد العزيز الرملي) نسبة الى رملة وهي مواضع أشهرها بلد بالشام كما في القاموس (نا عبد الله ابن يزيد بن الصلت عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم أكل البطيخ بالرطب) أراد المصنف ان لهذا الحديث طرقا كثيرة عن عائشة قال العراقي ولم يبين الترمذي في الجامع والشمائل كيفية أكل البطيخ بالرطب هل يقرن هذا بهذا أو يأكل من هذا القمة ومن هذا لقمة وقد ورد التصريح بالثاني في خبر اه وقد أخرج أبو نعيم في كتاب الطب له بسند فيه ضعف عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة اليه ذكره العسقلاني وروى الطبراني عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل العنب خرطا يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا منه كذا في النهاية والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير وكتابه هذا خال عن الموضوع فانظره مع ما نقله ابن حجر عن العقيلي انه قال لا أصل لهذا الحديث قال ابن حجر وروى في فضل البطيخ أحاديث كلها باطلة كما قاله الحفاظ * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح ونا اسحق ابن موسى نا معن نا مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال كان الناس اذا رأوا أول الثمر) بالثاء المثلثة كل رطب يجز من الثمار والتمر بالتاء المثناة كل يابس (جاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ايثارا له على أنفسهم وحباله وتعظيما لجنابه الرفيع ونظرا الى انه أولى بما سبق اليهم من الارزاق وطلبا لمزيد البركة فيما تجدد عليهم من النعم وينبغي ان خلفاءه من العلماء والاولياء مثله في ذلك قاله ابن حجر (فاذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) طالبا المزيد الانعام على وجه يعم الخاص والعام وداعيا بالبركة في الاقوات في عموم الاوقات

(أو بلثم التراب من قـدم لا * نت حياء من مشيها الصفواء) أى أوليته خصنى فى اليقظة أو فى النوم على ما مر بلثم أى تقبيـل التراب المنفصل من قدم موصوفة بأوصاف جليلة منها انها كانت اذا مشت على حجر لانت لاجل الحياء من أجل مشى تلك القـدم الـكريمة الصفواء أى الحجارة الصلدة قال السـيوطى فى خصائصه ومما أورده رزين فى خصائصه صـلى الله عليه وسلم انه كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه وقال التبريزي الحنبلى تلميذ ابن القيم فى خصائصه وأما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروفة بالنار وقد ألان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسـلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا بغيرها وهذا أبلغ ثم قال وأعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لان تحت أقـدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة انظر المـواهب ولله در القائل

هـو الذى اختاره البارى وأرسله
برا رؤفا رحيما بالمسا كين
ان سار فى الرمـل لم تنظر له أثرا
وان علا الصخر عاد الصخر كالطين

(موطئ الاخمص الذى منه للقلـ * ـب اذا مضجعى أقض وطاء) موطئ بالجر بدل من التراب و يصـح الرفع والاخمص المـراد به الجنس اى الاخمصين لانه صـلى الله عليه وسـلم كان خمصان الاخمصـين فهو من التعبير بالبعض عن الكل والاخمص من القدمين الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخمصان المبالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقى عن أبى هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدميه وطئ بكلها ليس له أخمص وابن عساكر عن أبى امامة كان صلى الله عليـه وسلم لا أخمص له يطأ على قدميه كلها لان المراد ان أخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو أسفل القدم جدا فهو أحسن ما يكون وان استوى أو ارتفع جـدا فهو مذموم وقوله الذى منه للقلب الخ هو نعت للمضاف الذى هو موطئ ومنه صفة للمبتدا الذى هو وطاء فقـدمت عليه فصارت حالا وللقلب خـبر المبتدا والمضجع موضع الاضطجاع يقال ضجع كمنع ضجعا وضع جنبه بالارض

اشارة الى انها الاصل فى أمور معاشـهم المعينة على أمور معادهم (اللهم بارك لنا فى ثمارنا) أى بالنمو والحفظ من الآفات (وبارك لنا فى مدينتنا) أى بكثرة الارزاق ودوامها على أهلها وباقامة شـعائر الدين فيهـا واظهارها على غاية لا توجد فى غيرها فهو تعميم بعد تخصيص قاله ابن حجر ﴿قلت﴾ و بتضعيف أجر العاملين فيها وقد ورد صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد قال ابن مخلص فان قيل أى بركة فيها وهى بلد الجوع ولا زرع فيها ولا ضرع وهذا سؤال توجهه الملحدة فالجواب انا نقول البركة فى اللغـة هى الزيادة والنماء فاذا وردت فى الشريعـة فانما المراد بها سـلامة الدين وقلة الحساب وكثرة النماء فى الاجر وهذا كقوله تعالى يمحق الله الربا وأنت تراه يتكاثر ويربى الصدقات وأنت تراها تنقص المال وتفنيه لـكن المعنى عائد الى ما بيناه اه وهذا الجواب بعيد من السياق متكلف كما لا يخفى وقال القرطبى اذا وجـدت البركة فيها فى وقت حصلت اجابة الدعوة ولا يستلزم دوامها فى كل حين ولـكل شخص اه وقد ضاعف مولانا جل وعلا خيرها بما جلب اليها فى زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين من مشارق الارض ومغاربهـا كـكنوز كسرى وقيصر وخاقان ممـا لا يحصى ولا يحصر وفى آخر الزمان يأرز الدين اليهـا من أقاصى الارض وشاسع البلاد كما تأرز الحيـة الى جحرها على ما ورد به الخبر وهـذا الجـواب الذى ذكره القرطبى بعيد أيضا فان المراد من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لها حصول البركة فيها دائمـا والظاهر فى الجواب ان يقال لا يلزم من حصول البركة فيها عدم الضيق والحاجـة فان ثمـارها وما يجلب اليها بالنسـبة الى سكانها وعمـارها شئ قليل لا يكفى فى غيرها من البلدان الا القليل من الناس ولـكن ببركة دعاء النبى صـلى الله عليه وسلم لهـا كان فى قليل ثمـارها كفاية لـكثير سكانها كما اختاره النووى فى معـنى البركة فى صاعها ومـدها وسيأتى (وبارك لنا فى صاعنا) هو أربعة أمداد أى بمده صـلى الله عليه وسـلم بالاتفاق (وبارك لنا فى مدنا) هو ملء كفين متوسطتين لا مقبوضـتين ولا مبسوطتين وتحتمل البركة فى الصاع والمد وجوها اختار النووى منها ان المراد البركة فى نفس المـكيل من زرع وتمر وغـير ذلك بحيث يكفى المـكيال فيهـا ما لا يكفى اضعافه فى غيرها وقد استجاب الله دعاءه كما هو محسوس قال ابن حجر و ينبغى لـكل آخذ بالمذكورة ان يدعو بهذا الدعاء المبارك الى هنا (اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك) من الخلة بضم الخاء وهى الصـداقة والمحبة التى تخللت القلب وتمـكنت فى خلاله وقد بسط القول فيها وما فيها من الخلاف فى الشـفاء فانظره (ونبيك وانى عبدك ونبيك) توسل بالعبودية والنبوة وقدم العبودية لانه لا شرف أعلى منها ولم يزد وخليلك تواضعا فان اللائق بمقام الدعاء التواضع والانـكسار لا التمدح والافتخار وأدبا مع أبيه ابراهيم الخليل والا فهو خليل كما ورد فى عدة أخبار بل خص صلى الله عليه وسلم بمقام المحبوبية التى هى أرفع من مقام الخـلة (وانه دعاك لمـكة) بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصـلاة فاجعـل أفئدة من الناس تهوى اليهـم وارزقهم من الثمرات لعلهـم يشكرون وقد استجاب الله دعاءه فرزقهم وهم فى أودية ليس فيها شجر ولا ماء كما قال تعالى أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ (وانى ادعوك

كالضجيع واضطجع والمضجع كمقعد موضعه وأقض بالقاف والضاد المعجمة أى صار فيه القضة بالكسر وتفتح الحصا الصغار والقضض محرك التراب يعلو الفراش ووطاء أى فراش ومهاد وصف ذلك التراب الذى هو موطئ القدمين الشريفتين بانه لو فرض ان مضجعه أصابه شئ منه سرى سر ذلك التراب الى قلبه فاناره وأراحه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه عن قبائح الخطرات والاهوال كما ان الفراش شأنه ذلك فتأمله ويحتمل أن يكون معناه انه تمنى أن يكون موطئ قدمه الشريف محل رفود لقلبه وسبك البيت موطئ الاخمص الذى أتمنى ان يكون للقلب وطاء منه اذا مضجعى أى مرقد جنبي أقض أى أصابه القضض وهو التراب وذلك حالة الوضع فى القبر وهذا أظهر والله أعلم

(حظى المسجد الحرام بممشاها ولم ينس حظه ايلياء) يعنى بالمسجد الحرام جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما فى القرآن فى مواضع كثيرة ماعدا قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وضمير ممشاها يعود على تلك القدم الكريمة أى بمشيها فيه أى فضل حرم مكة بسبب مشى النبي صلى الله عليه وسلم فيه مع تربيته ونشأته فيه وايلياء ككبرياء بيت المقدس أى لم ينس حظه من ممشاها فيه ونسبة عدم النسيان له مجاز فحظى ليلة الاسراء بمشيها فيه وصلاته بالانبياء كما فى الصحيح ﴿تنبيه﴾ المستفاد من كلام الناظم ان مكة حصل لها الفضل والحظوة بمشى النبي صلى الله عليه وسلم فيها وليس فيه ما يستفاد منه انها أفضل من المدينة ولا العكس على انه علق الحظوة (باب بالمشى فالمدار عليه لان تعليق الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية وقد وجد ذلك فى المدينة مع فضائل أخر ولذا كان المشهور من مذهب مالك ان المدينة أفضل وقال ابن وهب وابن حبيب مكة أفضل وهو مذهب الشافعى وأهل الكوفة ويدل لمشهور مذهب مالك ما رواه الدارقطني والطبرانى من حديث رافع بن خديج المدينة خير من مكة نقله فى الجامع الصغير والخلاف فى غير موضع قبره عليه الصلاة والسلام لانه أفضل من كل بقعة باجماع وتنضم الروضة لموضع القبر اذ لم يثبت لبقعة انها من الجنة بخصوصها الا هى ففى البخارى ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة

للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه) الضميران لمثل ما دعاك واعلم أن دعاء ابراهيم عليه السلام لاظهار حرمة مكة لا لابتدائها ودعاء النبي عليه السلام لابتدائها اذ لم يكن للمدينة احترام قبل حلوله بها ودعائه لها ومكة والمدينة أفضل بقاع الارض وفى الافضل منهما خلاف (قال) أى أبو هريرة (ثم يدعو أصغر وليد) أى صغير (يراه فيعطيه ذلك الثمر) فى رواية لمسلم أصغر وليد له فيعطيه فاما ان تؤول هذه الرواية بان المراد أصغر وليد للمؤمنين وليس المراد من أهل بيته خاصة وهذا هو المناسب لحسن عشرته وكمال شفقته ورحمته أو يحمل المطلق على المقيد وفى الجامع الصغير كان اذا أتى بباكورة الثمر وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان رواه ابن السنى عن أبى هريرة والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وانما آثر بذلك الصبيان لشدة فرحهم وكثرة رغبتهم أو لكمال المناسبة بين الباكورة وبينهم لقرب عهدهما بالابداع وانما لم يأكل منه اشارة الى أن النفوس الزكية والاخلاق المرضية لا تتوق الى تناول شئ من أنواع الباكورة الا بعد عموم الوجود فيقدر كل أحد على تحصيله * قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازى نا ابراهيم بن المختار عن محمد بن اسحق عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن الربيع) بضم الراء وفتح الموحدة وتشديد التحتانية المكسورة (بنت معوذ) بتشديد الواو المكسورة ونقل العسقلانى انها بالفتح على الاشهر (ابن عفراء) استشهد ببدر وهو الذى قتل أبا جهل وعفراء أمه وأبوه الحرث (قالت بعثنى معاذ بن عفراء) هو عمها وهو المشارك لاخيه فى قتل أبى جهل ببدر وحز رأسه وهو مجروح مطروح يكلم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (بقناع) بكسر القاف الطبق الذى يؤكل فيه وقيل الذى يهدى عليه (من رطب) أى فيه بعض رطب (وعليه) أى على قناع الرطب (أجر) جمع جرو وهو الصغير من كل شئ حتى الحنظل والبطيخ ونحوه والمراد هنا القثاء كما بينه بقوله (من قثاء) بكسر أوله ويضم (زغب) بالجر نعت لقثاء وبالرفع نعت لاجر وهو المناسب لما سيأتى من قوله وأجر زغب وشبه وبر القثاء بالزغب وهو صغار الريش أول ما يطلع (وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فأتيته به) أى بالقناع المذكور وفى نسخة بها أى بالاشياء المذكورة (وعنده حلية) الواو للحال والحلية على وزن لحية ما يتزين به من ذهب أو فضة أو غيرهما (قد قدمت عليه) أى وصلت اليه (من البحرين) أى من خراجهما وهو بلفظ التثنية ويعرب اعرابها موضع بين البصرة وعمان وهو من بلاد نجد (فملأ يده) أى كفه كما فى الرواية بعد (منها) أى من الحلية (فاعطانيه) وفى هذا اعظيم سخائه وجوده ومروأته ورعاية كمال المناسبة فان الانثى احق بما يتزين به * قال المصنف (حدثنا على بن حجر أنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل) بفتح فكسر هو أخو على بن أبى طالب رضى الله عنه (عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وأجر زغب فاعطانى ملء كفه حليا) بضم فكسر فتشديد تحتية وفى نسخة بفتح فسكون تحتية (أو قالت ذهبا) للشك من الراوى عن الربيع أو ممن دونه وفى هذا المكافأة على الهدية القليلة بالعطاء الجزيل

(ورمت اذ رمى بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء) أى ومن أوصافها أيضا انها ورمت من الورم الذى هو النفخ وقت رمى بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث ان قيام القدم فى طاعة الله أوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمى السهم فى طاعة الله تعالى يزيل سورة العدو ووطأته وصولته فتشبيه القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكنى فى النفس واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وقوله الى الله خبر مقدم وما بعده مبتدأ أى خوفه صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى الذى هو أشد خوفا لقوله أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه ورجاؤه أى سعة أمله فيما عنده لا الى غرض آخر لان الله تعالى عصمه من الميل الى غير الله طرفة عين بل هو دائم المثول فى حضرات الشهود الاقدس والتملى بمعانى القرآن الانفس وأشار الناظم بهذا الى ما فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا قال ابن بطال فى هذا الحديث أخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار اه وقال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الكريمتين الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف أصابعه فانزل الله عليه طه أى طا الارض بكل قدميك واسترح مما أنت فيه من التعب فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ويؤيد هذا التقدير ما أشار اليه القرطبى حيث قال ظن من سأله فى حديث الصحيحين عن سبب تحمله المشقة فى العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان هناطريقا آخر للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمى شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور قال العلماء انما الزم الانبياء أنفسهم شدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم فى عبادته ليؤدوا بعض شكره

(١٨٧)

﴿باب صفة شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

هو ما يشرب من المائعات أى بيان ما كان يشرب به صلى الله عليه وسلم (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان) أى ابن عيينة كما سيأتى (عن معمر عن الزهرى عن عروة) اى ابن الزبير (عن عائشة قالت كان أحب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد) يحتمل أن يكون أحب اسم كان والحلو البارد خبرها ويحتمل العكس والمراد بالحلو البارد الماء العذب لما روى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا وهى بضم السين المهملة وسكون القاف عين بينها وبين المدينة يومان قال ابن بطال واستعذاب الماء لا ينافى الزهد ولا يدخل فى الترفه المذموم بخلاف تطييبه بنحو المسك فقد كرهه مالك لما فيه من السرف وقد شرب الصالحون الماء الحلو وطلبوه وليس فى شرب الماء المالح فضيلة وشرب الماء الحلو البارد فيه مزيد الشهود لعظائم نعم الحق واخلاص الشكر له من غير أن يكون فيه اشعار بتكلف بخلاف المآكل ولذا كان يستعمل أنفس الشراب لا أنفس الطعام غالبا اه والحاصل ان استعذاب الماء لا يتضمن سرفا بخلاف انتخاب الطعام فانه يستدعى السرف وكثرة الاكل المؤدى الى كثرة الشبع الذى هو مبدأ كل شر وكان أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره يقول اذا شربت الماء الحلو أحمد ربى من وسط قلبى وفى التنوير قال قال الشيخ أبو الحسن قال لى شيخى يا بنى برد الماء فان العبد اذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكزازة واذا شرب الماء البارد فقال الحمد لله استجاب كل عضو فيه بالحمد لله ويحتمل أن يكون المراد بالحلو البارد الماء الممزوج بالعسل قال ابن القيم فان فيه من حفظ الصحة ما لا يهتدى لمعرفته الا أفاضل الاطباء فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن ويحتمل أن المراد الماء المنقوع فيه تمر أو زبيب وكان صلى الله عليه وسلم يشرب اللبن خالصا تارة وبالماء البارد أخرى لان اللبن عند الحلب يكون حارا وتلك البلاد حارة غالبا فكان يكسر حره بالماء البارد وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم دخل على أنصارى فى حائط له يحول الماء فقال له ان كان عندك ماء بات فى شن أى قربة خلقة والا كرعنا فانطلق للعريش فسكب فى قدح ماء ثم حلب عليه من داجن فشرب صلى الله عليه وسلم وحاصل عنوان الباب الحلو البارد أحب الشراب اليه وهو لعمومه يشمل الماء القراح والمخلوط بالحلاوة واللبن الخالص والمخلوط بالبارد فلا يشكل بما يأتى انه كان يقول فى اللبن زدنا منه وفى غيره أطعمنا خيرا منه مع ان المراد من غيره هو الطعام لا الشراب فارتفع الاشكال من أصله قاله فى جمع الوسائل وفى ابن حجر يجاب بان الاحبية هنا أحبية مخصوصة أى كان أحب الشراب الذى هو ماء أو فيه الماء * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم نا على بن زيد عن عمر هو ابن أبى حرملة عن ابن عباس قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا باناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على

مع ان حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد اهـ وقيام الليل كان فى أول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كما ذكره الله تعالى فى أول سورة المزمل ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الشافعى ولكن أكثر أصحابه على انه لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أى عبادة زائدة فى فرائضك وهذا مشهور مذهب مالك أيضا ولكن قال أبو عمر بن عبد البر لا أعرف (٨٨) وجه الوجوب وليس فى الآية دليل عليه فلذا قيل فى الآية معناها زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالصا له لكونه لا ذنب عليه فسائر تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب وأما حديث اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل فهو تعليم لامته ويصح ان يكون ورمت بفتح الراء من الرمى وظلم الليل مفعوله وخوفه والرجاء فاعل رمى والى الله متعلق بخوفه والرجاء على وجه التنازع

(دميت فى الوغى لتكسب طيبا
ما أراقت من الدم الشهداء)

دميت أى خرج دمها فى الوغى وهو الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من كثرة اختلاط الاصوات وهو المراد هنا وما بمعنى الذى ومن الدم بيان لها والشهداء فاعل أراقت جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما أعد الله له فيها عند طلوع روحه أو بمعنى مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك أى من حكم خروج الدم من رجله المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون رائحة دمهم كريح المسك وكان ينبغى للناظم ان يذكر هذا من أوصاف يده الكريمة لان الذى فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم دميت أصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت وقد يحمل كلام الناظم على ما وقع له صلى الله عليه وسلم لما خرج الى ثقيف يدعوهم الى الاسلام فامتنعوا وسلطوا عليه سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن أدموا رجليه وهذا حرب لغة وعرفا لانه كان يسب آلهتهم ويتحمل مشقة اذايتهم وهم كانوا يقابلونه بشدة الاذاية والغلظة

يمينه وخالد عن شماله) على فى الاول وعن فى الثانى تفنن (فقال لى الشربة لك) أى لانك صاحب اليمين وقد ورد الايمن فالايمن رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن عن أنس قاله فى جمع الوسائل ويستفاد منه تقديم الايمن ندبا ولو صغيرا ولذا قال (فان شئت آثرت بها خالدا) لانه أكبر من ابن عباس سنا اهـ ﴿قلت﴾ انظر من أين يستفاد كون تقديم الايمن ندبا وأما قوله الشربة لك فانما يفيد ان الحق له فى ذلك وهل هو حق واجب له أو ليس بواجب يبقى ما هو أعم وأما قوله فان شئت الخ فلا يدل على الندب وانما يدل على ان الحق فى ذلك للمخلوق فله اسقاطه ثم فى نسبة المشيئة اليه تطييب لخاطره وتنبيه على أن له الايثار وانه أولى له لان ذلك مقتضى الادب مع الكبير قال ابن حجر قد يشكل على ذلك قول أئمتنا يكره الايثار بالقرب وقد يجاب بان محل ذلك حيث آثر من ليس أولى منه بذلك والا فلا كما هنا وكتقديم غير الافقه مثلا الافقه فى الامامة فلا كراهة اهـ ﴿قلت﴾ ظاهره تسليم انه من باب الايثار بالقرب لكنه ليس بمنهى عنه فى هذا ونحوه وقد اعترضه فى جمع الوسائل فقال هذا غريب فانه اذا قدم من هو أولى منه فى الامامة وغيرها لا يسمى ايثارا وانما الايثار اذا كان متساويا مع غيره فى الاستحقاق أو هو أولى من غيره فى الارتفاق كما يدل عليه قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة اهـ قلت وعلى تسليم انه من باب الايثار فالظاهر أن يقال ليس فيه ايثار بقربة فان المقام مقام تشريع وتعليم ولم ينظر النبى صلى الله عليه وسلم الى ما لسؤره من المزية والفضيلة وانما نظر الى أن الحق فى الشرب لصاحب الايمن من غير تفريق بين سؤر وسؤر ليكون الحكم عاما منطبقا على جميع الجزئيات فرغب ابن عباس فى اسقاط حقه هذا فنظر ابن عباس الى ما لسؤره صلى الله عليه وسلم من الشرف والفضل فحمله ما عنده من تعظيم جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم على ان قال ما قال بهذا قرره شيخنا المحقق سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى أبقى الله علينا من بركاته لما تفاوضت معه فى المسئلة فان قيل قد استأذن فى هذا الخبر الايمن وهو ابن عباس ولم يستأذن اعرابيا قعد على يمينه والصديق على يساره فى قصة نحو هذه فالجواب انه انما استأذن ابن عباس ادلالا عليه وثقة بطيب نفسه بأصل الاستئذان لا سيما والاكبر هو خالد قريبه وقريب العهد بالاسلام مع رياسته فى قومه وشرف نسبه بينهم فأراد تطييب خاطره وتألفه بذلك وأما الصديق فانه مطمئن الخاطر راض بكل ما يفعله المصطفى لا يتغير ولا يتأثر انظر المناوى (فقلت ما كنت لاوثر على سؤرك أحدا) يحتمل أن على هنا بمعنى الباء أى ما كنت لافضل بسؤرك أحدا ويحتمل أن تكون على بابها ويقدر فى الكلام مضاف أى لاوثر على سؤرك سؤر أحد وهو حسن لا ركاكة فيه خلافا لابن حجر فان من المعلوم ان خالدا ما كان يشرب سؤره صلى الله عليه وسلم كله ولا يطابق اللفظ هذا المعنى الا بتقدير ذلك المضاف ويحتمل أن تكون تعليلية قال القرطبى وهذا قول أبرزه ما كان عنده من تعظيم المصطفى واغتنام بركته مع صغر سنه وليس فى كلام المصطفى أمر حتى يتحتم عليه اجابته اهـ وقال ابن مخلص فيه ندب الاصاغر وتعليمهم الادب والايثار والاكرام لمن هو أكبر منهم سنا وفيه أن الصغير اذا تمسك بحقه فهو أولى به لا سيما فى الامور الدينية كما فى هذا الحديث وابن عباس

(فهى قطب المحراب والحرب كم دا * رت عليها فى طاعة ارحاء) أى ثم ترحّ عن كونه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه فى الصلاة حتى تورمت أودميت فى الحرب انها حينئذ قطب المحراب وقطب الحرب أى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا أتقى منه لله ولا أشجع منه لثقته بالله فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فاذا دارت عليها قبائل العرب الذين أكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء به والمجاهدة معها كما قال (١٨٩) كم دارت أى مرات كثيرة دارت عليها ارحاء جمع رحا أى قبائل العرب حال كونها فى طاعة الله وهذا تذييل وقطب الرحا الذى تدور عليه ويسمى أمير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهى نقطة الكون المخلوق لاجله ابتداء والمتصرف فيه انتهاء (وأراه لولم يسكن بها قبـ * ـل حراء ماجت به الدأماء) أرى مفعوله الاول ضمير القدم ولو مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى وهى هنا دالة على امتناع جوابها وهو الموج لامتناع شرطها وهو عدم التسكين بوجوده ويؤل الى قوله لكنه سكنه فلم يمج أى اعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لولم يسكن بها أى بقدمه الشريفة قبل أى عند ابتداء تحركه حراء مصروف مفعول ليسكن ماجت أى تحركت واضطربت به أى بالقدم أو بصاحبها وفى نسخة بها الدأماء بالدال المهملة البحر شبه الجبل بالبحر لتحركه تشبيها مضمرا فى النفس ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية ثم أتى بقوله ماجت ترشيحا لمناسبته للبحر لان الماء هو الذى يموج والتأنيث فى ماجت نظر اللفظ الدأماء لانه مؤنث لفظا واعتمد الناظم فيما قاله من ان الذى سكنه بقدمه هو حراء مع ان الذى فى الصحيح انه أحد على ما أخرجه الامام أحمد من حديث بريدة بلفظ حراء واسناده صحيح فقوى احتمال تعدد القصة كما قاله الحافظ ابن حجر وتقدم ذلك ويحتمل ان المراد لولم يسكن حراء بتعبده فيه قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه فرحا به لما صعد عليه بعدها هو وأعيان أصحابه ويحتمل أن يكون أراد بالدأماء الارض مجازا من باب تسمية المحل باسم الحال وخص منها حراء لشرفه أى لولم يسكن بقدمه الشريفة حراء

عباس رضى الله عنهما كبير القدر عالى الهمة لكنه لم يقدر أن يؤثر بسؤر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وهذا على عادتهم فى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشده محبتهم فيه والتبرك بكل شئ منه لا يقدمون على ذلك شيأ اه قال فى جمع الوسائل لكن غفل ابن عباس عن ان سؤره صلى الله عليه وسلم مع بقاء سؤر خالد أفضل فكان الايثار موجبا للاكمل فان سؤر المؤمن شفاء ولذا لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يشرب ماء زمزم قال العباس للفضل هات الشربة من البيت فان ماء السقاية استعملته الايدى فقال صلى الله عليه وسلم انما أريد بركة أيدى المؤمنين أو ماهذا معناه وفى الجامع الصغير انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث الى المطاهر أى السقايات فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدى المؤمنين رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر اه قلت وقد يقال مراد ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن لا يكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم واسطة وأن يكون شربه متصلا ومواليا الشربه صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك شرفا ومزية وغنيمة ونظير هذا الاخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة والاخذ عنه بواسطة وشتان ما بينهما فنظر ابن عباس بهذا الاعتبار أعلى وأتم والله أعلم (ثم قال صلى الله عليه وسلم من أطعمه الله طعاما فليقل) أى ندبا بعدأكله وانحمد عليه لان حال الاكل لا يقال أطعمنا خيرا منه أوزدنا منه كما هو ظاهر خلافا لابن حجر والمناوى حيث قالا فليقل حال الاكل فان أخره الى ما بعده فالاولى أن يقوله بعد الحمد قاله فى جمع الوسائل (قلت) أى فائدة للدعاء بالبركة فيه اذا كان بعد الفراغ من أكله اللهم الا أن يكون المراد بالبركة النمو والزيادة فيما ينشأ عنه كالتقوية به على العبادة ونحو ذلك من الافعال السنية والاخلاق المرضية * وقد نقل شيخنا العلامة فى شرح الحصن كلام الشارحين وسلمه قائلا لعل مستندهما فى كون الدعاء بعد الشروع لا قبله التمسك بظاهر قوله اذا أكل أحدكم يعنى فى رواية أبى داود فانه ظاهر فى وقوع الاكل الصادق ببعضه او بكله ولا مقتضى لحمله على المجاز الذى هو اذا أراد الاكل وأما أولوية كونه بعد الحمد اذا تأخر فظاهر من تقديم الثناء على الدعاء كما هو شهير اه (اللهم بارك لنا) أى معشر المسلمين أو الآكلين (فيه وأطعمنا خيرا منه) أى من الطعام الذى أكلناه (ومن سقاه الله لبنا) خالصا أو ممزوجا أو غيره (فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) فيه انه لا خير من اللبن بالنسبة لكل أحد وبالنسبة لكل شراب ولكل طعام حتى الثريد واللحم وان كان سيد الادام كما سبق وأشار المصنف الى دليله بقوله (قال) أى ابن عباس (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شئ يجزى مكان الطعام والشراب) أى يقوم مقامهما ويغنى عنهما معا (غير اللبن) لكونه يغذى ويسكن العطش وغير بالنصب على الاستثناء وبالرفع على البدل وبهذا علم ان سائر الاشربة لا تلحق باللبن فى ذلك بل بالطعام ويشير الى ذلك تعليل الدعوة فى اللبن بما يخصه وهو انه يقوم مقام الطعام والشراب (قال أبو عيسى) يعنى المصنف فى بيان بعض ما يتعلق برواية الحديثين المتقدمين (هكذا) أى مثل ما سبق فى ايراد اسناد الحديث الاول (روى سفيان بن عيينة هذا الحديث) يعنى الاول (عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة) أى متصلا كما ذكرناه وله اسناد آخر يكون به مرسلا أشار له بقوله

لما بحت الارض كلها فرحا وطربا الى آخر الدهر ﴿تنبيهان﴾ الأول جبل أحد هو مشهور بقرب المدينة المنورة على أقل من فرسخ منها سمى بذلك لتوحده وانقطاعه وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم أحد جبل يحبنا ونحبه كما فى الصحيحين والصواب حمله على ظاهره كما اختاره البغوى والمنذرى اذ لا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء وأهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى أن سكنها وكما أخبر ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحى فلا ينكر ان يكون جبل أحد

وجميع أجزاء المدينة تحبه وتحن الى لقائه حالة مفارقته اياها اه وفى حديث الطبرانى هذا أحد جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة وهذا عير جبل يبغضنا ونبغضه على باب من أبواب النار وعير جبل كبير على يسار ذى الحليفة ﴿الثانى﴾ قد أكثر الناس من الكلام على لو والحق فيها ما حققه السعد فى مطوله وسبقه اليه الامام تقى الدين السبكى وألف فيها تأليفا سماه كشف القناع فى حكم افادة لو للامتناع ولخصه نظما فى قوله

مدلول لو ربط وجود ثان
باول فى سابق الازمان
مع انتفاء ذلك المقدم
حقا بلا ريب ولا توهم
أما الجواب ان يكن مناسبا
وليس غير شرطه مصاحبا
فاحكم له بالنفى أيضا واعلم
بان كلا داخل فى العدم
أو لم يكن مناسبا فواجب
من باب أولى ذاك حكم لازب
وفى مناسب له اذ يفقد
مناسب سواه قد لا يوجد
هذا جواب لو بتقسيم حصل * ممتنع وواجب ومحتمل
ومعظم المقصود فيما يجب * بلا
اثباته فى كل حال يطلب
مثاله نعم الذى لو لم يخف * لما عصى الهه ولا اقترف
ومعظم المقصود فى الممتنع * بيان نفى شرطه الذى ادعى
كلو يكون فيهما شريك * لفسدا فالواحد المليك
أو ان ذاك النفى حقا أثرا * فى عدم الذى يلى بلا مرا
كلو أتيتنى لكنت تكرم * كرامتى لمن قلانى نعدم

(عجبا للكفار نالوا ضلالا * بالذى للعقول فيه اهتداء)

لما ذكر جملة وافرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى من شاهدها آمن بها من فوره بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا

(ورواه عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق وغير واحد) أى وكثير من الرواة (عن معمر عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم) زاد فى بعض النسخ مرسلا أى بحذف الصحابى مع قطع النظر عن اسقاط عن عروة فان الزهرى أحد الفقهاء والمحدثين والعلماء الاعلام من التابعين سمع سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبا الطفيل وغيرهم وروى عنه خلق كثير قاله فى جمع الوسائل * وقال المناوى فصار بترك الصحابى مرسلا وبترك التابعى منقطعا (ولم يذكروا) أى ابن المبارك والاكثرون (فيه) أى فى هذا الاسناد (عن عروة عن عائشة وهكذا روى يونس وغير واحد عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا) أى فيكون ابن عيينة منفردا من بين أقرانه فى اسناده موصولا ولهذا قال (قال أبو عيسى وانما أسنده ابن عيينة من بين الناس) أى فيكون حديثه غريب الاسناد والغرابة لا تنافى الصحة والحسن كما هو مقرر فى محله وحاصله أن سند الارسال أصح من سند الاتصال كما صرح به المصنف فى جامعه فقال والصحيح ماروى عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا اه وهو لا يضر فان مذهب الجمهور أن المرسل حجة وكذلك عند الشافعى اذا اعتضد بمتصل قاله فى جمع الوسائل وقال ابن حجر بين المصنف ان هذا الحديث روى مسندا ومرسلا ولم يبين حكم ذلك لشهرته وهو ان الحكم للاسناد وان كثرت رواة الارسال لان مع المسند زيادة علم * قال المصنف وهو حديث حسن اه (وميمونة) أى المذكورة فى الحديث الثانى (بنت الحرث) اى الهلالية العامرية (زوج النبى صلى الله عليه وسلم) هى أول امرأة أسلمت بعد خديجة يقال ان اسمها كان برة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم ميمونة كانت تحت مسعود بن عمرو الثقفى فى الجاهلية ففارقها فتزوجها أبو رهم بن عبد العزى وتوفى عنها فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة سبع فى عمرة القضاء بسرف على عشرة أميال من مكة وقدر الله تعالى انها ماتت فى المكان الذى تزوجها و بنى بها فيه بسرف سنة احدى وستين عن ثمانين سنة وصلى عليها ابن عباس ودفنت فيه وهو موضع بين التنعيم والوادى فى طريق المدينة و بنى على قبرها مسجد يزار و يتبرك به وهى أخت لبابة الكبرى أم بنى العباس ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وأخت أسماء بنت عميس للام زوجة جعفر وأخت سلمى بنت عميس امرأة حمزة وهى آخر من تزوج النبى صلى الله عليه وسلم قيل وهى التى وهبت نفسها من النبى صلى الله عليه وسلم لانها لما جاءتها خطبته وهى على بعيرها قالت البعير وما عليه لله ولرسوله وجعلت أمرها للعباس فانكحها النبى صلى الله عليه وسلم روى عنها جماعة منهم عبد الله بن عباس (هى خالة خالد بن الوليد وخالة ابن عباس وخالة يزيد بن الاصم) بين بهذا وجه دخولهما على ميمونة وذكر يزيد استطراد وهى أيضا خالة عبد الله بن شداد بن الهاد (واختلف الناس فى رواية هذا الحديث) أى الحديث الثانى (عن على ابن زيد بن جدعان) بضم الجيم وسكون الدال المهملة (فروى بعضهم عن على بن زيد عن عمر بن أبى حرملة) كما سبق فى الاسناد (وروى شعبة) أى من بين المحدثين (عن على بن زيد فقال) أى شعبة فى اسناده (عن على عن عمرو بن حرملة والصحيح عمر بن أبى حرملة) الصحة فى موضعين الاول عمر

بلاواو والثانى ابن أبى حرملة على الـكنية وانمـا أعادهذا مع استفادته من ايراد اسناده لبيان المراد بالتصريح ولمقام الاختلاف بالتصحيح قاله فى جمع الوسائل

﴿ باب ما جاء في صفة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

أى فى كيفية شربه هل قائما أوقاعدا وهل كان يتنفس اثناء الشرب أولا والشرب هو المص حقيقة و يطلق على غيره مجازا وهو بتثليث أوله مصدر وقدقرئ بالحركات الثلاث قوله تعالى فشار بون شرب الهيم لـكن الـكسر شاذ وهوفى معنى النصيب أشهر كقوله تعالى لها شرب ولـكم شرب يوم معـلوم وأما قول ابن حجر انه بالفتح جمع شارب كصحب جمع صاحب فعلى تقـدير صحة وروده فلا مناسبة له بالباب قاله فى جمع الوسائل (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم) مصغر هشام (نا عاصم الاحول ومغيرة) بضم فـكسر هو ابن مقسم الضبي مولاهم الـكوفى الفقيه الضرير أبو هشام ثقة متقن مات سنة ثلاثه وثلاثين ومائة (عن الشعبي) تابعى مشهور (عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب) قيل فى حجة الوداع (من زمزم وهو قائم) هذا صحيح وفى صحيح مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسـلم نهى عن الشرب قائما بل فى رواية لمسلم من حديث أبى هريرة ان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم قال لا يشربن أحدكم قائما فمن نسى فليستقئ قال الشيخ مجد الدين الفيرو زابادى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب غالبا قاعدا وقد شرب مرة قائما فقال بعضهم النهى ناسخ له وقال بعضهم انه ناسخ للنهى وقال بعضهم النهى محمول على التنزيه وشربه قائمـا لبيان الجواز وقال بعضهم الشرب قائمـا كان لعذر قال ابن حجر وحيث أمكن الجمع بين الحديثين وجب المصير اليه ودعوى النسخ ليست فى محلها اه وقال الشيخ محيي السـنة وأما النهى فنهى أدب وارفاق ليكون تناوله على سكون وطمأنينة فيكون أبعـد من الفساد اه أى لان فى الشرب قائمـا ضررا ومن ثم ندب الاستفاء منـه حتى للناسى لانه يحرك خلطا يكون القئ دواءه قال ابن القيم وللشرب قائمـا آفات منها انه لا يحصل به الرى التام ولا يسـتقر فى المعدة حتى يقسمه الـكبد على الاعضاء و ينزل بسرعة الى المعـدة فيخشى منه ان يبرد حرارتها و يسرع النفوذ الى أسافل البدن بغير تدريج وعند أحمـد عن أبى هريرة انه رأى رجلا يشرب قائمـا فقال له قئه فقال لمه فقال أيسرك ان يشرب معك الهر قال لا فقال له قد شرب معك من هو شر منه الشيطان قال فى جمع الوسائل و يمكن ان يكون القيام مختصا بماء زمزم و بفضل ماء الوضوء كما فى صحيح البخارى و يأتى فى الاصل أيضا عن على و نـكتة التخصيص فى ماء زمزم الاشارة الى اسـتحباب التضلع من مائه وفى فضـل الوضوء الايمـاء الى وصول بركته الى جميع الاعضاء ثم رأيت بعضهم صرح بانه يسن الشرب من ماء زمزم قائما اتباعا له صلى الله عليه وسلم و يؤيده حديث على الآتى حيث تبعه صلى الله عليه وسلم فى القيام المخصوص ولم ينظر الى عموم نهيه عن الشرب قائمـا ونازعه ابن حجر بمـا لا طائل تحتـه اه * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا محمد بن جعفر عن حسين المعلم عن عمرو بن شعيب) ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصى (عن

حقيقون بأن يقال فى حقهم ماذكر فقوله عجبا هو منصوب على المفعول المطلق الآتى بدلا من لفظه والعجب الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول وللـكفار بمعنى منهم حال كونهم زادوا ضلالا بالذى فيه أى بالمعجز كالقرآن وغيره الذى فى كل فرد من أفراده للعقول السليمة الخلية عن الخذلان والعناد والحسد اهتداء أى ارشاد الى الدين القيم الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم والى صحة ما تحدى به و يصح أن يراد بالعقول المطلقة حملا للاهتداء على ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء مطلقا لـكن اذا قارنها عنادأو خذلان لم ينتفع بها ووجـه التعجب منه واضح فانهـم كانوا مع ما شاهـدوه من الآيات والمعجزات التى ترشـد العقول الى الحق لا يزدادون لما عنـدهم من الحسـد والتلبيس على الضـعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر (والذى يسألون منه كتاب منزل قد أتاهم وارتقاء) الذى مبتدأ وكتاب خبره ومنزل صفته وقد أتاهم جملة حالية وارتقاء معطوف على الخبر أى صعود الى السماء والمعـنى ان الذى يسألونه من النبي صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعـناد كتاب مـنزل قد أتاهم به وارتقاء أى صعود الى السماء وقد وقع ذلك فى الاسراء و يحتمـل أن يكون تقدير البيت وعجبا مـن الذى يسألون منه على جهة التعنت وهو كثير منه كتاب منزل معه عليهم من السماء قد أتاهم به وهم يشاهـدونه وارتقاء منه اليها وغير ذلك وهذا كما حكى الله تعالى عنهم فى قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية (أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء) أى أيقولون ذلك كله و يتعنتون به ولم يكفهم عن ذلك كله ذكر كائن من الله واصل اليهم فقدمت الصفة فصارت حالا وتسميته ذكرا جاءت فى آية مرادا به الشرف كما فى قوله وانه لذكر لك ولقومك وفى أخرى مرادا به انه مذكر بكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر وهذا الذكر فيه للناس الانس والجن والملائـكة تغليبا رحمة باهتداء المؤمنين به وتأخير عذاب الاستئصال عن الـكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وما كان الله ليعذبهـم وأنت فيهم وشفاء من كل داء ظاهر أو باطن حسى أو معنوى كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

أبيه) شعيب (عن جده) قال ابن حجر أراد جده بواسطة أو جد أبيه وهو عبد الله الصحابي الجليل الافضل من أبيه والاكثر منه ومن غيره تلقيا وأخذا للعلم عنه صلى الله عليه وسلم وحينئذ فحديثه موصول ورواية محتج بها ولهذا احتج بهذا السند أكثر الحفاظ الى ان قال وانما يكون ذلك لقرائن أثبتت عندهم سماعه من جد أبيه عبد الله انظر تمامه فيه ولم يرو شعيب عن أبيه محمد كما تقرر عند النقاد وفي سنن أبي داود والنسائي وغيرهما بلفظ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاصي (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائما) أي نادرا لبيان الجواز وحمل النهي عنه على التنزيه أو لضرورة أو لخصوصية كما تقدم (وقاعدا) أي مرارا كثيرة لبيان الافضل والوجه الاكمل وما قيل من أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عن فعل المكروه فكيف شرب قائما فمردود لانه اذا كان لبيان الجواز فواجب عليه فكيف يكون مكروها * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا ابن المبارك عن عاصم الاحول عن الشعبي عن ابن عباس) زاد في أكثر النسخ (قال) أي ابن عباس (سقيت النبي صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم) وقد تقدم فالمراد بتعدد الاسناد قوة الاعتماد وفي سياق هذا الحديث اشارة الى تعدد شربه صلى الله عليه وسلم قائما وايماء الى أن أحدهما كان على يد ابن عباس رضي الله عنهما والله أعلم قاله في جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ومحمد بن طريف) بفتح المهملة (الكوفي قالا حدثنا الفضل عن الاعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال أتي علي بكوز من ماء) الكوز ما اتسع رأسه من أواني الشراب اذا كان بعرى وآذان ويجمع على كيزان وأكواز فان لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب واحدها كوب فان كانت ملأى من شراب فهي أكواس قاله في المشارق (وهو في الرحبة) بفتح الراء والحاء وتسكن المكان المتسع والمراد هنا رحبة مسجد الكوفة وكانت وسطه كان علي رضي الله عنه يقعد فيه ويعظ (فأخذ منه) أي الكوز أو الماء (كفا) أي قدر كف من الماء (فغسل يديه) أي الى رسغيه (ومضمض واستنشق ومسح وجهه وذراعيه ورأسه) يبعد كل البعد غسل هذه الاعضاء ومسح بعضها من كف واحد فيكون قوله ومضمض وما بعده معطوفا على أخذ لا على غسل (ثم شرب وهو قائم) لم يذكر غسل الرجلين فيحتمل ان المراد وغسل رجليه كما في رواية ثم شرب وعليه فالمراد وضوء التجديد ويحتمل انه لم يغسل رجليه فالمراد الوضوء اللغوي وهو مطلق التنظيف وعلى الاول فأراد بمسح الوجه والذراعين الغسل الخفيف وقد ورد مصرحا به في بعض الروايات (ثم قال هذا) أي ما ذكر والاشارة لما عدا الشرب (وضوء من لم يحدث) أي من لم يرد طهر الحدث بل أراد التجديد أو التنظيف والا فوضوء المحدث معلوم بشرائط معروفة (هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل) من بعض المشار اليه الشرب قائما وهذا سبب ايراد هذا الحديث في هذا الباب وتقدم عن جمع الوسائل ان شربه قائما من فضلة الوضوء يحتمل أن يكون اشارة لندب الشرب قائما من فضلة الوضوء ويدل عليه عمل علي بعده ولو كان فعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز لكان تركه علي له أفضل * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد ويوسف بن حماد قالا نا

وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات لانتفاعهم باتباعه وغيرهم بطريق التبع قال بعض الائمة ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن ولكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قالوا ولم ينزل الله من السماء شيأ قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الرازي وغيره من ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس (١٩٢) الذي هو القرآن ما هو شفاء للامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوة والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة بفساد تلك الاعتقادات ما يكفي ويشفي من الاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بكليته وعدم أكل الحرام وعدم دنس الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلوب وصح حديث ان الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته ممن تلك حالته على أي مرض كان مبرئ له وان أعيا الاطباء ومن ثم قيل متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينفع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية وقد روي حديث من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن (فائدة) ذكر ابن السبكي في الطبقات في ترجمة زين الاسلام الاستاذ أبي القاسم سيدي عبد الكريم عبد القشيري صاحب الرسالة المشهورة المباركة التي قيل ما تكون في بيت فينكب ما نصه وبلغنا انه مرض للاستاذ أبي القاسم ولد مرضا شديدا بحيث أيس منه فشق ذلك على الاستاذ فرأى الحق سبحانه وتعالى في المنام فشكا اليه فقال له الحق تعالى اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه أو اكتبها في اناء واجعل فيه مشروبا واسقه اياه ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء في القرآن ست وهي ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو

للذين آمنوا هدى وشفاء قال التاج السبكي ورأيت كثيرا من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض و يسقاها في الاناء طلبا للعافية (أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتي به البلغاء) قال في الشفاء وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز (١٩٣) المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته اهـ وقال ابن حجر قيل علم اعجازه ضروري والاصح أن محله فمن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم أو علم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطاء عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري انه رسول الله وان ما جاء به هو من عند الله تعالى وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا أمر يدركه الذوق السليم وان لم يكن لصاحبه أن يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لاسيما وكل أحد يدرك فرقا بديهيا بين القرآن وغيره عند سماعهما وعبر بقوله آية تبعا للقاضي ولم يبال بان الذي عليه الجمهور ان أقل ما وقع به التحدي أقصر سورة منه وهي ثلاث آيات لقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الآية لان في دليلهم شيأ اذ لا يلزم من كونهم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على أقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا عن بعض آية لان في ارتباطها بما قبلها او بما بعدها أنواعا من بدائع الحكم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته بدليل انه لم يسمع عن احد قط انه حاكى شيأ منه سواء في ذلك الانس والجن والملائكة أيضا ولكنهم لم يذكروا لعصمتهم عن المخالفة فلهذا لم يستطع أحد أن يأتي بمثل آية منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله فهلا الخ هلا في الاصل

عبد الوارث بن سعيد عن أبي عاصم) كذا في نسخة وفي أخرى عصام بكسر المهملة روى له مسلم وأبو داود والنسائي (عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الاناء ثلاثا اذا شرب) في الصحيحين عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الاناء فالمعنى انه كان يشرب ثلاث مرات وفي كل ذلك يبين الاناء عن فيه فيتنفس ثم يعود والمنهي عنه هو التنفس في الاناء بلا ابانة (ويقول) أي النبي صلى الله عليه وسلم (هو) أي الشرب بالتنفس ثلاثا (أمرأ) أي أسوغ وألذ أفعل من مرؤ الطعام والشراب في بدنه اذا خالطه بسهولة ولذة وفي رواية أبرأ وهو بمعنى أمرأ أي أحسن شربا وأقله ضررا (وأروى) من الري أي أشد ريا وأبلغه وأنفعه وأقمع للعطش وقد ورد بسند حسن انه صلى الله عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة أنفاس واذا أدنى الاناء الى فيه سمى الله واذا أخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وورد انه صلى الله عليه وسلم نهى عن العب نفسا واحدا وقال ذلك شرب الشيطان رواه البيهقي عن ابن شهاب مرسلا وفي رواية لابي نعيم في الطب وابن السني والبيهقي عن أبي حسين مرسلا اذا شرب أحدكم فليمص الماء مصا ولا يعبه عبا فان الكباد من العب وفي مسند الفردوس عن علي مرفوعا اذا شربتم الماء فاشربوه مصا ولا تشربوه عبا فان العب يورث الكباد بضم الكاف وتشديد الباء وجع الكبد ويخاف من الشراب عبا الشرق لانسداد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فاذا شرب على دفعات أمن من ذلك وفي حديث البيهقي عن أنس مرفوعا التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان وفي رواية أبي داود والحاكم والبيهقي عن سعد مرفوعا التؤدة في كل شئ خير الا في عمل الآخرة قال عياض اختلف السلف في الاخذ بظاهر هذه الاحاديث فكره بعضهم الشرب من نفس واحد منهم ابن عباس وطاوس وعكرمة وقالوا هو شرب الشيطان واباحه جماعة منهم ابن المسيب وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس اهـ وانما نهى عن التنفس في الاناء لانه يغير الاناء اما التغير الفم بمأكول أو ترك سواك أو لان النفس يصعد ببخار المعدة قال ابن العربي وبالجملة فالتنفس في داخل الاناء يعلق به روائح منكرة فيفسد الماء وذلك معلوم بالتجربة ولهذا قلنا ان الشرب على الطعام لا يكون حتى يمسح فمه ولا يدخل حرف الاناء في فيه بل يجعل الحرف على الشفة السفلى و يشرب الماء بالشفة العليا مع نفسه الجاذب فاذا جاء نفسه الخارج نزع الاناء عن فيه * قال المصنف (حدثنا علي بن خشرم) بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين (أنا عيسى بن يونس عن رشدين) بكسر فسكون معجمة فدال مكسورة فتحتية ساكنة فنون ضعيف (ابن كريب) بالتصغير (عن أبيه) أي كريب وهو ثقة (عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب تنفس مرتين) أي في بعض الاوقات و به يجمع بين الروايات و يؤيده ما رواه المصنف في جامعه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشربوا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم رفعتم وفي رواية البخاري مرتين أو ثلاثا واو للتنويع لانه ان روي بنفسين اكتفى بهما والا فثلاث وهذا ليس نصا في الاقتصار على المرتين بل يحتمل أن يراد به التنفس في الاناء وسكت عن التنفس الاخير لانه من

لتخصيص والمراد بها هنا التهكم والتوبيخ لمن يزعم امكان المعارضة وضمير بها عائد على الآية والبلغاء جمع بليغ من البلاغة وهي مطابقة
الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته والبليغ من فيه ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ وأفاد الناظم بهذا ان البلغاء فضلا عن غيرهم مع انهم
العرب الفصحاء والخطباء البلغاء من قريش وغيرها والمتقدمون في اللسن والتبيان والرؤساء في قوانين المعاني والبديع والبيان والفرسان في
ميادين الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة أظهر وأعجزهم عن المعارضة وكانت عقولهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم

عن ذلك أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الأكمه والابرص لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان أعلى أربهم ومنتهى طلابهم التفنن في أفنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في أعاجيب الخطابة وأساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة فمحال أن يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة سكوتا عن معارضة آية منه المستلزمة لنقض أمره وتفريق أتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل أكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم فعجزهم حتى كشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم اني افتريته لعلمي باخبار الامم فأتوا بمفترى مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع

فيه شاعر ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد من يستجيده ويحامي عليه فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه ياب
وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته قطع بعجزهم وانقطاعهم قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم أعقل خلق الله وقد قطع القول بان ما أتى
به من عند ربه وانهم لا يأتون بمثل أقصر سورة منه فلولا أنه على بينة واضحة من ربه لم يقطع بذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته
والتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع أحد منهم شيئا من ذلك وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة
بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدي اصدق الخلق ولهذا قال العلماء من أعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة

ضرورة الواقع في الختم وفي كلام الحافظ العراقي ما يشير الى حصول أصل السنة بالتنفس مرتين وان كمالها
انما يكون بثلاث وان كفى ما دونها * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر نا سفيان عن يزيد بن يزيد)
اتفق اسم الولد والاب وهذا كثير (ابن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة) قيل اسمه أسيد وقيل اسامة (عن
جدته كبشة) بفتح الكاف وسكون الموحدة فشين معجمة هي اما بنت ثابت بن المنذر الانصارية أخت
حسان لها صحبة وحديث ويقال كبيشة بالتصغير وأما بنت كعب بن مالك الانصارية زوج عبد الله بن
أبي قتادة لها صحبة وتعرف بالبرصاء وهي جدة عبد الرحمن بن أبي عمرة وهو الراوي عنها (قالت دخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما) وردعنه صلى الله عليه وسلم النهي عن الشرب
من في السقاء لانه ربما يكون فيها ما يؤذي ولا يراه الشارب وفي رواية نهى عن اختناث الاسقية
واختناثها أن يقلب رأسها ثم يشرب منه ففعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز وان النهي للتنزيه لبيان
الافضل والاكمل أو لمكان الضرورة وتقدم ما في شربه قائما مع نهيه عن ذلك (فقمت الى فيها) أي قاصدا
الى فم القربة (فقطعته) أي لاجل التبرك أو عدم الابتذال أو لهما معا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا
عبد الرحمن بن مهدي نا عزرة بن ثابت الانصاري عن ثمامة بن عبد الله قال كان أنس بن مالك يتنفس في
الاناء ثلاثا وزعم أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم) بفتح ان لانه مفعول زعم وان كان بمعنى قال (كان
يتنفس في الاناء ثلاثا) تقدم معناه * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا أبو عاصم عن ابن
جريج عن عبد الكريم) أي ابن مالك الجزري (عن البراء بن زيد) بالتنوين (ابن ابنة أنس بن مالك) صفة
ثانية للبراء (عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل) زاد في نسخة على أم سليم (وقربة معلقة
فشرب من فم القربة وهو قائم فقامت أم سليم) هي أم أنس بن مالك وقد اختلف في اسمها (الى رأس القربة)
أي فيها (فقطعتها) في نسخة فقطعته وهو القياس والتأنيث باعتبار المضاف اليه أو باعتبار كونه قطعة في المآل
زاد في رواية لابي الشيخ وقالت لا يشرب منها أحد بعده * قال المصنف (حدثنا أحمد بن نصر النيسابوري)
كان يذاكر بمائة ألف حديث وصام نيفا وثلاثين سنة وتصدق بخمسة آلاف درهم مات سنة تسع وتسعين
ومائتين (نا اسحق بن محمد الفروي نا عبيدة) بالتصغير (بنت نائل) بالهمز كبائع (عن عائشة بنت سعد
ابن أبي وقاص) الزهرية المدنية ثقة من الرابعة عمرت حتى أدركها مالك وماتت بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة
عن أربع وثمانين سنة ووهم من زعم ان لها رؤية خرج لها البخاري وأبو داود والنسائي (عن أبيها ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يشرب قائما وقال بعضهم) وفي نسخة قال أبو عيسى وقال بعضهم أي بعض المحدثين
(عبيدة بنت نابل) بكسر الباء الموحدة ولم يصحح العسقلاني في كتاب التقريب عبيدة ولا أباها بل قال
عبيدة بنت نائل مقبولة من السابعة ولم يزد على ذلك شيأ

العرب فانهم أوتوامنهما امالم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون منهمـا على البداهة بالامر الاعجب و يدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة عند شدة الخطب و يرتجزون به بين الطعن والضرب و يتراسلون فى أوديتهما فيأتون منهمـا بالسحر الحلال و يتطوقون من دررهما أجمـل من سمط اللآل فلا يشك عاقل أنهمـا طوع مرادهم وسلك قيادهم فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم أفصح ما كانوا فى هذا الباب مقالا وأشهر ماوجدوا فى الخطابة والشعر مثالا صار خافيهم فى كل حين مقرعالهم على رؤس الملا أجمعين فاتوا بسورة من مثله والا فأنتم المردودون الى أسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح أنفسهم وأموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم يأتوا بمقال صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته ومحجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالامتراء فى قولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقد قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فقال الله تعالى لهم فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو قدروا على أدنى معارضة لبادروا اليها وأفحموا الخصم الذى كانوا محافظين على اطفاء نوره و اخفاء أموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فأيسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتى به اليهم مكث بين أظهرهم أربعين سنة أميا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا أنشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروى أثرا حتى أكرمه الله تعالى بالوحى المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقى وغيره ان عتبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال له اسمع منى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم

باب ما جاء في تعطر رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى استعماله العطر أى الطيب وكان صلى الله عليه وسلم طيب الريح دائما وان لم يمس طيبا كما جاء فى الاخبار الصحاح وكان مع ذلك يحب استعمال الطيب استكثارا للروائح الحسنة لانه كان يناجى الملائكة وتشريعا للامته وسيأتى فى باب الخلق قول أنس ماشممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيأ أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر رضى الله عنه لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يمر فى طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيبه عليه السلام وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها وكان يضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بطيب الرائحة وفى صحيح مسلم انه نام عند أم سليم فعرق فسلتت عرقه فى قارورتها فاستيقظ فقال ماهذا الذى تصنعين ياأم سليم فقالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب وروى أبو يعلى والطبرانى ان النبى صلى الله عليه وسلم سلت من عرقه لمن استعان به على تجهيز بنته وجعله فى قارورة وقال مرها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين (قلت) و يفهم من قوله الا عرف انه سلكه ومن قوله فيعرف من بين الصبيان ومن قول أم سليم هو أطيب الطيب ومن قوله شم أهل المدينة ذلك الطيب ان طيبه عليه السلام لا يشبهه طيب فتنبه لذلك قال ابن حجر وأما الخبر المروى فى مسند الفردوس وغيره ان الورد الابيض خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم والاحمر من عرق جبريل والاصفر من عرق البراق فقال النووى لا يصح اه وكذا حديث من شم الورد ولم يصل على فقد جفانى كل ذلك لا أصل له انظر ابن حجر وقد ذكر ابن حجر وغيره بعض ما للائمة من الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم ثم قال قيل وسببه شق جوفه الشريف وغسل باطنه صلى الله عليه وسلم فانظره وقد تقدم فى حديث هند عند قوله مفلج الاسنان الكلام على ريقه صلى الله عليه وسلم (حدثنا محمد بن رافع) أى القشيرى النيسابورى سمع ابن عيينة ومعن بن عيسى والنضر بن شميل وغيرهم روى عنه البخارى ومسلم وكان فوق الثقة قال زكريا بعث اليه طاهر بن عبد الله بخمسة آلاف درهم بعد العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل فلم يقبل وقال قد بلغت الشمس رؤس الحيطان أى قربت أن تغرب مات فى سنة خمس وأربعين ومائتين (وغير واحد) أى كثير من المشايخ سوى محمد بن رافع (قالوا أخبرنا أبو أحمد الزبيرى نا شيبان عن عبد الله بن المختار عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال كان) وفى نسخة كانت (لرسول صلى الله عليه وسلم سكة) بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب مركب قال الفيروزابادى صاحب القاموس السك طيب يتخذ من الرامك مدقوقا منخولا معجونا بالماء و يمسح بدهن الخيرى لئلا يلتصق بالاناء و يترك ليلة ثم يسحق المسك و يخلط به و يعرك عركا شديدا و يقرص و يترك يومين ثم يثقب بملة و ينظم فى خيط قنب و يترك سنة وكلما عتق طابت رائحته والرامك كالصاحب شىء أسود وقد تفتح

نزل من الرحمن الرحيم الى أن بلغ السجدة فسمع ما أبهره فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فقام الى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به اليه فقالوا له ما وراءك فقال لهم سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة أطيعوني معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم انه اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وفى الخصائص الكبرى للاسيوطى

الميم ويحتمل أن يكون المراد بالسكة وعاء فيه طيب قال العسقلانى فان كان المراد بها نفس الطيب فالظاهر أن يقال كلمة من فى قوله (يتطيب منها) للتبعيض ليشعر بانه يستعمل فى دفعات بخلاف ما لو قال بها فانه يوهم انه يستعملها دفعة واحدة وان كان المراد بها الوعاء فمن للابتداء اه وروى النسائى والبخارى فى تاريخه عن محمد بن على قال سألت عائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر فى النهاية ذكارة الطيب وذكورته ما يصلح للرجال وهو ما لا لون له كالمسك والعنبر والعود * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا عزرة بن ثابت عن ثمامة بن عبد الله قال كان أنس بن مالك لا يرد الطيب وقال أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب) هذا حديث صحيح أخرجه أحمد والبخارى والنسائى وقد ورد النهى عن رده مقرونا ببيان الحكمة فى حديث صحيح رواه أبو داود والنسائى وأبو عوانة من طريق عبيد الله بن أبى جعفر عن الاعرج عن أبى هريرة مرفوعا من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وفى مسلم مثله الا أنه قال ريحان بدل طيب والمحمل بفتح الميم الاولى وكسر الثانية والمراد به هنا الحمل بالفتح والمعنى انه ليس بثقيل بل قليل المنة وهو مع ذلك طيب الرائحة فالهدية اذا كانت قليلة وتتضمن منفعة فلا ترد لئلا يتأذى المهدى ويأتى تعليله أيضاً بانه خرج من الجنة * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن أبى فديك) اسمه محمد بن اسمعيل بن مسلم بن أبى فديك (عن عبد الله بن مسلم بن جندب) بضم الجيم والدال ويفتح (عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) أى ثلاث هدايا (لا ترد الوسائد) جمع وسادة وهى ما يجعل تحت الرأس عند النوم ويقال المخدة لوضعها تحت الخد قال المناوى والظاهر ان المراد انها اذا بسطت ليجلس عليها ينبغى أن يجلس عليها اذ لا منة فى الاستناد اليها ولو نفيسة وليس المراد قبول عين الوسادة اذا أهديت (والدهن) لعل المراد الدهن الذى فيه طيب (واللبن) قال ابن حجر وغيره ويلحق بهذه الثلاثة كل ما لا منة عرفا فى قبوله ولبعضهم

عن المصطفى سبع يسن قبولها * اذا ما بها قد أتحف المرء خلان

فحلو وألبان ودهن وسادة * ورزق لمحتاج وطيب وريحان

* قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود) قيل اسمه عمرو بن سعد (الحفرى) بفتح الحاء المهملة والفاء نسبة الى حفرة محل بالكوفة (عن سفيان) الثورى (عن الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء الاولى اسمه سعيد بن اياس (عن أبى نضرة) المنذر بن مالك (عن رجل) وفى نسخة عن الطفاوى بضم الطاء المهملة والفاء منسوب لطفاوة حى من قيس غيلان وهو مجهول أيضاً فى الحديث مجهول على كل تقدير لكن حسنه المؤلف فى جامعه وان كان فيه مجهول لانه تابعى والراوى عنه ثقة فجهالته تغتفر من هذا الوجه (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الرجال) جاء الطيب مصدرا واسما وهو المراد هنا ومعناه ما يتطيب به واستبعد ابن حجر ارادة المصدر (ما ظهر ريحه وخفى لونه) كماء الورد والمسك والعنبر وأما ما يظهر لونه من زينة النساء وحليتهن وملعون من الرجال من تشبه بالنساء فلا يتزين الرجل بالنواوير كالقرنفل

أخرج الحاكم والبيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فاتاه فقال يا عم ان قومك يرون أن يجعلوا لك مالا قال ولم قال ليعطوكه فانك أتيت محمدا لتتعرض له فقال قد علمت قريش انى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم أحد أعلم بالاشعار منى والله ما يشبه الذى يقوله شيأ من هذا والله ان لقوله الذى يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر عن غيره فنزلت ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت الآية اه وقد اعترف جميع من سمع القرآن من فصحاء المشركين بأنه خارج عن طوق بشر يتهم كما دل على ذلك وقائعهم المذكورة فى الخصائص وغيرها والورد

* والحق ما شهدت به الاعداء * وتجب ههنا مراجعة الشفاء والمواهب فان فيهما الشفاء والعجائب وهذه الوقائع انما تذكر ليتبين الاعجاز لمن لا يعرف وجهه لعدم ممارسته لفن البلاغة أما العارف بفن البلاغة فانه يعرف وجه الاعجاز بما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة والايجاز لانه اذا نظر فى آيات القرآن وتأمل فيها علم يقينا انه لا تمكن معارضته وان الاتيان بمثله ليس فى طوق البشر لانه يرى كلاما جامعا للاحوال التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال لا يفوته منها شئ فيستخرج منها بقدر فهمه ما تحار فيه العقول ويتيقن انه لا يحيط به غير العليم الخبير ثم اذا أفرغ

ذهنه واستحضر قواعد البلاغة وأعاد التامل استخرج اشياء اخر ادق وأتم تحت كل واحد منها ما يعيي الافهام ثم اذا أعاد النظر فكذلك ثم يجيء من بعده فيستخرج ما لم يستخرجه الاول وهكذا او يجد ذلك مطردا في جميع آياته غير اتفاقي مع انه ليس في فن منضبط ذي قواعد مخصوصة يرجع اليها في تحقيقه بل الفنون مأخوذة منه ومندرجة تحت آياته على أحكم وجه وأتمه وأصوبه مصون جميعه من جميع القوادح وكلام البشر لا يتاتى فيه ذلك ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

والحاصل ان وجوه الاعجاز كثيرة لكنها ترجع الى أربعة أحدها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ثانيها صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب ثالثها ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم يقع فوجد على الوجه الذي أخبر رابعها ما أنبأ به من اخبار القرون الماضية والامم الفانية

(كل يوم تهدى الى سامعيه معجزات من لفظه القراء) أي في كل وقت تهدى القراء من لفظ القرآن الى السامعين له معجزات أي غرائب وعجائب ونكتا ولطائف شبه المعجزات المذكورة بالذخائر والنفائس المهداة استعارة مكنية وتهدى استعارة تخييلية تبعية قال القاضي عياض في الشفاء من وجوه اعجازه كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه بالعجز في يديه والنكوص على عقبيه (تتحلى به المسامع والافواه فهو الحلي والحلواء) تتحلى من التحلية أي بسماعه المسامع أي الآذان وتتحلى من الحلو بألفاظه

والورد والريحان والنسرين والياسمين وان كان يجوز له أن يشمه (وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه) كالزعفران والحناء قال العلماء هذا انما يتعين عند خروجهن لان ما يظهر ريحه يجر الى الفتنة اذا خرجن في النسائي عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وروى أحمد ومسلم وأبوداود والنسائي عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة وأما اذا كانت عند زوجها فلتتطيب بما شاءت قالوا ويتأكد الطيب للرجال في نحو يوم الجمعة والعيد وعند الاحرام وفي حضور المحافل وقراءة القرآن والعلم والذكر ليدفع عن نفسه ما يكره من الروائح وليدخل على اخوانه المؤمنين بذلك راحة ويدفع عنهم بضدها مضرة وليظهر مروأته ونظافته وقد بني الاسلام على النظافة ولا يفعل ذلك فخرا ورياء واختيالا بدنياه ومباهاة بوجده والله لا يحب كل مختال فخور ويقال ليس شيء أضر على النفس من الروائح القبيحة وليس شيء يلائمها وينعشها أكثر من الروائح الطيبة فهيا غذاء للنفس وتقوية للقلب ويتأكد لكل من الرجل والمرأة عند المباشرة فانه من حسن المعاشرة * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر) بضم الحاء المهملة وسكون الجيم (نا اسمعيل بن ابراهيم عن الجريري عن أبي نضرة عن الطفاوي) تقدم انه مجهول لا يعرف اسمه (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله) أي مثل الحديث السابق في اللفظ والمعنى فقوله (بمعناه) للتأكيد كما ان ايراد هذا الاسناد لزيادة الاعتماد في الاسناد كذا في جمع الوسائل ومقتضى ما سبق في بيان اصطلاحهم في نحوه ومثله أن يكون قوله بمعناه لبيان ان المثل هنا لم يستعمل في معناه عند الاطلاق وهو ان الموافقة في اللفظ والمعنى وانما هو مستعمل بمعنى نحوه فيكون قوله بمعناه للتأسيس لا للتأكيد وقد تقدم ان كلا منهما قد يستعمل في موضع الآخر * قال المصنف (حدثنا محمد بن خليفة وعمرو بن علي قالا نا يزيد بن زريع نا حجاج الصواف عن حنان) بفتح الحاء المهملة وتخفيف النون الاولى وستأتي ترجمته عند المصنف وفي نسخة بفتح أوله فموحدة مخففة وفي نسخة بموحدتين (عن أبي عثمان النهدي) بفتح النون وسكون الهاء منسوب الى بني نهد قبيلة من اليمن واسمه عبد الرحمن بن مل بتثليث ميم ولام مشددة مشهور بكنيته أدرك الجاهلية وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه سمع عمرو بن مسعود وأبا موسى وروى عنه قتادة وغيره ثقة ثبت عابد مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة وقيل أكثر والحديث مرسل كما صرح به السيوطي في الجامع الصغير فقال رواه أبوداود في مراسيله والترمذي عن أبي عثمان النهدي مرسلا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أعطي أحدكم الريحان) هو كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم على ما في النهاية وأهل المغرب يخصونه بالآس والآس هو المراد في حديث ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر وأهل العراق والشام يخصونه بالحبق وقيل يحتمل أن يراد به الطيب كله ليوافق ما مر ويطابق رواية أبي داود من عرض عليه طيب ورواية البخاري كان صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب (فلا يرده) بفتح الدال وهو

الافواه فهو الحلى أى ما يتحلى به راجع للاول والحلواء أى ما يستحلى به راجع للثانى قال فى الشفاء ومن وجوه اعجازه ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد والقرآن يستلذ به فى الخلوات ويؤنس بتلاوته فى الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن

نص فى كونه نهيا وروى بضمها فيحتمل النهى والنفى بمعنى النهى كقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون (فانه خرج من الجنة) أى والجنة محبوبة ومحبها لا يرد من محبوبه فان كل ما ينسب للمحبوب محبوب ويعنى ان أصل الطيب من الجنة وليس المراد ان طيب الدنيا خرج بعينه من الجنة فان طيب الجنة يوجد ريحه من مسيرة خمسمائة عام كما فى الحديث وخلق الله تعالى الطيب فى الدنيا ليذكر به العباد طيب الآخرة ويرغبوا فى الجنة ويزيدوا فى الاعمال الصالحة الموصلة اليها (قال أبو عيسى لا نعرف لحنان) أى المذكور فى السند (غير هذا الحديث) بنصب غير وفى نسخة لا يعرف لحنان بياء الغيبة مبنيا للمجهول فيكون غير مرفوعا ويوجد فى بعض النسخ ما نصه (وقال) عطف على لا نعرف من مقول المصنف (عبد الرحمن بن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل حنان الاسدى) بفتحتين ويسكن ويقال الازدى بالزاى الساكنة بدل السين (من بنى أسد بن شريك) أسد بن شريك بطن من الازد ويقال للاسد أزد (وهو صاحب الرقيق) بفتح الراء وكسر القاف الاولى (عم والد مسدد) قال العسقلانى حنان كوفى مقبول من السادسة وقال غيره يعد من أهل البصرة وكان فى الاصل كوفيا وهو مقل جدا له هذا الحديث الواحد المرسل (وروى) أى حنان (عن أبى عثمان النهدى وروى عنه) أى عن حنان (ابن أبى عثمان الصواف) اسمه الحجاج (سمعت) أى قال عبد الرحمن سمعت (أبى) يعنى أباحاتم (يقول ذلك) أى هذا القول فى ترجمة حنان * قال المصنف (حدثنا عمر بن اسمعيل ابن مجالد بن سعيد الهمدانى نا أبى) أى سعيد (عن بيان عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله) أى البجلى صحابى مشهور سيد قبيلة بجيلة كان طويلا جدا يصل الى سنام البعير وكان مفرط الجمال ومن ثم لقب يوسف هذه الامة وكان المصطفى يتبسم عند رؤيته كما يأتى فى باب الضحك أسلم فى السنة التى توفى فيها النبى صلى الله عليه وسلم قال جرير أسلمت قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما نزل الكوفة وسكنها زمانا ثم انتقل منها ومات سنة احدى وخمسين روى عنه خلق كثير وفى البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى ذى الخلصة دعا له وقال اللهم ثبته على الخيل واجعله هاديا مهديا وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقال فيه انه سيدخل عليكم من هذا الباب من خير ذى يمن وان على وجهه لمسحة ملك وقال فيه جرير بن عبد الله منا أهل البيت ظهر البطن قالها ثلاثا (قال عرضت بين يدى عمر بن الخطاب) عرضت بالبناء للمجهول وعرضه عليه من أمره بذلك لينظر قوته وجلادته كعرض الجيش على الامير ليعرفهم ويتأملهم حتى يرد من لا يرتضيه وكان جرير راغبا الى خلافة عمر فلما حضر أمر بعرضه عليه ليتبين حاله (فألقى جرير رداءه ومشى فى ازار) اظهارا لقوته وتجلده وشجاعته وكان القياس فألقيت ردائى ومشيت فهو التفات من التكلم الى الغيبة ويحتمل أن يكون من كلام قيس نقل به كلام جرير أو نقله بالمعنى (فقال) عطف على عرضت أى فقال عمر (له خذ رداءك) أى واترك مشيك متجردا فانه قد ظهر أمرك (فقال عمر) بعد ذلك (للقوم) أى للحاضرين أو غيرهم (ما رأيت رجلا) أى صورة رجل فالكلام على حذف مضاف بدليل قوله (أحسن من صورة جرير) أى بدنه فان دحية كان أجمل من جرير

بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذى لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به اه *(تنبيه)* لا يقال انا نجد أحزاب المشايخ وقصائد المديح فى الجناب العلى من كلام البشر وهى تتكرر وتتردد ولا تمل لانا نقول ذلك انما هو لكونها فى خصوص التوحيد الخاص والادعية النافعة والثناء على المحبوب فمن ثم جاءها ذلك مع انضمام كونها تقرأ بلحون وطرق مخصوصة يستعان بها على النشاط عندها بخلاف القرآن فانه مشتمل على ذلك وغيره كذكر أحوال أهل النار والرد على طوائف الكفار وبيان الاحكام الشرعية وغير ذلك وجميعه لا يمل منه فظهرت الخصوصية * ثم اعلم ان التلذذ به دائم حاصل حتى فى الجنة ففى الحديث الصحيح انه يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فيؤخذ منه انه يقرأ ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القراء من أنواع المعارف اللائقة بتلك الدار وبتلك الذوات التى تم فيها التأمل وذلك أمر لا يتناهى أبدا انتهى

وجها

(رق لفظا وراق معنى فجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء) رق أى حسن لفظا أى من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ماينافى كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر أو تعقيد وراق أى تصفى من شوائب النقص فأعجب كل ناظر فيه من جهة معناه فلا تجد معنى من معانيه

الا وهو واصل في الاحكام ووضوح المرام الغاية القصوى فبسبب كون سوره رقت و راقت جاءت الخنساء بنت عمرو والشاعرة المفلقة
كما يأتي حال كونها في حلاها أي صفاتها الجميلة وحليها أي وزينتها شبه سوره في صفاتها العلية وتزيينها بما أودعته من الاسرار البهية بامرأة
بلغت في الزينة وأوصاف الحسن مالا يمكن التعبير عنه وخص الخنساء بالذكر لكونها أشعر نساء العرب ومن أجملهن وهذا انما هو على طريق
التشبيه حيث تعجز العبارة عن الاتيان بمشبه به يصلح لذلك فيؤتى بأحسن شئ (١٩٩) تستحسنه النفس وان كان المشبه أعلى
من المشبه به
(وأرتنا فيه غوامض فضل
رقة من زلاله وصفاء)
وأرتنا أوضحت لنا وفاعله
رقة الآتي غوامض فضل
أي خفاياه كالعلوم
والمعارف المستنبطة منه
التي لا حد لها ولا غاية ومن
ثم جاء عن علي كرم الله وجهه
لو شئت أن أوقر بعيرا من
تفسير سورة الضحى لفعلت
وعنه لو أذن لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن أضع
على الفاتحة وقر سبعين بعيرا
لفعلت والزلال الماء الصافي
العذب البارد شبه آي
القرآن في محاسن أساليبها
وصفاء مواردها الموجبين
لمن حدق في خفاياهما حديد
نظره وحقق في غورهما
رفيق فكره برد اليقين
وصفاء القلب عن كل
سوى حتى اطلع على سائر
الغوامض من العلوم الالهية
والمعارف الاختصاصية
والمواهب الرحمانية
والمشارب الروحانية
بماء في غاية العذوبة والبرودة
وصفاء الجوهر ورقتها
بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته مما شأنه ان يخفى وذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكرته كما أشار لذلك بكلام جامع بديع فقال
(انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء) أي انما تبصر الوجوه وتظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه ان قوبلت بالمرآة
اذا ما أزيلت عن مرآتها بكسر الميم والمد أي آلة الابصار الاصداء جمع صدا وهو ما يعلو الحديد من الوسخ فكذلك مرآة القلوب لا تجتلى لها
العلوم والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار وأذابت قواها فيما هي بصدده آناء الليل وأطراف النهار قال المحاسبي في بغية
السالك في أشرف المسالك واعلم ان سر القرآن ولبابه ومقصده دعوة الخلق الى المعرفة بالله تعالى اذ كل ما اشتمل عليه القرآن من التعريفات

وجها وقد ورد انه كان اذا دخل بلدا خرج لرؤيته حتى العواتق من خدورهن ويدل على ما ذكرنا ان عمر لم
يقل ذلك الا عند تجرد جرير انظر ابن حجر والمناوي (الا ما بلغنا من صورة يوسف عليه السلام) ان كان
رأيت بمعنى أبصرت فالا استثناء منقطع وان كان بمعنى علمت فهو متصل وهو أنسب وكان عمر رضي الله عنه
اتكل على ما قد استقر في الاذهان ان المصطفى صلى الله عليه وسلم أجمل العالمين وأجلهم وان يوسف عليه
السلام انما أعطى شطر حسنه صلى الله عليه وسلم فلم يحتج الى استثناء صورة نبينا صلى الله عليه وسلم ولولا ان
الله سبحانه ستر عن أصحابه كثيرا من جماله الزاهر وكماله الباهر بالهيبة والوقار وأعمى عنه آخرين لما أمكنهم
التلقي عنه والتعلم منه اذ لو برز لهم جماله لما استطاع أحد أن ينظر اليه بهذه الابصار الضعيفة الدنيوية
ولافتتنوا به كما افتتن صواحب يوسف بيوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن ويرحم الله القائل

ما حسن يوسف النبي الكامل * الا كشطر من بحور الكامل
لو لم يك الاله ذو الجلال * كسا الجمال منه بالجلال
ما استطاعت العين اليه تنظر * ولرأت ما ليس منه تقدر

وراجع ما تقدم في قول علي رضي الله عنه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ولم يظهر وجه لذكر حديث جرير
هذا في ترجمة التعطر وأما قول ابن حجر ان طيب الصورة يلزمه غالبا طيب ريحها ففيه ايماء الى التعطر اهـ فلا
يخفى ما فيه من التكلف ولهذا قال بعضهم لعله من ملحقات بعض النساخ سهوا

﴿ باب كيف كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

باب خبر لمبتدا محذوف على ما هو معروف ثم على انه منون فالجملة بعده مستقلة مستأنفة لمقصود الترجمة وكيف
حال على ان كان تامة وخبرها على انها ناقصة وقدمت لصدارتها وعلى انه غير منون ففي الكلام مضاف مقدر
أي هذا باب جواب كيف كان أو بيان كيف كان وانما احتجنا الى هذا المقدر لان لفظ الباب لا يضاف
الى الجملة ولان المترجم له ليس هو السؤال وانما هو جوابه فانه هو المتكلم عليه في الترجمة ونظير هذه الترجمة
ما وقع في أول كتاب صحيح البخاري باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم انه
لما بعث صلى الله عليه وسلم لتعليم الحق وتبليغه وبث الحكمة ونشرها واحياء الايمان والعلم واماتة
الكفر والجهل وايضاح طرق الهداية والتوفيق لتسلك واظهار سبل الغواية والخذلان لتجتنب ولذلك
كان لا ينطق الا بالحق حتى في مزاحه كان كلامه صلى الله عليه وسلم متوفرا لشروط الحسن والكمال من
جهة اللفظ والمعنى قال ابن حجر كان صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق لسانا وأعذبهم كلاما وأسرعهم ردا
وأحلاهم منطقا وأحلمهم جنانا وأوضحهم بيانا كيف ولسانه أعظم سيف من سيوف الله يبين عنه مراده
ويقصم بساطع نوره حجج المبطلين ويهدي الله به عباده قال له عمر رضي الله عنه مالك أفصحنا ولم تخرج
من بين أظهرنا قال كانت لغة اسمعيل قد درست أي متممات فصاحتها فجاءني بها جبريل فحفظتها رواه

كالتعريف بالله وصفاته وأفعاله والتعريف بطريق السلوك اليه والتعريف بوعده ووعيده والتعريف باهل التخصيص كالانبياء والملائكة والاولياء والتعريف باهل المقت كابليس وجنوده والجن والانس والتعريف بالاحكام التى طوقها عباده كل ذلك تعريفات تحرك النفس الى الاتصاف بمعنى التوحيد الجاذب الى المعرفة الحقيقية وهى قيام معنى التوحيد فى النفس حتى يصير صفة لها لا تغفل عنه ولا تجد أنسا بغيره قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية وهذه الحقيقة هى المطلوب من جميع العباد اهولبعضهم فى ذلك

مراد كتاب الله جذب قلوبنا
الى حضرة الرحمن والزهد فى الدنيا
فبلغ أخى القرآن منك مراده
لترقى بفضل الله للجنة العليا
(سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء) السور بالسين جمع سورة وهى الطائفة من القرآن المخصوصة المسماة باسم خاص توقيفى ومنه لبيان الجنس لان ما يأتى به ليس خاصا ببعض سوره بل يشملها كلها أشبهت لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما فى الاخرى ومن ثم وقع التحدى باقصر سورة منه وصورا جمع صورة وصورة الشئ شكله وانما اشبهت سور منه صورا منا لاشتمال كل منها على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركها فيها غيرها ولا تتوقف على ما فى غيرها وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على المعتزلة فى قولهم ان الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لا بكل سورة منه وهى مقالة فاسدة لمنافاتها لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والنظائر والنظراء جمع نظير وهو المثل والنظراء أيضاً الاماثل والافاضل وهذا كالتذييل لما قبله ويحتمل ان يكون أشار بالنظائر الى السور المخصوصة التى كان يعتنى بها النبى صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى ولها فضائل خاصة بها أى ومثل النظائر من السور النظراء أى الاماثل من الناس والافاضل منهم الذين يتناظرون فى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل (والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا توهمنك الخطباء) * الاقاويل جمع قول وهو هنا اللفظ المفيد عندهم أى الكفار ظرف للمبتدا أو لخبره وهو كالتماثيل جمع تمثال و بعيده

أبو نعيم وروى العسكرى بسند ضعيف جدا انهم قالوا نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانت تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره فقال ان الله تعالى أدبنى فأحسن تأديبى ونشأت فى بنى سعد بن بكر وروى الحاكم وصححه ان أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم اه وفى الجامع الصغير أحبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش فصرح الحفاظ بانه موضوع قاله فى جمع الوسائل * (حدثنا حميد بن مسعدة البصرى نا حميد بن الاسود عن أسامة بن زيد) أى الليثى مولاهم صدوق من السابعة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة (عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت) جلس أبو فلان يروى الحديث وكنت أصلى فاردت أن أقول له اذا أنا فرغت (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد) أى يستعجل فى كلامه ويوالى بين جمله ويصل بعضه ببعض بحيث لا يتبين بعض حروفه لسامعه ويلتبس عليه (سردكم) مفعول مطلق وفى بعض النسخ كسردكم (هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين) بتشديد التحتية المكسورة أى ظاهر وفى بعض النسخ بينه بصيغة الماضى وفى بعضها يبينه بصيغة المضارع (فصل) يحتمل أن يكون من قبيل رجل عدل مبالغة أو بمعنى فاصل بين الحق والباطل أو بمعنى مفصول من الباطل ومصون عنه أو مفصول بعضه من بعض فلا يلتبس على سامعه وفى بعض النسخ بينه فصل على أن بين ظرف وفصل مرفوع به أى بينه مهلة وفرق ليفهم يؤيده قولها (يحفظه من جلس اليه) أى لظهوره وامتيازه وكمال فصاحته وبلاغته وفى الصحيحين من حديث عائشة أيضا كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه أولان كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى برز منه وكسوة القلب الموفق هى النور ولا نور يماثل نوره صلى الله عليه وسلم فلا كلام يماثل كلامه فى الرونق والحسن والبهجة والجمال ومن ثم كان يأخذ بمجامع القلوب وتنقاد له الالباب فألف الله به بين أشتات الامم وجمع به بين الضدين العرب والعجم وأنستهم حلاوته الآباء والابناء وكانوا عند سماعه كأنما على رؤسهم الطير ولهذا كان اذا أمر تبادروا الى امتثال أمره من غير تردد كما فى قضايا كثيرة منها قضية أبى جحيفة قال أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتجشى فقال اكفف أواحبس عليك جشاءك أبا جحيفة فان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة قال الراوى فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشى لا يتغدى واذا تغدى لا يتعشى انظر شرح همزية شيخنا المحقق * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا أبو قتيبة سلم) بفتح فسكون (ابن قتيبة عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة) الصادقة بجزء الجملة وبالجملة وبالجمل والمراد اذا لم يتبين مبناها أو معناها الا بالاعادة أو كانت تحتاج الى مزيد تأكيد أو حض (ثلاثا) معمول لمحذوف أى يتكلم بها ثلاثا لان الاعادة بحقيقتها لو كانت ثلاثا لكان تكلمه أربعا وليس كذلك (لتعقل عنه) أى لكمال هدايته وشفقته على أمته وفى هذا وما قبله دليل على أنه يندب للمعلم أن يتأنى فى كلامه ويتحرى فى ايضاحه وبيانه

وهو الصورة المصورة يعنى ان تقولهم فى القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح فى أحقيته أمر مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التى يخترعها المصورون كذلك لاحقيقة لها فكما ان هذه لاوجود لها فى الحقيقة ولااعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع ماقالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان فلا يوهمنك الخطباء أى فاحذر أن يوقع مزخرفوا الكلمات بتمشدقهم وتفاصحهم فى ذهنك أدنى ريب أوشك فى شئ من أوصاف القرآن التى مر بيان بعضها ونبه على بعضها الآخر بقوله (٢٠١) (كم أبانت آياته من علوم * عن حروف أبان عنها الهجاء)

كم خبرية أى مرات كثيرة أبانت أى أوضحت آياته جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدإ ومقطع مندرج فى سورة قاله الجعبرى قال ابن حجر ويشكل عدم نحو ثم نظر فى المدثر آية اذ ليس فى هذه جمل صريحا ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها وسميت الآية بذلك لانها علامة على صدق الآتى بها وعلى عجز المتحدين بها وقوله من علوم من زائدة فى الاثبات على رأى جماعة أى أوضحت آياته علوما كثيرة لاتنحصر كما قال الله تعالى مافرطنا فى الكتاب من شئ وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وروى الترمذى وغيره حديث ستكون فتن قيل فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم

و يعيده ثلاثا حتى يفهم عنه وحكمة الثلاث ان الاولى للاسماع والثانية للوعى والثالثة للفكرة أو الاشارة الى أن مراتب الفهم ثلاث أعلى وأوسط وأدنى وان من لم يفهم فى ثلاث مرات لم يفهم باكثر * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع) بالتصغير (ابن عمر) وفى نسخة ابن عمرو بالواو وفى أخرى ابن عمير بالتصغير (ابن عبد الرحمن العجلى) بكسر فسكون (قال حدثنى رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة يكنى أباعبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على قال سألت خالى هند بن أبى هالة وكان وصافا) تقدم هذا كله فى صدر الكتاب (قلت) بيان لسألت (صف لى منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى كيفية نطقه وهيئة سكونه المقابل لنطقه كما يدل عليه الجواب فهو من باب الاكتفاء (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان) أى لاينفك حزنه عن حزن يعقبه قال ابن قيم الجوزية حديث هند فى صفته عليه السلام انه كان متواصل الاحزان لايثبت وفى اسناده من لايعرف وكيف يكون متواصل الاحزان وقد صانه الله عن الحزن فى الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن بل كان عليه السلام دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن وقال أبو العباس بن تيمية ليس المراد بالحزن فى حديث هند الالم على فوت مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك منهى عنه ولم يكن من حاله وانما المراد به الاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الامور اه أو كان حزنه عليه السلام لاستغراقه فى شهود جلال الله تعالى وكبريائه وعظمته وغلبة غيبته على قلبه أو لاهتمامه بامر أمته وملاحظة عاقبة أمرهم ومآلهم وشدة شفقته عليهم وقد تقدم طرف من ذلك فى قوله شيبتنى هود وأخواتها وقال الترمذى الحكيم لما فاته من كمال اللقاء والوصال والشهود فى هذه الدار لان هذه الدار لاتسع ذلك بل محل ذلك الدار الآخرة فكان على غاية الاشتياق الى كمال التلاق وسيأتى ان شاء الله فى باب البكاء بسط القول فى معنى خوف الانبياء عليهم السلام وسيأتى فى باب الضحك وجه الجمع بين قوله هنا متواصل الاحزان وقوله فى باب الخلق دائم البشر قال ابن حجر وغيره ثم هذا وبعض مابعده زيادة على ماطلب منه وصفه لكمال علاقته وشدة ارتباطه به وظهور مابينهما من المناسبة والملازمة اه وأيضا فان المؤمن مهما شرع فى مدحه صلى الله عليه وسلم فانه لايقتصر على مدح واحد لكثرة وجود أوصافه المادحة وشدة حلاوتها فى القلب * ولشيخنا المحقق فى هذا المعنى

اذا ما شرعت فى مديحك راقنى * لحسنه واستحلائه فأغيب
ويتبع بعضا بعضه لارتباطه * وكثرته والكل منه عجيب

(دائم الفكرة) أى فى خلق السموات والارض وغير ذلك مما يثمر عظمة الله تعالى ومهابته ويفيضهما على القلب وفى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقد قال بشر الحافى لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى ماعصوا الله تعالى وهذا كالتوجيه والتعليل لتواصل أحزانه فان تواصل الاحزان من لوازم دوام الفكر (ليست له راحة) هذا من لوازم ماقبله وهو دوام الفكر أيضا فان من لازم اشتغال القلب انتفاء الراحة أو المراد انه لايمضى له وقت فى غير عمل لله عز وجل فظاهره فى كدح عظيم لاشتغاله بوظائف العبادات

 وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى أصول العلم واخرج عن الحسن أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها فى أربعة منها وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة فى القرآن أى مع زيادات لاتنحصر ومن ثم قال الشافعى جميع ماتقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع ماحكم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال بعضهم مامن شئ فى العالم الا وهو فى القرآن فقيل له فاين ذكر الخانات فيه فقال فى قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فهى الخانات وقال آخر مامن شئ الا يمكن استخراجه

من القرآن لمن فهمه الله تعالى وقد استنبط عمره صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فى اخر سورة المنافقين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بموته صلى الله عليه وسلم وانظر النوع الخامس والستين من الاتقان للسيوطى وقوله عن حروف أبان عنها الهجاء أى تولدت تلك العلوم ولشأت عن حروف أبان عنها أى عن مسمّيات تلك الحروف الهجاء أى التهجى وهو تعداد الحروف بذكر أسمائها فالمراد بالحروف مسمياتها وحروف التهجى أسماء كاشفة عن تلك المسميات ويدل لهذا قول

سيبويه قال الخليل يوما لاصحابه كيف تقولون اذا أردتم ان تتلفظوا بالكاف التى فى ذلك والباء التى فى ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال قولوا كه به فحروف القرآن من الاول وحروف التهجى من الثانى ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرفا أما لغة أو مجازا باعتبار مدلوله ﴿فائدة﴾ قال الامام سيدى عبد الرحمن الجادرى فى تذييل نظمه الذى اختصر فيه الدرر اللوامع لابى الحسن بن برى وهو نظم حسن من منهوك الرجز ما نصه

وقال أيضا سمحا

ربى له وصفحا

وهاك ما للسور

فى العد للمختبر

وسور القرآن

والقربات وما يصلح الامة والتعليم والجهاد والمواساة وتدبير المهمات الدينية والدنيوية وباطنه فى نعيم مقيم راضيا عن الله تعالى مسرورا به كره وطاعته وحلاوة الانس به ولذيذ مناجاته (طويل السكت) هو أيضا تصريح بما علم ضمنا من قوله دائم الفكرة فان دوام التفكر يستدعى دوام الصمت والسكت بفتح السين وسكون الكاف بمعنى السكوت وأغرب ابن حجر حيث قال بكسر أوله قاله فى جمع الوسائل (لا يتكلم فى غير حاجة) أى من غير ضرر ورة دينية أو دنيوية فلا يتكلم بلا فائدة حسية أو معنوية وقد قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه رواه جماعة من المحدثين وقال رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت كيف والله تعالى يقول وما ينطق عن الهوى (يفتتح) أى يبدأ (الكلام ويختمه) من الختم وفى نسخة ويختتمه من الاختتام أى يتمه (باسم الله تعالى) كذا فى بعض النسخ والظاهر ان المراد ان كلامه عليه السلام كان محفوفا بذكر الله تعالى لا بخصوص هذا اللفظ وان المراد بذكر الطرفين زمان الكلام كله على حد ما قيل فى قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وفى قوله وسبح بالعشى والابكار اذ ليس المراد خصوص الطرفين وأبعد من قال ان المعنى انه كان يفتتح كلامه بالبسملة ويختمه بها ومن قال انه يفتتحه بالبسملة ويختمه بالحمد أو بغيره كالاستغفار وهذا كله بالنسبة للذكر اللفظى والا فكلامه صلى الله عليه وسلم كله ذكر وسكوته جميعه فكر وليس الذكر منحصرا فى التسبيح والتهليل ونحوه ذلك بل كل مطيع لله فى قوله أو فعله فهو ذاكر له سبحانه فقد قال عمر رضى الله عنه أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند امره ونهيه أى بأن يمتثل ما أمر الله به وينتهى عما نهى الله عنه وانما كانت المحافظة على الامر والنهى أفضل لان ذلك هو نتيجة الذكر القلبى واللسانى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وقد قال بعض أتباعه صلى الله عليه وسلم

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

وفى بعض النسخ المصححة باشداقه جمع شدق وهو بكسر أوله طرف الفم والمراد بالجمع ما فوق الواحد والمراد انه يستعمل جميع فمه فى التكلم ولا يكتفى بادنى تحريك للشفتين كما هو شأن المتكبرين وبعض الناس يتكلم بطرف لسانه وشفتيه وذلك كله غير محمود مخل بالفصاحة وبعضهم يتشدق ويتكلف فى العبارة وذلك أيضا مذموم منهى عنه وكلامه صلى الله عليه وسلم كان وسطا عدلا خارجا عن طرفى الافراط والتفريط (ويتكلم بجوامع) جمع جامع (الكلم) اسم جنس واحده كلمة والاضافة من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف والمعنى انه كان يتكلم بألفاظ يسيرة متضمنة لمعان كثيرة ولا يناسب ان تفسر هنا بالقرآن وان صح ان يفسر به قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم اذ لا يقال فى وصف منطقه انه كان يتكلم بجوامع الكلم التى هى القرآن خلافا لابن حجر وقد جمع جمع من الائمة من كلامه صلى الله عليه وسلم الموجز البديع أحاديث كثيرة كقوله من آذى جاره أورثه الله داره وقوله لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك وقوله ترك الشر صدقة أى لان الظلم تحت جناح كل أحد ومن ثم قال بعضهم

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

(قيد) الى الامان و(صح) فى المفصل * من القتال منجلى وآيه (وريد) * فى آخر وزيد وكان ثلاثه للاول * وبالمدينة تجلى وكلمه قال عطا * (عدد ضر تفطا) وعن حروف (سكج * به) وذاك المنهج وقيل عن يحيى (سكا * ثلج) حروفه حكا ونصف أولى نكرا * فى الكهف نصفها سرا ونصفه من الكلم * فى الحج والجلود سم ونصف الاى العالمين * وبعده أو فوابين ونصفه من السور * ختم الحديد يعتبر فنصفه عشر له * لغزاتى فحله وباعتبار ما كتب * نوابه وما حسب اهـ وقد اشتملت الابيات المذكورة على عدد

سور القرآن وهى مائة وأربع عشرة المشار اليها بقيد لان اصطلاحه ان الحرف الاخير آحاد وماقبله عشرات وماقبله مئون وهكذا وعلى عدد سور المفصل وانها ثمان وستون وأولها سورة القتال وهو أحد الاقوال وعلى عدد آى القرآن وانها ستة آلاف ومائتان وأربعة عشر باعتبار عدالمدنى الاخير وأما على عدالمدنى الاول فبزيادة ثلاثة وعلى عدكلماته وهى سبعة وتسعون ألفا بموحدة ثم مثناة وأربعمائة وتسعة وثمانون واليه أشار بقوله ضرتفطا والالف للاطلاق وعلى عدد حروفه وهى ثلثمائة ألف وعشرون ألفا وثلثمائة وخمسة عشر وقيل عددها يزيد على هذا بمائتين وثمانية عشر وعلى ان نصف القرآن باعتبار الحروف نكرا الاول وهو قوله لقد جئت شيأ نكرا ونصفه باعتبار الكلمات والجلود ولهم مقامع من حديد فى سورة الحج ونصفه باعتبار الآى ان أجرى الاعلى رب العالمين أوفوا الكيل ونصفه من السور آخر سورة الحديد فما بعد الحديد نصف باعتبار عدد السور وعشر باعتبار الاحزاب وأما ما أعدالله تعالى لقارئه من الثواب فذلك مما يعلمه المالك الوهاب * وفى الشفاء ما نصه فى القرآن من الكلمات نحو من سبعة وتسعين ألف كلمة ونيف وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة عدد انا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان متضاعفا العدد من هذا الوجه انظر تمامه وقال بعضهم علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وتسعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى أربع اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينها من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به تعالى نعم أما علومه فثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة أم لاشتمالها على هذه الثلاثة وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شئ كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ أما العلوم فلا تجد مسئلة هى أصل الا فى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت

وكان الشيخ سيدى أحمد المنجور ينشد فى هذا المعنى

عـدينا فى زماننا * عن طريق المكارم

من كفى الناس شره * فهو فى جود حاتم

وكقوله لافقر أشد من الجهل ولا مال أعز من العقل ولا وحشة أشد من العجب وقوله الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كيف شئت وقوله صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وقوله القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقوله الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد للناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وقوله من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ولله در القائل فى هذا المعنى

وما الحسب الموروث لادرّ دره * بمحتسب الا بآخر مكتسب

اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس للحطب

وقوله ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ونظم بعضهم معناه فقال

ليس الشجاع الذى يحمى فريسته * يوم الزحام ونار الحرب تشتعل

بل الذى غض طرفا أوثنى قدما * عن المحارم ذاك الفارس البطل

وقوله اياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء فى المنبت السوء وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقوله انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وقوله الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقوله أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره وقوله اليمين حنث أوندم وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله وقوله ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله اه وهذا بحر لا ساحل له ولكن أتينا بهذه الغرفة للبيان والتبرك انظر ابن حجر والمناوى وجمع الوسائل فقد ذكروا من ذلك طرفا كبيرا (فصل) يحتمل احتمالات تقدم أكثرها ومنها ان يكون معناه وسطا عدلا بين الافراط والتفريط فيكون قوله (لافضول ولا تقصير) كالبيان له والتفسير أى ليس فيه زيادة على المحتاج ولا نقص عن أداء المراد بل هو على غاية المطابقة لما يقتضيه المقام من ايجاز واطناب أومساواة اذلا مساوى له فى فصاحته صلى الله عليه وسلم (ليس بالجافى) من الجفاء وهو غلظ الطبع ومنه حديث من بدا جفا أى من سكن البادية غلظ طبعه لقلة مخالطته الناس والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ليس بالغليظ الطبع السيئ الخلق العديم البر بل كان بره وخيره عاما للاقارب والاجانب لانه نعمة مهداة للمؤمنين ورحمة مرسلة للعالمين (ولا المهين) بفتح الميم من المهانة وهى الحقارة والضعف أى ما كان حقيرا ذميما بل فخما مفخما كبيرا عظيما يغشاه من أنوار الوقار والمهابة والجلالة ما ترتعد ترتعد منه فرائص الجبابرة ويخضع عند رؤيته جفاة الاعراب وتذل لعظمته عظماء الملوك فكان صلى الله عليه وسلم متواضعا للمؤمنين متكبرا على المتجبرين وقد أثنى الله سبحانه بذلك على من اتصف به من المؤمنين فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وراجع ما تقدم فى قوله من

السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الانبياء والملائكة وعيون أخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم وغزواته وأخباره الى مماته ثم شأن أمته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وامارات الساعة وجميع أحوال البرزخ والمحشر والجنة والنار وقد قال العلماء ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد مبني من كليات العلوم العقلية الا كتاب الله قد نطق به فمن ذلك ان من أول سورة الحج الى قوله وأن الله يبعث (٢٠٤) من في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات وكذا قوله ما أنزل الله على بشر من شيء الآية وفيه اشارة الى علم الهندسة في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب الآية فيؤخذ منه الشكل المثلث لكن وردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه

(فهي كالحب والنوى أعجب الزراع منها سنابل وزكاء) يعني ان حروف القرآن وان غزرت معانيها وكثرت أحكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا يقربها نوع قرب والافتشان ما بينهما اذ ما يأتي له أمد معلوم يفني فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالي الازمان في هذه الدار وفي دار القرار وذلك المثال هو اما أنها كحروف أسماء الاعداد فانها مع كونها ألفاظا محصورة لا ينتهي الوهم الى المعدود بها وأما انها كالحب الذي يلقيه الزراع والنوى الذي يلقيه الغارس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ومن الثاني من الثمر مالا يحصى وفي هذه ظاهرها الحالة أعجب السنابل والزكاء أي النمو الكائن ذلك من تلك الزروع والاشجار والزراع أي والغراس لكثرته وخروجه عن حد العد والاحصاء وهو متفرع عن حب ونوى قليلة فكذلك حروف القرآن وان قلت يحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يحصى

(فاطالوا فيه التردد والريـ * ـب وقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علـ * ـم فماذا تقوله النصحاء) أي ومن عجيب شأن الكفار انهم مع هذه المعجزات والآيات البينات

رآه بديهة هابه وفي نسخة ولا المهين بضم الميم من الاهانة أي لا يهين ولا يحقر أحدا من الناس (يعظم النعمة وان دقت) أي لا يستصغر شيأ من نعم الله سبحانه وان كان صغيرا ولا يحتقره فان القليل من الجليل جليل كما قيل

قليل منك يقنعني ولكن * قليلك لا يقال له قليل

ولا يشكر الكثير من لا يشكر القليل بل كان يقوم بتعظيمها قولا بحمده تعالى وشكره وفعلا بصرفها في مرضاة ربه (لا يذم منها شيأ) لما عنده من شهود عظمة المنعم بها المستلزم لعظمة النعمة بسائر أنواعها فكان يجمع بين نفي المذمة وتعظيم جميع أفراد النعمة (غير انه لم يكن يذم ذواقا) اسم لما يذاق من مأكول أو مشروب وهذا مما شمله قوله لا يذم منها شيأ وانما خصه بالذكر لقوله (ولا يمدحه) فانه نفي به ما يتوهم من قوله يعظم النعمة من انه يمدح الطعام والشراب فاخبر ان الامر بخلاف ذلك أما نفي الذم فلكونه نعمة وذم النعمة كفران وازدراء بنعمة الله تعالى وفيه كسر لقلب صانعه وأما نفي مدحه فلكون مدحه يشعر بالحرص والشره والنهمة وحاصل الكلام أنه كان يعظم جميع نعم الله تعالى ولا يذم منها شيأ الا انه لا يشتغل بمدح المأكول والمشروب لانه ينبئ عن الميل اليه كما لا يشتغل بذمه لانه من أعظم نعم الله عليه ويأتي لهذا المعنى تتمة في باب الخلق في قول علي رضي الله عنه ولا عياب (ولا تغضبه الدنيا وما كان لها) وفي بعض النسخ ولا ما كان لها أي لا يوقعه في الغضب جاهها ومالها وكل ماله تعلق بها لعدم اعتداده بها ونظره اليها لعلمه بدناءتها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها فلا يبالي بما فاته منها وأما قول ابن حجر ومن تبعه وكيف تغضبه وهو ما كان خلق لها أي للتمتع بلذاتها بل لهداية الضالين وارشاد المسترشدين وتكميل مالا غنى له عن الكمال والشفاعة فيمن استحق العذاب والنكال اه فهو مبني على ان ما في قوله وما كان لها نافية ورواية ولا ما كان لها تدل على انها موصولة (فاذا تعدى الحق) بصيغة المجهول أي تجاوز أحد الحق (لم يقم لغضبه) أي لم يدفع غضبه ولم يقاومه (شيء) من الاشياء المانعة في العرف والعادة (حتى ينتصر له) أي ينتقم للحق بالحق لانه صلى الله عليه وسلم بعث للامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يقر أحدا على منكر وسيأتي في حديث علي لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه (لا يغضب لنفسه) ولو تعدى في حقها بالقول أو الفعل من اجلاف العرب أو من بعض المنافقين (ولا ينتصر لها) بل يقابل بالحلم والعفو أخذا بقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وسيأتي ان شاء الله شواهد ذلك في باب الخلق عند قول عائشة رضي الله عنها لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقولها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ويرحم الله القائل

صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى لم يغش في الناس مسلما

(واذا أشار) أي الى انسان ليجلس أو يقف أو يذهب لقضاء حاجة مثلا (أشار) اليه (بكفه كلها) ولا يقتصر على الاشارة ببعضها لانه من أفعال المتكبرين وأخلاق المتجبرين (واذا تعجب) أي في أمر (قلبها) بأن يجعل باطنها أعلى كما هو شأن كل متعجب والمراد قلبها من الهيئة التي كانت عليها حالة التعجب الى

استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار وأطالوا التردد والريب أى الشك فقالوا كما حكاه الله تعالى عنهم فى كتابه انه سحر اى تمويه لا حقيقة له وأصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ورق وقالوا مرة أخرى انه افتراء أى كذب وأساطير الاولين وغير ذلك من افترائهم وافتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو كلام الله تفضل بانزاله وهو قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكل ذلك ينادى عليهم بالبوار والعناد وانهم لا عقل لهم (٢٠٥) ولا رأى ولا استعداد ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو مقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات أى الحجج القاطعة البرهان الواضحة البيان لم تغنهم أى تفدهم شيأ من الهدى فالتماس الهدى بهن أى طلبه منهم بتلك الحجج عناء أى تعب لا يجدى شيأ وهذا مقتبس من قوله تعالى وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون واذا ضلت العقول عن طريق الحق على علم أى مع علم منها بتلك الطرق أى أضلها الله فاى قول بقوله الانبياء والنصحاء بل قولهم حينئذ لا يفيد وهذا مقتبس من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون هذا ولا بد من استحضار قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقوله فى الحديث القدسى هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى واعتقاد أن التكليف منوط بالظاهر الذى يشعر بالاختيار وبه يثاب من امتثل ويعاقب من خالف ولذا قيل الانسان مجبور فى قالب مختار والمسئلة طويلة الذيل محلها كتب الاصول فلتراجع

(قوم عيسى عاملتم قوم موسى * بالذى عاملتكم الحنفاء
صدقوا كتبكم وكذبتم كتـ * ـبهم ان ذا لبئس البواء)

لما فرغ الناظم رحمه الله من الكلام على حال المشركين وما آل اليه أمرهم شرع فى الكلام مع أهل الكتابين فقال يا قوم عيسى المدعوين بالنصارى عاملتم قوم موسى وهم اليهود بالتصديق بكتابهم وهو التوراة الذى عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذى هو الانجيل الحنفاء

ظاهرها أو باطنها وكان حكمة قلبها الاشارة الى تقلب ذلك الامر المتعجب منه وتغيره الى الحال الاكمل ببركته صلى الله عليه وسلم أو يكون قلبها اكتفاء بالفعل عن القول فى اظهار التعجب قاله ابن حجر والوجه الثانى أقرب (واذا تحدث اتصل) أى حديثه المفهوم من تحدث (بها) أى بكفه بمعنى ان حديثه يقارن تحريكها القصد الافهام ورفع الابهام عن المشار اليه (وضرب براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى) كأن هذا كان عادة عندهم ان الانسان عند حديثه يحرك يمينه ويضرب بها بطن ابهام يسراه وللشراح هنا أقوال متناقضة ليس تحتها فائدة فاعرضنا عنها وقد نقل ابن حجر جملة منها (واذا غضب) من أحد وفى نسخة أغضب بصيغة المجهول من باب الافعال (أعرض) أى عما يقتضيه الغضب وعدل عنه الى الحلم والكرم والعفو (وأشاح) الاشاحة تكون بمعنى الجد فى الامر أى جد فى الاعراض وبالغ فيه وتكون بمعنى الاعراض بالوجه يقال أشاح اذا عدل بوجهه فيكون من باب قوله تعالى فاعف عنهم واصفح زاد فى بعض النسخ (واذا فرح غض طرفه) أى أطرق ببصره ليكون أبعد الناس من الاشر والمرح عند الفرح فان الناس يحدقون النظر اذا فرحوا وينظرون بملء أعينهم والنبى صلى الله عليه وسلم لا يستخفه الفرح ولا يحركه وفى رواية وكان اذا رضى سر أى ظهر فى وجهه الشريف أثر السرور وأخرج أبو الشيخ فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من طريق الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه من وجهه كان اذا رضى فكأنما يلاحك الجدر وجهه واذا غضب خسف لونه والمعنى ان جدر البيت ترى فى وجهه كما ترى فى المرآة لوضاءته (جل ضحكه) أى معظمه (التبسم) يأتى الكلام عليه فى الباب بعده وزاد فى نسخة (يفتر) أى يضحك (عن مثل حب الغمام) هو البرد بفتحتين الذى على هيئة اللؤلؤ شبه أسنانه صلى الله عليه وسلم به فى بياضه وصفائه وقيل حب الغمام اللؤلؤ لانه يحصل من ماء المطر النازل من الغمام اى السحاب وهذا أنسب فى باب التشبيه لما فى الاول من البرودة ولما فى الثانى من زيادة تشبيه الفم بالصدف والريق بماء الرحمة فى بحر النعمة قاله فى جمع الوسائل

﴿ باب ما جاء فى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

أى فى صفته وأسبابه من الافعال والاقوال الحاملة عليه ويقال ضحك ضحكا بالفتح والكسر وبكسرتين وككتف قاله فى القاموس (حدثنا هناد بن السرى نا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة) بفتح مهملة فكسر موحدة (السلمانى) بفتح السين وسكون اللام ويفتح منسوب الى بنى سلمان قبيلة من مراد (عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف آخر أهل النار) أى من العصاة (خروجا) زاد فى بعض النسخ (من النار رجل) قيل اسمه جهينة بصيغة التصغير أو هناد الجهنى (يخرج منها زحفا) هو المشى على الاست مع اشراف الصدر وفى رواية حبوا بفتح الحاء وسكون الموحدة وهو المشى على اليدين والرجلين أو الركبتين أو المقعدة ولا تنافى بين الروايتين لان أحدهما قد يراد به الآخر أو انه يزحف تارة ويحبو أخرى قال المناوى وانما فعل ذلك لضعفه بعذاب النار أو توار يا من ملائكة العذاب ليهرب

أي المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين القويم ثم بين ما أبهمه بقوله صدقوا أي قوم عيسى كتبكم وهي التوارة وما بعدها كالزبور وكذبتم أيها اليهود كتبهم أي الانجيل وجمعه للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة باعتبار أجزائه وفي هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا أولا وأعيد لهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين موسى وعيسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الآتيين وفي التصديق والتكذيب الطباق وقوله ان ذا (٢٠٦) أي الذي فعلتموه معشر اليهود لبئس البواء أي الصنيع الذي رجعتم به القهقرى فهو

مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله ويحتمل أن يكون المراد بالبواء الجواب كما في القاموس ويحتمل أن يكون ضمير صدقوا عائدا على الحنفاء وضمير كتبكم وكذبتم لليهود والنصارى وكتبهم للحنفاء ويكون ذلك نفسير العاملتكم الحنفاء (لو جحدنا جحودكم لاستوينا أو للحق بالضلال استواء) الجحود الانكار عن علم أي لو أنكرنا كتابكم مثل انكاركم كتابنا وكتاب عيسى لاستوينا نحن وأنتم أيكون ذلك منا وليس للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله مساواة بالضلال وهو ما هم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض (ما لكم اخوة الكتاب أناسا ليس يرعى للحق منكم اخاء يحسد الاول الاخير وما زال كذا المحدثون والقدماء) أي أي شئ حصل لكم يا اخوة الكتاب من اليهود والنصارى سماهم بذلك لانه

لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة في الانتساب الى أصل واحد حال كونكم اناسا ليس شأنكم أنه يرعى للحق منكم اخاء بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى ويجوز أن يكون اسم ليس ونائب الفاعل ضميره والاخاء مصدر آخاه اخاء ومؤاخاة أي ليس يصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب له من الحقوق التي منها تصديق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفي اخاء مع اخوة رد العجز على الصدر وبينهما جناس الاشتقاق ومن عدم رعايتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود أنهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما قتلوه وما صلبوه

(فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل) أي منازلهم ويتخيل له انه لم يبق منزل لغيرهم (فيرجع) عن الشروع في دخولها (فيقول يا رب قد أخذ الناس المنازل) كأنه سأل ان يؤخذ منهم منزل له (فيقال له اتذكر الزمان الذي كنت فيه) أي أتقيس زمنك هذا الذي أنت فيه الآن بزمنك الذي كنت فيه في الدنيا الضيقة ان الامكنة اذا امتلأت بساكنيها لم يكن للقادم فيها مسكن فيحتاج أن يأخذ منزلا من بعض أصحاب المنازل (فيقول نعم فيقال له) ليتبين له خطؤه في قياس الآخرة التي هي دار سعة ومنحة على الدنيا التي هي دار ضيق ومحنة (تمن) أي فان كل ما تتمناه من الديار والاشجار والثمار وغير ذلك يتيسر في هذه الدار على طريق خرق العادة بقدرة الملك الغفار (قال فيتمنى فيقال له فان لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا) أي أمثالها لان ضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله وكان المراد عشرة أمثال الدنيا في المساحة والا فموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها كما في الحديث بل جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة فانظر هذا مع قول الغزالي ان هذا ليس بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل كما ان الجوهرة تكون عشرة أمثال فرس لا بالوزن والمقدار (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (فيقول) من غلبة الفرح والسرور وبلوغ ما لم يخطر بباله (أتسخر بي) ولم يك ضابطا لما قاله ولا عالما بما يترتب عليه بل جرى على عادته في مخاطبة المخلوق فهو كما أخبر عليه السلام عن الآخر في الحديث الصحيح انه لم يضبط نفسه من الفرح لما رد الله عليه راحلته فقال اللهم أنت عبدي وأنا ربك قاله في الاكمال قاله في جمع الوسائل وخطر لي انه يمكن ان يكون المخاطب بهذا المقال واحدا من الملائكة على ما يفهم من قوله فيقال الخ وفي نسخة اتسخر مني والكل صحيح فصيح في القاموس سخر منه وبه كفرح هزئ اهـ الا ان الوارد في القرآن تعديته بمن وفي رواية أتضحك مني (وأنت الملك) أي العظيم الشان استبعد ان يكون له هذا النعيم العظيم بعد ان كان في عذاب الجحيم ولم ير نفسه أهلا لذلك (قال) أي ابن مسعود (فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك) اما تعجبا من دهش الرجل أو من عظيم رتبة التواضع عند الله سبحانه أو من غلبة رحمته على غضبه (حتى بدت نواجذه) زاد البخاري وكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة والنواجذ بالمعجمة جمع ناجذ قال في القاموس هي أقصى الاسنان أو الانياب أو التي تلي الانياب أو الاضراس اهـ وأقصى الاضراس هي أربع آخر الاسنان كل منها يسمى ضرس العقل لانه لا ينبت الا بعد البلوغ قال السيوطي وأشهر الاقوال الاول وهو ان النواجذ أواخر الاضراس وحينئذ فالمراد مبالغة مثله في الضحك بان يكون ضحكه فوق ما كان يصدر منه أي واما ضحكه الى ان يبدو أواخر اسنانه فبعيد من شميته صلى الله عليه وسلم ومحصول مجموع الاخبار كما في ابن حجر وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان في أغلب أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك والمكروه الاكثار منه والافراط فيه لانه اذهب الوقار والذي ينبغي ان يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه وروى البخاري في الادب المفرد وابن ماجه لا تكثروا الضحك فان كثرته تميت القلب * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابو الاحوص عن ابي اسحق عن علي بن ربيعة قال شهدت عليا رضي الله عنه) حال كونه (أتي بدابة) فرس او بغل او حمار (ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله) كان فعله صلى الله

ولكن شبه لهم بل رفعه الله اليه لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقبل جزية وانما الاسلام أو السيف ومازال كذا أي هكذا المذكور من حسد الاول الاخير المحدثون والقدماء من لدن آدم الى اليوم كما أشار اليه بقوله (قد علمتم بظلم قابيل هابيـ ※ ـل ومظلوم الاخوة الاتقياء) قد للتحقيق علمتم يا أهل الكتاب بظلم قابيل باضافة المصدر الى فاعله وهو أول أولاد آدم وهم أربعون ولدتهم حواء في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وأنثى وبارك الله في نسله في حياته حتى (٢٠٧) بلغوا أربعين ألفا وكان من شريعته أن اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الآخر وبالعكس وهابيل هو ثاني أولاد آدم عليه السلام وكان قتله اياه بشدخ رأسه بين حجرين حسدا له على الدين من أجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه كما حكى الله تعالى ذلك في كتابه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كن خير ابني آدم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل روى أن آدم لما أمر قابيل أن يزوج أخته لهابيل امتنع فأمرهما أن يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه وقربان هابيل كبش وقربان قابيل زرع فتقبل قربان هابيل فزاد حسده الى أن قتله ﴿تنبيه﴾ ما ذكرناه تبعا للشارح من أن حواء ولدت في كل مرة ذكرا وأنثى ليس على اطلاقه لانها ولدت شيثا الذي هو من عمود نسب النبي صلى الله عليه وسلم وحده كما نبه عليه ابن الجوزي في كتابه جلوة الاحزان ونصه فولدت له أربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعت شيثاً وحده كرامة لمن أطلع الله عز وجل بالنبوة سعده قوله ومظلوم الاخوة يصح أن يكون مظلوم جمع تصحيح حذفت منه النون للاضافة ثم الواو تخفيفا كما قيل في قوله تعالى وصالح المؤمنين ويصح أن يراد به الجنس كما قيل به في الآية أيضا والاتقياء جمع تقي أي المتصفون بالتقوى واضافته بمعنى من أي لا يظلم من الاخوة الا الاتقياء بل الاتقى منهم لانه هو الذي يصبر على أذى اخوته ولا ينتقم لنفسه وهذا في معنى ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله كقوله فيما تقدم ومازال الخ ﴿فائدة﴾ قال ابن جزي في تفسيره الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله

الله عليه وسلم المبني عليه فعل علي كرم الله وجهه مقتبس من قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ولا بدع في تأسي النبي صلى الله عليه وسلم بغيره من الانبياء وقد قال تعالى فبهداهم اقتده كما ان بقية الاذكار الآتية مأخوذة من قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام الآية (فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله) أي على نعمة الركوب ثم لما كان تسخير المركوب أثرا من آثار قدرته الباهرة التي انفرد بها جل وعلا ولا شريك له فيها ناسب ذكر التسبيح المقتضي لتنزيهه تعالى عن الشريك فاشار له بان قال (سبحان الذي سخر لنا هذا) أي ذلل هذا المركوب لاجلنا مع قوته وضعفنا (وما كنا له) أي لتسخيره (مقرنين) أي مطيقين لولا تسخيره (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي راجعون كان وجه مناسبة هذا لما قبله التحذير من الاغترار بنعمة الاستعلاء الحسي لان الموت هاذم اللذات فيحمله ذلك على التواضع لله ولعباده ويحتمل ان وجه المناسبة ان السير من مكان الى مكان يذكر بالانتقال من الدنيا الى الآخرة ومن هذا النعيم الى ذلك النعيم وعلى الوجه الاول فقوله انا الخ كناية عن الموت وعلى الثاني فمعنى الى ربنا الى جزائه وثوابه فكأنه يقول كما تفضل تعالى على عبده في الدنيا تفضل عليه في الاخرى فهو المنعم على عبده دنيا وآخرة وهذا والله أعلم أنسب بمقام شهود المنة من قول ابن حجر ناسب ذكره لان الدابة سبب من أسباب التلف اذ كثيرا ما يسقط الراكب فيموت فيكون شهود الراكب لهذا السبب حاملا له على التقوى في ركوبه وسيره اه (ثم قال) شكرا لنعمة التسخير (الحمد لله ثلاثا) في التكرار اشعار بتعظيم تلك النعمة التي لا يقدر عليها غيره تعالى (والله أكبر ثلاثا) في التكبير وتكريره اشارة الى تقصيره في القيام بشكر نعمة ثم زاد هذا المعنى ايضاحا فقال (سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وانما طلب المغفرة بعد الاعتراف بالتقصير في حق مولاه اشارة الى انه لا يرى لنفسه حقا ولا أهلية لما يطلبه ولا يستحق على مولاه شيأ وانما يطلب فضله بفضله (فانه لا يغفر الذنوب الا أنت) فيه بعد الاقرار بالذنب والخوف من سوء عاقبته والاهتمام بحق المولى جل وعلا الاعتراف بانه تعالى المنفرد بالقدرة العظيمة وانه الآخذ بيد عبده والمنقذ له بعد الاشراف على التلف وان العبد مضطر الى رحمته وعفوه لا ملجأ له غيره ولا مقر له سواه فلم يجد محيدا عن بابه ولا خيرا الا من قبله وجنابه وهذا المعنى باب عظيم من أبواب المعرفة بالله تعالى وضرب من العبودية له ولهذا ترتب عليه الثواب الجزيل كما سيأتي ثم اعترافه صلى الله عليه وسلم بالظلم لنفسه اما لاظهار ذلة العبودية وعظمة الربوبية واما للتشريع فانه صلى الله عليه وسلم القدوة والامام من ترك الاولى واما للترقيه في درجات المقربين فانه في الترقي دائما فيرى ما كان فيه بالنسبة لما بعده كالذنب حسنات الابرار سيآت المقربين وقد تقدم لنا شئ من هذا قبيل باب الشعر في قوله تعالى واستغفر لذنبك (ثم ضحك) اى علي (فقلت) وفي نسخة فقال أي ابن ربيعة فيكون فيه التفات من التكلم الى الغيبة أو من باب النقل بالمعنى للراوي عنه (من أي شئ ضحكت) وفي نسخة من أي شئ تضحك (يا أمير المؤمنين) هذا الخطاب يدل على ان القضية في أيام خلافته (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت) أي قولا وفعلا (ثم ضحك فقلت من أي شئ ضحكت يا رسول الله قال ان ربك ليعجب) المراد بالاعجاب في حقه

صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء وفي الأرض أما في السماء فحسد إبليس لآدم وأما في الارض فقتل قابيل لاخيه هابيل بسبب الحسد ثم ان الحسد على درجات الاولى أن يحب الانسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وان كانت لا تنتقل اليه بل يكره انعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها ورجاء انتقالها اليه الثالثة ان يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وانما هو

غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات احداها اكتساب الذنوب لان الحسد حرام الثانية سوء الادب مع الله تعالى فان حقيقة الحسد كراهة انعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله الثالثة تألم قلبه وكثرة همه وغمه فنرغب الى الله تعالى أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فان المحسود ذو نعمة والحاسد في كرب ونقمة ولله در الشاعر في قوله

انى لارحم حاسدى لفرط ما ضمت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار

(وقول الآخر)

ان يحسدونى فانى غير لائمهم قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم ان الحسود لا تزول عداوته ولا تنفع مداراته

تعالى أثره الناشئ عنه كالرضا بالفعل واثابته عليه وتكثير ثوابه (من عبده اذا قال رب اغفر لى ذنوبي يعلم) حال من فاعل قال ولا تحتاج هنا الى تقدير قد خلافا لمن زعم ذلك أى قال رب اغفر لى حال كونى عالما غير غافل ولا جاهل (انه) أى الشأن (لا يغفر الذنوب أحد غيره) وفي بعض النسخ غيرى بياء المتكلم وهو خلاف الظاهر لانه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كلامه تعالى فسبب ضحكه صلى الله عليه وسلم هنا فرحه برضاه تعالى عن عبده المستلزم لجزيل الثواب بعد ارتكابه موجبات الغضب والعقاب بمجرد رجوعه الى ربه واعترافه بذنبه وعلمه بانه لا يكشف الكروب الا علام الغيوب ولما تذكر ذلك علي كرم الله وجهه حمله الفرح بذلك على الضحك كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ضحكه مجرد تقليد لانه غير اختيارى وان كان قد يتكلف له * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا عباد بن العوام أنا الحجاج وهو ابن ارطاة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان في ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة في ساقى بصيغة التثنية (حموشة) بضم الحاء المهملة والميم أى دقة أى لم يكن فيه غلظ وذلك مما يمتدح به وأما قول ابن حجر تبعا للعصام بضم أوله المعجم فمخالف للاصول ومعارض للغة على ما يشهد به القاموس والنهاية ومغير للمعنى فان الخمش بالمعجمة وهو خدش الوجه ولطمه وقطع عضو منه (وكان لا يضحك الا تبسما) جعل التبسم من الضحك مجازا اذ هو مبدؤه فهو بمنزلة السنة من النوم ومعنى فتبسم ضاحكا أى شارعا في الضحك الذى هو انبساط الوجه حتى تبدو الاسنان من السرور وأطلق النفى مع ثبوت انه ضحك حتى بدت نواجذه الحاقا للقليل بالعدم أو انه أراد أغلب احواله أو رواية جل ضحكه التبسم السابقة وقيل ما كان يضحك الا في أمر الآخرة واما في أمر الدنيا فلم يزد على التبسم قال في جمع الوسائل وهو تفصيل حسن وتعليل مستحسن وورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا ضحك يتلألأ في الجدر بضم أوليه أى يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق نور الشمس عليها وكنت اذا نظرت اليه (قلت) لشدة سواد جفون عينيه (اكحل العينين) أى مكحلهما بالكحل (وليس باكحل) بالكحل بل كان اكحل بحسب الخلقة هذا أظهر ما قيل في معنى هذا الكلام قاله في جمع الوسائل وقد تقدم التنبيه على ما فيه في حديث على رضى الله عنه * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن لهيعة عن عبيد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحرث بن جزء) بفتح الجيم وسكون الزاى (قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا كقول على رضى الله عنه كان دائم البشر ووجه الجمع بينه وبين قول هند كان متواصل الاحزان انه كان متواصل الاحزان باطنا وكان دائم البشر ظاهرا تأليفا للناس فلا منافاة بين كثرة الحزن الذى هو من كيفيات الباطن وبين كثرة التبسم والبشر الذى هو من كيفيات الظاهر بل لا منافاة بين حزنه الذى هو أثر من آثار الخوف وبين فرحه بالله تعالى وتنعم قلبه بذكره كما لا منافاة في الجمع بين الخوف والرجاء وأبعد من قال ان المعنى ان تبسمه أكثر من ضحكه بخلاف سائر الناس فان ضحكهم أكثر من تبسمهم فلا ينافى ما قيل من انه متواصل الاحزان اه لان ما ذكره لا يستفاد من الحديث وانما معناه أنه أكثر تبسما من غيره * قال المصنف (حدثنا

احمد

وهو ظالم يشتكى كانه مظلوم ولقد صدق القائل كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك من حسد (وقد قال حكيم الشعراء) وأظلم خلق الله من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب (وسمعتم بكيد أبناء يعقوب * بأخاهم وكلهم صلحاء حين ألقوه في غيابة جب * ورموه بالافك وهو براء) عدل عن قوله أنبياء الى قوله صلحاء لانه الامر المتفق عليه بخلاف يوسف فنبى اتفاقا وأخرج ابن جرير وابن المنذر ان أبا عمرو قيل له كيف نقرأ نرتع ونلعب بالنون وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء وقد قيل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط انه نص على نبوتهم لان الاسباط أولاد يعقوب

بانفاق وهم اخوة يوسف وذهب الجمهور الى أن المراد من نبيء من أبناء الاسباط وقوله حين ألقوه ظرف لكيد والجب البئر الكثير الماء أو بعيدة القعر أو التي لم تطو وغيا بتة قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه عليهم مع كونه أصغرهم بما أنبأت عنه رؤياه المذكورة في سورة يوسف اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم والشمس والقمر أبوه وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت أمره وطاعته فكان الامر كذلك فانهم لما جاؤا اليه مع أبيهم وخروا له سجدا قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل الآية ومن كيدهم له أيضا (٢٠٩) أنهم رموه بالافك أى السرقة حيث

أحمد بن خالد الخلال نا يحيى بن اسحق السيلحانى) قال ابن حجر نسبة لسيلحون قرية اه وفى صحة هذه النسبة نظر اذلو كان كذلك لقيل السيلحونى بالواو (نا ليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن الحرث) أى ابن جزء (قال ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبسما) تقدم توجيه هذا الحصر (قال أبو عيسى هذا حديث غريب من حديث ليث بن سعد) الغرابة فى السند لتفرد الليث وهو مجمع على امامته وجلالته لا فى المتن فلا تنافى صحته * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث نا وكيع نا الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم أول رجل يدخل الجنة وآخر رجل يخرج من النار) أول من يدخل الجنة على الاطلاق هو النبى صلى الله عليه وسلم وأما آخر رجل يخرج من النار فقد تقدم فى حديث ابن مسعود على ان الذى فى رواية مسلم وغيره عن أبى ذر انى لاعلم آخر رجل يدخل الجنة الخ وأما قوله (يؤتى بالرجل يوم القيامة) فالظاهر انه بيان لحال رجل ثالث غير الاول والآخر فهو استئناف لا بيان لاول داخل لانه صلى الله عليه وسلم لا ذنب له (فيقال) أى يقول الله تعالى للملائكته (اعرضوا عليه صغار) بكسر الصاد أى صغائر (ذنوبه وتخبأ) من الخبء بالهمز والظاهر انه جملة حالية فلا يقال فيه عطف الخبر على الانشاء (عنه كبارها) أى للحكمة الآتية (فيقال له عملت يوم كذا) أى الوقت الفلانى من السنة والشهر والاسبوع واليوم والساعة (كذا) أى من الذنب (وكذا) أى من الذنب الآخر (وهو مقر لا ينكر وهو مشفق) أى خائف (من كبارها) أى من عرض كبارها عليه خوف ان يؤاخذ بها فان من يؤاخذ بالصغيرة يؤاخذ بالكبيرة من باب أولى (فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة) فيبدل الله سبحانه بفضله سيئاته حسنات لكونه من المحبوبين الذين سبقت لهم العناية فلا تضرهم الجناية وفى الحديث اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ذكره فى القوت فى كتاب المحبة وفيه أيضا عن زيد ابن أسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك (فيقول) طمعا فى أن يعامل فى الكبائر بما عومل به فى الصغائر (ان لى ذنوبا ما أراها ههنا) أى فى موضع العرض (قال أبو ذر فلقد) أى بالقسم لئلا يرتاب فى خبره لما اشتهر من أن المصطفى كان لا يضحك الا تبسما (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك) أى تعجبا من اظهار الرجل كبائر ذنوبه بعد خوفه منها (حتى بدت نواجذه) تقدم تحقيقه * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا معاوية بن عمرو نا زائدة عن بيان عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله قال ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت) أى عن الدخول معه فى مجالس كبار أصحابه لا عن أهله قال فى جمع الوسائل ويحتمل أن يكون المراد انه لم يمنعه من سائر ملتمساته بل أعطاه جميع مطلوباته (ولا رآنى) أى منذ أسلمت (الا ضحك) أى تبسم كما فى الرواية الآتية وتقدم انه كان جميل الصورة فكان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتذكر برؤيته الحسن الذى هو مظهر الجمال ما هو أحسن فيتبسم والله

قالوا ان يسرق أى بنيامين فى قصة الصواع فقد سرق أخ له من قبل أى يوسف وأصل الافك أسوأ الكذب وبراء بفتح الباء أى برىء منه وليس ما رموه به سرقة فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى قالوا ان يسرق الآية قال سرق يوسف صنما لجده أبى أمه من ذهب وفضة فكسره فالقاه على الطريق فعيره اخوته بذلك وانما أراد بذلك الخير وفى رواية ان أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة فالذى وقع منه صورة سرقة فذكروها تعييرا له فهم لم يكذبوا وانما الذى وقعوا فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدح له لكن لما سموه سرقة على طريق التعيير صح للناظم أن يقول ورموه بالافك والذى يجب اعتقاده نزاهة اخوة يوسف وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم لاحتمال ان ما ارتكبوه

 لهم فيه تأويل باعتبار شرعهم انظر ابن حجر (فتأسوا بمن مضى اذ ظلمتم * فالتأسى للنفس فيه عزاء) فتأسوا اى تعزوا اذ التأسى التعزى من تأسيت بفلان تعزيت به أى حملت حالى على حاله ففى التأسى تسكين النفس على الامر الشاق وتصبر ما عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر أى قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدائد والمحن وصبروا عليها ففازوا برضى الله فاقتدوا بمن قبلكم من الكمل فى ذلك وقت أن ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال فالتأسى فى المصائب لا سيما بالكمل فيه عزاء للنفس أى تسل وتصبر بحملها على أن لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من اهل النفاق

والشقاق كما قالت الخنساء فى اخيها صخر وما يبكون مثل اخى ولكن * اعزى النفس عنه بالتاسى (أترا كم وفيتم حين خانوا *
أم تراكم أحسنتم اذ أساؤا بل تمادت على التجاهل آبا * ءتقفت آثارها الابناء) الفاعل لاهل الكتاب والمفعول المسلمين أى
أتظنكم أهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله تعالى عليه فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به حين خانوا ما عاهدوا الله عليه وكتموا الحق وأبوا قبوله
من غيرهم أم تظنكم أى أهل الكتاب يا أيها الحنفاء أحسنتم فى اتباع نبيكم فى جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيأ قط ولم تبدلوا
فى حياته ولا بعد وفاته اذ أساؤا فخالفوا ولم يتبعوا ماشرعه أنبياؤهم بل بدلوا وغيروا وكتموا ايثاراً للحظوظ الدنيوية على الدرجات الاخروية بل لايرون شيأ من ذلك وتتابعت واستمرت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع الباطل أى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وتبعت الابناء آثار الآباء الباطلة كما قال الله تعالى حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون
(بينته توراتهم والاناجيـ لوهم فى جحوده شركاء) أى بينت التوراة والاناجيل الحق الذى من جملته نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته والتوراه من أوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور والاناجيل جمع انجيل من نجل الشئ أخرجه
وجمعه باعتبار أجزائه يشير الى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل والسخرية
الآية وهذا من أعظم الدلالة على صحة نبوته وعموم رسالته وانه على السنة الواضحة من أمره لانه صرح بذلك على رؤس أهل الكتابين ولم
يخش ان أحدا منهم يقول ليس كذلك فى كتابنا فاذا صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والفساد
والحسد ولذا قال جل من قائل يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى
الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وأخرج ابن عساكر أن عبدالله

تعالى أعلم * قال المصنف (حدثنا احمد بن منيع نا معاوية بن عمرو نا زائدة عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس عن جرير قال ماحجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم) وفى بعض النسخ تأخير منذ أسلمت عن قوله ولا رآنى * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن عبدالله الانصارى نا ابن عون عن محمد بن محمد بن الاسود عن عامر بن سعد) أى ابن أبى وقاص الزهرى القرشى سمع أباه وعثمان روى عنه الزهرى وغيره مات سنة أربع ومائة (قال قال سعد) هو أحد العشرة المبشرة أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة وقال كنت ثالث الاسلام وأنا أول من رمى بسهم فى سبيل الله وتقدمت ترجمته فى باب العيش (لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ضحك يوم الخندق) كجعفر حفير حول أسوار المدينة (حتى بدت نواجذه قال) أى عامر (قلت كيف كان) أى على أى حال كان (ضحكه) فى ذلك اليوم (قال) أى سعد (كان رجل معه ترس) الجملة خبر كان (وكان سعد راميا) الظاهر انه من كلام سعد فيكون فيه التفات ويحتمل انه من كلام عامر قال سعد (وكان) ذلك (الرجل يقول كذا وكذا) أى مما لا يليق بجناب المصطفى وصحابته كنى به استقباحا لذكره (وكان بالترس) متعلق بقوله (يغطى جبهته) وجملة وكان الخ حال من ضمير يقول (فنزع له سعد بسهم) أى أخرج له سهما من كنانته ووضعه فى الوتر قال فى المصباح نزع فى القوس مدها فالباء زائدة (فلما رفع رأسه) أى من تحت الترس وظهرت جبهته (رماه فلم يخطئ هذه منه) أى من السهم بل أصابها وفيه نوع من القلب نحو عرضت الناقة على الحوض وقوله (يعنى جبهته) تفسير لقوله هذه وهو من كلام عامر أو من قبله (وانقلب) أى صار أعلاه أسفل (وشال برجله) الباء للتعدية أى رفعها يقال شالت الناقة بذنبها واشالته أى رفعته وفى نسخة واشال فالباء زائدة لتأكيد التعدية (فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه) ولما كان ذلك قد يوهم أن ضحكه من افتضاح الرجل وكشف عورته استفسر الراوى سعدا بقوله (قلت من أى شئ ضحك قال) القياس قلت ففيه التفات (من فعله بالرجل) أى من قتل سعد اياه وغرابة اصابة سهمه لعدوه والانقلاب الناشئ عنه مع رفع الرجل أى وسرورا بنعمة الله تعالى عليه وبنصره على أعدائه الذين قاتلوه وآذوه وبما يترتب على ذلك من اطفاء نار الكفر واظهار نور الايمان واذلال أهل الضلال قال الله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين لا من انكشاف عورته لان ذلك مما لا يليق بجنابه صلى الله عليه وسلم

باب صفة مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

المزاح بضم الميم مصدر مزح كمنع يقال مزح مزحا ومزاحا ويقال مازح مزاحا كقاتل قتالا بكسر الميم والمضموم هو المناسب هنا دون المكسور لانه مصدر باب المفاعلة وهى للمغالبة أو المبالغة وكلاهما غير صحيح فى حقه صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وغيره وهو الانبساط مع الغير من غير إيذاء له وبه فارق الهزء

والسخرية والمزاح من أسباب الضحك فناسب أن ينظم في سلكه ثم اعلم أن المزاح المباح هو ما كان كمزاحه صلى الله عليه وسلم ومزاحه عليه السلام انما كان على سبيل الندور لمصلحة كتطييب نفس المخاطب ومؤانسته وتأليفه ورفع خوفه وزوال خجله وأما الافراط فيه والمداومة عليه فهو مذموم منهي عنه في حديث خرجه المصنف في جامعه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمار أخاك ولا تمازحه قال النووي اعلم أن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه افراط ويداوم عليه فانه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين ويؤول في كثير من الاوقات الى الايذاء ويوجب الاحقاد ويسقط المهابة والوقار فاما ما سلم من هذه الامور فهو المباح الذي كان صلى الله عليه وسلم يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته وهو سنة مستحبة فاعلم هذا فانه مما يعظم الاحتياج اليه اه ويرحم الله القائل

أفد طبعك المكدود بالجد راحة * يجم وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وستأتي تتمة لهذا (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو اسامة عن شريك عن عاصم الاحول عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ياذا الاذنين قال محمود) أي شيخ المصنف وفي نسخة قال أبو عيسى بدل محمود (قال أبو أسامة) أي شيخ محمود (يعني) أي يريد صلى الله عليه وسلم بقوله له ياذا الاذنين (يمازحه) لانه سماه بغير اسمه فيوهم اختصاصه به مع احتمال كون أذنيه طويلتين أو قصيرتين وأبعد من قال ان معنى هذا الكلام الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقال له لان السمع بحاسة الاذن ومن خلق الله له الاذنين فغفل ولم يحسن الوعي لم يعذر اه * قال المصنف (حدثنا هناد) أي ابن السري كما في نسخة (نا وكيع عن شعبة عن أبي التياح عن أنس بن مالك قال ان) مخففة من الثقيلة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا) أي يعاشرنا بالجميل وضمير الجمع لانس وأهل بيته أي انتهت مخالطته بأهلنا كلهم (حتى يقول لاخ لي صغير) من الام اسمه كبشة وأبو طلحة بن زيد بن سهل الانصاري وستأتي ترجمة أبي طلحة آخر باب البكاء (يا أبا عمير) بالتصغير (ما فعل النغير) تصغير نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار وقيل هو العصفور والمعنى ما حاله وما شأنه (قال أبو عيسى وفقه هذا الحديث) أي المسائل الفقهية المستنبطة منه (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمازح) لان أبا عمير كان له نغر يلعب به فمات فحزن عليه فمازحه النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام ليسليه حزنه عليه كما هو شأن الصغير اذا فقد لعبته وانما كان ذلك مباسطة له لانه يفرح بمكالمة المصطفى ويرتاح لها ويفتخر بعد ذلك فيقول لاهله كلمني وسألني فيشتغل باغتباطه بذلك عن حزنه ويزيل فرحه بذلك تلك الاحزان وكان هذا الصغير كان له قوة ذكاء وفطنة فلذا خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لذلك (وفيه أنه كنى) بتخفيف النون وتشديدها (غلاما صغيرا فقال له يا أبا عمير) أي جعل الصغير أبا للشخص فيؤخذ منه ان مثل هذا التكني لا يدخل في باب الكذب لان القصد من التكنية التعظيم والتفاؤل لا حقيقة اللفظ من اثبات ابوة وبنوة وما ذكره المصنف مبني على انه كان مسمى بهذا الاسم

ابن سلام رضي الله عنه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أتجدني في التوراة قال انسب ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد انك لرسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله أي التوراة يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ (٢١١) ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن كعب مثله والبخاري عن عمرو بن العاصي نحوه بزيادة قوله وهم في جحوده شركاء أي اليهود والنصارى شركاء في جحود الحق الذي بينته التوراة والانجيل فلعنة الله على الكافرين (ان يقولوا ما بينته فما زالت بها عن عيونهم عشواء أو يقولوا قد بينته فما للأذن عما تقوله صماء) أي ان يقل أهل الكتاب لم تبين ذلك الحق توراتهم والاناجيل فما زالت بها أي بالتوراة والانجيل عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم من إبصارهم الحق والعشواء الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخبط بيديها على كل شيء يقال ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء أي ناول الامر على غير بصيرة فاشار الى المثل وفيه استعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر والعشواء بالظلمة واثبات الظلمة للعيون تخييل وفي قوله ما بينته ترشيح لانه يناسب المشبه به أو يقول اليهود والنصارى قد بين الكتابان الحق كما هو الحق فاي شيء حصل للاذن التي هي آلة السمع حتى انها عما تقوله التوراة والاناجيل صماء أي غير سامعة سماع قبول أي فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد واسناد القول الى الكتب فيه مجاز أو استعارة

(عرفوه وأنكروه وظلما * كتمته الشهادة الشهداء) مفعول عرفوا وأنكروا يحتمل الحق والنبي صلى الله عليه وسلم أي عرفوه معرفة يقين ببواطنهم وأنكروه بظواهرهم كما قال الله تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وظلما مفعول لاجله وضمير كتمته يعود على الحق المذكور

والشهادة بدل اشتمال من مفعول لتمته أى كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم أهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه وجميع أمره معرفة قطعية ثم أنكروا ذلك حسدا وعنادا او بغيا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى لهم ما ينالوه منهم من الحطم الفانى ايثارا على الدين الموجب للسعادة الدائمة (أونورالاله تطفئه الافـ * واه وهو الذى به يستضاء) أى أ يكتمون ذلك و يظهرون الضلال ونور الله الذى هو النبوة والرسالة (٢١٢) تطفئه أى تذهب نوره الافواه لا يكون ذلك كما قال تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف يطفأ ذلك النور الالهي وهو الذى به يستضاء ظاهرا و باطنا أى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب

(أولا ينكرون من طحنتهم برحاها عن أمره الهيجاء) أى أيستمرون على ضلالهم وادعاءانهم محقون و ينكرون نبوته ولا ينكرون من طحنتهم أى أهلكتهم برحاها أى أسلحتها عن امره الهيجاء أى حربه صلى الله عليه وسلم أى لا ينبغى لهم ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بأنهم ان استمروا عليه طحنهم صلى الله عليه وسلم برحى حربه كما طحن آباءهم وأبناءهم وأهاليهم بجلاء بنى النضير الى الشام وقتل بنى قريظة

(وكساهم ثوب الصغار وقد ط

لت دما منهم وصينت دماء) أى ولشدة بأسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم كساهم ثوب الصغار أى الذل والهوان كضرب الرق على غير المقاتلين من بنى قريظة استعار كلامه اللباس للصغار على حذ قوله تعالى فاداقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة و بما يلائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية أى والحال انه قد طلت أى دفعت وهدرت دما منهم قصره ضرورة كبنى قريظة وصينت دماء منهم كبنى النضير والمراد دماء المسلمين لان الله تعالى جعل لهم الغلبة والدائرة على أعدائهم (كيف يهدى الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء) أى اذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم ان يقال فى حقهم كيف يهدى أى يوصل

وهو كذلك فقد روى الشيخان عن أنس انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير و فى رواية لمسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءوراءه قال أبا عمير ما فعل النغير خلافا لمن قال انه تصغير عمر بضم العين والميم وانه من قبيل أبى الفضل للاشارة الى انه يعيش قليلا فلا يدل على جواز التكنى بما ليس واقعا اه اذ لا دليل على ما ادعاه من انه تصغير عمْر وليس بعلم وأيضا لو كان كذلك كيف يسليه عن حزنه بما يشعر بقصر عمره فان ذلك مما لا يناسب افعاله الجميلة واخلاقه الحسنة صلى الله عليه وسلم (وفيه أنه لا بأس ان يعطى الصبى الطير ليلعب به) قال ابن مخلص معنى هذا اللعب عند العلماء امساكه له وتلهيته بحسنه لا بتعذيبه والعبث به انتهى وليست فوائد هذا الحديث منحصرة فيما ذكره المصنف بل فيه انه يجوز للانسان أن يسأل عن الشئ وهو يعلمه فانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم بموت النغير وفيه اباحة تصغير الاسماء للترفق والتلطف وفيه معاشرة الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم وفيه جواز السجع وموضع النهى ما فيه تكلف ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعوة لا تسمع وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع من السجع كما منع من الشعر قال المناوى وفيه جواز حبس الطير فى نحو قفص لسماع صوته أو رؤية لونه اذا حسن القيام به وقص جناح الطير اذ لا يخلو حال طير أبى عمير من واحد منهما وأيهما كان الواقع التحق به الآخر فى الحكم اه قيل وفيه جواز صيد المدينة بخلاف صيد مكة واحتمال انه صيد خارجها خلاف الاصل فيحتاج الى اثبات قيل وفيه جواز دخول الرجل على المرأة الاجنبية اذا أمن الفتنة وفيه انه ليس فى الحديث ذكر للمرأة مطلقا وعلى تقدير وجودها من أين له ثبوت الخلوة معها وعلى فرض تسليم ذلك فيجب القول بالاختصاص اذ حرمة الخلوة مع الاجنبية اجماعية ولو أمن على نفسه الفتنة وقد قال بعض العارفين لو كان الرجل هو الحسن البصرى والمرأة رابعة العدوية فلا يحل الاختلاء بينهما لان الاحكام الشرعية وردت على اطلاقها قال فى جمع الوسائل ولا يلزم من دخول سفيان وغيره على رابعة العدوية وجلوسهم اليها اختلاؤهم بها حاشى الاولياء مع كمال ورعهم واحتياطهم فى الدين أن يقع من أحدهم هذا الامر المكروه المنكر شرعا وعرفا مع انه لا ضرورة اليه وانما قال بهذا بعض أهل البدعة والله ولى دينه اه وفوائد هذا الحديث تزيد على المائة وقد أفردها ابن القاضى بجزء وقد قال الامام تاج الدين ابن عطاء الله نفعنا الله تعالى به فى كتابه التنوير لما تكلم على حديث اتقوا الله وأجملوا فى الطلب وذكر أن فيه عشرة أوجه ما حاصله انه ليس القصد الحصر بل الامر أوسع من ذلك لانه كلام صاحب الانوار المحيطة فلا يأخذ الآخذ منه الا على حسب نوره ولا يحصل من جواهر بحره الا على قدر غوصه وكل يفهم على حسب المقام الذى أقيم فيه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وما لم يأخذوا أكثر مما أخذوا وقد قال عليه السلام أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد عن أسرار الكلمة الواحدة من

الا الله قلوبا منهم حشوها أى مملوؤها البغضاء أى شدة البغض لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فمن بمعنى اللام المعدية تتعلق بالبغضاء ويصح أن تكون تعليلية أى من أجله أو للبدل أى حشوها بغضه بدل حبه ولا يخفى ما فى كلامه من الاستعارة (خبرونا أهل الكتابين من أين * ن أتاكم تثليثكم والبداء) أى أعلمونا يا أهل الكتابين أى التوراة والانجيل من أين استفهام انكارى أتاكم تثليثكم أى ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن أين لكم معشر اليهود

البداء بموحدة ومهملة من بدا أى ظهر وهو عندهم ظهور مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ والاستفهام بمعنى النفى أى لم يأتكم واحد من ذينك الامرين عن دليل صحيح بل عن محض جهل وسفه وعناد وفى القاموس بداله فى الامر بدوا وبداء وبداءة نشأ له فيه رأى وهو فى حق الله تعالى محال لانه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه ويجئ بدا بمعنى أراد كما فى حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا لله أن يبتليهم أى أراد لا ظهر لانه كفر (ما أتى بالعقيدتين كتاب واعتقاد لا نص فيه ادعاء) الاعتقاد هو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما فى نفس الامر فصحيح والا فباطل والمراد بالنص البرهان القطعى فى اثباته والادعاء الدعوى من غير دليل وهو باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وعبر بالنص المراد به هنا ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بان خلا

كلامه لم يحيطوا بها علما ولم يقدروا لها فهما حتى قال بعضهم عملت بحديث واحد سبعين عاما وما فرغت منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وصدق رضى الله عنه ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم اه وناهيك ان الله تعالى آتاه علم الاولين والآخرين ومنحه من الحكمة ما لم يمنحه أحدا من العالمين فما من عالم ضربت له أكباد الابل فى أشتات العلوم العقلية والنقلية ممن تقدم أو تأخر الا وكلام المصطفى صلى الله عليه وسلم له قدوة واشارته له حجة دون تعلم منه صلى الله عليه وسلم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا جلوس مع علمائها

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

*قال المصنف (حدثنا عباس بن محمد الدورى أنا على بن الحسن بن شقيق أنا عبد الله بن المبارك عن اسامة ابن زيد عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا) بالدال المهملة والباء الموحدة أى تمازحنا أى وقد نهيتنا عن المزاح كما سبق ونحن مأمورون باتباعك فى الاقوال والافعال فما الحكمة فى ذلك فكأنهم قصدوا السؤال عن المداعبة هل هى من خصائصه فلا يقتدى به فيها (قال انى لا اقول الا حقا) أى حتى فى مزاحى فكل من قدر على المحافظة على قول الحق وتجنب الكذب وأنواع الباطل من السخرية والاستهزاء وغلى ابقاء المهابة والوقار أبيح له ومن لا فلا لما يترتب عليه من المفاسد كجرءة من الصغير على الكبير ونحو ذلك كما تقدم فى كلام النووى وقد اختلف الشراح فى المزاح اذا سلم من المحذور هل هو مندوب لان الاصل فى أفعاله وأقواله عليه السلام وجوب أو ندب التأسى به فيها الا لدليل يمنع من ذلك ولا دليل هنا يمنع فتعين الندب أو هو جائز فقط أى ليس بممنوع لوجود المانع من السنية وهو نهيه عن المزاح بطريق العموم والقاعدة الاصولية انه صلى الله عليه وسلم اذا نهى عن شئ ثم فعله يكون فعله لبيان الجواز وان نهيه للتنزيه لا للتحريم كما فى الشرب قائما والبول قائما وامثال ذلك قال فى جمع الوسائل وقد تقدم أول الباب عن النووى حمل حديث النهى على مزاح مخصوص وأحاديث الجواز على نوع آخر ولولا انه ثبت المزاح من أصحابه معه صلى الله عليه وسلم فأقره ولم يمنعهم منه لحمل مزاحه على الاختصاص به (فقد روى أبو يعلى) ان رجلا كان يهدى اليه صلى الله عليه وسلم العكة من السمن أو العسل فاذا طولب بالثمن جاء بصاحبه فيقول للنبى صلى الله عليه وسلم اعطه متاعه أى ثمنه فما يزيد صلى الله عليه على ان يتبسم ويأمر لصاحبه بثمنه وفى رواية انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشتراها ثم جاء بها فقال يا رسول الله هذه هدية لك فاذا طالبه صاحبها بثمنها جاء به فقال أعط هذا الثمن الخ *قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا خالد بن عبد الله عن حميد عن أنس بن مالك أن رجلا) قيل كان به نوع من البلاهة (استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى سأله أن يعطيه دابة يركب عليها (فقال انى حاملك على ولد ناقة) فتوهم ان المراد بولدها هو الصغير من أولادها على ما هو المتبادر الى الفهم فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهل تلد الابل) صغرت أو كبرت

عن الاحتمالات العشرة المقررة فى محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقادات لا يكفى فيها الدليل الظنى والمراد بالعقيدتين التثليث والبداء (والدعاوى ما لم تقيموا عليها * بينات أبناؤها أدعياء) الدعاوى جمع دعوى أى ما ندعيه اليهود والنصارى وما مصدرية ظرفية وتقيموا أى تنصبوا البينات الادلة القاطعة لان الكلام فى الاعتقادات ولا يفيد فيها الظن والمراد بالابناء النتائج والادعياء جمع دعى وهو من ينسب الى غير أبيه أو من تبناه غير أبيه شبه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لانه ناشئ عن أصل فاسد وهذه استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذى هو وطء الزنا وهم الابناء الذين هم نتيجته ورشحت بذكر

الادعياء و بين الادعاء والدعاوى والادعياء تجنيس الاشتقاق وفى النظم القياس الاقترانى المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول ونظمه اعتقاد التثليث والبداء دعوى بلا نص وكل دعوى بلا نص باطلة ينتج اعتقاد التثليث والبداء باطل واعلم ان فرق النصارى ثلاث نسطورية ويعقوبية وملكانية ولكل فرقة اعتقاد قال الطبرى فى التاريخ قال الملكانية الله تعالى هو المسيح فنزل فيهم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال النسطورية ان عيسى ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فنزل فيهم وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال اليعقوبية الله تعالى اله وعيسى اله ومريم أمه اله وفيهم نزل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقد أشار الناظم للبحث مع الكل والرد عليهم اجمالا وأكثر الكلام مع القائلين بالتثليث وهو ان الله تعالى واحد مركب من ثلاثة أقانيم الوجود والعلم والحياة ويعبرون عنها بالابن والاب وروح القدس بقوله

٥٠ (ليت شعرى ذكر الثلاثة والوا
حد نقص فى عدكم أو نماء
كيف وحدتم الها نفى التو
حيد عنه الآباء والابناء
أإله مركب ما سمعنا
بالله لذاته اجزاء
ألكل منهم نصيب من المل
ك فهلا تميز الانصباء
أتراهم لحاجة واضطرار
خالطوها وما بغى الخلطاء)

أى ليتنى علمت ما تقولون ولا أعلمه لبطلانه أوليتنى علمت ما أردته عليكم أبلغ رد فيما صدر عنكم حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة وقلتم مرة أخرى هو واحد أذلك نقص فى عدكم أم نماء أى زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم ابلغ الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر من عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم كيف وحدتم أيها القائلون بالتثلث الها نفى التوحيد عنه الآباء والابناء اللذان أثبتموهما فى دعواكم التثليث أيمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر لا ثم ما سمعنا بالله لذاته أجزاء أو جزآن أى بوجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما يحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب

(الا النوق) فيه مع مباسطته الارشاد له ولغيره انه اذا سمع قولا ان يتأمله ولا يبادر برده * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق نا معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ان رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا) هو ابن حرام الاشجعى شهد بدرا (وكان يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم هدية من البادية) أى مما يوجد فيها من أزهار وثمار ونبات وغيرها لانها تكون مرغوبة عزيزة عند أهل الحضر (فيجهزه النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج) أى يعطيه من الطرف والمستحسنات التى تكون فى الحاضرة ما يعينه على كفاية أهله جزاء وفاقا (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان زاهرا باديتنا) أى نستفيد منه ما يستفيده الرجل من باديته من أنواع النبات فصار كأنه باديته وأبعد من قال انه على حذف مضاف أى ساكن باديتنا (ونحن) أى أهل بيت النبوة فليس الجمع للتعظيم كما قيل ويؤيده ما فى جامع الاصول من أن زاهرا كان يسكن البادية وكان لا يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه الا بطرفة يهديها اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام (حاضروه) أى نعوله ما يحتاجه من الحضر وليس هذا من ذكر المن بالانعام وانما هو ارشاد للامة الى مقابلة الهدية بمثلها أو خير منها لما فى ذلك من حسن المعاملة والتخلق بالمجاملة (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه) يشهد له ما تقدم وما يأتى وذلك علامة على سعادته ووفور حظه من الخير (وكان رجلا دميما) بالدال المهملة أى قبيح الصورة (فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو يبيع متاعه) جملة حالية (واحتضنه) فى نسخة فاحتضنه بالفاء وهو أنسب أى أدخله فى حضنه بأن ضمه اليه والحضن ما دون الابط الى الكشح وهو ما بين الخاصرة الى الضلع وكأنه وجده مشغولا ببيع متاعه بمجامع قلبه فاشفق عليه ان ينهار فى قعر بئر البعد عن الحق فاحتضنه احتضان المشفق على من أشرف على السقوط (من خلفه) أى من ورائه بان أدخل يديه تحت ابطى زاهر فاعتنقه ولعله أخذ عينيه بيديه كى لا يعرفه ولذلك قال (ولا يبصره) حال من مفعول احتضنه (فقال) لما شق عليه الاشتغال عن بيعه (من هذا أرسلنى من هذا فالتفت) أى ببعض بصره (فعرف النبى صلى الله عليه وسلم) فلما وجد برد الذات المتعالية فى قلبه لامعالم يكن بمجرد ذلك العناق قانعا (فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم) ما مصدرية أى لا يقصر فى الصاق ظهره بصدره تبركا بمن هو رحمة للعالمين وتحصيلا لثمرات القرب من سيد المرسلين والظاهر انه كان حينئذ ممسوكا بيديه صلى الله عليه وسلم والا لوقع على رجليه وقبلهما بمقلتيه وتبرك بغبار قدميه وجعله كحل عينيه (حين عرفه) كررها تنبيها بشأنه وتنبيها على ان منشأ هذا الالصاق معرفته ليس الا (فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول) تأديبا له (من يشترى العبد) وفى نسخة هذا العبد اشارة الى أن من شغل بغير الله فهو عبد هواه ما أحببت شيأ الا كنت له عبدا وهو لا يريد ان تكون لغيره عبدا كما قال فى الحكم (فقال يا رسول الله اذن والله تجدنى كاسدا) أى غير مرغوب فيه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مبشرا له بعلى قدره وعظيم رتبته وفخره لما استشعر منه الانابة (لكن عند الله لست بكاسد) الظرف متعلق بكاسد (أو قال) شك من الراوى (أنت عند الله غال) وهذا

من أجزاء أو متعدد قيل لهم الكل منهم نصيب من الملك أي حظ من التصرف عن قدرة فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي نسخة فلم لا تميز بالبناء للفاعل أو للمفعول الانصباء أي نصيب كل من الآلهة حتى يكون ذلك التمييز دليلا على ما زعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي و بين الثلاثة والواحد والنقص والنماء التقابل كالحاجة والاضطرار والامانة والاحياء الآتيات فان قالوا لكل نصيب أو انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم أتراهم أي تظنهم خلطوا الحاجة أي احتياج واضطرار وهو شدة الحاجة الى الشئ

بحيث لا يجد مندوحة عنه فان قالوا نعم قيل لهم الاله لا يحتاج ولا يضطر لشئ مطلقا لانه غني بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعي على عدم ألوهيته وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا أيتصور وجود شركة دائمة بين شريكين فأكثر والحال انه ما بغى أي ظلم الخلطاء أي الشركاء بعضهم بعضا لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم لانهما ان استويا في القوة تمانعا ولم يقع فعل من أحدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم لان الفرض وقوع الشركة وعدم التمييز واحتمال توافقهما دائما الذي يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة القرآنية والسلائق العربية لان من شأن النفوس ان لا تريد بقاء شريك معها وذلك يمنع دوام الموافقة قطعا ونحن نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان وأحكم قواعد الشروط والاركان و يلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له مطلقا (أهو الراكب الحمار فيا عجـ * ـز اله يمسه الاعياء أم جميع على الحمار لقد جـ * ـل حمار بجمعهم مشاء أم سواهم هو الاله فما نسـ * ـبة عيسى اليه والانباء) هذا وجه آخر في بطلان التعدد وذلك ان عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يقال لهم أهو عيسى الاله الراكب الحمار فان قالوا انه هو فركوبه يستدعي حدوثه وتعبه وهو يستدعي عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا فلذا تعجب من دعواهم فنادى العجز والاعياء التعب وأم متصلة لمعادلتها

أبلغ من الاول و بهذا نعلم ان مزاحه صلى الله عليه وسلم ليس مزاحا الا باعتبار الصورة لا يخلو عن بشرى فاضلة أو مصلحة شاملة أو فائدة كاملة فهو في الحقيقة غاية الجد وقد أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول في الاصل الثاني والاربعين هذا الحديث بغير هذا اللفظ ونصه عن ثابت البناني قال لا تسخروا من أحد فان أسا حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبقيع فاذا باعرابي أعمش العينين دقيق الساقين عليه شملتان معه عكة سمن يبيعها فجاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا زاهر هذا يحب الله و يحبه فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يشتري مني زاهرا فقال يارسول الله اذن تجدني كاسدا فقال انك عند الله لست بكاسد اذا قدمت المدينة فانزل علي واذا أنا بدوت نزلت عليك اهـ وفي الحديث أن المدار على حسن الباطن ولذا ورد ان الله لا ينظر الى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم * قال ابن حجر وفيه الدخول الى السوق والاعتناق من خلف وتسمية الحر عبدا والنداء على البيع ومدح الصديق بما يناسبه لقوله باديتنا وقوله أنت عند الله غال وقبول الهدية والمجازاة عليها ومداعبة الاعلى للادنى * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد نا مصعب بن المقدام نا المبارك بن فضالة) بفتح الفاء (عن الحسن) أي البصري لانه المراد عند الاطلاق في اصطلاح المحدثين فالحديث مرسل (قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم) أي جاءته امرأة كبيرة ولا يقال عجوزة الا في لغة رديئة على ما في القاموس وهذه المرأة قيل انها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام وعمة النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن حجر تبعا للشارح أسلمت وهاجرت مع ولدها الزبير شهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع (فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان) كأن الراوي نسي الاسم الذي جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم فأقام لفظ فلان مقامه (ان الجنة لا تدخلها عجوز قال) الحسن (فولت تبكي فقال أخبروها أنها) أي أم فلان المذكورة وغيرها يعلم بالمقايسة وعليه فتكون مبشرة بالجنة و يحتمل أن الضمير لجنس العجوز الدال عليه قوله ان الجنة لا تدخلها عجوز وهو الاظهر وان قال بعده ابن حجر قاله في جمع الوسائل (لا تدخلها وهي عجوز) أي بل تدخلها وهي شابة (ان الله تعالى يقول) استئناف متضمن للعلة (انا أنشأناهن انشاء) على أن ضمير الاناث يعود على النساء وهو مقتضى ما هنا يكون المعنى خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر غير خلقهن وهو قوله فجعلناهن أبكارا الخ وأما على أن الضمير للحور العين المدلول عليه بالسياق فالمعنى خلقناهن خلقا ابتداء من غير ولادة ولا تدريج في التربية والسن وهو الذي ذكره البيضاوي وابن حجر هنا لكن على هذا وجه المطابقة بين الآية والحديث غير ظاهر فالاظهر كما في جمع الوسائل أن يجعل الضمير الى نساء الجنة أجمعهن و يكون حاصل المعنى أن نساء الجنة كلهن خلقهن الله خلقا آخر يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى البدنية وانتفاء صفات النقص (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع (عربا) جمع عروب

للهمزة أى أتقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة هم على الحمار فيقال لكم لقد جل حمار بجمع آلالهة أى بمجموعهم مشاء صيغة مبالغة من مشى أم يقولون سوى الثلاثة الذين على الحمار هو الاله فبسبب ذلك يقال لهم على سبيل الاستفهام ما نسبة عيسى اليه أى أخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه (أم أردتم بها الصفات فلم خصت ثلاث بوصفه وثناء أم هو ابن الاله ما شاركته * فى معانى البنوة الانبياء قتلته اليهود فيم زعمتم * ولا مواتكم به احياء)

أى أردتم بها أى بالثلاثة التى زعمتم انها آلهة الصفات القائمة بذات الاله والصفة مادل على معنى زائد على الذات فلم خصت أى فلم أفردت ثلاث بوصف الاله جل وعلا وثناء اذ الصفات لا تنحصر فى الاثنين ولا فى الثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل أم يقولون هو أى عيسى ابن الله فيقال لهم لم اختص عيسى بذلك وبقية الانبياء فى ذلك على حد السواء فكان عليكم ان تصفوا جميع الانبياء بما وصفتم به عيسى فادعاء النبوة لعيسى تحكم باطل وقد قتلت عيسى اليهود حال كون قتلهم له انما هو فى التقول الذى زعمتم معشر النصارى والحال انه لا مواتكم بعيسى احياء أى رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيي الموتى فكيف يكون من يحيي الموتى يتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم لوقوعكم فى التناقض الصريح ولا تنتبهون له (ان قولا أطلقتموه على الله * تعالى ذكرا لقول هراء) الهجو هذا من القول البديع الجامع أى ان القول الذى حكى عنكم وأطلقتموه على الله تعالى عما تقولون أنتم وأمثالكم علوا كبيرا اذ كرا أى ثناء وتعظيما له هو فى قولكم الله ثالث ثلاثة أو ذكرا تمييز أى تعالى ذكره والهراء بضم الهاء وفتح الراء الفاحش قال فى القاموس هرأ فى منطقه كمنع أكثر الخنا أو الخطأ والهراء كغراب المنطق الكثير الكلام وفى نسخة بالزاى من هزأ منه وبه كمنع هزأ وهزوا ومهزأة سخر ورجل هزأة بضم فسكون يهزأ منه وبضم ففتح يهزأ بالناس وفى نسخة بالذال المعجمة والهذيان الساقط الذى لا معنى له ولا يصدر من عاقل

وهى المتحببة الى زوجها عشقا له وقيل الغنجة والغنج فى الجارية تكسر وتدلل وقيل الحسنة الكلام (أترابا) جمع ترب أى مستويات فى السن أبناء ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين اذ هذا أكمل أسنان نساء الدنيا ولعل اقتصاره صلى الله عليه وسلم على العجائز لسبب ورود الحديث أولان غيرهن يعلم بالمقايسة بل بالطريق الاولى لانه اذا كان هذا نعت النساء اللاتى خلقن للرجال فما ظنك بالرجال * وقد ورد ان أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على خلق آدم عليه السلام طولهم ستون ذراعا عرض سبعة أذرع وان عليهم التيجان وان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب ويعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم * ومن أحاديث الباب ما رواه ابن أبى حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهرى أنه قال للمرأة التى سألته عن زوجها أهو الذى بعينه بياض وقد ذكره القاضى عياض فى الشفاء من غير اسناد * وورد أنه صلى الله عليه وسلم مج مجة فى وجه محمود بن الربيع وهو ابن خمس سنين يمازحه فكان فيها من البركة أنه لما كبر لم يبق فى ذهنه من الرواية غيرها فعد بها من الصحابة ورواتهم وجعل عمره أقل زمان التحمل وانه نضح الماء فى وجه بنت أم سلمة فلم يزل رونق الشباب فى وجهها وهى عجوز كبيرة نقله ابن حجر وغيره قبل هذا المحل

﴿ باب صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر ﴾

الشعر أصله من شعرت أى أصبت أو علمت علما دقيقا كدقة الشعر ومنه قولهم ليت شعرى أى ليتنى علمت وقد صار فى العرف اسما للكلام الموزون المقفى قصدا وهذا القيد يخرج ما صدر منه صلى الله عليه وسلم من الكلام الموزون وأما ما وقع فى الكتاب المكنون نحو لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون نصر من الله وفتح قريب فلا شك أنه مقرون بالارادة والمشيئة التى هى معنى القصد لانه لا يقع فى الكون شئ بدون المشيئة ولعل الجواب أنه ليس مقصودا بالذات وانه وقع تبعا قاله فى جمع الوسائل والاخبار فى ذم الشعر ومدحه متعارضة * وقد روى باسناد حسن عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر فقال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح قال العلماء معناه ان الشعر كالنثر لكن التجرد له والاقتصار عليه مذموم وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا وصديدا خير له من أن يمتلئ شعرا وفى الرسالة ولا بأس بانشاد الشعر وما خف من الشعر أحسن ولا ينبغى أن يكثر منه ومن الشغل به اه وآية وما علمناه الشعر تقتضى غضاضة على الشعر * وعن عائشة كان الشعر أبغض الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لما فيه غالبا من تزوير القول والكذب ومجاوزة الحد فى المدح والذم وتصوير الباطل بصورة الحق وعكسه وغير ذلك مما يتحاشى عنه جانب النبوة فحمى الله سبحانه نبيه منه ترفيعا له وتنزيها لقدره * وفى ذم الشعر يقول المتنبى

لا تحسبن الشعر فضلا بارعا * ما الشعر الا هجنة وخبال

(مثل ماقالت اليهود وكل * لزمته مقالة شنعاء) يجوز نصبه حالا أي اقول هذا حال كونه مثل أو نعتا لمصدر محذوف ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو مثل ماقالت اليهود أي قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين وكل من الفريقين لزمته بدعواه مقالة شنعاء أي قبيحة جدا (اذ هم استقرؤا البداء وكم سا * قو بالا بهم استقراء) استقرؤه أي تتبعوه وتصفحوا ما أخذوه منه حتى قال ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا نسخ (١٧٠) ملة عن لانه يوهم البداء وهو ظهور

الهجو قـذف والرثاء نياحـة * والعتب ضغن والمدح سؤال

وفي مدحه يقول أبو تمام

ولم أر كالمعروف ترعى حقـوقه * مغارم في الاقـوام وهي مغانم

ولا كالعلا مالم ير الشـعر بينها * فكالارض غفلا ليس فيها معالم

ولولا خصال سنها الشعر مادرت * بغاة العلا من أين تؤتى المكارم

يرى حكمة ما فيـه وهو فكاهة * ويرضى بما يقضى به وهـو ظالم

وقال عمر رضي الله عنـه تعلموا الشـعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوي تتقى اه ويأتي لهـذا المعنى تتمة (حدثنا على بن حجر نا شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه) أي شريح بن هانيء الحارثي أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسـلم وهو من جملة أصحاب على كرم الله وجهه وممن ظهرت فتواه في زمن الصحابة (عن عائشة قال) اى شريح وفي نسخة قالت (قيل لهـا هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل) أي يستشهد (بشيء من الشعر) في القاموس تمثل أنشد شعرا وتمثل بشيء ضربه مثلا (قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة) هو عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي أحد النقباء شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد بعدها الا الفتح وما بعده لانه قتل يوم مؤتة شهيدا أميرا سنة ثمان وهو أحد الشعراء المحسنين ومن شعره

وفينا رسـول الله يتـلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهـدى بعـد العمى فقلوبنا * به موقنـات أن ماقال واقـع

يبيت يجافي جنبه عن فراشـه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثل من شعره بقوله يبيت يجافي الخ (ويتمثل) أي بشعر غـيره أيضا (ويقول) أي متمثلا بقول أخي قيس طرفة بن العبد (ويأتيك بالاخبار من لم تزود) من الزود وهو اعطاء الزاد قال في جمع الوسائل والظاهر انه أراد بالآتي بالاخبار من غير تزويد نفسـه الشريفة كما تشـير اليه الآية المنيفة قل ما أسألـكم عليه من أجر ان أجري الا على الله والله أعلم اه وهو بعيد وظاهر هـذه الرواية أنه تمثل بهذا المصراع ولم يكسر وزنه والذي عند الشيخ أبي الليث السمرقندي عن عائشة أنه قال ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال ما أنا بشاعر وكذا ذكره ابن كثير في تفسـيره فكأنه صلى الله عليه وسلم تمثل بمعناه فانه كان اذا حاول انشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه وانمـا كان يحرر المعاني فقط فاما ان يقال معنى قولها هنا ويتمثل الخ انه تمثل بمادته وجوهر حروفه دون ترتيبه الموزون أو يحمل على تعدد الواقعة وظاهره أيضا ان البيت من كلام ابن رواحة لسبق على نسخة ويتمثل بقوله وقد اتفقوا على أنه من شعر طرفة والجواب أنه كلام برأسه والضمير المجرور لشاعر مشهور به معروف عنـدهم والظاهر انه انمـا تمثل بهذا المصراع دون صدره وهو قوله * ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان الثوري عن

مصلحة بعـد خفائها حتى ينسخ ما مضى من أجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة على ذلك ومنهـم من جوزه عقلا ومنعه شرعا وأما قول بعض المسـلمين الحـكم الثابت لا يرتفع بل ينتهى فلا يكون نسـخا ممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلف لفظي وادعاء اليهـود ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لاحد وال المكلفين أو للازمنـة ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له شيء بعـد ان لم يظهر وزعم كثير من الرافضـة انه يجوز البداء عليه لوقوع النسخ منه عز وجل وهذا أغلظ من كفر اليهود وقالت اليهـود لعنهم الله تعالى الفعـل اما حسن فيستحيل النهي عنه واما قبيح فيستحيل الامر وبها الجواب ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وعلى تقدير تسليمهما فالعلم العادي قاطع بان الفعل قـد يكون مصلحة في حق واحد مفسـدة في حق آخر بل

ما نعلم ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهي بوقت كذا أو فعل كذا قالوا والسمع منع النسخ أيضا لان اللفظ الدال على شرع موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اما أن يدل على الدوام أم لا فان دام وضم عليه ما اقتضى نسخه فهو افتضى وان لم ينضم اليه ذلك دل في العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه أيضا ما علم تواترا من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه انهم في زمن بختنصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الا سبعة اطفال على ان الابد كثيرا ما يطلق ويراد به الزمان الكثير الطويل كما في مواضع من التوراة ﴿فائدة﴾ ذكر الامام الرازي في المطالب العالية في الحكمة في نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال التوراة منها

ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته أبدا ومجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طروّ نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو المقصود من الاعمال الى معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية أحوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور الظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشيء فوضع في كل عصر رسول بشريعة جديدة لينشطوا في أدائها ومن حكمه اظهار شرف نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نسخ شرائعهم بشريعته وشريعته لا ناسخ لها ومن حكمه أيضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب أمر بدواء يوما وبآخر في يوم آخر وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني أثقل * واعلم أن شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا في شريعة عيسى هل هي ناسخة لشريعة موسى عليهما السلام أو مخصصة وهو الاظهر لقوله تعالى ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وقال الامام في تفسيره روى ان الرسل بعد موسى عليهم الصلاة والسلام كلهم على شريعته الا عيسى عليه السلام (وأراهم لم يجعلوا الواحد القـ * ـهار في الخلق فاعلا ما يشاء) أى أعلم انهم لقولهم ذلك بذلك أعنى امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يجعلوا أى لم يعتقدوا الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له بوجه ما القهار في الخلق أى للخلق على نفوذ ما أراده فيهم ويصح تعليق في الخلق بفاعلا ما يشاء لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه تعالى عن ذلك

(جوزوا النسخ مثل ما جوزوا المسـ * ـخ عليهم لو انهم فقهاء) جوزوا النسخ جواب لو وما مصدرية أى لو انهم فقهاء فهماء لجوزوا النسخ تجويزا مثل تجويز المسخ الذى وضع فيهم فانهم مسخوا قردة وخنازير فبدلت صورتهم الى صورة أقبح منها هذا قول الجمهور وقال مجاهد

عبد الملك بن عمير نا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصدق كلمة) المراد بها هنا الكلام (قالها الشاعر) رواية مسلم وستأتى عند المصنف أشعر كلمة تكلمت بها العرب وفى رواية ان أصدق بيت قالته الشعراء (كلمة لبيد) هو ابن ربيعة العامرى الصحابى أدرك الجاهلية والاسلام وحسن اسلامه عاش مائة وأربعا أو سبعا وخمسين وهو أفصح شعراء العرب وفصحائهم ولم يقل شعرا بعد الاسلام وكان يقول يكفيني القرآن * قال فى جمع الوسائل وكأنه رضى الله عنه استحيا أن يقول شيأ بعد سماع كلامه تعالى المعجز للاولين والآخرين أو غاص فى لجج أمواج بحار علوم القرآن الجامع لعلوم الاولين والآخرين فاغنانا بالاشتغال به عن الاشتغال بغيره تحققا بقوله تعالى أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وقد قال ابن عباس جميع العلم فى القرآن ولكن تقاصر عنه افهام الرجال ولعله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بالشعر ويمدحه أحيانا تألفا لقلوب المؤمنين وتدريجا باقوال العارفين الى كلام رب العالمين لمناسبة البشرية العاجزة غالبا عن فهم الاسرار الالهية وهذا وجه ما حكى أن بعض المشايخ قرأ حزبه من القرآن بعد الصبح ولم يحصل له وجد فحضر قوال فأنشد له شعرا فحصل له تواجد عظيم فلما افاق قال أما تعذرون القائلين فى حقى انه زنديق اه بالمعنى (ألا كل شىء ما خلا الله باطل) أى فانه مضمحل وانما كان هذا أصدق الكلام لموافقته لقوله تعالى كل من عليها فان وقوله كل شىء هالك الا وجهه والمقصود من هذا الكلام التزهيد فى الاكوان والتعلق بالحى القيوم الذى هو كل يوم فى شان وذلك ان كل ما سوى الله تعالى فى نظر العارفين عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه والوجود الحقيقى انما هو لله سبحانه وأما وجود ما سواه تعالى ففى غاية الضعف لانه محفوف بالعدم السابق وبالعدم اللاحق ويجوز عليه فى كل لحظة الزوال والفقد وكما أنا اذا رأينا خيط عنكبوت فى الهواء لا نعبأ به ولا نشغل قلوبنا بشانه ولا نعتمده فى شىء لغاية ضعفه فكذلك جميع الاكوان عند العارفين اذ كلهم لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا وكلهم يجوز عليه الانعدام فى كل لحظة والتحقق بهذا المعنى هو زبدة التوحيد وعمدة أهل التفريد وفى ذلك يقول قائلهم

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها * لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا * شيأ سوى المتكبر المتعالى
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * فى الحال والماضى والاستقبال

فمن أشرق هذا النور فى قلبه انقطع الى الله ولم يسكن الى شىء سواه لاستحضاره عجز الكل وقدرة الواحد وتيقنه فقر الجميع وغنى الواحد ومعرفته بضعف الجميع وقوة الواحد وذل الجميع وعزة الواحد فاوجب له

حولت قلوبهم فصاروا لا يفهمون بمنزلة قلوب القردة والخنازير (هو الا أن يرفع الحكم بالحكم * وخلق فيه وأمر سواء) أى ليس النسخ الا أن يرفع الحكم الشرعى بالحكم الشرعى والمراد بالمرفوع استمراره وتعلقه لا ذاته لانه خطاب الله تعالى القديم المتعلق بفعل المكلف من حيث انه مكلف اقتضاء أو تخييرا وما ثبت قدمه استحال عدمه قوله وخلق أى ايجاد فيه أى المسخ باذهاب الصورة الاولى وايجاد الصورة الثانية وأمر أى تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثانى سواء أى مستويان لان المسخ (٢١٩) فيه رفع الصورة الاولى بالثانية والنسخ

فيه رفع الحكم الاول بالثانى فاذا جوزتم الاول فجوزوا الثانى والا تبين سفهكم وعنادكم ﴿تنبيه﴾ قال ابن الحاجب فى مختصره الاصلى النسخ رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر اه وقال فى الجمع وشرحه اختلف فى أن النسخ رفع للحكم أو بيان لانتهاء أمره والمختار الاول لشموله النسخ قبل التمكن والصحيح جوازه والمراد من الاول انه رفع الحكم الشرعى بخطاب والمراد رفعه من حيث تعلقه بالفعل وخرج بالشرعى رفع الاباحة الاصلية وخرج بخطاب الرفع بالموت والجنون والغفلة (والحكم من الزمان انتهاء والحكم من الزمان ابتداء) قوله انتهاء أى غاية يرتفع عندها تعلقه وابتداء أى افتتاح فيجب امتثاله وقول الشارح ان الناظم أشار الى تفسيرين فى النسخ لا يصح لان حقيقة الرفع مستحيلة والمرتفع تعلقه وعلى كل فجواز النسخ رفعا وبيانا وسواء

ذلك الاعراض عن الجميع والاقبال على الواحد فقصر أمله عليه وجعل وجهته كلها اليه وآخر هذا البيت * وكل نعيم لا محالة زائل * وبعده

وكل ابن أنثى لو تطاول عهده * الى الغاية القصوى فللقبر آيل

وكل أناس سوف تحدث بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وأول القصيدة

ألا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

(وكاد أمية بن أبى الصلت) الثقفى أدرك الاسلام ولم يوفق له وكان يتعبد فى الجاهلية ويؤمن بالبعث وكان ينطق فى شعره بالحقائق ويغوص على المعانى البديعة والرقائق ولذلك لما سمع عليه السلام من شعره مائة بيت كما يأتى قال فى حقه كاد أى قرب أمية (أن يسلم) وقال أيضا آمن شعره وكفر قلبه وقيل انه المراد فى قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى الآية فانه قرأ التوراة والانجيل فى الجاهلية وكان يعلم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فطمع أن يكون هو فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حسده وكفر عاش حتى أدرك وقعة بدر ورثى من قتل بها من الكفار ثم مات أيام حصار الطائف كافرا وذلك فى سنة ثمان وقيل تسع وقيل غير ذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن الاسود بن قيس عن جندب بن سفيان البجلى قال أصاب حجر أصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم) بكسر الهمزة وفتح الباء وفى القاموس انه مثلث الهمزة والباء (فدميت) بفتح الدال وكسر الميم وفى رواية البخارى من طريق أبى عوانة عن الاسود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بعض المشاهد فدميت أصبعه الخ قال الكرمانى قيل ذلك كان فى غزوة أحد وفى صحيح مسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت أصبعه قال الباجى لعله غاز يا فصحف لقوله فى الرواية الاخرى فى بعض المشاهد أو المراد بالغار الجيش وقال العسقلانى وقع فى رواية شعبة عن الاسود خرج الى الصلاة أخرجه الطيالسى (فقال هل انت) اى ما انت وتجوز قراءته بالتحقيق والنقل (الا أصبع دميت) باشباع التاء صفة لاصبع (وفى سبيل الله ما لقيت) الواو للحال وما موصولة مبتدأ حذف عائدها وفى سبيل الله خبره أى الذى لقيته حاصل فى سبيل الله أى والمحب لا يبالى بما يناله فى رضا محبوبه ويحتمل الاستفهام والاصل وما لقيت فى سبيل الله والنفى أى ما لقيت شيئا فى سبيل الله تحقيرا لما لقيته وتمنيا لما زاد * قال ابن حجر ولتوجهها خاطبها حقيقة معجزة له صلى الله عليه وسلم أو على سبيل الاستعارة تسلية وتخفيفا لما أصابها اذ لم تبتل بقطع ونحوه مع ان ما ابتليت به لم يكن الا فى سبيل الله ورضاه * قال المناوى وهذا الشعر لابن رواحة أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب محاسبة النفس ان جعفر لما قتل بمؤتة دعا الناس يا ابن رواحة فاقبل وقاتل فاصيب أصبعه فارتجز وجعل يقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

يانفس الا تقتلى تموتى * هذا حياض الموت قد صليت

جعلنا المسخ فى صورهم حتى صار أقاربهم المؤمنون لا يعرفونهم وهم يعرفونهم فكان القرد يجئ الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له ألم أنهك عن المخالفة فيشير برأسه ان نعم أم فى قلوبهم فقط كما قال مجاهد وقد قالوا قلوبنا غلف (فسلوهم أكان فى مسخهم نسخ لآيات الله أم انشاء) فى صدر البيت التفات عن خطابهم مبالغة فى تحقيرهم أى جعلهم قردة وخنازير فى الصورة على المشهور أو فى قلوبهم بجعلها كقلوب البهائم لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما زعمه مجاهد هو نسخ لآيات الله تعالى وهى الصورة الاولى مع أحكامها أو لادراك الاول على قول مجاهد أم انشاء أى ايجاد لصورة مستقلة وحكم مستقلة يتعلق بها أو للادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا أنفسهم

وما تمنيت فقـــد لقيت * ان تفـعلى فعلهما هـــديت

وقيل للوليد بن الوليد بن المغـيرة اهـ* قال المصـنف (حـدثنا ابن أبى عمر ناسفيان بن عيينة عن الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله) أى ابن سفيان (البجلى نحوه) أى بمعناه دون لفظه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نايحيى بن سعيد نا سفيان الثورى نا أبواسحق عن البراء بن عازب) صحابيان جليلان (قال قال له رجل) فى روايه انه من قيس لـكن لا يعرف اسمه (أفررتم) أى يوم حنين كما فى روايه الصحيحين (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأباعمارة) بضم العين وتخفيف الميم كنية البراء والاستفهام للانكار أو للاستعلام والمراد أفررتم كلكم (فقال لا) أى لم يفر جميعنا بل بعضنا وأكد بقاء البعض بقوله (والله ماولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فكيف يفر جميعنا وكانه اشار الى أنه يلزم من ثبات الرسول عـدم فرار أكابر الصحب لمثابرتهم على بذلهم نفوسهم دونه وعلمهم بان الله تعالى لا يخذله وأنه ينصره و يعصمه من الناس فهذا من البراء رضى الله عنه احتجاج على عدم فرار أكابر الصحابة لـكن انما اتفقوا على ثبات العباس وأبى سفيان بن الحرث واختلفوا فيمن عداهم من سائر الصحابة وقال ماولى ولم يقل ما فر تنزيها لمقامه الرفيع من ان يستعمل فيه لفظ الفرار فى النفى فضلا عن الاثبات لانه أشنع من لفظ التولى اذ قد يكون لتحرف أو تحيز بخـلاف الفرار فانه لا يكون الا للخوف من الجبن غالبا انظر ابن حجر ثم بين ان هذا الفرار انما كان ممن فى قلبه مرض من مسلمة الفتح ومؤلفتهم واخلاطهم الذين لم يتمكن الاسـلام من قلوبهـم بقوله (ولـكن ولى سرعان الناس) قال الـكرمانى بفتح السـين وكسرها جمع سريع و بفتح السين والراء أوائلهـم واخفاؤهم الذين يسارعون الى الشئ و يميلون عليه بسرعة فلما انكشفوا عن العدو وظن من فر من الصحابة انه لم يبق فيهم غناء فكروا ولم يعرفوا الخبر فاطلق على فعلهم الفرار فى بعض الآثار أخذا بالظاهر وفى رواية لمسلم ياأباعمارة فررتم يوم حنين قال لا الخ وفى أخرى أكنتم وليتم يوم حنين ياأباعمارة فقال الخ فقال النووى ماحاصله تقـدير الـكلام افررتم كلـكم فيقتضى ان النبى صلى الله عليه وسلم وافقهم فى ذلك ليعد ثباته منفردا فى مقابلة جيش عظيم فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولـكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا اهـ وهـذا التقرير مناسب لروايه مسلم المتقدمة اذ ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولرواية عند البخارى اوليتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واما على روايه الترمذى ومثلها عند البخارى فقول السائل افررتم عن رسول الله لا يدل على انه عليه السلام فر بل على انهم فروا وبقى هو منفردا فليس فيه مايوهـم انه فر حتى يحتاج الى رفع هذا الايهام فالاولى فى تقرير روايه الترمذى ما تقدم انظر جمع الوسائل قال ابن حجر لم يرد عن احد من الصحابه انه صلى الله عليه وسلم انهزم ومن ثم اجمع المسلمون على أنه لا يجوز عليه الانهزام فمن زعم انه انهزم فى موطن من مواطن الحرب ادب أدبا عظيما لا لائقا بعظيم جريمته الا ان يقوله على جهة التنقيص فانه يكفر فيقتل مالم يتب على الاصح عنـدنا ومطلقا عند مالك وجماعة من اصحابنا و بالغ بعضهم فنقل فيه الاجماع بل لو اطلق ذلك قتل عندهم على ما اشار اليه بعض محققيهم اهـ وانظر قوله ومطلقا عند مالك فان الذى فى مختصر خليل

* ولزمتهم الحجة أم بالثانى فهى مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق و بين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ و بالنسبه للثانية البهيمية انشاء (و بداء فى قولهم ندم الا.. به على خلق آدم أو خطاء) أى سلوهم عن قولهم المروى عنهم ندم الله على خلق آدم أهو عن قصد منهم أو عن خطأ فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذى أنكروه لانه يستلزم جهل الرب عز وجـل بعواقب الامور وحينئذ فـكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف على نفسهم وانهم فى غاية الغباوة والسـفاهة و بداء مبتدأ وفى قولهم خبره وخطاء معطوف على بداء وأصله القصر (أم محا الله آية الليل ذكرا بعد سهو ليوجد الامساء) أى وسلوهم عن علامة الليل هل أذهبها الله تعالى ذكرا بضم الذال أى عن ذكر أى علم وقصد بعد سهو ليوجد الامساء أى الظلام بعد النهار اى قولوا لهم هل هـذا المحو واقع أم لا وفرض وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو أو عن عمد ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القـول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثانى من الترديد الاول فقد كابروا الحس أو من الترديد بالثانى لزمهم القول بالبداء لان من جوز السهو يجوز البـداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه و بين ذكرا وسهو جناس التطابق كحرم والتحليل وجحدوا وآمنوا الآيات (أم بدا للاله فى ذبح اسحاق وقد كان الامر فيه مضاء) أى وسلوهم عن أمر الله بذبح اسحق ثم نسخه بعد ان كان الامر فيه مضاء اى ماضى نافذ وفى نسخة قضاء بالقاف أى حتم برؤيا أبيه ابراهيم خليل الله تعالى عليهما السلام فى نومه أمر الله تعالى بذبحه ورؤيا الانبياء عليهم السلام وحى ﴿ تنبيه ﴾ ماجرى عليه الناظم رحمه الله من أن الذبيح هو اسحق هو قول على وابن مسعود واهل الـكتابين واسـتدل له بأمرين أحدهما ان البشارة المعروفة لابراهيم بالولد انما كانت باسحق لقوله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب والثانى ماروى أن يعـقوب عليه السلام كان يكتب من يعقوب اسرائيـل الله ابن اسحق ذبيح الله واقتصر الناظم على هـذا القول لانه فى مقام الرد على اليهود وهذا هو معتقدهم ومذهب أهل السـنة ان الذبيح هو اسمعيـل

واستدل له بثلاثة وجوه أحدها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وأن بعض العرب قال له ذلك فتبسم و يعنى بهما اسمعيل وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم حين نذر والده عبد المطلب أن يذبحه ان يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الابل ثانيهما ان الله تعالى قال بعد قصة الذبيح و بشرناه باسحق فهذا يدل على ان الذبيح غيره والثالث انه روى ان ابراهيم انما جرت له قصة الذبح بمكة والذى كان بمكة هو اسمعيل وقد أنشد بعضهم

ان الذبيح هديت اسمعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا * وأبانه التفسير والتأويل

وانظر أوائل المواهب فله هنا كلام حسن جدا (أو ما حرم الاله نكاح الا خت بعد الذى تقدم فهو الزنا) هذا مما يرد عليهم أيضا فى انكارهم النسخ وهو ان نكاح الاخت كان حلالا فى شريعة آدم كما تقدم ثم حرمه الله فان اعترفوا بذلك فهو عين النسخ وان جحدوه فهو محض عناد (لا تكذب أن اليهود وقد زا غوا عن الحق معشر لؤماء) أى واذا تقرر بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن محاجتهم واعرض عنهم ولا تكذب انهم قد زاغوا أى مالوا عن الحق من غير شبهة عندهم سفها وحسدا منهم اى قوم لؤماء جمع لئيم وهو الشحيح النفس (جحدوا المصطفى وآمن بالطا غوت قوم هم عندهم شرفاء) جحدوا بدل من زاغوا والمصطفى المختار من الصفوة أو المصفى من كل نقص أى أنكروا نبوته ورسالته بعد علمهم بها عنادا بينه قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والحال انه قد آمن بالطاغوت اى الشيطان وكل ما عبد من دون الله أو ما دعا الى عبادته فعلوت من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء فاعل آمن وهو كالذى بعده بيان لعظم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس وأمروا من آمن الباطل فهم مع ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم اسمعوا الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية و يصح أن يكون المراد وآمن بالطاغوت قوم منهم ... شرفاء فى

خليل واستنيب فى هزم ثم ذكر سبب فرارهم بقوله (لقيتهم) اى قابلتهم و واجهتهم (هوازن) قبيلة مشهورة بشدة السهم لا تكاد تخطئ سهامهم (بالنبل) اى برميه وهو اسم جنس يراد به السهام العربية لا واحد له من لفظه وقيل انه جمع نبلة و يجمع على نبال وانبال وفى رواية لمسلم عن البراء وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام الخ (و رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته) هى بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامى كذا فى مسلم وقيل ان البغلة التى ركبها يوم حنين هى دلدل وكانت شهباء اهداها له المقوقس واما التى اهداها له فروة فتسمى فضة قال العلماء و ركوبها صلى الله عليه وسلم البغلة فى موطن الحرب مع عدم صلوحها للحروب ومن ثم اسهم لها مع كون الفرس من مراكب الأمن والطمأنينة ومع أن الملائكة لم تقاتل فى ذلك اليوم الا على الخيل ومع انه كان له افراس متعددة والنهاية فى الشجاعة وليكون أيضا معتمدا يرجع اليه المسلمون وتطمئن قلوبهم به و بمكانه وليكون ممتازا عن غيره وايذانا بان سبب نصرته مدده السماوى وتأييده الربانى الخارق للعادة وانه غير مكترث ولا ملتفت لحكم العدو وقد انهزم الكفرة وهم عشرة آلاف مقاتل من بين فارس وراجل بقبضة من حصى حتى سبيت نساؤهم وحيزت أموالهم بعدما انهزم منهم المسلمون وقتل من المشركين أكثر من سبعين واستشهد من المسلمين أربعة (وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب) هو ابن عمه عليه السلام وأخوه من الرضاعة وكان ألفه قبل البعثة فلما بعث عاداه وهجاه ثم اسلم عام الفتح وحسن اسلامه و يقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه منذ أسلم أسلم معه ولده جعفر لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابواء وأسلما قبل دخول مكة وروى عنه انه قال لما حضرته الوفاة لا تبكوا على فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت توفى بالمدينة سنة عشرين وقال ابن قتيبة دفن بينبع وكان رضى الله عنه هو الذى حفر قبر نفسه قبل ان يموت بثلاثة أيام وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وسيد فتيان أهل الجنة (آخذ بلجامها) فهو ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ ولم يفر قيل ولم يثبت معه يومئذ الا عمه العباس وأبو سفيان بن الحرث وأبو بكر وأبو امامة الباهلى وناس من اهل بيته وأصحابه وفى مسلم عن العباس قال لما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله الحديث و يمكن الجمع بان أخذ اللجام على سبيل المناوبة فى خدمة ذلك المقام (ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب) مثل هذا لا ينافى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له اما لان الرجز ليس بشعر واما لانه متزن لا موزون بمنزلة ما وجد من القرآن متزنا اتفاقا لا قصدا واما لان الشعر المنافى للآية هو الذى يقصده الشاعر و يتصرف فيه تصرف الشعراء فى أفانينهم واذا كان مراد الآية هذا المعنى لم يضر ان يجرى على لسانه الشىء اليسير منه قاله الخطابى ومعناه انه صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبى والنبى لا يكذب فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم بل انا متيقن أن ما وعدنى الله به من النصر

الآية حينئذ و يقولون أي اليهود للذين كفروا أي كفار العرب الذين آمنوا بالجبت الخ ويدل على هذا أن حيي بن أخطب لما ذهب الى قريش وغيرهم ليحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم أشراف من اليهود سألوهم أنحن خير دينا من محمد قالوا نعم ففرحوا وخرجوا للقتال (قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ * ـل الا انهم هم السفهاء) قتلوا بذل بعد بدل والانبياء كزكريا و يحيي وغيرهما جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم أقاموا سوق (٢٢٢) معاشهم واتخذوا العجل الها ومعبودا مع ان السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم

حق وان خذلان أعدائي صدق وفي تعريفه صلى الله عليه وسلم بنفسه وهو بين أعدائه في شرذمة من اصحابه بقوله أنا ابن عبد المطلب دليل على كمال ثباته وقوة شجاعته صلى الله عليه وسلم وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس واشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين مالقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الوطيس واشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه وقيل كان الشجاع الذي يقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقربه من العدو وانما انتسب الى جده دون أبيه لان انتسابه الى جده أشهر لموت أبيه شابا ولانه لما استفاض بينهم انه سيكون من بني عبد المطلب من يسود و يغلب على الاعداء ذكرهم بانه ابن عبد المطلب الذي قيل فيه ما قيل لتطمئن نفوسهم وتقوى قلوبهم لا للمفاخرة والمباهات للنهي عن ذلك ونظيره قول علي رضي الله عنه

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره

وقول سلمة أنا ابن الاكوع * واليوم يوم الرضع قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق أنا جعفر بن سليمان نا ثابت عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء) ابن حجر المراد بالقضاء هنا القضية اي المقاضاة والمصالحة لا القضاء الشرعي لازعمهم التي تحللوا منها بالحديبية لا يلزمهم قضاؤها كما هو شأن المحصر عندنا اه (وابن رواحة) أي والحال ان ابن رواحة وهو أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم (يمشي بين يديه) أي قدامه صلى الله عليه وسلم (وهو) أي ابن رواحة (يقول خلوا) أي دوموا على التخلية لانهم يومئذ تركوا مكة للنبي صلى الله عليه وسلم (بني الكفار) أي يا أولاد الكفرة بالله ورسوله (عن سبيله) أي اتركوا سبيله في دخوله البلد الحرام أي الذي يمتنع انتهاك حرمته (اليوم نضربكم) بسكون الباء لضرورة الوزن (على تنزيله) أي النبي صلى الله عليه وسلم أي على التكذيب بارسال الله له اليكم فهو كالامر النازل من السماء أو على التكذيب بما أنزل عليه وهو القرآن فالضمير على كل حال للنبي صلى الله عليه وسلم وأبعد ابن حجر في قوله ان الضمير للقرآن وان لم يتقدم له ذكر لانه ذكر ما يفهمه نحو حتى توارت بالحجاب اه و يحتمل كما في جمع الوسائل ان المعنى على عدم الوفاء بتنزيل حكم اياه واعطائه العهد والامان في دخول حرم الله (ضربا يزيل الهام) أي رؤس الكفار جمع هامة وهي الرأس (عن مقيله) أي محله وهو الاعناق (و يذهل الخليل عن خليله) فيصير ذلك اليوم كما قال تعالى في يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أي يمنعه من أن يتفقده و يسأل عنه لشغله عنه بما هو أهم من ذلك وهو خشية فوات نفسه وروى عبد الرزاق هذا أيضا من وجهين لكن بلفظ

خلوا بني الكفار عن سبيله * قد أنزل الرحمن في تنزيله

من الحلي الذي استعاروه من القبط قبل غرقهم وألقى فيه قبضة من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل الذي جاء به لفرعون حتى دخل وراءهم البحر لما انفلق لهم لانه كان احجم عن دخوله فبمجرد أن ألقى فيه تلك القبضة خور فقال لهم هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما قصه الله تعالى علينا مبسوطا في كتابه العزيز ومن ثم كان في كلامه اقتباس كقوله الا انهم هم السفهاء والاحرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع في ادراك سمعه لما بعدها فجهلهم مركب والسفهاء جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأي وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محدثا بحضرتهم من جماد والاله لا يكون كذلك عند من له أدنى عقل وتمييز ثم بين أدنى أنواع سفههم بقوله ملمحا لما وقع

(وسفيه من ساءه المن والسلـ * ـوى وأرضاه الفوم والقثاء) سفيه خبر مقدم ومن ساءه مبتدأ مؤخر أي احزنه بان والمن نوع من الحلواء كان ينزل عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرار والسلوى طير من اشهى الطيور لحما وأنفعها وأطيبها غذاء كان يأتيهم الى محالهم فرقا فرقا فملوا أبدهم اليه و يأخذوا منه ما شاؤا والفوم الثوم والقثاء الخيار ونحوه وفي كلامه اقتباس من آية البقرة و بين ساءه وارضاه طباق وفي المن والسلوى والفوم والقثاء مراعاة النظير (ملئت بالخبيث منهم بطون * فهي نار طباقها الامعاء) المراد بالخبيث ماسألوه من الفوم ومامعه و بطون نائب ملئت ومنهم صفة لها تقدمت عليها فصارت حالا وامتلاؤها بذلك لتناسب ما انطوت عليه من الغل والحسد

والغباوة والسفاهــة والمرادملئت بالداءالخبيث الذي لا دواءمعــه وهوالغل وما بعده والظاهر ان المرادبالخبيث الحرام وأ كل السحت والربا
وقوله فهي نارأي مشتملة على ما يؤدي اليها أوسماها نارا اعتبارا بالمـا ٓل كما في اني أراني أعصر خمرا والطباق جمع طبق والضمير للنار والامعاء
جمع معى بكسر الميم والقصر أي مصار ينهـم طباق للنار أي معى ثم نارفوقه ثم معى ثم نارفوقه وهكذا او يصح أن المرادان بطونهم صارت كنار
ذات طباق بعضها فوق بعض وطباقها أمعاؤهم (لوأر يدوا في حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الار بعاء) السبت

ان خـيرالقتـل في سبيـله * نحــن قتلنا كم على تاو يـله
* كما قتلنا كم على تنز يله *
وأخرج الطبراني والبيهقي بلفظ المصنف لـكنه ابتدأ بعجز الاول وجعل عجزه الثاني
* يارب اني مؤمن بقيله * وزاد ابن اسحق على هذا * اني رأيت الحق في قبوله *
قاله ابن حجر (فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا)
أي وقد ذم الشعر في كلامه تعالى وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أيضا (فقال النبي صلى الله عليه وسلم
خل عنه يا عمر) أي اتركه (فلهي) أي الابيات او الـكلمات أو القصيدة المدلول عليها بقوله شـعرا والمراد
فلتأثيرها (أسرع فيهم) اي أعجل في ايذائهم (من نضح النبل) اي رمي السهم والنضح في الاصل الرش وهو
سريع النفوذ والسراية والمعنى ان هجاءهم باللسان اقوى في النـكاية لهم من الضرب بالسنان كما قيل
جراحات السنان لهـا التئام * ولا يلتام ماجـرح اللسان
روي عن كعب بن مالك انه قال للنبي صـلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد انزل في الشعر ما انزل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لـكأنما ترمونهم بالنبل فالشعر المشتمل
على مدح الاسلام ومكارم الاخلاق والحث على صدق اللقاء ومبايعة النفس لله تعالى وعدم المبالاة باعدائه
ليس بمذموم لانه نوع من الجهاد في سبيل الله وضرب من الاغلاظ على اعداء الله المامور به في كتاب الله
فلا حرج في انشاده بين يدي رسول الله وفي حرم الله وليس الشعر مذموما على الاطلاق * قال المصنف
(حدثنا علي بن حجر نا شريك عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال أشعر كلمة) أي أحسنها وأدقها وأجودها (تكلمت بها العرب) أي شعراؤهم وفصحاؤهم (كلمة
لبيد * ألا كل شيء ماخلا الله باطل) تقدم الكلام عليـه قال ابن حجر قيل لما سمع عثمان ما بعده وهو قوله
* وكل نعيم لا محالة زائل * قال كذب لبيد فان نعيم الجنـة لا يزول فلما سمع قوله بعـد ذلك * نعيمك في
الدنيا غرور وحسرة * البيت عرف ان مراده نعيم الدنيا فقال صدق لبيد * قال المصنف (حدثنا أحمـد بن
منيع نا مروان بن معاوية عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمرو بن الشريد عن أبيـه) هو الشريد
ابن سويد (قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم) أي رديفه زاد مسلم يوما فقال هل معك من شعر
أمية بن أبي الصلت شيء فقلت نعم فقال هيه فانشـدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته
مائة بيت ففيه دلالة على ان قوله (فأنشدته مائة قافية) انما كان بعد قوله هل معك الخ وان المراد بالقافية
البيت من اطلاق الجزء وارادة الكل (من قول أمية بن أبي الصلت كلما أنشـدته بيتا قال لي النبي صلى
الله عليه وسـلم هيه) بكسر الهاء واسكان الياء وكسر الهاء الثانيـة بلا تنوين وأصـله إيه يستعمل
للاستزادة من حديث أو عمل معهود و بسكون الهاء كلمة زجر بمعنى حسبك فضبطها بالسكون هنا مشكل
(حتى أنشدته مائة يعني بيتا) وانما استزاده صلى الله عليه وسـلم من شعره لما فيه من الاقرار بوحدانية الله

مصـدر سبت اليهود اذا
عظموا السبت بالسـكون
فيه عما عدا العبادة واصله
القطع والباء في بخير قيل زائدة
والار بعاء بتثليث الباء
وهذا من حيث ترتبه على
ماقبـله بطريق الملازمـة
المستفادة من لو في غاية
الاشكال ووجهه ابن حجر
بان السبت من مادة القطع
والار بعاء محل النور الحسي
والمعنوي فلو أريد بهم الخير
لجعل قطعهم وصلا وجعل
محل عبادتهـم زمان خلق
الانوار التي هي ثمرة العبادة
لـكنهم لم يرد بهم خير فجعل
محل عبادتهـم يوم السبت
المؤذن بالقطع وعدم الاعتداد
لعبادتهم * وفي مسـلم عن
أبي هريرة رضي الله عنه *
قال أخـذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيدي فقال
خلق الله التربة يوم السبت
وخلق فيها الجبال يوم الاحد
وخلق الشجر يوم الاثنين
وخلق المـكروه يوم الثلاثاء
وخلق النور يوم الار بعاء
وبث فيها الدواب يوم
الخميس وخلق آدم بعد العصر

يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل أي وفيـه اشارة الى أن الجميع مخلوق له ولبنيه وهذا صريح في أن الله ابتدأ
الخلق يوم السبت وبه قال كثير بل قال السهيلي في روضه لم يقل بان أوله الاحـد الا ابن جرير وانتصر له القفال بان الخبر السابق تفرد به مسـلم
وتكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام كعب وأن أبا هريرة انما سمعه منه ولـكن اشتبه على بعض الرواة فجعـله مرفوعا ولا يخفى ان من
حفظ الرفع حجة على من نفاه ومما يؤيد انهـم لم يرادوا بالخير في حال سبت أن الله تعالى ادخر لهذه الامة الجمعة المؤذنة بغاية الوصـل اذ مقام الجمع
هو مقام الوصـل الذي هو اكمل المقامات وافضلها وجعـل لليهود السبت المؤذن بتقطيعهم وحرمانهم وللنصارى الاحـد المؤذن بوحدتهم

وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات ففيه اشارة الى ما آل كل امة وفي الصحيح ان الله هدانا ليوم الجمعة واضل عنه اليهود والنصارى
اي لان اليهود لما اعتقدوا ان اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان أوله الاثنان
اخذوا الاحد واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع يوم الجمعة قيل ولا حجة في اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا
لان هذه التسمية لم تثبت بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذتها العرب عنهم ولم

تعالى والبعث ومن كلامه

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شئ أعلى منك حمدا وأمجدا

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته وهذا البيت منها على ما قال بعضهم قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان كاد ليسلم) ان مخففة مهملة بدليل اللام الفارقة * قال المصنف (حدثنا اسماعيل بن موسى الفزارى وعلى بن حجر والمعنى واحد قالا نا عبد الرحمن بن أبي الزناد) اسمه عبد الله بن ذكوان (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت) بن المنذر ابن عمرو بن حرام الانصاري الخزرجي يكنى أبا الوليد وهو من فحول الشعراء قال أبو عبيدة أجمعت العرب على ان أشعر أهل المدر حسان بن ثابت قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن وقال رفعه الشعر حتى قال رضي الله عنه الذي أوجب له الجنة عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وكذا عاش أبوه وجده وجد أبيه المذكورون وتوفي سنة أربع وخمسين (منبرا في المسجد يقوم عليه قائما) قال بعضهم قد يرد المصدر على وزن اسم الفاعل نحو قمت قائما أي قياما وفي نسخة يقول عليه قائما أي تقول حسان الشعر وينشده على المنبر حال كونه قائما (يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي يذكر مفاخر رسول الله ومثالب أعدائه (أو قال) أي عروة عن عائشة وفي نسخة أو قالت عائشة (ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي يخاصم ويدافع عن جهته والمنافحة والمكافحة المدافعة والمضاربة فالمراد انه كان يهاجي المشركين ويجيبهم عن اشعارهم (ويقول) اي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على تعدد هذا القول منه له وفي نسخة وقال (ان الله يؤيد حسان) بالصرف وعدمه (بروح القدس) بضم الدال وسكونه اي جبريل وسمي به لانه يأتي الانبياء بما فيه الحياة الابدية وأضيف الى القدس وهو الطهارة لانه خلق منها وتأييده له امداده بابلغ جواب والهامه لاصابة الصواب وانطاقه بما هو أليق بالمقام حتى لا يتبع الهوى ولا يهيم في كل واد على عادة الشعراء أي الذين مادة قولهم من القاء الشيطان اليهم ومن تلقاء أنفسهم ولذلك لا يخلو الشعر من تزويق وذكر أمور لا تليق كما تقدم والجملة يتعين ان تكون خبرية ولا يصح ان تكون دعائية لان شرط الجملة المصدرة بان ان تكون خبرية خلافا لما في جمع الوسائل نعم في رواية عند مسلم اللهم أيده بروح القدس (ما ينافح أو يفاخر) أو للشك وتحتمل التنويع وفي رواية ما نافح أي ما دام ينافح (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قيل لما دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أعانه جبريل بسبعين بيتا وقد ذكر أهل السير ان الذين كانوا يهجون المسلمين أربعة عبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص وأبو سفيان بن الحرث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنع الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسيافهم أن ينصروه بالسنتهم فانتدب لذلك حسان وهو اشهرهم وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ومن كلام حسان في رده على أبي سفيان بن الحرث

يرد في القرآن الا الجمعة والسبت على أن هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمي خامس العدد دار بعاء وهكذا ولذا قال ابن عباس ان التاسع هو عاشوراء ويحتمل ان يكون المعنى لو اريد بهم خير لكانت الايام كلها عندهم كيوم السبت محلا للعبادة وذكر الاربعاء تمثيل (هو يوم مبارك قيل للتصريف فيه من اليهود اعتداء) هذا كالاستدراك لرفع ما عسى ان يتوهم ان يوم السبت مذموم لذاته فهو يعود على السبت يوم مبارك لان الله تعالى ابتدأ فيه الخلق في قول مقدم وزعم اليهود انه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت فقالوا نحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي

من تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يلحق التعب الا الحادثات المخلوقات لا واجبا قد يما انما امرنا الشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي من غير كاف ولا نون وانما اذا اردنا ان نوجده وجد فورا فلا يتخلف عن الارادة فهو كناية عن ذلك قوله قيل للتصريف فيه بناه للمجهول لضيق النظم لا لضعفه والتصريف التصرف فيه ببيع وغيره من اليهود اعتداء اي ظلم وعدوان كان سببا للمسخ كثير منهم قردة وخنازير بصيد الحوت فيه بقرية ايلة في زمن داود عليه السلام كما قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية قال المفسرون وذلك ان الله تعالى ابتلاهم بان الهم السمك يوم السبت انه يرفع خرطومه من البحر حتى يكون سهل

التناول فاذامضى يوم السبت تفرق ونفرفأجمع راى جماعة منهم على حيلة بأن حفر واجـدا ول تقرب البحر فصارت تمتلئ يوم السبت حوتا و يغلقون عليه ثم ياخذونه يوم الاحد فلما علم بذلك جيرانهـم افترقوا أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصـيد والنهى أما الثلث الذى صاد ففيه قال الله تعالى فلما عتوا عمـا نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى صاغرين فكانوها ولا خفاء فى نجاة الثلث الناهى * قال ابن عباس ما أدرى ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رفع اليه وأعجبه أى لان كراهتها بقلبها للمنكر تغييرله فى الجمـلة مع قيام الفرقة الناهيـة بذلك وهو من فروض الكفاية الذى اذا قام به البعض وظن الباقى قيامهم به وأحرى ان تحقق ذلك سقط عنـه قال مالك يؤخذ من القضية المذكورة تحريم الحيـلة ووجوب سد الذرائع ولذا قيل

ان السـلامة من سـلمى وجارتها * ان لا تحل على حال بواديها

(فبظلم منهم وكفر عدتهم طيبات فى تركهن ابتلاء) الظلم وضع الشئ فى غـير محله كخيانتهم فى السبت وأكلهم الربا وأخـذهم أموال الناس بالباطل وهو متعلق بعـدتهم وكفر من عطف الاخص لزيادة الاهتمام وعدتهـم فاتتهم وجاوزتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية وتقـدم قوله فبظلم للحصر والتنكير للتعظيم أو التكثير والذى حرم عليهم هو المذكور فى قوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهـم الطيبات الا بظلم عظيم ارتـكبوه وهو المذكور قبـل هذه الآية و بمنعهم عن الايمان خلقا كثيرا وصـدا كثيرا وأخذهم الربا وقـد نهوا عنه لان الربا كان محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ومن شأن الطيبات أنه يوجد فى تركهن الذى يحتم الامر به ابتـلاء أى اختبار ومحنة للعبد يكون سببا لفلاحه أو هلاكه كما فى قضية الحوت المتقدمة (خدعوا بالمنافقين وهل يه * فق الا على السفيه الشقاء) أى خدع يهود المدينة وما

هجوت محمدا وأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
هجوت مطهرا براحنيفـا * أمـين الله شيمته الوفاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخـيركما الفـداء
فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

وروى ان حسان بن ثابت استأذن على عائشة بعـد ان كف بصره فاذنت له فدخل عليها فاكرمته فلما خرج عنها قيل لها هذا من القوم قالت الذى يقول فان أبى ووالده الخ هـذا البيت يغفر له كل ذنب نقل ذلك فى الاستيعاب ووردانه لما جاءه صلى الله عليه وسلم بنو تميم وشاعرهم الاقرع بن حابس نادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يزد صلى الله عليه وسلم على أن قال ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم شان انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت ابن قيس أن يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس فقال

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عنـد ذكر المكارم
وانا رؤوس الناس من كل معشر * وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقام فقال

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينـا تفخرون وأنـتم * لنا خول ما بين قن وخادم

فكان أول من أسـلم شاعرهم وثابت المذكور هو خطيبه صـلى الله عليه وسلم وخطيب الانصـار وهو خزرجى شهد له صلى الله عليه وسلم بالجنة واستشهد باليمامة سنة ثنتى عشرة قال ابن حجر وفى الحديث حل انشاد الشعر فى المسجد بل ندبه اذا اشتمل على مدح الاسلام وأهله أو هجاء الكفار وتحقيرهم والتحريض على قتالهم وندب الدعاء لمن قال شعرا كذلك وروى البخارى ان من الشعر حكمـة أى قولا صادقا مطابقا للحق قال الطبرى وبه يرد على من كره الشعر مطلقا ولا حجـة له فى قول ابن مسعود الشعر من مزامـير الشيطان لانه محمول على الافراط فيه والاكثار منـه أو على شعر فيه سخف أو هجو أو نحوهمـا مما غلب على الشعراء وبه ضـلوا وغووا * قال المصنف (حـدثنا اسماعيل بن موسى وعلى بن حجر قالا نا ابن أبى الزناد) هـو عبد الرحمن كما تقدم (عن أبيه عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله) أى مثل الحديث السابق لفظا ومعنا وانما المغايرة بحسب الاسناد فالاول برواية عبد الرحمن عن هشام عن عروة عن عائشة وهذا برواية عبد الرحمن عن أبيه بدل عن هشام عن عروة عن عائشة فالاسنادان متصلان وفائدة ذكرهما تقوية الحديث والله أعلم * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا شريك عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان) وفى نسخة فكان بالفاء (أصحابه يتناشـدون الشعر) أى يطلب بعضهم بعضا ان ينشد الشعر والانشاد أن يقرأ شعر الغير ثم يحتمـل ان المراد الشعر السالم من الفحش

والخفى وان كان مشتملا على ذكر شىء من أيام الجاهلية و وقائعهم فى حروبهم ومكارمهم و يحتمل أن المراد الشعر الذى فيه الحث على الطاعة والمواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس وانشاد ما كان من قبيل الاول وسماعه مباح وما كان من قبيل الثانى وهو المناسب لحال الصحابة مندوب (و يتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية) وفى نسخة جاهليتهم (وهو ساكت) أى ساكت عنهم لم يمنعهم من انشاد الشعر وذكر أمر الجاهلية لحسن خلقه فى عشرتهم وكمال رفقه ورأفته بهم ولولا ذلك لما قدر أحد منهم أن يجتمع به هيبة له وفرقا منه ولا أخذ الفوائد والحكم من حكاياتهم كما هو شأن العارفين (وربما تبسم) وفى نسخة يتبسم بصيغة المضارع (معهم) روى أن بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم قال ما نفع صنم أحد أمثل ما نفعنى صنمى فانى جعلته من الحيس فنفعنى فى زمن القحط ومن كان معى من الرهط فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال آخر رأيت ثعلبا صعد فوق صنمى و بال على رأسه فقلت

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فتركت طريقة الجاهلية ودخلت فى الشريعة الاسلامية فضحك الصحابة وتبسم النبى صلى الله عليه وسلم معهم عند تذاكرهم أحوال الجاهلية تعجبا مما كانوا فيه من الضلالة و يفهم من هذا أن التحدث بما لا اثم فيه من شأن الاخيار قال مالك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا صلى الظهر قعد يحدث الناس بما يأتيه من اخبار الاجناد و يحدثونه قال مالك وقوم اذا رأوا الناس يتحدثون يقولون اذكروا الله ولم يكن ذلك شأن الاخيار كانوا يتحدثون وعن البخارى بسنده لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متخوفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم و يذكرون أمر جاهليتهم فاذا أريد أحد منهم على شىء من دينه دارت حماليق عينيه فى وجهه كأنه مجنون

﴿باب ما جاء فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السمر﴾

فى القاموس السمر محركا الليل وحديثه وظل القمر والدهر اه قال ابن حجر والمراد هنا الثانى اه والظاهر أن المراد هنا الاول وانما يستقيم الثانى لو كانت الترجمة باب ما جاء فى سمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى تحدثه بالليل (حدثنا الحسن بن الصباح البزار نا أبو النضر نا أبو عقيل الثقفى عبد الله بن عقيل عن مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة) كلمة ذات مقحمة للتأكيد قاله الشراح وتقدم أثناء باب الادام نحوه عن الابى مع زيادة قال فى جمع الوسائل ولا يظهر وجه التأكيد فالاولى أن يقال انها صفة لموصوف مقدر أى ساعة ذات ليلة كما قالوا فى قوله تعالى انه عليم بذات الصدور أى بضمائرها وخواطرها اه وتأمله (نساءه) أى أزواجه كلهن أو بعضهن و يمكن أن يكون منهن بعض بناته أو أقاربه من النساء (حديثا فقالت امرأة منهن كان الحديث) أى هذا الحديث (حديث خرافة) قال ابن حجر لم ترد المرأة ما يراد من هذا اللفظ وهو الكناية عن ذلك الحديث بانه كذب مستملح

قرب منها وهو بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالمنافقين من الاوس والخزرج أى المظهرين للاسلام المبطنين للكفر قال الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب الآية قوله وهل ينفق أى وما ينفق الشقاء الا على السفها يقال نفق البيع اذا راج أى لم يكسد ولم ير فيه ارسال المثل واستعارة بالكناية حيث شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف والتخييل باثبات الاتفاق لها (واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا (٢٢٦) نهم انا لكم أولياء) اطمأنوا اسكنوا وفرحوا والاحزاب جمع حزب أى طوائف العرب من قريش وغيرهم الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق وكان سبب ذلك تحريض حيى ابن أخطب وغيره من اليهود لعنهم الله تعالى اياهم على حربه صلى الله عليه وسلم وقوله اخوانهم أى فى الكفر انا لكم أولياء أى متوالون ومتفقون على حرب محمد حتى نستأصله فترقب اليهود ذلك ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ﴿وملخص ما أشار اليه الناظم من غزوة الخندق﴾ وهى الاحزاب وكانت سنة أربع على قول موسى ابن عقبة أو خمس على قول ابن اسحق وغيره أن نفرا من اليهود قدموا على قريش بمكة وقالوا انا سنكون معكم حتى نستأصله فاعتدوا معهم لذلك وذهبوا الى غطفان كذلك فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ابن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزارى فى فزارة والحرث بن عوف المرى فى مرة وكان عددهم عشرة آلاف والمسلمون لانها ثلاثة آلاف ولما سمع النبى صلى الله عليه وسلم بالاحزاب حفر الخندق باشارة سلمان اذ لم تكن العرب تعرفه وعمل النبى صلى الله عليه وسلم معهم فيه بيده ولما رأى ما بهم من التعب قال اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فاجابوه

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى رواية أنه كان ينقل التراب و يقول

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ومن دعائه صلى الله عليه

وسلم على الاحزاب قوله اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم و زلزلهم و روى أحمد عن أبي سعيد قال قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شئ تقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح (وروى) أنه صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى مانزل بي وبأصحابي فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه وتعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فأعلم أصحابه ورفع يديه قائلا شكراً شكراً

وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وألقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في أرجاء عسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها انظر المواهب

(حالفوهم وخالفوهم ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء) أي حالفوا اليهود وعاهدوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وخالفوهم فرحلوا عنهم وأسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم كذا قرره ابن حجر ويصح أن يريد حالفهم المنافقون ويشهد له ما بعده وقوله ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء فيه تجاهل العارف وسماه السكاكي سوق المعلوم مساق المجهول اغراء للسامع على الحث عن سبب ذلك لانكاره والتوبيخ عليه وان كان ظاهرا وهو هنا أن

لانها تعلم انه لا يجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم الا الحق وانما أرادت انه حديث مستملح لا غير وذلك لان حديث خرافة يشتمل على وصفين الكذب والاستملاح فيصح التشبيه به في احدهما اه قال في جمع الوسائل أقول الاظهر ان يقال ان حديث خرافة يطلق على كل ما يكذبونه من الاحاديث وعلى كل ما يستملح و يتعجب منه على ما في النهاية فاستعمل هنا على المعنى الثاني من معنييه فلا اشكال اه فقولها كان الحديث حديث خرافة هو على معنى التعجب لغرابته من قلة سماع نظيره لا لتكذيبه كما تطلقه العامة اليوم (فقال) صلى الله عليه وسلم (أتدرون) القياس أتدرين كما في نسخة وكانه خاطبهن بخطاب الذكور تعظيما لشأنهن وتنزيلا لهن منزلتهم في كمال العقل ببركة صحبته صلى الله عليه وسلم كما قيل في قوله تعالى وكانت من القانتين (ما خرافة) ولما كان من المعلوم انهم لا يدرون حقيقة خرافة ولا حقية حديثه بادر الى بيانه قبل جوابهم فقال (ان خرافة كان رجلا من عذرة) بضم عين مهملة وسكون ذال معجمة قبيلة مشهورة من اليمن (أسرته الجن) أي اختطفته (في الجاهلية) أي في أيامها وهي ما قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وفي الجامع الصغير روى المفضل الضبي في الامثال عن عائشة مرفوعا رحم الله خرافه انه كان رجلا صالحا (فمكث) بضم الكاف وفتحها أي لبث (فيهم دهرا) أي زمانا طويلا (ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب فقال الناس حديث خرافة) أي فيما سمعوا من الاحاديث العجيبة والحكايات الغريبة قال ابن مخلص انظر هل يجوز استعمال هذا المثل في التكذيب بالشئ كما تستعمله العامة اليوم اما انه خطأ فلا اشكال فيه وانما النظر في استعماله شرعا هل يجوز أم لا لان فيه تبديل ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه انتهى و يؤخذ من هذا الحديث والذي بعده حسن عشرة الرجل مع أهله وتأنيسهم واستحباب محادثتهم بما لا اثم فيه وقد وردت الاحاديث الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله ومباسطته اياهم وكذلك عن السلف الصالح وقد قال مالك رحمه الله تعالى في ذلك مرضاة لربك ومحبة في أهلك ومثراة في مالك ومنسأة في أجلك أي زيادة وكان رحمه الله تعالى من أحسن الناس خلقا مع أهله و ولده وكان يقول يجب على الانسان أن يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم وقد ذكر ابن حجر حديث الحسين الآتي في باب التواضع انه صلى الله عليه وسلم كان يرسل لعائشة بنات الانصار يلعبن معها وانها شربت من اناء فاخذه و وضع فمه على موضع فمها وشرب وانه كان يتكئ في حجرها و يقبلها وهو صائم وانه كان يريها الحبشة يلعبون في المسجد وهي متكئة على منكبه وهو يقول لها أشبعت وهي تقول له لا و روى أبو داود أنه سابقها في سفر على رجليها فسبقته قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال هذه بتلك وعند أحمد وغيره عن عائشة ما رأيت صانعة طعام مثل صفية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسي أن كسرته فقلت يارسول الله ما كفارته فقال اناء كاناء وطعام كطعام وفي رواية فاخذتها من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام يلتقط اللحم والطعام و يقول غارت أمكم فوسع خلقه الكريم طفحات غيرتها ولم يتأثر بل أنصف منها وهكذا كانت أحواله معهن يعذرهن و ينصف بعضهن من بعض من غير قلق ولا

الله تعالى أراد خذلانهم وتفريق كلمتهم واستئصال دائرتهم (أسلموهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء) أي أسلم المنافقون كعبد الله بن أبي وأصحابه وتركوا اليهود وهم بنو النضير لاول الحشر لا ميعادهم أي المنافقين لليهود أنهم ينصرونهم صادق ولا الايلاء أي ولا حلفهم صادق قال تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر الآية أي في أول حشرهم واخراجهم من جزيرة العرب الى الشام وانما كان أولا لانهم لم يصبهم مثله قبله وآخر حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر منهم ومن أهلها الى الشام أو في أول حشر الناس للشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فآخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها أرض المحشر

سكن الرعب والخراب قلوبنا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء) المراد بالرعب هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخوف انتقامه منهم والخراب ذهاب العمران ففي البيت لف ونشر مرتب ونعاها الجلاء نعت لبيوتا أى أخبرها الجلاء وهو خروج أهلها منها بخرابها الذى هو موت معنوى لان النعى الاخبار بالموت وفيه استعارة بالكناية اذ شبه خروجهم بكونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بالموت وخيل بذكر النعى الملائم للمشبه به (٣٢٨) (ويوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه * وضلت الآراء) يعنى ان بنى قريظة منهم خدعوا واطمأنوا بيوم الاحزاب وهو غزوة الخندق اذ جاءت قريش وغطفان وغيرهم بعشرة آلاف ونزلوا على المدينة من أعلى وأسفل اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء وكان المسلمون ثلاثة آلاف وجاء حيي بن أخطب الى بنى قريظة ورئيسهم كعب وقال جئتكم بعز الدهر وان العرب عاهدونى لا يبرحون حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد الذى بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ المسلمين ذلك وعظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم العدو من كل جهة حتى ظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين وفى ذلك أنزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا

(ونعدوا الى النبي حدودا * كان فيها عليهم العدواء) يعنى ان اليهود تعدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم حدودا هزيلا

حرمها الله تعالى عليهم ومنعهم من تجاوزها فلم يقفوا عندها وآذوا النبي صلى الله عليه وسلم فكان عليهم فى مجاوزتها العدواء أى الفساد بوقوعهم بالهلاك وبعدهم عن النجاة والمراد بالمتعدين مطلق الكفرة فيشمل المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين وأحد الظرفين من قوله كان فيها عليهم العدواء خبر والآخر حال وبين تعدوا والعدواء جناس الاشتقاق وكذا بين نهتهم وانتهت والبدا والبداء والخيل والخيلاء وأكدى وكداء وعفا وعفاء وسوى وسواء وأجمت والجمون واحلم والحلم الآتيات (ونهتهم وما انتهت عنه قوم *

غضب وفى خبر لا باس به عن عائشة مرفوعا ان الغيرى لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه وفى الحديث ان الغيرى لا تؤاخذ لحجب عقلها عما يثور عن الغيرة ويؤخذ من هذا الحديث أيضا حل السمر فى الخير كملاطفة الزوجة وقد ترجم البخارى باب السمر مع الضيف والاهل فما ورد من النهى عن السمر بعد العشاء الاخيرة ليس على عمومه بل هو محمول على السمر بما لا يعنى خوف ان تختم صحيفته على عمل باطل ليس تحته طائل ولذلك كانت عائشة تقول لمن كان يسمر الا تريحون الكتاب وأيضا يخاف من ذلك التفريط فى قيام الليل وفى ايقاع صلاة الصبح فى وقتها وقد كان عمر رضى الله عنه يعيب السمر بعد العشاء ويطوف فى المسجد بعد العشاء الاخيرة ويقول الحقوا برحالكم لعل الله ان يرزقكم صلاة فى بيوتكم وقيل انما كره السمر بعدها لما روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسمر بعد هدأة الرجل فانكم لا تدرون ما يأتى الله تعالى فى خلقه اغلقوا الابواب وأوكئوا السقاء وخمروا الآنية وأطفؤا المصابيح

﴿ حديث أم زرع ﴾

أتى بهذا الحديث فى باب السمر لانه من جملة ما يسمر به قال عياض فيه من الفقه التحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفوس وجلاء للقلب اه وأم زرع هى واحدة من النساء المذكورات فى حديث الترجمة وسمى حديثهن كله بحديث أم زرع لطوله ولانه المقصود بالذات لقوله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبى زرع لام زرع الدال على حسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله الذى هو من جملة شمائله الكريمة وأخلاقه الفخيمة صلى الله عليه وسلم (حدثنا على بن حجر نا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أخيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت جلس احدى عشرة امرأة) القياس جلست كما فى بعض النسخ لكون الفعل مسندا الى المؤنث الحقيقى بلا فاصل والتذكير على حد قال فلانة كما حكاه سيبويه عن بعض العرب استغناء بظهور تأنيثه عن علامته وظاهره كالصحيحين ان هذا الحديث كله من قول عائشة وانما المرفوع منه قوله كنت لك كابى زرع لام زرع قال العسقلانى وجاء خارج الصحيحين مرفوعاً كله من رواية عباد بن منصور عند النسائى وساقه بسياق لا يقبل التأويل ولفظه قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبى زرع لام زرع قالت عائشة بأبى أنت وأمى يارسول الله ومن كان أبو زرع قال اجتمع الخ فساق الحديث كله وكذا جاء مرفوعا كله عند الزبير بن بكار وجاء فى بعض طرقه الصحيحة ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بحديث أم زرع ويقوى رفع جميعه ان التشبيه المتفق على رفعه يقتضى أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم سمع القصة وعرفها فأقرها فيكون مرفوعا كله من هذه الحيثية (تعاهدن وتعاقدن) أى ألزمن أنفسهن عهدا وعقدن على الصدق من ضمائرهن عقدا (أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيأ) سواء كان مدحا أو ذما وهؤلاء النسوة قال الكرمانى كلهن من أهل اليمن (قالت الاولى زوجى لحم جمل غث) أى مهزول شبهته بذلك لقلة خيره فان لحم الجمل أخبث اللحم خصوصا اذا كان

فابيد الأمار والنهاء) أى نهت أقوام منهم المتعدين عن استمرارهم على اذاية النبي صلى الله عليه وسلم ومخالفته وما انتهت عنه أى عن مخالفته وايذائه وقوم تنازع فيه نهت وانتهت فبسبب ذلك أبيد أى أهلك الامار جمع آمر منهم باذايته والنهاء جمع ناه أى عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلالته وبين الامار والنهاء جناس الطباق كنهتهم وما انتهت وكالعدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملام والاطراء والتباين والوفاء الآتيات (وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الارذال (٢٢٩) العوراء) يعنى أن الكفار لعنهم الله تعالى تداولوا فى النبي صلى الله عليه وسلم ماينكر من القول شرعا لفساده وحمله عليه حسدهم وعداوتهم له عليه الصلاة والسلام فكانت اليهود لعنهم الله تعالى تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم براعنا ونحوه حتى نهى الله تعالى عن ذلك وقال المنافقون يوم الخندق يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وان أحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ورماه المشركون بالسحر الى غير ذلك مما تكرر ذكر قضاياه ونطق أى منطوق الاخساء الكلمة القبيحة أى شأنهم الفحش

(كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء)

الرجس القذر أى كل قذر وغضب قائم بهم يزيده ماجبلوا عليه وهو الخلق السوء بفتح السين وضمها أى القبيح سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه ويزيده أيضا سفاهة وبعدا عن الخير الملة أى الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب العوجاء أى الباطلة فتضاعف رجسهم بسوء خلقهم وفساد معتقدهم فهم فى نهاية البعد عن الخير شبهها بطريق عوجاء لا يهدى سالكها الى مطلوبه بل يتيه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية واثبات العوج تخييل (فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وماساق للبذى البذاء) أى تأملوا أيها العقلاء الحنفاء كيف وقع عاقبة أى مآل ومصير القوم الذين تعدوا الحدود وخالفوا ما أمرهم به المعبود فكفروا وتعاطوا فى نبيه صلى الله عليه وسلم شنيع القول من مآلهم الى خزى الدنيا ومصيرهم الى عذاب الآخرة وانظروا أيضا ماساق للبذىّ اللسان أى فاحش النطق بذاؤه أى

هزيلا وأشارت بقولها (على رأس جبل وعر) الى انه مع قلة خيره لا يوصل لما عنده بسهولة لبخله وكبره وشموخ أنفه وفى نسخة وعث بدل وعر ثم بينت وجه الشبه على وجه اللف والنشر المعكوس بقولها (لا سهل فيرتقى) أى يصعد اليه كما فى رواية الطبرانى (ولا سمين فينتقل) أى يحتمل بل يترك زهدا فيه لرداءته وفى نسخة فينتقى بالالف أى فيختار للاكل بان يتناول ويستعمل أى فلا مصلحة فيه تسهل عشرته وهذا الكلام فى غاية الفصاحة والبلاغة والاختصار وفيه من أنواع البديع مقابلة الجمل بالجبل والغث بالوعر وفيه تشبيه متعدد بمتعدد (قالت الثانية زوجى لا أبث) أى لا أظهر وفى رواية أنث بالنون وهى بمعنى أبث الا ان النث أكثر ما يستعمل فى الشر وفى رواية لا أنم من النميمة (خبره) أى لطوله ولذلك قالت (انى أخاف ان لا أذره) فاعتذرت عن التفصيل بانه طويل وهذا التفسير ان كانت هاء الضمير للخبر أى ان لا أتمه لطوله أوان اتركه على ان لا زائدة على حد مامنعك أن لا تسجد ويحتمل أن الضمير للزوج وعليه فيحتمل أيضا ان تكون لا غير زائدة والمعنى أخاف ان لا أقدر على فراقه ويحتمل ان تكون زائدة أى اخاف ان اترك الزوج (ان أذكره أذكر عجره وبجره) كنت بذلك عن العيوب الظاهرة والباطنة أى وهى كثيرة ان بدأتها لا يمكننى اتمامها واستقصاؤها وهذا على التفسير الاول وأما على الثانى فالمعنى اخاف من الطلاق لانى ان خضت فى خبره فضحته وناديت على مثالبه كلها فيبلغه ذلك فيكون سببا فى الفراق وضياع الاطفال والعيال والعجر فى الاصل أن يتعقد العصب أو العروق حتى ترى ناتئة من الجسد والبجر نحوه الا أنها فى البطن خاصة يقال رجل أبجر اذا كان عظيم البطن ويقال رجل أبجر اذا كان ناتئ السرة ثم نقلا الى العيوب الظاهرة والباطنة والى الهموم والاحزان قال الاصمعى فى قول على رضى الله تعالى عنه الى الله اشكو عجرى وبجرى أى همومى وأحزانى قال ابن حجر لا يقال كتمت خبر زوجها لخانت العهد الذى تحالفن على عدم الخيانة فيه لانا نقول لم تكتم منه شيأ بل شرحته على أتم وجه لكن بدقة لا تخفى على أولئك العرب العرباء (قالت الثالثة زوجى العشنق) هو الطويل الممتد وهو فى الغالب دليل السفه وسوء الخلق ولهذا ذيلته بقولها (ان أنطق اطلق وان أسكت أعلق) تقول ان ذكرت مافيه من العيوب أو ان تملقت له طلقنى وان سكت عن عيوبه غضبا عليه أو أدبا معه تركنى معلقة لا ايم ولا ذات بعل ومنه قوله تعالى فتذروها كالمعلقة (قالت الرابعة زوجى كليل تهامة) مكة وما حولها وهو مشهور بالاعتدال وصفته بحسن الخلق وكمال الاعتدال فى أخلاقه ومن ثم عقبته بقولها (لا حر) أى مفرط (ولا قر) أى برد ليكون تفسيرا للتشبيه (ولا مخافة ولا سآمة) هذا من بقية أوصاف ليل تهامة والمعنى انه حامى الذمار فلا يوصل الى من استجار به والتجأ الى حرمه ولا يسأم الناس لسعة أخلاقه ولا يسأمه الناس لحسن عشرته وشدة شفقته ورحمته أو المعنى ليس عنده غائلة أى خديعة ولا شر أخافه ولا يسأمنى ويمل صحبتى وهذا كما قال ابن حجر من أبلغ المدح لانها نفت عنه سائر أسباب الاذى وأثبتت له جميع أنواع اللذة فى عشرته (قالت الخامسة زوجى ان دخل فهد) أى وكان كالفهد فى كثرة نومه أى غفلته فى منزله فلا يتفقد ماذهب من ماله وأمتعة بيته لسخاوة نفسه وكرم قلبه

خشه والمسوق له هو تخلفه عن سعادة الدارين وفيه تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذاء بسائقها على سنن الاستعارة المكنية واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعلا وللبذى على جهة كونه واقعا عليه تخييل (وجد السب فيه سما ولم يد * راذ الميم فى مواضع باء) فاعل وجد يعود على البذى والسب الشتم وضمير فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالسم القاتل المعروف و بينه و بين السب الجناس المضارع ولم يدر ذلك البذى أن سبه هو عين

السم القاتل لوقته لفظا اذ الميم باء فى مواضع من كلام العرب فاذ تعليلية والميم مبتدأ و باء خبره اذ يتقارضان و يتعاقبان وفى مواضع حال من الخبر وذلك كقولهم فى بيد ميد وفى بكر مكر وفى ما اسمك با اسمك وهى لغة مازن ربيعة وقد سأل الواثق رجلا منهم بقوله با اسمك فقال بكر ففطن لذلك وأنه تجنب لغته لاقتضاء المقام ذلك والمعنى أن سبهم أهلكهم كما يهلك السم بل أكثر وأبلغ لان اهلاك السم فى الدنيا وله أدوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والآخرة ولا دواء له (كان من فيه قتله بيديه فهو فى سوء فعله الزباء) كان ناقصة واسمها قتله و بيديه الخبر ومن فيه أى فم البذى هو حال من الضمير المستتر فى الخبر ومن تعليلية أى من أجل ما صدر من فيه كان قتله بيديه وقتل الانسان نفسه أشد من قتل غيره له فبسبب ذلك هو أى البذى القاتل لنفسه فى سوء فعله بنفسه الزباء أى شبيهها وهى الملكة المشهورة فى العرب كان جذيمة الابرش قتل أباها ثم احتالت عليه حتى قتلته ثم احتال عليها ابن أخته عمرو بن عدى حتى ظفر بها ولم يتمكن منها فتناولت خاتما مسموما فمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيد عمرو خوفا من تعذيبه اياها وقصتها مشهورة وفى غير ما ديوان مسطورة معروف

(أو هو النحل قرصها يوجب الحتـ * ـف اليها وما له انكاء) هذا تشبيه آخر للبذى فهو فى سوء فعله كالنحل لسعها لغيرها يوجب الحتف أى الموت اليها عقب لسعها والحال أن لسعها ليس له انكاء أى جرح ولا قتل ولا تأثير قوى للملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع أنه لا مصلحة تعود عليهما بما كان سببا لهلاكهما (صرعت قومه حبائل بغى * مدها المكر منهم والدهاء) صرعت فعل أى

أو لا يلتفت الى ما أضاعته المرأة مما يجب عليها تعهده لحلمه أو يتغافل عن الامور حذرا من الشرور لحسن عشرته يقال فلان أنوم من فهد اذا كان كثير النوم لان الفهد موصوف بكثرة النوم أو فى شدة وثوبه والمعنى انه كثير الجماع لان الفهد أيضا شديد الوثوب (وان خرج أسد) أى اذا صار بين الناس وخالط الحرب كان كالاسد فى قوته وشجاعته ومهابته فهو كالاسد بين الناس (ولا يسأل عما عهد) أى عما كان عندها قبل ذلك لكرمه ففيه نوع تكرار مع الوجه الاول وأما احتمال انها أرادت الذم وان المعنى انه كالفهد فى الوثوب عليها الضرب بها أو فى الكسل وعدم المبالاة بضبط أمور أهل بيته وانه كالاسد فى غضبه وسفهه وانه لا يسأل عما عهد تكاسلا فبعيد (قالت السادسة زوجى ان أكل لف) أى لا يبقى شيأ من نهمته وشرهه (وان شرب اشتف) أى استوعب جميع ما فى الاناء فهذا ذم بالاسراف فى أكله وشربه الدال على دناءة همته وعدم اعتنائه باهله وقرابته (وان اضطجع التف) أى تلفف بكسائه منعزلا وحده لعدم مبالاته بزوجه ولذلك أيضا قالت (ولا يولج الكف ليعلم البث) أى لا يدخل كفه الى بدنها ليعلم بثها وحزنها وما نزل بها من المرض لقلة شفقته عليها أو المراد انه لا يضاجعها ليعلم ما عندها من محبتها لقربه وسمت ذلك بثا لان البث من جهته يكون فلا نفع لزوجته منه لا فى الاكل ولا فى الشرب ولا فى اللباس ولا فى الفراش وأما احتمال انها أرادت المدح وان معنى لف أتى بالوان الطعام توسعة على عياله ومعنى اشتف لا يترك شيأ من أنواع الشراب الا أتى به لاهله ومعنى التف أتى بصنوف الثياب وان معنى ولا يولج الخ أنه اذا حدث بها مرض يشق عليها اطلاع الزوج عليه فانه لا يدخل يده من تحت ثيابها لئلا يطلع على ما تريد ستره منه تكرما وحلما فيكون المراد بالبث باطن الشئ فبعيد (قالت السابعة زوجى عياياء) بالعين المهملة أى عاجز عن القيام بمصالحه من العى وقيل هو العنين (أو) للشك أو بمعنى بل (غياياء) بالمعجمة قال عياض يحتمل ان يكون من الغياية وهى كل ما أظل الانسان فوق رأسه فكأنه سترت عليه أموره فلا يهتدى الى مصالحه أو من الغى وهو الانهماك فى الشر أو بمعنى الخيبة قال تعالى فسوف يلقون غيا قيل خيبة بان لا يظفروا بالمطلوب وعلى هذا فالقياس غواياء بالواو فيكون قلبها ياء هنا على سبيل الشذوذ ولا وجه لانكار أبى عبيدة غياياء بالمعجمة (طباقاء) هو الذى أطبقت عليه أموره يقال فلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو ولا سفر أو هو الثقيل الذى يطبق صدره على صدر المرأة عند الحاجة لها فيرتفع أسفله عنها فلا يحصل لها منه الا الايذاء والعذاب أو هو العاجز عن الجماع أو عن الكلام لما به من اللكنة فتنطبق شفتاه (كل داء) مبتدأ (له داء) الجملة خبر المبتدأ والمعنى ان كل ما تفرق فى الناس من العيوب فهو مجتمع فيه (شجك أو فلك او جمع كلا لك) أى اما ان يشج رأس نسائه او يكسر عضوا من اعضائهن أو يجمع لهن بين الامرين والخطاب لنفسها او من باب الخطاب العام (قالت الثامنة زوجى المس مس أرنب) فهو ناعم البدن او لين الجانب واللام عوض عن المضاف اليه اى مسه كمس الارنب حيوان معروف (والريح ريح زرنب) يحتمل ان تريد بهذا طيب ريح جسده و يمكن ان يريد به طيب ثنائه فى الناس وانتشاره فيهم كريح الزرنب وهو نوع من أنواع الطيب

معروف (قالت التاسعة زوجى رفيع العماد) العماد الخشبة التى يقوم عليها البيت والمعنى انه شريف النسب والحسب لان بيوت السادات عاليات مرتفعات ليراها الضيفان وذووا الحاجة فيقصدونها (طويل النجاد) بكسر النون حمائل السيف وطوله يدل على امتداد القامة وهذا مما تمدح به الشعراء وقد قال تعالى وزاده بسطة فى العلم والجسم وفيه ايماء الى شجاعته المستلزم غالبا لسخاوته (عظيم الرماد) لكثرة الطبخ المستلزم لكثرة الآكلين فهو اشارة الى الكرم وأيضا فان العظماء يستكثرون من ايقاد النار ليلا ليقصدهم الضيفان (قريب البيت من الناد) أصله النادى خفف بحذف آخره للسجع وهو مجلس القوم ومتحدثهم وذلك دليل شرف صاحب البيت وسيادته وانه لا يقطع امر دونه وليقصد بيته (قالت العاشرة زوجى مالك) اى اسمه (وما مالك) الاستفهام للتعظيم والتفخيم على حد الحاقة ما الحاقة اشارة الى انه فوق ما يوصف ويذكر بعد (مالك خير من ذلك) أى من زوج التاسعة أو مما ذكره السابقات فى مدح ازواجهن (له ابل كثيرات المبارك) بفتح الميم جمع مبرك وهو محل بروك البعير أو زمانه او مصدر ميمى بمعنى البروك (قليلات المسارح) جمع مسرح اسم محل او زمان او مصدر ميمى من سرحت الماشية اى رعت والمتبادر من الكلام ان المعنى ان معظم الاوقات تكون الابل حاضرة معدة لمن ينزل به من الضيفان ولا يسرحها الا قليلا قدر الضرورة لكن يلزم من هذا ان تكون شديدة الهزال ولذلك قيل ان المراد انها كثيرة فى حال بروكها قليلة اذا سرحت لكثرة ما ينحر منها فى مباركها للاضياف وقيل غير ذلك (اذا سمعن صوت المزهر) بكسر الميم عود مشهور يضرب به عند الغناء (أيقن انهن هوالك) لما عودهن انه اذا نزل به ضيف نحر لهم منها وكانت العرب تتلقى الاضياف بالملاهى فرحا بهم (قالت الحادية عشرة) بالتاء المفتوحة فيهما والشين ساكنة وبنو تميم يكسرونها (زوجى أبو زرع وما أبو زرع) لعله كنى به لكثرة زراعته أو تفاؤلا بكثرة اولاده (أناس) بزنة أقام من النوس وهو تحرك الشئ متدليا وأناسه حركه غيره اى اثقل (من حلى) بضم الحاء جمع حلية (أذنى) اى جعل لهما اقرطا ينوس اى يتحرك (وملأ من شحم عضدى) تريد انه سمنها باحسانه اليها وخصت العضدين بالذكر لانهما اذا سمنتا سمن سائر الجسد (وبجحنى فبجحت) بكسر الجيم وتفتح (الى نفسى) قال ابن الانبارى معناه عظمنى فعظمت عندى نفسى يقال فلان يتبجح بكذا أى يفخر ويترفع ومنه قول الشاعر

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا * اليك ولكنا بقربك نبجح

اى نفخر بقربنا منك (وجدنى فى اهل غنيمة بشق) بكسر المعجمة عند اهل الحديث اى مشقة وضيق فى العيش وبفتحها عند أهل اللغة موضع بعينه أو ناحية من الجبل يشق فيه غار ونحوه وقيل هما لغتان بمعنى الموضع (فجعلنى فى أهل صهيل) اصوات الخيل (وأطيط) اصوات الابل وقد يطلق على صوت غيرها والمراد أهل خيل وابل تريد انها كانت فى أهل فقر ومسكنة فنقلها الى اهل ثروة وكثرة ولذلك أيضا قالت (ودائس) اسم فاعل من داس الطعام يدوسه دياسة اى درسه ليخرج الحب من السنبل تريد انهم

ألقت فاعله حبائل جمع حبالة وهى التى يصاد بها وناصبها يسمى الحابل وقومه مفعوله والبغى الظلم والمكر ابطان السوء مع اظهار خلافه ومنهم حال من المكر والدهاء بالقصر والمد المكر وجودة الرأى والمعنى ألقت قوم النبى صلى الله عليه وسلم الذين أرسله الله اليهم فلم يؤمنوا به فقتلى بين يديه شباك ظلم من تلك الشباك اليه المكر الصادر منهم والدهاء أى رأيهم الفاسد وفى كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صلى الله عليه وسلم صرعى بين يديه بصيود مصروعة بين يدى الصائد ومن حيث تشبيه البغى بشبكة الصائد ومن حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما تقتضيه نسبة المد اليهما أو بحبال الشبكة التى يمدها الصائد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه وتجريدية بذكر الصرع اللائق بالمشبه وبه تعلم أن فى كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجرد لها بذكر الصرع والمكر والدهاء لهم ورشح لها أو خيل بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه البغى بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر الصرع الملائم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على مامر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الصرع هنا اذ لا مانع من اشتراك مكنيتين أو أكثر فى كون الشئ الواحد تخييلا وترشيحا أو تجريدا للكل اعتبارا لكل على حدتها بما يناسبها (فانتهم خيل الى الحرب تختال وللحرب فى الوغى خيلاء) أى فبسبب مكرهم ودهائهم أتتهم من قبله صلى الله عليه وسلم خيل تتبختر بهارا كبوها تيها وعجبا وللخيل النفائس وعليها الشجعان فى الوغى أى الحرب خيلاء أى كبر وتبختر وترفع وهذا تذييل والحاصل أنهم مهما تحزبوا لحربه صلى الله عليه وسلم وحاولوا اخفاء أمره بدد الله جمعهم وقتل ساداتهم وأظهر أمره عليهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد وباله عليهم وكيف وهو الذى أيده بنصره وبالمؤمنين (قصدت فيهم القنا فقوافى الطعن منها ما شأنها الايطاء) أى قصدت فى أبدانهم القنا جمع قناة أى الرماح وفى هذا الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض فاقامه ولا ينافى ذلك عد كثيرله من أنواع

المجاز باعتبار أن فيه اضافة الفعل الى مالا يصلح منه وهى الارادة التى هى من صفات الحيوان لان ذلك مبنى على تشبيه ميله للوقوع بارادته له وللاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز التشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هو مجاز لغوى أو عقلى خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فأسد فى رأيت أسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرىء والقوافى جمع قافية والطعن الضرب والمراد الطعنات المتوالية المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال كون ذلك العطن منها أى من تلك الرماح ماشأنها من الشين أى ماعابها الايطاء وهو تكرير القافية لفظا ومعنى قبل سبعة أبيات وهو معيب عندهم لانه يدل على عى الشاعر وقصوره وكذلك هنا فى الطعن لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه أى فلم يوجد فى طعناتهم ما يطعن فيها مما يشبه الايطاء وفى بعض النسخ فقوى فى الطعن منها من شأنه الايطاء فيكون قوى فعل ماض على لغة طيىء لانهم يبدلون فى كل فعل معتل الآخر على وزن فعل بكسر العين كسرته فتحة والياء ألفا كخفى ورضى قال فى الكافية

والكسر فتحا رد والياألفا لطيىء كخفى اردده خفا

ومن نفتح الميم فاعل قوى ومنها بمعنى بها والمعنى فقوى فى الطعن بها من عادته الكرة على العدو بعد الكرة (وأثارت بارض مكة نقعا ظن أن الغدو منها عشاء) فاعل أثارت عائد على الخيل أى رفعت تلك الخيل لما ركضت فى مهامه الحرب بارض مكة نقعا أى غبارا أظلم الجو حتى ظن الغدو من أجل تلك الخيول التى أثارت ذلك النقع وقت عشاء وفيه تلميح الى قوله تعالى فأثرن به نقعا وفى البيت اشارة الى غزوة الفتح التى هى الفتح الاعظم الذى أعز الله به دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وجنوده وحرمه الامين واستنقذ لله وبيته الذى جعله هدى للعالمين من أيدى الكفار والمشركين وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه قد كان وقع الشرط أنه من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله

أصحاب بقر ودواب وزرع وقيل الدائس الاندر (ومنق) بفتح النون من التنقية تريد من ينقى الطعام من الغلث بغربال أو غيره وقيل بكسر النون مأخوذ من النقيق وهو صوت الدجاج وقيل الاولى تفسيره بذابح الطير لانه عند ذبحه ينق فيصير هو ذا نقيق أى جعلنى من اهل ذابحى الطيور وطاعمى لحومها (فعنده أقول) ماشئت من الاقوال (فلا أقبح) اى لا يرد على قولى لكرامتى عليه ولا يقبحه لقبول كلامى وحسنه لديه (وارقد فاتصبح) اى انام الصبحة وهى اول النهار لانى مكفية عنده بمن يخدمنى ويخدمه فلا يوقظنى لخدمته ومهنته اذ لا ينام الصبحة الا من كان كذلك (واشرب فاتقمح) أى أروى حتى ادع الشراب من كثرة الرى وكأنها احتاجت الى ذكر هذا لقلة الماء عندهم وروى فاتقنح بالنون وهو الرى بعد الرى أو الشرب على رسل لكثرة اللبن اى فلا يقطع على شربى ولم تذكر الاكل لعلمه مما سبق أو اكتفاء بالشرب لانه فرع الشبع (أم ابى زرع فما أم ابى زرع) انتقلت الى مدح امه مع ماجبل عليه النساء من كراهية أم الزوج اعلاما بامتلاء قلبها من محبته حتى احبت كل من له تعلق به (عكومها) بضم العين وتفتح جمع عكم بالكسر بمعنى العدل اذا كان فيه متاع اى اوعية امتعتها (رداح) بفتح الراء وروى بكسرها أى كبيرة متسعة واخبرت عن الجمع بالمفرد على ارادة كل عكم منها رداح او على أن رداح هنا مصدر كالذهاب ويحتمل ان تريد كفلها ومؤخرها وكنت عن ذلك بالعكوم وامرأة رداح عظيمة الكفل (وبيتها فساح) أى واسع يقال بيت فسيح وفساح ويحتمل أن تريد خير بيتها وسعة مالها (ابن أبى زرع فما ابن أبى زرع مضجعه) أى مرقده (كمسل شطبة) هى جريدة النخل الخضراء الرطبة تعنى ان مضجعه كموضع سل عنه شطبة او كغلاف السيف فهو مهفهف نحيف (وتشبعه ذراع الجفرة) أنثى ولد المعز وقيل الضأن اذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها فهو قليل الاكل مدحته بالضمور والنحافة وقلة الاكل وذلك محمود فى الرجال (بنت أبى زرع فما بنت أبى زرع طوع أبيها وطوع أمها) أعيد طوع اشعارا بالكثرة والمعنى لا تخالف أبويها فى أمر ولا نهى (وملء كسائها) لسمنها وهو مطلوب فى النساء وفى روايه وصفر ردائها بكسر الصاد وسكون الفاء وهو الخالى فقيل المراد انها خفيفة أعلى البدن ممتلئة اسفله وهو مكان الكساء لرواية وملء ازارها وقال القاضى عياض الاولى ان المراد امتلاء منكبيها وقيام نهديها بحيث يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فلا يمسه فيصير خاليا بخلاف أسفلها (وغيظ جارتها) اى ضرتها اى لحسنها وجمالها ووضاءتها وعفتها وادبها وفى رواية وعقر جارتها بفتح العين وسكون القاف اى هلاكها من الغيظ والحسد وفى رواية وعبر بضم العين وسكون الموحدة من الاعتبار او العبرة اى البكاء اى ترى من حسنها ما تعتبر به أو ما يبكيها (جارية ابى زرع فما جارية أبى زرع لا تبث) بضم الموحدة وتشديد المثلثة وروى بالنون بدل الموحدة ومعناهما واحد اى لا تنشر ولا تظهر ولا تشيع (حديثنا) اى كلامنا واخبارنا (تبثيثا) مصدر مؤكد من غير بابه (ولا تنقث) بضم القاف وبالمثلثة وروى ولا تنقل وهما بمعنى (ميرتنا) اى طعامنا أى لا تفرقه ولا تفسده لامانتها (تنقيثا)

صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكان بين بنى بكر وخزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر فى بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فاصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وأمدت قريش بنى بكر (٢٣٣) بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا فى خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذى أصابهم و يشعرونه فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسى و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب كاسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع فنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا وجمع بأنه خرج بعشرة آلاف ثم تلاحق به الالفان واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم واتفقوا على أنه فى رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان سيدنا العباس قد خرج قبل ذلك باهله وعياله مسلما مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وكان ممن لقيه بالطريق أبوسفيان بن الحرث ابن عمه عليه الصلاة والسلام وكان معه ولده جعفر فأسلما قبل دخول مكة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم نزل مر الظهران عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون مما يخافون من غزوه اياهم فبعثوا أباسفيان بن حرب وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فخرج أبوسفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر أفزعهم فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم فأتوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ابوسفيان بن حرب فلما

(٣٠ - جسوس)

(تنقيثا) مصدر من غير بابه وروى ولا تنقث بكسر القاف المشددة والثاء فهو مصدر مؤكد للمبالغة فى وصفها بالامانة والديانة والصيانة (ولا تملأ بيتنا تعشيشا) تعنى انها مصلحة للبيت مهتمة بتنظيفه والقاء كناسته وعدم تركها فى جوانبه كانها أعشاش الطيور وفى رواية بالغين المعجمة أى غشا بالخيانة فى طعام أو بالنميمة (قالت) أى أم زرع (خرج أبو زرع والاوطاب) زقاق اللبن جمع وطب (تمخض) أى تحرك باستخراج الزبد والجملة حال من فاعل خرج (فلقى امرأة معها ولدان كالفهدين) تثنية فهد وهو سبع مشهور يضرب به المثل فى كثرة النوم والوثوب ومن خلقه انه يأنس عن يحسن اليه فالتشبيه فى الوثوب واللعب (يلعبان من تحت خصرها) بفتح الخاء المعجمة أى وسطها وفى رواية من تحت صدرها (برمانتين) قال أبو عبيدة تعنى أنها ذات كفل عظيم فاذا استلقت على قفاها ارتفع الكفل بها من الارض حتى يصير تحتها فجوة تجرى فيها الرمان قال القاضى عياض وذهب بعضهم الى ان المراد بالرمانتين هنا الثديان وهو عندى أظهر وأشبه ولا سيما قد روى من تحت صدرها ومن تحت درعها ولان العادة لم تجر برمى الصبيان الرمان تحت أصلاب أمهاتهم ولا استلقاء النساء لهم لذلك حتى يشاهد ذلك منهن الرجال والاشبه أنهما رمانتا النهدين شبهتا بذلك لنهودهما ودل ذلك على صغرها وفتاء سنها (فطلقنى ونكحها) رجاء نجابة الولد لما رأى من نجابة ولديها اذ كانوا يرغبون ان يكون أولادهم من النساء المنجبات فى الخلق والخلق (ونكحت) بالواو وفى نسخة فنكحت (بعده رجلا سريا) أى شريفا أوسخيا (ركب شريا) أى فرسا فائقا جيدا يستشرى فى سيره أى يمضى بلا فتور ولا انكسار (وأخذ خطيا) بتشديد الطاء والتحتية بعد الخاء المعجمة المفتوحة وتكسر أى رمحا منسوبا الى الخط قرية فى ساحل البحر عند عمان والبحرين (وأراح على نعما) أى أتى بها الى مراحها بضم الميم وهو موضع مبيتها (ثريا) بمثلثة أى كثيرة ومنه الثروة فى المال أى كثرته (وأعطانى من كل رائحة) أى من كل ما يروح الى المراح من الابل والبقر والغنم والعبيد (زوجا) أى اثنين وقد يطلق الزوج بمعنى الصنف ومنه قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة (وقال) أى الزوج الثانى (كلى ام زرع وميرى) أى اعطى (أهلك) أمر من الميرة وهو الطعام الذى يمتاره الانسان أى يجلبه لاهله يقال مار أهله يميرهم ميرا قال الله تعالى ونمير أهلنا ثم وصفت كثرة نعم أبى زرع وكرمه بقولها (فلو جمعت كل شئ أعطانيه) أى هذا الزوج الثانى (ما بلغ أصغر آنية أبى زرع) أى قيمتها أو قدر ملئها وقال القسطلانى والظاهر انه للمبالغة والا فالاناء لا يسع ما ذكرت انه أعطاها من أصناف النعم والحاصل انها وصفت هذا الثانى بأنواع السودد ومع ذلك لم يقع عندها موقع أبى زرع فرأت أن قليل أبى زرع لا يقوم له كثير هذا الثانى وذلك لان حبها لابى زرع الذى هو أول زوج لها بغض لها الازواج فسكنت محبته فى قلبها كما قيل * ما الحب الا للحبيب الاول * ولذا كره أولوا الرأى تزوج امرأة لها زوج طلقها مخافة ان يميل قلبها اليه اه ولذا قيل الثيب نصف المرأة وقد قال تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان وقال فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين وقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قلت ولعل النبى صلى الله عليه وسلم انما تزوج الثيبات مع حضه على الابكار

سار قال العباس اجلس اباسفيان عند خطم الجبل حتى تنظر الى المسلمين فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة كتيبة على ابي سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار قال مالي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ثم أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا أباسفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبوسفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة قيل معناه هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه وقال ابن اسحق زعم بعض أهل العلم أن سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعه رجل من المهاجرين فقال يارسول الله ما آمن أن يكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال فذكره له قال كذب سعد هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون وفي حديث موسى بن عقبة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وأمره أن يدخل من كدى من أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد ابن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من يقاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحرث بن عبد مناف وناس من هذيل ومن الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش وقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل الى باب المسجد حتى دخلوا الدور ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البارقة فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا أنظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم فقال قضى الله خيرا وعند ابن اسحق فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس لاهل

للامن من ميلان قلب أزواجه لغيره صلى الله عليه وسلم لانه أحسن العالمين خلقا وخلقا فمشاهدة طلعته الشريفة ورؤية محاسنه المنيفة توجب الاستغراق في محبته وعدم القناعة من صحبته وتقديمه على الآباء والبنين وقلة الصبر عنه في كل حين نعم يفوت في تزوج الثيب كمال التلذذ الحاصل في تزوج البكر وفي الحديث فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما (قالت عائشة) رضي الله عنها (فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع) زاد في بعض الروايات غير اني لم أطلقك وقال العسقلاني زاد في رواية الهيثم بن عدي في الالفة والوفاء لا في الفرقة والخلاء وزاد النسائي في روايته والطبراني قالت عائشة يارسول الله بل أنت خير من أبي زرع وفي رواية الزبير بابي وأمي لانت خير لي من أبي زرع لام زرع وكانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك تطييبا لها وطمأنينة لقلبها ومبالغة في حسن عشرتها قال ابن حجر وأخبر صلى الله عليه وسلم بقوله كنت الخ عما مضى الى وقت تكلمه بذلك وأبقى المستقبل الى علم الله فلا حاجة مع ذلك الى جعل كان للدوام أي كان فيما مضى وهو كذلك أبدا اذ هو خروج عن الظاهر من غير دليل ولا ضرورة ولا الى القول بأنها زائدة لان الزائدة غير عاملة فلا يوصل بها الضمير الذي هو المبتدأ في الاصل اه بمعناه أي ولا الى القول بأن المراد كنت لك في قضاء الله تعالى وسابق علمه وفي هذا الحديث جواز اخبار الرجل زوجته وأهله بصورة حاله معهم وحسن صحبته اياهم واحسانه اليهم وتذكيرهم بذلك وفي تحديث النساء بهذا الحديث منفعة في الحض على الوفاء للزوج كما في كلام أم زرع والصبر على الازواج كما في حديث غيرها وفيه حل الاخبار عن الامم الماضية وفيه أن المحبة تستر الاساءة لان أبا زرع مع اساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من المبالغة في وصفه الى أن بلغت حد الافراط والغلو وفيه أن ذكر مساوي من ليس بمعروف عند المتكلم والسامع لا يسمى غيبة بل ولا يتوهم فيه ذلك لان عائشة انما ذكرت نساء مجهولات ذكرن مساوي عن أزواج لهن مجهولين فخالها في ذلك كحال من قال في العالم من يعصي الله ومن يسرق ومثل ذلك لا يتوهم أحد أنه من الغيبة في شئ فان كان معينا عند المتكلم دون السامع فالذي رجحه القاضي عياض انه لا حرمة حينئذ اه قال ابن حجر وقضيته مذهبنا بخلافه لان أئمتنا صرحوا بحرمة الغيبة بالقلب وبالضرورة أن الغيبة بالقلب لا يطلع عليها أحد فاذا حرمت به فاولى حرمتها باللسان ولو بحضرة من لا يعرف المغتاب اه قال في جمع الوسائل والاظهر قول القاضي لورود أحاديث ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ولا شك أنهم كانوا معينين عنده صلى الله عليه وسلم الا أن يقال لا يلزم من جواز ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا لما يترتب عليه من الحكم والمصالح الدينية والدنيوية جواز الغيبة القلبية والله أعلم اه بالمعنى قال ابن حجر العسقلاني وقد شرح هذا الحديث جماعة وافرة من أهل العلم وأجمع شروحه وأوسعها شرح القاضي عياض المسمى بغية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد ومنه أخذ غالب الشراح وقد لخصت جميع ما ذكروه اه ثم ذكر فوائد الحديث فانظره ان شئت

مكة تخرج ليلا راكبا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد أحدا فيعلم أهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه فسمع صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فأردف أبا سفيان خلفه وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة ويجمع بينه وبين ما تقدم بأن الحرث لما أخذوه استنقذه العباس ويروى أن عمر رضي الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان دعني أضرب عنقه فقال العباس يا رسول الله

﴿باب صفة نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

ذكره عقب السمر لما بينهما من المناسبة وفي نسخة باب ما جاء في نوم الخ (حدثنا محمد بن المثنى نا عبد الرحمن ابن مهدي نا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن يزيد عن البراء بن عازب) عبد الله بن يزيد لم يدرك البراء فالحديث منقطع قاله المناوي (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أخذ مضجعه) أي أراد النوم في مضجعه بفتح الميم والجيم وتكسر محل الاضطجاع (وضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن) فيه دليل ندب النوم على الشق الأيمن وفي رواية مسلم وغيره يضطجع على شقه الأيمن والأولى تعليل النوم على الأيمن بتشريفه وتكريمه وايثاره على الأيسر ولأن النوم أخو الموت والمطلوب أن يكون الميت على شقه الأيمن تفاؤلا بأن يكون من أصحاب اليمين وأما تعليل ذلك بأنه أسرع للانتباه لعدم استقرار القلب حينئذ لأنه معلق بالجانب الأيسر فيبقى القلب قلقا فلا يستغرقه النوم فمبحوث فيه أما أولا فنمنع أن القلب معلق بالجانب الأيسر انظر الافادات للشاطبي وفتح المتعال للامام المقري وأما ثانيا فعلى تسليم ذلك فقد قال المحقق أبو زرعة اعتدت النوم على الأيمن فصرت اذا فعلت ذلك كنت في دعة وراحة واستغراق واذا نمت على الشق الأيسر حصل عندي قلق لذلك وعدم استغراق في النوم اهـ والنوم على الظهر من أردإ النوم بخلاف مجرد الاستلقاء عليه من غير نوم وأردأ منه النوم منبطحا على الوجه وقد روى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم لما مر بمن هو كذلك في المسجد ضربه برجله وقال قم أو اقعد فانها نومة جهنمية قال في جمع الوسائل ولعل السبب فيه أنه موافق لرقاد اللوطية المحرك للناظر داعية الشهوة النفسية (وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك) وانما قال ذلك مع عصمته اظهارا للخوف والعبودية والافتقار لما عند الله تعالى ورغبة في خيره والاعتراف بالتقصير في حقوق ربوبيته وتعليما لأمته أن يقولوا ذلك عند النوم لاحتمال ان هذا خاتمة العمر فيكون خاتمة عملهم ذكر الله والتواضع له والرجوع اليه بصفة الذل والافتقار والخضوع والانكسار ففي هذا دليل لندب الذكر عند النوم وفيه تنبيه على مطلوبية التفكر في البعث والاهتمام بأمور القيامة وما يكون فيها من الأهوال وجعل الموت وما يكون بعدها نصب العين وقد ورد في الصحيح أن جهنم تجيء يوم القيامة معها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فتزفر زفرة فلا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب الا جثا على ركبتيه أعاذنا الله منها بمنه ومن آداب النوم الوضوء لقوله في حديث البخاري ومسلم اذا أخذت مضطجعك فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث أي مخافة الموت على غير طهارة وقد ورد ان الانسان يبعث على الحالة التي مات عليها ولما ورد من أن روحه تسجد تحت العرش ولأن ذلك أقرب لصدق رؤياه ولأن الوضوء سلاح المؤمن فيحفظ من تلاعب الشيطان وترويعه ولما جاء انه في صلاة أو ذكر حتى يستيقظ وكما ينبغي للنائم أن يكون على طهارة حسية يطلب منه أيضا أن يبيت على طهارة معنوية بأن لا يبيت وفي قلبه غل على مسلم *قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا عبد الرحمن) أي ابن مهدي كما في نسخة (نا اسرائيل

اني قد أجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس به الى رحلك فاذا أصبحت فأتني به فذهب فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت انه لو كان مع الله اله غيره لما أغنى عني شيأ ثم قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم اني رسول الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك فأسلم وشهد شهادة الحق فقال العباس يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في كتيبة خضراء وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير ووضع صلى الله عليه وسلم رأسه تواضعا لله لما أكرمه به من الفتح حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده ولم يحله لأحد قبله ولا لأحد بعده ومذهب مالك هو الذي يدل عليه أحاديث الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يومئذ غير محرم وفي هذا اليوم اغتسل في بيت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب وصلى الضحى ثمان ركعات خفف فيها وصلاها صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم أشار اليه بقضيبه

وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي * وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ أن الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال ياعثمان ائتني بالمفتاح فأتيته

به فأخذه مني ثم دفعه الى وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ياعثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه قال ألم يكن الذي قلت لك قلت بلى أشهد انك رسول الله وصعد صلى الله عليه وسلم على الصفا ورفع يديه الى الدعاء فقالت الانصار فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم ببلده فقال لهم صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة أو سبع عشرة أو ثمان عشرة أو تسع عشرة يقصر الصلاة انظر المواهب والله الموفق (أحجمت عنده الحجون وأكدى عند اعطائه القليل كداء) الحجون بفتح الحاء المهملة هو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد ومن هناك دخل النبي صلى الله عليه وسلم وقال للزبير وقد قدمه قبله بمن معه من المهاجرين والانصار اركز الراية عند الحجون وأحجمت أي كفت أو نكصت هيبة عند ذلك النقع المثار والمراد بمن أحجم هم أهل الحجون من قريش الذين يلون ناحيته فلم يقاتلوا بل نكصوا عنه ولم يعرضوا له وأكدى أي قطع وعند اعطائه القليل حال من كداء بضم الكاف والمد في لغة ضعيفة أي وأعطى أهل كداء قتالا قليلا ثم قطعوا وفروا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد سيف الله تعالى ورضي عنه ان يدخل بالخيل من أسفل مكة من كداء ويغرز رايته عند أدنى البيوت وأن لا يقاتل الا من بدأه بعضهم بالقتال فقاتلهم حتى أدخلهم البيوت بل المسجد ثم كف وقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك

و ينفث

عن أبي اسحق عن أبي عبيدة) مصغرا واسمه عامر ابن عبد الله بن مسعود (عن عبد الله) أي ابن مسعود (مثله) أي في صدر الحديث (وقال يوم يجمع عبادك) أي بدل يوم تبعث عبادك ولا بد من البعث والجمع الا أن البعث يكون أولا والجمع يكون ثانيا والنشر ثالثا * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا عبد الرزاق نا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن ربعي) بكسر الراء وسكون الموحدة من التابعين (ابن حراش) بكسر الحاء المهملة (عن حذيفة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أوى) بالقصر وقد يمد أي دخل بقصد النوم (الى فراشه قال اللهم باسمك أموت وأحيا) يحتمل أن يكون المعنى على ذكرى لاسمك أموت وعلى ذكره أحيا ما حييت فيكون اشارة الى انه لا يزال معظما لسيده لا هجا بالثناء عليه مستهترا بذكره لا يفارق ذلك قياما بواجب بره وشكره ويحتمل أن يكون لفظ الاسم مقحما والمعنى بك أموت وأحيا أي أنت تحييني وأنت تميتني فيكون اعترافا بالعجز وتبرؤا من الحول والقوة وانه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وانه تعالى هو النافع الضار فلا ملجأ ولا منجى منه الا اليه ويحتمل أن المراد باسمك المميت أموت وباسمك المحيي أحيا فانه تعالى سمى نفسه بالاسماء الحسنى ومعانيها ثابتة له فكلما ظهر في الوجود فهو آثار أسمائه (واذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور) معنى أحيانا أيقظنا ومعنى أماتنا أنامنا فجعل اليقظة حياة والنوم موتا وذلك مشعر بان المراد بالموت في قوله باسمك أموت النوم وان المراد بالحياة في قوله وباسمك أحيا اليقظة فيكون نظير الحديث الآخر اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك أرفعه ومعنى واليه النشور ان اليه المرجع بالبعث بعد الموت ففيه انه ينبغي لمن استيقظ من نومه أن يتذكر بذلك البعث بعد الموت وان الامر ليس هملا وانه لا بد من مرجع الخلق كلهم الى دار الثواب والعقاب ليجزوا باعمالهم وان يكرر ذلك على قلبه كلما ناموا واستيقظ حتى تصير الآخرة نصب عينيه ويرحم الله القائل

فلو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي

ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شي

وقيل معنى كون النشور اليه انه من عنده تعالى وبيده لا مدخل فيه لغيره ووجه الحمد بعد اليقظة كما أشار اليه الطيبي ان منافع الحياة التي يفوز الانسان بثوابها انما تتأتى في اليقظة فناسب المستيقظ أن يحمد الله على الاستيقاظ من النوم الذي هو كالموت لا تحصل معه منافع الحياة وقد ورد بقية عمر المؤمن مالها ثمن قال في الاكمال وفائدة الذكر اذا أصبح ليكون أول عمله تجديد الايمان بالله تعالى وذكره والاعتراف بان الامور كلها له وبيده ويفتتح يومه بالكلام الطيب * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا المفضل) هو أبو معاوية المصري (ابن فضالة) بفتح الفاء (عن عقيل) بالتصغير (أراه) بضم الهمزة أي أظنه رواه (عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه كل ليلة) ظاهره في الصحة والمرض وفي البخاري عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات

ما قاتلت وقد نهيتك فقال كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله تعالى خير (ودهت أوجهاها و بيوتا * مل منها الاكفاء والاقواء)

أي أصابت وأهلكت تلك الخيل أوجها من الناس بها قاتلت أو المراد ماهو أعم فيدخل من قتل ممن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمهم وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة وهم ستة رجال وأربع نسوة منهم ابن خطل ومقيس بن صبابة والبيوت جمع بيت محل السكنى ومل أي سئم منها الاكفاء وهو المخالفة بين هجاء القوافي كأن يكون روى بعضها ميما والآخر باء ولعل المراد به هنا ميل من قتل من قريش وأتباعهم وهم اثنان وعشرون للارض وسقوطهم عليها أو امالة الغير اياهم من اكفأ اذا مال أو أمال أو انكفاء تلك الوجوه على من قاربهم من المؤمنين يحمونهم ويجبرونهم والاقواء هو مصدر أقوى الشاعر اذا خالف قوافي شعره برفع بيت وجر آخر من أقوت الدار اذا خلت والمراد فر منها أهلها الى مكان يأمنون فيه على أنفسهم أو خلت بيوت من قتل منهم وبما قررنا به كلامه من قوله قصدت الى هنا يعلم انه استعار القوافي للطعن المتتابع ورشح بذكر الايطاء ولمح بذكر البيوت ترشيحا لبيوت الشعر المرشح بها وبذكر ما يختص بها من الاكفاء والاقواء الى الاستعارة الاولى وفيهما توريه ولف ونشر مرتب لان الاكفاء راجع للوجوه والاقواء راجع للبيوت

(فدعوا أحلم البرية والعفو جواب الحلم والاغضاء)

أي نادوا أكثر الخلق حلما وهو الصفح عن الاساءة وترك العقوبة للمسيء وهو النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه العفو والصفح عن ظلمهم واساءتهم اليه وأذائه الذي لا يتحمل غيره ما أوذي به والعفو أي الصفح وعدم المؤاخذة بالذنب جواب الحليم أي العاقل المتأني من الحلم وهو الاناة والعقل والاغضاء أي التغافل عن العورات وعفوتها وأصله ارخاء الجفون من الجفاء وفي القاموس وأغضى أدنى الجفون وعلى الشيء سكت وفي ذكر الحلم والعفو والاغضاء مراعاة النظير (ناشدوه القربى التي من قريش * قطعتها الترات والشحناء) ناشدوه أي سألوه العفو بالقرابة التي من قريش أي التي بينه وبين سائر بطون قريش وهم ولد فهر بن مالك وهو الصحيح أو ولد النضر بن كنانة ومن

وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها فظاهر هذه الرواية ان ذلك خاص بالمرض (جمع كفيه فنفث فيهما) قال النووي في الاذكار قال أهل اللغة النفث نفخ لطيف بلا ريق قال أبو عبيدة واما التفل فلا يكون الا ومعه شيء من الريق (وقرأ فيهما) بالواو وكذا هو في صحيح البخاري في كتاب الدعوات (قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) وهي المسماة بالمعوذات كما في البخاري قال العسقلاني أي يقرأ هذه السور وينفث حال القراءة في الكفين المجتمعين اه وظاهره ان الواو هنا لعطف أحد المتصاحبين على الآخر وبعضهم جزم بان النفث بعد القراءة لان الواو لا ترتب فيحمل على النفث بعد القراءة وفي المشكاة فقرأ فيهما بالفاء وفي صحيح البخاري في كتاب فضائل القرآن ثم نفث فيهما فقرأ فيهما بالفاء أيضا وظاهره يدل على ان النفث قبل القراءة واستبعد ذلك بعض العلماء بان ذلك لا فائدة فيه وأجاب بعضهم بان الحكمة فيه مخالفة السحرة وقيل معناه أراد النفث فقرأ ونفث وبعضهم حمله على التقديم والتأخير أي جمع كفيه وقرأ فيهما فنفث قال في جمع الوسائل أو تخرج رواية الفاء على رواية الواو التي في صحيح البخاري فقد نص القراء كما في المغني على ان الفاء لا تقتضي الترتيب كالواو وفي القاموس أيضا أن الفاء تأتي بمعنى الواو واما حمل رواية الفاء على السهو من الكاتب أو الراوي فبعيد لان فتح هذا الباب يؤدي الى اختلاط الخطا والصواب اه بمعناه وحمله بعضهم على ان النفث وقع قبل القراءة وبعدها أيضا والحاصل انهم اختلفوا فجزم بعضهم بان النفث قبل القراءة وهو المتبادر من الخبر سيما على رواية الفاء ووجهه مخالفة السحرة وجزم بعضهم بتأخيره عن القراءة قائلا ان الواو لا ترتب ويحمل رواية الفاء على رواية الواو وقال بعضهم هما سيان (ثم مسح بهما ما استطاع) أي ما تصل اليه يده (من جسده) أي بدنه وأعضائه (يبدأ بهما) أي بكفيه (رأسه) في رواية البخاري على رأسه الخ (ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك) أي ما ذكر من الجمع والنفث والقراءة والمسح (ثلاث مرات) كل مرة يجمع كفيه وينفث ويقرأ ويمسح ولم يذكر من رأيت من الشراح المسح وانما ذكروا الثلاث الاول وفي هذا الحديث التعوذ والقراءة عند النوم لان الانسان عرضة لتسلط الشياطين عليه واذاية غيرهم من الحشرات والهوام ومن حياة الحيوان في ترجمة العقرب وعن معروف الكرخي قال بلغنا ان ذا النون المصري خرج ذات يوم لغسل ثيابه فاذا هو بعقرب قد أقبل عليه كأعظم ما يكون من الاشياء ففزع فزعا شديدا واستعاذ بالله منها فكفي شرها فاقبلت حتى ولجت النيل فاذا هي بضفدع قد خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها الى الجانب الآخر فصعدت ثم سعت وأنا اتبعها الى شجرة كثيرة الاغصان كثيرة الظل واذا غلام أمرد نائم تحتها وهو مخمور فقلت لا قوة الا بالله أتت العقرب من ذلك الجانب للدغ هذا الفتى فاذا بتنين قد اقبل يريد قتل الغلام فظفرت به العقرب ولدغت دماغه الى ان مات ورجعت الى الماء وعبرت على ظهر الضفدع الى الجانب الآخر فانشأ ذو النون المصري يقول

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ليس من ذرية فهر او النضر على القولين فليس بقرشي وقطعتها حال والترات بالمثناة الفوقية جمع ترة وهي الطلب في الدم وفي الصحاح والموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول وتره يتره وترا وترة والشحناء العداوة والبغضاء التى كانت منهم له صلى الله عليه وسلم

(فعفا عفو قادر لم ينغصه * عليهم بما مضى اغراء) لا عفو كاملا الا عن قدرة وكان صلى الله عليه وسلم قادرا على استئصالهم ولم ينغصه أى لم يكدر ذلك العفو عليهم اغراء أى

تحريش منهم لسفهائهم على اذايته من أغرى الكلب بالصيد اذا حمله عليه وأغرى بينهم العداوة ألقاها وفى القاموس وأنغص الله تعالى عليه العيش ونغصه وعليه كدره فتنغصت معيشته تكدرت وبما مضى منهم صفة لاغراء تقدمت عليه فصارت حالا والمعنى لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم الواقع منهم فيما مضى أو الذى سبق منهم حتى بالغوا فى اذايته بما لا يتحمله غيره وخلاصة ما أشار اليه انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهل له عز وجل ثم قال أيها الناس ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرا فان أحد ترخص فيها القتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله تعالى أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما أحلت لى ساعة من نهار يعنى من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال عليه الصلاة والسلام يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء من القتل والاسترقاق وفى رواية قال لهم أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (واذا كان القطع والوصل لله * ساوى التقريب والاقصاء) أى اذا كان قطعه ووصله صلى الله عليه وسلم لله عز وجل استوى لديه تقريب الاقارب والاباعد واقصاؤهما ولم يتميز بأحدهما قريب ولا بعيد لان النظر لله تعالى ولامتثال أمره لا غير ولا التفات له الى مخلوق وقد قالت عائشة رضى الله

فانتبه الفتى على كلام ذى النون المصرى فاخبره الخبر فتاب ونزع ثياب اللهو ولبس أثواب السياحة وساح ومات على تلك الحالة رحمه الله ومما ورد لحفظ النائم آية الكرسى لفضية ابى هريرة وورد ايضا آخر البقرة وآخر الاسراء قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الخ وفيه الاستشفاء بالقرآن والتبرك به وقد نص العلماء على انه لا تستمطر الرحمة أبدا بارجى من كتاب الله وقد قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الواحدى فى تفسيره قال ابن عباس يريد شفاء من كل داء بمعنى انه يتبرك به ويدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤيد هذا ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وقوله ورحمة للمؤمنين قال ابن عباس يريد ثوابا لا انقطاع له اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن ابن مهدى نا سفيان عن سلمة بن كهيل عن كريب عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى نفخ) أى بفمه (وكان) أى من عادته (اذا نام (١) نفخ فاتاه بلال فآذنه) بالمد أى اعلمه (بالصلاة) أى صلاة الصبح أو الظهر (فقام وصلى ولم يتوضأ) لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان وضوأه لا ينتقض بالنوم مطلقا لانه تنام عينه ولا ينام قلبه فلو وقع حدث لاحس به وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ اذ لا يدرى ما هو فيه قاله ابن حجر ويحمل ما ورد عن أنس كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤن على النوم الخفيف دون الثقيل (وفى الحديث قصة) تأتى قريبا فى باب العبادة * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عفان) بالصرف وبدونه (نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا) قال ابن حجر وغيره ذكرهما لان الحياة لا تتم بدونهما كالنوم فالثلاثة من واد واحد فكان ذكره مستدعيا لذكرهما وأيضا النوم فرع الشبع والرى وفراغ الخاطر من المهمات والامن من الشرور والآفات ولذا قال (وكفانا) أى مهماتنا ودفع عنا ما يؤذينا (وآوانا) بالمد بدليل قوله الآتى ولا مؤوى أى ضم شملنا وجعل لنا مأوى اى موطنا ومسكنا نأوى اليه ولم يجعلنا منتشرين كالبهائم فى الصحراء وقيل رحمنا وعطف علينا (وكم) أى كثير (ممن لا كافى له ولا مؤوى) أى كم من خلق لا يكفيهم الله شر الاشرار بل تركهم وشرهم حتى يغلب عليهم أعداؤهم وكم من خلق لم يجعل الله لهم مسكنا ولا قرارا بل تركهم يتأذون ببرد الصحارى والقفار وحرهما أو كم من لا راحم له ولا عاطف عليه أى من الخلق ولا مسكن له يأوى اليه والمعنى الحمد لله الذى عرفنا هذه النعم ووفقنا لشكرها وكم ممن لا يعرف كافيه ولا مؤويه فكفر بالنعم ولم يشكرها على ان أكثر العوام من هذا القبيل أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون أولا كافى له ولا مؤوى على الوجه الاكمل عادة فلا ينافى انه تعالى كاف لجميع خلقه ومؤويهم من وجه آخر والله سبحانه أعلم هذا حاصل ما للشراح هنا وأسهل من ذلك كله

---

(١) هنا بياض بالاصل

عنها كان خلقه القرآن يرضى لرضاه و يسخط لسخطه وهذا من القول البديع الجامع قوله (وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء) المجرو ران فى البيت حالان من المبتدا وهو سواء او الخبر وهو الملام بفتح الميم وهو السب والتنغيص والاطراء المدح بالمبالغة لانه لا ننظر الى نفسه وانما ينظر الى تصرف الحق فى خلقه بما اراد منهم اى مستو عنده ما جاء من غيره من الملام والاطراء لما تقدم ﴿تنبيه﴾ ما وقع للناظم هنا من العطف بالواو بعد سواء دون همزة الاستفهام لغة جرى عليها الفقهاء فى كتبهم وذكرها صاحب الصحاح فقال تقول سواء على قمت او قعدت وصاحب القاموس فقال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو اى ذوا سواء واستويا وتساويا تماثلا وذكرها سيبويه كما قال صاحب البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلا بد من ام اسمين كانا اوفعلين وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثانى بام تقول سواء على قمت او قعدت وان كان بعدها اسمان بلا الف عطف الثانى بالواو تقول سواء على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدر كان الثانى بالواو او باو حملا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقهاء واندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن وان ما فى الصحاح سهو وان قراءة أولم تنذرهم من الشذوذ بمكان فاستحضر ذلك فانه مهم قاله ابن حجر (ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة و جفاء) أى لو كان ذلك لهوى النفس ومرادها لا لله تعالى لدامت قطيعة لرحمه و جفاء أى بعد لهم ولكن لما كان انتقامه لله تعالى دون نظر للهوى وصلهم ولم يعاملهم بما سبق منهم من محاربته فى غير مرة وقتل أصحابه الكرام والتمثيل بهم فى أحد وقتل عمه سيد الشهداء سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه وعنهم وشج وجهه الشريف وكسر رباعيته الكريمة وغير ذلك من اذايته ثم عفا وصفح كما أمره الله تعالى و جبله عليه حيث أسلموا لان الاسلام يجب ما قبله (قام لله فى الامور فارضى * الله منه تباين و وفاء) التباين التخالف وهو راجع لاعداء الله تعالى كالوفاء لاوليائه وحاصل البيت انه عليه الصلاة والسلام لا تعويل له على غير رضى به (فعله كله جميل وهل ينـ * ضح الا بما حواه الاناء)

وأظهر منه ان يكون معنى كفانا جعل لنا من يكفينا مؤنة الخدمة من الاهل وغيرهم ومعنى آوانا جعل لنا أصحابا واخوانا نأوى اليهم وكم ممن لا كافى له أى لا أهل له يقومون بمؤنته وخدمته ولا مؤوى أى صاحب يأوى اليه و يستعين به على مصالحه الدينية والدنيوية والله أعلم بالصواب ومعنى كونه تعالى كافيا لجميع خلقه انه قادر على كفاية جميعهم ففيه كفاية لهم فلا معنى لتعلقهم بغيره سبحانه وليس المراد انه كفى جميع خلقه بالفعل اذ كثير من الخلق فى غاية الفقر والحاجة والضياع هذا هو الظاهر أيضا والله أعلم فلا يبقى اشكال فقوله وكم الخ بيان لسبب الحمد الحامل عليه اذ لا يعرف قدر النعمة الا بضدها * قال المصنف (حدثنا الحسين ابن محمد الجريرى) بالجيم نسبة الى جرير مصغرا على ما صوبه ابن حجر وقال فى جمع الوسائل هو بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الراء على ما فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة خلافا لابن حجر (نا سليمان بن حرب نا حماد بن سلمة عن حميد عن بكر بن عبد الله المزنى عن عبد الله بن رباح) بفتح الراء (عن أبى قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا عرس بليل) أى نزل والتعريس النزول أى وقت كان من ليل أو نهار قاله فى المشارق (اضطجع على شقه الايمن) لانه كان يحب التيامن فى شأنه كله كما تقدم (واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه و وضع راسه على كفه) لعل ذلك تعليما لامته لئلا يثقل بهم النوم فتفوتهم صلاة الصبح فى اول وقتها وفيه ان من قارب وقت الصبح ينبغى له ان يتجنب عن الاستغراق فى النوم بان ينام على هيئة تقتضى سرعة انتباهه اقتداء بالمصطفى ومحافظة على تحصيل الصلاة فى اول وقتها

﴿باب فى عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

اى فى بيان اجتهاده صلى الله عليه وسلم فى عبادة الله تعالى من تهجد وغيره وما كان عليه من الاخذ بالجد فى الدين ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبادة وأكثرهم طاعة لربه وأشكرهم له فان المقصود من العبادات كلها الثناء على الله تعالى بالدلالات القولية والفعلية واجلاله وتعظيمه والخضوع له وثناء كل واحد وتعظيمه وخضوعه على قدر معرفته بالله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق بالله فهو أفضل القائمين بحقوق الله التى كلف بها عباده وأكمل العارفين بما يجب له تعالى من امتثال أمره والاستسلام لقهره والاستهتار بذكره وشكر احسانه و بره وقد روى البغوى وأبو نعيم ما أوحى الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واعلم أن أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وحركاته وسكناته كلها عبادات لا تخرج عن الواجبات والمندوبات وليس شئ منها من قبيل المباحات اذ لا يتصور أن يصدر منه شئ الا لله و بالله والمذكور من عباداته صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب نوع مخصوص وهو تطوعه صلى الله عليه وسلم بالصلوات الليلية وهى تهجده بالليل والنهارية وهى رواتب الصلوات والضحى وغير ذلك والى أحاديث التهجد أشار بقوله (حدثنا قتيبة بن سعيد و بشر بن معاذ قالا نا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال صلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم) أى اجتهد فى الصلاة وطول قيام الليل (حتى انتفخت قدماه) أى تورمتا (فقيل له) فى روايه ان القائل عمر رضى الله عنه (أتتكلف هذا) أى اتلزم نفسك بهذه الكلفة (وقد غفر الله لك) وفى نسخة وقد غفر لك بصيغة المجهول (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قد تقدم معنى الذنب فى حق أهل العصمة قبيل باب الشعر بفتح الشين والعين (قال أفلا أكون عبدا شكورا) أى أتترك الصلاة اعتمادا على المغفرة فلا أكون عبدا شكورا الا بل ألزم الصلاة وان غفر لى لأكون عبدا شكورا ظن السائل عن سبب تكلفه تلك المشقة فى العبادة ان سبب العبادة انما هو خوف الذنب أو رجاء المغفرة فافاده صلى الله عليه وسلم ان لها سببا آخر وهو القيام لحقوق السيد المنعم على عبده ابتداء من غير سابقية استحقاق والمبالغة فى تعظيمه وشكره وخدمته وبره ومغفرة الذنوب من اعظم النعم فكيف يجمل بالعبد اهمالها وعدم القيام بواجب شكرها فهى اذن من أعظم الاسباب الحاملة على العبادة فكيف تترك العبادة لاجل المغفرة على أن العمل شكرا أتم واكمل من العمل رجاء الثواب او خوف العقاب وقد روى عن على كرم الله وجهه ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار قال فى القوت روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجر لم يعمل وفى الحكم من عبده لشئ يرجوه منه اوليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدنى لجنة او نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن اهلا لان أطاع ويرحم الله القائل فى هذا المعنى

لو لم تكن نار ولا جنة * ولا وعيد لا ولا موعده
ألم يكن حقا على العبد أن * يشكر بالطاعات من اوجده

فالله تعالى أهل لان يذكر ويشكر ومستحق لذلك ولو لم تكن جنة ولا نار ثم الشكر واجب على قدر النعمة فكأنه يقول فاذا اعظمت نعمتى الى هذا الحد أفلا أكون عبدا مبالغا فى الشكر متناهيا فى العبادة ففى تعبيره بشكور الذى هو من صيغ المبالغة دليل على ما ذكرنا وعلى كمال علو همته عليه السلام وفى الحديث ندب تشمير ساق الجد فى العبادة وان أدى الى كلفة لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم ذلك ومن لا يأمن من النار ومن ثم التزم بعض الصحابة قيام الليل كله وبعضهم صيام الدهر وبعضهم اعتزال النساء ففى صحيح البخارى من حديث أنس قال جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال احدهم أما انا فاصلى الليل ابدا وقال آخر وانا اصوم الدهر ولا افطر وقال آخر وانا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له لكنى اصوم وافطر واصلى وأرقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى اهـ والثلاثة المذكورون هم على بن ابى طالب وعبد الله ابن

(اطرب السامعين ذكر علاه * بالراح مالت به الندماء) [illegible] على الطرب [illegible] تعترى الانسان عند سماع ما يسره ذكر علاه أى كماله ولام بالراح بالفتح لانها للاستغاثة وسميت الخمر راحا لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا ما دام سكرانا بها ولاجل اشتهار هذا المعنى فى المسكرات أنشد القاضى عبد الوهاب

زعم المدامة شاربوها انها * تنفى الهموم وتصرف الغما
صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا * أن السرور لهم بها تما
* سلبتهم أديانهم وعقولهم
أرأيت فاقد دين مغتما

ومالت سكرت وتواجدت وذكر ضمير به العائد على الراح لانه مستعار لذكر علاه وهو مذكر لفظا ومعنى وفى الخمر نفسها لغة بالتذكير وان كان الاشهر فيها التأنيث والندماء جمع نديم بمعنى نادم أى شاربوا الخمر ونادمه منادمة ونداما جالسه على الخمر وفى هذا استعارة تصريحية وترشيحية لانه شبه ذكر علاه فى اطراب سامعيه بالراح فى اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك ما يلائم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء (النبى الامى أعلم من اسند عنه الرواة والحكماء) النبى خبر مبتدا محذوف والامى نعت نسبة للام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب على أصل ولادة أمه اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقيل نسبة الى أم القرى وهى مكة شرفها الله تعالى وقيل غير ذلك ومع ذلك فهو أعرف العارفين واعلم من أسند عنه الرواة والحكماء والرواة جمع راو والحكماء جمع حكيم وهم العلماء الذين يضعون كل شئ فى محله وهو من عطف الاخص على الاعم هذا وقد قال ابن الفاكهى فى الفجر المنير كونه صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب يظهر سره من ثلاثة أوجه الاول ان تتحقق الائمة العارفون بانه عليه الصلاة والسلام لم يكتب كتابا قط ولا تعاطى ذلك ولا تعلمه وان القرآن العظيم والكتاب الكريم منزل بلا علاج ولا اكتساب فيتضح وجه الصواب وينتفى اللبس والارتياب الوجه الثانى أن الكتابة علاج ضرورى لاجل قصور الاذهان عن استيعاب حفظ ما يتعين حفظه والكتابة تنتفع فى حصول هذا الغرض

فاذا اعطى الله نبيه من الحفظ والله (؟) ما يستغنى به عن الواسطه كان ذلك اشرف فى حقه عليه الصلاة والسلام وارفع قال الله تعالى لا تحرك
به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى فكان الضمان لحفظ القرآن والعصمة من النسيان والوعد بالقدرة
على البيان أجل من التسبب فى ذلك بكتابة يغسلها الماء وتا كلها الارضة وهى هدف لاسباب كثيرة وعرضة ﴿الوجه
الثالث﴾ ان الكتابة تصوير وتشكيل وتخليط ومقامه عليه الصلاة والسلام أعلى من ان يتعاطى بنفسه ما ينطلق عليه اسم التصوير وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن التصوير وشدد فيه ثم هى وان كانت فضيلة فانما كانت فضيلة بحاجة من اتصف بها اليها فهى فضيلة تستلزم نقيصة وغضاضة ثم يكون الافضل لمن رفع الله تعالى قدره عن هذه الطبقة عدم تلك الفضيلة الممزوجة بغضاضة الحاجة حتى يكون فضائله متمحضة متخلصة وأيضا فان الكتابة صناعة وليست بعلم وقد نزه الله تعالى نبيه عنها فقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون * فان قلت فقد أطلق الله تعالى على الكتابة علما فقال ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب فجعل الكتابة علما وأضاف تعليمه اليه * قلت المراد هنا أحكام العقود المكتوب به والعلم بشرائط الوثائق المحررة لا نفس
رسم الخط * فان قلت قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ما هو * قلت المراد علمه المعلومات المكتوبة
بالقلم لا نفس الكتابة هذا معنى كلام ابن المنير (وعدنى ازدياره العام وجنا * ء ومنت بوعدها الوجناء) ازديار افتعال
بمعنى الزيارة أى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا العام الحاضر والوجناء الناقة القوية من الوجين وهو ما غلظ من الارض ومنه الوجناء
للناقة الشديدة ومنت أنعمت ووعدها موعودها تلك الوجناء بان وفت به فهو اخبار عن لسان حال مركوبه مجازا

ابن عمرو بن العاصي وعثمان بن مظعون رأوا رضى الله عنهم أن الواجب فى حق من لم يقطع له بالنجاه
استغراق الاوقات فى العبادات فبين لهم عليه السلام أن سنته الاقتصاد فى العمل لان التشديد قد يفضى الى
الملل وانقطاع العمل وسيأتى بسط ذلك ان شاء الله تعالى فى أواخر باب الصيام فى حديث عليكم من
الاعمال ما تطيقون * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث) بالتصغير (أنا الفضل بن موسى
عن محمد بن عمرو بن أبى سلمة عن ابى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حتى ترم) بفتح
المثناة وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم وفى نسخة تورم بصيغة الماضى او المضارع بحذف
احدى التاءين من التورم (قدماه قال) اى ابو هريرة (فقيل له تفعل هذا) اى هذا الاجتهاد اى أتفعل
كما فى نسخة والاستفهام للتعجب (وقد جاءك) اى والحال انه جاءك من عند الله فى كتابه (ان الله تعالى
قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا) ولما طول صلى الله عليه وسلم فى قيام
الليل حتى تورمت قدماه أنزل الله عز وجل طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب بما فعلته بعد نزوله من
طول القيام فخفف على نفسك وطأ الارض بقدميك لانه كان يرفع قدما ويضع اخرى وقيل فى معنى طه غير
هذا ولا يلزم من تعبه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وغيرها من العبادات ملله فان الملل عليه محال وقد ورد
فى الصحيح وجعلت قرة عينى فى الصلاة فكيف يتصور منه ملل مما فيه قرة عينه كيف والمصلى يناجى ربه
كما فى الصحيح ومن ثم قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل
وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذن أنت قد دخلت على مولاك بغير اذن وتكلمه بغير
ترجمان * قال المصنف (حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن الرملى) نسبة الى رملة بلدة بين
مصر والشام (نا عمى يحيى بن عيسى الرملى عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقوم) أى من الليل (يصلى حتى تنتفخ قدماه فيقال له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا) ذكر الحديث بالاسانيد الثلاثة للتأكيد والتقوية * قال
المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق عن الاسود بن يزيد قال سألت
عائشة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل) أى فى اى وقت كانت من الليل
(فقالت كان ينام أول الليل) اى نصفه الاول بعد صلاة العشاء (ثم يقوم) أى السدس الرابع والخامس
(فاذا كان من السحر) وهو السدس الاخير (أوتر) أى صلى الوتر (ثم أتى الى فراشه) أى للنوم ليقوى
على صلاة الصبح وما بعدها من وظائف الطاعة ولانه يرفع صفرة السهر عن الوجه (فان كانت له حاجة)
الى المباشرة (ألم باهله) الالمام هو الجماع وفى أكثر الروايات ثم ان كانت له حاجة (فاذا سمع الاذان) اى
الاول كما فى مسلم (وثب) أى قام بسرعة وخفة او قعد عند قبيلة حمير فان الوثوب عندهم بمعنى القعود (فان
كان جنبا أفاض عليه من الماء) اى اغتسل (والا توضأ) للتجديد أو لحصول ناقض (وخرج الى الصلاة)
اى بعد ان يصلى سنة الفجر فى البيت وفى الجامع الصغير كان أحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما
ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه رواه
البخارى ومسلم واحمد فى مسنده وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر فصرح صلى الله عليه وسلم بان

(أفلا أنطوي لهـا في اقتضائيـه لتنطوي ما بيننا الافلاء) أي أيليق بي ترك الزيارة فلا أنضم اليها بركوبها في اقتضائيـه أي طلبي اياه منها (١) وفيه ضرورة ارتكاب اتصال الضمير مع امكان انفصاله لان اقتضاءه مصـدر مضاف للفاعل وهو الياء والمفعول هو الهـاء فان أراد الاضافة لم يصح لانه يجتمع فيها أداتا (٢٤٢) تعريف وهو الاضافة الى كل من الضميرين ولا يضاف الى شيئين واضافة المصدر محضة الا على قول ضعيف ان اضافة المصـدر الى مرفوعـه أو منصـوبه لفظيـة فيصح ذلك ولا يجتمع أداتا تعريف وقوله لتنطوي بالبناء للفاعـل أو للمفعول والاول أولى اذ يلزم على الثاني الحكم بزيادة ما بخلافه على الاول فهي المفعول والأفلاء خـبر مبتدأ محذوف أي والذي بيننا هـو الافلاء وعلى الثاني هو النائب عن الفاعل وما بيننا أي بيني و بين من وعـدتني الوجناء بازدياره وهو النبي صـلى الله عليـه وسلم والافلاء الصحارى اي لتقطع الناقة الموصوفة المفاوز التي بيننا وفي القاموس الفلاة الصحراء الواسـعة الجمع فـلا وفلوات وفلي" وفلى وجمع الجمع افـلاء وأفلى صار اليها ودخلها (بالوف البطحاء يجفلها النيـل وقد شـف جـوفها الاظماء) ألوف بفتح الهمزة مبالغـة مـن ألف كعلم والبطحاء كالابطح مسيل متسع فيه دقاق الحصى والباء متعلقة

هـذا أفضل القيام فينبغي تحري ذلك والعمـل به وفي الصحيح كان يقوم اذا سمع الصارخ أي الديك وهو يصيح في النصف الثاني و بهذا الحديث المتفق عليه استدل الشافعي على أن وسط الليل أفضـل من آخره وقال مالك بآخره لحديث النزول وانتهاء وتره عليه السلام الى السحر وهو لا يأخذ لنفسـه الكريمة الا ما هو الافضل ولقوله عليه السلام لما سئل أي الدعاء أسمع قال جوف الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبات الحديث رواه أبو داود وغيره ولهذا قال في الرسالة وأفضـل الليل آخره في القيام قال ابن حجر وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان ربما اغتسل في أول الليل وربما اغتسل في آخره وربما أوتر في أول الليل وربما أوتر في آخره وربما جهر في القراءة وربما خافت وعن أم سلمة كان يصلي بنا ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه أبو داود والترمذي والنسائي وفي رواية للنسائي كان يصلي العتمة ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصـلاته تلك الاخيرة تكون الى الصبح وعن عائشة أيضا ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخـل بيتي الا صلى أربع ركعات أو ست ركعات رواه أبو داود اه وفي الحديث أن الاولى تاخير الجماع عن ابتداء النوم ليكون على طهارة وفيه أداء العبادة قبل قضاء الشهوة وفيه أنه ينبغي الاهتمام بالعبادة وعدم التكاسل عنها بالنوم وفيه القيام بالنشاط للطاعة وقد ورد في فضل الصلاة بالليل والثناء على أهلها آيات قال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أي تمكنت عظمته من قلوبهم ومحبته من أرواحهم فآثروا عبادته على نومهـم وقدموا خدمته ورضاه على هوى نفوسهم وراحة أبدانهم وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الآية وورد في ذلك أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليـل ضاء وجهه بالنهار وروى أن أول ما تكلم به عليه السلام في المدينة حـين قدم من مكة أفشوا السـلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وقال عليه السلام شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس وحديث عقد الشيطان على قافية النائم ثلاث عقـد في الصحيح وفي نوم الليل كله تشبه بالكفار لانهم في نومهم كالجيف لا يتحركون ليلهم لذكر الله وفيه أيضا اتلاف نصف العمر في البطالة ولا يجمل بالمؤمن أن يمر عليه النصف من عمره فارغا من ذكر الله تعالى ومما ينسب للامام الشافعي رضي الله عنه

اذا عاش الفتى سـتين حولا * فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يمضي ليس يدري * لغفلتـه يمينا من شمال
وباقي النصف آمال وحرص * وشغل بالمكاسب والعيال
وباقي العمر أسـقام وشيب * وآفات تدل عـلى انتقال
فحب المرء للحيوان ٣ جهـل * وقسمته على هذا التوالي

٣ قوله للحيوان أي الحياة كما في القاموس

بتنطوي أي لتقطع الافلاء التي بيننا بوجناء كثيرة الالف لبطحاء مكة أو لبطحاء بلدنا أو مطلقا لان *قال البطاح مرتعها وهو تجريد من الوجناء الذي هو الانتزاع من أمر ذي صفة أمرا آخر مماثلا له فيها مبالغة لكماله في ذلك الامر كقوله * وبدا للوجود منك كريم * وقوله يجفلها النيـل اي يزعجها و يقلقها نيـل مصر لبطحاء مكة شرفها الله تعالى المألوفة لهـا على الاحتمال

(١) قوله وفيه ضرورة الخ لا يخفى ما في هذه العبارة من السهو

* قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح) اشارة الى تحويل الاسناد ولذا عطف قوله (ونا اسحق بن موسى الانصاري نا معن عن مالك عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس انه أخبره) أي أخبر كريبا (انه) أي ابن عباس (بات عند ميمونة) احدى امهات المؤمنين (وهي خالته) أي فهو محرم لها وقد تقدمت ترجمتها قبيل باب الشرب قال القاضي عياض وقد جاء في بعض روايات الحديث قال ابن عباس بت عند خالتي في ليلة كانت فيها حائضا قال وهذه اللفظة وان لم يصح طريقها فهي حسنة المعنى جدا اذ لم يكن ابن عباس يطلب المبيت في ليلة للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة الى أهله سيما وهو كان في تلك الليلة مراقبا لافعاله صلى الله عليه وسلم ولعله لم ينم أو نام قليلا اه وفي المناوي سبب مبيته كما رواه الحاكم أن المصطفى وعد العباس بذود من الابل فأرسل عبد الله يستنجزه فأدركه المساء فبات عندها اه وفي رواية لمسلم رقدت في بيت ميمونة ليلة كان النبي صلى الله عليه وسلم عندها لانظر كيف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل الحديث (قال فاضطجعت في عرض) بفتح العين على الاصح الاشهر وروى بضمها أي جانب (الوسادة) بكسر الواو والمخدة المعروفة ونقل القاضي عياض وغيره أن المراد بها هنا الفراش لقوله (واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي وأهله كما رواه مسلم (في طولها) وكأنه رضي الله عنه نام تحت رجليه صلى الله عليه وسلم تأدبا وتبركا ولا دليل فيما ذكره ابن حجر على ضعف هذا الاحتمال وفي الحديث حل نوم الرجل وأهله بحضرة محرم لها مميز وفيه أن السنة نوم الرجل مع أهله في فراش واحد للايناس والملاطفة وحسن المعاشرة لا اعتزالها في النوم كما هو عادة بعض الاعاجم والمتكبرين فان ذلك مذموم الا بقصد التأديب لقوله تعالى فعظوهن واهجروهن في المضاجع واختار في لا كمال أن يكون لكل من الزوجين فراش على حدة وانظر وجهه في باب الفراش (فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية الصحيحين فتحدث مع أهله ساعة ثم رقد (حتى اذا انتصف الليل) أي تخمينا وتقريبا ولذلك قال (أو قبله) أي قبل انتصافه (بقليل أو بعده بقليل) الترديد من ابن عباس هذا هو الظاهر (استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم) أي أثره وهو ارخاء الجفون (عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران) في رواية الشيخين فلما كان ثلث الليل الاخير أو بعضه قعد فنظر الى السماء ثم قرأ العشر الآيات أي من قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض وفيه ندب قراءة خصوص هذه الآيات عقب الاستيقاظ لما اشتملت عليه من الآيات والعبر التي يحصل بها النشاط والايقاظ (ثم قام) أي النبي عليه السلام (الى شن) بفتح الشين المعجمة وبالنون المشددة وهي القربة الخلقة (معلق) أي لتبريد الماء أو لحفظه (فتوضأ منها) أنث الشن باعتبار معنى القربة وفي نسخة منه بتذكير الضمير (فأحسن الوضوء) أي أسبغه وأكمله وهذا الوضوء يحتمل أن يكون للتجديد لان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض الوضوء كما تقدم فلا دليل في هذا الحديث على جواز قراءة المحدث حدثا أصغر وان كان مجمعا عليه فضلا عن ندبها خلافا لابن حجر (ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت الى جنبه) في رواية الشيخين فقمت وتوضأت فقمت عن يساره (فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي ثم أخذ باذني اليمنى) قال ابن حجر وضعها عليه أولا ليتمكن من أخذ الاذن أو لانها لم تقع الا عليه أو لتنزل بركتها به ليحفظ جميع أفعاله صلى الله عليه وسلم

الأول لشدة شوقها الى التحلي بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وقوله وقد شسف أي جفف رطوبة بجوفها الاظماء وهي جمع ظمأ وهو ما بين الوردين والشرب بين والمراد انها راضية بما أصابها في طريقها من شدة العطش والمشقة المؤدية الى التلف في جنب ما أملته في تلك الحضرة من مزايا الانعام ولطائف التحف والاكرام

(أنكرت مصر فهي تنفر مالا * ح بناء لعينها أو خلاء) (٢٤٣)

انكارها مصر لاجل الفها البطحاء دون الابنية وتنفر بكسر الفاء وضمها أي تجزع وتتباعد ما ظهر بناء لعينها أو خلاء أي فضاء وفسره الشارح الجوجري بالحشيش الرطب وهو بعيد لمقابلة البناء به

(فأفضت على مباركها بر * كتها فالبويب فالخضراء)

أفضت نشرت وفرقت من الفضيض وهو الماء العذب أو السائل على مباركها وهي جمع مبرك و بركتها بكسر الباء موضع بقرب مصر والبركة في الاصل الحوض ومستنقع الماء أي أفاضت على مبارك تلك الوجناء من الماء العذب ما أرواها وراكبها وغيرهما قال ابن حجر البركة هي أول محل يلي طريق الحجاز يجتمع فيه الحجاج للتأهب لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجتمع فيه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان النيل يأتي اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكانت فضاء صرفا فعمر فيها المتبولي رضي الله تعالى عنه من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن أدركناه يؤم بجامع الازهر أنه اشتهى زيارة أمه بالعجم وهو ثم فاستأذن الشيخ في السفر لذلك فلم يأذن له فدخل الى خلوته والناس يقرؤن القرآن على بابها فرأى نفسه ببلده عند أمه فسلم عليها وأقام عندها أربعة أشهر بعدها بالايام والليالي ثم اشتاق الى الشيخ فرأى نفسه في خلوته فخرج فرأى القراء قد قرؤا في تلك المدة نحو ربع القرآن وهذا من بعض كرامة أولياء الله تعالى أن الله تعالى يطوي لهم الارض و يفسح لهم في الزمان ووقع لهم من نظائر ذلك ما لا يحصى وانكاره اتساع الزمان

القليل دون طي الامكنة تحكم لان كايهما من حيز الكرامة فاذا جاز أحدهما جاز الآخر فتأمله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع أبنية و بساتين ولا زالت تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة انتهى قوله فالبويب بالتصغير موضع بعد البركة والخضراء بفتح الخاء المعجمة وهى قرية بالحل المسمى الآن بعجرود طيب مائه مفقود وطعم الملح فيه موجود وهو حصنان متقاربان مبنيان باوثق بناء و فى أحدهما بئر كبيرة تسقى دائما بالبقر و يخرج الماء من البندر الى ثلاث برك خارجه وفى الحصنين المذكورين عسكر لا يفارقهما أبدا وكذلك غيره من البنادر فى كل سنة يأتى قوم فيذهب الذين كانوا اولهم جراية من بيت المال على ذلك وشان هذه البنادر أن يخزن فيها الطعام على الدوام ليجده الركب فى الذهاب والاياب (فالقباب التى تليها فبئر النخل والركب قائلون رواء) أى فوادى القباب سمى بذلك لا كداس رمل به بيض مرتفعة شبهت بالقباب البيض المرتفعة والتى تليها يعود ضميرها المؤنث على الخضراء و بئر النخل موضع فيه بركة ماء تملأ من بيت المال وماؤها أحسن من الذى قبله ولذلك قال والركب قائلون رواء أى مستريحون عندها وقت القيلولة ورواء بكسر الراء جمع ريان وهذا هو البندر المعروف ببندر النخيل وهو قلعة حصينة فيها بئر نفيسة ثمينة ماؤها عذب بارد يطيب للصادر والوارد لا تنزح أبدا يسقى منها بالبقر الى برك خارج الحصن وهى ثلاثة مثل التى فى عجرود الا ان هذه أعظم منها و يقام الى جانب الحصن سوق كبيرة خيراتها نامية وفيها كثير من الفواكه الشافية بصبى (وغدت ايلة وحقل وقر * خلفها فالمغارة الفيحاء) أى وغدت عقبة ايلة وهى عقبة ذات كؤد صعبة الهبوط والصعود وبندرها حصن حصين فى قرية على شاطىء البحر فى سفح جبل و بها آبار كثيرة وسوق كبير يحضره أهل غزة بانواع الفواكه والنعم والاعراب بالسمن

فى ذلك المقام وغيره (ففتلها) بالفاء العاطفة على صيغة الماضى وفى نسخة يفتلها على صيغة المضارع من باب ضرب فتكون الجملة حالية قال ابن حجر و فى رواية الشيخين فاخذ باذنى فأدارنى عن يمينه وفتلها اما لينبهه على المخالفة للسنة أو ليزداد تيقظه لحفظ تلك الافعال أو ليزيل ما عنده من النعاس لرواية فجعل اذا أغفيت يأخذ بشحمة أذنى (فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين قال معن ست مرات) فتكون صلاته ثنتى عشرة ركعة (ثم أوتر) المتبادر أنه أوتر بواحدة منفصلة عن الشفع بسلام ومن يقول ان الوتر ثلاث لروايته انه أوتر بثلاث يقول معنى قوله ثم أوتر انه ضم ركعة لشفعه الاخير وروايه الشيخين فتمامت صلاته ثلاث عشرة ركعة محتملة للوجهين وقد صح الوصل عن النبى صلى الله عليه وسلم لكن الفصل أكثر وأصح وفى شرح الحصن الحصين روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الوتر بثلاث عشرة واحدى عشرة وتسع وسبع وخمس وثلاث وواحدة قال اسحق بن ابراهيم معنى ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث عشرة انه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر فنسب صلاة الليل الى الوتر وروى فى ذلك حديث عن عائشة واحتج بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أوتروا يا أهل القرآن أى صلوا بالليل اه وفى روايه لمسلم عن ابن عباس فاستيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك و يتوضأ و يقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث الحديث وهذه الرواية يقتضى انه صلى تسع ركعات ونحوه فى رواية النسائى قال ابن حجر ولا تنافى بين هذه الروايات لان فى بعضها زيادة فيعمل بها وان سكتت الرواية الاخرى عنها لان من حفظ حجة على من لم يحفظ وليست الواقعة متعددة حتى يحمل الاختلاف عليها وانما هى واحدة فيجب عند التعارض العمل بالاصح من تلك الروايات وهى روايه الشيخين ثم أحدهما اه وسيأتى حديث عائشة ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة وسيأتى وجه الجمع بين حديثها وحديث ابن عباس رضى الله عنهما (ثم اضطجع) للاستراحة كما تقدم فى الحديث قبله (ثم جاءه المؤذن) للاعلام بدخول الوقت (فقام فصلى ركعتين خفيفتين) أى ركعتى الفجر (ثم خرج فصلى الصبح) رواه الشيخين ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فآذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضأ وفى الحديث من الفوائد ان العمل القليل لا يبطل الصلاة بل قد يسن اذا كان لمصلحة وان الامر بالمعروف مشروع حتى فى الصلاة وجواز صلاة الفرض بوضوء النفل اذا قلنا ان صلاة الليل لم تكن واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وأخذ العالم باذن المتعلم تنبيها على الفهم ولتذكر الفضية ونفى النوم وان صلاة الصبى صحيحة وان المميز كبالغ جماعة وموقفا وجواز النفل جماعة اذا لم يكن الجمع كثيرا ولم يكن المكان مشتهرا وأما احتمال ان ابن عباس كان يصلى وحده اذ ليس فى الحديث انه اقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم وان تحويله يحتمل ان يكون لضيق المكان أو نحو ذلك فبعيد وندب اتيان المؤذن الى الامام ليخرج الى الصلاة وتخفيف سنة الصبح وأن الاولى فى النافلة ان تكون فى البيت سواء فى ذلك أهل المدينة ومكة وغيرهم وسيأتى لهذا ترجمة وقوله كبالغ جماعة مخالف لمذهب مالك قال خليل وندب لمن لم يحصله كمصل

والعسل والنعم وقد ذكر المفسرون أن القرية التى كانت حاضرة البحر هى أيلة و يقال ان وراء الجبل الكبير المشرف على القرية بلدة فيها نخل وماء الا انها خالية وفى هذه العقبة قيل يطريق أيلة أجبل وعقاب * لا ترتجى فيها النجاة عقاب فكأنما الماشى عليها مذنب * وكأنما تلك العقاب عقاب وهى احساء كثيرة فى مضيق بين جبلين فيها النخيل وماؤها طيب عذب خفيف نافع و بين

بصبى * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا وكيع عن شعبة عن أبى جمرة) بالجيم واسمه نصر ابن عمران الضبعى (عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل) أى فيه على حد اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة أو من للابتداء كما قالوا فى نحو صمت من يوم الجمعة ونحو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثلاث عشرة ركعة) تقدمت الرواية الاخرى عن ابن عباس عند مسلم أنه صلى ست ركعات وأوتر بثلاث وتقدم جواب ابن حجر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة) بضم الزاى أوله (ابن أوفى) له صحبة مات فى زمن عثمان بن عفان (عن سعد بن هشام) ابن عامر الانصارى كما فى مسلم (عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم) الجملة مستأنفة للتعليل (اوغلبته عيناه) الظاهر أنه شك من الراوى عن عائشة أو ممن دونه و يحتمل أن تكون أو للتنويع وأن المراد من منع النوم قوة رغبته فيه مع امكان تركه ومن غلبة عينيه أن يغلبه النوم فلا يستطيع دفعه أو بالعكس كذا قيل وكل من احتمالى الشك والتنويع مشكل أما الاول فلانه يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم يغلبه النوم حتى تفوته صلاة الليل وهو مقتضى قضية الوادى حيث فاته صلاة الصبح فما استيقظ حتى حميت الشمس ومقتضى ما يأتى فى باب العراش من قوله صلى الله عليه وسلم رده لحاله الاول فانه منعنى وطاءته صلاتى الليلة لكن قوله لعائشة كما يأتى عند المصنف ان عينى تنامان ولا ينام قلبى جوابا لقولها أتنام قبل أن توتر يقتضى ان النوم لا يغلبه وأما الثانى فلانه يقتضى أنه كان يترك و رده اختيار القوة رغبته فى النوم وهو مناف للقول بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم بناء على أن معنى قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ما قاله ابن عباس وغيره أى زيادة لك فى الفرض وأحسن ما يجاب به عن الاشكال الاول والله تعالى أعلم أن يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قد سلك به مسالك الضعفاء للتشريع فيسهو فى الصلاة و ينام عن و رده وعن صلاة فرضه ليتعلم من نزل به ذلك من أمته كيف يفعل وهو مع ذلك كله غير نائم القلب فكما أن القلب يسهو يقظة لمصلحة التشريع فكذا نوما وأما الجواب عن قضية الوادى بانه كان له حال ينام فيه قلبه لكنه نادر فصادف يوم الوادى أو بان معنى لا ينام قلبه لا يستغرقه النوم حتى لا يحس بالحدث أو بان قلبه اذ ذاك كان مستغرقا بالوحى واستغراقه به لا يستلزم وصفه بالنوم اذ قد كان يستغرق به فى اليقظة أيضا أو بان رؤية الفجر من وظائف البصر وهو ينام بخلاف قلبه صلى الله عليه وسلم فلا يتم لما فى الاول من تخصيص النفى العام وهو قوله لا ينام قلبى الذى خرج جوابا لقولها المذكور وهو تخصيص من غير دليل ولانه يلزم عليه أن نومه صلى الله عليه وسلم قد يكون ناقضا وهو خلاف المعروف ولما فى الثانى من تخصيص النفى العام من غير دليل أيضا ولما فى الثالث من الدعوى بلا دليل أيضا فمن لنا بان الذى منعه من اليقظة فى ذلك الوقت استغراقه بالوحى وأما الرابع فهو وان اختاره ابن حجر العسقلانى وغيره لكن بحث فيه بان رؤية الفجر وان كانت من وظائف البصر لكن كيف لم يشعر قلبه صلى الله عليه وسلم مع يقظته بالوقت مع طول مدته فتأمل ذلك منصفا (صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة) فى صحيح مسلم وغيره عنها بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة أى تداركا لما فاته من التهجد لقوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وفى صحيح مسلم عن عمر رضى

هذا الموضع ودون مسيرة نصف يوم وهى مدينة على ساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه وعلى يسار هذا المنزل مغارة يقال ان فيها كان شعيب عليه السلام يأوى بغنمه و بازائها بئر كبيرة معطلة و بجانبها بركة و يقال ان هنالك كانت البئر التى سقى منها موسى عليه السلام غنم شعيب عليه السلام و فى هذا الوادى دوم طويل كأنه نخل وعريش كثير وفيها جداول الماء الغزير و فى هذا المحل ينشد
قد وصلنا الى مغار شعيب
فرأينا المياه كالانهار
فاستقينا من مائه واشتفينا
وظفرنا بغاية الاوطار
وذكرنا بغاره غار ثور
قد حوى للصديق والمختار
خير من أنزل الاله عليه
ثانى اثنين اذ هما فى الغار
منها جماعة من العلماء منهم عقيل بن خالد و يونس بن يزيد وفى القاموس هى بلد بين ينبع ومصر وحقل محل بعدها وقد قال ابن حجر ليس هذا الاسم مشهورا اليوم عند الناس أى غدت

هذه الاماكن خلف الناقة لكونها جاوزتها والمغارة الفيحاء أى الواسعة هى المنسوبة لنبى الله شعيب عليه السلام (فعيون الاقصاب يتبعها النبك و يتلو كفافة العوجاء) سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب وفيه يقول الشاعر

قد وصلنا لعيون القصب * واستراح القلب بعد النصب وعيون الماء فيها قد جرت * كسيول الغيث بين القصب فجلسنا فى صفاء حولها * وظفرنا عندها بالارب وتشوقنا لشاد مطرب * يتغنى بعيون القصب والنبك بسكون الموحدة جمع

نبكة * قال ابن حجر وهذا أيضا غيرمشهور وفى القاموس النبكة محركة وتسكن أكمة محددة الرأس وربما كانت حمراء وأرض فيها صعود وهبوط أو التل الصغير الجمع نبك ونبك ونباك ونبوك والنبك بلدة بين حمص ودمشق قوله ويتلو أى يتبع النبك كفافة العوجاء أى المنحرفة عن جادة الطريق وبها على (٢٤٦) ساحل البحر قبر ولى يسمى مرزوقا مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه من الليل أو عن شىء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب الله له كأنما قرأه من الليل وفيه استحباب المحافظه على الاوراد وأنها اذا فاتت نقضى لئلا تعتاد النفس بالترك وان وقت القضاء ما بين الفجر والزوال قال ابن حجر وهو بيان لوقته الافضل اه ومقتضى قول المختصر والورد قبل الفرض لنا ثم عنه انه لا يفعل بعد صلاة الصبح بل ولا بعد حل النافلة الا ان يقال اذا جاز فعله فيما بين طلوع الفجر والاسفار ففعله بعد حل النافلة من باب أولى والله أعلم وقد قال المواق فى سنن المهتدين ما نصه هذا الامام ابن عرفة على تعظيمه للمشهور فى المذهب حكى عنه تلميذه الأبى أنه كان يتنفل بعد العصر فقيل له فى ذلك فقال انما أفعله يوم يفوتنى معتادى وحكى عنه أنه قال لآخر لا يأتى من الصلاة الاخير اه فعلى قياس ما فعله ابن عرفة لا باس بقضاء الورد بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس وان كان ذلك خلاف مذهب مالك ويؤيده حديث مسلم المتقدم من نام عن حزبه من الليل الخ وكأن وجه ما فعله ابن عرفة أن التنفل فى ذلك الوقت وان أثبت على تركه على قول فلا يضره فعله على ذلك القول ويؤجر عليه على قول آخر كما قيل بذلك فى الصلاة فى المسجد على الجنازة والله أعلم وفى الموطأ ما من امرئ تكون له صلاة من الليل يغلبه عنها نوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة قال عياض وهذا أتم فى التفضل أى من حديث مسلم لانه حبسه عنه وأثابه اه وليس فعل هذا الورد نهارا بقضاء حقيقة بل هو عبادة يعادل ثوابها ثواب ما فاته أو يقرب منه لانه لا يقضى الا الفرض وقد اختلف المالكية فى ركعتى الفجر هل فعلهما بعد حل النافلة قضاء حقيقة أو لا وهذا ظاهر ان قلنا ان قيام الليل لم يكن واجبا عليه صلى الله عليه وسلم والا كان فعله للورد نهارا قضاء حقيقة والله أعلم وقد ورد عن عائشة أيضا احدى عشرة ركعة وهذه الرواية تقتضى انه فاته الوتر وانه قضاه نهارا وسكتت عن الوتر فى رواية ثنتى عشرة اما لان تداركه معلوم بالاولى أو لانه كان قدم وتره أول الليل ولم يفته هذه المرة والله اعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن العلاء نا ابو اسامة عن هشام يعنى ابن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين) الحكمة فى ذلك رياضة النفس وتنشيطها حتى تستقبل قيام الليل على اتم وجوه الخشوع واكملها وفيه ارشاد الى أن من شرع فى عمل فليكن عمله على التدريج حتى تتعود نفسه بالعمل فيأتى ببقية عمله على الوجه الاكمل وقد قال فى التوضيح الحكمة فى تقديم النوافل على الصلاة ان العبد مشتغل بامور الدنيا فتبعد النفس بذلك عن حضور القلب فاذا تقدمت النافلة على الفريضة أنست النفس بالعبادة وكان ذلك أقرب الى الحضور * قال المصنف (حدثنا قتيبة ابن سعيد عن مالك بن انس ح و نا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن عبد الله بن ابى بكر) اى ابن محمد بن عمرو بن حزم (عن ابيه ان عبد الله بن قيس بن مخرمة اخبره) اى اخبر عبد الله بن ابى بكر (عن زيد ابن خالد الجهنى) نسبة الى قبيلة جهينة (انه قال) اى زيد (لارمقن) من الرمق وهو النظر الى شىء على وجه المراقبة ومزيد التأمل (صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اى زيد (فتوسدت عتبته) هى اسكفة الباب والمعنى جعلت العتبة العالية وسادة لى (اوفسطاطه) اى خباءه قال ابن حجر والظاهر الثانى فان رمق زيد لا يتصور فى الحضر لانه صلى الله عليه وسلم يكون عند نسائه (فصلى رسول الله صلى الله عليه

وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارجان عن الحد (حاورتها الحوراء شوقا فينبوع فرق الينبوع والحوراء) اى حادثت الناقة الحوراء فيما هى بصدده شوقا منها لما الناقة مشتاقة له وسائرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شىء الا يسبح بحمده أى بلسان المقال لا الحال والا فاى فائدة لقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وأحد جبل يحبنا ونحبه والحوراء هى ذات حفائر على ساحل البحر يحيط بها ديس كثير كالقلائد للنحر وفيها قيل

جئنا الى الحوراء وهى محطة فيها الاراك نزاهة للرائى
ناديت خلا قف بها متأملا وانظر لرمل مغمر بالماء
واغنم زمانا مقبلا بسعوده فيه اجتماع الشمل بالحوراء

قوله فينبوع أى حاورتها أيضا وهى بلدة معروفة ورقة الينبوع والحوراء سماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما للزائرين وينبع كينصر هو أول بلاد الحجاز فى الذهاب وآخرها فى الاياب وقد ذكر أهل السير ان النبى صلى الله عليه وسلم وصل اليها فى احدى غزواته وذكر السيد السمهودى ان مسجد القرية التى ينزلها الحاج من المساجد التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم قلت وقفت عليه ويسمى مسجد العشيرة ببطن ينبوع وعنده عين جارية وهناك على التل مزارة لابى الحسن النفاثى وفى ينبوع أيضا قبر الحسن المثلث فوق القرية (لاح بالدهنوين بدر لهاية * دحنين وحنت الصفراء) الدهنوين بفتح الدال تثنية الدهناء قال فى القاموس

موضع أمام ينبع وثناه الناظم ضرورة أو تكثيرا كقول الشاعر * ببطن المكتين لها عجيج * وقول الآخر * تطالبني برامتين سلجما *
وانما هي مكة ورامة أي ظهر فيها بدر وهو الوقعة المكرمة التي أعز الله تعالى فيها الاسلام مشهورة الى الآن تزار ويتبرك بمن دفن فيها من
الشهداء وغيرهم وفيها الآن قرية عامرة بها عين كبيرة ونخيل وعلى ذلك البلد الانوار تلوح ورياض النصر تغدو وتروح وفيها

وسلم ركعتين خفيفتين) هما مقدمة ورد الليل كما تقدم (ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين) كرر هذا الوصف ثلاث مرات اشارة الى أنهما في غاية الطول قال ابن حجر وحكمة ذلك ان أول الدخول في الصلاة يكون النشاط أقوى والخشوع أتم فسن التطويل لوجود مقتضيه ومن ثم سن في الفرض تطويل الركعة الاولى على الثانية وكانت الثانية من الرباعية أطول من الاخيرتين اهـ ومن ثم قال (ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم أوتر) كذا في رواية هذا الكتاب بتكرار ثم صلى ركعتين أربع مرات وكذا هو في رواية مسلم والموطا وسنن أبي داود وجامع الاصول وأفراد الحميدي لمسلم وعلى هذا يدخل الركعتان الخفيفتان تحت ما أجمله بقوله (فذلك ثلاث عشرة ركعة) ويكون الوتر بواحدة ومن ذهب الى أن الوتر ثلاث ثم يعد الركعتين الخفيفتين من الثلاث عشرة ووقع في نسخ المصابيح تكرار ثم صلى ركعتين ثلاث مرات فقال شارحوه الوتر هنا ثلاث ركعات لانه عد ما قبل الوتر عشر ركعات ثم قال فذلك ثلاث عشرة ركعة قال في جمع الوسائل والاول أصح وأصوب رواية ودراية والله أعلم * قال المصنف (حدثنا اسحق ابن موسى نا معن نا مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه) أي أباسلمة (أخبره) أي أباسعيد (انه) أي أباسلمة (سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان) أي لياليه (فقالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة) قد اختلفت الروايات عن عائشة في قدر قيامه صلى الله عليه وسلم قال القرطبي وقد أشكل حديثها حتى نسب الى الاضطراب وانما يتم ذلك لو اتحد الراوي عنها والوقت اهـ قال الأبي عن عياض ما حاصله أنه يجمع بين أحاديثها بأن تكون أخبرت باحدى عشرة عن غالب أمره وباقي الروايات اخبار عما كان يقع منه نادرا وذلك بحسب الحال من ضيق الوقت واتساعه أو تطويل القراءة أو مرض أو نوم أو كبر سن كما قالت فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى سبع ركعات فاختلاف قدر قيامه صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لهذه الاحوال المختلفة ويحتمل أن يكون لقصود مختلفة فقد اشار بعضهم الى ان اختلاف عدد قيامه يحتمل ان يكون راعى فيه عدد ركعات فرض الليل والنهار في بدء الامر وهو عشر ركعات وهي كانت أكثر صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل غالبا على ما جاء في الحديث المتقدم وعددها على ما استقرت عليه الآن وهي سبع عشرة ركعة وهو أكثر ما روي عنه عليه الصلاة والسلام في صلاة الليل وعدد صلاة فرض الليل وهو سبع ان جعلت صلاة الصبح من النهار وهو أقل قيامه وتسع ان جعلت من الليل وقد روي عن عائشة أن التسع أكثر قيامه في أول الامر وعدد صلاة فرض النهار وهو ثمان ركعات أو عشر على الاحتمالين في الصبح أو عدد رواتب صلاة النهار وهي عشر أربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر أو أربع قبل الظهر وأربع بعدها وركعتان قبل العصر اهـ قال الشيخ زروق في شرح الرسالة ومن أحسن ما يجمع به أنه عليه السلام كان له عدد يعتبره بالدورة فاذا أكثر بالنهار قلل بالليل وبالعكس والذي يهدي اليه الاستقراء أنها كانت خمسين ركعة بالفرض والنفل اشارة الى الاصل ففي حديث علي رضي الله عنه كان يصلي من النهار ست عشرة ركعة في الضحى ستا وقبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين

مسجد يسمى مسجد الغمامة وهو موضع العريش يوم الوقعة ببدر على الاصح وفيه يقول الشاعر

يا أهل بدر لقد طابت مآثركم
وقد علا قدركم في أرفع الدرج
فزتم بغفران أوزار وحسن ثنا
على المدى نشره من أطيب الارج
يكفيكم في علاكم قول مادحكم
هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وانظر ما يسمع هنا من صوت الطبل في ابن حجر وابن مرزوق على البردة وغيرهما وضميرها عائد على الناقة وبعد بالبناء على الضم أي بعد بدر حنين وفي نسخة قبل ويقال انه جبل صغير قرب بدر لا حنين الذي لقي فيه النبي صلى الله عليه وسلم هوازن فظفر بهم وهو بين مكة والطائف والصفراء قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر لا يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة وحنت من الحنين وهو الشوق (ونضت بزوة فرابغ فالجحفة عنها ما حاكه الانضاء)

بزوة بالزاي ثم الواو موضع يسمى بقاع البزوى ووجه تسميته بذلك أن هذه الارض في هذه المرحلة كلها تسمى بزوى لما فيها من الضيق والاحديداب وعدم الاستواء وهذا الطرف منها لما اطمأن واتسع وسهل وما ارتفع سمي بالقاع لاجل الاتساع وأضيف الى البزوى لانه بعضها أو مجاورها ونضت خلعت واسناد الخلع اليها والى ما بعده مجاز ورابغ هو واد بين الحرمين الشريفين قرب البحر يأتي اليه السيل من بعيد وتزرع فيه مقاثئ كثيرة ودخن وذرة وهو من أخصب أودية الحجاز ولذلك سمي رابغا من قولهم ربغ القوم في النعيم أي أقاموا فيه

آومن قولهم عيش رابغ أى ناعم آومن قولهم ربيع رابغ اى مخصب وفيه قرية فيها نخيل وابار كثيرة وهنالك بركة كبيرة مبنية مملواة ينتفع الناس بها وهنا ينشد

تجردت لما أن وصلت لرابغ * ولبيت للمولى كما حصل الندا
وقلت الهى عندك الفوز بالغنى * وانى فقير قد أتيت مجردا

والجحفة (٢٤٨) بضم الجيم وسكون الحاء المهملة قال فى القاموس ميقات أهل الشام وكانت به قرية جامعة على اثنين وثلاثين ميلا من مكة وكانت تسمى مهيعة فنزل بها بنو عبيد وهم اخوة عاد وكان أخرجهم العماليق عن يثرب فجاءهم السيل الجحاف فاجتحفهم فسميت الجحفة ولما هاجر الصحابة الى المدينة وجدوها كثيرة الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انقل حماها الى الجحفة فكان اذا مر الطائر بها سقط وضمير عنها يعود على الناقة أى خلعت تلك الاماكن عن الناقة ما حاكه الانضاء أى الثوب الذى نسجها الهزال أى استبشرت لقطعها لتلك الاماكن فما مفعول نضت يقال نضاه من ثوبه جرده وأنضاه هزله شبه الهزال بحائك الثوب والثوب باثر الهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويسترقوته كما يستر الثوب البدن ثم خيل باثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع

(وأرتها الخلاص بئر على * فعقاب السويق فالخلصاء) بئر على هو فاعل أرتها والخلاص مفعوله الثانى أى من التعب وعقاب السويق موضع بعده بقليل والخلصاء قال ابن حجر هو المحل المشهور الآن بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة اهـ وفى القاموس الخلصاء موضع بالدهناء وخليص كزبير حصن بين عسفان وقديد أى أرت الناقة هذه الاماكن النجاة من التعب

(فهى من ماء بئر عسفان أو من * بطن مر ظهران آبة خمصاء) أى فالناقة ظمآنة أى عطشانة خمصاء أى جوعانة من أجل وصولها ماء

وقبل العصر أربعا وحديث ركعتى المغرب والفجر وثلاث عشرة من الليل لا يخفى فتلك ثلاثة وثلاثون وربما نقص من الليل وزاد فى النهار وربما نقص من النهار وزاد فى الليل كما اقتضته أحاديث يطول ذكرها وقد أشار عياض لشىء من هذا فانظره اهـ ويؤخذ مما تقدم الجمع بين رواية عائشة احدى عشرة ركعة ورواية ابن عباس المتقدمة وروايتها أيضا عند مسلم ثلاث عشرة ركعة أو يقال انه عليه السلام كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين فتارة اعتبرتهما من الورد فقالت ثلاث عشرة وتارة لم تعتبرهما لانهما مقصودتان للوضوء أو لحل عقد الشيطان فى حق من يتأسى به عليه السلام اذ لا يصح عقد الشيطان عليه لعصمته لكنه كان يفعل ما يأمر به وان كانت حكمته مقصودة لغيره لتحقيق الحكم واثبات الاقتداء به كما كان يتقى من نفسه ما هو نجس من غيره ليكون أسوة فيه والله أعلم قاله الشيخ زروق فى شرح الرسالة (يصلى أربعا) قيل معنى ذكر الاربع أنه لم يكن يسلم من كل ركعتين وقيل انه لم يجلس الا فى آخر ركعة وقال مالك والاكثر أنه كان يسلم من كل ركعتين ثم اختلفوا فى معنى ذكر الاربع فقيل أراد أنها على صفة واحدة فى التلاوة والتحسين ثم الاربع الثانية مستوية أيضا فى الطول والحسن وان لم تبلغ فى الطول قدر الاولى كما قال زيد ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما وقيل انما خص الاربع بالذكر لانه كان ينام بعد كل أربع نومة وتقدم فى حديث أم سلمة كان يصلى ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام وليس المعنى أنه لم يكن يفصل بينهما بسلام (لا تسأل عن حسنهن وطولهن) يحتمل أن يكون منع السؤال كناية عن العجز عن الجواب ويحتمل أن المعنى أنهن من كمال الطول والحسن فى غاية ظاهرة مغنية عن السؤال نظير قوله تعالى ولا تسئل عن أصحاب الجحيم (ثم يصلى أربعا لا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا) يحتمل بسلام واحد ويحتمل أنه فصل بين شفعه ووتره بالسلام كما تقدم فى قوله يصلى اربعا (قالت عائشة قلت يا رسول الله أتنام قبل ان توتر) قال عياض لما عهدت من أبيها أنه يوتر قبل النوم وكانت صغيرة ليس عندها كبير علم ظنت ان فعل أبيها لا يجوز غيره فاجابها بان (قال يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) والمعنى أن السبب فى تقديم الوتر انما هو خوف غلبة النوم وهو فى ذلك بخلاف الناس لانه صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه وذلك من خصائص الانبياء عليهم السلام وقد تقدم أنه لا منافاة بين هذا وما ورد من نومه صلى الله عليه وسلم عن ورده وعن صلاة فرضه فى قضية الوادى وما اختاره أبو بكر من تقديم الوتر هو اختيار ابن المسيب وفعله عثمان وكان عمر وعلى يؤخران وترهما وهو اختيار مالك وهذا لمن جرت عادته بالقيام وقوى عليه ولم تكن عادته أن تغلبه عيناه ولهذا قال عليه السلام لعمر أخذت بالعزم أى بالقوة ولابى بكر اخذت بالحزم اى بالاحتياط * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى من الليل احدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة) احتمال أن معنى يوتر انه يضم الشفع لواحدة منها بعيد (فاذا فرغ منها) أى من الاحدى عشرة (اضطجع على شقه الايمن) اى للاستراحة ان كان الصبح قريبا او للنوم اذا كان وقت السحر والله أعلم * قال المصنف (حدثنا ابن ابى عمر نا معن عن مالك عن ابن شهاب نحوه ح) كذا فى بعض النسخ بلفظ نحوه مع حاء التحويل وفى بعضها بدونهما وفى بعضها باحدهما فقط * قال المصنف (وحدثنا قتيبة عن مالك عن ابن شهاب

بئر عسفان و بطن مر المشهورة لان العادة أن الحجيج اذا وصل نحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا عن سقي دوابهم واطعامها الى أن يصلوا مكة شرفها الله تعالى وعسفان قرية فيها سوق وآبار متعددة من جملتها البئر التي يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل بها وماؤها حلو غاية شربنا منه تبركا (قرب الزاهر المساجد منها * بخطاها فالبطء منها وحاء) قال في القاموس الزاهر مستقى بين مكة والتنعيم

شهاب نحوه) * قال المصنف (حدثنا هناد نا أبو الاحوص عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل تسع ركعات) اي في بعض الاحيان لا دائما ولا غالبا ولا يخدش في ذلك التعبير بكان لانها لا تقتضي الدوام عند كثير من الائمة الاعلام * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا يحيي بن آدم نا سفيان الثوري عن الاعمش نحوه) اي في بقية الاسناد وفي لفظ الحديث والظاهر أن نحوه هنا بمعنى مثله فلا تفاوت * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة رجل من الانصار عن رجل من بني عبس) قال المصنف في جامعه والنسائي أبو حمزة عندنا طلحة بن زيد قال الحافظ المنذري أبو حمزة الانصاري مولاهم الكوفي وثقه النسائي واحتج به البخاري والرجل شيخه هو صلة بن زفر العبسي الكوفي احتج به الشيخان اه (عن حذيفة بن اليمان) تقدمت ترجمته في باب الازار (انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم من الليل) اي فيه ولفظ احمد والنسائي في ليلة من رمضان (قال) اي حذيفة (فلما دخل) اي أراد الدخول (في الصلاة قال الله أكبر) قيل معناه المبالغة في الوصف أي البالغ المتناهي في الكبرياء والعظمة ولم يرد التفضيل على شيء لانه اجل من ان يفضل على غيره ومن ثم لم يستعمل استعمال اسم التفضيل وقيل المقصود به التفضيل والمفضل عليه محذوف وعليه فقيل المعنى الله أكبر من ان يعرفه غيره لانه تعالى فوق كل ما تطيقه عقولنا لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بامره المتفكرون وقيل العبارة على حذف مضاف اي حق الله أكبر قال صاحب الحلل لما كانت الصلاة أرفع العبادات وحالة العبد فيها مع الله أعظم الحالات والوفاء بما يجب من رعايتها على التحقيق متعذر والله مقبل على المصلي ناظر اليه من غير تمثيل ولا تشبيه وجب من أجل ذلك على المصلي اذا عزم على فعل ركن او فرع منه ان يشهد على نفسه بالتقصير وانه لا قدرة له على الوفاء ببعض ما يجب له وليس من الاذكار ما يشعر بما في قلبه من ذلك الا الله أكبر اي حق الله علي فيما فعلت او افعل اكبر وعملي بالنسبة الى عظيم جلاله أحقر اه (ذو الملكوت) فعلوت من الملك قال في جمع الوسائل اي مالك الملك وصيغة فعلوت للمبالغة والكثرة كما في رحموت ورهبوت وأما ما ورد من قوله ذو الملك والملكوت فيفرق بينهما بان المراد من الاول ظاهر الملك ومن الثاني باطنه كما يعبر عنهما بعالم الغيب والشهادة (والجبروت) فعلوت من الجبر وهو القهر قال تعالى وهو القاهر فوق عباده فسبحان من قهر العباد بالموت وغيره مما قضى به عليهم اه وقال الشيخ زروق العوالم ثلاثة عالم الملك وهو ما شانه ان يدرك بالحس والوهم وعالم الملكوت وهو ما شانه ان يدرك بالعقل والفهم وعالم الجبروت وهو ما شانه ان يدرك بهما لا في الحال بل في ثاني حال كما في الجنة اذ هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اه فالمعنى على الوجه الاول الملك الجبار وعلى الثاني خالق عالمي الملكوت والجبروت والمدبر أمرها والقائم بهما والمتصرف فيهما بسائر أنواع التصرفات التي لا تحيط بها العقول وفسر الجبروت أيضا بالغنى من جبرت الفقير أغنيته ومقتضى القاموس اشتقاقه من التجبر وهو التكبر (والكبرياء) أي الترفع والتنزه عن كل نقص (والعظمة) أي تجاوز القدر عن الاحاطة قاله ابن حجر قال في جمع الوسائل أو الكبرياء عبارة عن كمال الذات والعظمة اشارة الى جمال الصفات اه ولا يجوز أن يتصف بالكبرياء أو العظمة غيره تعالى ففي الحديث

والمساجد جمع مسجد بكسر الجيم وتفتح والمراد مسجد عائشة المعروف بالتنعيم وبينها وبين الزاهر نحو ميلين وسمي مسجد عائشة لانها لما أحرمت بالتنعيم مع أخيها عبد الرحمن بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بني فيه مسجد ونسب اليها وهو أدنى الحل ويسميه الناس العمرة تسمية للشيء باسم ما يقع فيه وضمير منها عائد على الناقة والباء في بخطاها سببية أي لما أحست بالوصول أسرعت فالبطء منها قبل ذلك المكان وحاء أي سرعة في ذلك المكان وفي القاموس الوحا بالقصر الاسراع ويمدو وهنا يحق أن ينشد

قالوا غدا نأتي ديار الحمى
وينزل الركب بمغناهم
وكل من أمسى مشوقا لهم
أصبح مسرورا بلقياهم
قلت ولي ذنب فما حيلتي
بأي وجه أتلقاهم
قالوا فان العفو من شأنهم
لا سيما عمن ترجاهم

(هذه عدة المنازل لا ما عد منها السماك والعواء) أي هذه الاماكن المذكورة هي عدة غالب المنازل بين مصر ومكة لا منازل القمر الثمانية والعشرون المعدود فيها السماك والعواء والسماك بفتح السين وكسرها المراد به الاعزل وهو الذي ينزل به القمر لا الرامح والعواء من منازل القمر خمسة أنجم معلومة (فكأني بها أرحل من مكة شمسا سماؤها البيداء) كان للتشبيه واسمها ضمير المتكلم أي كأني بتلك المنازل المذكورة او الباء بمعنى على والضمير للناقة وعليه اقتصر ابن حجر أرحل من مكة أي اليها وهي البلدة المعروفة زادها الله تعالى تعظيما وشرفا أو الى عرفة

وغيرها من مواضع النسك شمسا وهي الناقة سماؤها أي محل سيرها البيداء قال ابن حجر شبه الناقة بالشمس في ارتفاعها وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق استعارة بالكناية وشبه البيداء التي هي محل سيرها بالسماء التي هي محل سير الشمس بجامع السعة واثبات السماء لها تخييل وذكر الترحيل والبيداء تجريد لملاءمتهما للمشبه الذي هي الناقة وفيه نظر **(٢٥٠)** (موضع البيت مهبط الوحي مأوى الـ

ـرسل حيث الانوار حيث البهاء)

موضع بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ومهبط الوحي بالكسر بدل بعد بدل أو معطوف بحذف العاطف ضرورة وكذا يقال فيما بعده والمراد بالبيت الكعبة أي محل نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جاء به النبي المبعوث عن ربه على لسان الملك أو بالالهام او في النوم او الالقاء في الروع وسمي مكة شرفها الله تعالى مأوى الرسل لانه ما من نبي الا حج البيت كما جاء في حديث واستثناء صالح وهود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام لاشتغالهما بأمر قومهما لم يصح وقوله حيث الانوار لان الله تعالى ينزلها على قلوب الطائفين دائما والبهاء هنا الحسن المعنوي المكنى به عن حصول ملائم النفس من الحكم والمعارف المفاضة على أهل تلك الحضرة المكرمة وحيث ظرف مكان فهو كالذي بعده بدل مما قبله والانوار مبتدأ والخبر محذوف أي منيرة وهكذا أم لنسلم من اضافة حيث الى المفرد وفي ذكر الوحي والرسل والانوار والبهاء مراعاة النظير وكذا الطواف وما بعده فيما يأتي **(حيث فرض الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار والاهداء)** فرض الطواف محله الحج كالعمرة ان أحرم بها وهو للغرباء أفضل من الصلاة النافلة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد في غيره واختلفوا فيه مع الوقوف بعرفات أيهما أفضل فقيل الطواف لانه ملحق بالصلاة يشترط

الصحيح يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما قصمته وأهلكته وفي رواية أدخلته النار وفي أخرى عذبته قال في الاكمال ما حاصله هذا مجاز على عادة العرب يقولون فلان شعاره الزهد والورع ودثاره التقوى ولا يريدون بذلك الثوب الذي هو شعار ودثار وانما يريدون أنه صفته ونعته ووجه هذه الاستعارة أن الرداء والازار هما سترة الانسان اللازمة له فضرب ذلك مثلا لكون الكبرياء والعظمة للباري تعالى أحق وله ألزم وأوجب اهـ وانما جعل الكبرياء رداء والعظمة ازارا ولم يعكس لان العظمة منشأ الكبرياء فهي أسبق بحسب التعقل كما أن الازار قبل الرداء لانه أول ما يلبس قاله شيخنا المحقق في جواب له عن هذا السؤال **(قال)** أي حذيفة **(ثم قرأ البقرة)** أي بعد الفاتحة وانما لم يذكرها الراوي اعتمادا على أن ذلك معروف من عادته صلى الله عليه وسلم **(ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه)** أي قريبا منه وهذا يقتضي انه طول في ركوعه بحيث قرب من سورة البقرة وقد ورد ذلك أيضا في صلاة الكسوف ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يطول في ركوع صلاة الفرض قريبا من السورة والله أعلم **(وكان يقول)** في ركوعه **(سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم)** كرره لافادة التكثير أي يكرر هذه الكلمات في هذا الركوع مع طوله قال ابن حجر وهذا الذكر مطلوب في كل ركوع وأقله مرة وأدنى الكمال فيه ثلاث مرات وأكمله احدى عشرة مرة أخذا من مجموع الاحاديث اهـ ويأتي مذهب مالك **(ثم رفع رأسه)** أي من الركوع **(وكان قيامه)** أي بعد الركوع **(نحوا من ركوعه وكان يقول لربي الحمد لربي الحمد)** كرره أيضا لما تقدم والمستقر من أحواله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد أو ربنا ولك الحمد قال ابن حجر ومن ثم صرحوا بأن ذلك أفضل مما هنا والمعروف عدم تكرار الحمد عند الرفع من الركوع **(ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه)** أي اعتداله من الركوع ويحتمل أن المراد قيامه للقراءة **(وكان يقول)** أي في سجوده **(سبحان ربي الاعلى سبحان ربي الاعلى)** قال ابن مخلص وغيره قال المفسرون لما نزل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزل قوله سبحانه سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اهـ وخص العظيم بالركوع والاعلى بالسجود للمناسبة فان الاعلى أبلغ من العظيم والسجود ابلغ من الركوع فجعل الابلغ للابلغ وقال ابن حجر صح في السجود اقرب ما يكون العبد من ربه اذا كان ساجدا فربما يتوهم الجاهل ان المراد قرب المسافة فاشير الى تنزيهه تعالى عن ذلك بذكر الاعلى ونظيره قول امام الحرمين في قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى انما خص يونس لانه ربما توهم ان قربه في بطن الحوت دون قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وهو فوق السبع السموات ليلة الاسراء وليس كذلك بل قربهما مع ما بينهما من تباعد المكان بالنسبة اليه تعالى على حد سواء لتعاليه تعالى عن المكان والزمان اذهما من جملة المحدثات ووجوده تعالى ازلي قديم لا يتقيد بحادث أي حادث كان اهـ وسبحان منصوب عند النحاة على المصدر كالكفران والعدوان أي اسبح الله سبحانا ومعناه التنزيه والمعنى ابرئك واطهرك من كل نقص وعيب قاله في المشارق وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة قال بعضهم في اسمه القدوس هو المنزه عن كل كمال لغيره لان قولك المنزه عن النقائص بمنزلة قولك الملك ليس بجزار فافهم اهـ

فيه شروطها دون الوقوف وقيل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفات أى معظمه ذلك لان من أدركها أدركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما فى الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهو الاصح والسعى ركن كالطواف والحلق أيضا ركن عند الشافعية ومنهم الناظم ولذلك قال حيث فرضه

ألم تر أن السيف ينقص قدره * اذا قيل هذا السيف خير من العصى

ولم يحد مالك رضى الله عنه فيما يقال فى الركوع والسجود حدا ولا دعاء مخصوصا وهذا معنى قوله فى المدونة لا أعرف قول الناس فى الركوع سبحان ربى العظيم وفى السجود سبحان ربى الاعلى وأنكره قال ابن رشد أى أنكر وجوبه وتعيينه لان تركه احسن من فعله لانه من السنن التى يستحب العمل بها عند الجميع اهـ وفى مسلم عن ابى ذر مرفوعا أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وفيه عن ابن عباس عن جويرية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد ان أضحى وهى جالسة فقال مازلت على الحال التى فارقتك عليها قالت نعم قال النبى صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وفى رواية أنه قال سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته اهـ والتسبيح عبادة سائر الخلق قال الله سبحانه يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض وقال سبحانه وان من شىء الا يسبح بحمده (ثم رفع رأسه فكان ما بين السجدتين نحوا من السجود وكان يقول رب اغفرلى رب اغفرلى) فيه الدعاء بين السجدتين وتقدم ان دعاءه صلى الله عليه وسلم بالمغفرة مع علمه بانه مغفور له ومع انه معصوم من جميع الذنوب اشفاق وتعليم للامة وخوف من مكر الله عز وجل وتواضع منه صلى الله عليه وسلم أو بحسب المقامات يرى مقامه بالامس دون ما ارتقى اليه اليوم فيستغفر الله من مقامه بالامس ومما ورد من دعائه صلى الله عليه وسلم بين السجدتين اللهم اغفرلى وارحمنى واجبرنى واسترنى وارزقنى واعف عنى وعافنى اهـ ويستفاد من هذا الحديث مشروعية التطويل فى الرفع من الركوع وفى الجلوس بين السجدتين كما هو مشروع فى القراءة والركوع والسجود لكن هذا انما وقع نادرا والمتقرر من عادته صلى الله عليه وسلم عدم التطويل فى الاوليين والله أعلم (حتى) غاية لمحذوف اى ولم يزل يطول فى صلاته تلك الليلة حتى (قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الانعام شعبة الذى شك) أى من بين الرواة (فى المائدة والانعام) وفى نسخة اوالانعام والمراد انه صلى فى كل ركعة بسورة من هذه السور الاربع كما بينه ابو داود فى روايته فانه قال بعد رب اغفرلى فصلى اربع ركعات قرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام شعبة الخ لكن الذى فى النسائى انه قرأ السور الاول الثلاث فى ركعة ولفظه عن حذيفة انه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء فى ركعة وكان اذا مر بآية فيها التسبيح سبح اوسؤال سأل اوتعوذ تعوذ ثم ركع نحوا مما قام ثم قام نحوا مما ركع ثم سجد نحوا مما قام اهـ فيحتمل انه قرأ المائدة والانعام فى ركعة اخرى ويحتمل انه قرأ بغيرهما وظاهر رواية مسلم كالنسائى انه قرأ الثلاث ايضا فى ركعة ولفظه عن حذيفة قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح سورة النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سئل واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربى العظيم وكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربى

وأما رمى الجمار جمع جمرة فواجب لاركن وقوله والاهداء أى سوق الهدى وبعثه الى مكة ليذبح ويفرق على مساكين الحرم والغرباء وهو سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله الى مكة من المدينة وهو مقيم ويصح أن يريد بالاهداء كل دم وجب فى النسك اثم بسببه كالحلق تعديا أم لا كالمتمتع

(حبذا حبذا معاهد منها لم يغير آياتهن البلاء) حبذا فعل مدح بمعنى نعم ومحل شرحها كتب العربية وفى القاموس حبذا الامر أى هو حبيب جعل حب وذا كشىء واحد وهو اسم وما بعده مرفوع به وذا لازم حب وجرى كالمثل والمعاهد جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل تارة والعزم أخرى فهو وان فارقها بجسمه مقيم فيها بقلبه ولبه وضميرمنها عائد على مكة شرفها الله

تعالى أى حبذا معاهد من مكة امتازت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وبالحرم كمنى ومزدلفة وخارجه كعرفات وقوله لم يغير آثارهن وفى نسخة آياتهن أى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن بالازدحام على التبرك بهن وزيارتهن والقيام بحقوقهن والبلاء بفتح الباء المراد به طول المدة الذى من شأنه أن يغير الاشياء عما هى عليه وقد صانها الله تعالى من التغيير بحرمتها عنده وفضلها ويستمر لهذه الامة التمتع بعبادتها الى آخر الدهر ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى على الكعبة أنشد

قلت للقلب اذترا آ لعيني * رسم دارلهم وهاج اشتياقي هذه دارهم وأنت محب * مااحتباس الدموع فى الآماق

حل عقد الدموع واحلل رباها * واهجر النوم واقض حق الفراق فالمغانى للصب فيهامعان * فهى تدعى مصارع العشاق

(حرم آمن و بيت حرام * ومقام فيه المقام تلاء) أى مكان محرم بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة المراد به انه أظهر حرمتها التى كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن فى مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأى قوم قالوا به ولم ينظروا الى انكار الجمهور له كذا قال ابن حجر والظاهر أنه بدل من معاهد وقوله آمن أى يأمن من فيه من شن الغارات واستباحة المحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فى الجاهلية فيه فلا يعرض له ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم أبرهة فيه فلم يصبه من رمى الابابيل شىء حتى خرج منه ولذا قيل

ياجيره حلوا بوادى منى أضرمتم فى القلب منكم جمار
انتم كرام ياعريب النقا وجاركم من كل جور مجار

قوله و بيت حرام أى ذو حرمة قال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والمقام بفتح الميم هو مقام ابراهيم وهو الحجر الذى أنزل الله تعالى لابراهيم وكرمه عليه السلام من الجنة ليقوم عليه عند بناء الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى ان يضع الحجر فى موضعه ثم يقصر به الى ان يتناول الحجر من اسمعيل عليهما السلام وفيه أثر قدمى ابراهيم عليه السلام وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة ياايها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فأجابوه فى أصلاب آبائهم وأرحام امهاتهم لبيك وفى رواية انه نادى بذلك على

الاعلى وكان سجوده قريبا من قيامه وفى حديث جرير من الزيادة وقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد اه وقد علمت بهذا معارضة رواية النسائى ومسلم معرواية أبى داود والمصنف فاما ان يحمل على تعدد الواقعة او يقال ان فى رواية الترمذى وأبى داود وهما والصواب رواية مسلم والنسائى قال فى جمع الوسائل نقلا عن غيره ويؤيده اتحاد المخرج وهو صلة بن زفر ولعل البخارى لاجل هذا الاختلاف والاضطراب لم يخرجه فى صحيحه أصلا اه وعلى كل حال فليس فى هذا الحديث بيان كم صلى فى هذه الليلة ونسب ابن حجر حديث مسلم المتقدم للشيخين وهو وهم انما هو لمسلم ولم يخرجه البخارى أصلا كما تقدم ونسبه فى جمع الوسائل للنسائى وهو وهم أيضا لان رواية النسائى مخالفة لرواية مسلم كما قد علمت وقد ظهر لك أيضا مما تقدم ان ظاهر رواية مسلم انه قرأ السور الثلاث الاول فى ركعة لا انه قرأ الكل فى ركعة خلافا لما وقع فى ابن حجر * قال المصنف (حدثنا ابو بكر محمد بن نافع البصرى) قيل هذا مجهول لانه لم يوجد فى كتب الرجال فلعله محمد بن واسع البصرى (نا عبد الصمد بن عبد الوارث عن اسمعيل بن مسلم العبدى عن ابى المتوكل) اسمه على بن داود أو ابن دؤد بضم الدال بعده واو بهمزة (عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة) أى احيا ليلة كلها بقراءة آية واحدة فى صلاة الليل يدل على ذلك ما رواه ابو عبيد فى فضائل القرآن على ابى ذر رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى فقرأ آية واحدة الليل كله حتى أصبح بها يقوم وبها يركع وبها يسجد فقال القوم لابى ذر أية آية هى فقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال ابن حجر ولا ينافيه حديث مسلم انى نهيت ان أقرأ القرآن راكعا اوساجدا لاحتمال أن هذا النهى كان بعد تلك الليلة اه قال فى جمع الوسائل أو لبيان الجواز اشارة الى ان النهى تنزيهى ويمكن أن يقال المعنى كان يركع و يسجد بمقتضى الآية وما يتعلق بمعناها بان يقول فيهما سبحان ربى العزيز الحكيم اللهم اغفر لنا ولا تعذبنا أو ارحم أمتى ولا تعذبهم فانهم عبادك واغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ونحو ذلك والله أعلم اه واحتمال انه كررها فى ركعة واحدة الى ان طلع الفجر بعيد وقد ورد النهى عن البتراء فلا يحمل الحديث عليها والآية فى الكفار وفى قوله فانهم عبادك اشارة الى انهم مما ليكه وهو مالكهم فله ان يتصرف فيهم كيف شاء لا اعتراض عليه وقال البيضاوى فى قوله فانهم عبادك تنبيه على أنهم استحقوا التعذيب لانهم عباده وقد عبدوا غيره وفى قوله وان تغفر لهم اشارة الى أن غفران الشرك ليس ممتنعا لذاته بل بمقتضى الوعيد فلذلك لم يمنع الترديد والتعليق بان قال التفتازانى وذكر المغفرة يوهم ان الفاصلة الغفور الرحيم لكن يعرف بعد التأمل ان الواجب العزيز الحكيم لانه لا يغفر لمن يستحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه وهو العزيز أى الغالب ثم وجب ان يوصف بالحكيم على سبيل الاحتراس لئلا يتوهم انه خارج عن الحكمة اه وقيل المعنى فى قوله فانك أنت العزيز فأنت الذى لا ينقص من عزه شىء بترك العقوبة والانتقام ممن عصاه الحكيم فى كل ما يفعله من العذاب والمغفرة اه قال ابن حجر وغيره وانما داوم صلى الله عليه وسلم على تكريرها من هول ما ابتدأت به من العذاب مما أوجب اشتعال نار الخوف فى الجوف ومن حلاوة ما ختمت به من الغفران مما اقتضى الطرب والسرور فى الجنان اه و يستفاد من هذه الآية أن المطلوب من العاملين الاعتماد على فضله تعالى

وكرمه لا على العمل لان مقتضى عدله تعالى أن يفعل مايشاء ولا يبالى بأعمال العاملين ولذلك قال في الحكم إلهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالني منها فضلك كما يستفاد من الآية أيضا ان المطلوب من الغافلين عدم اليأس من رحمة أرحم الراحمين والحاصل ان المطلوب من كل أحد أن يجمع بين الخوف والرجاء اذ لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

* قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا سليمان بن حرب نا شعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله) أي ابن مسعود (قال صليت ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء) بالاضافة وعدمها وفتح السين وضمها وهو بالفتح مصدر وبالضم اسم وشاعت الاضافة في المفتوح قاله في الصحاح وقد قرئ بالوجهين عليهم دائرة السوء والباء للتعدية والمعنى قصدت أمرا سيئا (قيل له وما هممت به قال هممت أن أقعد) أي أصلى قاعدا (وأدع النبي صلى الله عليه وسلم) أي اتركه يصلى قائما قال الكرماني في شرحه للبخاري فان قلت القعود جائز في النفل مع القدرة على القيام فما معنى السوء قلت من جهة ترك الأدب وصورة المخالفة اهـ فانما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو معنى أقعد الخ لا أصلى معه بعد ذلك الشفع واتركه يصلى وحده أو المراد أقطع القدوة وأتم صلاتي منفردا ولا شك ان ترك الاقتداء به والحرمان من مداومة جماعته أمر سوء واحتمال ان المراد يقطع صلاته لا يليق بجلالة ابن مسعود وعلى كل فتسمية ذلك سوأ يدل على ان خلاف الأئمة سوء وقد قال صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به قال في الاكمال وفيه حجة لمن يرى أن طول القيام أفضل وتقدم حديث مسلم عن حذيفة وهو يدل على ذلك أيضا

* قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جرير عن الأعمش نحوه) أي اسنادا وحديثا

* قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري نا معن نا مالك عن أبي النضر عن أبي سلمة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى جالسا فيقرأ وهو جالس فاذا بقي من قراءته) أي مقروئه (قدر ما يكون ثلاثين) أي مقدار ثلاثين وفيه اشارة الى ان الذي كان يقرؤه قبل أن يقوم أكثر لان البقية تطلق في الغالب على الاقل (أو أربعين آية) يحتمل أن يكون شكا من الراوي عن عائشة أو ممن دونه ويحتمل ان يكون من كلام عائشة اشارة الى ان ماذكرته مبنى على التخمين تحرزا عن الكذب أو اشارة الى التنويع بان يقوم تارة اذا بقي ثلاثون وتارة اذا بقي أربعون (قام فقرأ وهو قائم ثم ركع وسجد ثم صنع في الركعة الثانية مثل ذلك) كذا في صحيح مسلم وفيه أيضا عن عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في شيء من صلاة الليل جالسا حتى اذا كبر قرأ جالسا حتى اذا بقي عليه من السورة ثلاثون أو أربعون آية قام فقرأهن ثم ركع اهـ فهذه الرواية تبين أنه انما كان يقرأ جالسا للمشقة التى لحقته في آخر أمره وما كان صلى الله عليه وسلم ليدع الافضل الا لعذر وقد ورد ان صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فحمله ابن الماجشون على المتنفل من جلوس لغير عذر وأما للعذر فاجره غير ناقص لكن في صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمرو قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة قال فأتيته فوجدته يصلى جالسا فوضعت يدي على رأسه فقال مالك يا عبد الله بن عمرو قلت حدثت يا رسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة وأنت تصلى قاعدا قال أجل ولكنني لست كأحد منكم فقال

الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى مرتين واختلف هل موضعه الموجود فيه هو الذي كان فيه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاصح أولا وانما كان عند باب الكعبة وجعله عمر في موضعه الذي هو فيه الآن قولان ومن الغريب ماقيل المراد بالحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل فوجده غائبا فسأل زوجته عن حالهم فشكت اليه فقال مري زوجك فليغير عتبة بابه فجاء فأخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج أخرى فوجده غائبا فسأل زوجته أيضا فاثنت خيرا ثم أمرته بالنزول لتطعمه فابى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدمه الشريف وأمال لها رأسه فغاصت قدمه ثم حولته فغاصت فيه الاخرى ثم قال لها مري زوجك فليلزم عتبة بابه وضمير فيه عائد على الحرم أو البيت لا المقام وهو نظير ومن دخله كان آمنا لان المفسرين صرحوا بان ضمير دخله عائد على حرم مكة وهو معطوف على مقام ابراهيم الذي هو عطف بيان من آيات بينات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى غيرهما دلالة على تكاثر الآيات قيل ومعنى ومن دخله كان آمنا أي من النار لقوله عليه الصلاة والسلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه الصلاة والسلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام والمقام بضم الميم ويجوز الفتح أي الاقامة أو موضع القيام وتلاء بفتح المثناة الفوقية أي ذمة وجوار وكان أخذ هذا من ان أهل مكة شرفها الله تعالى يسمون جيران الله تعالى لتنزل الرحمات واقالة العثرات وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق وكذا بين مقام والمقام ومايأتي من قضينا والقضاء ورمينا ورماء وينشر ونشر وشمت وشممت وقباب وقباء

ورحضتها والرحضاء وحططنا ويحط وقرأنا والاقراء وسمحنا ويسمح وذهلنا وأذهل (فقضينا بها مناسك لا يحمد الا فى فعلهن القضاء) أى أدينا اذ القضاء يطلق لغة على الاداء كما فى قضيت الدين وضمير بها عائد على مكة وما ينسب اليها كعرفات ومزدلفة ومنى والمناسك جمع منسك من النسك وهى العبادة أى متعبدات الحج والعمرة من ركن وواجب ومندوب وقوله لا يحمد الا فى فعلهن القضاء أى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا بخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبتكفير تباعته على خلاف فيه وبكونه أشعث أغبر ممنوعا من مألوفاته مفارقا لاهله ووطنه ولا يرفع قدما ولا يضعها الا كتب الله تعالى له من الثواب ما لا يحيط به غيره وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واختار القرطبى وابن بزيزة وغيرهما ان ذلك يتضمن الكبائر والصغائر وقال عليه الصلاة والسلام العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قال المازرى أى لا يقصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولا بد أن يبلغ به ادخاله الجنة وقال عليه الصلاة والسلام تابعوا بين الحج والعمرة فان متابعة ما بينهما تزيد فى العمر والرزق وتنفى الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد وقال عليه الصلاة والسلام من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت ما أتاه عبد يسال الله دنيا الا اعطاه منها ولا آخرة الا ادخره له منها وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص انه عليه الصلاة والسلام قال له اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله وقال عليه الصلاة والسلام الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان تشفعوا اشفعوا الى غير ذلك من فضائل الحج المبرور الحاملة على تجشم المشاق اليه مع الابتهاج

عياض فى الاكمال يعنى لست كاحدكم فى السلامة من العذر لانه انما فعله للمشقة التى لحقته فى آخر عمره لكبر سنه ويحتمل ان يريد لست كاحدكم فى الحكم بل أجرى قاعدا كاجرى قائما ويكون هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد خص باشياء وهذا مذهبنا والاول باطل لانه لا تبقى معه خصوصية له لان غيره من ذوى الاعذار أجره كامل اه فظاهره انه كان يصلى جالسا لغير عذر وان صلاته قاعدا كصلاته قائما خصوصية له عليه السلام قلت والظاهر والله أعلم هو الاحتمال الاول وان معنى لست كاحد منكم انه لا يتصور منه ان يصلى جالسا كسلا ومللا كما يتصور من غيره وانما يصلى جالسا لعذر بخلاف غيره فتارة وتارة فقوله والاول باطل لانه لا تبقى معه خصوصية غير مسلم وفى الحديث صحة تنفل القادر قاعدا وهو اجماع وبعض النفل قاعدا وبعضه قائما وبعض الركعة قاعدا وبعضها قائما وجعل بعض قراءة النفل فى القيام وبعضها فى القعود فى كل ذلك وفيه رد على من اشترط على من افتتح النافلة قاعدا أن يركع قاعدا أو قائما أن يركع قائما وهو محكى عن أشهب وبعض الحنفية تمسكا بحديث عبد الله بن شقيق عن عائشة وهو المشار اليه بقوله (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم أنا خالد الحذاء) بتشديد المعجمة (عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى عن كيفيتها (عن تطوّعه) اى بالليل والجار والمجرور بدل من قوله عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى قوله تطوعه اشعار بان صلاة الليل لم تكن فرضا عليه حينئذ (فقالت كان يصلى ليلا طويلا) أى زمنا طويلا فطويلا صفة لقوله ليلا (قائما) حال (وليلا طويلا قاعدا) اى زمنا طويلا من الليل حال كونه قاعدا وليس المراد انه كان يطول فى صلاته (فاذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم) هذا والله أعلم يصدق بما اذا كانت القراءة كلها من قيام وبما اذا ابتدأها جالسا وأتمها قائما كما فى الحديث قبل (واذا قرأ) اى أتى بجميع القراءة (وهو جالس ركع وسجد وهو جالس) وعلى هذا فلا ينافى الرواية قبله ولا دليل فيه لما قاله أشهب وبعض الحنفية لكن فى بعض طرق هذا الحديث فى صحيح مسلم فاذا افتتح الصلاة قائما ركع قائما واذا افتتح الصلاة قاعدا ركع قاعدا فيحمل اذن على انه صلى الله عليه وسلم كان له أحوال مختلفة فكان مرة يفتتح قاعدا ويتم قراءته قاعدا ويركع قاعدا ومرة يفتتح قاعدا ويقرأ بعض قراءته قاعدا وبعضها قائما ويركع قائما وقد جاء فى صحيح مسلم عن عائشة أيضا انه كان يفتتح قاعدا ويقرأ قاعدا ثم يقوم فيركع وأما ركوعه من جلوس بعد القراءة من قيام فلم نقف عليه * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصارى نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن المطلب عن أبى وداعة السهمى عن حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى سبحته) بضم السين وسكون الموحدة أى فى نافلته (قاعدا) وسميت النافلة سبحة لاشتمالها على التسبيح ولم يسم الفرض بالسبحة مع اشتماله على التسبيح أيضا لان التسبيح فى الصلاة نفلا كانت او فرضا نفل فأشبه النفل فى كونه غير واجب على أن المناسبة فى وجه التسمية لا تشترط عند المحققين وعلى اشتراطها فلا يشترط اطرادها ولا انعكاسها وزاد مسلم من هذا الوجه فى اول هذا الحديث ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلى فى سبحته قاعدا الحديث (ويقرأ بالسورة

والسرور * قال محمد بن ياسر قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم و بين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فانتم جيران البيت فقلت أنت من اين جئت قال من مسيرة خمس سنوات خرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت هذه والله هي الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فضحك وقال زر من هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار

بالسورة ويرتلها) أي تبيين حروفها وحركاتها وسكناتها (حتى تكون اطول من اطول منها) أي حتى تكون السورة التي يرتلها اطول من سورة هي اطول من تلك السورة المرتلة حال كونها غير مرتلة * قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني نا الحجاج بن محمد عن ابن جريج قال اخبرني عثمان بن ابي سليمان أن اباسلمة بن عبد الرحمن اخبره) اي عثمان (ان عائشة اخبرته) اي اباسلمة (ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى كان اكثر صلاته) اي نافلته لقول ام سلمة في حديثها الا المكتوبة انظر المناوي (وهو جالس) اي حتى وجد اكثر نافلته حال جلوسه فكان تامة قاله ابن حجر قال وزعم انها ناقصة وان الواو زائدة وجملة وهو جالس خبرها تكلف بعيد لا يعول عليه اه وفي مسلم عن عائشة قالت لما بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا ومعنى بدن أسن وتقدم حديث مسلم عن حفصة ثم اشار المصنف الى احاديث رواتب الصلوات فقال (حدثنا احمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر) ليس المراد بالمعية هنا انه صلى الركعتين مع النبي صلى الله عليه وسلم جماعة وانما المراد انه صلاهما كما صلاهما النبي صلى الله عليه وسلم (وركعتين بعدها) اي الظهر وفي نسخة بعدهما بضمير التثنية اي الظهر والركعتين قبلها (وركعتين بعد المغرب في بيته) ابن حجر يحتمل رجوعه للثلاثة قبله ولسنة المغرب فقط اه وجزم العراقي بالاول ويؤيده ما في مسلم عن عائشة قالت كان يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ويصلي بالناس العشاء ويدخل في بيته فيصلي ركعتين الحديث وجزم صاحب المدخل بالثاني وعلله بأن ذلك شفقة على الاهل لان الشخص قد يكون صائما فينتظره اهله واولاده للعشاء ويتشوفون الى مجيئه فلا يطول عليهم وقد نقل كلامه الحطاب ويؤيده ما في مسلم عن ابن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين وبعد المغرب سجدتين وبعد العشاء سجدتين وبعد الجمعة سجدتين فاما المغرب والعشاء والجمعة فصليناها مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته اه ويؤيده أيضا قوله هنا (وركعتين بعد العشاء في بيته) حيث فصله عما قبله وقد قال في الاكمال رجح النخعي وأبو عبيدة ايقاع الرواتب في البيوت لفعله صلى الله عليه وسلم ذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم صلاة أحدكم في بيته افضل الا المكتوبة ولئلا تخلو البيوت من الصلاة ولئلا يختلط أمرها فيعتقد أنها من الفرائض ورجح غيرهما ايقاعها في المسجد وقال مالك والثوري صلاة النهار بالمسجد وصلاة الليل بالبيت قال الابي ووجهه ابن رشد بانه بالنهار يشتغل باله باهله قال فان أمن فبالبيت افضل وسمع ابن القاسم تنفل الغريب بمسجده صلى الله عليه وسلم أحب الى ابن رشد لان الغريب لا يعرف وغيره يعرف وعمل السر أفضل اه وقال الحطاب قال في المدخل في آداب طالب العلم ينبغي أن يشدد يده على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تبعا للفرض قبله او بعده فاظهارها في المسجد أفضل من فعلها في بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل عدا موضعين كان لا يفعلهما الا في بيته بعد الجمعة وبعد المغرب ثم وجه ذلك بما تقدم فانظره * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم نا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال وحدثتني) قيل الواو

لا يمنعنك بعد من زيارته ان المحب لمن يهواه زوّار قال النسفي واعلم ان العبادة شرعت اما للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم واما بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجرة البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على اعتياده ولا يأكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ما سعى في معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران وكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيآت بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال أنموذج لدار السلام التي من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال غير أن الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما أن الكعبة خصت بمتالف البادية فرحبا بمن جاور زمها لك

البوادى مسوقا الى اللقاء يوم التنادى ﴿تنبيه﴾ قال بعض محققى المتأخرين لا يتصور القضاء فى الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضييعه بنحو خوف عطب أو مال او موت لا يقتضى انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الاعلى الوجه الضعيف فى نظيره فى صلاة (٢٥٦) يضيق عليه فعلها فى الوقت ثم بان خلاف ما ظنه أنها تصير قضاء وان فعلت فى الوقت

عاطفة على محذوف أى حدثنى غير حفصة وحدثتنى (حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين) يعنى ركعتى الفجر (حين يطلع الفجر وينادى المنادى) أى يؤذن المؤذن (قال أيوب أراه) بضم الهمزة اى اظن نافعا (قال) أى بعد قوله ركعتين (خفيفتين) قد صح تخفيفهما من طرق فى الصحيحين وغيرهما وفى مسلم عن عائشة أنها كانت تقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتى الفجر فيخفف حتى انى لاقول هل قرأ فيهما بام القرآن قال القرطبى هذا كناية عن التخفيف لا أنها شكت هل قرأ أم لا قال فى الاكمال فيه حجة لمالك والجمهور أن من سنتهما التخفيف وظاهر الحديث الاقتصار فيهما على الفاتحة وهو اختيار مالك وجمهور أصحابه وعنه وعن أحمد والشافعى استحسان القراءة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد على ما جاء فى حديث أبى هريرة عند مسلم وصح نعم السورتان يقرأ بهما فى ركعتى الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد واجاز الثورى والحسن وابو حنيفة لمن فاته حزبه من الليل أن يقرأه فيهما وان طال وفى مسلم من حديث ابن عباس انه كان يقرأ فى الاولى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية التى فى البقرة وفى الآخرة منهما آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وعنه ايضا انه كان يقرأ فى الثانية قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية اه قال ابن حجر وروى أبو داود انه قرأ فى الثانية ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وانا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم اه وحكى الطحاوى عن قوم انه لا قراءة فيهما جملة قال فى جمع الوسائل من القواعد المقررة أن قراءة سورة قصيرة افضل من آيات كثيرة لكن يستحب ان يعمل بكل حديث ولو مرة فيؤتى بكل ما وردوأما الجمع بين الآيات الواردة فى ركعتيه على ما اختاره ابن حجر تبعا للنووى فى استحباب الجمع بين قوله ظلما كثيرا وظلما كبيرا فهو ظاهر الدفع اذ الوارد كل منهما على حدة لا كلها مجتمعة اه وهل ركعتا الفجر من السنن أو من الرغائب قولا وفى صحيح مسلم عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها وقال لهما أحب الى من الدنيا جميعا وفيه أيضا عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن على شئ من النوافل اشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح قال فى الاكمال فيه حجة للكافة وكبار اصحاب مالك أنها سنة وصلاته لهما يوم الوادى يدل على تأكيدهما وفى الحديث انهما المراد بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود وعن مالك انهما من الرغائب لقوله هما من النفل ولم يقل من السنن ولكن ما سوى الفرض يسمى نفلا ويتنوع الى سنة وفضيلة ومستحب ومرغب فيه وأوجبهما الحسن * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا مروان بن معاوية الفزارى) بفتح الفاء وتخفيف الزاى (عن عبد الله بن برقان) بضم الموحدة (عن ميمون) الصرف (ابن مهران) بكسر الميم ويضم (عن ابن عمر قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى ركعات ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب) قال ابن حجر ويندب الوصل بينهما وبين الفرض لخبر رزين من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم أى بغير الذكر الوارد كما هو ظاهر رفعت صلاته فى عليين (وركعتين بعد العشاء قال ابن عمر وحدثتنى حفصة بركعتى الغداة ولم أكن أراهما) أى أبصرهما (من النبى صلى الله عليه وسلم) أى لانه لم يكن يصليهما الا فى البيت وفى رواية البخارى وكانت ساعة لا أدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فيها ثم رواية المصنف فى هذا الكتاب أن

وليس كذلك بل المعتمد خلافا فالكثير انها أداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضاء ما فعل خارج الوقت المقدر له شرعا كذا فى ابن حجر وهو مبنى على مذهبه ومذهب المالكية ما أشار اليه فى المختصر بقوله وفى فوريته وتراخيه لخوف الفوات خلاف ابن عرفة وعلى فوره فى كونه بعد أول عام مستطيعه قضاء أو أداء قولا ابن القصار وغيره (ورمينا بها الفجاج الى طيبة والسير بالمطايا رماء) ضمير بها يعود على الناقة التى هى ألوف النطحاء والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين والمراد هنا الطريق مطلقا وطيبة هى المدينة المشرفة بسا كنها عليه أزكى الصلاة والسلام وعلى كل مؤمن بها بعده سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله فجعلها دار هجرته ومحل نصرته ومكان تربته ولذا قيل لطيبة عرج ان بين قبابها * حبيب لا دواء القلوب طبيب

اذا لم تطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين تطيب وقول الآخر وهو العلامة سيدى عبد المجيد المنالى ابن رحمه الله قرب الحبيب ووصله محيانا * وبه ننال مرامنا ومنانا دل الانام على الهدى فهو الذى * عرفت به عرفاتنا ومنانا وقوله أيضا من قصيدته الطويلة فبطيبة طابت قلوب ذوى النهى * والطيبون لطيبة كم زاروا من لم يطب فى طيبة فهو الذى * فى خيبة ذهبت له الاعمار والمطايا جمع مطية وهى الدابة تمطو فى سيرها أى تجد وتسرع ورماء بكسر الراء مصدر راميته أى يشبه سير السهم

اذا رمي به فهي كالقوس (فاصبنا عن قوسها غرض القر * ب ونعم الخبيئة الكوماء) الغرض بفتح المعجمة والراء قرطاس الضرب وهدفه والمراد بالقرب القرب من المدينة المشرفة التي هي محل الحبيب المشبهة بالغرض في كونها المقصود بالرمي والسير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح وقوله ونعم الخبيئة أي الذخيرة الكوماء

ابن عمر لم يره يصليهما منافية كما قال ابن حجر لروايته ورواية النسائي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا كان يقرأ بهما فيهما أي سورتي الكافرون والاخلاص في ركعتي الفجر ومن ثم استدل به بعضهم على الجهر بالقراءة فيهما وأجيب بانه لا حجة فيه لاحتمال أنه عرف ذلك بقراءته بعض السورة على انه صح عن عائشة أنه كان يسر فيهما بالقراءة والاسرار هو مشهور مذهب مالك قال في جمع الوسائل ويمكن أن يجاب بانه لم يكن يره قبل ان تحدثه حفصة كما يشير اليه قوله رمقت والله أعلم * قال المصنف (حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف نا بشر بن المفضل عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وقبل الفجر ركعتين) اعلم أن من الصلوات ما يتنفل قبله وبعده وهي الظهر والعشاء ومنها ما يتنفل قبله لا بعده وهي الصبح والعصر ومنها ما يتنفل بعده لا قبله وهي المغرب ولم يذكر المصنف التنفل قبل العشاء لانه كما قال الشيخ زروق لم يرد فيه شيء معين لكن قوله عليه الصلاة والسلام بين كل أذانين صلاة والحديث في مسلم والمراد بالاذانين الاذان والاقامة والمغرب مستثناة من ذلك على المشهور ولم تذكر عائشة ولا ابن عمر هنا راتبة للعصر وسيأتي في حديث علي رضي الله عنه وقبل العصر أربعا قال الشيخ زروق في شرح الرسالة اختلف في العصر هل لها راتبة أم لا وقد صحح ابن حبان من طريق ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرأ صلى أربعا قبل العصر وذكره في الموطأ والله أعلم انتهى وفي الاكمال لم يأت في حديث الام التنفل قبل العصر وجاء في المصنفات في حديث ابن عمر حض على أربع قبل العصر وفي حديث علي ركعتين فمن شيوخنا من اختار الاخذ بحديث الاربع ومنهم من اختار الاخذ بحديث الركعتين وقال الحسن وابن المسيب والنخعي لا راتبة قبل العصر وحكاه العبدي من شيوخنا العراقيين عن المذهب اه وكما وقع الاختلاف في عدد راتبة العصر وقع في راتبتي الظهر فقد تقدم عن ابن عمر وعائشة ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها ويأتي في حديث علي ويصلي قبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين وفي مسلم عن عائشة كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعا وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة أخرج الترمذي بسند صحيح عن أم حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار اه ووقع الاختلاف أيضا في راتبة العشاء فمن ابن عمر وعائشة ركعتين كما تقدم قال ابن حجر وروى أبو داود عن عائشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل في بيتي الا صلى اربع ركعات أو ست ركعات اه وهذا الاختلاف يدل على التوسعة وان الاعداد الواردة ليست للتحديد وهو مذهب مالك خلافا لابن حبيب ونص المدونة لم يؤقت قبل الصلاة ولا بعدها ركوعا معلوما وانما يؤقت في هذا أهل العراق * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت عاصم بن ضمرة يقول سألنا عليا عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهار) أي عن كيفية نوافله التي كان يفعلها في النهار (قال) أي عاصم (قال) أي علي رضي الله عنه لما فهم ان سؤالهم عنها للاقتداء به صلى الله عليه وسلم فيها لا لمجرد العلم بها (انكم لا تطيقون ذلك) أي باعتبار الكيفية والاتقان وما يصحب ذلك من الخشوع والخضوع أو باعتبار الدوام والمواظبة

وهي الناقة العظيمة السنام أي لانها تحمل المحب الى حبيبه والقاصد مقصوده قال تعالى الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقد أنشد بعضهم لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري
قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطيء الثرى
فلها علينا حرمة وذمام

(فرأينا أرض الحبيب يغض الطرف منها الضياء واللألاء) أي أبصرنا ارض الحبيب أي حبيب الله تعالى والمؤمنين وهي المدينة وما حولها واعلم أن مقام الاحبية أعلى وأشرف من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعي الخلة وزيادة ويغض الطرف أي يخفض البصر من جلالتها التي حفتها الضياء وهو النور المشرق عليها حسا ومعنى واللألاء وهو البرق اللامع على صفحاتها المنبيء عن مواهب الحق المفاضة على زائريها كذا في المنح المكية لابن حجر وفي القاموس اللألاء الفرح التام وتلألأ البرق لمع (فكأن البيداء من حيث ما قا * بلت العين روضة غناء) كان أداة تشبيه من اخوات ان تنصب الاسم وترفع الخبر مركبة من كاف التشبيه وان المؤكدة قال بعضهم وانما تستعمل للتشبيه حيث يقوى

الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به أو غيره ولذلك قالت بلقيس كأنه هو وقيل وتردد للظن والشك اذا كان خبرها مشتقا والبيداء الفلاة مطلقا أو المحل القريب من ذى الحليفة المشهور اليوم بأبيار على ومن حيث يصح فى من ان تكون زائدة على مذهب الاخفش وهو الصواب أو تعليلية أو ابتدائية ومافى حيثما زائدة والروضة الغناء الكثيرة العشب والنبات والازهار ووصفها بغناء لان الذباب

كثيرا ما يالفها ويغنى فيها (وكأن البقاع زرت عليها طرفيها ملاءة حمراء) البقاع جمع بقعة وهى الاماكن التى حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضواء المنزلة على قبره عليه الصلاة والسلام وزرت بتقديم الزاى على الراء شدت من زر الشىء اذا شده بازراره بان أدخلها فى عراه وضمير عليها عائد على البقاع وطرفيها مفعول زرت والضمير للملاءة بعده وهو فاعله والملاءة بالمد الريطة والجمع ملاء قال فى القاموس والريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة وحمراء نعت شبه تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزرارها فى عراها من سائر جوانبها (وكان الارجاء ينشر نشر الـ * مسك فيها الجنوب والجربياء)

فانه صلى الله عليه وسلم كان يداوم على العبادة وهم لا يطيقون المداومة عليها الا باعتبار الكثرة وفيه اشارة الى ترغيب السائلين فى المداومة على العبادة على وجه المتابعة وأن المقصود من العلم هو العمل (قال) اى عاصم (فلنا من أطاق ذلك منا) اى فعل ومن لم يطق علم ذلك (فقال كان) اى النبى صلى الله عليه وسلم (اذا كانت الشمس) أى فى الارتفاع (من ههنا) اشارة الى جانب المشرق (كهيئتها من ههنا) اشارة الى جانب المغرب (عند العصر) وهو منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال (صلى ركعتين) وهما سنة الضحى وسيأتى الكلام عليها (واذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا) أى كقدرها فى الارتفاع (عند الظهر صلى أربعا) قال ابن حجر فى آخر باب الضحى هذه الاربع ورد مستقل سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وعند زوالها تفتح أبواب السماء فهو نظير النزول الالهى المنزه عن الحركة والانتقال بعد نصف الليل اذ كل منهما وقت قرب ورحمة اه وسيأتى هذا فى حديث عبد الله بن السائب وأبى أيوب الانصارى وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدمن هذه الاربع وقد نقل الشيخ على الاجهورى كلام ابن حجر هذا وأقره واستبعده فى جمع الوسائل قائلا اذ لا يعرف منه صلى الله عليه وسلم المداومة على سنة غير سنة الظهر حينئذ ولهذا لم يعد أحد من الفقهاء صلاة سنة الزوال لا من السنن المؤكدة ولا من المستحبة اه قلت والظاهر ما قاله ابن حجر من ان هذه الاربع ورد مستقل وأما تفسيرها بصلاة الاوابين كما عليه بعض الشراح وارتضاه فى جمع الوسائل هاوهى الصلاة التى تفعل قبل الزوال بالقرب منه كما أشار اليه فى حديث مسلم بقوله عليه السلام صلاة الاوابين حين ترمض الفصال أى حين تحترق أخفاف صغار أولاد الابل بشدة حرارة الرمل من الشمس فيبعده أن صلاة الاوابين هى صلاة الضحى قرب الزوال قال النووى وهو عندنا افضل صلاة الضحى وصلاة الضحى قد قدمها فى قوله اذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا عند العصر الخ وأما تفسيرها بسنة الظهر كما قرره فى جمع الوسائل فى حديث عبد الله بن السائب الآتى فيبعده أيضا قوله هنا (ويصلى قبل الظهر أربعا) لان هذه الاربع هى سنة الظهر كما هو ظاهر ثم ما هنا موافق لما فى مسلم عن عائشة كان يصلى فى بيته قبل الظهر أربعا ومخالف لما تقدم عنها وعن ابن عمر من انه كان يصلى قبل الظهر ركعتين فاما أن يحمل على حالين واما ان يقال كان يصلى فى بيته ركعتين او أربع ركعات ثم يخرج فيصلى ركعتين فرأى ابن عمر ما فى المسجد دون ما فى البيت واطلعت عائشة على الامرين (وبعدها ركعتين وقبل العصر أربعا) قال ابن حجر لا ينافيه خبر أبى داود عن على أيضا كان يصلى قبل العصر ركعتين لاحتمال أنه تارة يصلى أربعا وتارة يصلى اثنتين وفى مسلم ان أبا سلمة سأل عائشة عن السجدتين اللتين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم انه شغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم أثبتهما وكان اذا صلى صلاة أثبتها أى داوم عليها وفى أبى داود عنها كان يصليهما وينهى عنهما وهو صريح فى انهما من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وروى المصنف انهما سنة الظهر البعدية شغل عنهما بقسمة مال فلعله كان يقضيهما قبل العصر أولا ثم شغل عنهما أيضا قبله فقضاهما بعده واستمر على ذلك اه ببعض اختصار (يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين) قيل المراد بالتسليم تسليم التشهد وهو السلام علينا وعلى عباد

الارجاء جمع رجا بالقصر يعنى نواحى المدينة المكرمة وينشر أى يذيع ريح المسك فيها والجنوب بفتح الجيم وهى الريح التى تقابل الشمال والجربياء ككيمياء قال فى القاموس الشمال أو الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب
(فاذا شمت أو شممت رباها * لاح منها برق وفاح كباء) أى اذا نظرت الى برق سحاب تلك الاماكن أو شممت بكسر الميم الاولى على الافصح وتفتح رباها جمع ربوة ما ارتفع من الارض لاح منها برق راجع لشمت وفاح أى سطع كباء أى ريح طيب راجع لشممت

فيه لف ونشر مرتب و فى القاموس فاح المسك فوحا وفؤحا وفوحانا وفيحا وفيحانا انتشرت رائحته قال والكباء ككساء عود البخور أو ضرب منه الجمع كبى و بين لاح وفاح جناس مضارع ﴿ فائدة ﴾ قال فى الرحلة العياشية لابى بكر السجستانى فى أثناء كلام ما نصه الذى لا يمترى فيه أنه نور النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة ما عايناه مرارا ونحن مجاورون (٢٥٩) بالمدينة المشرفة فى الحرم الشريف فانا نجلس أحيانا نهارا حتى يستفيض من ناحية الحجرة ما يخالف ضوء النهار فيغشى الحرم الشريف كله فيراه الناس (أى نور وأى نور شهدنا * يوم أبدت لنا الباب قباء) الاول بضم النون أى نور باهر والثانى بفتحها أى زهر نضير زاهر وشهدنا أبصرنا بابصارنا و بصائرنا و بينهما الجناس المحرف ومنه اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى و يوم ظرف لشهدنا وأبدت أظهرت والقباب جمع قبة و يعنى التى هنالك وقباء بضم القاف موضع بينه و بين المدينة نحو ثلاثة أميال

(قر منها دمعى وفر اصطبارى فدموعى سيل وصبرى جفاء) أى ثبت انهمال دمعى وكثر من رؤية القباب فرحا بالوصول أو خوفا من التقصير فى واجب أدب ذلك الجناب العلى أو ندما على ما فات من فراقه أو أعم من ذلك وفر أى هرب وشرد صبرى ودموعى سيل أى جارية قال فى القاموس وماء سيل أى سائل وضعوا المصدر موضع الاسم أو السيل الماء الكثير السائل والجفاء بضم الجيم وهو الزبد قال فى القاموس جفا الوادى والقدر رميا بالجفاء أى الزبد كأجفى اهـ و يصح أن يكون بفتح الجيم من جفاه يجفوه اذا باعده ولم يواصله والجفاء ضد الصلة قال فى المنح المكية كأن السيل يذهب بالزبد كذلك دموعى ذهبت بصبرى فلم تبق منه شيأ وهذا من جناس التذييل كقوله الآتى وكم أذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب (فترى الركب طائرين من الشوق الى طيبة لهم ضوضاء) أى فترى أيها المخاطب وفد الزائرين وفى

عباد الله الصالحين فانه كما ورد فى الصحيح يشمل كل عبد لله صالح فى السماء وفى الارض قال ابن حجر وفيه نظر وانما المراد بالتسليم تسليم التحلل من الصلاة فيسن للمسلم منها أن ينوى بقوله السلام عليكم من على يمينه و يساره ومن خلفه من الملائكة ومؤمنى الجن والانس اهـ قال فى جمع الوسائل ولا يخفى أن سلام التحليل انما يكون مخصوصا بمن حضر المصلى من الملائكة والمؤمنين ولفظ الحديث أعم منه حيث ذكر الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين اهـ وعلى ما اختاره فى جمع الوسائل فيحتمل أنه سلم من كل ركعتين و يحتمل أنه من باب التنفل بأربع وسيأتى الكلام على ذلك قال فى جمع الوسائل ولعل الجمع بين الوصفين مع ان موصوفهما واحد للاشارة الى انقيادهم الباطنى والظاهرى والجمع بين النسبة العلمية والمباشرة العملية اهـ ﴿ تنبيه ﴾ قال فى الاكمال قيل حكمة هذه الرواتب أن أوقات الصلوات تفتح فيها أبواب السماء و يستجاب فيها الدعاء فرغب فى تكثير العمل حينئذ اهـ وقال فى التوضيح حكمة تقديم النوافل على الصلوات وتأخيرها أن العبد مشتغل بامور الدنيا فتبعد النفس بذلك عن حضور القلب فاذا تقدمت النافلة على الفريضة تأنست النفس بالعبادة وكان ذلك أقرب الى الحضور وأما التأخير فقد ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض اهـ فهى لتكميل ما عسى ان يكون نقصا لكن لا يقصد بتنفله جبران الفرائض فقد كره مالك التنفل بهذه النية قال فى سماع ابن القاسم وليس من عمل الناس أن يتنفل و يقول أخاف أنى نقصت من الفرض وما سمعت أحدا فعله انظر ابن عرفة والابى ﴿ فائدة ﴾ فى مسلم عن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى اثنتى عشرة ركعة فى يوم وليلة بنى له بهن بيت فى الجنة وفى رواية من صلى فى يوم ثنتى عشرة سجدة تطوعا بنى له بيت فى الجنة قال الابى والاولى صلاتها من غير الرواتب المذكورة ليحصل ثوابها المذكور مع ثواب الرواتب فان للرواتب ثوابا خاصا

﴿ باب صلاة الضحى ﴾

كذا فى نسخ المشارقة وهو ساقط فى نسخ المغاربة واعلم أن من طلوع الشمس الى الزوال له ثلاثة أسماء فاولها ضحوة وذلك عند الشروق وثانيها ضحى مقصور وذلك اذا ارتفعت الشمس وثالثها ضحاء بالمد وذلك الى الزوال فالضحى اسم لوقت مخصوص وعليه فالاضافة فى صلاة الضحى على معنى فى كصلاة الليل وصلاة النهار أو من اضافة المسبب الى السبب كصلاة الظهر وقد يطلق اسم الضحى على الصلاة نفسها فتكون الاضافة بيانية * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود الطيالسى نا شعبة عن يزيد الرشك) بكسر الراء لا بضمها خلاف ما وقع فى ابن حجر وستأتى ترجمته فى باب الصوم (قال سمعت معاذة) بضم الميم بنت عبد الله العدوية (قالت قلت لعائشة أكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى قالت نعم أربع ركعات و يزيد ما شاء الله) فى ضمن هذا الجواب زيادة على ما طلبه السائل وهى الجواب عن السؤال عن عدد صلاته وفيه اشعار بكمال حفظها فى القضية لكن الذى فى مسلم عن يزيد الرشك قال حدثتنى معاذة أنها سألت عائشة كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الضحى قالت أربع ركعات و يزيد

القاموس الركب ركاب الابل اسم جمع أو جمع وهم العشرة فصاعدا وطائرين جادين فى السير سراعا كالطائر من الشوق
وأبرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار   وضوضاء أصوات عالية بذكر الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفى القاموس الضوضى مقصورة الجلبة وأصوات الناس لغة فى المهموز

(فكان الزوار ما مست البأساء منهم خلقا ولا الضراء) الزوار جمع زائر وهذا عطف على ترى والمراد بالبأساء مشقة السير والضراء تأكيد لما قبله وفى القاموس الضراء الزمانة والشدة والنقص فى الاموال والانفس كالضرة (كل نفس لها ابتهال وسؤل ودعاء ورغبة وابتغاء) الابتهال التضرع لله تعالى فى نيل المراد والسؤل السؤال ورغبة أى مطلوب يرغب والكل ألفاظ مترادفة لان المقام مقام اطناب وابتغاء طلب (وزفير تظن منه صدورا صادحات يعتادهن زقاء) الزفير تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعترى القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وفى القاموس زفر يزفر زفرا وزفيرا أخرج نفسه بعد مده اياه وصادحات أى طيورا مصوتات قال فى القاموس صدح الرجل والطائر كمنع يصدح صدحا وصداحا رفع صوته بغناء وفى الحديث ان صدره صلى الله عليه وسلم من شدة خوف الله تعالى كان يسمع له أزيز كأزيز المرجل من البكاء والزقاء بضم الزاى الصياح ويعتادهن من اعتاد الشئ اذا جعله من عادته ونسبة الاعتياد الى الزقاء مجاز قال ابن حجر والحاصل أن ذلك الزفير من شدته ظهر له فى صدورهم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات التى يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت (وبكاء يغريه بالعين مد * ونحيب يحثه استعلاء) يغريه يحمله على ملازمته لها ومد أى سيل والدموع تنشأ عن حرقة القلب بالشوق الى المحبوب أو فرحا بلقائه أو خوفا من القطيعة أو هيبة منه

ماشاء الله ثم اعلم ان أقل الضحى ركعتان روى المصنف فى جامعه وأحمد وابن ماجه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال أبو هريرة أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتى الضحى وان أوتر قبل ان أرقد متفق عليه ومثله عن أبى الدرداء رواه مسلم وأخرج آدم بن أبى اياس فى كتاب الثواب له عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائتى سيئة ورفع له مائتى درجة وغفرت له ذنوبه كلها ما تقدم منها وما تأخر الا القصاص وفى مسلم قال صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وأما أكثر الضحى فظاهر قولها ويزيد ماشاء الله أنه لا حد لأكثرها وأنها لا تنحصر فى عدد بل ان صلى مائة ركعة أو أكثر قبل الزوال فهو ضحى وهو الذى اختاره الباجى والسيوطى فى حاشية الموطأ لكن قال ابن حجر باستقراء الاحاديث الصحيحة والضعيفة علم أنه لم يزد على الثمان ولم يرغب فى أكثر من ثنتى عشرة ركعة اه ونحوه فى الاكمال وظاهره انه صلى الله عليه وسلم لم يصل الضحى ثنتى عشرة ركعة بل رغب فيها فقط بقوله من صلى الضحى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصرا فى الجنة قال المصنف وهو غريب قال ابن حجر الغرابة لا تنافى الصحة والحسن وقول النووى فى مجموعه انه ضعيف فيه نظر لان له طرقا تقويه وترقيه الى درجة الحسن وقال فى جمع الوسائل روى عن عائشة وأم سلمة على ماذكره صاحب القاموس فى الصراط المستقيم أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى صلاة الضحى ثنتى عشرة ركعة اه وقال عياض فى قواعده صلاة الضحى ثمان ركعات وقد اختلفت الروايات فيها من اثنتين الى ثنتى عشرة اه وظاهر قولها أربع ركعات ويزيد ماشاء الله ان الاربع هى الغالب من فعله صلى الله عليه وسلم وقد يزيد عليها أحيانا فتكون الاربع أفضل من الست والثمان قال فى جمع الوسائل قد يفضل العمل القليل لما اشتمل عليه من مزيد فضل الاتباع على العمل الكثير وقد حكى الحاكم فى كتابه المفرد فى صلاة الضحى عن جماعة من أئمة الحديث أنهم كانوا يختارون أن يصلى الضحى اربعا ويدل عليه أكثر الاحاديث الواردة فى ذلك كحديث أبى الدرداء وأبى ذر عند الترمذى مرفوعا عن الله تعالى ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره وقال الشافعية ان الثمان أفضل استدلالا بحديث الفتح مع انه لا يدل على التكرار قطعا انتهى ﴿تتميم﴾ قال فى جمع الوسائل نقلا عن غيره وجاء فى حديث أنس مرفوعا من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعا كتب من القانتين ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من العابدين ومن صلى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة وفى اسناده ضعف لكن له شاهد من حديث أبى الدرداء وأبى ذر لكن فى اسناده ضعف أيضا قلت لكن يتقوى بعضه ببعض مع أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اه وخرج أبو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته الى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج ومن خرج الى صلاة الضحى لا ينصبه الا هى فأجره كأجر المعتمر قال صاحب كتاب الترغيب والترهيب قوله لا ينصبه أى لا يتبعه

عند المثول بحضرته أو أعم من ذلك ونحيب بكاء شديد قال فى القاموس النحب أشد البكاء كالنحيب وقد نحب كمنع وانتحب ويحثه يحضه واستعلاء ارتفاع من الزيادة منه لعلو صوت (وجسوم كانما رحضتها * من عظيم المهابة الرحضاء) رحضتها غسلتها والمهابة بفتح الميم أى هيبة الحبيب عليه الصلاة والسلام فى تلك الحضرة الجليلة (٢٦١) والرحضاء بضم الراء وفتح الحاء العرق الكثير قال فى القاموس رحضه كمنعه غسله كارحضه فهو رحيض ومرحوض والمرحاض بالكسر خشبة يضرب بها الثوب والمغتسل وقد يكنى بها عن مطرح العذرة قال والرحضاء العرق أثر الحمى أو عرق يغسل الجلد كثرة أى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما أزعجها ازعاجا يتولد عنده كثرة عرقها حتى كأنه غسلها (ووجوه كانما ألبستها من حياء ألوانها الحرباء) الوجوه جمع وجه والحياء بالمد خلق غريزى باعتبار أصله ومكتسب باعتبار كماله والالوان جمع لون هيئة كالبياض والسواد والحرباء فاعل ألبست مؤخر عن المفعول وهو ألوانها وهى دويبة تستقبل الشمس برأسها وتتلون ألوانا متعددة والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له (ودموع كانما ارسلتها من جفون سحابة وطفاء)

لا يتعبه ولا يزعجه الا ذلك اهـ * قال المصنف (حدثنى محمد بن المثنى حدثنى حكيم بن معاوية الزيادى نا زياد بن عبيد الله) بالتصغير وفى نسخة عبد الله (ابن الربيع الزيادى عن حميد الطويل عن أنس بن مالك) وكذا روى عن جابر وعن عائشة (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات) أى فى بعض الاوقات * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى) اسمه سيار وقيل بلال وقيل داود بن بلال (قال ما أخبرنى أحد أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى الا أم هانئ) كذا فى مسلم وفى رواية ابن أبى شيبة من وجه آخر عن ابن أبى ليلى قال أدركت الناس وهم متوافرون فلم يخبرنى أحد أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الضحى الا أم هانئ ولمسلم من طريق عبد الله بن الحرث الهاشمى قال سألت وحرصت على أن أجد أحدا من الناس يخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح سبحة الضحى فلم أجد غير أم هانئ أخبرتنى فذكر الحديث قال ابن حجر انما فيه انه نفى علمه فلا ينافى ما حفظه غيره على انه يكفى اخبار أم هانئ (فانها حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل) كذا عند الشيخين وظاهره ان الاغتسال وقع فى بيتها ووقع فى الموطأ ومسلم فى كتاب الطهارة من طريق أبى مرة مولى أم هانئ عن أم هانئ أنها ذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل ويجمع بينهما اما بان ذلك تكرر منه واما بان يكون نزل فى بيتها باعلى مكة وكانت هى فى بيت آخر بمكة فجاءت اليه فوجدته يغتسل (فسبح) رواية الصحيحين فصلى (ثمان) أصله ثمانى منسوب الى الثمن لانه الجزء الذى صير السبعة ثمانية فهو ثمنها ثم فتحوا أوله لانهم يغيرون فى النسب وحذفوا منها احدى ياءى النسب وعوضوا منها الالف وقد تحذف منها الياء ويكتفى بكسرة النون أو تفتح تخفيفا كذا حققه الكرمانى (ركعات) فى ثوب واحد قد خالف بين طرفيه كذا فى مسلم وروى أبو داود عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح سبحة الضحى ثمان ركعات يسلم من كل ركعتين ولمسلم فى كتاب الطهارة ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى قال ابن حجر وبهذين الحديثين يبطل قول عياض وغيره حديثها ليس بظاهر فى قصده صلى الله عليه وسلم سنة الضحى قال فى جمع الوسائل بل الصواب قول عياض ومن تبعه لانه لا يلزم من رواية الراوى أنه صلى سبحة الضحى لما دل عليه اقتران وقت الضحى انه صلى الله عليه وسلم قصد صلاة الضحى اهـ قال ابن حجر وأما قول من قال لا تفعل صلاة الضحى الا بسبب لانه صلى الله عليه وسلم انما صلاها يوم الفتح من أجل الفتح أى وانما يقال لها صلاة الفتح وقد صلى خالد بن الوليد فى بعض فتوحه لذلك فيبطله ما مر من الاحاديث اهـ قال فى جمع الوسائل فيه انه ليس فى الاحاديث ما يدل على أن الفتح ليس سببا لهذه الصلاة لكن يمكن أن يكون سببا لانشائها ثم المواظبة على أدائها من غير احتياج الى سبب فى كل مرة اهـ وتأمله (ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها) لا يؤخذ منه ندب التخفيف فيها كالفجر لان الثابت أنه طول فى الضحى وانما خفف يوم الفتح لمهماته وقد روى الحاكم أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى الضحى بسورها والشمس وضحاها والضحى (غير أنه كان يتم الركوع والسجود) خصت الركوع والسجود لانه كثيرا ما يقع التساهل فيهما فالاستثناء لدفع ما قد يتوهم من قولها ما رأيته الخ وقال الطيبى فيه اشعار بالاعتناء بشأن الطمأنينة فى الركوع والسجود

الدموع جمع دمع وهو ماء العين الجارى من حزن او سرور والجفون جمع جفن وهو غطاء العين من أعلى وأسفل وسحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة مائها اوهى الدائمة السح الحثيثة طال مطرها أم قصر وفيها وطف أى ندلت ذوائبها شبه ما عندهم من الاسباب الباعثة لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة ففيه أربع استعارات كذا قال ابن حجر وفيه نظر اذ حيث شبهت الاسباب بالسحابة وأطلق لفظ المشبه به على المشبه كانت استعارة تصريحية فكيف يقال بعد

* ذلك وخيل باثبات السحابة تامل و فى قوله كل نفس الى هنا من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذى من شانه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة مالا يخفى على ذى ذوق عظيم بلاغة الناظم رحمه الله تعالى (فحططنا الرحال حيث يحط الـ ـوزر عنا وترفع الحوباء) الرحال جمع رحل أى وضعنا الامتعة بفناء الحبيب الذى يذان فيه من الله تعالى السؤال مستمطرين سحائب الانعام والقبول والوزر الذنب أى وضعناها حيث يحط الذنب عنا ببركة الحبيب وشفاعته ونرفع الحوباء عنا وهى الحاجة وبين الحط والرفع طباق (وقرأنا السلام أكرم خلق الله * ه من حيث يسمع الاقرباء) أى أشرفهم وأعزهم عليه وأصفحهم عن الاذى واجودهم نفسا وفعلا بان سلمنا عليه عند قبره وقلنا السلام عليك يارسول الله كما هو شأن السلف من التسليم عند قبره تسليم اللقاء كما روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وغيره وقال المجد اللغوى السلام عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه يعنى لانه شعار اللقاء والتحية وفى الحديث مامن أحد يسلم علىّ عند قبرى الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام ولا يعارضه حديث انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى على فى الصلاة الواحدة عشرا او فى رواية مائة وصلاة الله تعالى افضل من رده عليه الصلاة والسلام لان السلام شعار اللقاء والتحية كما تقدم ثم يصلى عليه بعد السلام كما هو الشان المعروف يبدأ بالسلام ويختم بالصلاة وقوله فى الحديث الا رد الله تعالى على روحى معناه نطق مجازا اذ هو حى على الدوام ولا يلزم من الحياة النطق فيرد الله عليه النطق عند سلام كل مسلم وعلاقة هذا المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح كما ان الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة فعبر عليه السلام باحد المتلازمين عن

لانه صلى الله عليه وسلم خفف سائر الاركان من القيام والقراءة والتشهد ولم يخفف من الطمأنينة فى الركوع والسجود قال فى جمع الوسائل وفيه انه لا يتصور التخفيف فى حصول أصل طمأنينتها بخلاف بقية أحوال الصلاة * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا وكيع نا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى قالت لا الا أن يجئ من مغيبه) اعلم أن بين أحاديث الباب تعارضا فى العدد وتعارضا فى الثبوت والنفى أما التعارض فى العدد ففى حديث عائشة كان يصلى أربعا وفى حديث أنس ستا وفى حديث أم هانئ ثمانيا وقد تقدمت أحاديثهم وفى حديث أبى هريرة ركعتين وروى اثنتى عشرة وروى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين ثم أربعا ثم ستا ثم ثمانيا ووجه الجمع بالنسبة الى الرواة ان كلا روى ما شاهد وأما بالنسبة الى فعله صلى الله عليه وسلم فبين بالركعتين أدنى ما يكون لان النافلة لا تكون أقل منهما ثم كان يزيد ما شاء الله كما قالت عائشة فيصليها مرة أربعا ومرة ستا ومرة ثمانيا ومرة اثنتى عشرة على ما تقدم فى ذلك وأما التعارض فى الثبوت والنفى فقد تقدم عن عائشة انه كان يصلى أربعا ويزيد ما شاء الله وفى هذا هنا انه كان لا يصليها الا أن يجئ من مغيبه وفى رواية عنها ما رأيته يصلى سبحة الضحى قط وانى لأسبحها وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم وهذه الروايات الثلاث فى مسلم والثالثة فقط فى صحيح البخارى بلفظ ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح سبحة الضحى وانى لأسبحها ففى الرواية الاولى الاثبات مطلقا وفى الثالثة نفى رؤيتها لذلك مطلقا وفى الثانية تقييد النفى بغير المجئ وقد اختلف العلماء فى ذلك فذهب ابن عبد البر وجماعة الى ترجيح ما اتفق عليه الشيخان وقالوا ان عدم رؤيتها لذلك لا يستلزم عدم الوقوع فيقدم من روى عنه من الصحابة الاثبات وذهب آخرون الى الجمع بين أحاديثها قال البيهقى عندى ان المراد بقولها ما رأيته سبحها أى داوم عليها وقولها وانى لأسبحها أى أداوم عليها قال وفى قولها وان كان ليدع العمل الخ اشارة الى ذلك اه وعليه فقولها هنا لا يصليها الا أن يجئ الخ معناه انه لم يكن يداوم عليها فى الحضر بل يفعلها تارة ويتركها أخرى الا أن يجئ من سفر قال ابن حجر ومرادها انه صلى الله عليه وسلم كان لا يقدم من سفر الا نهارا وقت الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد أول قدومه فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه اه وقيل ان هذه الصلاة ليست صلاة الضحى وانما هى صلاة القدوم ومن ثم قال الابى ان قولها الا أن يجئ الخ استثناء منقطع لانه صلى الله عليه وسلم صلى عند مجيئه صلاة القدوم لا صلاة الضحى وقيل حديث ابن شقيق محمول على صلاته اياها فى المسجد وحديث معاذة محمول على صلاته فى البيت وأخذ هذا الجمع من كلام ابن حبان وعليه فلا يطلب فعلها فى المسجد مطلقا خلافا للشافعية بل عند القدوم من السفر وأما رواية ما رأيته سبح الخ فالمنفى صفة مخصوصة وقال فى الاكمال الاشبه عندى فى الجمع انها انما أنكرت صلاة الضحى المعهودة عند الناس حينئذ من كونها ثمان ركعات وهو صلى الله عليه وسلم انما كان يصليها أربعا كما قالت ويزيد ما شاء الله ثم قال فى الاكمال وجاء من فعله صلى الله عليه وسلم لها وأمره بها مالا ينكر وعن ابن عباس انها المراد بقوله تعالى يسبح له فيها بالغدوّ والآصال اه قال ابن حجر أحاديثها تكاد أن تكون متواترة كيف وقد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم من أكابر الصحابة تسعة عشر نقيبا كلهم شهدوا أن النبى صلى

الآخر ويؤيد هـذا قوله تعالى قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فيؤخذ من الآية أن عود الروح لا تكون الا مرتين وفى بعض روايات هذا الحـديث الا وقد رد الله على روحى والمراد الاخبار بأن الله يرد عليه روحه بعد الموت فيصير حيا على الدوام وعلى هذا تحمل الرواية الاولى ولا يحتاج الى ارتـكاب المجاز وقد صحت الاحاديث بان الانبياء أحياء (٢٦٣) في قبورهم يصلون جمعها البيهقى فى جزء

راستدل بها على دوام حياة الانبياء حياة مخصوصة أعلى وأتم من حياة الشهداء المنصوص عليها فى القرآن وردأن محمد بن عبد الله العتبى قال جاء أعرابى الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فسلم سلاما حسنا ودعا كذلك ثم قال بأبى أنت وأمى يا رسول الله ان الله قد خصك بوحيه وأنزل عليك كتابا جمع لك فيه علم الاولين والآخرين وقال وقوله الحق ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت مقرا بالذنوب مستشفعا بك الى ربك ثم قال

يا خير من دفنت بالترب أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الرسول الذى ترجى شفاعته
عند الصراط اذا مازلت القدم
لولاك ما خلقت شمس ولا قمر
ولا نجوم ولا لوح ولا قلم
صلى عليك الاه الدهر أجمعه
فأنت أكرم من دانت له الامم

ثم ركب راحلته وانصرف قال العتبى فغلبتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال يا عتبى الحق الاعرابى وبشره بان الله قد غفر له وقوله من حيث يسمع الاقراء أى من المكان الذى يسمع فيه النبى صلى الله عليه وسلم اقراء السلام عليه وذلك عند قبره المكرم المعظم (ودهلنا عند اللقاء وكم أذ * هل صبا من الحبيب لقاء) أى غبنا عند لقاء الحبيب عن غيره ونسيناه به لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال وسمات ذلك الجمال ولا بدع فى ذلك وكم أى مرات كثيرة اذهل صبا أى محبا سمى بذلك لكثرة ما يصبه من الدموع وفى القاموس الصبابة الشوق او رقته او رقة

الله عليه وسلم كان يصليها كما بينه الحاكم وغيره ومن ثم قال شيخ الاسلام أبو زرعة وردفيها أحاديث كثيرة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبرى انها بلغت حد التواتر اهـ وفى المناوى نقلا عن ابن العربى انه وقع الاجماع على استحبابها وانما اختلفوا فى أنها مأخوذة من سنة مخصوصة أو من عمومات اهـ وما روى عن جماعة من السلف من التصريح بنفيها قال المناوى فاما مضعف أو محمول على المداومة أو على الرؤية والعلم أى والمثبت مقدم على النافى ومن حفظ حجة على من لم يحفظ أو على عـدد الركعات أو على اعلانها أو على الجماعة فيها اهـ وقد صح عن ابن عمر هى بدعة ونعمت البـدعة وروى عنه ما ابتدع المسلمون بدعة أفضـل من صـلاة الضحى وفى البخارى عن مورق قال قلت لابن عمر أتصـلى الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فأبو بكر قال لا قلت فالنبى صـلى الله عليه وسلم قال لا أخاله أى لا أظنه ومراده نفى الجماعة فيها أو اعلانها خوف أن تلحق بالفرائض وقد أنـكرها أيضـا ابن مسعود على هـذا الوجه وقال فان كان لا بد ففى بيوتكم لم تحملون عباد الله ما لم يحملهم الله ولذا رأى جماعة أن تصلى فى بعض الايام دون بعض لئـلا تلحق بالفرائض واحتجوا بحـديث أبى سـعيد كان يصليها حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها ﴿ تنبيـه ﴾ حديث عائشـة يدل على ضعف ما روى أن صلاة الضحى كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسـلم وعدها لذلك جماعة من العلماء من خصائصه ولا يثبت ذلك فى خبر صحيح وقول الماوردى فى الحاوى انه صـلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد الفتح الى أن مات اهـ ليس بحجة لان عائشـة قالت انه كان اذا عمل عملا أثبته فلا تستلزم المواظبة معنى الوجوب عليـه وأما ما رواه الدارقطنى أمرت بصـلاة الضحى ولم تؤمروا بها فضعيف * قال المصنف (حدثنا زياد بن أيوب البغدادى) أفصح الاوجـه الاربعة التى فيها على ما فى القاموس اهمال الدال الاولى واعجام الثانية قاله فى جمع الوسائل (نا محمد بن ربيعة عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سـعيد الخدرى قال كان النبى صـلى الله عليه وسلم يصلى الضحى) أحيانا (حتى نقول) أى فى أنفسنا أو القول بمعنى الظن (لا يدعها ويدعها) أحيانا خشـية وجوبها أو توهم فرضيتها أو تأكيد سنيتها أو لغير ذلك (حتى نقول لا يصليها) لعل عدم مواظبته عليها هو سبب خفائها على كثير من الصـحابة وقد تقدم ان من أثبت مقدم على من نفى قال المناوى عورض حديث أبى سـعيد بحديث مسلم انه كان اذا صلى صلاة أثبتها وقد صـلى مرة الضحى بعد صلاة العصر فلم يتركه قال البيهقى وهذا من خصائصه اهـ قلت معنى أثبتها انه لا يقطعها بالكلية فلا ينافى أنه يتركها أحيانا فلا معارضة والله أعلم وفى الحديث انه لا يترتب على قطعها عمى ولا غـيره قال ابن حجر حكى الحافظ ابو الفضل الزين العراقى انه اشتهر بين العوام ان من يقطعها يعمى فصار كثير منهم يتركها لذلك وليس لما قالوه أصل بل الظاهر انه مما ألقاه الشيطان على ألسنتهم ليحرمهم الخير الكثير سيما اجزاؤها عن الصدقات التى تصبح على مفاصل الانسان كما فى حديث مسلم اهـ قال فى جمع الوسـائل وكذا اشتهر هذا القول بين النسـاء فتوهمن أن تركها حالة الحيض والنفاس مما يقطعها فتركنها من أصلها وقال انما يصلى الضحى المرأة المنقطعة الحيض * قال المصنف (حدثنا احمد بن منيع نا هشيم أنا عبيدة) بالتصغير وهو ابن معتب الضبى على ما ذكره الجزرى (عن ابراهيم) النخعى (عن سهم بن منجاب) بكسر الميم فنون ساكنة فجيم فألف بعـدها موحدة (عن قرثع) بفتح قاف فسكون راء فمثلثة مفتوحة فعين مهملة (الضبى)

الهوى صببت كقنعت تصبب فانت صب وهي صبة ولا أعظم من هذا الحبيب ولا أعز ولا أرجى لنفع ودفع (ووجمنا من المهابة حتى ٭ لا كلام مناولا ايماء) أي سكتنا مطرقين من المهابة اي هيبة الحبيب حتى لا كلام منا بما نريده ولا ايماء عمنا لما نطلبه وذلك حال من قهرته الهيبة وكم رمت بث الشوق عند لقائه ٭ فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا (ورجعنا وللقلوب التفاتا ٭ ت اليه وللجسوم انثناء) أي صدرنا من عند الحبيب بعد كمال زيارته وللقلوب التفاتات اليه جمع التفاتة اي تلفت والتواء اليه وللجسوم جمع جسم بالكسر وهو جماعة البدن والاعضاء انثناء اي انعطاف اليه كراهة لفراقه وارادة للبقاء عنده ٭ وللشيخ الكبير العارف بالله سيدي ابي مدين شعيب بن الحسين الاشبيلي ما نصه بعدما جاء من الحجاز

يا قلب زرت وما انطوى ذاك الجوى
عجبا لقلب بالنعيم قد اكتوى
زاد الغرام وزال كل تصبر
عالجته قبل الزيارة فانطوى
ولهيب وجدي هيجته روضة
من حلها حلت من الصبر القوى
تالله ما شوقي لطيبة بعدما
زرت الحبيب وقبله الا سوا
بل زاد شوقي للحبيب ورامة
والابرقين وما بمنعرج اللوى
أرض أحب الى العلى من العلا
نزل الرسول بها وفيها قد ثوى

بضاد معجمة وموحدة مشددة (أوقزعة) بفتح قاف فزاي فعين مهملة (عن قرثع) هكذا وقع في هذه الرواية بالشك وسيأتي من طريق أبي معاوية عن قزعة عن قرثع من غير شك (عن أبي أيوب الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدمن) أي يداوم (أربع ركعات عند زوال الشمس) أي بعد وقوعه للنهي عن الصلاة حالة الاستواء قال الشيخ زروق في شرح الوغليسية تكره الصلاة عند وقوف الشمس للخلاف في ذلك وانما عدل عن قولها بعد زوالها ليفيد أن المقصود اول وقت زوالها بلا تراخ كأنه عند زوالها وقد تقدم ان الظاهر ما قاله ابن حجر من ان هذه الاربع ورد مستقل سببه انتصاف النهار الخ (فقلت يارسول الله انك تدمن هذه الاربع ركعات) وفي نسخة تكثر من هذه الاربع ركعات (عند زوال الشمس فقال ان ابواب السماء تفتح) بصيغة المجهول (عند زوال الشمس فلا) وفي نسخة ولا (ترتج) بضم الفوقية الاولى وفتح الثانية وتخفيف الجيم أي تغلق (حتى تصلي الظهر فأحب) أي اود واتمنى (ان يصعد) بفتح اوله و يجوز ضمه اي يطلع و يرفع (لي في تلك الساعة خير) أي عمل خير من النوافل ليدل على كمال العبودية وغاية الرغبة في خدمة الربوبية تخير واحد الخيور قال ابن حجر وللبزار نحوه هذا من حديث ثوبان وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلي بعد نصف النهار فقالت عائشة يارسول الله أراك تستحب الصلاة هذه الساعة فقال تفتح فيها أبواب السماء و ينظر الله الى خلقه بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام اه وظاهر الحديث أن العمل يصعد قبل ان تصعد الملائكة الحفظة للاعمال قال المناوي وقد يراد بالصعود تعلق علم الله سبحانه به اه وقال في جمع الوسائل في الحديث الآتي قوله يصعد أي الى الله فهو كناية عن قبوله او الى محل اجابته أي من عليين ونحوه اه وفيه انه ينبغي التعرض لاوقات نفحات الرحمة وقد ورد ان لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله ان يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا قال في الجامع الصغير أخرجه الطبراني في الكبير عن محمد بن مسلمة وقد أخرج مالك في الموطا عن سهل بن سعد الساعدي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وقل داع ترد عليه دعوته حضرة النداء للصلاة والصف في سبيل الله قلت الظاهر انه من كلام أبي أيوب سأل النبي صلى الله عليه وسلم فعند الطبراني قلت يارسول الله هذه الصلاة التي قد أديت حين تزول الشمس الحديث وفي آخره قلت أتقرأ فيهن قال نعم قلت تفصل فيهن بسلام قال لا و يحتمل ان يكون من كلام قرثع سأل أبا أيوب (أفي كلهن قراءة) أي بعد الفاتحة (قال نعم قلت هل فيهن) أي فيما بينهن من الشفعين (تسليم فاصل) أي للخروج من الصلاة احترازا من السلام الذي في التشهد (قال لا) فيه دليل على أن الافضل التطوع في النهار بأربع موصولة و باختيار أربع قال أبو حنيفة في الليل والنهار و يجوز عنده ستا وثمانيا قال ولا يزيد في الليل على أربع ولا في النهار على ثمان وقال أحمد والاوزاعي صلاة الليل مثنى مثنى و يجوز في النهار أربع وقال الاسفرائني الاختيار مثنى ليلا ونهارا و يجوز واحدة وثلاثا وما شاء ولا ينحصر بعدد و بسلم آخر ذلك وقال مالك والاكثر نافلة الليل والنهار مثنى مثنى اعتمادا على حديث صلاة الليل مثنى مثنى وحديث ابن عباس حين بات عند خالته ميمونة وقدم ذلك على غيره لما ترجح به عنده من مصاحبة العمل وغير ذلك ولم يعتبر مالك مفهوم قوله الليل

يا تربة ما مثلها من تربة ٭ فيها الشفاء لكل عاص والدوى يا روضة ما مثلها من روضة ٭ يا سعد من في جنة المأوى أوى ٭ كم لي أنوح على الوصول وعندما ٭ واصلتني أصليتني نار الجوى ٭ فكأنني الظمآن صادف قطرة فتضاعف الظمأ الشديد وما ارتوى ٭ قسما بطه وهو ياسين الذي ٭ قد جاء في النجم العظيم اذا هوى ٭ و بقاب قوسين الذي هو قد دنا من ربه ذو مرة ثم استوى ٭ لاجهدن نياحتي بسياحتي ٭ أسفا على ذاك المحل وما حوى ٭ حتى أموت وان أمت متحيرا ٭

فلكل عبد مسلم ماقد نوى * يارب أسألك الرضا والعفو عن * ماقد مضى يامن على العرش استوى * فاعتق عبيدك من لظى نارغدا
نزاعة يوم القيامة للشوى * بمحمد المختار خاتم رسله * ليكن على فضل الجميع قد احتوى * فعليه من رب العلى صلواته
وسلامه ماغردت ورق اللوى * (وسمحنا بما نحب وقديه * سمح عند الضرورة البخلاء) أي سخونا بالذي نحبه

الليل لانه مفهوم لقب وليس بحجة على الراجح ولانه خرج جوابا السؤال ويرجح المخالف مذهبه بانه يستعمل جميع الاحاديث ولا يسقط منها شيأ أو يقول المذهب الذي يؤدي الى استعمال الاحاديث أرجح من الذي يسقط بعضها وعلى المذهب بان النفل مثنى فمن قام الى ثالثة رجع مالم يعقد ركوعها ويسجد بعد السلام فان عقد ركوعها برفع رأسه سجد قبل السلام على قول ابن القاسم وأما ان قام لخامسة فانه يرجع مطلقا ويسجد قبل السلام أيضا النقص السلام ورواية الاكثر في هذه الصورة السجود بعدى والى هذه المسئلة أشار في المختصر بقوله كنفل لم يعقد ثالثته والاكمل أربعا وفي الخامسة مطلقا وسجد قبله فيهما وقيل ان السجود في الصورة الاولى بعدى لاجل الزيادة وقيل ان كان جلس على الثانية سجد بعد والا سجد قبل وقيل ان جلس على الثانية لم يسجد * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا أبو معاوية نا عبيدة) بالتصغير وهو ضعيف اختلط في آخر عمره (عن ابراهيم) النخعي (عن سهم بن منجاب عن قزعة عن القرثع عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه) أي مثله معنى لا لفظا * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو داود نا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد عن عبد الله بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر) أي قبل صلاته (وقال انها) أي الساعة التي بعد الزوال (ساعة تفتح فيها أبواب السماء) أي لنزول الرحمة وصعود الاعمال الصالحة (فاحب ان يصعد) تقدم ما فيه عن جمع الوسائل وغيره (لي فيها عمل صالح) قال المؤلف في جامعه وهذا حديث حسن غريب قال ابن حجر وروى المصنف نحوه أيضا في غير هذا الكتاب ولفظه أربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن في السحر ومامن شيء الا يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرأ تتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون أي خاضعون صاغرون اه وفي الجامع الصغير أربع بعد الظهر كعدلهن بعد العشاء وأربع بعد العشاء كعدلهن من ليلة القدر خرجه الطبراني في الاوسط عن أنس * قال المصنف (حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف) بفتح الخاء المعجمة واللام (نا عمر بن علي المقدمي عن مسعر بن كدام) بكسر كاف فدال مهملة (عن أبي اسحق عن عاصم بن ضمرة عن علي انه كان يصلي قبل الظهر أربعا وذكر) أي علي (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليها عند الزوال) أي عقبه كما يدل عليه قوله قبل الظهر (ويمد فيها) أي يطيل في تلك الصلاة يعني بالنسبة الى سنة الفجر فانه كان يخففها كما تقدم وقد استشكل وجه مناسبة أحاديث الاربع ركعات التي كان يدوم عليها صلى الله عليه وسلم عند الزوال لصلاة الضحى وكان المناسب ذكرها قبيل باب الضحى عند الكلام على رواتب الصلوات وقد تقدم ذكرها في حديث علي رضي الله عنه هنالك ولم يظهر لصنيعه وجه الا بتكلف وغاية ما يتكلف لذلك ان يقال انها لما كانت قريبة من صلاة الضحى أدرجت معها على وجه التبعية لما بينهما من المجاورة مع ما في ذلك من الايماء الى أن صلاة الضحى تمتد الى وقت الزوال فكان فيه نوع اشارة الى آخر وقتها

من مجاورة الحبيب وعدم مفارقته ولم يذكر في القاموس سمح متعديا وانما ذكره لازما فقال سمح ككرم سماحا وسماحة وسموحا وسموحة وسمحا وسماحا ككتاب جاد وكرم كاسمح وهو سمح ولكن رجعنا من عند الحبيب مع مزيد محبة المكث بحضرته للواجب الشرعي الضروري من القيام بحق من ترك في الديار من الاهل والولد والمال والضرورات تبيح المحظورات فنحن في ذلك كبخيل يرسل نفيسا من يده قهرا والضرورة الحاجة الملجئة والبخلاء جمع بخيل أي شحيح قال في القاموس والاضطرار الاحتياج الى الشيء واضطره اليه أحوجه وألجأه اضطر بضم الطاء والاسم الضرة والضرورة الحاجة اه وقال الشاعر

وقد تخرج الحاجات ياأم مالك
كرائم من رب بهن ضنين

وبين السماح والبخل الطباق * لطيفة * قال العياشي في رحلته لما شاورت بعض شيوخنا في المجاورة بالمدينة حضني عليها والورد

 في الحديث ان حب الوطن من الايمان والمدينة هي وطن كل مؤمن لانها وطن الايمان فلذلك يحبها كل مؤمن قال ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها فاذا كانت وطن الايمان وهو أشرف أوصاف المؤمن بل هو في الحقيقة كليته التي صار بها معتبرا وجوده ولولا الايمان لكان العدم المحض أفضل منه فاذا ثبت هذا ثبت ان وطن الايمان هو وطن المؤمن وفي هذا اشارة حسنة وهي انه لا ينبغي لساكن المدينة بل ولو لمن بات بها ليلة أو أقام بها لحظة ان يرى في حال اقامته بها أنه

﴿باب صلاة التطوع فى البيت﴾

أى فى بيان انها فى البيت أفضل بخلاف صلاة الفرض فانها فى المسجد أفضل الا لعارض والمراد بالتطوع كل ماليس بفرض الا مايستثنى وسيأتى (حدثنا عباس العنبرى نا عبد الرحمن بن مهدى) كرمى (عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحرث عن حرام بن معاوية عن عمه عبد الله بن سعد) هو الانصارى وقيل القرشى الاموى والاول أثبت (قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى بيتى والصلاة فى المسجد) اى أيهما أحب (قال قد ترى ما أقرب بيتى من المسجد) أى صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام فى جواب السؤال ليكون أدعى الى الاقتداء به فى فعل النافلة فى البيت ولبيان أنها فى البيت أفضل ولو كان المسجد قريبا الا كبير مشقة فى الوصول اليه (فلأن أصلى فى بيتى) أى مع شدة قربه من المسجد (أحب الى من ان أصلى فى المسجد) قال النووى لانها فى البيت أخفى وأبعد من الرياء وليتبرك البيت بذلك فتنزل فيه الرحمة ويفر منه الشيطان اه ولهذا اطلب ممن أراد السفر أن يصلى فى بيته لان ذلك أفضل حفيظة لاهله والتعليل بتحصيل المنفعة بها للبيت يقتضى ان التنفل فى البيت افضل ولو كان المسجد خاليا أو كان المصلى غريبا لا يعرف لانه وان انتفى الرياء تفوت منفعة نزول الرحمة فى البيت وخروج الشيطان منه وفى المنتقى وغيره روى ابن القاسم عن مالك ان التنفل فى البيوت أحب الىّ من التنفل فى مسجده صلى الله عليه وسلم الا الغرباء فان تنفلهم فى مسجده صلى الله عليه وسلم أحب اليه ووجهه ابن رشد كما تقدم بأن الغريب لا يعرف وغيره يعرف وعمل السر أفضل وقال اليافعى نقل عن بعض أئمة اصحابنا الكبار وهو القاضى أبو الطيب الطبرى رضى الله عنه أنه قال ان وجدت خلوة فى المسجد الحرام فالصلاة فيه أفضل من البيت والا فالبيت افضل قال اليافعى قلت وهذا حسن اه وظاهره ان الصلاة فيه افضل من البيت اذا كانت خلوة سواء كان غريبا أولا فخرج مما ذكرنا ان التنفل فى المسجد النبوى أو المسجد الحرام اذا كانت خلوة او كان المتنفل غريبا افضل من التنفل فى البيت والمسجد الاقصى كذلك وهل كذلك غيرها من المساجد وهو مقتضى التعليل المتقدم وقد قال شيخنا العلامة فى شرح الحصن التعليل بنفى الرياء أشبه برجوع التفضيل لنفس الصلاة وماهيتها وكمالها وأما تحصيل المنفعة بها لبيته فأمر خارج عن حقيقتها اه (الا أن تكون صلاة مكتوبة) أى فان الاحب الى صلاتها فيه وقد أخرج الشيخان من حديث زيد بن ثابت مرفوعا أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة ومن المتفق عليه ايضا من حديث ابن عمر رفعه اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا قال فى الاكمال قيل يعنى الفرض ليقتدى به من لايخرج من النساء والعبيد والمرضى قالوا والمتخلف عن الجماعة للصلاة فى جماعة دونها ليس بمتخلف ومن على هذا للتبعيض وقيل يعنى النفل لان السر فى عمل التطوع افضل ولذا كان بعض السلف لا يتطوع فى المسجد وهو مذهب الجمهور ومن على هذا زائدة وقد تكون للتبعيض لان بعض النوافل لا تصلى فى البيوت كالتحية ورواتب الفرائض اه وقد تقدم أثناء الكلام على الرواتب الخلاف فيها هل الراجح فعلها فى البيوت او فى المسجد وهو الذى اقتصر عليه ابن الحاج فى المدخل ونقله الحطاب كما تقدم ويستثنى أيضا

مغريب بل هو فى وطنه الذى هو أحب أوطانه اه (ياأبا القاسم الذى ضمن اقسا * مى عليه مدح له وثناء) هذه كنية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأكبر ولده مولانا القاسم من خديجة رضى الله تعالى عنها تختص به عند الشافعية فلا يجوز لاحد التكنى بها على الاصح عندهم فى زمنه وبعده لمن اسمه محمد وغيره للحديث الصحيح سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى والعبرة كما تقرر فى الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذى هو أن اليهود كانوا ينادونه بذلك فيلتفت فيقولون لا نعنيك فنهى الناس عن ذلك هذا مذهب الشافعية وأما مذهبنا فقال القاضى عياض فى الاكمال فقهاء الامصار على جواز التسمية والتكنية بأبى القاسم والنهى عنه منسوخ وقيل المنع خاص بحياته عليه السلام على هذا قصره مالك وجماعة كما فى الابى وقيل خاص بمن اسمه محمد ووجه اختصاص هذه الكنية به عليه الصلاة والسلام انه هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى فى كل الامور ولا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال فى الحديث الصحيح انما أنا قاسم والله تعالى يعطى ولهذا عدوا من خصائصه انه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهى خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ماظهر فى هذا العالم فانما يعطيه النبى صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح وكما اختص الله تعالى بمفاتيح الغيب الكلى فلا يعلمها الا هو كذلك اختص النبى صلى الله عليه وسلم باعطاء مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج شىء منها الا على يده وتذكرهنا قوله * ما أرسل الرحمن أو يرسل * وقوله الذى ضمن اقسامى أى الذى فى طى اقسامى عليه بالاقسام الآتية مدح له وثناء وفى مرادفة الحمد للمدح ومباينته خلاف وعلى الثانى فرقوا بامور أحدها ان الحمد انما يكون على الجميل الاختيارى والمدح على ما لا اختيار فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة كمال والمدح يكون على ظن وبصفة مستحسنة

صلاة

وان كان فيها نقص ما ورابعها أن في الحمد من التعظيم والفخامة ماليس في المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء وأكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف انهما اخوان أي متشابهان لا مترادفان قال الطيبي وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق انتهى والاكثر على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح اعم واقسامي بالكسر وثناء تاكيد والاقسام ههنا بمعنى التوسل فهو مشعر بالاستشفاع فلذلك يتعدى بعلى فاذا استعمل في اليمين المطلق تعدى بالباء انظر حاشية العارف على الحزب الكبير (بالعلوم التي عليك من الله بلا كاتب لها املاء) أي اقسم عليك بالعلوم التي نزلت عليك من الله و بلا كاتب حال من العلوم واملاء القاء من محل وهو جبريل عليه السلام وجعل اول الاقسام العلوم لان مرتبة العلم لا أعلى منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بسؤال الزيادة الا في العلم فقال له وقل رب زدني علما وفيه اشارة الى ان أهم شيء عند الناظم هو ان يفتح عليه في العلوم والادراكات والفهوم فيبدل ظلام جهله بنور علمه وتفتح بصيرته وتنور سريرته

(ومسير الصبا نصرك شهرا
فكان الصبا لديك رخاء)

مسير عطف على العلوم والصبا الريح التي مهبها من مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وهي مراد الحسن في قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا مقابلك وبها نصر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق على الاحزاب وقال في القاموس الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش قال والدبور ريح تقابل الصبا وقال الشمال بالفتح ويكسر الريح التي تهب من قبل الحجر او ما استقبلك عن يمينك وأنت مستقبل والصحيح انه ما مهبه من مطلع الشمس و بنات نعش او من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر قال والجنوب ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا اه ثم الصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب

صلاة الطواف فانها في المسجد افضل اجماعا وكذا التراويح اذا خيف تعطيل المساجد وكذا صلاة كسوف الشمس وكذا تنفل الغريب في المسجد النبوي على ما رواه ابن القاسم عن مالك كما تقدم وكذا المسجد الحرام ان كانت خلوة كما تقدم عن أبي الطيب فتزاد هذه السبعة على قوله الا المكتوبة والله أعلم وقد تقدم ما في فعل الضحى في المسجد فجزم ابن حجر باستثنائها فيه نظر ﴿تنبيه﴾ فهم من الحديث أنه لا فرق بين المسجد النبوي ومثله المسجد الحرام أو غيرهما لكن نقل شيخنا العلامة في شرح الحصن عن اليافعي ما نصه لا ينبغي ان نترك صلاة النفل في المسجد الحرام بالكلية وان كانت الصلاة في بيته أفضل لما في المسجد الحرام من الخير والرحمة والبركة واجتماع خواص عباد الله من الملائكة والاولياء حول الكعبة وخلف المقام المعظم وكذلك لا تترك بالكلية في مسجده صلى الله عليه وسلم وخصوصا في الروضة الشريفة وكذا في المسجد الاقصى وخصوصا عند الصخرة المباركة والله اعلم اهـ وقال ابن حجر على حديث صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة الحديث تقدم النقل عن الطحاوي وغيره ان ذلك مختص بالفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته الا المكتوبة ويمكن ان يقال لا مانع من ابقاء الحديث على عمومه فتكون صلاة النفل في بيته بالمدينة ومكة تضاعف على صلاته في البيت بغيرهما وكذا في المسجدين وان كانت في البيوت افضل مطلقا اهـ ما نقله في شرح الحصن وفي الرسالة بعد ان ذكر حديث صلاة في مسجدي الخ وهذا في الفرائض وأما في النوافل ففي البيوت أفضل والتنفل بالركوع لاهل مكة أحب الينا من الطواف والطواف للغرباء أحب الينا من الركوع لقلة وجود ذلك لهم اهـ

﴿باب ما جاء في صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

لم يترجم للزكاة لانها لا تجب على الانبياء عليهم السلام لانهم لا يشهدون لهم مع الله ملكا وانما يشهدون ما في أيديهم من ودائع الله ويتصرفون فيه بالنيابة عن الله يبذلونه في أوان بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عسى أن يكون ممن وجبت عليه لقول الله سبحانه خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤن من الدنس لوجوب العصمة ولاجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة لانهم غير مكلفين والمخالفة لا تكون الا بعد التكليف ولاجل ما ذكرنا من انهم لا يشهدون مع الله ملكا قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة واذا كان اهل التوحيد والمعرفة لا يشهدون لهم مع الله ملكا فما ظنك بالانبياء عليهم السلام مع ان اهل التوحيد انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من أنوارهم * يحكى عن الشافعي واحمد بن حنبل رضي الله عنهما انهما كانا جالسين اذ أقبل شيبان الراعي فقال أحمد بن حنبل للشافعي اريد ان أسأل هذا الرجل المشار اليه في هذا الزمان فقال له الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي أربع سجدات من اربع ركعات فقال له يا احمد هذا قلب غافل عن الله يجب أن يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك فخر أحمد مغشيا عليه ثم أفاق فسأله فقال ما تقول فيمن له اربعون شاة فقال له شيبان أعلى مذهبنا او على مذهبكم فقال له اوهما مذهبان قال نعم قال أما على مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيأ انظر التنوير ولعل شيبان هذا

حارّة رطبة والشمال باردة يابسة وقوله بنصرك أى باعانتك على قهر عدوك شهر أى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفيه اعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر قال فى المنح و به يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره وهو الرعب اى الخوف المزعج لاعدائه مسافة شهر (٢٦٨) من نواحى المدينة فلم يرفع أحد منهم رأسا الا اختطفته لوامع نصره وقواصف أسنة

قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان مايستولى عليه لاتزيد مسافته فى حياته على شهر فلاينافى ان ملك أمته يزيد على ذلك بكثير واحترز عن غيره من الانبياء فان رعبهم ان وجد لايصل هذه المسافة وقيل انما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم و بين احد من أعدائه أكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق ولو كان وحده بغير عسكر وهل هى حاصلة لامته بعده فيه احتمالات أظهرها كما تقتضيه المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا والرخاء الريح اللينة المسخرة لسليمان عليه السلام غدوها شهر و رواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اعظم وأظهر لان تلك سخرت لذات سليمان عليه السلام وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا عليه الصلاة والسلام وهى هيبته وأيضا فتلك كانت تسير بعد امر سليمان لها

غير شيبان الراعى لان زمانه متأخر عن زمانهما فالله أعلم والصوم والصيام بمعنى واحد وهو لغة الامساك والترك فمن أمسك عن شيء فهو صائم لغة ومنه انى نذرت للرحمن صوما اى امساكا عن الكلام وشرعا هو الامساك عن المفطرات وحكمة مشروعيته مخالفة النفس والهوى كما قال تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أى الشهوات والمعاصى والخير كله فى مخالفة النفس قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فليس الصوم مطلوبا بالذات وانما هو وسيلة الى ترك المعاصى والشهوات لانه يضعف النفس و بذلك فيستعان به عليها ولهذا ورد فى الحديث من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه أى لفوات ثمرة الصوم ومن حكمة مشروعيته تصفية مرآة العقل والاتصاف بصفات الملائكة والتنبيه على مواساة الجائع ويكفى فى شرف الصيام اضافته له تعالى فى خبر مسلم كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وفى خبر البخارى والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى الصيام لى وأنا أجزى به وقد اختلف العلماء فى سبب اضافته اليه تعالى مع ان كل عمل خالص من الرياء فهو له تعالى فقيل لانه لم يعبد به غيره تعالى اذلم يثبت ان احدا من الكفار عظم معبوده بالصوم وقد عظموه بصورة الصلاة والسجود والصدقة وقيل لانه عمل باطن لا يدخله الرياء الا بالاخبار عن فعله بخلاف بقية الاعمال فان الرياء يدخلها بمجرد فعلها وقيل لانه لاحظ للنفس فيه وقيل لما كان الاستغناء عن الطعام من صفاته تعالى فكانه تقرب الى الله تعالى بما يشبه صفة من صفاته وان كان تعالى لاشبيه له فى صفاته وقيل لانه تعالى المنفرد بعلم مقدار ثوابه وغيره من الحسنات قد اطلع على قدر أجره كما قال الحسنة بعشر أمثالها والصوم موكول الى سعة جوده كما قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولذا قال وأنا أجزى به وتولى الكريم للجزاء يستدعى سعة العطاء وقيل لانه كالايمان لا يؤخذ فى التباعات بخلاف غيره من الاعمال الصالحات وهذا القول نقله أبو الحسن فى كفاية الطالب عن سفيان بن عيينة واقتصر عليه والمقصود من الترجمة صوم التطوع وأما صوم الفرض فانما ذكر تبعا والله أعلم (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حماد بن زيد عن أيوب بن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يصوم) أى أحيانا صياما متتابعا (حتى نقول) أى فى أنفسنا أو القول بمعنى الظن و فى بعض النسخ تقول بالتاء المثناة فوق أى حتى تقول أيها السامع لو أبصرته ويجوز بياء الغائب أى يقول القائل (قد صام) أى داوم على الصيام (ويفطر) أى أحيانا افطارا متواليا (حتى نقول قد أفطر) أى داوم على الفطر و رواية مسلم حتى نقول قد صام قد صام و يفطر حتى نقول قد أفطر قد أفطر و رواية البخارى عن ابن عباس يصوم حتى يقول القائل والله لا يفطر و يفطر حتى يقول القائل والله لا يصوم قال فى الاكمال قيل والمعنى أنه كان لا يخصص أياما بعينها بالصوم اهـ و يفهم من روايتين عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم من كل شهر وان صوم النفل غير مختص بوقت بل السنة كلها وقت له خلافا لقول ابن حجر ان ذلك يفهم من رواية المصنف ونص مسلم عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا معلوما سوى رمضان فقالت والله ان صام شهرا معلوما سوى رمضان حتى مضى لوجهه ولا أفطره حتى يصيب منه وفيه أيضا عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أكان

وهذه تسير بامر الله تعالى من غير واسطة نبينا عليه السلام فهو من تشبيه الاعلى بالادنى نظير كما صليت على ابراهيم عليه السلام النبى (وعلى لما تفلت بعينيه وكلتاهما عار مداء فغدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء) على هو ابن أبى طالب كرم الله وجهه معطوف على العلوم وغدا ذهب والعقاب بضم العين طائر معلوم من الصقور وفى الكامل هو سيد الطيور له بصر قوى ومن أمثالهم أبصر من عقاب والغزاة هى غزوة خيبر وهو بلد كبير ذو حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام

فى سنة سبع وضميرها عائد على الغزاة والعقاب راية للنبى صلى الله عليه وسلم قال فى المنح أراد بقوله لواء الراية اذ هو العلم الضخم لان الذى كان يومئذ راية لا لواء ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط ثم قال عياض فى مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز فى النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب أسود وكانت من برد لعائشة رضى الله تعالى عنها ذكر ذلك كله أهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطى وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام وفى الصحاح الالوية المطارد وهى دون الاعلام والبنود وفى البخارى من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا وكان اذا أتى قوما بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبى صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفيه ان على بن أبى طالب تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم لرمد به فلحق فلما كانت ليلة الفتح قال لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فلما أصبح استشرف الناس لها فقال أين على بن أبى طالب فقيل يارسول الله هو يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال على يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيهم فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث وروى انه لما ذهب بالراية هرول حتى ركزها فى رضم من حجارة تحت الحصن فقال له يهودى من الحصن من أنت قال أنا على بن أبى طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما أنزل على موسى بن عمران عليه السلام فما رجع حتى فتح الله تعالى عليه وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه عن يده فاخذ بابا فتترس به واستمر

النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا كله قالت ما علمته صام شهرا كله الا رمضان ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله صلى الله عليه وسلم (قالت وما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا) فيه تنبيه على أن تتابع صومه كان دون الشهر لا فى شعبان ولا فى غيره (منذ قدم المدينة) قيل انما قيدت بهذا لانها لم تعلم حالته صلى الله عليه وسلم فى الصوم قبل الهجرة وانما علمت بما كان بعدها وهو ظاهر ولا يلزم من معرفتها بكثير من أحواله بمكة بالسؤال عنها معرفتها بجميعها خلافا لابن حجر وقيل قيدت به لان الاحكام انما كثرت وتتابعت من حين قدومه المدينة مع أن رمضان لم يفرض الا بالمدينة فى السنة الثالثة من الهجرة وبهذا قرره ابن حجر وتبعه فى جمع الوسائل وقال الطيبى انما قيدت بذلك لاستثناء رمضان لا لافادة انه بمكة يستكمل شهرا أو شهورا لانه بمكة لم يحفظ عنه سرد صوم لا فى شعبان ولا فى غيره (الا رمضان) فى صحيح مسلم من حديث حكيم بن أفلح عن عائشة لا اعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله فى ليلة ولا صلى ليلة الى الصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان وفيه جواز استعمال رمضان غير مضاف الى الشهر وهو الصحيح ومذهب البخارى والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت له أبواب الجنة ونحوه انما يجوز بقرينة كصمنا رمضان ويكره بدونها كجاء رمضان لما قيل انه اسم من أسماء الله والمذهبان فاسدان قال النووى ولا يصح أن يكون من أسمائه تعالى فقد صنف جماعة لا يحصون فى أسمائه تعالى فلم يثبتوه وما روى فيه من حديث ضعيف اهـ وهو مشتق من الرمض وهو شدة الحر أو من رمض الذنوب أى حرقها ولا يدفع هذا ان التسمية كانت قبل الشرع لان الصوم من الشرع القديم كما يفهم من قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون خلافا لابن حجر وعلى انه من أسماء الله تعالى فهو غير مشتق أو يرجع الى معنى الغافر أى يمحو الذنوب ويمحقها * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا اسمعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك انه سئل عن صوم النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان يصوم من الشهر حتى نرى) أى نظن أو يرى بالياء مبنيا للمفعول أى يظن (انه لا يريد ان يفطر منه) أى من الشهر شيأ كما دل عليه ما بعده (ويفطر) أى من الشهر (حتى نرى ان لا يريد ان يصوم منه شيأ) من الصيام او من الايام (وكنت) بالخطاب (لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما) المراد ان كل جزء من اجزاء الليل قام فيه صلى الله عليه وسلم باعتبار ايام متعددة وان كان غالب قيامه آخره كما تقدم فكان تارة يقوم أول الليل وتارة يقوم وسطه وتارة يقوم آخره وكذا الصوم فلم يكن يتعبد بوقت فى صيامه وقيامه قال العسقلانى وليس المراد انه كان يستوعب الليل قائما أو نائما ثم اعلم ان ظاهر التركيب مشكل لان المعنى على الاثبات لا على النفى اذ المراد ان شئت أن تراه مصليا رأيته كذلك وان شئت أن تراه نائما رأيته كذلك والجواب ان هذا التركيب نظير حديث ما أيس الشيطان من بنى آدم الا أتاهم من قبل النساء وقدره الرضى وغيره على أن ما بعد الا حال مقدرة والاستثناء مفرغ وتقدير الكلام ما أيس الشيطان من بنى آدم فى حال من الاحوال الا حال كونه آتيا أى ناويا اتيانهم من قبل النساء وعلى قياسه يقال فى هذا التركيب والتقدير وكنت لا تشاء فى حال من أحوالك أن تراه مصليا من الليل الا فى حال كونك رائيا له مصليا أى متمكنا من رؤيته كذلك بهذا قرره شيخنا المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى رفع الله سبحانه قدره وأما ما ذكره ابن حجر وغيره فى

يقاتل حتى فتح الله تعالى عليه ومن كبر ذلك الباب أن ثمانية أرادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل أيضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها فخزروه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون رجلا وفى رواية سبعون توفى رضى الله تعالى عنه شهيدا وهو خارج لصلاة الصبح ضربه ابن ملجم فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة بعد ان استيقظ سحر

اعرابه فلم يظهر لى معناه وعلى ان معنى الحديث ما تقدم فيستفاد منه كما قال ابن حجر انه ما كان يعين بعض الليل للنوم و بعضه للصلاة كاصحاب الاوراد الباقين مع عاداتهم التى ألفتها نفوسهم فلم يبق لهم مشقة عليها لانه صلى الله عليه وسلم يحكم على العادة ولا تحكم عليه بخلاف غيره فان الغالب عليه ان اعتاد شيأ غلب عليه وحكم عليه اه بمعناه لكن يعارضه قول عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ الا أن يقال كل من عائشة وأنس أخبر بما علم و يفهم مما تقدم من انه كان يقوم بعض الليل و ينام بعضه ان هذه الطريقة هى أعدل الطرق وأفضلها فى العبادة وهى مجانبة الاسراف والتقصير والافراط والتفريط وقد تقدم انه لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان بعض أصحابه حلف ليصلين الليل أبدا او بعضهم حلف ليصومن الدهر و بعضهم حلف ليعتزلن النساء فلا يتزوج أبدا قال اما والله انى لاخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى وسيأتى فى حديث المرأة التى كانت لا تنام الليل قوله عليه السلام عليكم من الاعمال ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وسيأتى ان شاء الله وجه ذلك و زاد أنس فى الجواب حكم الصلاة فى الليل تنبيها للسائل على انها ان لم تكن أحق بالسؤال عنها من الصوم كانت مثله واستيفاء للاحوال * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان انا أبوداود أنا شعبة عن أبى بشر) اسمه جعفر بن أبى وحشى واسمه اياس (قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد ان يفطر و يفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وما صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة الا رمضان) نحوه فى مسلم الا انه قال شهرا متتابعا وفيه أيضا من طريق عثمان بن حكيم قال سألت سعيد بن جبير عن صيام رجب ونحن يومئذ فى رجب فقال سمعت ابن عباس يقول ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا منذ قدم المدينة الا رمضان قال الابى قال النووى الظاهر من استدلال سعيد انه يعنى انه لا نهى فيه ولا ندب لعينه بل هو كغيره من الشهور وفى أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى صوم الاشهر الحرم و رجب أحدها اه وروى أبوداود وغيره عن عروة انه قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم فى رجب قال نعم و يشرفه قالها ثلاثا وروى عن أبى قلابة ان فى الجنة قصرا لصوام رجب وهو من كبار التابعين لا يقوله الا عن بلاغ كما قاله البيهقى قال ابن حجر وأما ما ذكره ابن ماجه عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام رجب فالصحيح وقفه على ابن عباس اه قال فى جمع الوسائل هذا محل بحث لان الموقوف اذا جاء بطريق آخر مرفوعا فالمحققون يرجحون الرفع مع ان مثل هذا الموقوف فى حكم المرفوع فيحتاج الى ترجيح بتصحيح أحدهما او الى نسخ أحدهما ان عرف تاريخهما اه فانظره بعد هذا المحل فى حديث كان يصوم شعبان الا قليلا الخ * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبى سلمة) أى ابن عبد الرحمن بن عوف احد العشرة (عن أم سلمة قالت ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين الا شعبان و رمضان) هذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم صام شعبان كله وهو معارض لما سبق من انه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا الا رمضان فقيل ان أم سلمة اطلعت على ما لم يطلع عليه ابن عباس وعائشة واستبعد وقيل ان مراد أم سلمة بصوم شعبان صوم جله وغالبه لا صوم كله فلم تعتبر افطار القليل منه فحكمت بالتتابع وقيل مراد عائشة وابن عباس من قولهما ما صام

شهرا

وقال للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم الليلة فشكا اليه ما لقى فقال ادع عليهم فدعا عليهم ان يبدل خيرا منهم وان يبدلوا شرا منه واكثر فى تلك الليلة الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله تعالى ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت وكان له أوز فلما خرج صحن فى وجهه فطردن عنه فقال دعوهن نوائح ومات ليلة الاحد واختلف فى موضع قبره لانه اخفى خوفا من ان ينبشه الخوارج و روى انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل فلم يدر أين ذهب فلذلك قال اهل العراق انه فى السحاب (وبريحانتين طيبهما منك الذى اودعتهما الزهراء) يعنى الحسن والحسين رضى الله عنهما وفى البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وفى رواية ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا وقوله طيبهما أى حسا ومعنى حاصل منك لانهما بضعتان منك وطيبه صلى الله عليه وسلم معروف بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب بل كانت أم أنس تاخذ من عرقه ليتطيبوا به والذى نعت للريحانتين نتأو يلهما بالمذكور أى الذى أودعتهما بالبناء للمفعول الزهراء هى فاطمة سيدة نساء العالمين رضى الله تعالى عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار بقوله أودعتهما الى ما هو من خصائصه أن أولادها ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها لانه جعلها مستودعة فهو صلى الله عليه وسلم الذى أودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت الزهراء لانها لم تحض كما فى

شهر اما صامه على الدام بل تارة يصوم جله وتارة كله قال ابن حجر ولا يصح الجمع بأنه كان قبل قدومه المدينة قد يستكمل صوم شعبان أخذا من قول عائشة فيما مر منذ قدم المدينة لان صوم رمضان انما فرض فى المدينة فى شعبان فى السنة الثانية من الهجرة و فى مكة لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم سرد صوم لا فى شعبان ولا فى غيره فالتقييد بالمدينة فى كلام عائشة لاستثناء رمضان لالافادة انه بمكة كان يستكمل شهرا أو شهورا بالصوم اه قال فى جمع الوسائل هذا مدفوع بانه يحتمل كلامها انها رأته يصوم شعبان متتابعا بمكة أو بلغها عن غيرها ومن حفظ حجة على من لم يحفظ فلا منع من الجمع بهذا (قال أبو عيسى) أى المصنف (هذا) أى هذا الاسناد المذكور (اسناد صحيح) اى على شرط الشيخين كما ذكره ابن حجر (وهكذا قال) اى روى ابن أبى الجعد (عن أبى سلمة عن ام سلمة و روى هذا الحديث غير واحد عن أبى سلمة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم و يحتمل أن يكون أبو سلمة بن عبد الرحمن قد روى هذا الحديث عن عائشة وأم سلمة) زاد فى بعض النسخ (جميعا) أى معا (عن النبى صلى الله عليه وسلم) قال ابن حجر يتعين هذا الاحتمال لتصح الروايتان وتسلما من الاضطراب فان أبا سلمة بن عبد الرحمن كان يروى عن كل من عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما * قال المصنف (حدثنا هناد نا عبدة عن محمد بن عمرو نا أبو سلمة عن عائشة قالت لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم) جملة يصوم حال من مفعول لم أر ان كانت الرؤية بصرية ومفعول ثان ان كانت علمية (فى شهر) أى من الاشهر (أكثر من صيامه) صفة لمفعول مطلق محذوف أى صياما تطوعيا اكثر الخ لا مفعول ثان لقوله لم أر خلافا لابن حجر (فى شعبان) متعلق بصيامه وظاهر هذا الحديث وما كان فى معناه أن صوم شعبان أفضل من رجب وغيره من الاشهر الحرم و فى مسلم عن أبى هريرة مرفوعا أفضل الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل فقال النووى يحتمل انه لم يعلم فضل صوم المحرم الا فى آخر حياته قبل التمكن من صومه أولعله كان يحصل له عذر من سفر أو مرض يمنعه من اكثار الصوم فيه اه واستبعد كل من الوجهين ثم قيل انما كثر صيامه فى شعبان لما رواه الطبرانى عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فربما أخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وقيل تعظيما لرمضان فيكون بمنزلة تقديم الرواتب على المكتوبات لحديث سئل صلى الله عليه وسلم أى الصوم أفضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان لكنه حديث غريب عند المصنف قال وفيه صدقة وهو عندهم ليس بالقوى وقيل للتمرن على صوم رمضان وقيل لحديث انه شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فأحب ان يرفع عملى وأنا صائم وقيل لحديث ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فأحب ان لا ينسخ اسمى الا وأنا صائم قال فى جمع الوسائل بعد ذكر هذه الاقوال ولعل هذا هو الحكمة فى وجه اختصاص شعبان به عليه السلام حيث قال رجب شهر الله وشعبان شهرى و رمضان شهر أمتى على ما رواه الديلمى وغيره عن أنس اه وذكر ابن حجر فى تأليفه الذى سماه تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب ان هذا من الاحاديث الباطلة وقد اختصر هذا التأليف الحطاب فى شرحه للمختصر فانظره (كان يصوم شعبان الا قليلا بل كان يصومه كله) فيه أيضا معارضة لما سبق عنها وعن ابن عباس انه

حديث رواه الغسانى و روى الخطابى ان ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وسميت فاطمة لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار رواه الغسانى مرفوعا وأخرج الحافظ الدمشقى مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله (٢٧١) قاله ابن الاثير كذا فى المواهب وأخرج الطبرانى والخطيب ان الله تعالى جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه (كنت تأويهما اليك كما آوت من الخط نقطتيها الياء) أى تضمهما لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان و يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى و رفعتهما وأخرج الترمذى والطبرانى هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وروى الترمذى أحب اهل بيتى الى الحسن والحسين و روى أحمد وابن ماجه والحاكم من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى وجاء من طرق صح بعضها ابناى الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما و فى قوله أبوهما خير منهما حجة لاهل السنة أن الائمة الاربعة أفضل من اهل البيت علما وعملا ومعرفة نعم هما أفضل من جهة أنهما بضعة من النبى صلى الله عليه وسلم واستشكل قوله سيدا شباب أهل الجنة بأنهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها الشباب والكهول والشيوخ ولكن ورد ان كل من يدخلها يكون على خلقة أبناء ثلاث وثلاثين سنة والظاهر كما قال شيخ شيوخنا ان المراد انهما سيدا أهل الجنة مع كونهم شبابا أى ان اهل الجنة مع كمال حسنهم وقوتهم ونضارتهم و رونقهم و بهجتهم فالحسن والحسين سيداهم فلفظ شباب ليس للتخصيص وتقسيم المفضل عليهم الى شباب وغيرهم بل لبيان

كمال المفضل عليهم وذلك مستلزم لكمال التفضيل ومقتض لغاية شرف المفضل و يشهد لذلك ما في بعض روايات الحديث سيدا أهل الجنة وهو مخصص بمن عدا الانبياء والمرسلين لقيام الدليل القاطع وهنا وجه آخر وهو أن يراد بشباب اهل الجنة أنضرهم وأكملهم حسنا وأعلاهم جمالا أطلق عليه اسم الشباب لان مسماه (٢٧٢) لغة احسن من الكهول والشيوخ والصبيان والياء فاعل آوت أي ضمت ومن الخط

ماصام شهرا كاملا غير رمضان فاما ان يقال كما قال ابن عبد البر و ابن المنير ان قولها الثاني متأخر عن قولها الاول فاخبرت عن أول أمره بانه كان يصوم أكثر شعبان وأخبرت ثانيا عن آخر أمره انه كان يصومه كله واما ان يقال كما قال ابن المنير ان الكلام محمول على المبالغة فلا تكون كل للاحاطة والشمول كما في قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا كلها وقد نقل المصنف عن ابن المبارك انه يجوز في كلام العرب ان تعبر بصوم الشهر كله عن صوم معظمه قال كانه جمع بين الحديثين بذلك وتكون حكمة الاضراب كما قال ابن حجر ان قولها الا قليلا ربما يتوهم منه ان ذلك القليل يصدق بما له وقع كثلث الشهر فبينت بكله انه لم يكن يفطر منه الا مالا وقع له بحيث يظن انه صامه كله واما أن يقال المراد بكله انه كان يصوم من أوله تارة ومن آخره أخرى ومن أثنائه طورا فلا يخلي شيأ منه من الصيام ولا يخص بعضه بصيام دون بعض واما أن يقال في الكلام قلب والتقدير كان يصومه كله بل كان يصومه الا قليلا و يؤيده ما في مسلم عن أبي سلمة عن عائشة كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلا قال النووي الثاني مفسر للاول أي فيكون المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال ولذا استبعده الطيبي قائلا ان الكل تاكيد لارادة الشمول ودفع التجوز فتفسيره بالبعض مناف له قال فيحمل على انه كان يصومه كله في وقت و يصوم بعضه في وقت آخر لئلا يتوهم انه واجب كرمضان قال ولو عطف بالواو لم يحمل الا على هذا الثاني * قال المصنف (حدثنا القاسم بن دينار الكوفي نا عبيد الله ابن موسى وطلق بن غنام عن شيبان عن عاصم عن زر) بكسر الزاي وتشديد الراء (ابن حبيش عن عبد الله) أي ابن مسعود على ماهو مصرح به في المشكاة مع انه المراد عند الاطلاق في اصطلاح المحدثين وغالب الفقهاء المعتبرين (قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام) هكذا أيضا رواه أصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وغرة الشهر قال ابن حجر هي أوله فيكون المعنى انه كان يصوم من أول كل شهر ثلاثة أيام و يعارضه ما يأتي عن عائشة قالت كان لا يبالي من أيه صام وكذا قولها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس وكذا ما رواه أبو داود والنسائي والامام أحمد في مسنده كما في الجامع الصغير من حديث حفصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس والاثنين من الجمعة الاخرى وأجاب البيهقي بان كل من رآه فعل نوعا ذكره وعائشة رأت جميع ذلك فاطلقت انه لم يكن يبالي من اي ايام الشهر صام اه قلت وهذا الجواب لا يأتي في المعارضة بين حديثيها المتقدمين قال في جمع الوسائل وقد يقال المراد بغرة كل شهر ظهوره وطلوعه فلا دلالة فيه على كون صيامه في اوله و يؤيده ما في القاموس من ان الغرة من الهلال طلعته اه و يأتي لابن حجر جواب آخر في حديث يزيد الرشك و يأتي جواب آخر للعسقلاني في حديث كان عمله ديمة قلت و يحتمل ان يكون المراد بغرة الشهر أيام البيض أي أيام الليالي البيض لانها تبيض بطلوع القمر فيها من أول الليل الى آخره وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر وتبقى على هذا الاحتمال المعارضة المذكورة و يجاب عنها بما تقدم و بما يأتي عن ابن حجر وعن العسقلاني و يؤيد هذا الاحتمال قول النبي صلى الله عليه وسلم للاعرابي ان كنت صائما فصم الغر أي البيض وقد روى النسائي عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر وروى

حال منه و في البخاري عن الحسن رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدي فيقعدني على فخذه و يقعد الحسين على فخذه الاخرى و يضمنا ثم يقول اللهم اني أرحمهما فارحمهما وصح عن اسامه ابن زيد رضي الله تعالى عنهما قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو مشتمل على شيء قلت ما هذا فكشف فاذا هو حسن وحسين على وركيه الشريفتين فقال اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم أحبهما واحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت ياغلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالياء انها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء

(من شهيدين ليس ينسيني الطف مصابيهما ولا كربلاء)

من شهيدين بيان للريحانتين فلا تحريد فيه وهما الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما أما الحسن فولد في النصف من شهر رمضان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة وتوفي في سنة خمسين عند الجمهور مسموما مار وى أن يزيد بن معاوية أرسل لزوجته جعدة الكندية ان تسمه و يتزوجها و بذل لها مائة الف درهم ففعلت فمرض اربعين يوما ومات و بعثت ليزيد تطلب ما وعدها فأبى وجهد به اخوه الحسين ان يخبره بمن سمه فأبى وقال الله تعالى أشد نقمة وقد حضرت وفاتي ودنا فراقي لك واني لاحق بربي وأجد كبدي تقطع واني لعارف من اين

احمد

دهيت فبحقى عليك لا تكلمنى فى ذلك بشىء ثم قال وأقسم عليك أن لا تريق فى أمرى محجمة دم وقال له لما احتضر يا أخى ان أباك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله تعالى عنه الى الثلاثة قبله ثم ولى فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له وانى والله ما أرى ان يجمع الله تعالى فينا النبوة والخلافة ور بما يستخفك سفهاء الكوفة فيخرجونك وقد كنت

طلبت من عائشة ان ادفن مع رسول

احمد عن حفصة أربع لم يكن صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشوراء والعشر وأيام البيض من كل شهر و ركعتى الفجر وكان المراد بالعشر عشر ذى الحجة وانما كره مالك صيام أيام البيض لسرعة أخذ الناس بمذهبه فيظن الجاهل وجوبها قال ابن رشد وروى عنه أيضا انه كان يصومها وانه كتب الى الرشيد يحضه على صومها اه وفى البخارى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له صم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر وفى مسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كل شهر و رمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله وروى الامام احمد وابن حبان فى صحيحه والبزار ورجاله رجال الصحيح مرفوعا صوم شهر الصبر يعنى رمضان وثلاثة من كل شهر يذهبن وحر الصدر أى حقده وغشه ووساوسه *قلت لو لم يكن فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر مع رمضان الا هذه الغنيمة العظيمة وهى شفاء القلوب من هذه العيوب لكان ذلك كافيا للمؤمن وسيأتى حديث عائشة انها سئلت أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر قالت نعم قلت من أيه كان يصوم قالت كان لا يبالى من أيه صام وفى رواية مسلم لم يكن يبالى من أى أيام الشهر يصوم قال فى الاكمال اختلفت الاحاديث فى تعيين الثلاثة ففى هذا انه كان لا يعين وفى حديث جرير انها الايام البيض وبه أخذ جماعة منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبوذر وفى حديث رفعه ابن عمر انها أول اثنين فى الشهر وخميسان بعده واستحب النخعى آخر الشهر واستحب الحسن أوله واستحبت عائشة السبت والاحد والاثنين ثم الثلاثاء والاربعاء والخميس من الشهر الذى يليه وأم سلمة أول خميس ثم الاثنين بعده ثم الاثنين وقيل أول يوم من الشهر والعاشر والعشرون وقيل انه صوم مالك وقال ابن شعبان أول يوم والحادى عشر والحادى والعشرون اه وما اختاره ابن شعبان هو الذى قال بعضهم انه صوم مالك والمعروف من قول مالك كراهة تعيين أيام للنفل أو يجعل لنفسه شهرا أو يوما يلتزم صومه وفى النوادر عنه كراهة تعمد صيام أيام البيض وقال ما كان ببلدنا وقد تقدم ذلك (وقلما كان يفطر) يحتمل أن تكون ما كافة لقل عن طلب الفاعل ويحتمل أن تكون مصدرية فيكون فاعل قل المصدر المنسبك أى قل كونه مفطرا (يوم الجمعة) فى هذا دليل لمالك وأبى حنيفة ان صوم يوم الجمعة وحده حسن ففى الموطأ لم أسمع أحدا من أهل العلم والفقه ممن يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه اه و يعارضه حديث البخارى عن أبى هريرة رفعه لا يصومن أحدكم يوم الجمعة الا يوما قبله أو بعده وفى الجامع الصغير لا تصوموا يوم الجمعة مفردا رواه الامام أحمد فى مسنده والنسائى والحاكم عن جنادة الاردى وفيه أيضا لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم أو بعده يوم رواه الامام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة والحاصل أن صريح الاحاديث النهى عنه قيل تحريما وقيل تنزيها وبأحاديث النهى أخذ جمهور الشافعية قال فى جمع الوسائل وتأويل الحديث عندهم انه كان يصومه منضما الى ما قبله أو الى ما بعده اه أو يقال انه لم يكن يقصده بالصيام على التعيين وانما كان يصومه مصادفة له فى الايام التى كان يصومها فكان يقع فى أيام صيامه من غير قصد ولا تعيين وأما قول ابن حجر ان صومه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وحده لبيان الجواز اه ففيه انه كان يكفى لبيان الجواز صومه فى بعض الاوقات وهو خلاف قوله وقلما كان يفطر قال فى جمع

الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان منعوك فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة قالت نعم وكرامة فمنعهم مروان وكان والى المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح فرده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب أمه وكان مروان يكثر من اذايته فلما مات بكى فى جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال انى كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا واشار الى الجبل بيده وكان مروان شديد البغض لاهل البيت وروى الحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وروى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها لعن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أبا مروان ومروان فى صلبه ومذهب مالك أن مروان غير صحابى فانه قال ولد مروان يوم أحد قال أبو عمر فعلى قول مالك توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين أو نحوها ولم يره لانه خرج الى الطائف طفلا لا يعقل مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر اليه علىّ يوما فقال ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك اذا شاب ذراعاك وصح ان الحسن حج خمسا وعشرين مرة ماشيا وان النجائب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات ومناقبه

الوسائل وكان مالك رحمه الله تعالى اطلع على تاريخ دل على نسخ النهى أو لما تعارض حديث الفعل والنهى وتساقطا بقى أصل الصوم على استحسانه اه أو لم يصحب حديث النهى عمل بخلاف حديث الفعل وهذا هو الظاهر من كلام الموطأ كما تقدم وأما قول ابن حجر لم يبلغ مالكا النهى عن صوم يوم الجمعة فبعيد جدا عدم بلوغ أحاديث النهى مالكا ومن قال بقوله وقد اختلف فى علة النهى فقيل لانه يوم دعاء وعبادة وذكر فيكون الفطر أعون له على هذه الوظائف وأدائها بنشاط كالحاج بعرفة يوم عرفة فان السنة له الفطر فيه ويرد عليه انه لو كان كذلك لما زالت الكراهة بصوم يوم قبله أو بعده وقيل علة النهى انه يوم عيد والعيد لا يصام ويؤيده ما رواه الحاكم عن أبى هريرة مرفوعا يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم الا ان تصوموا قبله أو بعده ويرد عليه ما ورد على ما قبله واجاب ابن الجوزى وغيره بان شبهه بالعيد لا يستلزم استواءه معه من كل جهة فمن صام معه غيره خفت عنه صورة التحرى بالصوم وقيل سبب النهى خشية أن يفرض عليهم كما خشى ذلك فى التراويح وأورد عليه ما تقدم وقيل سبب النهى خوف المبالغة فى تعظيمه بحيث يفتتن به كما افتتن اليهود بالسبت قال النووى وهذا منتقض بصلاة الجمعة وغيرها مما هو مشهور من وظائف اليوم واجيب بان عموم الصوم الشامل للرجال والنساء وسكان البادية والقرى والامصار من العبيد والاحرار ليس كالصلاة المختصة بشروط فى وجوبها وصحتها اذ انها مع انها قائمة مقام صلاة الظهر المؤداة فى سائر الايام انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أبو مصعب المدنى) وفى نسخة المدينى (عن مالك بن انس عن أبى النضر عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم) اى نفلا (فى شهر اكثر من صيامه فى شعبان) كان المناسب ذكر هذا الحديث قبل حديث ابن مسعود وقد تقدم ما للعلماء من الاقوال فى وجه اكثاره صلى الله عليه وسلم من الصوم فى شعبان * قال المصنف (حدثنا محمود) أى ابن غيلان كما فى نسخة (نا ابو داود نا شعبة عن يزيد الرشك) بكسر الراء (قال سمعت معاذة قالت قلت لعائشة أكان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من كل شهر قالت نعم قلت من أيه كان يصوم قالت كان لا يبالى من أيه صام) فى رواية مسلم لم يكن يبالى من أى ايام الشهر صام وقد تقدم فى حديث ابن مسعود عن الاكمال ما وقع من الاختلاف فى تعيين هذه الثلاثة المستحبة فى كل شهر فانظره هنالك مستوفى (قال أبو عيسى) أى المصنف (يزيد الرشك هو يزيد) بن أبى يزيد (الضبعى) بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها مهملة أبو الازهر (البصرى وهو ثقة) عابد (روى عنه شعبة) أى مع جلالته (وعبد الوارث بن سعيد وحماد بن زيد واسمعيل بن ابراهيم وغير واحد من الائمة) أى أئمة الحديث ونقادهم وحذاقهم قال ابن حجر وقد روى عنه الستة فى صحاحهم (وهو يزيد القاسم ويقال القسام والرشك بلغة) أهل (البصرة) هو (القسام) فلقب به لانه كان ماهرا فى قسمة الاراضى بين الشركاء وكان يباشرها من جهة السلطنة قال الزمخشرى كان الحسن اذا سئل عن حساب فريضة قال علينا ببيان السهام وعلى يزيد الرشك ببيان الحساب وكان يزيد أحسب أهل زمانه وما مر عليه المصنف من انه لقب بذلك لهذا هو أحد قولين وقيل الرشك اللحية الكثيفة لقب به لكثافة لحيته قال ابن الجوزى وغيره دخل عقرب لحيته فاقام بها ثلاثة أيام وهو لا يشعر لكبر لحيته * فان قيل من أين يعرف انها اقامت بلحيته ثلاثة ايام

وكراماته كثيرة * وأما الحسين رضى الله تعالى عنه فولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع قال الواقدى حملت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة واستشهد يوم الجمعة عاشر المحرم سنة احدى وستين وحز رأسه الشريف وذهب به الى يزيد الخبيث للشام مع نسائه ومن بقى من آله ووجد به احدى وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وكان ذلك على يد عبيد الله بن زياد وقتل معه من اخوته وبنيه وبنى أخيه الحسن ومن أولاد عقيل وجعفر تسعة عشر رجلا قال الحسن البصرى ما كان لهم على وجه الارض يومئذ شبيه واختلفوا هل كان ذلك بامر يزيد أم لا وقد روى انه لما بلغه رأس الحسين ضرب ثناياه بقضيب وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على أعقاب الجمال موثقين فى الحبال والنساء مكشوفات الوجوه والرؤس وأقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى * ولذا قال الامام أحمد بلعنه وكفره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالى فانه أطال فى رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح أنه قتله ولا أمر بقتله ثم بالغ فى تحريم سبه ولعنه وكذلك ابن العربى بل قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اى بحسب اعتقاده الباطل انه الخليفة والحسين باغ عليه وقد كانت سبقت بيعة يزيد ولا يجوز الخروج على من ثبتت بيعته ويرد هذا بانه انما يصح بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الجائر بعد تلك الاعصار بزمان واجتهاد الحسين اقتضى الخروج على يزيد لجوره بل لم يبايعه الحسين ولا كثير والمبايعون له مكرهون على بيعته ويمثل هذا يجاب عن خروج معاوية على على والحسن فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير آثم لاجتهاده فالحسين كذلك وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة وذلك أنه لما مات معاوية وبويع

أيام * فالجواب انه يحتمل ان يكون دخل مكانا كثير العقارب ثم رآها بعد الخروج منه بثلاثة أيام ويحتمل ان احدا رآها حين دخلت ولم يخبره بها الا بعد ثلاثة أيام ليعلم هل يحس بها ام لا وقد اشار ابن حجر الى ان غرض المصنف بذكر ترجمة يزيد الرد على من زعم انه لين الحديث وانه انما ذكر هذا هنا دون باب الضحى لان ما رواه هنا يعارضه ما فى الباب من انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الغرة والاثنين والخميس ونحو ذلك مما فيه انه عين بعض الايام لصومه فربما طعن طاعن بهذا فى يزيد لتفرده بتوثيقه مع الاشارة الى انه لا معارضة ووجهه ان معنى كونه لا يبالى بذلك انه كان فى كثير من اوقاته يترك تلك الايام المذكورة ويصوم غيرها من بقية الشهر فلم يكن يلتزم أياما بعينها الا ينفك عنها نظير ما مر قريبا فى ساعة الليل بالنسبة لمنامه وقيامه اه * قال المصنف (حدثنا ابو حفص عمر بن على نا عبد الله بن داود عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان) بفتح فسكون (عن ربيعة الجرشى) بضم الجيم وفتح الراء فشين معجمة موضع باليمن (عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس) كذا هى الرواية كما عند النسائى وتصحف الصوم باليوم على ابن حجر قال المناوى وتحراه أى تعمده أو طلب ما هو أحرى بالاستعمال فالمعنى على الاول يتعمد صومهما فيصبر على الصوم منتظرا لهما وعلى الثانى يجتهد فى ايقاع الصوم فيهما لان الاعمال تعرض فيهما كما فى الخبر الآتى ولانه سبحانه يغفر فيهما لكل مسلم الا المتهاجرين أى المتقاطعين رواه أحمد ولما فى مسلم انه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل على القرآن * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا أبو عاصم عن محمد بن رفاعة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال) أى على الله تعالى كما فى جامع المصنف او على رب العالمين كما فى رواية النسائى (يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى) أى فيهما (وأنا صائم) جملة حالية من فاعل أحب قال الحليمى ملائكة الاعمال يتناوبون فيقيم فريق منهم من الاثنين الى الخميس فيعرجون وفريق من الخميس الى الاثنين فيعرجون وكلما عرج فريق قرأ ما كتب فى موقفه من السموات فيكون ذلك عرضا فى الصورة يحسبه الله تعالى عبادة للملائكة فاما هو فى نفسه جل جلاله فغنى عن عرضهم ونسخهم وهو أعلم باكتساب عباده منهم اه قال تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وكذا تعرض الاعمال ايضا ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وهذا العرض كله اجمالى الا ان الاول باعتبار الاسبوع والثانى والثالث باعتبار العام وأما عرضها تفصيلا فبرفع الملائكة بها بالليل مرة وبالنهار اخرى كما يدل عليه حديث نزول ملائكة الليل والنهار وفائدة تكرار العرض اظهار شرف العاملين بين الملأ الاعلى * قلت استحضار هذا المعنى عند العمل يعين على الاخلاص فى الاعمال ومراعاة احوال النفس والتنبه لدسائسها وفى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا ابو احمد ومعاوية بن هشام قالا نا سفيان عن منصور عن خيثمة) بفتح خاء معجمة وثاء مثلثة بينهما تحتية ابن عبد الرحمن الجعفى الكوفى ورث مائتى الف فانفقها على العلماء (عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس) بين بهذا أن سائر ايام الاسبوع محل للصوم قال ابن حجر ولم يوالها من اسبوع واحد لئلا يشق على أمته التأسى به فى ذلك ولا ذكر للجمعة فى هذا الحديث وقد تقدم فى حديث ابن مسعود انه قلما

ليزيد سنة ستين أرسل الى عامله بالمدينة وهو الوليد بن عقبة ان يأخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه أهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويحمي عنهم ماهم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وأمره ان لا يذهب باهله ان ذهب وبكى ابن عباس وقال واحبيباه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعك الله تعالى من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبق أحد بمكة الا حزن لمسيره ولما بلغ ذلك أخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ طستا بين يديه وكان مما بعثه على الخروج مخافة ان يستباح حرم مكة بسببه ولذلك لما نهاه ابن عباس قال له لان أقتل بمكان كذا وكذا أحب الى أن يستحل بى قال ابن عباس فذلك سلى نفسى عنه وفى رواية انه قال لابن الزبير ان أبى حدثنى ان لمكة كبشا به تستحل حرمتها فما أحب ان أكون ذلك الكبش ولان اقتل خارجها بشبرين أحب الى أن أقتل خارجها بشبر واحد وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا ثم خذلوه وسار الحسين غير عالم بذلك فلقى الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وروى ان الحسين رضى الله تعالى عنه أنشد الفرزدق فان تكن الدنيا تعد نفيسة * فان ثواب الله على وأنبل * وان تكن الابدان للموت أنشئت * فقتل امرىء فى الله بالسيف أفضل وان تكن الارزاق قسما مقدرا * فقلة حرص المرء فى الكسب أجمل * وان تكن الاموال للترك جمعها * فما بال متروك به المرء يبخل ولما وصل القادسية تلقاه الخبر وأمر بالرجوع فقال أخو مسلم لا نرجع حتى نأخذ بثارنا أو نقتل فسار فلقيه أوائل خيل عبيد الله بن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه عبيد الله بن زياد عشرين ألف مقاتل وقالوا انزل على حكم ابن زياد فابى فقاتلوه فحمل عليهم وسيفه مصلت فى يده وانشأ يقول انا ابن على الحبر من آل هاشم * كفانى بهذا

مفخراحين أنخر وجدى رسول الله أكرم من مشى * ونحن سراج الله فى الناس يزهر وفاطمه أمى سلالة أحمد * وعمى يدعى ذا الجناحين جعفا
وفينا كتاب الله أنزل صادقا * وفينا الهـدى والوحى بالخير يذكر ولما بلغ القتل فى آله خمسين صاح أما ذاب يذب عن حريم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحرث (٢٧٦) فقاتل بين يديه حتى قتل وكان أكثر مقاتليه الذين كاتبوه ولولا أنهم حالوا بينه و بين
الماء ماقدروا عليه وقاتل قتال أنجد الشجعان وقتل رضى عنه عددا كثيرا من ابطالهم وشجعانهم حتى قتل * ومن فضائله حديث حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الاسباط وفى روايه الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول وأراه من تربة الارض التى يقتل فيها فاعطاه لام سلمة وأخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلاء وفى رواية فاشار جبريل بيده الى الطف من أرض العراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى كربلاء و بالطف كذا قيل وقيل كربلاء قريب من الطف وروى الطبرانى أما حسن فله هيبتى وسوددى وأما حسين فله جرأتى وجودى وروى البغوى وغيره سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا
وانى سميت ابنى الحسن والحسين وجاء أن العرب لم تسم بهما فى الجاهلية ومما ظهر من الآيات يوم قتله ان السماء أمطرت دما الامر
وأن أوانيهم ملئت دما وأن السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حتى رئيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت وان
الكواكب ضرب بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا رىء تحته دم عبيط وان الورس انقلب دما وان الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل
احمرت ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك * وعن ابن سيرين أخبرنا ان الحمرة التى مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين قال ابن الجوزى

كان يفطر يوم الجمعة ولا ينافى ماهنا خبر أحمد وجماعة لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد أحدكم الا عود شجرة فليمضغه لان محل النهى ان أفرد بالصوم وقد نص القلشانى على كراهة صوم يوم السبت عند المالكية ولعل مستندهم فى النهى هو هذا الحديث لكن تقدم فى باب الشعر أن النهى عن صوم يوم السبت صرح أبو داود بانه منسوخ فراجعه عند الكلام على فرق الشعر وسمى يوم السبت بذلك لان السبت القطع و فى ذلك اليوم انقطع الخلق لان الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض فى ستة أيام أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وقول اليهود لعنهم الله ان الله استراح فيه تولى الله سبحانه وتعالى رده عليهم بقوله وما مسنا من لغوب ومن ثم أجمعوا على انه لا أبلد من اليهود وكذا من تبعهم من المجسمة وسمى الاحد بذلك لانه أول الاسبوع على خلاف فى ذلك وتسمية الباقى الى الجمعة ظاهر وسمى يوم الجمعة بذلك لانه تم فيه خلق العالم فاجتمعت أجزاؤه فى الوجود ثم هذه الاسماء أعلام بالغلبة فتلزمها اللام وقد يجرد الاثنين من اللام دون أخواته * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى نا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان عاشوراء) هو عاشر المحرم وشذ من قال تاسعه (يوم تصومه قريش فى الجاهلية) اما تلقيا من أهل الكتاب او باجتهاد وسئل عن ذلك عكرمة فقال أذنبت قريش ذنبا فى الجاهلية فعظم فى صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء تكفر عنكم ذلك وقال القرطبى لعل قريشا كانوا يستندون فى صومه الى شرع من مضى كابراهيم ونوح فقد ورد فى الاخبار انه اليوم الذى استقرت فيه السفينة على الجودى فصامه نوح شكرا ولهذا كانوا يعظمونه أيضا بكسوة الكعبة (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه) يحتمل أن يكون موافقة لقريش كما فى الحج (فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه) كذا فى حديث عائشة وقد أخرج الشيخان من حديث ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا هذا يوم أنجى الله فيه موسى وأغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه وجمع بعضهم بين الحديثين بانه يحتمل أن يكون صامه بمكة على مقتضى الحديث ثم ترك صيامه حتى علم ماعند اليهود من فضل صيامه واستشكل رجوعه اليهم فى ذلك بان خبر اليهود غير مقبول وأجيب باحتمال ان يكون أوحى اليه بصدقهم أو لتواتر الخبر بذلك أو أخبر به من أسلم منهم أو باجتهاد منه انظر النووى وقال القاضى عياض يحتمل أن يكون صيامه صلى الله عليه وسلم استئلافا لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم و بالسدل وغير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك كما كما هو مصرح به فى حديث عائشة وغاية مافى القصة انه لم يحصل له بقول اليهود تجديد حكم وانما هو صفة حال وجواب سؤال فلا منافاة بينه و بين حديث عائشة وقوله فى هذا الحديث فصامه ليس ابتداء لصومه (فلما افترض رمضان كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه) قال فى الاكمال قيل كان صيام عاشوراء فى صدر الاسلام قبل فرض رمضان واجبا ثم نسخ على ظاهر هذا الحديث وقيل كان سنة مرغبا فيه ثم خفف فصار مخيرا فيه وقال بعض السلف ان فرضه لم يزل باقيا لم ينسخ وانقرض القائلون بهذا وحصل الاجماع اليوم على خلافه وكره ابن عمر قصد صيامه بالتعيين لحديث جاء فى ذلك اه والقول بانه كان قبل فرض رمضان واجبا هو مذهب الحنفية ورجحه العسقلانى بثبوت الامر بصومه ثم تأكيد

وحكمة ذلك ان غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية وقوله ليس
ينسيني الطف باظهار اعراب لام المعتل ضرورة كقوله ولم تكن * تساوى عندى غير خمس دراهم وفى نسخة ينسيني الطف ومصابيهما
أى مصيبتهما وفجيعتهما ورزيتهما والمراد أحدهما وهو الحسين على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان
من الملح فقط وأما الحسن فانما مات بالمدينة وكربلاء تقدم انه موضع قريب من الطف أو هو عينه وهما من العراق وقبره هنالك معروف يزار ويتبرك به قاله ابن حجر * وقال الشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الطبقات ان بعض عمال مصر أعطى على الرأس الشريف نحواً من ثلاثين الف دينار ونقله الى مصر وبنى عليه المشهد الحسينى وخرج هو وعسكره الى نحو الصالحية بطريق الشام مشاة حفاة يتلقون الرأس فوضعه فى برنوس من حرير أخضر على كرسى آبنوس وفرشوا تحته الطيب والعنبر والمسك أنظر الطبقات

(مارعى فيهما ذمامك مرؤس وقد خان عهدك الرؤساء) أى ما لاحظ ولا راقب والذمام الحرمة ومرؤس تابع كجعدة فى الحسن وابن زياد وأتباعه فى الحسين والرؤساء المتبعون المتمردون فى الظلم كيزيد فهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى والغير باء بخسارة الدنيا والاخرى (أبدلوا الود والحفيظة فى القربى وأبدت ضبابها النافقاء) فاعل ابدلوا يعود على المرؤسين والرؤساء والود المحبة التى أوجبها الله تعالى فى القربى والحفيظة الحمية والغضب والمراد بالقربى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل بيته يعنى تركوهما وأخذوا بضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى الدال على وجوب مراعاتهم ومراقبتهم قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى على القول بان المراد بالقربى القرابة وروى عن الحسن بسند حسن انه خطب خطبة

الامر بذلك بزيادة النداء العام ثم بزيادة أمر من أكل بالامساك ثم بزيادة أمر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال وبقول عائشة وابن عباس لما فرض رمضان ترك عاشوراء مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو باق قال وأما القول بان المنسوخ تأكد ندبه والباقى مطلق ندبه فضعيف بل تأكده باق لاسيما مع الاهتمام به حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه فى صومه وانه يكفر السنة الآتية فاى تأكيد أبلغ من هذا اه والقول بأنه لم يكن فرضا هو قول الشافعية وهو الذى ارتضاه ابن حجر وتعقب كلام العسقلانى بان قوله فى الحديث هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه صريح فى نفى الوجوب قال وزيادة تلك التأكيدات كلها لا تنافى عدم الوجوب لان المؤكد له مراتب ونحن لا نقول زال تأكده بالكلية بل الذى نقول ان تأكده باق لكنه دون ذلك التأكيد لانه لما شرع صومه كان منفردا لا يشاركه غيره فكان تأكده أعظم من مشروعيته مع وجود غيره فاندفع بذلك جميع ما احتج به وظهر ما قاله الاصحاب اه قلت وهذا الكلام كما ترى لا يقاوم كلام العسقلانى فانظر ذلك وعلى كل حال فمعنى قوله فمن شاء الخ انه لا حرج فى تركه لأن صومه جائز جوازا مستوى الطرفين لان صومه مندوب قطعا قال النووى حاصل مجموع الاحاديث ان الجاهلية من قريش وغيرهم واليهود كانوا يصومونه ثم جاء الاسلام بصيامه متأكدا ثم خفف من ذلك التأكيد اه وقال ابن حجر حاصل ما ورد فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ولا يأمر به ثم لما قدم المدينة صامه وأمر به ثم لما فرض رمضان تركه وقال انه من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ثم عزم آخر عمره ان يضم اليه التاسع * تنبيه * يستفاد من هذا الحديث ان وقت الامر بصيامه هو أول قدومه المدينة وقدومه لها كان فى ربيع الاول فيكون الامر به أول السنة الثانية وفى شعبانها فرض رمضان فلم يقع الامر بصومه الا سنة واحدة ثم فوض صومه الى رأى المتطوع قاله ابن حجر وغيره * فائدة * قال ابن حجر ورد أن من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها وله طرق قال البيهقى أسانيدها كلها ضعيفة ولكن اذا انضم بعضها الى بعض أفاد قوة وصحح بعضها الحافظ ابن ناصر وأقره الزين العراقى قال وهو حسن عند ابن حبان وله طريق أخرى على شرط مسلم وهى أصح طرقه وقول ابن الجوزى انه موضوع ليس فى محله اه زاد فى جمع الوسائل على ان العمل بالضعيف فى الفضائل جائز اجماعا وأما ما وراء الصوم من الامور العشرة المشهورة فموضوع فقد قال بعض أئمة الحديث ان الاكتحال فيه بدعة ابتدعها قتلة الحسين رضى الله عنه لكن فى الجامع الصغير للحافظ السيوطى من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا رواه البيهقى بسند ضعيف عن ابن عباس اه

* قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة قال سألت عائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص) رواية البخارى هل كان يختص (من الايام شيأ) اى يعمل نافلة كصلاة اوصوم (قالت كان عمله ديمة) كذا هى الرواية عند المصنف قال ابن حجر عدلت عن الجواب بنعم أولا المطابق لما قالته لانه ابلغ لتضمنه جواب السؤال المذكور وجواب سؤال آخر مقدر لانها أفادت انه كان يخص بعض الايام بشئ كالاثنين والخميس بالصوم وهو جواب السؤال الاول ثم يداوم عليه وهو جواب عن السؤال الثانى المرتب على الاول وتقديره اذا كان يخص بعضها بشئ هل كان يداوم

بليغة فيها أنا الحسن بن محمد أنا ابن البشير أنا ابن النذير وأنا من أهل البيت الذي افترض الله تعالى مودتهم وموالاتهم على كل مسلم فقال عز وجل فيما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنة مودتنا * وعن ابن عباس (٢٧٨) رضي الله تعالى عنهما بسند فيه شيعي غال لكنه صدوق أنه لما نزلت قالوا يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما * وروى عن ابن عباس غير هذا وأخرج الطبراني عن زين العابدين انه لما جيء به أسيرا عقب مقتل أبيه وأقيم على درج مسجد دمشق قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له أما قرأت قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قال وأنت منهم قال نعم وصح خلافا لابن الجوزي أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله عز وجل وأحبوا أهل بيتي لحبي وصح أيضاً قال ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم مني وفي حديث والذي نفسي بيده عز وجل لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى وفي حديث ان لكل بني أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين لفضلهم من أحبهم احبه الله تعالى ومن أبغضهم أبغضه الله تعالى والذي نفسي بيده عز وجل لا يبغض أهل البيت أحد الا كبه الله تعالى في النار وسيأتي مزيد لهذا عند قوله سدتم الناس بالتقى وروى احمد والترمذي حديث من أحبني وأحب حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معي في الجنة زاد أبو داود ومات بنت

عليه اهـ وعلى هذا فتقدير الكلام قالت نعم وكان عمله ديمة * قلت هذا التقدير بعيد وغير مفيد اذ ليس فيه تعيين الايام التي كان يخصها بالعمل والمقصود من العلم العمل وغاية ما يفيده ان الايام متفاضلة فيما بينها وهذا القدر لا يتأتى معه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في تخصيص الايام الفاضلة بالعمل والله اعلم لا سيما ورواية البخاري قالت لا كان عمله ديمة فان هذا الجواب يقتضي انه لم يكن يخص من الايام شيأ وهو مشكل مع ما تقدم من انه كان يتحرى صوم يوم الاثنين والخميس ولذلك قال العسقلاني ما حاصله لعل السؤال وقع عن الايام الثلاثة التي كان يصومها من كل شهر فلا يرد صيام يوم الاثنين والخميس والايام البيض ويوم عرفة وغرة كل شهر وغير ذلك مما ورد الحض على صومه فكأن السائل لما سمع انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وأنه رغب في صيام أيام البيض سأل عائشة هل كان يخصها بالبيض فقالت لا كان عمله ديمة يعني لو جعلها البيض لتعينت وداوم عليها لانه كان يحب أن يكون عمله دائما فيكون في ذلك نوع تضييق لكن أراد التوسعة بعدم تعيينها فكان لا يبالي من أي الشهر صامها كما ثبت في حديث مسلم عن عائشة أيضا كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وما يبالي من أي الشهر صام اهـ وقد تقدم نحوه في حديث يزيد الرشك فعلى ما ذكره العسقلاني فالسؤال عن شيء خاص وهو الايام الثلاثة المرغب في صومها هل هي معينة في الشهر ام لا فوقع الجواب بانه كان يحب الدوام على العمل وأمته لا تطيق مع عدم التعيين فكيف مع التعيين فلو عين تلك الايام وداوم لكان في ذلك نوع تضييق وهو انما يحب التوسعة على أمته قال ابن حجر وأصل ديمة دومة قلبت واوه ياء لكسر ما قبلها وهو في الاصل المطر الدائم مع سكون بحيث لا يكون فيه رعد ولا برق فشبهت عمله صلى الله عليه وسلم به في دوامه مع اقتصاده ومجانبته للغلو وجعلت على صيغة النوع من الدوام لافادة انه كان له نوع دوام مخصوص (وأيكم) معشر الامة الشامل للصحابة والتابعين وغيرهم وانما لم نجعل الخطاب لخصوص الصحابة كما في ابن حجر لان السائل انما كان من التابعين (يطيق ما) أي العمل الذي (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق) أي يطيقه بحذف عائد الموصول وقد تقدم في قول علي رضي الله عنه انكم لا تطيقون ذلك ان ذلك باعتبار الكيفية والاتقان وما يصحب ذلك من الخضوع والخشوع والحضور والاخلاص او باعتبار الدوام والمواظبة وهذا الثاني هو المناسب لقول عائشة كان عمله ديمة وترتب هذا الكلام على ما قبله على تقرير ابن حجر جلي ظاهر وتقدم وجه ترتبه على تقرير العسقلاني ويعارض ما هنا ما تقدم ان عائشة سئلت عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يصوم حتى نقول قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر قال في جمع الوسائل ويمكن الجمع بان قولها كان عمله ديمة منزل على التوظيف ولا يبعد أن يقال المراد بالدوام الغالب لا التمام أو كان يداوم اذا لم يخف المشقة على الامة بالمتابعة او عند عدم خشية الوجوب او اذا لم يمنع مانع او لم يحدث أمر افضل مما كان يداوم عليه اهـ قلت قد عد في المختصر اثبات العمل من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفسره شراحه بان لا يقطعه حتى يعد تاركا له بالمرة وليس المراد ان المداومة عليه أبدا لحديث كان يصوم حتى الخ * قال المصنف (حدثنا هارون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي امرأة) زاد عبد الرزاق في روايته حسنة الهيئة وفي رواية البخاري انها من بني أسد وفي رواية مسلم انها الحولاء بالمهملة والمد

متبعا السنتى قوله وأبدت ضبابها النافقاء الضباب جمع ضب وأراد يرابيعها جمع يربوع لان النافقاء لا تكون الا لها والنافقاء هو احدى حجرتى
اليربوع يكتمها و يظهر غيرها حتى لا يصاد منها و يجعل الحاجز بينها و بين الفضاء قريبا فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق
أى خرج من نافقائه وفى هذا تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليرابيع فى مكرها المذكور فهو استعارة
تصريحية وفى ذكر النافقاء استعارة ترشيحية أو تشبيه ماعند أولئك من النفاق بالنافقاء بجامع الاظهار بعد الابطان فهى استعارة مصرحة رشحت بذكر الضباب والظاهر أن الضباب هنا جمع ضب وهو الغل والحقد بدليل ان الضب أى الحيوان المعروف لا نافقاء له

(وقست منهم قلوب على من * بكت الارض فقدهم والسماء)

أى اشتدت وغلظت وهذا مقتبس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض أى قوم فرعون معه ومفهومه أن المؤمن تبكى عليه السماء والارض أما الارض فمحال سجوده وعبادته وأما السماء فمحال صعود أعماله كما جاء فى الحديث والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وخيار المؤمنين والبكاء من الارض والسماء عليهما حقيقى اذ لا مانع منه وهذا أولى من تقدير المضاف

(فابكهم ما استطعت ان قليلا * فى عظيم من المصاب البكاء) أى فابكهم أيها المخاطب مدة دوام استطاعتك تأسيا بالنبى صلى الله عليه وسلم و بجبريل عليه السلام و بعلى رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه روى ابن سعد عن الشعبى قال مر على بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض فقيل له كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفا وأخبرنى ان ولدى الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء فقبض قبضة من

بنت تويت بمثناتين مصغرا ابن حبيب بفتح المهملة ابن أسد بن عبد العزى من رهط خديجة أم المؤمنين (فقال من هذه فقلت فلانة لا تنام الليل) ظاهره انها مدحتها فى وجهها وفى مسند الحسن ما يدل على أنها قالت ذلك بعد ما خرجت المرأة فتحمل رواية الكتاب عليه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم) اى الزموا وعبر بضمير المذكر مع أن الخطاب لمؤنث اشارة لتعميم الحكم بتغليب الذكور على الاناث (من الاعمال) اى النوافل (ما تطيقون) اى العمل الذى تطيقون المداومة عليه من غير ملل وفى نسخة بما تطيقونه والامر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة يستلزم النهى عن تكلف ما لا يطاق ووجه ذلك ان الاقتصاد والترفق وترك التشديد والتعمق يؤمن معه من الكسل المؤدى الى قطع العمل أو الاتيان به مع كراهية وثقل وفى الحديث ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولن يشاد الدين احد الا غلبه فالمشدد على خطر اذ لا يأمن من الملل الموجب لعدم اقبال الله عزوجل كما اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (فوالله) هو حلف من غير استحلاف لمجرد التأكيد (لا يمل الله) فى نسخة فان الله لا يمل (حتى تملوا) بفتح الميم وتشديد اللام وفى رواية لا يسأم حتى تسأموا والمعنى واحد أى لا يعاملكم معاملة الملول فينقص من ثوابكم حتى تملوا من العمل ولا يبقى لكم نشاط فتأتوا به على ثقل وكسل وأما ان عملتم على نشاط وكمال توجه واقبال فانه لا ينقص شيأ من ثواب أعمالكم ففيه تحذير وتنفير من الملل فى العمل و يحتمل أن يكون المعنى فان الله لا يقطع الثواب حتى تتركوا العمل أى اذا أردتم كثرة الثواب فداوموا على العمل بأن لا تتكلفوا فوق الطاقة لان الثواب لا ينقطع مادام العمل فان الله لا يقطع الثواب حتى تقطعوا العمل وقيل ان قوله فوالله الخ احتراس عما يتوهم الجاهل من أن ذلك يعظم على الله تعالى وسواء كان العمل صلاة أو صوما أو غيرهما قال العسقلانى سبب وروده وان كان خاصا بالصلاة ولكن عموم اللفظ هو المعتبر اه وقد جاء فى بعض طرق الحديث بلفظ اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل أخرجه الطبرى فى تفسير سورة المزمل وفى بعض طرقه ما يدل على أن ذلك مدرج من قول بعض رواة الحديث والله أعلم وأما قول من قال ان المعنى لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من سؤاله وتزهدوا فى الرغبة اليه فهو تخصيص من غير مخصص لان لفظ الاعمال فى الحديث يشمل الدعاء وغيره كما تقدم فى كلام العسقلانى والملل فتور يلحق النفس من كثرة مزاولة الشىء فيوجب الكسل فى الفعل والاعياء والنفرة عنه وهو بهذا المعنى فى حقه تعالى محال وانما أتى به فى جانبه تعالى للمشاكلة اللفظية نظير قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو لما كان الملل سببا فى قطع الثواب سمى المسبب باسم سببه ولما فهم بعضهم أن المراد بالملل فى الحديث حقيقته قال ان حتى بمعنى حين أى لا يمل الله حين تملوا لان الملل عليه محال وقال آخران حتى بمعنى الواو أى لا يمل الله وتملون ونقل ذلك الابى وسلمه وذلك كله بعيد أولا يصح اذ لا وجه لترتبه على ما قبله (وكان أحب) اسم كان أو خبرها (ذلك) أى العمل (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يدوم عليه صاحبه) أى مداومة عرفية لان المداومة الحقيقية الشاملة لجميع الازمنة غير ممكنة وقد ذم الله تعالى من فرط فى عبادة اعتادها بقوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها قيل وبهذا الخبر ينكر أهل التصوف ترك الاوراد والنوافل كما ينكر ترك الفرائض قال فى جمع الوسائل وفيه بحث وفى هذا الحديث

تراب أشعى ايها فلم أملك عينى أن فاضتا وأخرج الترمذى ان أم سلمة رضى الله عنها رأت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام باكيا وبرأسه ولحيته المكرمتين التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذا رآه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظر وافوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم ثم قال ابن حجر فان قلت الامر بالبكاء ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت لا تبكين باكية ومن ثم قال أئمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل أهل بيته ظلما اه فان قلت كيف نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى كما فى الحديث المذكور قلت المنهى عنه انما هو البكاء بعد الموت لوقوع اليأس به فوجود البكاء حينئذ ربما دل على نوع تبرم بالقضاء والواقع هنا البكاء قبله وأيضا المنهى عنه البكاء الاختيارى والواقع منه محض رحمة ولعله اضطرارى وفى الحديث العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى الرب عز وجل وليس بحرام البكاء بعد الموت بل الحرام القول بما لا يرضى الرب وقوله ان قليلا فى عظيم الخ يعنى ان البكاء وان كثر هو أقل جزء مما يماثل به المصاب العظيم أى الرزية الكبيرة الواقعة لأوليائه بقتلهم وكأن أى العبارة فيها قلب وأى رزية أعظم من قتل الحسنين رضى الله تعالى عنهما وغير القليل هو قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم واذلال أعدائهم وغير ذلك (كل يوم وكل أرض لكربى * منهم كربلا وعاشوراء) أى كل ذلك لاجل كربى وهو الغم الذى يأخذ بالنفس بحيث يخشى موتها وقوله منهم أى بسببهم وكربلا راجع لكل أرض وعاشوراء راجع لكل يوم ففيه لف ونشر معكوس

النهى عن احياء الليل كله وقد أخذ بكراهة ذلك جماعة من العلماء وفيه كما قال ابن حجر وغيره دلالة على الاقتصاد فى العمل وكمال شفقته ورأفته عليه السلام بامته لانه أرشدهم الى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة مع انبساط النفس وانشراح الصدر الذى هو غاية الكمال فى العبادة ومن ثم قال لمعاذ لما طول فى صلاته بالناس أفتان انت وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص ان لنفسك عليك حقا فاعط لكل ذى حق حقه وتقدم انه كان يمزح ويتمثل بالشعر ويسمعه وقال انى لاخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى وتقدم فى باب السمر أنه كان يتحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفوس وجلاء للقلب وسيأتى فى حديث زيد بن ثابت كنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا وورد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة خوف السآمة علينا وراجع ما تقدم فى آخر باب صفة كلامه فى الشعر ولهذا ما صحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال لتاجر اترك تجارتك ولا لذى صنعة اترك صنعتك بل اقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها قال الامام المواق فى سنن المهتدين وبالجملة فقد قالوا عامل البر وطالب العلم كلاهما لابد أن يجم نفسه انظر بقية كلامه * قال المصنف (حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعى) بكسر الراء (نا ابن فضيل) بالتصغير منكرا وفى نسخة الفضيل معرفا (عن الاعمش عن أبى صالح قال سألت عائشة وأم سلمة) وفى نسخة سئلت عائشة وأم سلمة بالبناء للمفعول (أى العمل كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى هل الكثير المنقطع أو القليل الدائم (قالتا ما ديم عليه وان قل) أى لان بدوام القليل تدوم الطاعة والاقبال على الله عز وجل فالقليل مع الدوام كثير فهو خير من الكثير المنقطع * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى (نا عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس انه سمع عاصم ابن حميد) بالتصغير (قال سمعت عوف بن مالك يقول كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ) فيه ان الاستياك سابق على الوضوء وقيل يستاك عند ارادة المضمضة (ثم قام يصلى فقمت معه) فيه التنفل جماعة (فبدأ فاستفتح البقرة) أى بعد الفاتحة (فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل) أى الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ) فيه الدعاء أثناء القراءة فى النافلة وكرهها المالكية فى الفريضة لعدم ثبوته فيها والله أعلم وعلى قياس ما فى الحديث يندب كما فى ابن حجر اذا مر بآية تنزيه نحو فسبح باسم ربك العظيم سبح وبنحو أليس الله بأحكم الحاكمين أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وبنحو واسألوا الله من فضله قال اللهم انى أسألك من فضلك (ثم ركع) عطف على استفتح (فمكث) بفتح الكاف وضمها وأكثر القراء على الضم فى قوله تعالى فمكث غير بعيد (راكعا بقدر قيامه) لقراءة البقرة (ويقول فى ركوعه سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة) تقدم الكلام على الثلاثة فى باب العبادة فى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما (ثم سجد بقدر ركوعه ويقول فى سجوده سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم) بعد القيام للركعة الثانية (قرأ آل عمران ثم) قرأ فى الثالثة (سورة) ثم قرأ فى الرابعة (سورة) ففيه حذف حرف العطف ويحتمل أن المراد انه قرأ فى الثانية ثلاث سور والاحتمال الاول أولى بالسياق وعليه اقتصر ابن حجر وقد تقدم اضطراب رواية حديث حذيفة (ويفعل مثل ذلك)

أى في صفة قراءة الخ كما في بعض النسخ و في بعضها باب صفة قراءة الخ أى من ترتيل ومد ووقف واسرار واعلان وترجيع وغير ذلك وتلاوة القرآن من أعظم العبادات وأفضل القربات ففي صحيح مسلم من حديث أبى امامة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعاً لاصحابه و في جامع الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها و في البخارى ومسلم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن و يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا تشق عليه التلاوة لجودة حفظه والسفرة جمع سافر ككاتب وكتبة الملائكة ومعنى كونه معهم أن يكون رفيقاً لهم في منازلهم في الآخرة لاتصافه بصفتهم في حمله كتاب الله عز وجل ومعنى يتتعتع يتردد فيه لقلة حفظه والاجران أحدهما في قراءة حروفه والآخر في تعبه ومشقته وليس المعنى انه أكثر أجرا من الماهر بل الماهر أكثر لانه مع السفرة عليهم السلام وله أجور كثيرة وكيف يلتحق من لم يعتن بكتاب الله عز وجل بمن اعتنى به حتى مهر فيه انظر الابى و في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده زاد ابن حبيب وأظلتهم الملائكة بأجنحتها واستغفروا لهم و في جامع الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من شغله القرآن عن ذكرى وعن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقال الشيخ زروق في شرح الوغليسية روى أن الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت ما أقرب ما يتقرب به المتقربون اليك قال كلامى قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم أو بغير فهم اهـ بمعناه ونقل المواق في سنن المهتدين عن شيخ الشيوخ ابن لب أنه قال

أى من السواك والتعوذ والركوع والسجود في كل ركعة بقدر قيامها وقد فهم من مجموع أحاديث الصلاة ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة باختلاف الازمنة والاحوال فتارة يؤثر التخفيف وأخرى التطويل وأخرى الاقتصاد بحسب اقتضاء المقام مع ما فيه من بيان جواز كل وجه ثم اعلم أن الواقع في بعض النسخ ذكر حديث المرأة وما بعده اثر حديث حذيفة المتقدم في باب العبادة وهو الاشبه بالصواب ولعل تأخيره الى هذا الباب وقع من بعض النساخ والكتاب وعلى ما هو الصواب فالمناسبة ظاهرة وكذا على ما في بعض النسخ المقروءة على المصنف من اسقاط لفظ باب الضحى و باب صلاة التطوع و باب الصوم فلا اشكال وأما على اثبات هذه الابواب فانما أخر حديث المرأة والذى يليه الى باب الصوم لان كثيراً من الناس يداومون على الصوم أكثر من غيره فذكر ذلك فيه زجرا لهم عن موجب الملل فيه و في غيره على كل حال وختم بعد ذلك بحديث عوف لانه لما بين أن أفضل الاعمال ما يطاق بين أن ارتكاب المشقة نادر الا يفوت الفضيلة والله أعلم أنظر ابن حجر

﴿ باب ما جاء في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

أى في كل يوم بسبب الهم الذى حصل لى بقتلهم يوم عاشوراء وهو الزمن الذى قتل فيه الحسين وكل أرض بسبب ذلك كربلاء وهى الارض التى قتل فيها فكربى بسبب قتلهما عم جميع ما أنا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من زمن لآخر ولا من أرض لاخرى و بين كربى وكربلاء جناس شبيه الاشتقاق

آل بالنصب على النداء وهم مؤمنو بنى هاشم عند المالكية والمطلب أيضا عند الشافعية وهو قول للمالكية أيضا وهم المراد في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً أكثر المفسرين انها نزلت في على وفاطمة والحسنين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت في نسائه رضى الله تعالى عنهن ونسب لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكان عكرمة مولاه ينادى به في السوق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما و رجح بأنهن سبب النزول فيدخلن قطعا و يدل له ما صح عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قلت يا رسول أنا من أهل البيت قال بلى ان شاء الله تعالى و روى مسلم أنه أدخل أولئك الاربعة تحت كساء وقرأ الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعلهم تحت الكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا و في حديث حسن

أنه اشتمل على العباس و بنيه بملاءة ثم قال عليه الصلاة والسلام هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين قوله ان فؤادى ليس يسليه عنكم أى ليس ينسيه محبتكم ولا يذهب بها التأساء بفوقية أوله قال في المنح المكية أى ما يحصل له من الشدائد والمحن و في القاموس تأساه آذاه واستخف به بل محبتكم فيه مقيمة على الدوام لا تزلزلها محنة ولا تنقصها شدة ﴿فائدة﴾ ليس فعل جامد معناه نفى مضمون الجملة في الحال ونفى غيره بالقرينة وقيل هى لنفى الحال وغيره

وقواه بن الحاجب بقوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفي العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع (غير أني فوّضت أمري الى الله وتفويضي الامور براء) غير بالنصب استثناء منفصل وفوضت (٢٨٢) أمري رددت شأني اليه وسلمته وتفويضي الامور اليه وهو مقدرها ومدبرها براء بفتح

خطر لي خاطر خير والعاصي قد يخطر له خاطر خير فاردت ان أجعل على نفسي وظيفة من ذكر أو تلاوة وترددت في أي ذلك افضل فانشدت في النوم

اذا الاحباب فاتهم التلاقي * فما صلة بأفضل من كتاب

فلما استيقظت علمت أن قراءة القرآن افضل (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث عن ابن ابي مليكة عن يعلى بن مملك) بفتح الميم الاولى وسكون الثانية وفتح اللام بعدها كاف (انه سأل ام سلمة عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ماذا هي فاذا) للمفاجأة وافاد بها انها اجابت بذلك على الفور وان ذلك يدل على ضبطها وقوة استحضارها الصفة قراءته صلى الله عليه وسلم (هي) اى ام سلمة (تنعت) اى تصف (قراءة مفسرة) أي مبينة مشروحة واضحة مفصولة الحروف من الفسر وهو البيان ومنه التفسير (حرفا حرفا) قال الجزري أي كلمة كلمة اه وهو بدل من قوله مفسرة ثم نعتها لذلك اما بالقول بان تقول كانت قراءته كيت وكيت واما بالفعل كأن تقرأ كقراءته قاله الطيبي والثاني هو ظاهر السياق فتكون أظهرت كيفية ماسمعت بالفعل الذي هو أقوى من القول مع أنه يفيد الرواية والدراية * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا وهب بن جرير بن حازم نا أبي عن قتادة قال قلت لانس بن مالك كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال مداً) يحتمل أن يكون مفعولا مطلقا أي يمد قراءته مدا أي بمد ما يقتضي المد ويحتمل ان يكون على حذف مضاف أي ذات مد ففي رواية البخاري فقال كان يمد مدا وفي رواية له أيضا فقال كانت مدا ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم وهذه الرواية تبين ان المراد انه كان يأتي بالمد الاصلي الذي يكون في حروف العلة لذاتها وهو المد الطبيعي قال الجزري في التصحيح وليس المراد المبالغة في المد لغير موجب وكان بعض شيوخنا يقول المراد مد الزمان يعني أنه يجوّد ويرتل ويشدّد ويمكن ويتم الحركات فيكون قد مد الزمان انتهى وفيما ذكره المصنف من حديثي أم سلمة وأنس دليل على أن الترتيل أفضل من الهذ وهو المشهور ومذهب الجمهور لان الترتيل هو صفة قراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة وغيرها وقد قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلة كاملة بآية واحدة يرتلها ويرددها الى الصباح وهي قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون وأيضا الترتيل أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال وقد مرت عائشة رضي الله عنها برجل يقرأ القرآن هذّا فقالت ما قرأ هذا ولا سكت وأيضا بالترتيل يمكن التدبر والحضور الذي هو المقصود الاعظم من التلاوة لانه غذاء الارواح وحياة النفوس وقد كان صلى الله عليه وسلم في قيامه يكسوه من كل آية يقرؤها حالا يناسب معنى تلك الآية وقد قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وقد قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن وقال ليدبروا آياته ومن ثم قال في الرسالة والتفهم مع قلة القراءة أفضل فقال ابن ناجي في شرحها أفتى بعض من لقيناه من القرويين غير مامرة بان من يقرأ القرآن بلا فهم لا ثواب له ألبتة زاعما أن ابن عبد البرّ نص على ذلك وقال هو كمثل الحمار يحمل أسفارا وكنت لا أرتضي منه هذه الفتوى ومحمل ما ذكر عن ابن عبد البر انما هو الاشارة الى ان المبالغة في فهم القرآن أحسن اه وقال الحطاب في حاشيتها قال في رسم تأخير العشاء من سماع ابن القاسم من كتاب الجامع وسئل مالك عن الهذ في قراءة القرآن فقال من الناس من اذا هذ كان أخف

الباء أي تبرؤ من حولي وقوتي الى حوله وقوته وهذا متعين على كل عاقل فضلا عن فاضل كامل وفي الحديث لا حول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفي هذا تسلية عما جرى لهم رضي الله عنهم ويزاد في التسلية بأن الله تعالى اختار لنبيه وأهل بيته الآخرة على الدنيا ليزهدوا في الدنيا ويرغبوا عنها القرب تقضيها وسرعة تقلبها وانقراضها وقد قال صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وقوله براء هو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل يقال أنا براء منه ونحن براء منه بلفظ واحد لكل من المفرد والمتعدد وبين فوضت وتفويضي جناس الاشتقاق وجملة تفويضي الى آخره تذييل

(رب يوم بكر بلاء مسيء خففت بعض وزره الزوراء)

رب حرف تقليل ويوم معمولها ومسيء وصفه بما

وقع فيه من قتل الحسين وذويه وخففت بعض وزره أي ثقله على النفوس ذات الغيرة لاهل البيت من ذلك المصاب العظيم والزوراء بغداد قال في القاموس لان أبوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة يعني ما فعل بانوها وهم ملوك بني العباس ببني أمية بعد أن ملكهم الله تعالى ونصرهم لان بني أمية عتوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين في آل البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة والمعاني الفاخرة فلما نصر الله بني العباس على بني أمية عليه

أخذوا بثار الحسين وذويه وقتلوهم شر قتلة وشردوهم على كل ناحية وقطعوا دابرهم واستأصلوا شأفتهم وأزالوا من الارض جورهم وفسقهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (والاعادي كأن كل طريح * منهم الزق حل عند الوكاء) الاعادي جمع عدو يعني فسقة بني أمية كأن كل طريح أي مطروح منهم على الارض بالسيوف والرماح العباسية والزق بكسر الزاي جلد منتفخ وفي القاموس الزق السقاء أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره والوكاء الرباط وهو ما يشد به رأسه وقصصهم مشهورة في التواريخ ككتاب تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى * وفي الطبقات الشعرانية ان أهل السير رووا أن الله عزوجل أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم اني قتلت بيحيى بن زكريا خمسة وتسعين ألفا ولاقتلن بالحسين ابن ابنتك قدر ذلك مرتين اه وكان ممن تولى قتله شمر بن ذي الجوشن الكلابي قبحه الله وسنان بن أوس النخعي فأما سنان فجاء الى ابن زياد مبشرا له بقوله

أوقر ركابي فضة وذهبا
اني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال حيث علمته كذلك فلم قتلته ثم قتله وأما شمر فقتله المختار بن عبيد الثقفي شر قتلة وأوطأت الخيل صدره وظهره وأخرج أبو الشيخ عن يعقوب بن عثمان قال كنت في ضيعتي فصليت العتمة ثم جلسنا جماعة فذكروا الحسين فقال رجل ما أعان على قتله أحد الا أصابه قبل أن يموت بلاء ومعنا شيخ كبير فقال أنا ممن شهده وما أصابني أمر أكرهه الى ساعتي هذه قال فطفئ السراج فقام ليصلحه فأخذته النار فجعل ينادي النار النار وألقى نفسه في الفرات لينغمس فيه فأخذته النار حتى مات * ومن الغرائب ولا غرابة ان ابن زياد قتله ابن الاشتر عامل المختار يوم عاشوراء في العام المقبل وبعث برأسه ورؤس اصحابه الى المختار فنصب رأس ابن زياد في موضع رأس سيدنا الحسين وروي

عليه واذا رتل أخطأ ومن الناس من لا يحسن بهذا والناس في ذلك على حالهم فيما يخف عليهم قال ابن رشد هذا بين من لم يقدر على الهذ رتل ومن لم يقدر على الترتيل هذ وأما من كان يقدر على الوجهين جميعا فالترتيل له أفضل لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اه وقيل الهذ أفضل لكثرة القراءة فيه * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا يحيى بن سعيد الاموي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته) من التقطيع وهو جعل الشيء قطعة قطعة قال ابن حجر بان يقف على فواصل الآي كما بينت ذلك بقولها (يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف) أي مع أن فيه قطع الصفة عن الموصوف (ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف) أي وهكذا في سائر الآيات ومن ثم قال البيهقي والحليمي وغيرهما يسن الوقف على رؤس الآي وان تعلقت بما بعدها للاتباع اه وقال في جمع الوسائل أجمع القراء على ان الوقف على الفواصل وقف حسن وان تعلقت بما بعدها وانما الخلاف في أن الافضل هو الوصل أو الوقف فالجمهور على الاول وغيرهم على الثاني وعليه جرى صاحب القاموس حيث قال صح انه صلى الله عليه وسلم وقف على رأس الآية وان كان متعلقا بما بعده وقول بعض القراء الوقف على موضع يتبين به فهم الكلام أولى غفلة عن السنة فان هذا انما هو فيما لا يعلم فيه وقفه صلى الله عليه وسلم والا فالفضل والكمال متابعته في كل حال اه بمعناه وهذا الحديث مما يؤيد مذهب مالك ان البسملة ليست آية من الفاتحة خلافا لابن حجر ولا يقدح في هذا الحديث بان في سنده انقطاعا لان الليث بن سعد رواه عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك كما قال المصنف في جامعه لقول العسقلاني عن ابن أبي مليكة انه قال أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الاربعة فيحتمل انه سمع الحديث بهذا اللفظ من أم سلمة وسمع الحديث باللفظ المتقدم من يعلى بن مملك عنها انظر جمع الوسائل (وكان يقرأ ملك يوم الدين) أي بحذف الالف وهي قراءة الجمهور وقرئ مالك بالالف قال ابن حجر وبهذا الحديث والذي قبله علم ان قراءته صلى الله عليه وسلم كانت ترتيلا لا هذا بل مفسرة الحروف مستوفاة ما تستحقه من مد وغيره لانه كان يقطعها آية آية * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا الليث عن معاوية ابن صالح عن عبد الله بن ابي قيس قال سألت عائشة عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أكان يسر بالقراءة) أي يخفيها والباء زائدة لان أسر يتعدى بنفسه أو بمعنى في والتقدير أكان يسر صوته في وقت القراءة أو على تضمين يسر معنى يخافت (أم يجهر قالت كل ذلك) بالرفع والنصب حسن لو وردت به الرواية (قد كان يفعل قد كان ربما أسر وربما جهر) أي فيجوز كل من الامرين على حد سواء وظاهره في ليل أو نهار لكن أورده المصنف في جامعه في أبواب صلاة الليل في باب القراءة بالليل بهذا الاسناد بعينه بلفظ سألت عائشة كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل وقد نص المالكية على ان المستحب في نوافل الليل الاجهار لانه يعين على الحضور وينبه الغافل ويوقظ النائم ولا يكره فيها الاسرار والمستحب في نوافل النهار الاسرار وفي كراهة الجهر نهارا قولان (فقلت الحمد لله الذي جعل في الامر سعة) أي اتساعا فلم يضيق بتعيين أحد الامرين وقد قيل في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ان المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات تارة والجهر أخرى وقيل المعنى

الترمذى عن عقبة عن عمارة بن عمير قال لما جئ برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نصبت فى المسجد ثم فى الرحبة فانتهيت والناس يقولون قد جاءت فاذا حية جاءت تتخلل الرؤس حتى دخلت فى منخرى عبيد الله بن زياد ثم خرجت فتغيبت ثم رجعت مرتين أو ثلاثا والمختار المذكور وان فعل ما فعل فليس بمختار لانه من

الشيعة ومن أراد الاطلاع على تمام الاخبار فعليه بكتب التاريخ للسيوطى

سبيلا بين الجهر والمخافتة فان الاقتصاد مطلوب وفى جميع الامور محبوب وروى أن أبا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول أسمع من أناجى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا مسعر عن أبى العلاء العبدى) بفتح العين وسكون الموحدة وفى نسخة الغنوى بفتح الغين المعجمة والنون وكسر الواو (عن يحيى بن جعدة عن أم هانئ) أخت على بن أبى طالب رضى الله عنه (قالت كنت أسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بالليل وأنا على عريشى) فى روايه النسائى وأنا على عرشى والمراد به السرير الذى تنام عليه ويطلق العرش أيضا على ما يستظل به وعلى ما يهيأ للكرم لترتفع عليه وفى رواية لابن ماجه على ما فى المواهب عنها قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشى وعورضت أحاديث الجهر بالقرآن بحديث المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة وجمع النووى بينهما بان الاخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام والجهر أفضل فى غير ذلك لان العمل فيه أكثر ولان فائدته تتعدى الى السامعين ولانه يوقظ قلب القارئ ولانه يجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط وقال بعضهم يستحب الجهر ببعض القراءة والاسرار ببعضها لان المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالاسرار اه بنقل شيخنا المحقق فى شرح الحصن الحصين * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود أنا شعبة عن معاوية ابن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وهو يقرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الى آخر السورة لما تقتضيه رواية البخارى وهو يقرأ سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع واعلم أن نزول هذه السورة كان قبل يوم الفتح مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية وحينئذ فيقال ما معنى هذا الفتح مع انهم صدوا عن البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية ودخلهم عند تمام الصلح أمر عظيم حتى كاد بعضهم يهلك فانهم خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهم لا يشكون فى الفتح للرؤيا التى رآها النبى صلى الله عليه وسلم وهى أنه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين والجواب انه لما وقع ذلك الصلح أمن بعض الناس بعضا ولقى المشركون المؤمنين وسمعوا منهم واطلعوا على محاسن الاسلام فأسلم منهم عدد كثير بغير قتال حتى انه خرج الى الحديبية بالف وأربعمائة وخرج عام فتح مكة بعد ذلك بعامين فى عشرة آلاف ومن ثم والله أعلم قرأ صلى الله عليه وسلم هذه السورة يوم الفتح اظهارا لنجح عاقبة ذلك الصلح حيث ظفر ببلاده وقومه وظهر الدين فى حرم الله وبيته قال فى الكشاف فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب اه قال شيخنا المحقق فى شرح همزيته ظهر لى ان اللام للتعليل على خلاف ما فى الكشاف والمعنى جعلنا انعامنا عليك سببا ومقتضيا ومستدعيا لانعامنا عليك اشارة الى مقام المحبوبية الارفع أى لم نعتبر فى افاضة فضلنا عليك

وغيره هذا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فقد قال سليمان بن يسار وجد حجر مكتوب عليه

لابد ان ترد القيامة فاطمه
وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه
والصور فى يوم القيامة ينفخ

قال السيد السمهودى وهو شاهد لما روى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر ابنتى فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول يا عدل احكم بينى وبين قاتل ولدى فيحكم لابنتى ورب الكعبة وعن محمد بن سيرين قال وجد حجر قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلثمائة سنة عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه الى العربية فاذا هو

أترجو أمة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب

وروى ان الذين حملوا رأسه نزلوا أول مرحلة فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت البيت المذكور بالدم

(آل بيت النبى طبتم فطاب المدح لى فيكم وطاب الرثاء) يعنى آل على او أعم وتقدم القول فيهم وتوجيه وهم الذين نص الله تعالى فى كتابه على تطهيرهم فقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أى من سائر الاخلاق والافعال والاقوال المذمومة وفى الاحاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ هو اتمام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة

الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء فى كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الآية بتطهير المبالغة فى وصولهم لاعلاه وفى دفع التجوز عنه وتنوينه للتعظيم المشير الى ان ذلك التطهير ليس مما يتعارف ويؤلف ابن حجر وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلى وقوله طبتم أى اصلا وتفوسا واقوالا وأفعالا وطاب المدح أى لذوز كا وان لم أستوف واجب حقكم ومعالى شرفكم لان الله تعالى أثنى عليكم ورسوله صلى الله عليه وسلم وفى القاموس مدحه كمنعه مدحا ومدحة أحسن الثناء عليه وطاب الرثاء أى بكائى عليكم بعد موتكم مع تعداد محاسنكم قال فى القاموس ورثيت الميت رثيا ورثاء ورثاية بكسرهما ومرثاة ومرثية مخففة بكيته وعددت محاسنه

(أنا حسان مدحكم فاذا نحت عليكم فانى الخنساء) اى أنا كهو وهو حسان بن ثابت بن حرام الانصارى الخزرجى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعر اهل المدر كان رضى الله تعالى عنه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجو المشركين ويرد عليهم ما يتقولون فى جانب النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضى الله تعالى عنهم وفى الحديث عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان ينافح

وتوجيه عطائنا اليك عملك وتعبك ونصبك بل جعلنا التفضل سببا للتفضل فانت فى تفضل مستمر متتابع ولذا جىء بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر أى فتحنا لك فتحا غير مقيد بالاعمال ولا منظور فيه الى ما يبقى به على أكابر المقربين بين مما هو فى نفسه كمال وهكذا يفعل مع المحبوبين ويتفضل على المرادين المطلوبين وفى نوادر الاصول قال الله تعالى فى قبضة اهل اليمين أنتم لى عملتم أولم تعملوا اه وعمله صلى الله عليه وسلم انما كان محض شكر كما تقدم فى قوله أفلا أكون عبدا شكورا انظر تمام كلامه ان شئت فانه حسن جدا وقد تقدم فى حديث ان الله ليرضى عن العبد ان يأكل الاكلة الخ ما يؤخذ منه ان لهذه الامة المشرفة قسطا ونصيبا من هذا المعنى فراجعه وقد تقدم قبيل باب الشعر ان معنى الذنب فى حقه صلى الله عليه وسلم انه لا يزال فى ترق دائم فكلما انتقل من مرتبة الى ما فوقها رأى المقام فى الاولى نقيصة بالنسبة الى ما فوقها وان كان فى نفسه من أكمل الكمال فهو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين أو المراد ذنوب أمته ولكن لشدة اهتمامه بها وقوة اعتنائه بشأنها وغاية حرصه على سلامتها ونجاتها عبر بضميره عنها كأنها نفسه فهو مجاز مرسل علاقته شدة الارتباط والقرب كما يقال جاء الخليفة والمراد غلامه ولا تقول على هذا ان العبارة على حذف مضاف لفوات هذه النكتة البليغة وأما احتمال ان المراد بالمغفرة العصمة ففيه نظر هنا لان العصمة ثابتة قبل الفتح وقبل البعثة فلا معنى لتعليلها به فالوجه ما سبق قاله شيخنا المحقق فى شرحه لهمزيته وانظر فيه تفسير بقية الآية (قال) أى معاوية (فقرأ) أى ابن مغفل كما فى رواية مسلم (ورجع) فى ترجيع ابن مغفل دليل على ان ترجيعه صلى الله عليه وسلم لم يكن لهز الناقة التى كان راكبا عليها خلافا لابن الاثير اذ لو كان بغير اختيار منه لم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتأسى به ولم ينسب الترجيع لفعله بقوله فرجع فى قراءته كما فى مسلم وكما تقدم فى رواية البخارى وهذا هو الذى فهمه البخارى ومسلم فترجم كل منهما بباب الترجيع والترجيع هو التمطيط والترديد قال ابن حجر وكان حكمته ان الترجيع ينشأ غالبا عن أريحية تحدث عند النفس سرورا وانبساطا ولا شك انه صلى الله عليه وسلم قد حصل له من ذلك يوم الفتح حظ وافر فكان سببا لترجيعه ويوافق هذا الحديث حديث زينوا القرآن بأصواتكم وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ما أذن الله لشىء كاذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن وورد انه صلى الله عليه وسلم استمع لقراءة أبى موسى الاشعرى فلما أخبره بذلك قال لو كنت أعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا أى حسنته بصوتى تحسينا وورد ان لكل شىء حلية وحلية القرآن حسن الصوت * وروى ابن أبى شيبة تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه اه وبهذه الاحاديث ونحوها استدل من يقول بجواز قراءة القرآن بالالحان ان لم يخرج عن شرط الاداء المعتبر عند أهل القرآن قال فى الاكمال ولا خلاف ان تحسين الصوت بقراءة القرآن مشروع مندوب اليه واختلف فى الترجيع والقراءة بالالحان فكرهه مالك وأكثر العلماء لانه خارج عما وضع له القرآن من الخشية والخشوع والتفهم وأجازه بعضهم للاحاديث الواردة فى ذلك ولان ذلك لا يزيده الا رقة فى النفوس وحسن موقع فى القلوب واثارة خشية واليه ذهب أبو حنيفة وجماعة من السلف وقاله الشافعى فى التحزين اه وحكى قبل هذا عن الشافعى جواز القراءة بالالحان وهى غير قراءة التحزين الذى حكى عنه هنا قاله الابى وقال ابن العربى من المالكية بجواز القراءة بالالحان

أى يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم هو له اللهم أيده حسانا بروح القدس يعنى جبريل واراد ان يهجو قريشا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبى اذ له صلى الله عليه وسلم فى كل بطن منهم قرابة فقال له لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ونحت عليكم بكيتكم بعد موتكم وعددت محاسنكم وقوله فانى الخنساء أى كهى فى بكائها على اخيها صخر وتعداد محاسنه وهى الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الصحابية رضى الله تعالى عنها قدمت مع قومها بنى سليم على النبى صلى الله عليه وسلم ورأت عليها عائشة رضى

بل قال انه سنة قال وقد استحسنه كثير من فقهاء الامصار اه وقال النووي الذي يتحصل من الادلة ان تحسين الصوت بالقرآن مطلوب فان لم يكن حسنا فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث وقد أخرج ذلك عنه أبو داود باسناد صحيح ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم فان الصوت الحسن يزداد بذلك حسنا وان خرج عنها أثر ذلك في حسنه وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الاداء المعتبر عند أهل القرآن فان خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الاداء فلعل هذا مستند من كره القراءة بالانغام لان الغالب على من راعى الانغام ان لا يراعى الاداء فان وجد من يراعيهما معا فلا شك انه أرجح من غيره لانه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من مخالفة الاداء وأما القول بان التمطيط لا يضر مطلقا فهو شذوذ فلا يعرج عليه قاله النووي وقال ابن حجر وقد كثر الخلاف في التطريب والتغني بالقرآن والحق أن ما كان منه طبيعة وسجية كان محمودا وما كان تكلفا وتصنعا مذموم وهو الذي كرهه السلف وعابوه ومن تأمل أحوالهم علم انهم بريؤن من التصنع والقراءة بالالحان المخترعة دون التطريب والتحسين الطبيعي وقد ندب اليه صلى الله عليه وسلم بما مر من الاحاديث اه وعلل ابن رشد كراهة القراءة باللحون بانه أمر مبتدع وبانهم يفعلون فيه نحو ما يفعلونه في الغناء وأما الاحاديث المتقدمة فاما ان تؤول بما تقدم عن ابن حجر واما بغير ذلك قال في التوضيح وأما خبر زينوا القرآن باصواتكم فانه مقلوب وأصله زينوا أصواتكم بالقرآن اه قال ابن حجر ادعاء القلب لا دليل عليه اه وأما حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ما اذن الله لنبي الخ فقيل معنى يتغنى بالقرآن يجهر به وقيل معناه يستغني به عن غيره من الكتب والاحاديث وقيل معناه يستغني به عن الناس بان لا يدنس حلية اكرامه تعالى بالقرآن الذي هو أعظم الكتب المنزلة بالطمع في الخلق والوقوف بأبوابهم مع انهم لا يملكون لانفسهم فضلا عن غيرهم نفعا ولا ضرا وما أحسن قول ابن عطاء الله رضي الله عنه في الحكم لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا وقال أيضا في غير الحكم

الله يعلم انني ذو همة * تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتي * وأريهم عز الملوك واشرفا
أأريهم أني الفقير اليهم * وجميعهم لا يستطيع تصرفا
شكوى الضعيف الى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذي احسانه * عم البريه منة وتلطفا

قال في الاكمال ورد الطبري تأويل يتغنى بيستغني وخطأه لغة ومعنى (قال) أي شعبة (وقال معاوية لولا ان يجتمع الناس على لاخذت لكم في ذلك الصوت أو قال اللحن) واحد اللحون بالضم والالحان وهو التطريب والترجيع وتحسين نحو قراءة أو شعر وفي رواية لمسلم لحكيت لكم قراءته وفي رواية أخرى له لاخذت لكم بذلك الذي ذكره ابن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري لرجعت لكم كما رجع قال ابن حجر وفيه دليل على ان ابن مغفل بين له كيفية ذلك الترجيع اه وانظر قول معاوية لولا

الله تعالى عنها ثوب حزن فاخبرتها بان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت أخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله فافتقر ثم الثالثة ثم الرابعة كذلك فعتبته زوجته فاجابها بانها كفته عارها ولو مات مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لجرير من أشعر الناس فقال انا لولا هذه قيل له بم فضلتك قال بقولها

ان الزمان وما تفنى عجائبه
أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
أبقى لنا كل مجهول وفجعنا
بالحالمين فهم هام وأرماس
ان الجديدين في طول اختلافهما
لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وأجمع علماء الشعر انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ومن قولها في اخيها صخر

الا يا صخر ان أبكيت عيني
فقد أضحكتني دهرا طويلا
اذا قبح البكاء على قتيل
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه أيضا

يؤرقني التذكر حين أمسي
ويردعني عن الاحزان نكسي
على صخر وأي فتى كصخر
ليوم كريهة وطعان حلس
يذكرني طلوع الشمس صخرا
وأبكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس عنه بالتأسي

وسال المهدي المفضل عن أفخر بيت قالته العرب فذكر له قول الخنساء في اخيها وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم في رأسه نار فاعطاه ثلاثين الف درهم بعد ان شكا عليه عشرة آلاف ورآها عمر رضي الله تعالى عنه تطوف بالكعبة لاطمة لخديها معلقة نعل صخر في خمارها فوعظها فقالت رزئت فارسا لم يرزأ أحد بمثله فقال ان في الناس من هو اعظم رزية منك وان الاسلام غطى ما كان

قبله فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها الاربعة فحرضتهم على الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامة فى دار الخلد فتقدموا حتى قتلوا فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو أن يجمعنى الله تعالى بهم فى مستقر الرحمة فكان عمر رضى الله تعالى عنه يعطيها أرزاقهم لكل مائتان

ان الخ مع ما هو معلوم من ان تعليم العلم ونشره مطلوب لاسيما ان اجتمع الناس لذلك اللهم الا ان كان يخشى بالاجتماع فتنة أو معصية كاختلاط رجال بنساء أو اخلال بمروءة أو نحو ذلك من المفاسد فان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما أشار الى ذلك ابن حجر وغيره وفى هذا الحديث جواز القراءة على الدابة خلافا لمن كرهه من السلف لما يقال انه يثقل على الدابة أولانه لا يتمكن من القراءة على وجهها وفيه ملازمته صلى الله عليه وسلم للعبادة لانه حال ركوبه ومسيره لم يترك التلاوة وفيه أن الجهر قد يكون فى بعض المواطن أفضل من الاسرار وذلك عند التعظيم وايقاظ الغافل ونحو ذلك انظر المناوى * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا نوح بن قيس الحرانى) نسبة الى حران بضم أوله قبيلة من الازد (عن حسام بن مصك) بكسر الميم فصاد مفتوحة (عن قتادة) تقدمت ترجمته فى باب الشعر بفتح الشين والعين وانه تابعى جليل فالحديث مرسل (قال ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه) ليكون حسن الظاهر دليلا على حسن الباطن لان الظاهر عنوان الباطن غالبا وقد يتخلف ذلك لكن الغالب معمول به والنادر لا حكم له وقد تكون صورة الجمال عارضة فتظن أصلية فيقع الغلط قال أبو الفتح البستى رحمه الله

وقد يلبس المرء خز الثياب * ومن دونها حالة مضنيه
كمن يكتسى خده حمرة * وعلتها ورم فى الريه

وقد تقدم ذلك قبيل الحديث الاول من أحاديث هذا الكتاب (حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه حسن الصوت) فى وصف أم معبد رضى الله عنها أنه كان فى صوته صلى الله عليه وسلم صحل وهو بحة مستحسنة وعدم حدة فى الصوت وكان صلى الله عليه وسلم جهير الصوت رخيمه أحسن الناس نغمة وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغ صوت غيره فعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن ورواية المصنف فى جامعه من حديث أنس وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا (وكان لا يرجع) أى ترجيع الغناء أو فى غالب أحواله فلا ينافى ما مر فى الحديث قبله * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا يحيى بن حسان نا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ربما يسمعه من فى الحجرة وهو فى البيت) قال القسطلانى المراد بالبيت الدار وبحجرتها الحجر حولها بحجر ويمنع من الدخول فيه والاطلاع عليه اه وأشار بربما الى أنه كان لا يسمعها من فى الحجرة الا اذا أصغى اليها وأنصت لكونها من السر أقرب فلم يتجاوز صوته ما وراء الحجرات لتوسطه قاله المناوى

﴿ باب فى بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكره بعد القراءة لانها أحد أسبابه كما يأتى فى حديث ابن مسعود وقد تضمنت أحاديث الباب أن بكاءه صلى الله عليه وسلم تارة يكون من شدة خوفه صلى الله عليه وسلم وتارة يكون رحمة على ميت وانه فى جميع ذلك لم يكن بشهيق ولا رفع صوت وانما كان بمجرد دمع العين كما ان ضحكه انما كان تبسما لا بقهقهة ولا رفع صوت كما تقدم (حدثنا سويد بن نصر انا عبد الله بن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف وهو ابن

حتى قبض (سد تم الناس بالتقى وسوا كم سودته البيضاء والصفراء) اى سدتم الناس يا أهل البيت بالتقى بعد النسب العالى بالحذر من معصية الله تعالى وبالاخذ بطاعته قال فى القاموس واتقيت الشىء وتقيته اتقيه واتقيه تقى وتقية وتقاء ككساء حذرته والاسم التقوى وقد علم حالهم فى معرفة الله تعالى وخوفهم لله تعالى وهم أعلم الناس وأخوفهم وقد قالوا من كان بالله اعرف كان لله اخوف قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد تقدم أن جماعة يقولون ان القطب لا يكون الا من أهل البيت * وأخرج الطبرانى حديث ان اهل بيتى هؤلاء يرون انهم أولى الناس بى وليس كذلك ان أوليائى منكم المتقون من كانوا حيث كانوا وقال الحسن بن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم لبعض الغلاة فيهم ويحكم أحبونا لله تعالى فان أطعنا الله تعالى فأحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله تعالى نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا أى كأبى طالب والله انى لاخاف ان يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وأرجو ان يؤتى المحسن منا اجره مرتين ولا يخفى ان نسبهم اشرف الانساب قال تعالى فى آية المباهلة فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل الآية قال بعض المفسرين لا دليل اقوى من هذا على فضل على وفاطمة وابنيهما لان الآية لما نزلت دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين

وأخذ بيدالحسن ومشت فاطمة خلفه وعلى خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان أولاد فاطمة وذر يتهم يسمون أبناءه و ينسبون اليه نسبا حقيقية نافعة فى الدنيا والآخرة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم و رضى عنهم خطب فقال مابال أقوام يقولون ان رحم رسول الله لا تنفع قومه يوم القيامة بل والله ان رحمى

موصولة فى الدنيا والآخرة الحديث وأخرج الطبرانى حديث ان الله تعالى جعل ذرية كل نبى فى صلبه وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب زادغيره اذا كان يوم القيامة دعى الناس باسماء أمهاتهم سترا من الله تعالى عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم لكن ذكرابن الجوزى هذه الزيادة فى العلل المتناهية وعورض بان كثرة طرق الحديث ترقيه الى درجة الحسن أو الصحة وصح عن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببى ونسبى وفى رواية بزيادة الصهر وذلك هو الذى حمل عمر على تزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وصحح الحاكم حديث وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ ان لا يعذبهم وأخرج احمد حديث والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقتى الجنة ما بدأت الا بكم وورد فى أحاديث ضعيفة ان فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرمها الله تعالى وذريتها على النار نعم أخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات ان الله تعالى غير معذبك ولا احد من ولدك وورد يا عباس ان الله تعالى غير معذبك ولا أحد من ولدك ولكن لا ينبغى الاغترار بنحو هذا فان ظاهر الوعد لا يقضى على باطن المشيئة و يعنى بقوله سودوا كم الفجرة من بنى أمية وأمثالهم وسودته أثبتت له السيادة عند اهل الدنيا أمثاله والبيضاء الفضة والصفراء الذهب ﴿خاتمة﴾ ثم اعلم ان هذه الآيات والاحاديث غيرى

عبدالله بن الشخير عن ابيه) عبدالله بن الشخير وهو صحابى من مسلمة الفتح (قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز) هو صوت القدر (كازيز المرجل) بكسر فسكون ففتح قال ابن حجر القدر من الحجارة والنحاس وقيل كل قدر اه اى غليان كغليان القدر (من البكاء) اى من اجل حبسه حتى يغلى به الجوف و يسمع له صوت وفيه كما قال ابن حجر وغيره دليل على كمال خوفه صلى الله عليه وسلم من ربه جل وعلا ومعلوم ان العمل والخشية على قدر العلم والمعرفة وهو صلى الله عليه وسلم سيد العارفين بالله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم انى لا علمكم بالله واشدكم له خشية وقال والله انى لاخشاكم لله واتقاكم لله وقال صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة واعلم أن مذهب الاشعرى قال الشهاب وهو الحق ان الانبياء لا يخشى احد عليهم العقاب ولا يجوز تجويزه عليهم لعصمتهم عن المخالفات وخشيتهم وخوفهم من الله تعالى معلوم لا شك فيه وحينئذ فيشكل مجامعة التأمين للخوف وجوابه والله اعلم انا نقول حسنات الابرار سيئات المقربين نخوفهم من رؤية غير الاكمل الذى هو كالنقص فى حقهم فان رؤيته كافية فى الخجل والانقباض وأيضا فليس المراد من خوفهم أن ينزجروا و ينكفوا عن المخالفات بل أن يكونوا فى مقام العبودية والادب على أكمل الحالات لان الركون للامن وعدم الخوف هو عين القصور وسوء الادب وأيضا فلكمال علمهم بالانقلابات واطلاعهم على ضروب التصرفات يرد عليهم من الخشية ما يرد فان من ورد على ملك وهو آمن منه قاطع بأنه لا يصدر منه الا الاحسان والبر لامارات ودلائل قامت عنده على ذلك اذا رآه فى حضرته يعزل و يضع و يطرد و يعاقب بانواع العقوبات التى لا تنحصر يدخله من هيبته وخوفه ما يضطرب من أجله قلبه وجوارحه وترتعد فرائصه و يصفر لونه و يصير ذلك فى حضرة الملك ضروريا له لا يستطيع دفعه عن نفسه مع استحضاره لامارات الامن وهذا تقريب ينبئك على ما فوقه والى هذا والله أعلم يشير حديث لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وكذا حديث قول الانبياء نفسى نفسى والله أعلم اه ملخصا من شرح شيخنا المحقق أبى عبدالله سيدى محمد بن عبدالرحمن بن زكرى كان الله تعالى له لصلاة القطب مولانا عبدالسلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته ومن ثم قال المحاسبى خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وان كانوا آمنين وفى هذا الحديث أيضا البكاء من خشية الله تعالى وفى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وفى الحديث حرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله حرمت النار على عين غضت عن محارم الله حرمت النار على عين بكت من خشية الله وفيه ان بكاء التخشع لا يضر فى الصلاة وفيه مستند لاهل الطريق رضى الله عنهم فى وجدهم وتواجدهم قال بعضهم و يحتمل أن يكون ذلك الازيز من ذكر القلب فان القلب الذاكر تسمع له رنة وصوت كهبوب الريح فى الاسحار اه وانظره مع قوله فى الحديث من البكاء *قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو معاوية بن هشام نا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبدالله) أى ابن مسعود رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على) يحتمل انه خصه بذلك لانه لم يحضر غيره أو لم يحضر أعلم منه قاله الابى (فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك انزل) قال الابى انظر ما الذى توهم حين قال ذلك فيحتمل أنه فهم انه أراد بقراءته عليه الاتعاظ فقال أتتعظ بقراءتى وعليك انزل لانه المتعلم (قال انى أحب ان أسمعه من

الواردة فى فضائل أهل البيت رضى الله عنهم هى التى حملت الامام ابن العربى الحاتمى على ان ذكر فيهم كلاما فى فتوحاته المكية اختصره الشيخ سيدى أحمد زروق والشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى وهو ان يعتقد فى اهل هذا البيت ان الله تعالى تجاوز عن جميع سيآتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابقة عناية من الله لهم قال الله تعالى انما يريد

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فعلق الحكم بالارادة التى لا تتبدل أحكامها فلا يحل لمسلم ان ينتقص ولا أن يشنأ عرض من شهد الله بتطهيره وذهاب الرجس عنه والعقوق لا يخرج عن النسب مالم يذهب أصل النسبة وهو الايمان وما تعين عليه من الحقوق فأيد ينافيه نائبة عن الشريعة وما نحن فى ذلك الا كالعبد يؤدب ابن سيده باذنه فيقوم بامر السيد ولا يهمل حق فضل الولد وقد قال الله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال ابن عباس الا أن تودوا قرابتى وما نزل بنا من قبلهم من الظلم ننزله منزلة القضاء الذى لا سبب له اذ قال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة منى يريبنى ما يريبها وللجزء من الحرمة ما للكل وقد قال تعالى وكان أبوهما صالحا فاثنى بصلاح الاب فما ظنك ببنوته اذا كان هذا فى أولاد الصالحين فما ظنك باولاد النبيين فماذا نعبر فى أولاد سيد المرسلين فبان ان لهم من الفضل مالا يقدر قدره غير الذى خصهم به قال الشيخ زروق ولما ذكرت أول هذه الجملة لشيخنا أبى عبد الله القورى قال هذا فى حقنا فاما بحقهم فليس الذنب فى القرب كالذنب فى البعد ولا يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة الآية * وكتب الامام النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار على قوله يعتقد فى اهل البيت الخ ما نصه قول القائل ان أهل البيت يعتقد ان الله لا يعاقبهم الخ ان أراد تغليب الرجاء فى حق من علم الله تعالى انه منهم على الخوف فحق وان أراد بالاعتقاد الجزم المطابق بانهم

غيرى) اما تشريعا لطريق العرض على الشيخ عكس ما وقع لابى حيث قال له النبى صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقرأ عليك فيكون اشارة الى أن القرآن يؤخذ بعرض الشيخ على التلميذ وبالعكس اولانه أبلغ فى التفهم والتدبر فان المستمع أقوى على ذلك من القارىء لاشتغاله بالقراءة (فقرأت سورة النساء حتى بلغت وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أى كيف حال الكفار او كيف يكونون او كيف يصنعون اذا جئنا من كل أمة بشهيد وهو نبى تلك الامة وجئنا بك على هؤلاء أى الانبياء أو أممهم شهيدا وعلى الوجه الثانى فيكون النبى صلى الله عليه وسلم معدلا للانبياء فى شهاداتهم على أممهم ويحتمل ان المراد بهؤلاء هذه الامة ويرجح هذا الوجه قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم اذا كان المراد أمة الدعوة كان فى الكلام حذف اى عليهم ولهم (قال) أى ابن مسعود (فرأيت عينى النبى صلى الله عليه وسلم تهملان) بفتح التاء وكسر الميم وضمها أى تسيلان دموعا قال عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم لعظم ما تضمنته الآية وما قبلها من قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وما بعدها من قوله تعالى يومئذ يود الذين كفروا الآية وقال ابن بطال مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية الى شهادته لامته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لاهل الموقف وهو أمر يحق له طول البكاء وقال العسقلانى الذى يظهر أنه بكى رحمة لامته لانه علم انه لابد ان يشهد عليهم بعملهم وعملهم قد لا يكون مستقيما فقد يفضى الى تعذيبهم اه وأما احتمال ان بكاءه للسرور بخطاب الله له بانه شاهد عليهم فلا يقبله الذوق السليم قاله فى جمع الوسائل وفى البخارى انه لما بلغها قال له أمسك وأخذ منه جواز الامر بقطع القراءة لمصلحة وهى هنا التنبيه على ما فى الآية من الوعظ أو الاشارة الى جواز الوقف فى مثل هذا المحل مع ان الكلام غير مستقل بنفسه وتمامه بالآية التى بعده أو الاشارة الى تعليم جلسائه حسن السمت وعدم خروجهم عن هيئة السكون اذ كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقبض بسكونه على جلسائه ولذلك لم يغلب السماع عليهم لما يصل اليهم من بركة ترديه برداء الصبر وفى هذا الحديث البكاء عند قراءة القرآن وهو من صفات العارفين وسمات الصالحين وقد مدحهم الله سبحانه وتعالى بذلك فى قوله اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وفى قوله ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وطريق الوصول الى ذلك ان ينظر الى ما فيه من الاوامر والنواهى والعهود والمواثيق والوعد والوعيد ثم ينظر الى تقصير نفسه فى ذلك كله وعدم قيامه به فيبكى على نفسه فان لم يجد من نفسه ذلك لقساوة قلبه فليبك على ترك بكائه * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا جرير عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو) اى ابن العاصى (قال انكسفت الشمس) أى ذهب نورها كلها او بعضها ويقال ايضا كسفت الشمس بفتح الكاف وضمها ويقال انخسفت الشمس وخسفت بفتح الخاء وضمها قال العسقلانى والمشهور فى استعمال الفقهاء ان الكسوف فى الشمس والخسوف فى القمر وذكر الجوهرى انه أفصح وقيل يتعين ذلك وقيل يقال فى كل منهما وبه جاءت الاحاديث وقال بعضهم الخسوف فى ذهاب جميع الضوء والكسوف فى ذهاب بعضه (يوما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) زاد البخارى يوم مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى) صلاتها سنة عند الجميع والجماعة فيها سنة عند الاكثر وذكر الخطاب عن العراقيين أنه لا يجمع لها (حتى

لا يعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة فان قيل ورد به ظواهر قيل ورد أكثر منها وأوضح في حق فاعلي طاعات وأعدى الأعادي لأهل البيت من يوهمهم ذلك بل يذكرهم نحو يضاعف لها العذاب ضعفين وان كثيرا من تلك الظواهر قد لا تشملهم فمن اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم فهو مبتدع بل مذهب أهل السنة انهم في المشيئة * وكتب على هذا الكلام العارف بالله سيدي عبد الرحمن

الفاسي رحمه الله ما نصه فقف على قوله في حق من علم الله أنه منهم فانه تنبيه على انه لا يقطع به في معين ولا يقطع به لنفسه ولو لا من كون شرطه الوفاة على الاسلام وهو غيب وهكذا ينبغي ان يكون الاعتقاد في كل فضيلة وعد عليها في العقبى فان شرط ذلك الايمان عند الله وهو غيب غير مقطوع به لاحد الا من ميزه النص على أن من تحقق قبضة الحق لا يسكن لوعد وبه تفهم قول سيدي عبد السلام والحقني بنسبه فان الطيني مشروط بالديني وهو غيب وكذا ما ورد في قبول الطاعات والدعاء وادخاره فانما هو فيمن علم الله تعالى منه خاتمة الايمان ونفذت بذلك ارادته ومشيئته وأما أحد في خاصته فلا يصح منه الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره وقد قال سيدي أبو الحسن وقد أبهمت الامر علينا لنرجو ونخاف وذلك سر العبودية وبذلك تنقطع الآمال الا من الله ويتحقق

لم يكد يركع) أي لطول قيامه وقراءته فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ قدر البقرة (ثم ركع فلم يكد يرفع رأسه) لطول ركوعه (ثم رفع رأسه فلم يكد ان يسجد) فيه اطالة القيام بعد الرفع من الركوع وقبل السجود وليس في هذه الرواية الا ركوع واحد (ثم سجد فلم يكد ان يرفع رأسه ثم رفع رأسه فلم يكد ان يسجد) فيه اطالة الجلوس بين السجدتين وقد نقل الغزالي الاتفاق على ترك اطالته قال العسقلاني فان أراد الاتفاق المذهبي فلا كلام والا فهو محجوج بهذه الرواية وفي المناوي ما صرح به في هذا الحديث من تطويل الاعتدال والقعود بين السجدتين أخذ به بعض السلف ومذهب الشافعية أنهما لا يطولان وادعى النووي في شرح مسلم ان رواية تطويلهما شاذة قال الحافظ ابن حجر ولم أقف في شيء من الطرق على تطويل الجلوس بين السجدتين الا في هذا الحديث اهـ (ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكي) فيه ان النفخ المصاحب لبكاء التخشع لا يضر في الصلاة (ويقول رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم) اي بقولك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون) اي بقولك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (ونحن نستغفرك) لم يقل ونحن معهم أدبا ومن البين الواضح ان ليس المقصود من هذا الكلام اقامة الحجة بل المقصود به استنزال الفضل واستمطار الرحمة والاستعطاف واظهار الفقر والحاجة لما عند الله تعالى لان الكسوف ربما دل على وقوع عذاب قال ابن حجر وانما دعا بعدم التعذيب مع الوعد به الذي لا يخلف لان ظاهر الوعد لا يقضي على باطن العلم لجواز أن ذلك الوعد منوط بشرط أو قيد اختل ومن ثم كان العارف لا يزايله الخوف وان أمن اهـ بمعناه وبهذا أيضا اجيب عن قوله في صحيح البخاري ومسلم فقام فزعا يخشى ان تكون الساعة وفيه نظر لان هذا انما هو في وعد خاص كتبشير بعض الصحابة بالجنة وأما الوعد العام المأمور باعتقاده يقينا لكافة الخلق فلا يقال فيه لعله يتوقف على شرط استأثر الله بعلمه لان ذلك يوجب تطرق الشك في العقائد السمعية كلها كذا اقرره شيخنا المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري أجزل الله تعالى ثوابه والصواب في الجواب عن قوله يخشى ان تكون الساعة أن يقال خشي ان يكون هذا الكسوف هو مبدأ آيات الساعة الكبرى فقد قال السيوطي ناقلا عن غيره ان أول الآيات الكسوفات أو يكون المعنى كأنه يخشى ان تكون الساعة أي فزع فزع من يخشى ان تكون الساعة وصرح بعضهم بان الراوي أخطأ لانه من أين له ان يعلم ما في قلبه صلى الله عليه وسلم وقيل انما خشي ذلك قبل ان يعلم بانها لا تكون حتى تكون عشر آيات كما في الحديث ورد بان الكسوف تأخر جدا فان جمهور أهل السير أن موت ابراهيم كان في السنة العاشرة في ربيع الاول أو رمضان لا في التاسعة ولا في زمن الحديبية خلافا لمن زعم ذلك والقول بان موته كان في ذي الحجة لا يصح لانه صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك في حجة الوداع وقد شهد موته بالمدينة اتفاقا نعم يصح ذلك على انه مات سنة تسع كما في ابن حجر واما خوفه ان ينزل العذاب بأمته مع الوعد بعدمه في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم الآية فالقول فيه هنا كما تقدم في معنى خوف الانبياء عليهم السلام مع القطع بأمنهم من ان ذلك مقتضى العبودية ومشاهدة سطوة الربوبية ومقتضى كمال العلم بالانقلابات والاطلاع على ضروب التصرفات فافهم ذلك وتأمله (فلما صلى ركعتين انجلت الشمس) ليس في هذه الرواية زيادة قيامين وركوعين في ركعتي الكسوف قال المناوي وهذا

الرجاء والاعتماد عليه لا على الاسباب فاعرفه اهـ فتبين من نصوص هؤلاء الائمة رضي الله تعالى عنهم الحديث ان محمل أحاديث التبشير على غلبة الرجاء في حق من علم الله أنه منهم لكن يشكل عليه ان الآية صرحت بان الله تعالى أراد اذهاب الرجس بمعنى الاثم كما قال المفسرون عنهم وما أراده الله مقطوع بوقوعه وهو معنى قول ابن العربي تعلق الحكم بالارادة التي لا تتبدل أحكامها والجواب من وجهين أحدهما ان الشيخ أبا اسحق الشاطبي حمل الارادة في الآية على الامرية وهي انما تستلزم الرضا بالمراد لا وجوب وقوعه لا يقال

لا خصوصية لاهل البيت بذلك مع ان الآية جاءت لبيان مزيتهم وخصوصيتهم لانا نقول لما أمر امهات المؤمنين باوامر ونهاهن بنواه عقب ذلك بقوله انما يريد تحريكا للهمم العلية وتذكيرا لما خصهم به من المزية التى لا يناسبها الاغاية النزاهة وكمال الطهارة وهومعنى قوله أهل البيت نداء معترضا بين المتعاطفين أى قوموا بحفظ هذه النسبة العظيمة وصونوها وأبعدوها عما لا يناسبها ولا يليق

الحديث صحيح و به احتج أبو حنيفة على توحيد الركوع فى الركعة وذهب مالك والشافعى الى انه يصلى كل ركعة بركوعين وذهب أحمد الى انه يصلى كل ركعة بثلاث ركوعات لادلة أخرى رأوا ترجيحها اه وحمل بعض الشافعية الروايات المتعارضة على تعدد الواقعة وان كلا من هذه الاوجه جائز وقواه النووى فى شرح مسلم وفيه ان تعدد الكسوف يحتاج الى نقل ثابت والمنقول أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلها بالمدينة الامرة واحدة واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح وقد نقل ابن القيم عن الشافعى وأحمد والبخارى انهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين غلطا من بعض الرواة وفى الاكمال ان رواية ركعتان فى كل ركعة ركوعان وسجودان هى أصح الروايات وروا تها أحفظ وأضبط وان غيرها من الروايات معلولة ضعيفة اه وبه يرد مازعمه بعض الحنفية من أن تأويل ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما أطال الركوع رفع بعض الصفوف رؤسهم ظنا منهم انه عليه السلام رفع رأسه من الركوع فرفع من خلفهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راكعا ركعوا فركع من خلفهم فمن كان خلفهم ظن أنه صلى الله عليه وسلم أتى فى كل ركعة بأكثر من ركوع واحد فروى على حسب ماعنده من الاشتباه (فقام) أى فى محله هذا هو المتبادر واحتمال انه قام على المنبر بعيد اذلو كان كذلك لنقل (فحمد الله) وصفه بالجميل بلفظ الحمد أوغيره فقوله (وأثنى عليه) تفسير لما قبله زاد النسائى من حديث سمرة وشهد انه عبد الله ورسوله (ثم قال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله) أى الدالة على كمال وحدانيته وكمال قدرته أو على تخويف العباد من بأسه وسطوته قال تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا زاد فى رواية الصحيحين وغيرهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته وتقدم ان سبب ذلك ان الناس قالوا كسفت الشمس لموت ابراهيم (فان انكسفا) فيه تغليب القمر فى التذكير وتغليب الشمس فى الفعل على المذهب الشهير (فافزعوا) أى بادروا وتوجهوا (الى ذكر الله تعالى) فى رواية البخارى فاذا رأيتموها فصلوا وادعوا فسميت الصلاة ذكرا لاشتمالها على الذكر ولان مدارها عليه كما قال تعالى وأقم الصلاة لذكرى وفى أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة دون الخطبة دليل على ان الخطبة ليست مشروعة فى الكسوف ولو كانت مشروعة فيه لبينها صلى الله عليه وسلم وأيضا فان جماعة من الصحابة كعلى بن أبى طالب والنعمان بن بشير وابن عباس وجابر وأبى هريرة نقلوا صفة صلاة الكسوف ولم يذكر واحد منهم أنه عليه السلام خطب فيها ولا يجوز أن يكون خطب وأغفل هؤلاء كلهم مع نقل كل واحد ما تعلق بتلك الحال وأما تسمية عائشة رضى الله عنها ماوقع خطبة فليس على ظاهره بل هو على طريق التشبيه وفى هذا الحديث ان الصلاة من أعظم ما يستدفع به البلاء وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر أى أهمه بادر الى الصلاة وفيه بيان ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته وشدة الخوف من ربه وفى قوله آيتان الخ تنبيه على حدوثهما ونقصهما لطروّ التغيير عليهما وازالة نورهما الذى به عظما فى النفوس حتى ارتقى الحال ببعضهم الى عبادتهما وقال جماعة من أهل الضلال بتأثيرهما فى العالم ويرحم الله القائل

لا تركنن الى مقال منجم * وكل الامور الى الاله وسلم
واعلم بأنك ان نسبت لكوكب * تدبير حادثة فلست بمسلم

بالمتصف بها كأنه يقول انما أمرناكم بكذا ونهيناكم عن كذا لانا لم نرض لكم الا الكمال بأن تأتونا طاهرين من كل شىء وهكذا يقول الناصح لمنصوحه فى المنزلة والقدر لا تفعل كذا وانما نهيتك عنه نصيحة ونظرا لك حتى يبقى قدرك محفوظا والثانى ان المراد بأهل البيت فاطمة وبعلها وابناهما أو نساء النبى صلى الله عليه وسلم أوهما على أقوال ثلاثة للمفسرين خلافا لابن العربى فى التعميم الذى ذكره فى الفتوحات * قال السيد السمهودى قد ذكر اهل السير أن زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق كان قد خرج على المأمون فظفر به فبعث به الى اخيه على الرضا بن موسى الكاظم فوبخه على الرضا ومن جملة ما قال له يا زيد ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سفكت الدماء وأخفت السبل وأخذت المال من غير حقه غرك حمقاء اهل الكوفة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار وهذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لى ولك والله ما نالوا ذلك الا بطاعة الله اه وقال المناوى فى حديث سألت ربى عزوجل أن لا يدخل أحدا من اهل بيتى النار فاعطانيها قال هم فاطمة وعلى وابناهما وزوجاته اه هذا ما لخصته من شرح شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله على همزيته * وفى الاحياء للغزالى لما تكلم على الاعجاب بشرف النسب والاباء ان من خالف آباءه فى افعالهم واخلاقهم وظن انه يلحق بهم فقد جهل ولا يتكل على شفاعتهم فانه قد لا يؤذن لهم فيه

وانه بمنزلة من يتعاطى أكل السموم اتكالا على طب ابيه وذلك جهل وخطر لان من ذلك مالا يعالج فالحزم الحذر هذا وقد سئل العلامة النحرير القاضي الاشهر سيدي العربي بردله عن مسئلتين *الاولى هل يطلب شرعا البحث في هذه النسبة النبوية لتمييز من ثبتت له شرعا ممن لاحظ له فيها أم لا *الثانية على تسليم المطلوبية هل يترك ذلك لمفسدة تلحق من سقطت دعواه لتلك النسبة من امتهانه وتكليفه المغارم فاجاب عن الاولى بان ذلك الامر مطلوب شرعا ففي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم أمر حسانا ان يذهب الى أبي بكر ليخلص له نسبه أي حين اراد حسان وأمره ان ينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال له صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبي فقال حسان لاسلنك منهم وتعين عليه تخليص نسبه الشريف فكذلك سائر الامة لما كلفوا في حق الآل بامور منها الصلاة عليهم الوارد بها النص ففي البخاري ومسلم ان الصحابة قالوا يارسول الله أمرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبما يجب لهم قال في المختصر واخراجها والخمس والجزية لآله صلى الله عليه وسلم ثم للمصالح وبما نزههم عنه بالكفاية من غيره ففي مسلم ان هذه الصدقة انما هي أوساخ الناس وانها لاتحل لمحمد ولا لآل محمد وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال لا أحل لكم اهل البيت من الصدقات شيأ ولا غسالة الايدى ان لكم في خمس الخمس من ما يكفيكم او يغنيكم قال المواق على قول المختصر وعدم بنوة لهاشم قال ابن حبيب لايدخل في آل محمد الذين لاتحل لهم الصدقة من فوق بني هاشم من بني عبدمناف وبني قصي ويدخل في ذلك من دون بني هاشم من بني عبد المطلب وبني بنيهم ما تناسلوا الى اليوم وكذلك يتنزهون عن ان يكونوا عمالا عليها قال في المختصر في الجابي غير هاشمي قال اللخمي لايستعمل عليها من كان من آل النبي صلى الله عليه وسلم لان اخذها

وفي قوله لا ينكسفان لموت أحد الخ رد على من قال خسفت الشمس لموت ابراهيم وعلى من زعم ان أحدهما لا يخسف الا لموت عظيم وفي فزعه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة والعتق والصدقة دليل على أن الكسوف ليس أمرا عاديا لا يتقدم ولا يتأخر كما زعم أهل الهيئة اذ لو كان كذلك لم يكن معنى للفزع ولم يكن للامر بذلك فائدة وأيضا فقد صح في الخبر ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله وان الله تعالى اذا تجلى لشيء خشع له وظاهره ان سبب الكسوف خشوعهما لله تعالى ولعل السر في ذلك ان النور والاضاءة من عالم الجمال الحسي فاذا جاءت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ومن ثم قال طاوس لما نظر الى الشمس وهي كاسفة فبكى حتى كاد ان يموت هي أخوف لله منا لكن قال ابن دقيق العيد لاتنافي بين الحديث وبين ما قالوه فان لله أفعالا على حسب العادة وأفعالا خارجة عنها وقدرته حاكمة على كل سبب يقطع ما يشاء من الاسباب والمسببات بعضها عن بعض وحينئذ فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وانه يفعل ما يشاء اذا وقع أمر غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع ان ثم أسبابا تجري عليها العادة الا ان يشاء الله خرقها وحاصله ان ماذكروه ان كان حقا في نفس الامر لاينافي كون ذلك تخويفا لعباد الله انظر ابن حجر وجمع الوسائل ﴿تنبيه﴾ روى ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم وأخرجه الدارقطني أيضا وبه يرد قول من قال انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي في كسوف القمر وتأويله صلى بامر باطل اذ لا دليل عليه وليس في قوله مثل صلاتكم دليل على اتحاد القيام في ركعتي كسوف الشمس خلافا لابن حجر لاحتمال ان معنى مثل صلاتكم كسوف الشمس في تعدد القيام في كل ركعة ومثل صلاتكم خسوف القمر من عدم التعدد والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد نا سفيان عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة له) زاد النسائي في روايته صغيرة (تقضى) أي تموت قال الازهري مرجع القضاء الى انقطاع الشيء وتمامه (فاحتضنها) أي جعلها في حضنه بالكسر أي جنبه وهو مادون الابط الى الكشح والصدر والعضدان وما بينهما قاله في القاموس وبه سميت الحاضنة وهي التي تربي الطفل لان المربي والكافل يضم الطفل الى حضنه (فوضعها) أي بعد ساعة (بين يديه فماتت وهي بين يديه) فيه اشكال لانه ان كان المراد ابنة له حقيقة كما هو ظاهر اللفظ كان مخالفا لما أطبق عليه ارباب السير والحديث والتواريخ من ان بناته صلى الله عليه وسلم كلهن متن في حال الكبر وان كان المراد ابنة احدى بناته وتكون اضافتها اليه مجازية فلم ينقل ان ابنة لاحدى بناته ماتت في حال الصغر الا مارواه أحمد ان النبي صلى الله عليه وسلم بامامة بنت زينب وهي في النزع فدمعت عيناه ويعارضه ان أهل العلم بالاخبار اتفقوا على ان امامة عاشت بعد النبي حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة وقتل عنها وحملوا رواية أحمد على انها أشرفت على الموت ولم تمت فاما ان يقال وقع وهم في هذا الحديث امافي قوله تقضي وفي قوله فماتت وهي بين يديه واما في قوله ابنة والصواب ابنه ويكون المراد أحد بنيه القاسم أو عبد الله أو ابراهيم ويحتمل ان المراد ابن بعض بناته اما حسين بن فاطمة أو عبد الله بن رقية بن عثمان انظر المناوي (وصاحت) وفي بعض النسخ فصاحت (أم أيمن) وهي حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ومولاته وربما

من أبيه وأعتقها حين تزوج خديجة وزوجها لزيد مولاه فولدت له أسامة وتوفيت بعد عمر بعشرين يوما وقد شهدت أحدا وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى وشهدت خيبر وهاجرت الهجرتين الى أرض الحبشة والى المدينة جميعا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أم أيمن أمى بعد أمى وكان يبر بها مبرة الام ويكثر زيارتها وكان عندها كالولد ولذلك كانت ترفع صوتها عليه وكانها صاحت صياحا ممتنعا لما يصحبه من الجزع والهلع ولذلك أنكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم (فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم أتبكين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) لم يقل عندى لانه أبلغ فى الزجر (فقالت) ظنا منها ان البكاء جائز مطلقا (ألست أراك تبكى قال انى لست أبكى) اى بكاء جزع وعدم صبر (انما هى) اى البكاء بمعنى الدمعة أو قطرات الدمع (رحمة) أى أثر الرحمة التى جعلها الله فى قلوب عباده فالبكاء الجائز هو الذى كبكائه صلى الله عليه وسلم وهى رحمة تنزل بالقلب فتدمع لها العين من غير جزع ولا هلع ولا صياح ولا دعاء بويل أو ثبور وقد ورد ان العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون (ان المؤمن) اى الكامل ملتبس (بكل خير على كل حال) اى لانه يشهد المحنة عين المنة فيحمده عليها كما قال (ان نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى) لانه يرى الموت رحمة له وكرامة وخيراله من الحياة أى واذا كان كذلك فكيف يكون منه جزع أو المراد كما قال ابن مخلص ان المؤمن لاجل ما أعطاه الله من الايمان فى نعمة ما فوقها نعمة فمن عرف قيمته تسلى به عن كل مصيبة تصيبه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه ولا تجعل مصيبتى فى دينى فهذا منه صلى الله عليه وسلم تغبط بالايمان واشباع واقناع للقلوب به اه بالمعنى ولا شك ان فضل الايمان كثير جلس النبي صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وقال قد علمت ان حرمتك عند الله عظيمة وحرمة المؤمن أعظم عند الله منك وقال عليه الصلاة والسلام قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا وكفى المؤمنين شرفا قوله عزوجل يحبهم ويحبونه قال الامام أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه نعمة الاسلام هى الاولى والاحرى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها والحمد عليها فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من اول الدنيا واخذت فى شكر نعمة الاسلام من أول الوقت الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق مما هنالك واعلم ان الموضع لا يحتمل ذكر ما يبلغه علمى من قدر هذه النعمة ولو أمليت فيها ألف ورقة لكان مبلغ علمى فوق ذلك مع اعترافى بان ما اعلمه فى جنب ما لا أعلمه كنقطة فى بحار الدنيا باسرها أما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقال للقوم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقال صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام انك لتحمد الله على نعمة عظيمة وقيل ما من كلمة أحب الى الله تعالى ولا أبلغ عنده فى الشكر من أن نقول الحمد لله الذى أنعم علينا وهدانا للاسلام اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون) بالظاء المعجمة أى بين عينيه كما فى بعض الروايات (وهو ميت) هو قرشى أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وكان حرم الخمر فى الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى ويحملنى على أن أنكح كريمتى وهو أول

على وجه الاستعمال عليها لا يخرجها عن أوساخ الناس اه فلما كلفت الامة بهذه الاحكام وغيرها فى حق آله عليه الصلاة والسلام تعين تمييز متعلق هذه الاحكام الذى هو للآن من غيرهم ولا يتميزون الا بالبحث البالغ والتفتيش المستقصى ولذلك نصبت النقباء قديما وحديثا فى ممالك الاسلام وأهم ما نصب اليه النقباء هو التمييز والبحث عمن ثبتت له هذه النسبة الشريفة ممن لم تثبت له لان الناس جبلوا على حب العلو لاسيما من أعانه الدهر بوفور مال أو شهرة وجاهة لسبب من الاسباب أو نيل رياسة فكلهم يتطلع ويتحيل للتحلى بهذا النسب الشريف فاذا لم يقع الذب عنه استوى الشريف والمشروف وعطلت تلك الاحكام أو تعلقت بغير أهلها ونعوذ بالله من ذلك ثم هنالك أمر آخر نبه عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو التوسل بهم عند الشدائد حين خرج للاستسقاء وقدم سيدنا العباس وقال اللهم انا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا اللهم انا نستسقى بعم نبيك فاسقنا ونذكر قضية الشيخ سيدى عبد القادر الفاسى حيث أشار على الناس بالاستسقاء بهم ففعلوا فسقوا ولهذا قال الشيخ القصار ينبغى ان يكون لاهل البيت النبوى بل ولجميع الامة غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه احد الا بحق كما جرى عليه السلف الكرام لتعين توخيهم بالاجلال والاعظام وقال ابن حجر الهيتمى وينبغى لكل أحد ان تكون له الغيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق وأجاب عن المسئلة الثانية بان تلك المفسدة اللاحقة سهلة بالنسبة الى مقابلها لان قصارى من سقطت دعواه لتلك النسبة أن يرجع فى الدنيا من عوام الناس ينوبه ما نابهم ويلزمه مثل ما يكلفون به لكن فيه انقاذ له من فضوح الآخرة حيث تحق الحقائق ويظهر الامر على خلاف ما يدعى ويطرد عن ذلك الجناب

الذى كان اليه ينتمى ثم انه ورد الوعيد الشديد على من خرج عن نسبه بطلب غيره ففى البخارى من انتسب الى غير أبيه فالجنة عليه حرام ومن انتسب الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وعن مالك من انتسب الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم اه باختصار وما نقله عن مالك هو فى آخر الشفاء من رواية أبى مصعب عن مالك لكن رأيت فى حاشية العارف بالله سيدى عبد الرحمن الفاسى على البخارى فى آخر كتاب الفرائض عن الابى على حديث من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام ما نصه ان كان انما يقول ذلك ليامن على نفسه يعنى على وجه التقية من ظلم او خوف على نفس أومال فذلك خفيف ولكن يورى أحسن اه قال العارف وهذا كما فى دعوى الشرف لاجل ذلك أوالانتماء الى صالح فان كان للضرورة فذلك خفيف كما ذكر والتورية أحسن وان كان لغير ضرورة ففيه الوعيد المذكور فى الحديث بلا شك والحديث صادق فى المدعين الشرف بالكذب قيل والناس مصدقون على أنسابهم فى غير دعوى الشرف حماية لجناب النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر وافى باب الردة انه يشدد فى أدب من انتمى له عليه الصلاة والسلام بغير حق سواء كان ذلك الانتساب تصريحا أواحتمالا ثم ذكر كلام الشفاء المتقدم والله أعلم

الطحاوى

(و باصحابك الذين هم بعـ*ـدك فينا الهداة والاوصياء)

الاصحاب جمع صاحب كشاهد واشهاد وهو من اجتمع مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم ولو طفلا وأعمى ومات مؤمنا والهداة جمع

من مات من المهاجرين بالمدينة على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة ودفن بالبقيع وهو أول من دفن به وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع حجرا عند رأس قبره وقال أعلم به قبر أخى وادفن عنده من مات من اهلى وكان يزورقبره ولما مات ابنه ابراهيم قال أدفنه عند سلفنا عثمان بن مظعون وكان عابدا مجتهدا من فضلاء الصحابة وقد كان هو وعلى بن أبى طالب وأبو ذرهموا ان يختصوا ويتبتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ونزلت فيهم ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا أى تتجاوزوا أمر الله تعالى ان الله لا يحب المعتدين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ولما مر بجنازته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب رحمة الله عليك أبا السائب فقد خرجت ولم تلبس منها بشىء (وهو يبكى) أخرج ابن سعد فى الطبقات عن سفيان الثورى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قالت فرأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان وروى انه لما مات عثمان وبكى النساء جعل عمر يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا ياعمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان وما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان (أو قال) شك من أحد الرواة (عيناه تهراقان) بضم التاء وفتح الهاء وسكونها وفى نسخة بحذف الالف أى تصبان دموعهما الاول من هراق يهريق والشىء مهراق بالتحريك والهاء بدل من همزة أراق أومن أهراق يهريق اهراقة فهو مهريق ومهراق فيجمع بين البدل والمبدل والثانى من أهرق الماء يهرقه اهراقا وتقبيله صلى الله عليه وسلم له رحمة له ومحبة فيه وحسن عهد مع اصحابه وليستجلب له بذلك رحمة ربه فان من أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه عظم ثوابه عند ربه وفيه جواز تقبيل الميت الصالح وقد قبل أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم وهو ميت كما يأتى ان شاء الله * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور أنا أبو عامر نا فليح وهو ابن سليمان عن هلال بن على عن أنس بن مالك قال شهدنا ابنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) هى أم كلثوم زوجة عثمان بن عفان كما رواه الواقدى عن فليح بن سليمان بهذا الاسناد وكذا أخرجه ابن سعد فى الطبقات فى ترجمة أم كلثوم ووهم من قال انها رقية لانها ماتت والنبى صلى الله عليه وسلم ببدر ولم يشهدها (ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر) أى على طرفه فلا دليل فيه على جواز الجلوس على القبر خلافا لبعض الشراح (فرأيت عينيه تدمعان فقال أفيكم رجل لم يقارف الليلة) أصل المقارفة الدنو واللصوق ومعنى لم يقارف الليلة لم يرتكب ذنبا أولم يجامع أهله فمد زاد ابن المبارك عن فليح أراه يعنى الذنب ذكره البخارى تعليقا ووصله الاسماعيلى وفى رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بلفظ لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة فتنحى عثمان أخرجه البخارى فى التاريخ الاوسط والحاكم فى المستدرك لكن يبعد الوجه الاول قوله (قال أبوطلحة انا) فقد قال ابن حزم معاذ الله ان يتبجح أبو طلحة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لم يذنب تلك الليلة اه فالوجه الثانى هو الاصح وعليه فالحكمة فى ذلك ماروى ان عثمان رضى الله عنه باشر تلك الليلة أمة له فلم يعجب ذلك النبى صلى الله عليه وسلم لاشتغاله بها عن زوجته المحتضرة فأراد ان لا ينزل قبرها معاتبة له قال ابن حجر وهو ظاهر ان صح ذلك والا فالحكمة انه لم يرد ان يكون النازل فيه قريب العهد بمخالطة النساء لتكون نفسه مطمئنة ساكنة كالناسية للشهوة وحكى عن

هادأى الدالون للامة على الله تعالى بما يليق بتوحيده وعلى شرعه الذى شرعه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم والاوصياء جمع وصى من وصى وأوصاه عهد اليه أى المعهود اليهم بالقيام بامر الدين والدعاء اليه والذب عنه فقاموا بذلك أتم قيام كما هو معلوم رضى الله تعالى عنهم ولا عبرة بمن قال أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بخلافة أبى بكر وعلى

الطحاوى انه قال لم يقارف تصحيف والصواب لم يقاول اى لم ينازع غيره فى الكلام لانهم كانوا يكرهون الكلام بعد العشاء (قال انزل فنزل فى قبرها) كذا رواه البخارى أيضا قال ابن حجر وفى رواية ان الذى نزل فى قبرها على والفضل واسامة فان صحت فلا مانع من نزول الاربعة وفيه جواز نزول الرجل الصالح قبر المرأة باذن وليها وأبو طلحة هو زيد بن سهل الانصارى الخزرجى النجارى عقبى بدرى نقيب اغلبت عليه كنيته صحابى مشهور وهو أحد الرماة والابطال المذكورين شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يوم أحد يتطاول بصدره يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم النبل ويقول صدرى دون صدرك يارسول الله ووجهى لوجهك الوقاء وقال فى حقه لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل وقتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ سلبهم وروى الترمذى والبخارى عنه كنت ممن يغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى مرارا وهو الذى حفر قبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين عن أنس لما نزل قول الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون تصدق أبو طلحة بحائط له يقال له بيرحاء فقال له صلى الله عليه وسلم بخ بخ مال رابح أو رايح قال بعض العلماء اى رابح صاحبه ولبس فى الصحب احد يقال له أبو طلحة سواه وهو عم أنس وزوج امه أم سليم رضى الله عنهم وعن أنس انه قال سرد ابو طلحة الصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وانه ركب البحر فمات رضى الله عنه ورحمه ودفن فى جزيرة انظر الاصابة ﴿تنبيه﴾ ورد عن عائشة رضى الله عنها ما بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميت قط وانما غاية حزنه انه يمسك لحيته قال ابن حجر مرادها ما بكى على ميت أسفا عليه بل رحمة له كما مر فى لست أبكى انما هى رحمة وانظر فى ابن حجر عدد بناته وبنيه صلى الله عليه وسلم وقصة تزوج على بفاطمة رضى الله عنها ومن اعقب من بناته صلى الله عليه وسلم ومن لم يعقب منهن

﴿باب فى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

كأن المصنف والله أعلم ختم ابواب العبادة بباب بيان خشونة فراشه صلى الله عليه وسلم ولم يقدمه فى ابواب اللباس ليقتدى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك من له رغبة فى عبادة الله تعالى فان وطاءة الفراش تستدعى كثرة النوم الذى هو تضييع العمر فى مالا طائل تحته والفراش بكسر الفاء ما يفرش فهو بمعنى مفعول كاللباس ويجمع على فرش (حدثنا على بن حجر نا على بن مسهر) بضم الميم وكسرها (عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة) ورواه ايضا عنها الشيخان (قالت انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه) احترازا من فراش الجلوس اوقيدت بذلك للاشعار بأنه لهما ومرادها فراشه الذى كان فى بيتها بدليل ما بعده (من أدم) بفتحتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ او الاحمر أو مطلق الجلد على ما فى القاموس وفى بعض النسخ أدما بالنصب وفى بعضها بالرفع وهو مشكل قال فى جمع الوسائل ويمكن ان يكون اسم كان ضمير الشأن وجملة فراشه أدم خبرها (حشوه) اى الفراش اى محشوه (ليف) اى ليف النخل لانه الكثير المعروف عندهم وهو الذى يخرج فى اصول سعف النخل لاول خروجها تحشى به الوسائد والفرش ويفتل

اذ وقع الاجماع على أن ذلك لم يكن والا لهلكت الامة لو خالفوا نص الوصية لو وقع لكن اشارته صلى الله عليه وسلم فى غير حديث دالت على أن الخليفة بعده الذى رضيه الله تعالى ورسوله لخلافة النبوة أبو بكر رضى الله عنه وجعلنا فى حماه وسيأتى بعضها فى ذكر أبى بكر ﴿فائدة﴾ جمهور الامة على أن فضل الصحبة لا يعدله شىء فاصحاب النبى أفضل أمته بعده على الاطلاق وذهب الحافظ ابن عبد البر فى جماعة الى أنه يمكن أن يكون فيمن بعدهم من هو أفضل من بعضهم للخبر الحسن وقيل صحيح مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره وللخبر الحسن أيضا ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير وروى أبو داود والترمذى يأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا قال منكم وانظر المواهب وأجاب الجمهور عن الحديث الاول بان معنى قوله لا يدرى أوله خير الخ

فى سعة الحال وكثرة الاموال واتساع الارزاق فان الله تعالى فتح عليهم فى الاول أقطار الارض وأباحهم أموال الامم ومساكنهم ونساءهم وملكهم رقابهم وكذلك فى آخر الامر تتسع البركات وتتضاعف الخيرات كما ورد فى الحديث عند نزول عيسى عليه السلام قاله السخاوى فى شرح العقيلة لشيخه الشاطبى ونحوه فى الجعبرى (أحسنوا بعدك الخلافة فى الدين * وكل لما تولى ازاء)
أى أجادوا فى تولى الامر وأتقنوا ولم يسيئوا بعدك قال فى القاموس والخالف الذى يقعد بعدك قال الله تعالى مع الخالفين والخليفى بكسر

الخاء واللام المشددة الخلافة قال والخليفة السلطان الاعظم انتهى مجاهدوا الكفار وفتحوا الامصار وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى ظهر دين الله واتضح اتضاح نار ليلا على علم رضى الله تعالى عنهم وكان الامر كذلك فى حياة أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم أيام الحسن رضى الله تعالى عنهم وكل منهم لما تولى بعده صلى الله عليه وسلم من الامر ازاء بكسر الهمزة قيم سائس احسن قيام وأتم سياسة (أغنياء نزاهة فقراء علماء أئمة أمراء) أغنياء خبر مبتدا محذوف جمع غنى أى بالله تعالى مع شرف نفوسهم سواء منهم ذو المال وغيره وفى الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض أى المال وانما الغنى غنى النفس وقال الشاعر

ان الغنى بالنفس ياهذه
ليس الغنى بالمال والدرهم

ونزاهة على حذف مضاف أى ذو نزاهة قال فى القاموس التنزه التباعد والاسم النزهة قال ونزه ككرم وضرب نزاهة ونزاهية والرجل تباعد عن كل مكروه فهو نزيه انتهى أى أعفاء كما قال الله تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وفقراء جمع فقير وليس المراد به الفقر الحسى بل المعنوى فالمكثرون منهم كابن عوف وابن عفان رضى الله تعالى عنهما انما كانت فى أيديهم كالخزان لمال الله تعالى يضعونه فى مواضعه ومستحقه وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين الرخص والغلاء الآتى وعلماء جمع عالم وأئمة هو جمع امام أى عارفون مقتدى بهم لانهم الذين ورثوا العلم عنه صلى الله عليه وسلم وشاهدوا هديه واستعملوه بعده قال فى المنح وهذا بالنسبة لا كثرهم والا فقد جاء ان الحسن البصرى كان يفتى الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى زمنه وفى الحديث المتفق عليه فى حجة الوداع رب مبلغ أوعى من سامع وأمراء جمع أمير أى ملوك على من بعدهم ممن لم تحصل له صحبة أو المراد من ولى منهم فى زمنه صلى الله عليه وسلم و زمن

منه الجبال والجملة حال من فراش وأما قول ابن حجر ان ضمير حشوه للادم باعتبار لفظه وان كان معناه جمعا والجملة صفة لادم فانما يصح لو كان الادم اسم جمع وحيث كان جمعا فلا مطابقة بين الضمير ومرجعه لا لفظا ولا معنى قاله فى جمع الوسائل وفى هذا الحديث اتخاذ الفرش المحشوة للنوم عليها واستعمال الادم وهى الجلود وفيه ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الزهد فى الدنيا والبعد عن شهواتها والرضا بما قل منها وهل الاولى أن يكون لكل واحد من الزوجين فراش وهو الذى ذكره فى الاكمال قائلا لانه أصلح للجسم وأقل لاستدعاء الموافقة وتحريك الشهوة أو الافضل اجتماعهما فى فراش واحد وهو الذى ذكره النووى قائلا لانه الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل مع ملازمته قيام الليل فاذا أراد القيام لوظيفته قام وتركها لا سيما ان علم من حال المرأة الحرص على المباشرة فيجمع بين وظيفته وقضاء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف ونقل الحطاب عن البرزلى ان الزوج لا يجب عليه المبيت مع الزوجة فى فراش واحد غير انه يندب اليه لما يدخل عليها من المسرة الا ان يكون لقصد عدم الوطء لما يدخل عليه من الضرر فى جسمه او تكون هى مائلة الى الكبر فبيته معها مما يحل بدنه اهـ واما حديث مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فراش للرجل وفراش لامرأته وفراش للضيف والرابع للشيطان فالاحتجاج به على التعدد ضعيف لان تعداد الفراش فى هذا الحديث انما هو لانه قد يحتاج كل منهما الى فراش عند المرض ونحوه اهـ ومعنى كون الرابع للشيطان ان ما زاد على الحاجة انما هو للمباهاة فهو من المكروه المذموم وكل مذموم مضاف للشيطان ويحتمل انه على ظاهره وان ما اتخذ لغير حاجة يكون للشيطان عليه مبيت ومقيل قاله فى الاكمال * قال المصنف (حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصرى نا عبد الله بن ميمون نا جعفر) اى الصادق (ابن محمد عن أبيه) محمد الباقر وقد تقدمت ترجمتهما فى باب التختم (قال سئلت عائشة) فى سند هذا الحديث انقطاع لان الامام محمدا الباقر لم يلق عائشة ولا حفصة وانظر جمع الوسائل (ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك قالت من أدم) وفى نسخة ادم بالرفع (حشوه ليف وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك) قال فى جمع الوسائل لعل وجه التخصيص ان بيت عائشة كان أعز البيوت عنده صلى الله عليه وسلم ثم بعدها حفصة لمكان أبويهما مع قطع النظر عن نقية كيلا تهما (قالت مسحا) اى كان مسحا وهو بكسر فسكون مهملة قال ابن حجر هو ثوب خشن من صوف اهـ وقال صاحب المحكم المسح كساء من شعر يلبسها الزهاد والرهبان (نثنيه) من باب ضرب من الثنى يقال ثناه عطفه ورد بعضه على بعض (ثنيتين) بكسر أوله اى طاقتين والتاء للوحدة لا للتأنيث ويؤيده نسخة ثنيين بدون تاء الوحدة والمعنى واحد وفى بعض النسخ ثنين فيكون صفة لمفعول مطلق محذوف والله أعلم (فينام عليه فلما كان ذات ليلة) بالرفع ان جعلت كان تامة وبالنصب على انها ناقصة واسمها ضمير الوقت وهى مقحمة على الاحتمالين (قلت) اى فى نفسى او لبعض خدمى (لو ثنيته اربع ثنيات) وفى رواية باربع ثنيات اى ثنيا ملابسا لاربع ثنيات (كان أوطأ له) اى ألين من وطؤ يوطؤ اذا لان من باب حسن يحسن (فثنيناه باربع ثنيات فلما أصبح قال ما فرشتمونى) أتى بصيغة المذكر للتعظيم او لتغليب بعض الخدم ولعله لما انكر نعومته ولينه ظن انه غير فراشه المعهود أو نزله منزلة غيره (الليلة) اى البارحة (قالت قلنا هو فراشك الا أنا ثنيناه اربع ثنيات قلنا

الخلفاء الراشدين بعده (زهدوا في الدنيا فما عرف الميل اليها منهم ولا الرغباء) أي لم يرغبوا في الدنيا وهي بضم الدال وتكسر فعلى من الدنو أي القرب لسبقها الآخرة وقيل لدنوها من الزوال وهي ما بين السماء والارض وفي القاموس الدنيا نقيض الآخرة وقد تنون جمع دنا يعني اذا نكرت واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما في الحديث وأجاب بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت مجرى مالم يكن وصفا قط كرجعى والمراد تركوا حطام الدنيا وتوابعه من الفخر والخيلاء والجاه قال في المنح ثم الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الزهد فيها وهو أخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك مالا يحتاج اليه منه على قسمين فاكثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاته شيء الا وهو مشغول بشيء من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى يضعونها حيث أمر الله تعالى ويمنعونها حيث منع وهذا لا ينافي زهدهم لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لما ذكر وقوله فما عرف الميل أي العدول والانحراف اليها منهم ولا الرغباء أي الارادة والحرص على تحصيلها وفي القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة ارادة وعنه لم يرده واليه رغبا محركة ورغبى ويضم ورغباء كصحراء ابتهل أو

هو أوطأ لك قال ردوه لحاله الاول) أي من الثنيتين (فانه منعتني وطأته) بفتح فسكون فهمز أي لينه قاله في جمع الوسائل (صلاتي الليلة) أي التهجد قال المناوي يحتمل انه انما فعل ذلك ليقتدي به العابدون اذ غفلة النوم وفلتاته انما هي بسبب نوم القلب وهو صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبه اهـ وتامله وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم قد يسلك به مسالك الضعفاء تشريعا ليعلم من يقع له مثل ذلك كيف يفعل ويفهم من أحاديث الباب ان النوم على الفراش لا ينافي الزهد سواء كان من أدم او غيره كان محشوا أو غير محشو نعم الاولى لمن غلب عليه الكسل ومالت نفسه الى الدعة والترفه ان لا يبالغ في حشو الفراش ولينه لانه سبب ظاهر في كثرة النوم والغفلة والتشاغل عن العبادة والطاعة على ان نومه صلى الله عليه وسلم على الفراش قد يكون مراعاة لحق الزوجة ودفعا للحرج عن الامة والا كان يختار النوم على الثرى زهدا في الدنيا وتواضعا للمولى وتذكرا لمقام البلى وقد اخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه انه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر غير أهبة اي جلود ثلاثة فقلت ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله وكان متكئا فقال أو في شك انت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر لي واخرج الامام احمد وأبو داود من حديث ابن مسعود اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جنبه فقيل له نأتيك بشيء يقيك منه فقال مالي وللدنيا انما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها واخرج أبو الشيخ بلفظ فقلنا يا رسول الله الا تأذننا فنبسط تحتك ألين منه فقال مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فقال تحت شجرة ثم راح وتركها وفي شرح السنة عن انس قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يركب الحمار العري ويجيب دعوة المملوك وينام على الارض ويجلس ويأكل على الارض وقد تقدم في باب العيش وجه ايثاره صلى الله عليه وسلم هذه الحالة على غيرها فراجعه

﴿باب ماجاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

كأنه لما بين اجتهاده صلى الله عليه وسلم في عبادة الله تعالى وهو غاية تواضعه لربه تعالى أراد ان يبين هنا تواضعه صلى الله عليه وسلم مع عباد الله تعالى والتواضع لغة التذلل والخضوع وعرفا خروج الانسان عن مقتضى جاهه وتنزله عن مرتبة أمثاله وعدم نظره الى حقوق مرتبته وعند المحققين ان لا يرى العبد لنفسه قدرا ولا قيمة ولا مزية ويرى الحالة التي هو فيها اعظم من ان يستحقها قال أبو يزيد رضي الله عنه مادام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقالا ولا حالا وقال في الحكم ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع ثم التواضع تارة يكون لرؤية العبد نقص نفسه وتارة يكون عن شهود عظمة ربه وهذا هو التواضع الحقيقي الذي لا يمكن ارتفاعه قال في الحكم التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمة ربه وتجلي صفته لا يخرجك

هو الضراعة والمسألة وذكر الرغباء بعد الميل ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعاؤه لاناس من أصحابه كابن عوف وأنس والمقداد فكثرت أموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير يصرفه في الطاعات والاعانة على قيام أمور الديانات وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر يصرفه في ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح راجع ما تقدم في شرح قوله مستقل دنياك ففيه كفاية

(أرخصوا في الوغى نفوس ملوك * حاربوها أسلابها اغلاء) الوغى الحرب والملوك جمع ملك أي صيروا وهار خيصة بعد أن كانت غالية بان قتلوهم وكانوا تمنعوا في وسط جيوشهم وقصدوا اليهم حتى وصلوا اليهم فكيف بغيرهم وحاربوها أي قاتلوها بجد وصدق نية لنصر دين الله تعالى واسلابها جمع سلب

بفتح اللام وهو ما يسلب من ثياب القتيل وفرسه وسلاحه وغير ذلك مما يكون معه واغلاء بكسر الهمزة مصدر أغلى الشيء اذا صيره غالياً أي ذات غلاء فكيف بالنفوس وفي القاموس غلا غلاء فهو غال وغلي ضد رخص وأغلاه الله تعالى وقول ابن حجر الاغلاء بالكسر اسم مصدر لغلاء السعر بمعنى اسم الفاعل لا يصح (كلهم في أحكامه ذو اجتهاد

وصواب وكلهم أكفاء) الاحكام جمع حكم وهو لغة القضاء وشرعا خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء أو التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك و يطلق أيضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية أخرى كما في قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهو المراد هنا وذو اجتهاد أي صاحب بذل وسع في تحصيل الحكم لتوفر شروط الاجتهاد فيه ولذلك لم يعرف عن أحد منهم انه قلد غيره في مسئلة من المسائل وكان الناس

عن الوصف الاشهود الوصف وذلك لان شهود عظمته تعالى هو الذي يخمد النفس ويذيبها و يبطل أنانيتها و به تنقلع شجرة الرياسة والكبر من القلب فان من شاهد عظيما من الخلق ذا هيئة ومرتبة لم يمكنه الا الخضوع له فكيف بمن تتجلى له عظمة الله تعالى فما تجلى الله لشيء الا خضع له فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ولذلك قال ذو النون المصري رضي الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله سبحانه فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع أن لا ينظر الى نفسه دون الله اهـ وقال في عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وسيان حقها والذهول عن النظر الى قدرها ولما كان له صلى الله عليه وسلم الحظ الاوفر من تجلي نور الشهود كان أعظم الخلق تواضعا وقد رفع الله ذكره وأعلى على كل قدر قدره ولم يخلق جاها أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يزده الشرف الا تواضعا وخفض جناح وطرح نفس

لا يعرف الكبر ولا الترفعا * الا الخضوع النفس والتواضعا

و بالجملة فالتواضع والادب والوقوف عند الحد هو ملاك كل خير وسبب كل علو وشرف من تواضع لله رفعه الله كما في الحديث وحسبك شاهدا على ذلك أن الله تعالى لما خيره صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد أعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض واول شافع (حدثنا احمد بن منيع وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا نا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية البخاري عن ابن عباس انه سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا تطروني) من الاطراء بالمد وهو كما في القاموس حسن الثناء (كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) اي اطراء مثل اطرائهم عيسى ابن مريم اي حيث بالغوا في مدحه بالكذب حتى ادعوا أنه الاله وابن الاله وعميت بصائرهم عن دلائل الحدوث وشواهده قال الله تعالى بيانا لفضيحتهم وغاية جهلهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون فالمنهي عنه هو الاطراء المخصوص قال ابن الجوزي ولا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه لانا لا نعلم أحدا ادعى في نبينا ما ادعته النصارى في عيسى وانما سبب النهي فيما يظهر ما وقع في حديث معاذ بن جبل لما استأذنه في السجود له على قصد التعظيم وارادة التكريم فامتنع ونهاه وقال ابن حجر كاد بعض أن يدعي نحو ذلك في نبينا حين قال له ألا نسجد لك فقال لو كنت آمرا احدا ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها فنهاه عما عساه يجر الى عبادته والمعنى لا تتجاوزوا الحد في مدحي بغير الواقع فيجركم ذلك الى الكفر كما جر النصارى اليه لما تعدوا عن الحد في مدح عيسى عليه السلام بغير الواقع واتخذوا لها الماحر فوا قوله تعالى في الانجيل لعيسى نبي وأولدته فجعلوا الاول بتقديم الباء الموحدة وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله عليهم اهـ ثم استأنف فقال (انما أنا

يستفتون من رأوه منهم فيفتيهم باجتهاده ولا يعترض أحد منهم على أحد الا ان كان هناك نص صريح وخولف فيذكره له فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله و يعارضه بمثله و في هذا رد على من اعتقد أن فيهم ذا هوى أو نفس أو حظ أو بغض حاشاهم من ذلك بل لم يخترهم الله تعالى لصحبة نبيه الا وهم على أكمل الاوصاف وأجلها وقوله وصواب أي وذو صواب وهو ضد الخطأ قال ابن حجر وهذا انما يأتي على القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد وهو ضعيف والاصح ان المصيب واحد وهو

الذى وافق ماعندالله وله أجران وللمخطئ واحد كما فى الحديث ولو قال وثواب لكان أولى وعليـه فعلى كرم الله وجهـه هو المصيب فيما وقع

بينـه و بين معاوية رضى الله تعالى عنهما ومعاوية مخطئ فى خروجه عليه وله أجر واحد ولعلى المصيب أجران و فى حديث للمصيب عشرة

أجور والاكفاء جمع كفء أى مكافؤن فى أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لا لحظ ولا

أناعبد) و فى نسخة عبدالله و فى رواية البخارى عبده و فى الكلام حذف أى انما أناعبد و رسول بدليل قوله (فقولوا عبدالله و رسوله) فيه ايماء الى قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى وأردف النهى بهذا القول اشارة الى أنه ليس له صفة غير العبودية والرسالة اى فلا تقولوا فى حقى شيأ ينافى هاتين الصفتين ولا تعتقدوا فى ثنائى غيرهما مما يستحيل وصف البشر به فالقصر اضافى كآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل اذ له صلى الله عليه وسلم خصوصيات ومزايا لا يشاركه غيره فيها وانما اقتصر صلى الله عليه وسلم على صفتى العبودية والرسالة المشتركتين بينه و بين غيره من الرسل ولم يذكر شيأ من خصوصياته تواضعا منه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال البوصيرى رحمه الله تعالى بعد ذكر بعض خصوصياته صلى الله عليه وسلم

دع ما ادعتـه النصارى فى نبيهـم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاته ماشئت من شرف * وانسب الى قدره ماشئت من عظم

فان فضـل رسـول الله ليس له * حدّ فيعـرب عنـه ناطق بفم

ثم لا يلزم من كونه عبدالله ورسوله مساواة غيره له صلى الله عليه وسلم فى العبودية لله تعالى التى هى شهود الربوبية وعدم الغفلة عنها لانه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق فى هذا الوصف الذى هو عين الكمال الانسانى ولاجله كان الايجاد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولذلك كان صلى الله عليه وسلم أكمل الكمل على الاطلاق وعبوديته أكمل كل كمال ولذلك أثنى الله عليه باسم العبد فى أشرف مقاماته فقال سبحان الذى أسرى بعبده فانه لما رفعه الله تعالى حتى وصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين وأقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلون أثنى الله عليه فى أدبه وكمال عبوديته الذى لا يكيف ولا يدرك ولا يعلمه الا الذى خصه به سبحانه فقال مازاغ البصر وماطغى وألزمه اسم العبودية ولو كان له اسم أشرف منه لسماه به فى تلك الحالات العلية وقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وقال تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية فى مقام انزال الكتاب والتحدى بان يأتوا بمثله وقال تعالى وانه لما قام عبدالله يدعوه فذكره فى مقام الدعوة اليه وأضافه فى ذلك كله الى اسم ذاته فلذلك كان أحب الاسماء اليه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا على بن حجر أنا سويد بن عبد العزيز عن حميد عن أنس بن مالك ان امرأة) اى من الانصار كما فى البخارى و فى رواية وبها صبى لها و فى مسلم كان فى عقلها شىء قال العسقلانى ولم أقف على اسم المرأة اه وقول بعض حواشى الشفاء ان اسمها أم زفر ماشطة خديجة يرده ان أم زفر ليست من الانصار وروايات البخارى صريحة فى انها انصارية بل فى بعض رواياته انه قال والذى نفسى بيده انكم لاحب الناس الى مرتين أوثلاث مرات (جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له ان لى اليك حاجة) كانها تريد اخفاءها عن غيره (فقال اجلسى فى أى طريق المدينة شئت اجلس اليك) أى معك زاد مسلم فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها قال العسقلانى نقلا عن المهلب لم يرد أنس انه خلا بها بحيث غاب عن أبصار الناس ممن كان معه وانما خلا بها بحيث لا يسمع شكواها من حضر معها وروى البخارى ان كانت الامة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتنطلق به فى حاجتها وعنده أيضا

لهوى وانما يتفاوتون فى الزيادة فى ذلك وحينئذ فلا ينافى ذلك قول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أبو بكر أعلمنا ولا سؤال عمر لعلى رضى الله تعالى عنهم فيجيبه فيقول لا قدس الله تعالى أمة لست فيها ياأبا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على أكابر مشيخة المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بقوله اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ماليس عندهم ولا سؤال معاوية لعلى بالارسال اليه فى المشكلات فيجيبه رضى الله تعالى عنهما ولقد قال له أحد بنيه لم تجيب عدوك فقال أما يكفينا انه احتاج الينا وسألنا والجمهور على ان أفضل الناس بعد الانبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم باقى العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد (رضى الله عنهم ورضوا عنه فانى تخطوا اليهم خطاء)

أى رضى الله عز وجل عنهم بتفويض الامور اليه والقيام بدينه و رضوا عنه أى ثوابه وفى المنح رضا الله تعالى عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله دار كرامته و رضا العبد عنه أن لا يختلج فى سره أدنى حزازة من وقوع قضاء من أقضية الله بل يجد لذلك فى قلبه برد اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة العظمى و زيادة الطمأنينة قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه الآية وقوله فأنى تخطو أى كيف يصل اليهم خطاء بالمد لغة قليلة فى الخطا بالقصر وهو ضد الصواب وقد مر انهم كلهم مجتهدون

وان المجتهد اذا اخطأ له اجر وان الله تعالى اختارهم على غيرهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث ان الله تعالى اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله تعالى منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا اى فرضا ولا نفلا وفى رواية فمن حفظنى فيهم حفظه الله تعالى فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله

ان كانت الوليدة من ولائد اهل المدينة لتجىء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت وفى هذا كله أنواع من المبالغة فى التواضع لذكر المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء اى أمة كانت وبقوله حيث شاءت اى من الامكنة وفى التعبير بالاخذ باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة لساعدها على ذلك وفى ذلك صبره على المشقة فى نفسه لمصلحة المسلمين واجابته من سأله حاجة وبروزه للناس وقربه منهم ليصل ذوو الحقوق الى حقوقهم ويسترشد الناس باقواله وأفعاله واحكامه وفى ذلك كله تنبيه منه لحكام أمته ونحوهم على ان يتأسوا به فى ذلك * قال المصنف (حدثنا على بن حجر أنا على بن مسهر عن مسلم الاعور عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض) اى كيفما كان ولو وضيعا أو عبدا وفى البخارى انه عاد غلاما يهوديا كان يخدمه وعرض عليه الاسلام فأسلم قال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله ويقول كيف تجدك أو كيف اصبحت او كيف أمسيت او كيف هو ويقول لا بأس عليك طهور ان شاء الله او كفارة وطهور وقد يضع يده على المكان الذى يألم ثم يقول بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك الله يشفيك اهـ وفى البخارى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى مريضا او أتى به قال اذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وفى الترمذى من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده أسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبعا فان الله تعالى يشفيه قال حسن صحيح وفى البخارى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا وفى طريق أخرى عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى الرقية تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا والصحيح ان هذا ليس بخاص بتراب المدينة ولا بالريق النبوى انظر التوشيح على البخارى قال العسقلانى وجملة آداب العيادة عشرة ومنها ما لا يختص بالعيادة ان لا يقابل الباب عند الاستئذان وان يدق الباب برفق وان لا يبهم نفسه كأن يقول انا وان لا يحضر وقتا يكون غير لائق بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء وان يخفف الجلوس وان يغض البصر وان يقلل السؤال وان يظهر الرقة وان يخلص الدعاء وان يوسع للمريض فى الاجل وان يشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الاجر ويحذره من الجزع لما فيه من الوزر اهـ وقد نظم الشيخ ابن غازى رحمه الله بعضها فى ثلاثة أبيات من عروض المجتث تقريبا للحفظ فقال

اذا لقيت عليلا * فاقعد لديه قليلا
ولا تطول عليه * وقل مقالا جليلا
وقم بفضلك عنه * تكن حكيما نبيلا

والصحيح ان المريض يعاد ولو كان مرضه برمد او ضرس أو دمل وأما خبر ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقى أنه موقوف على يحيى بن كثير والصحيح أيضا ان لا فرق بين طول المرض وقصره خلافا لما فى الاحياء وأما خبر ابن ماجه كان صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاث فهو ضعيف بل قال أبو حاتم انه باطل انظر ابن حجر وقد جاء فى فضل العيادة احاديث منها قوله

تعالى منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه وفى حديث اذا أراد الله تعالى برجل من أمتى خيرا ألقى حب اصحابى فى قلبه وفى حديث اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وفى حديث الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه وفى حديث لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده عز وجل لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وفى حديث من لم يحفظنى فى اصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى (جاء قوم من بعد قوم بحق وعلى المنهج الحنيفى جاؤا) أى جاء قوم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم بعد قوم منهم فى طبقات والسابقون السابقون أولئك المقربون لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح

صلى

وقاتل الآية أو المعنى لم يزالوا فى ازدياد وهو من علامات النبوة كما وقع فى قضية هرقل وقوله وعلى المنهج الحنيفى أى الطريق الواضح المنسوب الى الحنيفة وهو الذى لا انحراف فيه ولا اعوجاج أى جاؤا كلهم على ذلك وان تفاضلوا كما سبق (ما لموسى ولا لعيسى حواريـ * ـون فى فضلهم ولا نقباء) الحواريون جمع حوارى وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب أى يقصرونها وفى القاموس الحوارى الناصر أو ناصر الانبياء والقصار والحميم وضمير فضلهم يرجع

صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ومن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ومنها ما فى مسلم والموطأ من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع قيل وما خرفة الجنة قال جناها ﴿ تنبيه ﴾ مما ورد فى زيارة المتحابين ما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار أخاله فى قرية أخرى قال فارصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخالى فى هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل قال فانى رسول الله اليك بان الله قد أحبك كما احببته فيه (ويشهد الجنائز) اى الصلاة عليها ودفنها قال فى جمع الوسائل وكان اذا شيع جنازة علا كربه وأقل الكلام واكثر حديث نفسه رواه الحاكم فى الكنى عن عمران بن حصين اه ولتشييع الجنائز آداب تطلب فى كتب الفقه وفيه ان المخالطة افضل من العزلة لان المخالطة هى حال الكمل وهذا انما هو لمن قدر على التحفظ من الشر واسبابه وأما ان ضعف حال الانسان عن المحافظة فتكون العزلة فى حقه فى بعض الاحيان افضل انظر ابن حجر (ويركب الحمار) أى مع قدرته على ما فوقه من المراكب وربما اردف عليه ذكر فى مختصر السيرة للمحب الطبرى أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء ومعه ابو هريرة فقال أحملك فقال ما شئت يارسول الله فقال اركب فوثب ليركب فلم يقدر فاستمسك به صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك فقال والذى بعثك بالحق ما رميتك ثالثا قال المناوى وقد تأسى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك أكابر السلف أخرج ابن عساكر ان سالم بن عبد الله بن عمر كان له حمار هرم فنهاه بنوه عن ركوبه فأبى فجدعوا اذنه فأبى ان يدعه وركبه فجدعوا الاخرى فركبه فقطعوا ذنبه فصار يركبه مجدوع الاذنين مقطوع الذنب (ويجيب دعوة العبد) اى لضيافة او حاجة قرب محلها أو بعد وقد تقدم فى باب صفة الادام عن أنس ان خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه له فراجعه هنالك وسيأتى أيضا آخر هذا الباب (وكان يوم بنى قريظة) هم جماعة من يهود المدينة غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم رجوعه من الخندق فلما اشتد عليهم البلاء نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بقتل الرجال وسبي الذرارى والنساء وقسمة الاموال فقتلوا وهم ستمائة أو سبعمائة رجل وقسمت أموالهم ونساؤهم وابناؤهم (على حمار مخطوم) اى ذى خطام بالكسر وهو الزمام (بحبل من ليف عليه) اى الحمار (اكاف) بكسر الهمزة هو بمنزلة السرج للفرس والرحل للبعير (من ليف) وفى نسخة اكاف ليف بالاضافة اى مع ان الله تعالى مكنه من عدوه فى ذلك اليوم ونصره عليهم حتى ظفر بهم وباموالهم وفى النسائى لا يانف ان يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له الحاجة قال العراقى

يمشى مع المسكين والارملة * فى حاجة من غير ما أنفة
يردف خلفه على الحمار * على اكاف عير ذى استكبار
يمشى بلا نعل ولا خف الى * عيادة المريض حوله الملا

* قال المصنف (حدثنا واصل بن عبد الاعلى الكوفى نا محمد بن فضيل عن الاعمش عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة) بكسر الهمزة هى كل دهن يؤتدم به

للصحابة يعنى بشهادة قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وحديث خير الناس وفى لفظ خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وحديث المناجاة ان موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام رأى لهذه الامة فى اللوح أوصافا باهرة فقال يارب اجعلنى منهم والنقباء جمع نقيب وهو عريف القوم وضمينهم ونقب عليهم نقابة بالكسر فعل ذلك أى ما لموسى نقباء ولا لعيسى حواريون فى فضلهم ففيه لف ونشر معكوس اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى عليهما السلام كما تقدم والمراد هم أفضل ممن لم يكن نبيا منهم ﴿ تتمة ﴾ قال الغزالى فى الاحياء اعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه ورسوله عليهم وما جرى بين معاوية وعلى كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الامامة اذ ظن على ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى الى اضطراب أمر الامامة فى بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية ان تاخير امرهم مع عظيم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة وتعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة على رضى الله عنه ذو تحصيل أصلا اه وقد حكى غير واحد اتفاق اهل الحق ان عليا اجتهد وأصاب فله أجران وان معاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد فان قلت ثبت فى الحديث الذى رواه جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال تقتل عمارا الفئة الباغية وقد قتل بصفين مع على والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف صح قوله يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قلت أجيب عن ذلك بانهم كانوا ظانين انهم يدعون الى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم فى اتباع ظنونهم فالمراد بالدعاء الى الجنة الدعاء الى سببها وهو طاعة الامام فلذلك كان عمار يدعوهم الى طاعة على وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك وهم كانوا يدعون الى

خلاف ذلك لانهم ظهر لهم ان الامام الواجب الطاعة هو معاوية الحاصل ان كلا كان يدعو الى الحق بحسب ما أداه اليه اجتهاده لكن الحديث
أخبر بان الذى صادف صوب الصواب على ومن معه (بأبى بكر الذى صح للنا * س به فى حياتك الاقتداء) هو بدل من
باصحابك بدل خاص من عام أراد ان (٣٠٢) يقسم بالعشرة تفصيلا بعد ان أقسم بالصحابة اجمالا وهو رضى الله تعالى عنه اسمه

عبد الله بن عثمان ولقبه عتيق وهو أفضل رجل طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين كما فى الحديث بلفظ ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين افضل من أبى بكر وصحة الاقتداء به حصلت من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعرى والمراد بالاقتداء فى الصلاة بامره صلى الله عليه وسلم وهى أعظم اركان الدين فيجب الاقتداء به فى غيرها وأحاديث الامر له أن يصلى بالناس معلومة صحيحة وفى حديث أنه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أخرج رأسه الشريفة مغضبا لا يأبى الله تعالى والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وصح أنه كشف سجف حجرته يوم الاثنين الذى مات فيه وأبو بكر يؤم بهم فى صلاة الصبح

او يختص بدهن الشحم والالية أوهى الدسم الجامد (السنخة) بفتح السين وكسر النون ثم خاء معجمة أى المتغيرة الريح من طول المكث قال المناوى وعلم صلى الله عليه وسلم اما باخبار الداعى أو للعلم بفقره او مشاهدة غالب مأكوله ونحو ذلك من القرائن الحالية وفيه حل أكل المنتن من اللحم وغيره حيث لا ضرر فيه (فيجيب) تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وجبرا لقلب الفقراء وتعظيما لجميع نعم الله تعالى وقد تقدم قول هند يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيا (ولقد كانت له درع) أى من حديد كما فى البخارى وهى مؤنثة قال فى القاموس وقد تذكر وعليه يخرج ما فى بعض النسخ كان له درع بدون تاء التأنيث وأما درع المرأة فهو مذكر لا غير لانه بمعنى القميص (عند يهودى) هو أبو الشحم من الاوس واسمه كنيته أى كانت مرهونة عنده فى ثلاثين صاعا من شعير على ما رواه البخارى واحمد وابن ماجه والطبرانى وغيرهم وفى عشرين صاعا من طعام أخذه لاهله على ما رواه المصنف فى الجامع والنسائى فى سننه وجمع بينهما بانه أخذ أولا عشرين ثم عشرة ثم رهنه اياها على الجميع قال ابن حجر على ان رواية الثلاثين أصح واشهر فكانت أولى بالاعتبار اه وفى حديث عائشة عند البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودى الى اجل وروى ابن حبان عنها ان الاجل سنة ووقع لابن حبان عن أنس ان قيمة الطعام كانت دينارا (فما وجد ما يفكها حتى مات صلى الله عليه وسلم) فى شرائه صلى الله عليه وسلم ورهنه من يهودى لانه يقبض الرهن ويتقاضى الثمن دون مسلم لانه لا يفعل شيأ من ذلك دليل على كمال شرف نفسه وعلو همته ومزيد حشمته وبراءته من الطمع وشفقته على أصحابه بعدم التضييق عليهم لما علم من ان الانسان اذا شرفت نفسه كتم ما يعرض له من الضيق حتى عن اهله وولده وانبسط لهم كانبساط حال اليسار ولو علم الصحابة بحاجته الى ألوف من الارادب لحملوها اليه وأقسموا عليه فى قبولها ورأوا المنة عليهم فى قبول ذلك كيف وقد أمر يوما بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بنصف ماله وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك وعلى هذا فذكر هذه الجملة لاتمام الحديث كما قال العصام وتبعه المناوى لا لبيان التواضع وقال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر ان عدم مبالاته صلى الله عليه وسلم بان منصبه الشريف يأبى أن يسئل مثل يهودى فى ذلك يدل على غاية تواضعه وعدم نظره لحقوق مرتبته ورفعة شأنه وفيه معاملة الكفار مع خبث مكاسبهم وفساد معاملاتهم فيما بينهم وبيع السلاح ورهنه واجارته من الكافر اذا لم يكن حربيا والشراء لاجل وجواز الرهن فى الحضر وفيه اتخاذ الدروع والعدد للاعداء والتحصن منهم وان ذلك غير قادح فى التوكل لان الله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التقلل من الدنيا والاكتساب وفى ذلك تسلية لفقراء أمته واعلام بحقارة الدنيا عند الله تعالى حيث أعرض عن جبال الذهب ان تسير معه واختار حالته التى عاش عليها صلى الله عليه وسلم ففى الحديث الصحيح ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت والى هذا يشير البوصيرى رحمه الله بقوله

فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم فأشار اليهم بيده ان أتموا صلاتكم ثم دخل و راودته
الحجرة وأرخى الستر وتوفى ضحى قال العلماء فى هذا أوضح دليل على انه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم أجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله تعالى اى أعلمهم بالقرآن صريح فى انه أعلمهم بالقرآن مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه احق بالخلافة منهم علىّ رضى الله تعالى عنه قال هذا أمره النبى صلى الله عليه وسلم ان

و راودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيما شمم

و في قوله ماوجد ما يفكها حتى مات دليل على انه صلى الله عليه وسلم استمر على الحالة التي كان عليها قبل الفتوحات من الاعراض عن الدنيا والاقتصار منها على مالا بد منه فلستوى عنده فقدها و وجودها بل كان لايزيده فقدها الازهدا واعراضا قال البوصيري رحمه الله

وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

و في ذلك فضيلة لآله ولازواجه حيث صبروا على ضيق العيش وقنعوا باليسير وقد تقدم في باب ماجاء في صفة خبزه صلى الله عليه وسلم الكلام على ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت سنة لعياله وتقدم في باب العيش في الحديث الثالث منه و في أول حديث أبي الهيثم و في آخر حديث من الباب المذكور وجه اختياره حالته التي عاش عليها صلى الله عليه وسلم فراجعه هنالك * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا ابوداود الحفرى) بفتح المهملة والفاء نسبة الى موضع بالكوفة (عن سفيان عن الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم) راكبا (على رحل) هو للجمل كالسرج للفرس (رث) اى خلق بال (وعليه) اى الرحل (قطيفة) اى كساء له خمل (لا تساوى اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة) بان يكون لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته لا ليراه الناس أو يسمعوه فيكرمونه باحسان اومدح او يعظم جاهه في قلوبهم والدعاء بهذا من عظيم تواضعه صلى الله عليه وسلم وعده نفسه كواحد من الناس اذلا تتطرق السمعة للمعصومين وأيضا لا تتطرق الا لمن حج على المراكب النفيسة والملابس الفاخرة وفيه اظهار للعبودية وافتقار لكرم الربوبية وفيه تشريع وتعليم للامة وفيه تنبيه على ان المطلوب من العبد ان يتهم نفسه في عباداته وان كان ظاهر حاله يقضي بكمالها وايضا في ذلك اشارة الى طلب الاجتهاد في تصحيح القصد في عبادة الحج لكثرة ما يعرض فيها من الرياء والسمعة والمباهاة والمفاخرة ثم اسناد هذا الحديث ضعيف لاجل الربيع بن صبيح فانه ضعيف و يزيد بن ابان فانه متروك منكر الحديث انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا عفان انا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا معلوم من حال الصحابة رضى الله عنهم ومن ثم اختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحبابهم وقاتلوا معه آباءهم وأبناءهم حتى قتل ابو عبيدة اباه وتعرض أبو بكر لقتل ولده عبد الرحمن يوم بدر وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير وقتل عمر خاله العاص بن هشام وقال عمر أنت احب الى من كل شيء الا نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم حتى من نفسك فسكت ساعة ثم قال حتى من نفسي فقال الآن ياعمر وسئل على بن أبي طالب رضى الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب الينا من أموالنا واولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ و في الشفاء والمواهب ان امرأة من الانصار قتل ابوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة وقضايا الصحابة رضى الله

يصلي بالناس واني لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وما أحسن قول من قال صلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت الله تعالى وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المسلمون رضى الله تعالى عنهم وأخرج مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة في مرض موته ادعى لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف ان يتمنى متمن أو يقول قائل انا أولى و يأبى الله تعالى والمؤمنون الا أبا بكر وفي رواية أكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في أبي بكر وصح ان قوما سألوا انسانا ان يسال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون زكاتهم بعده فسأله فقال الى أبي بكر واخرج الشيخان ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فامرها أن ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئت ولم اجدك فكأنها تعني الموت فقال ان لم تجديني فاتي أبا بكر وأخرجا من عدة طرق انه صلى الله عليه وسلم رأى انه على بئر فنزع منها ماشاء الله تعالى ثم اخذها أبو بكر فنزع منها ذنوبا اوذنوبين ثم اخذها عمر من يد أبي بكر فاستحالت في يده غربا الحديث أي دلوا كبيرا (والمهدى يوم السقيفة لما أرجف الناس انه الدأداء) المهدى بفتح الهاء وتشديد الدال من الهدى الذي هو البيان أي المبين الحق للناس في امر الخلافة أو من هدأ بالهمز اذا سكن اى المسكن لاختلاف الناس في امر الخلافة ولكنه خففه باسقاط همزته ضرورة و يعني بالسقيفة سقيفة بني ساعدة حين اجتمع فيها الانصار الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه عليهم وقوله لما أرجف الناس أي اضطربوا اضطرابا شديدا يعني الصحابة في أمر الخلافة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وضميرانه عائد على أمر الخلافة والدأداء الظلام الذي لاضوء له ولا مخرج منه قال في القاموس الدأداء آخر الشهر أو ليلة خمس وست وسبع وعشرين اوثمان وتسع وعشرين اوثلاث ليال من

آخر الشهر الجمع الدآدي وليلة دأداء وأدأدأة وعدان شديدة الظلمة   روى ان الانصار رضي الله تعالى عنهم تخلفوا في سقيفة بني ساعدة وقالوا للمهاجرين منا أمير ومنكم امير وتخلف سعد والزبير ومن معهما في بيت فاطمة ثم أتى ابو بكر وعمر ومن معهما الانصار فهداهم الله للاجتماع على ابي بكر ثم المهاجرون أجمعون

واصل الحديث في الصحيح وغيره وروى ان عمر احتج على الانصار بامامة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقالوا نعوذ بالله ان نتقدم أبا بكر فرجعوا اليه كانوا فيه رضي الله تعالى عنهم اجمعين ولما بايعوه صعد المنبر غدا فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله تعالى وأثنى على ابي بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعة العامة فخطب أبو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني أطيعوني ما اطعت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه فلم ير عليا فدعى له فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل كل واحد منهما على أحقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديم النبي صلى الله عليه وسلم اياه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعوا على خلافة أبي بكر لم يتخلف عنها أحد منهم ثم تبعهم من بعدهم من أهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم

لا تأخذه

(أنقذ الدين بعد ما كان للدين على كل كربة اشفاء) انقذ بالذال المعجمة أي خلص والدين هو الشرع الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويقال هو وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات من بد التلاشي واشرافه على الزوال وقوله

عنهم في محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه كثيرة ومن ثم كانوا لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له (قال) اي أنس (وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك) لكمال تواضعه وحسن معاشرته لهم فآثروا ارادته على ارادتهم وتعليل كراهيته صلى الله عليه وسلم لقيامهم له بما ذكر هو مقتضى صنيع المصنف حيث ذكر هذا الحديث في باب التواضع وعليه فلا يكون فيه دليل على منع القيام لكن من جعل هذا الحديث من شواهد منع القيام كحديث لا تقوموا كما يقوم الاعاجم بعضهم لبعض لا يسلم توجيه الكراهية بذلك قال في المدخل فان قيل قد يكون نهيه عن القيام تواضعا فالجواب ان ذلك انما يكون فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولو كان كذلك لكان فيه أمر بترك ما أمر الله به من جميع أنواع التوقير له وهذا باب ضيق نعوذ بالله من الغلط اهـ وقد نقل في المدخل جميع ما استدل به الامام النووي القائل بالجواز من الاحاديث وقضايا الائمة وأجاب عنه ونقل التفصيل الذي ذكره ابن رشد في البيان وارتضاه ونص ابن رشد القيام للرجل على اربعة اوجه وجه يكون فيه محظورا لا يحل وهو ان يقوم اكبارا وتعظيما واجلالا لمن يحب ان يقام اليه تكبرا وتجبرا على القائمين اليه ووجه يكون فيه مكروها وهو ان يقوم اكبارا وتعظيما واجلالا لمن لا يحب ان يقام اليه ولا يتكبر على القائمين اليه فهذا يكره للتشبه بفعل الجبابرة وما يخشى ان يدخله من تغيير نفس المقوم اليه ووجه يكون فيه جائزا وهو ان يقوم تجلة واكبارا لمن لا يريد ذلك ولا يشبه حاله حال الجبابرة ويؤمن ان تتغير نفس المقوم اليه لذلك وهذه صفة معدومة الا فيمن كان بالنبوة معصوما لانه اذا تغيرت نفس عمر بالدابة التي ركب عليها فمن سواه بذلك أحرى ووجه يكون فيه حسنا وهو ان يقوم الى القادم عليه من سفر فرحا بقدومه يسلم عليه أو القادم عليه المصاب بمصيبة ليعزيه بمصابه وما أشبه ذلك فعلى هذا يتخرج ما ورد في هذا الباب من الآثار ولا يتعارض شيء منها اهـ ومن القيام المستحب على ما في شراح المختصر القيام لمن نزل به سرور فيهنأ أو القيام للعالم وللصهر وللوالدين وقال المواق في سنن المهتدين قال الشيخ محيي الدين النووي ويستحب القيام لمن كان فيه فضيلة من علم أو صلاح او شرف أو ولاية مصحوبة بصيانة للبر والاكرام اهـ ثم التفصيل المتقدم انما هو اذا لم يترتب على ترك القيام مقاطعة أو اذاية والا وجب كما في شراح المختصر وقد نص في شرح الجوهرة على جواز هذه الامور العادية التي يفعلها الناس على وجه المكارمة والمداراة مع انها لم ترد في النصوص ولا كانت في زمن السلف لتجدد أسبابها في عصرنا دون عصرهم فتعين فعلها لتجدد أسبابها لا لانها شرع مستأنف قال وذلك كالقيام للداخل من الاعيان واحناء الرأس له ان عظم قدره جدا والمخاطبة بنحو جمال الدين ونور الدين وتسطير اسم الانسان بالملوك ونحو ذلك والتعبير عن المكتوب اليه بالمجلس العالي والسامي والجناب ونحو ذلك من الاوصاف العرفية والمكانات العادية ومن ذلك ترتيب الناس في المجالس وأنواع من المخاطبات للملوك والوزراء واولي الرفعة من الولاة والعظماء قال ولقد حضرت يوما عند الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى وكان من أعيان العلماء وأولي الجد في الدين والثبات على الكتاب والسنة غير مكترث بالملوك فضلا عن غيرهم

لا تأخذه فى الله لومة لائم فقدمت اليه فتيا فيها ما يقول أئمة الدين وفقكم الله فى القيام الذى أحدثه اهل زماننا مع انه لم يكن فى السلف هل يجوز أولا يجوز ويحرم فكتب رضى الله تعالى عنه فى الفتيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا وترك القيام فى هذا الوقت يفضى للمقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيدا هذا نص ما كتبه من غير زيادة ولا نقصان فقرأتها بعد كتابتها فوجدتها هكذا وهو معنى قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور اهـ ونقله المواق فى أول سنن المهتدين واعتمده وقال فى آخر الكتاب قد تقدم أول الكتاب ان القيام للداخل يجوز لخوف التباغض اهـ وذكر فى المدخل جواب ابن عبد السلام واستشكله بما أجاب عنه شيخنا المحقق فى شرحه للنصيحة الكافية قائلا اياك أن تستعمل ما ترتكبه العوام من التساهل اذا فتح لهم باب الاباحة فى أمر فيه تفصيل وله شروط ولا تتعد القانون الذى ذكره الائمة وثبت فى مواضع الالتباس اهـ فانظره وفى جمع الوسائل قال القاضى عياض ليس هذا من القيام المنهى عنه انما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمكثون قياما طول جلوسه اهـ ويقال ان عمر بن العزيز فعل ذلك به أول ما ولى حين خرج الى الناس فانكره وقال ان تقوموا نقم وان تقعدوا نقعد وانما يقوم الناس لرب العالمين وفى الحديث من أحب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع) بالتصغير (ابن عمر) صوابه عمير بالتصغير قاله فى جمع الوسائل (ابن عبد الرحمن العجلى) بكسر العين وسكون الجيم (حدثنى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة) بدل من أبى هالة (يكنى) ذلك الرجل (أبا عبد الله عن ابن لابى هالة) تقدم الكلام على ما قيل من ان فى هذا السند انقطاعا فى الباب الاول (عن الحسن بن على قال سألت خالى هند بن أبى هالة وكان وصافا عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا اشتهى ان يصف لى منها شيأ فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فذكر الحديث بطوله) وقد تقدم فى الباب الاول (قال الحسن فكتمتها) أى هذه الحلية أو هذه الرواية (الحسين) أى ابن على رضى الله عنهما (زمانا) يحتمل أن ذلك الكتمان كان اتفاقيا ويحتمل انه كان عن قصد لاختبار اجتهاده وجده فى تحصيل العلم بحلية جده صلى الله عليه وسلم (ثم حدثته فوجدته قد سبقنى اليه) أى الى خاله هند (فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه) أى عليا رضى الله عنه وفى نسخة أبى (عن مدخله ومخرجه) اى عن أحواله اذا دخل بيته واذا خرج منه (وشكله) بفتح أوله كما فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة أى طريقه المسلوكة بين اصحابه فى مجلسه قال فى القاموس الشاكلة والشكل الناحية والطريقة والمذهب اهـ وأما تفسير الشكل هنا بالصفة والصورة فلا يصح لانه ليس فى هذا الحديث ذكر صفة صورته صلى الله عليه وسلم مع قوله (فلم يدع منه شيأ) أى فلم يدع على مما سأله عنه الحسين شيئا وسيأتى فى هذا الحديث فسألته عن مجلسه فقال الخ فدل ذلك على تفسير الشكل بما تقدم ولكن فى كتاب الشفاء فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع شيئا منه الخ فجمع فى هذه الرواية بين مجلسه وشكله فانظر ما المراد بالشكل على هذه الرواية ويحتمل ان المعنى فلم يدع الحسين من السؤال عن

بعد ما هى مصدرية أى بعد الحصول للدين على كل كربة أى هم يأخذ النفس اشفاء اى اشراف وقرب يخشى منه ان لا يجتمع له شمل أبدا والجار والمجرور ان متعلقان باشفاء وفيه وضع الظاهر موضع المضمر ويصح ان تكون كان ناقصة وللدين خبرها قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه لولا أبو بكر ما عبد الله تعالى بعد محمد أبدا يعنى انه ثبت الناس يوم موته اذ طاشت أحلام (٢٠٥) الصحابة بموته صلى الله عليه وسلم فمنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من لم تنقله رجلاه من الارض ولم يكن فيهم يومئذ أثبت منه ومن العباس رضى الله عنهم وخطب خطبته المشهورة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله تعالى فان الله تعالى حى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وبصرهم واختلفوا فى محل دفنه فروى الحديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى فيه فرجعوا اليه واختلفوا فى ارثه فروى الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة فرجعوا اليه وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حقه ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام وانما فضلكم بشىء وقر فى صدره وعنه صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى أبى بكر الصديق يعنى لما حصل له من كشف الغطاء والمعاينة بلا كيف بحيث لا يكون للغير الا

(٣٩ - جسوس) بالموت والفناء عن البشرية والشواغل الصادة عن اللقاء والمعاينة وقالت عائشة رضى الله عنها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبى ما لو نزل على الجبال الراسيات لهاضها وقال أبو رجاء العطاردى دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول أنا فداؤك والله لولا أنت لهلكنا فقلت من المقبل والمقبل قالوا عمر يقبل رأس أبى بكر من أجل قتال اهل الردة (أنفق المال فى رضاك ولا من واعطى جما ولا اكداء) أى انفق جميع ماله فى رضاك يارسول الله

أحواله شيئا الا سأله عنه ومن ذلك ماسيأتى فى باب الخلق من قوله فسألته عن سيرته فى جلسائه الخ (قال الحسين) رواية الحسن عن أخيه الحسين من قبيل رواية الاقران كما هو مقرر فى علم أصول الحديث خلافا لمن قال انه من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر وأيضا فان ما بينهما لم يكمل سنة قاله فى جمع الوسائل (فسألت أبى عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان اذا أوى) اى رجع (الى منزله جزأ دخوله) أى زمان دخوله (ثلاثة أجزاء جزأ لله) أى يستفرغ فيه وسعه لعبادة الله تعالى من طهارة وصلاة وتلاوة وتفكر ونحو ذلك (وجزأ لاهله) أى يعاشرهم فيه ويتألفهم ويؤنسهم بالكلام وغيره وينظر فى مصالحهم وما يحتاجون اليه من أمور دينهم ودنياهم وقد تقدم فى باب السمر شواهد حسن معاشرته صلى الله عليه وسلم لاهله (وجزأ لنفسه) يفعل فيه ما يحتاج اليه من أكل أو نوم او غير ذلك والاجزاء الثلاثة كلها فى الحقيقة لله تعالى وانما أضاف الثانى للاهل والثالث للنفس باعتبار الصورة الظاهرة ومعلوم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتحركون فى شىء الا لله وبالله لان المباحات تصبغ بالنية فتصير قربات (ثم جزأ جزأه) هو جزؤه صلى الله عليه وسلم وفى بعض النسخ جزأه بالاضافة (بينه وبين الناس) اى كلهم عامهم وخاصهم بدليل قوله بعد فى جزء الامة لكن على وجه خاص بينه بقوله (فيرد) أى يصرف صلى الله عليه وسلم وفى نسخة فرد بلفظ الماضى (ذلك) أى الجزء الذى بينه وبين الناس (بالخاصة) أى بسببهم (على العامة) متعلق بيرد أى لان العامة كانت لا تصل اليه فى منزله فى ذلك الوقت ولكنه كان يوصل اليها حظها من ذلك الجزء بالخاصة التى تصل اليه لان الخواص الحاضرين بين يديه يستفيدون منه ثم يبلغون ذلك لسائر الناس فكان صلى الله عليه وسلم يوصل فوائده وعلومه الى العامة بواسطة الخاصة ومن ثم قال (ولا يدخر) بالدال المهملة على ما فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة أصله يذتخر فقلبت التاء دالا مهملة ثم المعجمة مهملة ثم وقع الادغام وجوز بعضهم العكس أى لا يخفى (عنهم) أى العامة فضلا عن الخاصة أو عن الناس الصادق بالجميع (شيأ) اى من الفوائد والعلوم التى تصلح بهم وتسعها عقولهم والا فقد كانت له علوم لا تسعها عقول العامة فكان يخص بها الخاصة وعلوم لا يبثها لاحد من الناس لكونها لا تسعها عقولهم ويدل على ما قلنا من ان العامة كانت لا تصل اليه فى منزله فى ذلك الوقت قوله (وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار) أى تقديم (اهل الفضل) اى وهم اهل العلم والدين وسيأتى افضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة (باذنه) متعلق بايثار أى ايثارهم باذنه لهم فى الدخول عليه (وقسمه) عطف على ايثار وضميره للنبى صلى الله عليه وسلم ومفعوله محذوف اى وكان من سيرته فى ذلك الجزء أيضا قسمه صلى الله عليه وسلم ما عنده من خير الدنيا والآخرة بين أهل الفضل والناس (على قدر فضلهم فى الدين) قال ابن حجر اى دون أحسابهم وأنسابهم اى لان أولئك اكرم وافضل ان اكرمكم عند الله أتقاكم اهـ قلت فى البخارى فى باب واتخذ الله ابراهيم خليلا عن ابى هريرة قيل يارسول الله من أكرم الناس قال أتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فمن معادن العرب تسألونى خيارهم فى الجاهلية خيارهم

كما جاء فى القرآن العظيم قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى الآية قال ابن الجوزى اجمعوا انها نزلت فى أبى بكر ففيه التصريح بانفاقه لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم هو الافضل هو الاكرم كما فى حديث ما صحب النبيين والمرسلين أجمعين ولا صاحب يس أى المذكور فى (٣٠٦) سورة يس اى حبيب النجار رضى الله تعالى عنه افضل من أبى بكر وصح حديث انه ليس أحد من الناس أمن على بنفسه وماله من ابى بكر ولو كنت متخذا خليلا من غير ربى لاتخذت أبا بكر ولكن خلة الاسلام أفضل سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد الا خوخة أبى بكر أى لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج الترمذى حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال ابى بكر والطبرانى ما أحد عندى أعظم يدا من ابى بكر واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته والترمذى رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال ابى بكر وفى حديث والله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا أبا بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الاموال وجادلى بماله وواسانى واتبعنى وأخرج أحمد وآخرون عن جماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال ابى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالى الا لك يارسول الله صلى الله عليك وسلم وفى رواية عن ابن المسيب مرسلا كان صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه واخرج ابن عساكر انه أسلم وله أربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوى وابن عساكر انه كان عند النبى صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره

بخلال فقال يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح قال فإن الله تعالى يقرأ عليه السلام ويقول لك قل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر لا أسخط على ربي أنا عن ربي راض ثلاثا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة وأخبر ان الله تعالى أمر ملائكته عليهم السلام ان يتخللوها كأبي بكر وصح عن عمر رضي الله تعالى عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر مع اني ما سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله فأتى ابو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك فقال أبقيت لهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقلت لا أسبقه لشيء أبدا وورد انه صلى الله عليه وسلم اشترى حائط بني النجار للمسجد بعشرة دنانير وزنها من مال أبي بكر وقوله ولا منّ أي منة عليك فيما أنفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار على الممنون عليه أو ذكرها لمن لا يحب اطلاعه عليها وهو حرام قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وأعطى جما أي كثيرا في وجوه الخير العامة واشترى جماعة أسلموا فكان اهل مكة يعذبونهم وأعتقهم لله تعالى منهم بلال ولا اكداء أي ولم يقطع اعطاءه بل استمر عليه الى وفاته وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وثلاثة أيام وفتح في هذه المدة اليسيرة اليمامة وأطراف العراق وبعض مدن الشام ولما مرض ترك التداوي تسليما لامر الله تعالى فقيل له الا ندعو لك الطبيب ينظر اليك قال نظر الي قيل وما قال لك قال قال لي اني فعال لما أريد يقال ان سبب موته كمد أي حزن مكتوم اصابه من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يذيب جسمه وتوفي رضي الله تعالى عنه وسنه كسن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأبي حفص الذي أظهر الله به الدين فارعوى الرقباء)

في الاسلام اذا فقهوا فأجابهم صلى الله عليه وسلم أولا بما هو جماع الخير كله من الصفات الكسبية وأجابهم ثانيا بما هو غاية الشرف من الصفات الوهبية وهي كونه نبيا ومن سلالة الانبياء وربما أشعر قوله ابن كذا ان الشرف ثابت لأولاد الانبياء لمجرد نبوتهم وان لم يكونوا أنبياء فيجب لهم من التوقير والاحترام ما يناسب أقدارهم وسيأتي ذلك في قضية صفية حيث قال لها عليه الصلاة والسلام الا قلت لهن أبي هرون وعمي موسى قال تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقال جل وعلا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ومما ينخرط في هذا السلك اولاد العلماء والصالحين فيجب مراعاة حقوقهم وان لم يتصفوا بصفات آبائهم وقد قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال المفسرون عن ابن عباس فيكون أولادهم في درجتهم وان لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الاولاد اليهم وقد قال بعض العلماء اذا كان تعالى أوصى باولاد الصالحين فقال وكان أبوهما صالحا فما ظنك باولاد الاولياء اذا كان ذلك في اولاد الاولياء فما ظنك باولاد الشهداء اذا كان ذلك في أولاد الشهداء فما ظنك باولاد الصديقين اذا كان ذلك في أولاد الصديقين فما ظنك باولاد النبيين اذا كان ذلك في اولاد النبيين فما ظنك باولاد المرسلين اذا كان ذلك في اولاد المرسلين فما عسى ان نعبر به في أولاد سيد المرسلين اه واجابهم ثالثا بما فيه الجمع بين المكتسب وغير المكتسب وهو كون الانسان من أهل الفقه في دين الله تعالى وممن كان لسلفه شرف بسبب من الاسباب التي كان يحصل بها الشرف في الجاهلية وقد أشارت اليها خديجة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي لما قال لها صلى الله عليه وسلم لقد خشيت على نفسي فقالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وقد فسر العسقلاني في باب مناقب الخيار بمن كان متصفا بمحاسن الاخلاق كالكرم والعفة والحلم وغيرها متوقيا لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها اه ولا يرجع هذا القسم الى القسم الاول لان المعتبر هنا مطلق التقوى لا كمالها لانهم قالوا ليس عن هذا نسألك أولا وثانيا فدل ذلك على ان ليس مرادهم السؤال عن الاكرام الحقيقي بل الاكرام النسبي وهو الذي يظهر للناس و يطلع غالبهم عليه من صلاة وصيام وحج وجهاد ونحوها وأما كمالها فان اهله يخفونه خوفا من آفات اظهاره فاذا عرف الاول عظمت حرمته على الثاني ولهذا كانت معاملته صلى الله عليه وسلم للناس على حسب دينهم وتقواهم وبقوله في الحديث خياركم الخ نعلم ان من لم يعتبر النسب اصلا فقد فرط وبقوله اذا فقهوا تعلم ان من اعتبر النسب بمفرده فقد افرط والحق التوسط وهو ان يعتبر اذا كان معه تقوى الله تعالى وتفقهه في دينه والا فلا عبرة به والكلام فيمن كان لسلفه شرف في الجاهلية فقط فلا يحصل لهم الشرف في الاسلام الا بهذا الشرط كما هو صريح الحديث دون أولاد الانبياء والعلماء والصالحين فلا يشترط فيهم ذلك والشرف ثابت لهم في الجملة لان العقوق لا ينفي النسب وان كان بين البار والعاق كما بين السماء والارض حتى قال الشيخ زروق في قواعده المعتبر هو النسب الديني فان انضاف اليه الطيني كان مؤكدا فلا يلحق رتبة صاحبه بحال وقال بعضهم

عليك بتقوى الله في كل حالة * ولا تترك التقوى اتكالا على النسب

هو معطوف على ابى بكر وهو امير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذى اظهر الله تعالى به الدين بعد ان كان المسلمون يستخفون بصلاتهم واسلامهم أخرج أبو نعيم فى الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه بعد ان أسلم قال يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاخفاء فخرجنا فى صفين أنا فى احدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسمانى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق وفرق الله تعالى بى بين الحق والباطل وفى رواية انه لما أظهر اسلامه مازالوا يضربونه ويضربهم حتى أعز الله تعالى الاسلام وصح انه لما أسلم نزل جبريل فقال يامحمد قد استبشر اهل السموات باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا ونزل ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال مازلنا أعزة منذ أسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم نقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وقوله فارعوى الرقباء اى انزجر الاعداء من الكفار ونزعوا عن جهلهم وما كانوا عليه من الفساد وايذاء النبى والمؤمنين كرها والرقباء جمع رقيب

(والذى تقرب الاباعد فى الله اليه وبعد القرباء)

فى والذى نعت بالواو أو خبر مبتدا محذوف أى وهو الذى تقرب الاباعد جمع أبعد بمعنى بعيد عنه فى النسب فى الله أى فى رضا الله تعالى عليه ونبعد القرباء جمع قريب فى النسب فى الله اليه وفى البيت العكس نحو لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والاكتفاء وهو حذف شىء دل عليه ماقبله كما قررناه ورد العجز على الصدر والارصاد وهو أن يتقدم على الروى مايشعر به نحو وما ظلمناهم الآية وكان رضى الله تعالى عنه أصلب الناس

فقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الكفر الشريف أبالهب

﴿ وقال آخر ﴾

انا وان كرمت أوائلنا * لسنا على الاحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

وتقدم فى باب الكلام قول القائل

وما الحسب المو روث لادر دره * بمحتسب الا بآخر مكتسب

اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس للحطب

وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقد تقدم فى آخر باب اللباس ان مذهب اهل السنة ان عصاة اهل البيت فى المشيئة وان محل احاديث التبشير على غلبة الرجاء فى حق من علم الله أنه منهم لا الجزم بعدم مؤاخذتهم وتقدم ما قاله اهل العلم فى تفسير آية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ثم اعلم ان الشرف بالعلم والتقوى او بالانتساب للانبياء اولاهل العلم والتقوى او بالانتساب لمن كان له شرف فى الجاهلية مع التفقه فى دين الله تعالى لا يختص بالعرب بل الانواع الثلاثة ثابتة لغيرهم من اهل الكتاب وان كانت العرب أشرف لان النبى صلى الله عليه وسلم منهم وهو أفضل الانبياء والمرسلين أعرق فى الشرف من العجم وان كان جل الانبياء والمرسلين من العجم وأفضلية العرب على العجم انما هى فى الجملة وظاهر الحال وأما فى الحقيقة وباطن الامر وما عند الله تعالى فلا افضلية انما هى بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فما دل للنوع الاول قوله تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب الى قوله وأولئك من الصالحين ومما يدل للثانى قول الصحابى فى شأن صفية بنت حيى هى سيدة قومها لا تصلح الا لك وفى رواية مسلم صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقف على قوله لا تصلح الا لك وتعليله بما قبله الدال على ان علو شرفها صيرها بحيث لا تصلح الا له وفى الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم دخل على صفية وهى تبكى فقال لها ما يبكيك فقالت بلغنى ان عائشة وحفصة تنالان منى وتقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فقال ألا قلت لهن كيف تكن خيرا منى وأبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم اهـ بلفظه وأما الثالث فمعلوم ان الغرائز السارية من الآباء الى الابناء من حلم وكرم وحياء وعفة وغيرها قدر مشترك بين جميع الفرق لا يختص به فريق عن فريق لانه من ماصدقات الفضل والرحمة اللذين لا حجر فيهما قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال يختص برحمته من يشاء وقد نبه صلى الله عليه وسلم على عمومه بقوله كما فى الصحيحين تجدون الناس معادن خيارهم الخ فعبر بالناس الشامل للعرب وغيرهم فكل من كان له فقه فى دين الله تعالى ولآبائه شرف فى الجاهلية كان نسبه معتبرا من أى جنس كان وقد جلب شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى أفاض الله علينا من بركاته فى تأليف له فى هذه المسئلة كثيرا من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ونصوص من يقتدى بهم من الائمة وتعرض لبيان أوهام خالطت أفكار قوم خاضوا

في دين الله تعالى لا يحابي قريبا ولا صديقا ولا يعرف الا امتثال أمر الله تعالى طاعة الله تعالى مقربة منه ومعصيته مبعدة منه وسواء في ذلك عنده الاقارب والاجانب (عمر بن الخطاب من قوله الفصل ومن حكمه السوي السواء) عمر بدل من أبي حفص أو خبر مبتدا محذوف ومن موصولة والفصل الحق والسوي المستوي الذي لا اعوجاج فيه والسواء العدل تأكيد (٣٠٩) وفي صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يتكلمون من غير ان يكونوا أنبياء فان يكن من أمتي منهم أحد فعمر وروى البيهقي عن ابن عمر قال وجه عمر جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية وجهزه الى بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال وكاد المسلمون ينهزمون فصعد عمر المنبر وجعل ينادي بأعلى صوته يا سارية الجبل ثلاثا وأسمع الله عز وجل سارية وجيوشه اجمعين صوته وقالوا هذا صوت امير المؤمنين فاسندوا ظهورهم الى الجبل فهزم الله العدو وفتح على المسلمين

(فر منه الشيطان اذ كان فاروقا فللنار من سناه انبراء)

فر هرب والشيطان ابليس أو الجنس اذ كان فاروقا اي مفرقا بين الحق والباطل فللنار التي هي اصل الشيطان من سناه بالقصر أي ضوئه الذي فرق به بين الحق والباطل انبراء اي انمحاء ولا عجب ان النار تنطفىء بالنور فقد جاء ان النار يوم القيامة تقول للمؤمن على الصراط جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وفي الصحيح ايه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده عز وجل ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وورد ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وورد ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال عمر الا أنزل القرآن على نحو ما قال وورد اني لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وورد أتاني جبريل فقال اقرأ عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وغضبه عز وورد الحق بعدي مع عمر حيث كان وورد عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث

في مبادىء العلم ولم يتقنوها وظنوا بمجرد ذلك انهم على شيء فجعلوها شبها يتمشدقون بها فضلوا وأضلوا وتحكموا في دين الله وبدلوا وغيروا شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفضى بهم الامر الى الازدراء بكثير من الائمة الاعلام وبعض الجم الغفير ممن دخل من غير العرب في ملة الاسلام فنعوذ بالله من حسد يسد باب الانصاف ويصد عن جميل الاوصاف (فمنهم) أي فبعض أهل الفضل أو الناس (ذو الحاجة) أي الواحدة (ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) والحاجة صادقة بالدنيوية والاخروية (فيتشاغل بهم) أي يجعل نفسه مشغولة بذي الحاجة ومن بعده أو يشتغل بهم ويشتغلون به والاحتمال الاول أظهر لقوله بهم وان كان المتبادر هو الثاني للتفاعل قاله في جمع الوسائل (ويشغلهم) بضم أوله من الاشغال قال في القاموس أشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة اه وبفتح الياء والغين من الشغل أي يجعلهم مشغولين (فيما) وفي نسخة بما بالباء وما موصولة (يصلحهم) وفي نسخة أصلحهم (والامة) بالنصب عطف على الضمير المنصوب في يصلحهم أي ولا يدعهم يشتغلون بما لا يعنيهم (من) تعليلية لا بيانية كما قيل (مسئلتهم) قال ابن حجر أي سؤالهم اياه (عنه) أي عما يصلحهم وفي نسخة عنهم أي عن أحوالهم اه فمره على انه مضاف للفاعل ويحتمل انه مضاف للمفعول أي سؤاله صلى الله عليه وسلم اياهم عنه ووقع في كتاب الوفاء لابن الجوزي فيشغلهم فيما أصلحهم من مسئلته عنهم اه وهو أيضا محتمل للوجهين والله اعلم (واخبارهم) مضاف للمفعول وفاعله النبي صلى الله عليه وسلم (بالذي ينبغي لهم) أي من الاحكام اللائقة بهم وبأحوالهم وزمانهم ومكانهم والمعارف التي تسعها عقولهم ومن ثم اختلفت وصاياه لاصحابه لاختلاف أحوالهم فقال لبلال أنفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال لآخر امسك عليك بعض مالك فانك أن تدع ورثتك أغنياء خير لك من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وقال له رجل أوصني فقال استحي من الله كما تستحي رجلا صالحا من قومك وقال له آخر أوصني فقال لا تغضب ويحتمل انه مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف اي اخبارهم النبي صلى الله عليه وسلم بالذي ينبغي لهم والحاصل ان المعنى انهم كانوا يسألونه عما يصلح الامة فكان يخبرهم بالذي ينبغي لهم أو المعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يسألهم عن ذلك وكانوا يخبرونه بالذي ينبغي لهم والاحتمال الاول هو المناسب لقوله (ويقول) اي بعد أن يخبرهم بالذي ينبغي لهم (ليبلغ الشاهد) اي الحاضر (منكم) عندي الآن (الغائب) من بقية الامة ويناسب الثاني قوله (وأبلغوني) اي ويقول لهم أيضا أوصلوا الي (حاجة من لا يستطيع ابلاغها) اي لعذر كمرض أو بعد أو غيرهما ككون صاحب الحاجة من النساء أو العبيد أو الاماء لا لحاجب اذ لم يكن له حاجب صلى الله عليه وسلم كما في البخاري واتخاذ البواب في بعض الاحيان انما كان لاشتغاله بأمرهم ابن حجر وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وشفقته على أمته واعتنائه بأمورهم وهدايتهم واصلاحهم ما استطاع ومن ثم حثهم على ابلاغه ذلك بقوله (فانه) اي الشأن (من ابلغ سلطانا) المراد به هنا من كان قادرا على انفاذ ما يبلغه بفتح اللام وان لم تكن له سلطنة (حاجة من لم يستطع ابلاغها) دينية كانت أو دنيوية (ثبت الله قدميه يوم القيامة) اي على الصراط لانه لما استعمل قدميه فيما يحصل به

كان وصح حديث ما طلعت شمس على خير من عمر وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا
وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم ثم شربت لبنا حتى أنظر الى الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما أولته يا رسول
الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره (٣١٠) قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق على
ألسنتهم كما تقدم وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه عشرة أعوام وستة أشهر وخمس ليال وسنه كسن ابي بكر طعنه أبو لؤلؤة العلج واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة وكان مجوسيا وقيل نصرانيا ولما طعنه وهو في صلاة الصبح قال الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الاسلام وذلك يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الاحد هلال المحرم
(وابن عفان ذي الايادي التي طال الى المصطفى بها الاسداء) ابن عفان بالكسر عطف على أبي بكر أي واقسم عليك بابي بكر وعمر وعثمان بن عفان ذي الايادي جمع يد بمعنى النعمة اي صاحب النعم التي طال اي امتد الى المصطفى اي المختار على الخلق بها متعلق بما بعده الاسداء اي الاعطاء
(حفر البئر جهز الجيش أهدى الـ
هدي لما ان صده الاعداء) اي حفر بئر رومة وكانت ليهودي وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء المعجمة
يستعذب غيرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم وحفرها فهي موجودة
الى الآن فثوابها مستمر الى قيام الساعة وتعبير الناظم بحفر تبع فيه بعض الرواة ولم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعضهم وانما
المعروف انه اشتراها اذ لا مانع من انه اشتراها وزاد في تعميقها لتكثير مائها ويعني بالجيش جيش العسرة وهو من جيش غزوة تبوك أي

لصاحب الحاجة الا من ونبات القلب جوزي بثباتهما على الصراط يوم تزل فيه الاقدام جزاء وفاقا وفي البخاري من حديث أبي موسى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه السائل أو طلبت منه حاجة قال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ماشاء ويأتي عن علي ويقول ادار أيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه (لا يذكر) اي لا يحكى (عنده الا ذلك) اي المحتاج اليه دنيا وأخرى دون مالا ينفع فيهما كالامور المباحة التي لا فائدة فيها فانها كانت لا تذكر عنده عالبا لانه واياهم في شغل شاغل عن ذلك قاله ابن حجر فقوله (ولا يقبل من) كلام (احد) شيأ (غيره) كالتأكيد لما قبله (يدخلون) عليه صلى الله عليه وسلم (روادا) جمع رائد وهو في الاصل من يتقدم القوم لينظر لهم الكلأ ومساقط الغيث والمراد انهم يدخلون محتاجين اليه وطالبين لما عنده من العلوم والآداب والحكم لشدة رغبتهم في دينهم وغاية حرصهم على ما يصلح آخرتهم (ولا يفترقون الا عن) بمعنى بعد (دواق) هو في الاصل الطعام والمراد به هنا العلم فانه للارواح بمنزلة الطعام للاجساد أي لا يقومون من عنده الا وقد استفادوا اعلما جزيلا وخيرا كثيرا فالتنوين للتعظيم ويلائم تفسيرهم الذواق هنا بالعلم قوله (ويخرجون) اي من عنده (أدلة) جمع دليل بالدال المهملة اي هداة للناس ولذلك قال (يعني على الخير) بمعنى انهم يخرجون من عنده بما قد علموه من العلم والحكمة فيدلون عليه الناس وفي هذا تنبيه على خصلة من خصال الصحابة رضي الله عنهم وهي قيامهم بوظيفة تعلم العلم وتعليمه وحسبك ان كل ما تراه من علم نافع وفرض وسنة وفضيلة ونافلة فهم الذين حملوا المؤنة في حفظه وتبليغه على أتم وجه وأكمله فعلوم جميع العلماء كلها في ميزان حسناتهم كما ان ما تراه من بلاد الاسلام وقراهم وأمصارهم شرقا وغربا وجوفا وقبلة انما فتح على أيديهم بقهر سيوفهم وعظيم ايمانهم وبذل اموالهم ومعرفتهم الكاملة التي حصلت لهم من النور المحمدي وكذلك كل ما حصل للمسلمين من مجابي الاموال من القناطير المقنطرة انما ذلك بسببهم وعلى أيديهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ببركة صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشدة محبتهم له حصلت لهم هذه المزايا العظيمة فاظهر الله تعالى على ايديهم في زمن قليل وعدد يسير ما ذكرنا من الفتوحات واظهار الدين واخماد الكفر وضبط الدين المحمدي واظهار شرائعه واحكامه فجزاهم الله عن هذه الامة خيرا وقد أشار بعضهم الى هذه الخصال الثلاثة في قوله

الناس هم ثلاثة * فواحد ذو درقه ... وذو علوم دارس * كتبه وورقه
ومنفق في واجب * ذهبه وورقه ... وما سواهم همج * لا ودك لا مرقه

وقد قال صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ومن معنى مجالسته صلى الله عليه وسلم سماع حديثه ومجالسة اهل العلم والخير فان العلماء ورثة الانبياء وخلفاء الرسل فلمجالسهم قسط ونصيب من علومهم وانوارهم فكم من واحد كان في وادي القطيعة فصار في حضرة الوصال بسماع آية أو حديث أو حكاية أو شعر حتى قال ابن شافع عليك بحضور مجالس التذكير والوعظ والخير ولو كانت الخمر في بيتك ولم تقدر على ازالتها ولا تهمل ما الفائدة في حضور مجالس الحكمة ولا أقدر على ترك المعصية بل على الرامي أن يرمي ان لم يأخذ اليوم يأخذ غدا ولعل أن يلبس لباس التقوى وانت بالمجلس وأقل ما تستفيد معرفتك باساءة نفسك اي ومن عرف نفسه لم يفته خير وقوله يعني على الخير يرد قول من قال ان أدلة بالدال

أعطاهم جهازهم وهو مايحتاجون اليه أخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان على يارسول الله مائتا بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض صلى الله عليه وسلم فقال عثمان يارسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ماعلى عثمان مافعل بعد هذه وفى رواية حمل عثمان جيش العسرة على الف

المعجمة بمعنى متواضعين متعظين اى لان العلم النافع هو الذى يزداد به صاحبه تواضعا واستصغارا لا عتوا واستكبارا وفد روى الديلمى فى مسند الفردوس عن على كرم الله وجهه مرفوعا من ازداد علما ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا الا ان هذا المعنى وان كان صحيحا فى نفسه لكنه لا يناسب قوله يعنى على الخير (قال) أى الحسين (فسألته) اى أبى (عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال) اى على (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن) بضم الزاى وكسرها أى يحفظ (لسانه الا فيما يعنيه) بفتح الياء اى يرى فيه فائدة ومصلحة وقد تقدم قول هند طويل السكت لا يتكلم فى غير حاجة ويأتى عن على أيضا ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه (ويؤلفهم) عطف على يخزن أى يجمعهم عليه بحسن خلقه ومواساته وربما مازحهم صلى الله عليه وسلم أو يؤلفهم فيما بينهم ويجعلهم كنفس واحدة بحيث لا يبقى بينهم تباغض قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال سبحانه واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا (ولا ينفرهم) اى لا يفعل بهم ما يكون سببا لنفرتهم عنه لما عنده من مزيد الصفح والعفو والرفق والرقة والشفقة والحلم والتواضع قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر وقد تقدم قول هند لا تغضبه الدنيا وما كان لها لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وسيأتى عن على قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء وعن أنس لا يكاد يواجه أحدا بشىء يكرهه وعن عائشة لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعن على ترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته وقد ورد بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا أو المعنى لا يفعل بهم ما يكون سببا فى نفرة بعضهم من بعض لامره لهم بمكارم الاخلاق (ويكرم كريم كل قوم) أى بما يناسبه من التعظيم والتكريم وقد جاء فى حديث كاد أن يكون متواترا اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه قال ابن حجر وهو أفضلهم دينا ونسبا وحسبا (ويوليه عليهم) اى يجعل كريمهم واليا عليهم ترغيبا له فى الاسلام ومراعاة للاهلية فى الولايات وترهيبا من ولاية الاسافل وهذا من حسن نظره وعظيم تدبيره فان القوم أطوع لكبيرهم مع ما فيه من الكرم الموجب للرفق بهم وحسن معاملتهم (ويحذر الناس) على رواية فتح الذال وهى رواية الاكثر معناه يحترز من مكرهم ويتحفظ من أذاهم لكمال عقله وحسن تدبيره فلم يكن متغفلا بل آخذا بالحزم واياه اقوله (ويحترس منهم) فمعناه أنه يتحفظ من كثرة مخالطتهم المؤدية الى سقوط هيبته وجلالته من قلوبهم ولكن لا يفرط فى ذلك ومن ثم قال (من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه) فالفعلان متغايران والبشر طلاقة الوجه وبشاشة البشرة وعلى رواية تشديد الذال من التحذير فيحتمل أن يكون المعنى يحذر الناس ويخوفهم من عذاب الله ويحثهم على طاعته أو يحذر الناس بخوف بعضهم من بعض ويأمرهم بالحزم (ويتفقد أصحابه) اى يسأل عمن غاب منهم فان كان مريضا عاده وان كان مسافرا دعاله وان كان ميتا استغفر له أخرج الطبرانى وغيره عن سهل بن حنيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه ويسأل عنهم فمن كان مريضا عاده ومن كان غائبا دعاله ومن مات استرجع فيه وأتبعه بالدعاء ومن كان يتخوف أن يكون وجد فى نفسه شيئا قال لعل فلانا وجد علينا فى شىء أو رأى منا تقصيرا انطلقوا بنا

بعير وسبعين فرسا وصح انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره وجعل يقلبها بيده المباركة ويقول ماضر عثمان مافعل بعد اليوم وفى رواية انه بعث بعشرة آلاف دينار فصبت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك ياعثمان ماأسررت وما أعلنت وماهو كائن الى يوم القيامة مايبالى عثمان ماعمل بعدها وصح انه لما حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله تعالى ولا انشد الا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فصدقوه بما قال وعن أبى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد أقواما من الصحابة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يشترى هذا المربد ويزيده فى مسجدنا وله الجنة وأجره فى الدنيا ما بقى درجات له فاشتريته بعشرين ألفا وزدته فى المسجد فشهدوا له وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم زوجها بنتيه سيدتنا رقية ثم سيدتنا أم كلثوم ولما ماتت قال له لو كان عندى ثالثة لزوجتكها وبذلك سمى ذا النورين ولا يعلم رجل أرخى سترا على بنتى نبى سواه رضى الله تعالى عنه وقيل سمى ذا النورين لانه اذا دخل الجنة برقت له برقتين وقيل انه كان يختم القرآن فى الوتر فالقرآن نور وقيام الليل نور قال عبد الله بن عمر وفيه نزل قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية وطالما ختم القرآن فى ركعة قوله

أهدى الهدى أى أرسله الى مكة عام الحديبية سنة ست حين توجه النبي يريد العمرة لما ان صده الاعداء أى منعه كفار قريش من دخول مكة وكأن وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف غيره لعزة قومه دون غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين نحروا هديهم بالحديبية وانه وقت نحر النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة اذ أرسله النبي الى قريش ولما رجع منها

وجد المسلمين قد نحروا لما يئسوا من ارسال هديهم الى مكة فبعث هو هديه اليها والله تعالى أعلم بمراده و فى أهدى الهدى كالسوى والسواء و ببعد والابعاد و يقرب والقرباء و أدب والادباء جناس الاشتقاق أوشبهه

(وأبى ان يطوف بالبيت اذلم يدن منه الى النبي فناء فجزته عنها ببيعة رضوا ن يد من نبيه بيضاء)

أى امتنع أن يطوف بالبيت لما أرسله النبي ان يبلغ كتاب الصلح الذى عقده مع سهيل بن عمرو العامرى وامسك سهيلا عنده فقال له اهله ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فابى اذلم يدن منه أى البيت الى النبي فناء بالكسر هو ما امتد من جوانبه واحتبسه أهله فرحابه و بلغ النبي صلى الله عليه وسلم انه قتل فامر بالبيعة بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايعه الصحابة على الموت وعلى ان لا يفروا ولما بايعه الناس وضع يمينه المباركة على شماله الشريفة وقال

اليه فينطلق حتى يأتيه فى منزله (و يسأل الناس) يحتمل كما قال ابن حجر أن يراد بهم العموم و يحتمل أن يراد بهم الخصوص اى يسأل خواص أصحابه وأفاضلهم (عما فى الناس) اى من المحاسن والمساوى ليعامل كلا بمقتضى حاله وما يليق بامثاله ومن ثم قال (و يحسن الحسن) الواقع من غيره اى يظهر حسنه بمدحه أو مدح فاعله (و يقويه) اى يؤيده بدليل نقلى أوعقلى و روى و يصوبه اى يقول فيه هو حسن صواب ترغيبا فيه (و يقبح القبيح) الواقع من غيره اى يظهر قبحه بذمه أوذم فاعله وان بلغ من الجاه ما بلغ قاله ابن حجر (و يوهيه) اى يسقطه عن النظر والاعتبار و فى نسخة يوهنه من الوهن بان يقول فيه هو قبيح ساقط تنفيرا عنه وتحذيرا منه قال ابن حجر سؤاله صلى الله عليه وسلم الناس عما فى الناس ليس من الغيبة المنهى عنها لما يترتب عليه من المصالح العامة وفيه ارشاد الى الحكام وغيرهم ممن يكثر اتباعه من الفقهاء والصالحين انه ينبغى لهم أن يتعرفوا احوال الناس ليعاملوا كلا بما يستحقه ولا يغفلون عن ذلك لئلا يترتب عليه ما هو معروف من الضرر العظيم كما هو مشاهد اه و فى تكميل التقييد عن ابن عرفة ما نصه كنت أفهم من بعض من لقيت ممن يقتدى به انه ينبغى لمن هو بحيثية ولاية القضاء أو الشورى فيما يعرض من الولايات الشرعية أن يسمع ما يذكر فى بعض أبناء الزمان ممن يعتبر قوله وحده أو مع غيره بنية أن يبنى عليه احكام التعديل والتجريح لا بنية التفكه وليس ذلك من سماع الغيبة ومنع ذلك يوجب تعطيل الاحكام أو توليه من لا تصح توليته ولولا هذا ما صح ثبوت تجريح فى راو ولا شاهد ولا غيره اه (معتدل الامر) أى هو معتدل الامر اى الحال والشان على ما قيل من أن الرواية بالرفع وظاهر السياق أنه بالنصب عطفا على خبر كان بحذف حرف العطف اى وكان معتدل الامر وكأن وجه العدول الى الرفع ومخالفة الاسلوب الاشارة الى المغايرة لان كونه معتدل الامر وما بعده أمور لازمة له لا ينفك عنها أبدا بخلاف تلك الاخبار المتعاطفة ككونه يخزن لسانه وما عطف عليه فانها تطرأ تارة دون أخرى قاله فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر وقوله (غير مختلف) اى لا افراط فيه ولا تفريط وهو كالتأكيد لما قبله اذ ما لهما واحد والمعنى كما قال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر ان جميع افعاله واقواله صلى الله عليه وسلم على غاية من الاعتدال وهى مع ذلك محفوظة عن أن يصدر منه فيها أمور متخالفة المحامل متناقضة الاواخر والاوائل فان ذلك انما ينشأ عن خفة العقل وسوء الاخلاق والشمائل واما من كملت فيه المحاسن فجميع اموره منتظمة واحواله ملتئمة (لا يغفل) عن تذكيرهم وارشادهم ونصحهم وتعليمهم (مخافة أن يغفلوا) عن استفادة على اقواله وكريم احواله (أو يملوا) الى الدعة والرفاهية وفى نسخة لا يغفل بالفاء والعين المهملة مخافة أن يفعلوا و يملوا ولعل المراد انه كان يترك بعض العبادات مخافة أن تكتب عليهم فيملوا فلا يأتون بها على الوجه المطلوب أو يتركونها بالكلية وهذا من عظيم شفقته صلى الله عليه وسلم (لكل حال) من أحواله واحوال غيره (عنده عتاد) بفتح العين اى تأهب واستعداد أوشىء حاضر معد لكل ما يحدث من الامور المهمة لما عنده من العلم يعنى انه لا ينزل به أمر الا وجد منه المخرج لما عنده من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل ولكل متق حظ من ذلك قال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا (لا يقصر) من التقصير أو لا يقصر من القصور وهو العجز (عن الحق) أى لا يعطى فيه رخصة ولا تهاونا حتى يستوفيه لصاحبه أو لا يعجز عنه حتى لا يتوصل اليه صاحبه (ولا يجاوزه) اى لا يأخذ أكثر منه

هذه عن عثمان و فى البخارى فقال صلى الله عليه وسلم باليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى لكمال

و فى رواية الترمذى ان عثمان فى حاجة الله تعالى و فى حاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم ولما سمع المشركون هذه البيعة العظيمة خافوا وارسلوا عثمان وجماعة من المسلمين والى بيعة النبي عنه أشار الناظم بقوله فجزته أى أثابته عنها أى عن فعلته وهى ذهابه الى أهل مكة بكتاب الصلح وامتناعه من الطواف قبل ان يطوف النبي صلى

الله عليه وسلم وقوله ببيعة رضوان اى فهايد من يميه بيضاء اى حسا ومعنى أى غير سوداء وكريمة كرماعاما (أدب عنده تضاعفت الاعـ
مال بالترك حبذا الآداب) اى ابايته من الطواف قبل ان يطوف النبي صلى الله عليه وسلم هو أدب عظيم عنده اى عند ذلك الادب
تضاعفت الاعمال اى كثرت لعثمان بالترك اى حبس نفسه عن الطواف قبل النبي (٣١٣) فكان الترك أعظم أجرا من الفعل

لكمال عدله وأمانته صلى الله عليه وسلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لما عرفوا من أمانته وعدله وعن الربيع بن خيثم كان يتحاكم الى النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وعن الحسن ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ أحدا بقذف أحد ولا يصدق أحدا على احد وقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل ان لم أعدل (الذين يلونه من الناس) أى يقربون منه في مجلسه (خيارهم) وهم أهل التقوى ان أكرمكم عند الله اتقاكم لانهم الذين يؤتمنون ويوثق بهم علما وفهما وتبليغا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليلينى منكم اى في الصلاة أولوا الاحلام والنهى وكذا ينبغى ان تكون مجالس العلماء ثم فسر الخيار بقوله (أفضلهم عنده) صلى الله عليه وسلم (أعمهم نصيحة) للمسلمين اى اكثرهم نصحا اى دلالة على الخير وأعظمهم ارشادا اليه وترغيبا فيه وانما كان أكثرهم نصيحة افضل من غيره لان النصيحة من ثمرات قوة ايمان الناصح ومثمرة لقوة ايمان المنصوح ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قال النووى هو كقوله الحج عرفة اى معظمه (وأعظمهم عنده منزلة) اى مرتبة (أحسنهم مواساة) اى اصلاحا لاحوال الناس بالمال والنفس (ومؤازرة) اى معاونة في مهمات الامور فان الوزير هو الذى يوازر الامير أى يعينه ويحمل عنه وزره وثقله بمساعدته له فيما يثقل عليه قال ابن حجر وتبعه غيره وانما قسم مدخله دون مخرجه مع انه كذلك قسم لله وهو وقت الصلاة والتعليم وقسم لنفسه وهو ما تدعوه اليه ضرورته وقسم للناس وهو السعى في حوائجهم لانهم يعلمون حاله في خروجه فلم يحتج لتقسيمه أولان اكثر زمن خروجه مصروف للنفع العام بخلاف أكثر زمن دخوله فعلى العكس وبيان الاهم أتم (قال) اى الحسين (فسألته) اى أبى (عن مجلسه) ذكر احوال المخرج يدخل فيه ذكر أحوال المجلس فهذا خاص بعد عام كما قال ابن حجر (فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر) اى لامتلاء قلبه بجلال الله وتعظيمه ومحبته فكان يستهتر بذكره وتمجيده وتعظيمه وحسن الثناء عليه وبدلالة الخلق عليه وترغيبهم في طاعته وتعريفهم بقدره فلا حديث له الا عنه ولا تعريج له الا عليه * ألا كل شىء ما خلا الله باطل * وفى ملازمته صلى الله عليه وسلم للذكر قائما وقاعدا اشارة الى مزيته فانه روح العبادات والمقصود منها انما هو اجلال الله وتعظيمه والثناء عليه بالدلالات القولية والفعلية وقد قيل في معنى قوله تعالى ولذكر الله أكبر اى أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف أمنه أو مستوحش آنسه قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل أفضل ما اعطاه الله لعباده في الدنيا الذكر وافضل ما اعطاهم في العقبى النظر اليه فذكر الله في الدنيا كالنظر في الآخرة فالذاكر بلسانه مع حضور قلبه مشاهد له بسره ناظر اليه بفؤاده ماثل بين يديه ببدنه فكأنه في الجنة يرتع ويكفى في مزية الذكر قوله تعالى اذكرونى أذكركم حيث لم يجعل جزاء ذكره الاذكره لمن ذكره وذكر الله للعبد اعظم من الحسنة مضاعفة وهو أحد الاحتمالين في قوله تعالى ولذكر الله أكبر وبالجملة فيكفى العبد شرفا كونه في خدمة سيده وعن ابن عمر كنا نعد للنبي صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم والاحاديث في فضل الذكر كثيرة (واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس) أى لكرم أخلاقه ومزيد تواضعه لم يكن يجلس في صدر المجلس وكان هذا في أول الامر ثم ابتنوا له دكانا بعد

لو وقع لما في الترك من عظيم الادب حبذا الاداب اى نعم الجنس جنسهم وعثمان من افضلهم وقد قال العارف ابن البنا السرقسطى في المباحث الاصلية والقوم بالادب حقا سادوا * منه استفاد القوم ما استفادوا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حقه وقد استحيا عليه السلام منه لما دخل عليه فجمع ثيابه ألا أستحيى من رجل تستحيى منه الملائكة وقد قال أيضا عليه الصلاة والسلام أشد أمتى حياء عثمان بن عفان عثمان أحيا امتى وأكرمها عثمان حيى مستشهد تستحيى منه الملائكة ان الملائكة تستحيى من عثمان كما تستحيى من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انما نشبه عثمان بابينا ابراهيم عثمان ولى في الدنيا وولى في الآخرة وذكر النبي فتنة يقربها فمر عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وقال له ان الله تعالى مقمصك قميصا اى موليك خلافة فان أرادك المنافقون على

خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلذلك قال لهم يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وأنا صابر عليه وقال لمماليكه وهم كثير وأرادوا نصره لما حوصر من أغمد سيفه فهو حر وجاءه زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه فقال له ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا أنصار الله تعالى مرتين فقال لا حاجة لى في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وأنا صابر عليه وصح انه اشرف من كوة فقال لعلى رضى الله تعالى عنه يا أبا الحسن ما هذا الذى ركب متنى فقال اصبر يا أبا عبد الله فوالله ما غبت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم حين كنا على أحد فتحرك فقال اثبت أحد فانه ليس عليك الا نبي او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولا تقتلن سلك وليقتلن طلحة والزبير وقال فيه انه يوم يموت تصلي عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة و روى انه ما تغنى ولا غنى له ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ أسلم الا و أعتق فيها رقبة فجملة ما أعتقه الفان وأربعمائة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما وعظمت الفتوحات في مدته وكان يولي أقاربه و يستعملهم فتكلم بعض الرعية في ذلك وهموا بعزله حتى حاصره أهل البصرة والكوفة ومصر أياما ودخلوا عليه داره وذبحوه والمصحف الكريم بين يديه فوقع الدم على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وكان ذلك يوم الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وقد ناهز الثمانين ودفن بالبقيع وروى ابن عساكر عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا بقصر من ذهب ودر و ياقوت فقلت لمن هذا فقالوا للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان وقال كيف أنت يا عثمان اذا لقيتك يوم القيامة وأوداجك تشخب دما فأقول من فعل بك فتقول بين خاذل وآمر فبينما نحن كذلك اذ ينادي مناد من تحت العرش ان عثمان قد حكم في أصحابه

ذلك ليسمع البعيد و يعرفه الغريب أو مراده في غير المسجد (و يأمر بذلك) أي بالجلوس عند منتهى المجالس لما في التصدر من الترفع والتكبر المنافي للعبودية وقد روى الطبراني والبيهقي عن شيبة بن عثمان مرفوعا اذا انتهى احدكم الى المجالس فان وسع له فليجلس والا فلينظر الى أوسع مكان يراه فليجلس فيه (يعطي كل جلسائه بنصيبه) اي نصيبه من البشر والكرامة اللائقين به فالباء زائدة في ثاني مفعولي أعطى للتأكيد ويحتمل ان يكون الجار والمجرور صفة لمفعول مقدر أي شيئا بقدر نصيبه (لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه) اي لكمال خلقه وحسن معاشرته وعظيم بشره وتقريبه يظن كل أحد أنه أقرب الناس اليه وسيأتي في باب الخلق قول عمرو بن العاص كان يقبل بوجهه وحديثه علي حتى ظننت اني خير القوم الحديث (من جالسه اوفاوضه صابره) أي استمر معه ولا يبادر بالقيام ولا يقطع الكلام ولا يظهر الملل والسآمة (حتى يكون) ذلك الجالس أو المفاوض (هو المنصرف عنه) وهذا من عظيم خلقه وكريم تواضعه صلى الله عليه وسلم (ومن ساله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور) حسن (من القول) هذا من كمال سخائه ومروءته وحيائه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي أعرض عن السائل منتظر ما ياتي به الله من الرزق وكره الرد فلما نزل قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا كان يقول يرزقنا الله واياكم من فضله أو يعدهم بعطاء اذا جاءه كما وقع له مع كثيرين ولما استخلف الصديق وجاءه مال قال من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليأتنا فوفاهم وكان صلى الله عليه وسلم ربما يعطي السائل ثم يرغبه في الاستعفاف والاكتفاء بالله تعالى وفي رفع الهمة عن الخلق ففي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم ثم سألوه فاعطاهم حتى نفد ما عنده فقال ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا واوسع من الصبر وقال بعضهم في ذم السؤال

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا وان نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال
فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

وفي هذا الحديث انه لا بأس بسؤال من كان من الاعيان لا سيما ان كان ذا سلطان قال بعضهم

اسأل الخير ان سالت كريما * لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد * فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلالك الكبار بذل * انما الذل ان تجل الصغارا

(قد وسع الناس بسطه) أي انبساطه وبشره وطلاقة وجهه (وخلقه) أي حسن خلقه أي مداراته الظاهرة والباطنة أو المعنى عمهم ببسط يده وسماحة نفسه شبه طلاقة وجهه وحسن خلقه بسعة مكان رحب ثم اشتق منه وسع فوقعت الاستعارة في المصدر أصلية وفي الفعل تبعية (فصار لهم أبا) أي لشدة شفقته عليهم وحسن تدبيره لهم بل أعظم لان غاية الاب ان يسعى في صلاح الظاهر وهو صلى الله عليه وسلم يسعى

في

(وعلي صنو النبي ومن ديـ * ـن فؤادي وداده والولاء) أي وأقسم عليك بعلي صنو النبي اي اخيه لانه آخى بينه و بينه وقال له أنت أخي في الدنيا والآخرة رواه الترمذي وخرج احمد في المناقب ان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين الناس وترك عليا حتى بقي آخرهم لا يرى له أخا فقال يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني قال ولم ترأني تركتك انما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا

في صلاح الظاهر والباطن ومن ثم أشفق على ذوي الكبائر من أمته وأمرهم بالتستر فقال من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر وأتي برجل تكرر منه شرب الخمر بعد تحريمه فلعنوه فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله وللعلماء رضي الله عنهم حظ ونصيب من الرحمة والشفقة والسعي في اصلاح الظاهر والباطن ومن ثم رجح كثير من العلماء حق المعلم على حق الوالد وقال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني ينبغي لكل مسلم ان يكرم علماء زمانه ويجلهم ويوقرهم ولا يرى لنفسه قدرة على مكافآتهم ولو أعطاهم جميع ما يملك وخدمهم عمره كله وأن يخاطبهم بالاطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ومن أخل بواجب حقوق العلماء فقد خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر وقد مال الى ذلك من كفر من قال هذه عميمة العالم بالتصغير اه وقد تقدم شيء من هذا في ترجمة الكتاب (وصاروا عنده في الحق سواء) فلا يطمع أحد أن يتميز على أحد لكمال عدله صلى الله عليه وسلم (مجلسه مجلس علم) وفي نسخة حلم لانه كان مشغولا في مجلسه بتزكية نفوسهم وتكميل قواهم (وحياء) ولذلك كانوا يجلسون معه على غاية من الادب كانما على رؤسهم الطير (وصبر) أي منه على الجفاة وسيأتي ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسئلته وستأتي شواهد ذلك في باب الخلق (وأمانة) اى منهم على ما يقع فيه (لا ترفع فيه الاصوات) أدبا ووقارا وهيبة واجلالا وقد عاتب الله قوما فعلوا ذلك بقوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية وهذا في الغالب وربما وقع لحاجة كمجادلة معاند وارهاب عدو وقد أمر العباس يوم حنين ان ينادي باعلى صوته وكان جهوري الصوت (ولا تؤبن) بضم التاء وسكون الهمزة ويجوز ابداله واوا وفتح الموحدة من الأبن وهو العيب أو التهمة (فيه) اى مجلسه (الحرم) بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وهي ما لا يحل انتهاكه أي لا تنتهك فيه حرمة أحد بغيبة ونحوها وروى بضمتين فالمراد به النساء اى لا يذكرن فيه بسوء لصون مجلسه عن رفث القول وقبيحه يقال أبنت الرجل اذا رميته بخلة سوء ورجل مأبون اى مقذوف بها وفي القاموس أبنه بشيء يأبنه اتهمه فهو مأبون بخير أو شر فان أطلقت فقلت مأبون فهو بشر (ولا تنثى) بضم أوله وسكون النون وفتح المثلثة اى لا تشاع ولا تذاع بل تستر ولا تذكر (فلتاته) بفتح الفاء واللام اى زلاته ومعايبه على تقدير وقوعها أو المراد كما قال ابن الاعرابي انه لم يكن في مجلسه فلتات فتنثى فالنفي للفلتات نفسها لا لنثوها فقط على حد لا يسألون الناس الحافا قال ابن حجر فان قلت وقعت فلتات من أجلاف العرب كقول بعضهم له صلى الله عليه وسلم اعطني من مال الله الذي آتاك لا من مال ابيك وجدك وقول الانصاري المخاصم للزبير في السقي فقضى به صلى الله عليه وسلم له ان كان ابن عمتك قلنا مثل هذا من هؤلاء الاجلاف لا يسمى فلتة كيف وهي دأبهم وشأنهم وانما يسمى فلتة ما وقع من كامل على خلاف طبعه وعادته وهذه لم يحفظ وقوع شيء منها في مجلسه فان حفظ كان المراد لو وقعت نادرا استرت على صاحبها اه وقد ورد أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم الا الحدود خرجه في الجامع الصغير عن الامام احمد في مسنده والبخاري في الادب وابي داود عن عائشة (متعادلين) اى كانوا متعادلين أو حال كون اهل مجلسه متعادلين اى متساوين لا يتكبر بعضهم على بعض بالحسب والنسب والوجاهة الدنيوية بل لا يرى أحد منهم لنفسه تميزا على جليسه وان كان أجل منه علما وأقدم منه صحبة كما قال ابن حجر ويرحم الله القائل

أخوك وخرج ايضا عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الجنة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله علي أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا يقول سيدنا علي كرم الله وجهه

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي * يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي * منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها * فايكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمي
وصليت الصلاة وكنت فردا * فمن ذا يدعي يوما كيومي

ومن موصولة ودين فؤادي اعتقاد قلبي وداده أي محبته والولاء بفتح الواو اى نصرته ومصادقته ومحبته والولي المحب والصادق والناصر وقال الشارح أي مناصرته والذب عنه والرد على من نازع في خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو بريء منه وفي الحديث من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وروى ان عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي وورد ان الله تعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم منهم علي وورد أنه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على القرآن كما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت وان قاتله لعنه الله تعالى أشقى الآخرين كما ان عاقر الناقة أشقى الاولين لعنهما الله تعالى (ووزير ابن عمه في المعالي * ومن الاهل تسعد الوزراء) أي ناصره وحامل أثقاله والمعالي جمع معلاة وهي كسب الشرف ولما خلفه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك على المدينة قال يارسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن

ماجه علىّ منى وأنامنه ولا يؤدى عنى الا على وروى الخطيب علىّ منى بمنزلة رأسى من بدنى وروى ابن عدى على يعسوب المسلمين وروى
البزار على يقضى دينى و روى النسائى والحاكم ان كل نبي أعطى سبعة نجباء وأعطيت أنا أربعة عشر على والحسن والحسين وجعفر وحمزة
وأبو بكر وعمر الحديث و روى أحمد انت أخى وأبو ولدى تقاتل على سنتى الحديث قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

فلا تحقرن شخصا من الناس علّه * ولى اله العالمين ولا تدرى
فذو القدر عند الله خاف عن الورى * كما أخفيت عن علمهم ليلة القدر

و يكفى فى ذلك للمؤمن قول الله تعالى ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الآية (يتفاضلون فيه بالتقوى) أى يكون التفاضل بينهم فيه عنده صلى الله عليه وسلم بالتقوى وما يتعلق بها علما وعملا فالاتقى هو الافضل وان كان غيره غنيا أو وجيها فكان مجلسه صلى الله عليه وسلم منزها عن تفضيل الاغنياء على الفقراء بل كان تفضيله دائرا مع الدين وقوة الايمان ولما نزل قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية جعل يفتش على فقراء اهل الصفة فى أخريات المسجد و يقول معكم أمرت ان أقيم وقد تقدم قوله أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة وأحسنهم مواساة ومؤازرة و فى نسخة يتعاطفون بدل يتفاضلون وهو قريب منه فى المعنى وملائم لقوله (متواضعين) أى كانوا متواضعين أو حال كونهم متواضعين (يوقرون الكبير) عمرا أو قدرا (و يرحمون الصغير) كذا روى المصنف فى جامعه عن أنس ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا (و يؤثرون) على أنفسهم فى مجلسه صلى الله عليه وسلم (ذا الحاجة) فى تقربه من النبي وتحدثه معه وغير ذلك (و يحفظون الغريب) فيحتمل من الرجال أى يحفظون حقه و يرعون وده واكرامه و يدفعون عنه كربة الغربة و يحتمل الغريب من المسائل أى يعتنون بحفظه وضبطه واتقانه ﴿تنبيه﴾ لا يلزم من اتعاظهم فى مجلسه صلى الله عليه وسلم وحصول هذه الاحوال السنية لهم والكمالات المرضية والاخلاق الزكية دوام ذلك لهم بحاله بعد مفارقته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه كما عند احمد وغيره قلنا يارسول الله ما لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا فى الدنيا وكنا من أهل الآخرة فاذا خرجنا من عندك وعانقنا أهلنا وشممنا أولادنا أنكرنا قلوبنا فقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم اذا خرجتم من عندى كنتم على حالكم لزارتكم الملائكة فى بيوتكم الحديث وسيأتى نحو هذا عن حنظلة فى باب الوفاة عند قول أنس وما نفضنا أيدينا من التراب حتى أنكرنا قلوبنا * قال المصنف (حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع) على وزن سريع (نا بشر بن المفضل نا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أهدى الى كراع) هو ما دون الركبة أو ما دون الكعب (لقبلت) اى تواضعا وتعظيما لنعمة الله لانه كان يعظم النعمة وان قلت وتخلقا باخلاق الله تعالى قال تعالى وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما فمن الخلق الجميل قبول القليل والجزاء بالجزيل ولان الهدية على قدر المهدى لا على قدر المهدى اليه قال فى حياة الحيوان فى ترجمة الهدهد حكى القزوينى ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام أريد ان تكون فى ضيافتى قال أنا وحدى قال لا انت وعسكرك فى جزيرة كذا فى يوم كذا فحضر سليمان بجنوده وطار الهدهد فاصطاد جرادة وخنقها و رمى بها فى البحر وقال كلوا يا نبى الله من فاته اللحم فليدرك المرق اه فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا و فى ذلك قيل

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة * أهدت له من جراد كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

نزلت فى على كرم الله وجهه ثلثمائة آية وقال الامام احمد ماجاء لاحد من الفضائل ماجاء لعلى وقال اسمعيل القاضى والنسائى وأبو على النيسابورى لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالاسانيد الصحاح والحسان أكثر ماورد فى على وذلك انه لما أخذ الخوارج و بنو أمية فى تنقيصه أخذ الحفاظ فى بث فضائله نصرة للحق ونصحا للامة وقد جمع أحاديث فضائله وآثار شمائله الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى مجلد وليست الوزارة خاصة به رضى الله تعالى عنه فقد روى الترمذى حديث مامن نبى الا له وزيران من اهل السماء ووزيران من أهل الارض فاما وزيراى من السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراى من اهل الارض فابو بكر وعمر الا أن يراد بها وزارة خاصة وهى قوله أنت منى بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا التى هى كوزارة هرون من موسى أخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم أخذ الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده و يؤيد حمل الوزارة على (ولو
الخاصة انه أرسله ان يؤذن على الناس ببراءة فى الموسم مع ان الخليفة على الحجيج أبو بكر لان العرب لا يقبلون مبلغا عن كبيرا الا ان كان من قرابته واستخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى دينه وأناه باهله قوله ومن الاهل نسعد الوزراء تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة ما أخرج الترمذى وأحمد من حديث المؤاخاة المتقدم وقال فى حديث فيه كلام أنا مدينة العلم وعلى بابها وصح ان

النبي صلى الله عليه وسلم أرسله الى اليمن ليقضي بينهم قال لا أدرى ما القضاء فضرب صدره بيده الشريفة ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال عليّ فوالذى فلق الحبة ماشككت فى قضاء بين اثنين وقيل له مالك أكثر الصحابة حديثا فقال انى كنت اذا سألته أنبانى واذا سكت ابتدأنى

(لم يزده كشف الغطاء يقينا * بل هو الشمس ما عليه غطاء) أى لو كشف له الغطاء عن المغيبات لم يزده ذلك يقينا لما وهبه الله تعالى من عين اليقين بعد علم اليقين وقد أخبر بذلك عن نفسه فقال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا والمعنى لو قامت القيامة واحضرت الجنة والنار ما ازداد يقينا بالايمان بها وان كان اذا رآها أبصر من التفاصيل والهيآت مالم يحط به قبل ذلك ولا تخفى علومه ومعرفته على من طالع أخباره وسيره وتقدم حديث أنا مدينة العلم وعلى بابها وكان عمر رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن وذكر عند عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت انه اعلم من بقى بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلى وابن مسعود رضى الله تعالى عن جميعهم ولم يكن أحد من الصحابة رضى الله عنهم يقول سلونى الا على وقال والله تعالى ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربى جل جلاله وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلونى عن كتاب الله تعالى فانه ما من آيه الا وقد علمت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم جبل وقوله بل للانتقال وضمير هو عائد على عليّ رضى الله تعالى عنه اى هو فى فضله وتقدمه وعلمه الشمس اى مثلها فى الظهور ما عليه غطاء اى ساتر بل هو ظاهر لكل احد ويحتمل ان يكون الضمير فى هو عائدا على المغيب المستور أى هو عند على الامر الواضح كالشمس وأخرج أبو يعلى عن عمر رضى الله تعالى عنه قال أعطى عليّ ثلاث خصال لان تكون لى خصلة منها احب الى من ان اعطى حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد واعطاؤه الراية يوم خيبر وعن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت النبي

(ولو دعيت عليه) اى اليه كما فى نسخة (لاجبت) اى الداعى ولم أتكبر على الداعى ولو كان حقيرا ولا على المدعو اليه ولو كان صغيرا لان المقصود بالاجابة جبر قلب الداعى والتودد اليه لا الطعام وبهذا اللفظ رواه أحمد وابن حبان عن أنس ايضا كما فى الجامع الصغير والذى فى شرح السنة عن أنس لو دعيت الى كراع لاجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت وكذا رواه البخارى عن أبى هريرة قال العسقلانى زعم بعض الشراح ان المراد بالكراع المكان المعروف بكراع الغميم وهو موضع بين مكة والمدينة وانه أطلق ذلك على سبيل المبالغة فى الاجابة ولو بعد المكان لكن الاجابة مع حقارة الشىء أوضح فى المراد ولهذا ذهب الجمهور الى أن المراد بالكراع هنا كراع الشاة قال وحديث أنس المذكور فى الشمائل يؤيده اه والتأييد ظاهر وان اختلفت الرواية عن أنس لان ضمير اليه أو عليه راجع الى ما ذكر من كراع الشاة فيكون نصا فى المقصود انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن نا سفيان عن محمد بن المنكدر) تابعى جليل القدر فى العلم والعمل مستجاب الدعوة (عن جابر بن عبد الله قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس براكب بغل ولا برذون) أى ولا ابلا ولا غيرها كعادة الملوك والمراد انه جاء يعوده ماشيا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وامتهانا لنفسه فى طاعة الله تعالى ففى البخارى بهذا الاسناد مرضت مرضا فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغمى عليّ فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على قال فأفقت الحديث فقوله بغل ولا برذون اى ولا غيرهما خلافا لمن اخذ بمفهومه والبرذون هو الفرس الاعجمى وهو أصبر من العربى والعربى اسرع منه وسمى بذلك لثقله وأصل البرذنة بالذال المعجمة الثقل * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا ابو نعيم نا يحيى بن ابى الهيثم العطار قال سمعت يوسف بن عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام لا غير كما نص عليه الائمة وفى شرح الشفاء للتلمسانى عن بعضهم انه يجوز فيه التشديد وعبد الله بن سلام هذا صحابى جليل اسرائيلى مدنى من علمائهم واهل الشرف منهم شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ففى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحىّ يمشى على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام أسلم هو وجميع أهله بنفس دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة وقضية اسلامه ومناقبه مذكورة فى الصحيحين وغيرهما (قال) يوسف (سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوسف وأقعدنى فى حجره) فى المغرب هو بفتح الحاء وكسرها الحضن وهو مادون الابط الى الكشح وفى ابن حجر ان الحجر بالكسر ما بين يديك من بدنك وبالفتح فرج الرجل والمرأة وفى النهاية الحجر بالفتح المنع من التصرف واليتيمة فى حجر وليها يجوز ان يكون من حجر الثوب وهو طرفه المقدم لان الانسان يربى ولده فى حجره والحجر بالفتح والكسر الثوب اه (ومسح على رأسى) زاد فى رواية الطبرانى ودعا لى بالبركة فهو من صغار الصحابة وقد تقدمت روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم فى آخر باب الادام قال الواقدى كنيته أبو يعقوب قال ابن حجر وفى الحديث انه يندب لمن يقتدى به ويتبرك به تسمية ولد أصحابه وتحسين الاسم وان أسماء الانبياء من الاسماء الحسنة ووضعه فى الحجر ومسح رأسه وفى ذلك كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وعظيم رحمته وتواضعه وملاطفته * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا أبو داود نا الربيع هو ابن صبيح نا يزيد

الرقاشي عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم حج على رحل رث وقطيفة كنا نرى ثمنها أربعة دراهم) تقدم الجزم بانها لا تساوي أربعة دراهم والقضية متحدة لانه لم يحج الا مرة واحدة فاثبات المساواة على التنزل والمسامحة ونفيها على المضايقة والمماكسة (فلما استوت به راحلته) قال التوربشتي أي رفعته مستويا على ظهرها وقال الطيبي أي استوت راحلته ملتبسة به فقوله به حال والراحلة من الابل البعير القوي على الاسفار والاحمال الذكر والانثى فيه سواء (قال لبيك) أي اقامة على اجابتك بعد اقامة (بحجة لا سمعة فيها ولا رياء) بل خالصة لوجه الله تعالى في الرواية المتقدمة انه دعا بذلك فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وتقدم ان ذلك من باب التواضع واظهار الفاقة والفقر بين يدي الله تعالى وللتشريع والتعليم وكذا قوله صلى الله عليه وسلم كما في البخاري عن أبي موسى اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق نا معمر عن ثابت البناني وعاصم الاحول عن أنس بن مالك ان رجلا خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرب له ثريدا عليه دباء قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الدباء وكان يحب الدباء قال ثابت فسمعت أنسا يقول فما صنع لي طعام أقدر على ان يصنع لي فيه دباء الا صنع) تقدم أثناء أحاديث باب الادام ما يتعلق بمعنى هذا الحديث وان لم يكن بلفظه وذكره المصنف هنا لان فيه دلالة على مزيد تواضعه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) أي البخاري (نا عبد الله بن صالح ني معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت قيل لعائشة ماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته قالت كان بشرا من البشر) أي فيعمل في بيته ما يعمله عامة البشر تواضعا وارشادا للتواضع ولا يترفع عن الافعال العادية تكبرا كعادة الملوك ومن ثم قالت (يفلي ثوبه) اي يلتقط القمل منه وان كان محفوظا من اذايته له صلى الله عليه وسلم كما انه محفوظ من تولده من ذاته الشريفة لطهارته وطهارة سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويحلب شاته) بضم اللام ويجوز كسرها (ويخدم) بضم الدال وتكسر (نفسه) من عطف العام على الخاص وذلك كصب الماء في الوضوء والغسل على الاعضاء وجاء في رواية عنها أيضا كان يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية أحمد ويرقع دلوه وفي البخاري عن الاسود قال سالت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في اهله قالت كان في مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة ففي ذلك انه ينبغي للرجل ان يكون في بيته متواضعا فلا يترببب على اهله ويكون عندهم كالاسير عليهم وفي مختصر السيرة للمحب الطبري أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فامر أصحابه باصلاح شاة فقال رجل على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال صلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكن أكره ان أتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا عن أصحابه وروى ابن عساكر هذه القصة وروى أيضا انه صلى الله عليه وسلم كان في الطواف فانقطع شسع نعله فقال بعض أصحابه ناولني أصلحه فقال هذه أثرة ولا أحب الاثرة وفي الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم قدم وفد النجاشي فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكافئين وأنا أحب ان اكرمهم اه ثم من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم وان كان بشرا من الابشار لكنه كالياقوت بين الاحجار وقد أبان هذا المعنى وكشف عنه غطاءه

صلى الله عليه وسلم يقول له يدك في يدي حتى تدخل معي يوم القيامة حيث أدخل وما احسن قول حكيم لحسين دخل الكوفة والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها ما رفعتك وهي أحوج اليك منك اليها وسمعه بعض اصحابه وقد أرخى الليل ستوره وهو يبكي يقول يا دنيا غري غيري لا حاجة لي فيك الي تعرضت أم الي تشوفت هيهات قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وخطرك حقير أواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق * وكتب علي الى سلمان رضي الله تعالى عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها القلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه اه وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه اربع سنين وتسعة اشهر وقتل شهيدا بالكوفة ضربه ابن ملجم الخارجي أشقى الآخرين كما في الحديث وكان ذلك سنة اربعين وهو ابن ثلاث وستين على الصحيح ﴿تنبيه﴾ قد تقرر واشتهر أن النبي صلى الله عليه وسلم سال الله تعالى العافية وحض الناس على سؤالها وامتثلوا فسألوها ولا سيما الخلفاء وأجيبوا وما خيبوا وهذا لا يعارض ما ثبت في الحديث من أن أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وقد علمت اسباب موت أفاضل الصحابة لان العلماء اجمعوا على تفسير العافية بان لا يكل الله تعالى العبد الى نفسه وأن لا يخذله وأن لا يحرمه توفيقه وأن لا يهمله وان يتولاه ويحفظه ويرعاه في سائر احواله والى هذا يشير سيدنا ابو الحسن الشاذلي في قوله ولا نسئلك دفع ما تريد ولكن نسالك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت انبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك انك على كل شيء قدير ولذا قال أبو العباس المرسي اذا سالت الله العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها لك عافية فان البلاء الذي تكفر به السيآت وترفع به

الدرجات ويكون معه الرضاعن الله والحياش العبد به الى باب مولاه على حد الفاقة والاضطرار كل هذا فى الحقيقة عافية ولهذا قالوا بلاء يلجئك اليه خير من نعمة تقطعك عنه (وبباقى أصحابك المظهر التر * تيب فينا تفضيلهم والولاء) اى وأقسم عليك بباقى العشرة من اصحابك المبشرين بالجنة المظهر الترتيب اى المبين الترتيب بينهم من النبي صلى الله عليه وسلم فينا اى لنا وتفضيلهم فاعل المظهر والترتيب مفعوله وعكسه الشارح قال ابن حجر والاول أظهر والولاء الموالاه والنصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم وسئل بعض محققى المتأخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل يجب ان تكون على حسب فضلهم فاجاب ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها لترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة اواحسان فلا يجب أن تكون كذلك (طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحدا يوم فرت الرفقاء) هو بدل من اصحابك بدل مفصل من مجمل وهو ابن عبد الله التيمى من تيم بن مرة القرشى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام وأحد الستة اصحاب الشورى فى امر الخلافة وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر لكونه السبب فى اسلامهم ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه وسماه صلى الله عليه وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود وروى ان رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط فى ليلة فقال من يسوى رحلى وهو فى الجنة فبادر طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبريل يقرؤك السلام ويقول لك أنا معك فى اهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها وروى انه باع أرضا له بسبعمائة ألف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها فاصبح ففرقها وروى انه فرقها فى ليلته وجاءه رحم له يسأله برحمه فاعطاه ثلثمائة ألف وكان مغله بالعراق فى كل سنة أربعمائة الف وكان يكفى ضعفاء قومه

من قال فى صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالابشار كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار وأشار الى ذلك بعضهم بقوله

محمد بشر لا كالبشر * بل هو كالياقوت بين الحجر

يشير الى انه صلى الله عليه وسلم كان بشرى الظاهر ملكوتى الباطن فمعانى الانبياء واخلاقهم وصفات بواطنهم من عصمة وعلوم ومعارف وشهود وغير ذلك كمعانى الملائكة بل اكمل على ما هو الصحيح من انهم افضل من الملائكة على جميعهم الصلاة والسلام وقد قالوا انه صلى الله عليه وسلم كان لا يأتى شيئا من أحوال البشرية الا تأنيسا لامته وتشريعا لها الا انه محتاج الى شىء من ذلك وقد لوح لهذا المعنى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله والله يا رسول الله ما اكلت ولا شربت ولا نكحت الا لنا والحاصل انه صلى الله عليه وسلم داخل فى جنس البشر وخارج عنه باعتبارين مختلفين داخل باعتبار ذاته الكريمة وصفاته الظاهرة وخارج باعتبار باطنه المقدس ومعانيه العلية ويرحم الله البوصيرى حيث قال

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

﴿ باب ماجاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

الخلق بالضم وبضمتين السجية والطبيعة فهو عبارة عن أوصاف الصورة الباطنة والسجايا النفسية التى طبع الانسان عليها كما ان الخلق بالفتح عبارة عن أوصاف الصورة الظاهرة وكل من أوصاف الظاهر وأوصاف الباطن يكون حسنا ويكون قبيحا والمراد من الترجمة بيان ما جاء من الاخبار فى أوصافه الباطنة صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة منها التواضع وقد تقدمت ترجمته ومنها الحياء وستأتى ترجمته ومنها حسن المعاشرة والصفح والعفو والاحتمال والسخاء وهى المذكورة فى هذه الترجمة ومنها الصبر والشكر والعدل والزهد والشجاعة والصمت والوقار والتؤدة والمحبة والامانة والعبادة والخوف والشفقة وغير ذلك وقد سبق الكلام عليها فى مواضع متفرقة وبالجملة فكما حاز ظاهره صلى الله عليه وسلم الجمال كله على أتم ما ينبغى واكمل ما يكون فقد حاز باطنه صلى الله عليه وسلم الكمال كله على أتم ما ينبغى وأكمل ما يكون فهو أجمل من كل جميل وأكمل من كل كامل وقد تقدم ان المحاسن الظاهرة أعلام على الاخلاق الباطنة ولاجل ذلك لما اختص صلى الله عليه وسلم من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه مخلوق كان ذلك آية باهرة وحجة ظاهرة على اتصاف نفسه من الاخلاق الحميدة بما لم يشاركه فيه مخلوق

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

واعلم ان أصول هذه الاخلاق العظيمة جبلية جبل عليها صلى الله عليه وسلم فى أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما قال فى الشفاء واما كمالها وتمامها فهو مكتسب من القرآن فهى جبلية مكتسبة باعتبارين فقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن تعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره كقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله فاعف

عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتي هي أحسن الآية وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن الآية وغير ذلك من التأديبات التي لا تنحصر * قال العارف السهروردي و في قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن هذا بان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور عقلها وكمال أدبها اه وقد تقرر عند العارفين ان أسماء الله تعالى كلها صالحة للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق لا للتخلق قال في جمع الوسائل وفيه ايماء الى ان اوصاف خلقه العظيم لا تتناهى كما ان معاني القرآن كذلك وهذا غاية في الاتساع ونهاية في الابتداع ومن ثم وسعت اخلاقه اخلاق أفراد أصناف بني آدم بل انواع أجناس مخلوقات العالم ولذا أرسله الله الى العرب والعجم والانس والجن وسائر الامم بل والى الملائكة والنباتات والجمادات كما بينته في شرح الصلوات على ما يدل عليه قوله في صحيح مسلم بعثت الى الخلق كافة اه أي فجعله الله تعالى القدوة العظمى لجميع الخلق في كل علم وحكم وحكمة وخلق حسن وكل كمال على الاطلاق * قال الشيخ أبو الحسن الحرالي رضي الله عنه لما كان عرفان قلبه عليه الصلاة والسلام لربه عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام بربي عرفت كل شيء كانت أخلاقه اعظم خلق فلذلك بعثه الله الى الناس كلهم فكل من كان الله ربه فمحمد صلى الله عليه وسلم رسوله وكما ان الربوبية تعم جميع العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين اه ومن هذا يستفاد عجز جميع الخلق عن شرح خلقه صلى الله عليه وسلم و يتضح معنى قوله لا يعرفني حقيقة غير ربي قال الشيخ أبو محمد عبد الجليل المصري في شعب الايمان من ذا الذي يصف خلقه من المخلوقين وقد أثنى عليه رب العالمين فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فلا أعظم مما عظم الله عز وجل (حدثنا قتيبة بن سعيد نا جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين) كذا في أكثر الروايات و في رواية مسلم تسع سنين وكأنه ألغى الكسر لان خدمة انس له كانت في أثناء السنة الاولى (فما قال لي أف) اسم فعل للتضجر والتأوه وأصل الاف وسخ الظفر والاذن و يقال لكل ما يتضجر و يستثقل أف له و يستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى فلا تقل لهما أف وذكر القاضي وغيره فيها عشر لغات فتح الفاء وضمها وكسرها بلا تنوين و بالتنوين فهذه ست و بضم الهمزة واسكان الفاء و بكسر الهمزة وفتح الفاء وأفي وأفه بضم همزتهما وذكر الكرماني فيها تسعا وثلاثين لغة و زاد ابن عطية واحدة فاكملها أربعين (قط) قال ابن حجر بضم الطاء المشددة مع فتح أوله وضمه و بفتح فسكون اوكسر مع التشديد وعدمه وهي لتوكيد نفي الماضي اه (وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته) قال المناوي زاد في روايه ولكن يقول قدر الله وماشاء فعل وما قدر الله كان ولو قضي لكان وما ذاك الا لكمال معرفته بانه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله وان الخلق آلات و وسايط فلا معنى للغضب عليهم حينئذ وقال بعضهم سبب ذلك انه كان يشهد تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم اذ كل ما يفعله المحبوب محبوب اه فعدم مؤاخذته صلى الله عليه وسلم لانس في هذه المدة المديدة من كمال خلقه

وقوم أبي بكر بني تيم و يقضي ديونهم و يرسل الى عائشة في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في يوم بمائة ألف ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلي فيه وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة و يا زبير لكل نبي حواري وأنتما حواريان أي ناصراي وان الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال وخلفه في الصلاة في الصف الاول وليس أحد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب أو شهد قوله المرتضيه رفيقا أي مرافقا واحدا من الوحدة كما هو في أكثر النسخ يوم فرت الرفقاء جمع رفيق أي عنك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم أحد و في بعض النسخ أحدا بالنصب على نزع الخافض مع ضم الهمزة والحاء أي في أحد و في نسخه أحد بالرفع على أنه فاعل المرتضيه أي الذي ارتضاه أحد رفيقا لك وفيه اسناد مجازي و في ذكر رفيق والرفقاء جناس الاشتقاق أو شبهه وكذا بين سعد وسعيد والامانة والامناء وأناه واتاء وتمسك واستمسك وانطوت وانطوى وأغثنا والغوث والغيث الآتيات قال ابن حجر و في ذكر واحد في أكثر النسخ نظر بل المنقول في السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار رضي الله تعالى عنهم و في البخاري لم يبق معه الا اثنا عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراده معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم أحد وقى النبي صلى الله عليه وسلم لما ضرب بالسيف فشج وجهه بيده فشلت واستمرت شلاء وكان الصديق رضي الله تعالى عنه اذا احدث عن يوم أحد بكى وقال ذلك كله لطلحة وقال له النبي صلى الله عليه وسلم ايضا ذلك اليوم أوجب وتفويض

طلحة أي وجبت له الجنة وقالت عائشة قال أبو بكر كنت أول من جاء يوم أحد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي عبيدة عليكما
بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة فإذا به بضع وسبعون

وتفويض أمره وملاحظة تقديره به لا من كمال أدب أنس رضي الله عنه كما قيل لأن المقام يقتضي مدحه عليه السلام لا مدح أنس نفسه بهذا الكلام وقد أورد ابن الجوزي في كتاب الوفاء عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما سبني سبة قط ولا ضربني ضربة قط ولا عبس في وجهي ولا أمرني بأمر قط فتوانيت فعاتبني عليه فان عاتبني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان اهـ فهذا صريح في انه كان يقع منه ما يعاتب عليه ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يؤاخذه في ذلك وهذا كله بالنسبة لما يتعلق بآداب خدمته عليه السلام وحقوق ملازمته لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده فانه انما كان يجري فيها على الصواب اذ لا يسعه صلى الله عليه وسلم السكوت عليها لانها من قبيل الامر بالمعروف وفي ذلك فضيلة تامة لانس حيث لم ينتهك من محارم الله شيأ ولم يرتكب في تلك السنين في خدمته ما يوجب المؤاخذة شرعا وذلك كله ببركة خدمة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبته فان من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها والمرء على دين خليله فالمصحوب اذا كانت له بركة وجرى على السداد والتوفيق يكون من صحبه كذلك ببركته فالصاحب بالنسبة للمصحوب كالفتيلة اذا قربت من السراج اشتعلت منه بالمجاورة * قال شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسي رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ومن هذا الحديث أخذ الصوفية التربية بالهمة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤدب أنسا بمجرد الهمة قال وهذا هو الذي بقي اليوم وأما التربية بالاصطلاح فقد نقل الشيخ زروق رضي الله تعالى عنه انها انقرضت منذ أعصار ولم يبق الا الافادة بالهمة والحال قال في الاصابة جاءت به أمه أم سليم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وقالت له يارسول الله هذا ابني غلام كيس يخدمك فقبله وكناه أبا حمزة ومازحه فقال له ياذا الاذنين وخرج معه الى بدر وشهد بدرا ولم يعد من البدريين لانه لم يكن في سن من يقاتل وفي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طلحة التمس غلاما من غلمانكم يخدمني حتى أخرج الى خيبر فخرج أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل وفي الصحيحين عن أنس قال قالت أمي يارسول الله خادمك ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته الحديث فلم يمت حتى رأى من ولده وولد ولده نحو المائة والعشرين وحج ومعه نحو السبعين وكان له بستان بالبصرة يطعم في السنة مرتين وتشم من رياحينه روائح المسك وكانت عنده شعرات من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال لثابت البناني ضعها تحت لساني فوضعها ودفن وهي تحت لسانه وعن أبي هريرة قال ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم يعني أنسا وتوفي في قصره بالطف على فرسخين من البصرة سنة احدى وتسعين أو ثلاث وتسعين عن مائة سنة الا سنة أو عن مائة وسبع سنين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة الا أبا الطفيل وهو أحد المكثرين من الرواية وجملة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف حديث ومائتا حديث وستة وثلاثون حديثا في الصحيحين منها ثلاثمائة وثمانية عشر وهو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد النجاري يكنى أبا حمزة كما تقدم وفي الصحابة رجل آخر يسمى أنس بن مالك ويكنى أبا أمية القشيري وقيل الكعبي وكعب أخو قشير (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا) الاشهر أنه بضم الخاء واللام وعليه فهو تعميم بعد تخصيص لئلا يتوهم ان هذا شأنه مع أنس فقط ويحتمل كما قال الكرماني أنه بفتح الخاء وعلى كل حال فلا حاجة الى ادعاء زيادة من لانك اذا قلت زيد من أفضل علماء البلد لم يناف ذلك كونه افضلهم اذ الافضل المتعدد بعضه أفضل من بعض كما قاله ابن حجر وزيادة من في

أو اقل أو أكثر بين طعنة وضربة وقد انقطعت اصبعه فأصلحنا من شأنه وما انصرف صلى الله عليه وسلم عن أحد حتى قال لحسان قل في طلحة فقال

وطلحة يوم الشعب واسى محمدا
على ساعة ضاقت عليه وشقت
وكان أمام الناس الا محمدا
أقام رحى الاسلام حتى استقلت

فأشار بالبيت الاول الى انه لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه جعل طلحة يحتمله ويرجع القهقرى وكلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده الى الشعب كما في حديث عائشة وأشار بالبيت الثاني الى ما في حديث أنس كان طلحة يوم أحد بين يديه صلى الله عليه وسلم يجوب عنه بحفظه (١) والاشاجع أصول الاصابع المتصلة بالاعصاب الخارجة من طرف ظاهر الكف ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ علي بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة حتى استوى قائما وكان عليه صلى الله عليه وسلم

(١) قوله والاشاجع أصول الخ لم يتقدم لها ذكر في كلامه اهـ

صبرا على الطعن اذ ولت جماعتهم
والناس ما بين مهزوم ومفتون
ياطلحة بن عبيد الله قد وجبت
لك الجنان وكمز وجت من عين
يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة الجنة أي لنفسه ومدحه عمر بقوله
حمى نبي الهدى بالسيف منصلتا
لما تولى جميع الناس وانكشفوا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت كما في ابن عساكر وفي الحديث لقد رأيتني يوم أحد وما في الارض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري وهذا صريح في قول الناظم واحدا ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فقيل يارسول الله من هؤلاء فقال هذا منهم وأشار الى طلحة وصح أيضا طلحة والزبير جاراى في الجنة

الايجاب لا يقول بها الجمهور اهـ وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة عليك بحسن الخلق قال قلت يارسول الله وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك (ولا مسست) هذا انتقال من صفات الخلق بالضم الى صفات الخلق بالفتح (خزا) هو المركب من حرير وغيره وأظهر الاقوال فيه عندنا انه مكروه لتعارض الادلة فيه وعند الشافعية مباح ان لم يزد الحرير وزنا وعند الحنفية ان كان السدى حريرا واللحمة غيره فهو مباح وعكسه حرام الا في الحرب (قط) كذا في بعض النسخ وفي بعضها بعد قوله (ولا حريرا) أي خالصا (ولا شيأ) تعميم بعد تخصيص (كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت) بكسر الميم وفتحها (مسكا قط ولا عطرا) هو مطلق الطيب فهو تعميم بعد تخصيص (كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم) سبق الكلام على هذا في صدر ترجمة التعطر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن عبدة هو الضبي والمعنى واحد قالا نا حماد بن زيد عن سلم) بفتح فسكون (العلوى) بفتح أوله (عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى عن حاله (انه كان عنده) عليه السلام (رجل به أثر صفرة) اى من طيب أو زعفران (قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يواجه) اى لا يقرب من أن يقابل (أحدا بشيء) اى مما ليس بحرم (يكرهه فلما قام) ذلك الرجل (قال للقوم لو) تمنية أو شرطية وجوابها محذوف أي لو (قلتم له يدع هذه الصفرة) لكان ذلك حسنا قال عياض اختلف في المغير بالزعفران فاجازه مالك لحديث ابن عمر رأيتك تصنع أربعا ثم قال ورأيتك تصبغ بالصفرة وحجة من نهى حديث نهى أن يتزعفر الرجل وهو عندنا محمول على ان يغير بدنه بزعفران لما فيه من التشبه بالنسوان اهـ قلت اذا كان هذا الاثر في الثوب كان القول بالجواز مشكلا لانه خلاف ما في هذا الحديث وان كان في البدن كان تأخير الامر بتركه لمفارقة المجلس مشكلا لانه يجب على القادر المبادرة الى النهي عن المنكر وقد ثبت في مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما وفي رواية قلت أغسلهما قال بل احرقهما فبادر صلى الله عليه وسلم بالنهي ولعل الامر بالاحراق محمول على التغليظ كما قال عياض وقد تقدم أثناء باب اللباس ما في لبس الاحمر من الخلاف بين العلماء وان مالكا قال لا أعلمه حراما وغيره أحب الى منه اللهم الا أن يقال المراد بالجواز عند القائل به مقابل المنع فلا ينافي ذلك أنه مكروه وحينئذ فلا يشكل تأخير الامر بتركه لمفارقة المجلس بل يكون التأخير اشارة الى أن النهي للكراهة أو خلاف الاولى كما أشار اليه ابن حجر * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبي اسحق عن أبي عبد الله الجدلي) بفتح الجيم والدال نسبة الى قبيلة جديلة (عن عائشة أنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا) اى ذا فحش في أقواله ولا في أفعاله وهو ما يخرج عن مقداره حتى يستقبح ويستهجن شرعا أو طبعا واستعماله في القول أكثر منه في الفعل والصفة ومنه السب واللعن (ولا متفحشا) اى ولا متخلقا بالفحش فنفت عنه الغريزى منه والمكتسب (ولا صخابا) الصخب بالصاد المهملة الصياح ويقال بالسين والاول أشهر والمراد بالمبالغة هنا اصل الفعل على حد ما قيل في آية وما ربك بظلام للعبيد بقرينة ان المقام للمدح ولا يكفي نفي المبالغة فيه فقط (في الاسواق) ليس بقيد بل المعنى انه لا يصخب في الاسواق التي هي محل الخصومات فيكون عدم صخبه في غير الاسواق من باب أحرى أي لانه ليس ممن ينافس في الدنيا وجمعها حتى يخاصم عليها ويرفع صوته لاجلها وقد تقدم قول هند لا تغضبه الدنيا وما كان لها وهذا لا ينافي جهره بالقراءة حال الصلاة ولا مبالغته في رفع الصوت حال الخطبة خلافا لما في جمع الوسائل حيث جعل قوله في الاسواق احترازا

احترازا عن رفع صوته بالقراءة والخطبة (ولا يجزى) بفتح الياء من الجزاء أي لا يكافئ ولا يجازى (بالسيئة السيئة) الباء للبدل واطلاق السيئة على الثانية للمشاكلة (ولكن يعفو) بباطنه (و يصفح) يعرض بظاهره امتثالا للامر بذلك في غير ما آية وقد تقدمت أول الباب وانما احتاجت الى هذا الاستدراك دفعا لما يتوهم انه ترك الجزاء عجزا أو مع بقاء الغضب وحسبك عفوه وصفحه عن أعدائه الذين حاربوه وبالغوا في ايذائه حتى شجوا وجنته وكسروا رباعيته فقال له أصحابه لو دعوت عليهم فقال اني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا و رحمة اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون وما من حليم قط الا وقد عرف له زلة وهفوة تخدش في كمال حلمه الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا عفوا وصفحا و روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن رجل من أحبار اليهود الذين اسلموا يقال له زيد بن سعنة بالنون على قول الاكثر وقيل بالتحتانية انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له لان أخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فاخذت بمجامع قميصه و ردائه و نظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت له الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر قربه لضربت بسيفي رأسك و رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون و تؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه و زده عشرين صاعا مكان ما روعته فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد خبرتهما أشهدك اني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد نبيا قال في الاصابة ثم شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشاهده واستشهد بتبوك مقبلا غير مدبر وروى أبو داود أن اعرابيا جذبه بردائه حتى أثر في رقبته الشريفة لخشونته وهو يقول احملني على بعيري هذين اي حملهما لي طعاما فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله ثلاث مرات لا أحملك حتى تقيدني من جذبتك فقال لا والله لا اقيدكها ثم دعا رجلا فقال له أحمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخاري انه لما جذبه تلك الجبذة الشديدة التفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء ولله در القائل

عاشر الناس باخلاق الرضا * تملك الاحرار من غير ثمن
لا تقل في الحلم ذل فلقد * ساد أهل الحلم في كل زمن
ان للصبر عليه مسلكا * ليس يرقى فيه الا من ومن

* قال المصنف (حدثنا هرون ابن اسحق الهمداني نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيأ قط الا أن يجاهد في سبيل الله) أي فيضرب ان احتاج الى ذلك وقد وقع ذلك منه في الجهاد حتى قتل أبي بن خلف بيده في أحد ولم يقتل بيده أحدا غيره قيل وأشقى الناس من قتل نبيا أو قتله نبي وفيه فضل الجهاد وأن الاولى للامام التنزه عن اقامة الحدود والتعازير بنفسه بل يقيم لها من يستوفيها وعليه عمل الخلفاء (ولا ضرب خادما ولا امرأة) تخصيص بعد تعميم ونكتته المبالغة في نفي الضرب لكثرة وقوع ضربهما للابتلاء بمخالطتهما ومخالفتهما غالبا ان لم يكن دائما وفيه جواز ضرب النساء والخدم للتأديب اذ لو لم يكن مباحا لما مدح بالتنزه عنه لكن التنزه عنه حيث أمكن أفضل

الناس يتبعون سعدا يقولون هنيأ لك أبا اسحق أجيبت دعوتك قتل يوم الجمل بعد ان تأخر و وقف في بعض الصفوف فجاء سهم في ركبتيه ودفن بالبصرة رضى الله تعالى عنه وذلك سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة (وحواريك الزبير أبي القر * م الذي أنجبت به أسماء) اي واقسم عليك بناصرك الزبير بن العوام القرشي الاسدي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية رضى الله تعالى عنها أحد العشرة المبشرين بالجنة والستة اصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام والشجعان المشهورين لا يلحق هو وعلي وحمزة في الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو أول من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع أخذ محمد فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فقال له مالك فقال له أخبرت انك أخذت فصلى عليه ودعا له شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له اليد البيضاء اخترق صفوف الروم من أولهم الى آخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاصي ولما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس من يأتيني بخبر القوم يعني بني قريظة هل نكثوا فقال انا فاعاد فقال أنا فقال ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير وجمع له بين أبويه لما رجع وقيل لعثمان وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير قيل نعم قال أما والله انه لخيرهم ما علمت وان كان لاحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أما والله انكم لتعلمون انه

شهركم ثلاثا وكان له ألف عبد يؤدون له الخراج فى كل يوم فيتصدق به فى مجلسه ولا يقوم بدرهم وخرج مع عائشة الى العراق فى طلب دم عثمان فحضر يوم الجمل وذكره على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يازبير أما والله لتقاتلنه أى عليا وانت ظالم له فقال بلى والله

لاسيما لاهل المروأة والكمال بخلاف الولد فالاولى تأديبه والفرق ان ضربه لمصلحة تعود عليه بخلاف ضربهما فانه لحظ النفس غالبا وأبلغ مما هنا اخبار أنس بانه لم يعاتبه قط * قال المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبي نا فضيل بن عياض) من أشياخ الشافعي مناقبه شهيرة (عن منصور عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت ما رأيت) اى علمت فانه أبلغ من أبصرت (رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا) اى منتقما (من مظلمة) المعتمد انها بكسر اللام اسم لما تطلبه من الظالم و بفتحها مصدر ظلمه يظلمه وقيل هى بالوجهين مصدر فالضمير المنصوب فى قوله (ظلمها) على الاول مفعول به وعلى الثانى مفعول مطلق كما فى ابن حجر (قط) اى فى وقت من الاوقات الماضية لان ايذاءه صلى الله عليه وسلم بأمر دنيوى اوجسمى وان كان اثما عظيما كايذاء لبيد بن الاعصم الذى سحره واليهودية التى سمته والاعرابى الذى جذبه بردائه حتى أثر حاشية الرداء فى رقبته وغير ذلك لكنه حق آدمى فيسقط بعفوه بخلاف ما يرجع لتعظيمه بان يكون القصد اذايته من حيث وصفه بالنبوة فانه لايتركه لانه حق الله تعالى ولذا ليس للقاضى ان يعفو عن أدب من تعرض لمنصبه باذاية بخلاف من تعرض لذاته فما يرجع لتعظيمه صلى الله عليه وسلم هو من محارم الله تعالى المندرجة تحت قولها (مالم ينتهك) أى يتناول (من محارم الله شىء) جمع محرم أى مما حرمه الله على عباده ومن ذلك حق المخلوق اذالم يعف فحرم مصدر ميمى بمعنى المفعول (فاذا انتهك من محارم الله تعالى شىء كان من أشدهم) لا ينافى كونه أشدهم كما سبق نظيره (فى ذلك غضبا) حتى ينتقم ممن ارتكب ذلك ومن ذلك قوله لما شجه الكفار اللهم اهد قومى وقوله حين شغلوه عن الصلاة ملأ الله قلوبهم و بيوتهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة فى وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة فى وجه دينه المنيف قال ابن حجر فان قيل ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم كفر وهو حق الله تعالى فكيف يسقط بعفوه أجيب بأن الايذاء مطلقا ليس بكفر لان ايذاءه قد يصدر من مسلم جاف وهذا نوع عذر فلم يكفره وأما تجاوزه عن المنافقين فلئلا ينفر الناس عنه وقد قيل له ألا تقتلهم فقال لا يتحدث الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه واما المعاهد فمصلحة تألفه اقتضت عدم مؤاخذته بجريرته وأما الحربى فهو غير ملتزم للاحكام اه وأما عفوه صلى الله عليه وسلم عن قائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وان كان فيها غضاضة على الدين فقد يكون عفوه عنه كما فى الابى لانه لم يقصد الطعن عليه بالميل عن الحق بل اعتقد أنه من مصالح الدنيا التى يصح منه فيها الصواب وضده أولانه كان استئلافا مثله فى الاسلام كما استألفهم بماله ومال الله تعالى رغبة فى اسلامهم أولانه تثبيت لقومه اه قال ابن حجر وفيه الحث على العفو والحلم واحتمال الاذى والانتصار لدين الله تعالى وانه يسن لكل ذى ولاية التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى * قال عياض فيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الصبر والحلم وما كان عليه من القيام بالحق والصلابة فى الدين وهذا هو الخلق الحسن المحمود لانه لو ترك القيام فى حق الله تعالى و فى حق غيره كان ذلك مهانة وضعفا ولو انتقم لنفسه لم يكن ثم صبر وكان هذا الخلق بطشا فانتفى عنه الطرفان المذمومان و بقى الوسط وخير الامور أوسطها (وماخير بين أمرين) أى فيما يرجع اليه او يرجع الى غيره (الا اختار أيسرهما مالم يكن مأثما) رواية البخارى مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه * قال عياض ان كان التخيير من الله تعالى فالاستثناء منقطع لان الله تعالى لا يخير فى اثم وكذلك من الامة وان كان من المنافقين فالاستثناء على وجهه اه قلت و يحتمل ان يكون مالم يكن اثما مالم يفض الى النقص والقصور لا حقيقة الذنب للعصمة وذلك كالتخيير بين فتح كنوز الارض عليه والكفاف فاختار الكفاف وان كانت السعة أسهل خوف الاشتغال

لقد نسيته ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك ثم أدبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما بالك فذكر له القصة فقال لم تجىء للقتال بل لتصلح بين الناس فابى و فى رواية انه قال له جبنا جبنا فقال لقد علم الناس انى لست بجبان ولكن ذكرنى حديثا فحلفت أن لا أقاتله و فى رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب على أفيكم عمار بن ياسر قال نعم فأغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية ولا مانع من كون الامرين سببا لرجوعه ولما وصل وادى السباع قتله عمرو بن جرموز التيمى فى جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقال فيه حسان رضى الله تعالى عنه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطى و يجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر مادام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

* تنبيه * كان السيد الزبير من أكثر الصحابة مالا وذكر البخارى فى باب بركة الغازى انه لم يترك دينارا ولا درهما الا أرضين منها الغابة واحد عشر دارا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر وترك عليه ديونا من اجل أن الرجل

كان يأتيه بالمال يستودعه اياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فانى أخشى عليه الضيعة فاجمع فى الدين الذى عليه ألفا ألف ومائتا ألف أى المعـود الدرهم الشرعى فهو مائتا قنطار وعشرون قنطارا بالحساب العرفى ثم

قال البخارى فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه قال فجعل كل سنة ينادى بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال وكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتى ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف اه بلفظ البخارى لكن قوله فأصاب كل امرأة الخ يقتضى أن الثمن كان أربعة آلاف الف وثمانمائة الف اى أربعمائة قنطار يضرب فى ثمانية يخرج الثلثان ثمانية وثلاثون الف الف وأربعمائة الف أى ثمان وثلاثون مائة قنطار وأربعون قنطارا والثلث تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف اى تسع عشرة مائة قنطار وعشرون قنطارا فجملة المقسوم بين أهل الوصية والميراث سبعة وخمسون ألف الف وستمائة الف اى سبع وخمسون مائة قنطار وستون قنطارا يضاف له الدين وهو مائتا قنطار وعشرون قنطارا فجميع ما خلفه السيد الزبير على هذا تسعة وخمسون الف الف وثمانمائة الف وأين هذا من قول البخارى فجميع ماله الخ فهو يخالف قوله فاصاب كل امرأة الخ واجيب عنه بأجوبة احسنها أن قوله فجميع ماله الخ هو حساب ما قوم به السيد عبد الله الارضين

الاشتغال عن كمال التفرغ للعبادة قال ابن حجر التخيير اما أن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الاخف أو فى قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها أو فى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد واما بان يخيره المنافقون أو الكفار قال فى جمع الوسائل بقى تخيير آخر من الله فى حق أمته بين وجوب الشيء وندبه أو حرمته واباحته وتخيير من المسلمين له فى أمرين فيختار الايسر على نفسه أو عليهم اه قلت بقى تخيير من الله له بين الانتقام والعفو ومنه قول الملك ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين قال ابن عبد البر وفيه انه ينبغى ترك ما عسر من أمور الدنيا والآخرة وترك الالحاح فى الامر اذا لم يضطر اليه والميل الى الايسر أبدا وفى معناه الاخذ برخص الله تعالى ورسوله ورخص العلماء ما لم يكن ذلك القول خطأ بينا ولم يتتبع ذلك بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه اه * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة قالت استأذن رجل) هو كما قال النووى وغيره عيينة بن حصن الفزارى وكان يقال له الاحمق المطاع وفى رواية انه مخرمة قال ابن حجر ولا يبعد أنهما قضيتان (على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة) اى القبيلة (أو أخو العشيرة) فى رواية للبخارى بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة من غير شك وانما قال صلى الله عليه وسلم فيه هذا القول تعريفا بحاله لمن هو جاهل بها وليتزل منزلته لانه عليه السلام فى مقام التعليم فهو تحذير من مخالطته وافشاء السر اليه لانه كان متزلزل الايمان مضمر النفاق وقد ظهر مصداق ذلك فانه كما فى فتح البارى ارتد فى مدة أبى بكر وحارب ثم رجع الى الاسلام وحضر بعض الفتوح فى عصر عمر رضى الله عنه ولما جيء به الى ابى بكر أسيرا كان الصبيان يقولون فى أزقة المدينة هذا هو الذى خرج من الدين فيقول عمكم لم يدخل حتى خرج فكان ذلك القول من المصطفى صلى الله عليه وسلم علما من أعلام نبوته ومعجزة له لاخباره بغيب وقع واذا كان كذلك فايراد أن هذا من الغيبة مدفوع اذ غيبة الفاسق المعلن فضلا عن الكافر ليس بأمر ممنوع (ثم أذن له) اى فى الدخول (فألان له القول) اى بعد دخوله وفى رواية البخارى تلطف فى وجهه وانبسط اليه (فلما خرج قلت يا رسول الله قلت ما قلت) أى فى غيبته (ثم ألنت له القول) اى عند معاينته (فقال يا عائشة ان شر الناس) وفى نسخة ان من شر الناس (من تركه الناس أو ودعه الناس) شك من سفيان (اتقاء فحشه) فى رواية للبخارى متى عهدتنى فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره فبين صلى الله عليه وسلم انه انما ألان له القول تأليفا له واتقاء لفحشه لانه كان رئيس قومه فلو لم يلن له القول لافسد حال عشيرته وزين لهم العصيان وحثهم على عدم الايمان وقد كان المصطفى يتألفهم ببذل الاموال العظيمة فضلا عن طلاقة الوجه كل ذلك شفقة على الخلق وتكثير اللامة كيف لا وهو نبى الرحمة وأيضا فانه لم يمدحه بالقول وانما تلطف له فلا منافاة كما قاله القرطبى ففيه تعليم للاخيار كيف يتخلصون من شر الاشرار وان مداراة من يتقى شره من أخلاق المؤمنين ولله در القائل

مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما انت فى دار المداراة

والقائل

ودارهم مادمت فى دارهم * وأرضهم مادمت فى أرضهم

ووجد بخط القلشانى شارح الرسالة

خبرت الرجال ومازجتهم * فكل يميل الى شهوته

فلله در فتى عاقل * يدير الامور على فطنته

يجازى الصديق باحسانه * ويبقى العدو الى مدته

والدور بقرب وفاة والده ثم بعد مضى الاربعة الاعوام المذكورة نما الاصل المذكور بارتفاع الاسواق ونحوه وبالغلة فزاد على ماقوم به
أولا تسعة آلاف ألف وستمائة ألف اى تسعمائة قنطار وستون قنطارا فوقع القسم على ما آل اليه حال العقار والتى

ويلبس للدهــــر أثوابه * ويرقص للقرد فى دولته

والمداراة هى الرفق بالناس فى مخالطتهم وسوقهم الى الحق بلطف فهى بذل شىء من الدنيا لاجل التوصل الى حق بخلاف المداهنة فانها معاشرة الفاسق مع اظهار الرضا بما هو عليه فهى بذل الدين لصلاح الدنيا ﴿تنبيه﴾ ما تقدم فى تفسير هذا الحديث هو الاقرب قال المناوى و يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علل بقوله ان من الناس الخ مداراته لعموم الناس هذا وغيره وانه ليس فحاشا بل شأنه اكرام الناس واحسان العشرة وتحمل الاذاية لما يترتب على ذلك من جموع الفوائد وعموم العوائد اه أى فيكون المعنى انما ألنت له القول لانى لو فلت له فى حضوره ماقلت له فى غيبته لتركنى اتقاء فحشى فاكون من شر الناس وهذا الاحتمال جعله فى جمع الوسائل خطأ فانظره مع ان فى رواية البخارى المتقدمة متى عهدتنى فحاشا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا) أى لا يأتى بصريح الرد فلاينافى قول على رضى الله عنه فيما سبق من سأله حاجة لم يرده الابها أو بميسور من القول اى كان يدعو له أو يعده فكان صلى الله عليه وسلم ان وجد جاد والا وعد ولا يخلف الميعاد وانما صرح صلى الله عليه وسلم للاشعريين بالرد تأديبا لهم على تعنتهم بسؤالهم ماليس عنده مع تحققهم ذلك ومن ثم حلف فقال والله لا أحملكم حسما لطمعهم فى تكليفه نحوا ستدانة مع عدم الاضطرار لذلك انظر العسقلانى واعلم أن قضاياه صلى الله عليه وسلم فى الكرم والسخاء كثيرة يأتى فى الباب بعضها وقد أعطى صفوان بن أميــة غنما ملأت واديا بين جبلين فقال أرى محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وردعلى هوازن سباياهم وكانت ستة آلاف قومت بخمسمائة ألف ألف وأعطى العباس من الذهب مالا يطيق حمله وحملت اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فمارد سائلا حتى فرغ منها قال ابن المبارك صدرت عنه صلى الله عليه وسلم نفائس فى السخاء لم يسمع بمثلها المشهور بالكرم قط وذلك لان مصدر كرمه عن الوثوق بالله والغنى بملكه والانفاق على الكون لوقته من خزائنه تعالى التى لا نفاد لها ومن كان هكذا فلا نهاية لجوده وقال بعض المحققين لم يكمل وصف الايثار الا فى سيد الاكوان فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو يقول أمتى امتى فكرمه صلى الله عليه وسلم خارق للعادة فى الدنيا والآخرة وحسبك من جاد على الكون كله بالسعادة الابدية و بذل المجهود فى تحصيل النعيم المقيم وهداية سائر الخلق من انس وجان وصديق وعدو وقريب و بعيد بالمال والعلوم والاحوال والاخلاق والمقامات و بنفسه حتى قال تعالى لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ويرحم الله القائل

يا أجود الاجودين يامن له * بين النبيين المقام الاغــر
الجود بيت أنت مالكه * مفتاحه فى الكف منك استقر
فجد بما أرجوه يابغيتى * فان كل الجود منك ظهر

و يأتى فى قول ابن عباس كان أجود الناس شىء من هذا * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا يونس ابن بكير عن محمد بن اسحق عن زياد بن ابى زياد عن محمد بن كعب القرظى) نسبة الى قريظة مصغرا قبيلة معروفة من يهود المدينة (عن عمرو بن العاصى) الجمهور على كتابته بالياء وحذفها لغة كما قرئ به فى السبع فى الكبير المتعال قاله ابن حجر قال فى جمع الوسائل وهو مبنى على أن العاصى اسم فاعل من المعتل اللام وليس كذلك بل هو الاجوف على ماحققه صاحب القاموس حيث قال والاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وأبو الاعيص (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

التقويم الاول من الاعتبار والله اعلم وقوله أبى القرم بفتح القاف اى السيد الكريم عبد الله بن الزبير الذى أنجبت به أى ولدته نجيبا وأتت به فى غاية النجابة أى الذكاء والفضل وفى القاموس النجيب الكريم الحسيب وقد نجب ككرم نجابة ورجل منجب وامرأة منجبة ومنجاب ولد النجباء وأسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم ولدته بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد به فرح المهاجرين لان اليهود توعدوهم انهم عملوا لهم ما أبطل نسلهم فلا يولد لهم ولما احتجم النبى صلى الله عليه وسلم أعطاه دمه وقال له غيبه فى موضع لا يراك فيه أحد فلما رجع قال مافعلت بالدم قال شربته قال اذا لاتلج النار بطنك و يل لك من الناس و يل للناس منك قتل عند الكعبة محصورا فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين حاصره الحجاج حتى قتله وكان ابن الزبير صواما يواصل الخمسة عشر يوما أطلس العبادلة لا لحية له وهو أحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاصى وليس منهم عبد الله بن مسعود لانه أكبر منهم سنا وليس فى طبقتهم

يقبل

يقبل بوجهه وحديثه على أشر) بالالف لغة قليلة والاكثر بدونها (القوم يتألفه بذلك) اى بما ذكر من الاقبال والحديث ليزداد رغبة في الاسلام وفيه اشارة الى أن المؤمن الضعيف احوج الى الارشاد والهداية من غيره فالشفقة عليه اكثر ولهذا يكون توجه المشايخ الى المريد المبتدئ اكثر من توجههم الى المنتهى ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكبه الله في النار وقوله انى أعطي قوما أخاف ظلعهم وجزعهم وأكل قوما الى ماجعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب الظلع الميل والانحراف (فكان يقبل بوجهه وحديثه على) لانه كان حديث عهد بالاسلام ومن رؤساء قومه اسلم هو وخالد بن الوليد قرب الفتح (حتى ظننت أنى خير القوم) مقتضى تفريعه على ماقبله ان يقال حتى ظننت انى شر القوم قال ابن حجر ويجاب بأنه رضي الله عنه حكى أولا شيمته صلى الله عليه وسلم باعتبار ما في باطن الامر لما عرفها في ثاني حال وقال حتى ظننت أني خير القوم باعتبار ماظنه لجهله بها أولا فالتفريع بالاعتبار الاول والظن بالاعتبار الثاني (فقلت يارسول الله أنا خير أو أبو بكر فقال ابو بكر فقلت يارسول الله انا خير أو عمر فقال عمر فقلت يارسول الله انا خير أو عثمان فقال عثمان فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقني) بتخفيف الدال اى أخبرني بالصدق وهو جواب لما على القول بجواز اقتران جوابها بالفاء وعلى مقابله فالجواب محذوف اى ندمت وفي بعض النسخ صدقني بدون فاء فيتعين أن يكون جوابا خلافا فالقول ابن حجران الجملة حينئذ حالية بتقدير قد واما نسخة فصدّقني بتشديد الدال فلا يظهر لها معنى صحيح خلافا لابن حجر لانه صلى الله عليه وسلم لم يصدقه في ظنه بل كذبه وخطأه واما قوله (فلوددت) أي تمنيت وأحببت فهو عطف على الجواب المذكور أو المقدر (أني لم أكن سألته) أي حياء لما ظهر من خطأ ظنه أو من الشر الموجب لكثرة اقباله والحامل لعمر وعلى ذلك بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من عظم التألف لتقتدى به أمته في ذلك وارشادا للسائل الى انه لا ينبغي ان يسأل عن شيء الا بعد تحقق امره والا بان خطؤه وظهرت فضيحته وكان عمرو بن العاصي من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكور بذلك فيهم وكان حسن الشعر ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشي

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وهو أحد الدهاة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا استضعف رجلا في عقله يقول أشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد يريد خالق الاضداد ولما قدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة مسلمين ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر اليهم وقال قد رمتكم مكة بافلاذ كبدها وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان وعمل لعمر وعثمان وهو الذي فتح مصر في زمان عمر فقاتل المقاتلة وسبى الذرية وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أسلم الناس وآمن عمرو بن العاصي وقال اللهم صل على عمرو بن العاصي فانه يحب الله ورسوله وقال يقدم عليكم الليلة رجل حكيم مهاجر فقدم عمرو بن العاصي رواه ابن عساكر * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلي قال نى رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي قال قال الحسين بن علي سألت أبي عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في جلسائه) أي في حق مجالسه من أصحابه (فقال) اى علي (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر) بالكسر طلاقة الوجه وبشاشته وفي قوله كان دائم البشر اشعار بان حسن خلقه كان عاما ولم يكن خاصا بجلسائه وتقدم في باب الضحك انه لا منافاة بين قوله هنا دائم البشر

لكثرة ماقام بهما منه ولو قال توأما الفضل لكان أوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا في الفضائل الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد انتهى والظاهر ان مراد الناظم ان الفضل نفسه توأم سعد وسعيد كان كل واحد منهما ولد مع الفضل في بطن واحد أما سعد فهو أبو اسحق سعد ابن أبي وقاص مالك القرشي الزهري وهو أحد الثمانية السابقين الى الاسلام بل وردعنه انه كان ثلث الاسلام واحد العشرة المشهود لهم بالجنة والستة أصحاب الشورى وأحد الشجعان المشهورين وأول من رمى بسهم في سبيل الله تعالى وكان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم أحد الف سهم وولاه عمر العراق فكان الامير في فتح مدائن كسرى وغيره ومن كراماته انه قطع البحر بجيوشه على ظهور الخيل لم يبلغ الماء الى حزمها والناس في غاية الطمأنينة كانهم سائرون في البر وكان الذي يسايره سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما وولاه عثمان أيضا رضي الله تعالى عنه ولاية جليلة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يناوله النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي وأقبل والنبي جالس مع اصحابه فقال هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله وقال اجلس ياخالي فان الخال والد ودعا له فقال اللهم سدد رميته وأجب دعوته

وفي رواية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك وقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو مريض بمكة في حجة الوداع لعل الله تعالى يرفعك حتى ينتفع بك اقوام ويضر بك آخرون واعتزل الفتن بعد عثمان فلم يحضر في شيء من تلك الحروب توفي بالعقيق على عشرة اميال من المدينة وحمل اليها وصلى عليه مروان وهو والي المدينة وصلت عليه أمهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان اوصى ان يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر قال انما كنت أخبؤها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وفي مسلم ان آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي نزلت في ستة منهم سعد وابن مسعود انتهى وأما سعيد فهو بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي احد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها الا بدرا ولكنه ضرب له النبي باجر من شهدها وأسهمه واخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند مروان انه اخذ لها قطعة من ارض فقال ما كنت لافعل بعد اذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه من سبع ارضين فقال مروان لا أسألك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها فذهب بصرها فبينا هي تمشي في أرضها وقعت في حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت أصابتني دعوة سعيد وفي رواية انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها الذي ادعته ودعا عليها توفي في سنة خمسين عن (وما

وقول هند متواصل الاحزان فانظره هنالك (سهل الخلق) اما ضد صعوبته بمعنى ان خلقه الحسن ينقاد له في كل شيء أراده واما ضد خشونته بمعنى انه لا يصدر عن خلقه ما يكون سببا لاذى بغير حق (لين الجانب) أي سريع العطف جميل الصفح أو هو قليل الخلاف او هو كناية عن السكون والوقار والخضوع والخشوع (ليس بفظ) أي سيء الخلق (ولا غليظ) اي جافي الطبع قاسي القلب قال العسقلاني هذا موافق لقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ولا ينافيه قوله تعالى واغلظ عليهم لان النفي بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة الى الكفار والمنافقين كما هو مصرح به في الآية أو النفي محمول على طبعه والامر محمول على المعالجة قال في جمع الوسائل قلت وفيه نكتة لطيفة وهي ان صفة الجمال من الرحمة واللين كانت غالبة عليه حتى احتاج لمعالجة الامر (ولا صخاب ولا فحاش) سبق الكلام على الصخب والفحش وان المراد نفي أصل الفعل (ولا عياب) أي لا يعيب شيأ فالمراد أيضا نفي أصل الفعل وفي الصحيحين ما عاب طعاما قط ان اشتهى أكل والا ترك وتقدم وجه ذلك في حديث هند لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ومن المعلوم أن هذا في المباح وأما الحرام فكان يعيبه ويذمه وأخذ العلماء من هذا ان من آداب الطعام ان لا يعاب قال النووي كمالح حامض قليل الملح غير ناضج ومن التمثيل بهذا يعلم أن لا فرق بين عيبه من جهة الخلقة ومن جهة الصنعة وللفرق وجه وهو كسر قلب الصانع اللهم الا ان قصد تأديبه بذلك فلا بأس وعليه يحمل قول بعضهم انما يكره ذمه من جهة الخلقة لا من جهة الصنعة لان صنعة الله لا تعاب وصنعة الآدميين تعاب قاله ابن حجر ونقله في جمع الوسائل وسلمه (ولا مداح) وفي نسخة ولا مزاح قال ابن حجر والمراد نفي المبالغة في هذين لا نفي أصلهما لوقوعهما منه صلى الله عليه وسلم أحيانا وفي نسخة ولا مشاح بضم الميم وتشديد الحاء المهملة والظاهر انه من المشاحة أي ليس بمجادل ولا مناقش ومنه قولهم لا مشاحة في الاصطلاح وجعله ابن حجر من الشح (يتغافل عما لا يشتهي) أي يظهر الغفلة والاعراض عما لا يستحسنه من القول والفعل (ولا يؤيس منه) بضم ياء وسكون همز فياء مكسورة أي لا يجعل غيره آيسا مما لا يشتهي وفي نسخة يؤيس بضم ياء فسكون واو فهمزة مكسورة أي لا يجعل غيره يائسا مما لا يشتهي فالاول من الايأس والثاني من اليأس والمعنى واحد ويحتمل أن يكون ضميرمنه راجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا يجعل راجيه آيسا من بره وخيره وكرمه (ولا يجيبه) من الاجابة أي ولا يجيبه اليه لانه المشرع الاعظم فلا يفعل الا ما يقتدى به فيه بل يسكت عنه عفوا وكرما وفي نسخة ولا يخيب فيه بالتشديد من التخييب أي لا يجعله محروما بالكلية أو بالتخفيف من الخيبة بمعنى الحرمان والظاهر أنه سهو لان الخيبة مصدر اللازم ولا يظهر معناه في هذا المقام (قد ترك نفسه) أي منعها (من ثلاث المراء) أي الجدال مطلقا فان العموم أبلغ في المدح لحديث من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في رياض الجنة خلافا لمن قصره على المراء بغير حق * وأما قوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن فالضمير المنصوب للكفار أي جادل معانديهم بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر وقيل بين المراء والجدال فرق قال بعض شراح الرسالة الجدال هو دفع الحق بالباطل والمراء هو قصد الظهور في المناظرة بحق كان أو بباطل اه وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه ما جادلت أحدا او قصدت افحامه وانما أذاكره لاظهار الحق من حيث هو حق وقال أيضا ما ناظرت أحدا الا أريد ان يظهر الحق من عنده اه وفي نسخة الرياء بدل المراء (والاكبار) بالباء الموحدة أي استعظام نفسه في جلوسه ومشيه ومعاشرته مع الناس من أكبره اذا استعظمه ومنه قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وفي بعض النسخ والاكثار بالمثلثة اي من الكلام او من الدنيا زيادة على ما يحتاجه

(ومالا يعنيه) أى مالا يهمه فى دينه أودنياه وفى الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه أى مالا تدعو الضرورة والحاجة اليه وهو الفضول ويعم الاقوال والافعال والعوارض القلبية قاله الشيخ زروق (وترك الناس) أى ذكرهم (من ثلاث) أولها قوله (كان لا يذم أحدا ولا يعيبه) يحتمل أن يفرق بينهما بان الذم انما يكون بالامور الاختيارية بخلاف العيب فانه قد يكون بالامور الخلقية كالطول والقصر والسواد وأمثال ذلك أو بأن الاول يكون فى المواجهة والثانى فى الغيبة واما احتمال انهما بمعنى فبعيد لان الافادة خير من الاعادة ثانيها قوله (ولا يطلب عورته) اى لا يتجسس عن اموره الباطنة التى يخفيها ولا يعارضه يسأل الناس عما فى الناس لان ذلك فى الامور الظاهرة التى تناط بها الاحكام الشرعية والمصالح البشرية قاله المناوى وغيره وقال فى جمع الوسائل المعنى لا يظهر ما يريد الشخص ستره ويخفيه الناس عن الغير ثالثها قوله (ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه) قال فى جمع الوسائل القصد بهذه الثلاث رعاية أحوالهم كما ان القصد بالثلاث الاول مراعاة حاله والا فقد يندرج بعضها فى بعض (واذا تكلم أطرق جلساؤه) أى خفضوا أبصارهم وسكتوا وسكنوا لما ألبسه الله سبحانه من العز والمهابة والعظمة التى ليست من تلقاء نفسه ولا صنع له فيها أو لكمال ميلهم لاستماع كلامه وارتياح أرواحهم لحديثه وقد فسر فى الصحاح الاطراق بالوجهين الا انه صدر بالوجه الثانى وهو أنسب فى هذا المقام والله اعلم (كأنما على رؤسهم الطير) مبالغة فى وصفهم بالسكوت والسكون لان الطير لا يقع الا على ساكت ساكن قال الجوهرى أصله ان الغراب اذا وقع على رأس البعير ليلتقط منه القراد لم يحرك البعير رأسه لئلا ينفر عنه الغراب لما يجد فيه من الراحة اهـ فشبه حال جلسائه عليه السلام بحال ذلك البعير لكمال ميلهم وتلذذهم باستماع كلامه وقال بعضهم أصل ذلك ان سليمان عليه السلام كان اذا أمر الطير ان يظلل على اصحابه غضوا أبصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة منه فان أدب الظاهر عنوان الباطن فقيل للقوم اذا سكتوا مهابة كأنما على رؤسهم الطير (فاذا سكت تكلموا) ولا يتكلمون فى أثناء حديثه كما هو مقتضى الادب وكذلك لا يتكلمون أثناء حديث غيره كما اشار اليه بقوله (لا يتنازعون عنده الحديث) وفسره بقوله (من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ) فيه ما كانوا عليه من عظيم أدبهم فى حضرته وخضوعهم بين يديه واجلالهم له وهيبته عندهم وتوقيرهم له لشهودهم على شأنه وكمال مرتبته وتخلقهم باخلاقه صلى الله عليه وسلم واعلم انه يطلب من الادب عند سماع حديثه صلى الله عليه وسلم ما يطلب من الادب معه فى حياته لان حرمته ميتا كحرمته حيا ورفع الصوت على حديثه كرفعه عليه وقد ورد عن السلف فى هذا المعنى شىء كثير قال مطرف كان اذا أتى الناس مالكا رضى الله عنه خرجت اليهم الجارية فتقول يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبى أويس فقيل لمالك فى ذلك فقال احب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به الا على طهارة متمكنا اهـ (حديثهم عنده حديث أولهم) اى كحديث اولهم فى الاصغاء اليه وعدم الملل منه اذ العادة جارية بالملل اذا كثر المقال أو حديث أسبقهم فى الكلام أو حديث أفضلهم اذ كان لا يتقدم غالبا بالكلام بين يديه الا أكابر اصحابه وفى نسخة حديث أوليتهم اى جاهليتهم ليتذكروا بذلك نعمة الله عليهم (يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه) تأنيسا لهم وجبرا

(وابن عوف من هونت بسه الدنيا ببذل يده اثراء) اى وأقسم عليك بعبد الرحمن بن عوف ابن الحرث القرشى الزهرى احد الثمانية السابقين الى الاسلام والعشرة المشهود لهم بالجنة والخمسة الذين اسلموا على يد ابى بكر شهد المشاهد كلها وثبت مع النبى يوم أحد وبعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بنى كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله تعالى عليك فتزوج ابنة ملكهم اوشريفهم ففتح عليه وتزوج ابنة شريفهم الاصبغ فولدت له باسامة وصلى النبى معه الركعة الاخيرة من صلاة الصبح ولما أتم النبى مافاته خلفه قال ماقبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته ولم يصل النبى صلى الله عليه وسلم خلف احد سواه وأبو بكر وجبريل صلى به الخمس مرتين فى يومين بعد الاسراء عند الكعبة وكان كثير الانفاق أعتق فى يوم واحد أحدا وثلاثين عبدا وجاء انه اعتق ثلاثين الفا وفى رواية انه امين فى السماء وامين فى الارض وكان كثير المال محظوظا فى التجارة وقال لام سلمة خفت ان يهلكنى كثرة مالى فقالت يابنى أنفق قال الزهرى تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة آلاف دينار ثم اربعين الف دينار ثم بمثلها ثم بخمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة وفى رواية الف وخمسمائة راحلة وأوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت باربعمائة الف واوصى بخمسين الف دينار فى سبيل الله ولكل واحد ممن بقى من ... بضع وسبعين سنة ودفن بالبقيع

لقلو بهم و رفقا بهم اذلولا تنزله صلى الله عليه وسلم معهم لم يقدر واعلى التلقى منه لما كساه الله تعالى من الجلالة والمهابة وقدسبق ذلك فى قوله من رآه بديهة هابه (و يصبر للغريب على الجفوة) اى الغلظة وسوء الادب (فى منطقه ومسألته) لعلمه صلى الله عليه وسلم بان مايصدر من الغريب لا يكون من أجل الاستخفاف بجانبه صلى الله عليه وسلم بل من جفاء الطبع (حتى ان) مخففة من الثقيلة (كان اصحابه ليستجلبونهم) ذكروا فيه احتمالات منها ان المرادجذبهم عن مجلسه ومنعهم من الجفاء وترك الادب ومنها وهو أظهر ان المراد مجيئهم بالغرباء الى مجلسه ليستفيدوا من أسئلتهم ومبالغتهم فى السؤال مالا يقدرون عليه بأنفسهم مهابة له (و يقول) صلى الله عليه وسلم (اذارأيتم طالب حاجة) اى دينية أودنيوية (يطلبها فارفدوه) اى أعينوه بالعطاء والصلة والشفاعة ونحوذلك مما يوصله الى حاجته (ولا يقبل الثناء) اى المدح (الامن مكافئ) فيه أوجه منها ان المراد المكافأة فى الدين بان يكون المادح مسلما ظاهرا و باطنا لا كالمنافق ومنها ان المراد بالمكافئ المقتصد فى ثنائه اى المقارب فى مدحه بان لا يتجاوز به عن حد مثله وان لا يقصر به عما رفعه الله اليه من علومقامه يقال هو كفؤه أى مثله فالمراد مكافأة الواقع ومطابقته ومنها ان المراد أنه اذا أنعم على أحد نعمة فكافأه وأثنى عليه قبل ثناءه واذا ابتدأه بالثناء لم يقبل فالمكافئ حينئذ بمعنى المجازى قال ابن حجر وغلط قائله بان أحدا لا ينفك عن نعمته صلى الله عليه وسلم فالثناء عليه فرض عين اه قال فى جمع الوسائل ولا يخفى ان الكلام انما هو فى النعمة الصوريه لا فى النعمة المعنويه اه وكان المراد النعمة الدنيوية لا الدينية فانها عامة لا ينفك عنها أحد كما قال والله اعلم (ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز) بالجيم والزاى أى يتعدى الحق وفى نسخة حتى يجور بالراء من الجور (فيقطعه) بالرفع (بنهى) له عن ذلك الحديث (أوقيام) اى عن المجلس ففى هذا بيان حسن خلقه صلى الله عليه وسلم ورفقه ولطفه وحلمه وصبره وشفقته ورأفته ورحمته

*قال المصنف رضى الله تعالى عنه ونفعنا به (حدثنا عبدالله بن عمران أبوالقاسم القرشى المكى نا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة) اى ابن مسعود (عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس) سبق فى حديث جابر ان وجه ذلك ان مصدر كرمه عن الوثوق بالله والانفاق من خزائنه التى لا نفاد لها وقال ابن حجر سبب ذلك ان نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة ومن هو كذلك يكون فعله أحسن الافعال وخلقه احسن الاخلاق ومن هو كذلك يكون أجود الناس ولان جوده لم يقتصر على نوع بل كان يجمع أنواع الجود من بذل العلم والمال و بذل نفسه لله فى اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم و وعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم وكان جوده كله لله وفى ابتغاء مرضاته وكان يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك و يعيش فى نفسه عيش الفقراء فيمر عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه من الجوع وقد أتاه سبى فشكت اليه فاطمة رضى الله عنها ما تلقاه من الخدمة وطلبت منه خادما يكفيها ذلك فامرها ان تستعين بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وقد كسته امرأة بردة فلبسها محتاجا اليها فسأله بعض اصحابه فاعطاه اياها رواه البخارى اه وقد تقدم شىء من آثار سخائه صلى الله عليه وسلم فقوله (بالخير) شامل لجميع أنواع الجود كما تقدم وفيه اشارة الى انه كان يتكرم بأفضل ما يكون عنده لا بادناه لاقباله على مولاه واعراضه عما سواه واستغنائه عن الفانيات بالباقيات الصالحات ولان الانفاق عبادة مالية فكما يقدم الاهم فى الاعمال البدنية يقدمه فى العبادات المالية (وكان أجود) بالرفع فى أكثر الروايات على حد أخطب ما يكون الامير قائما (ما يكون فى شهر رمضان حتى ينسلخ)

أهل بدر بأربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فاخذ ما نابه وهو أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنهم و بالف فرس فى سبيل الله تعالى وكان
أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضى ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة فسمعت

عائشة أصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال أشهدك انها باحمالها وأقتابها وأحلاسها فى سبيل الله عزوجل و باع أرضا من عثمان باربعين ألف دينار فقسمها فى أقاربه بنى زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين و روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة إلا زحفا فاقرض الله عزوجل يطلق لك قدميك فقال ما الذى أقرضه فقال تتبرأ من كل مالك فهم بذلك فاتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية ماهو فيه لكن يعارض ذلك مارواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله تعالى أمر دنياك واما امر الآخرة فانا لها ضامن وسببه ان الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال من يصلنا بشىء فاتاه بصحفة فيها حيس و رغيفان بينهما اهالة وقد يجاب عن المعارضة بان الاحاديث التى فيها انه

يدخل الجنة حبوا نسخت ومحيت بكثرة صدقته وانفاقه فى سبيل الله حسبما يدل عليه حديث اتيان جبريل المتقدم ولما بمعنى
امتثل ما أمر به وظهر ذلك من فعله ضمن له النبى صلى الله عليه وسلم أمر آخرته توفى سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان عن خمس وسبعين

سنة وصلى عليه على والزبير لانه كان هجر عثمان لما أمر اقاربه فقال الناس لابن عوف هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال له انما وليتك لتسير
بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع اقاربه فى الله تعالى وانا أصلهم فى الله تعالى فنذر ان لا يكلمه أبدا وقوله من هونت من

يعنى انه كان دائم الجود وكان جوده فى رمضان يتضاعف على جوده فى غيره أى فينبغى للمؤمن أن يقتدى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك فيكون له فى هذا الشهر المبارك نصيب من كل نوع من أنواع الخير الصدقة والتلاوة والذكر وقيام الليل وقضاء الحوائج يتعرض بذلك لنفحات الرحمة الالهية ان لله تعالى فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها وذلك لانه موسم الخيرات ولان الله يتفضل على عباده فى ذلك الشهر مالا يتفضل عليهم فى غيره من الاوقات وكان صلى الله عليه وسلم متخلقا باخلاق ربه وكانت ارادته تابعة لارادة ربه ولما ذكره بقوله (فيأتيه جبريل) فان الفاء للتعليل اى سبب تضاعف جوده فى رمضان على سائر الازمان اتيان جبريل له كل ليلة من رمضان كما فى الصحيحين فى كتاب الصيام من صحيح البخارى وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه الخ وفى كتاب فضائل القرآن منه كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فى شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل الخ قال العسقلانى فى هذه الرواية بيان سبب الاجودية وهى أبين من رواية حين يلقاه اهـ قال ابن حجر وانما كان اتيانه سببا لذلك لانه رسول ربه اليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولانه أمين حضرته المتولى لقسمة مواهبه وعطيته ولانه بعرض القرآن يتجدد تخلقه باخلاق الرحمن (فيعرض عليه القرآن) المتبادر ان ضمير يعرض لجبريل وضمير عليه للرسول ويؤيده ما عند الاسماعيلى من طريق اسرائيل عن أبى حصين كان جبريل يعرض على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فى كل رمضان ويحتمل العكس وهو المصرح به فى روايتى البخارى المتقدمتين ولما ترجم بباب كان جبريل يعرض القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ذكر حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل قال العسقلانى كأن البخارى أشار بالترجمة الى رواية الاسماعيلى وفيه اشارة الى أن كلا منهما كان يعرض على الآخر ويؤيده ما وقع عند البخارى أيضا بلفظ فيدارسه القرآن وفى حديث فاطمة قالت أسرّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن اذ المدارسة والمعارضة مفاعلة من الجانبين فأفاد أن كلا منهما تارة يقرأ ويسمع الآخر وتارة العكس ثم المراد عرض ما كان نزل من القرآن لا القرآن كله لانه لم يكن كاملا فى رمضان وانما كمل بعد ذلك والاتفاق على أن قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم انما نزل بعرفة يوم عرفة وهل المراد أنه كان يعرض عليه صلى الله عليه وسلم كل ليلة جزأ من القرآن وانه كان يقسمه على عدد ليالى رمضان أو المراد انه كان يقرأ كل ليلة جميع ما نزل منه لكنه كان يقرؤه فى ليلة بحرف وفى أخرى بحرف آخر يحتمل وقد اختلف فى العرضة الاخرة هل كانت بجميع الاحرف المأذون فى قراءتها او بحرف واحد منها وعلى الثانى هل هو الحرف الذى جمع عليه عثمان الناس اوغيره انظر جمع الوسائل وفائدة هذه المدارسة مع ان الله تعالى يقول ان علينا جمعه وقرآنه ما كان يتجدد له عليه السلام بذلك العرض من البركات والخيرات والامدادات الالهية والنفحات الربانية ولهذا قال (فاذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) أى بالمطر شبه نشر جوده الخير فى العباد بنشر الريح القطر فى البلاد وشتان ما بين الاثرين فاحدهما يحيى القلب بعد موته والآخر يحيى الارض بعد موتها قاله الكرمانى وأيضا فريح المطر وان كانت تعم وتصيب كل ما تمر عليه كما أن جوده صلى الله عليه وسلم لا يختص به أحد عن احد لكنها تهب وتسكن وجود النبى دائم مستمر ولهذا كان أجود بالخير من الريح المرسلة ويحتمل أن يكون المراد بالمرسلة المطلقة بمعنى أنه فى الاسراع بالجود أسرع منها وفى الكلام ترق لانه فضل

موصولة نعت أى الذى هونت نفسه الدنيا أهانتها ولم تحتفل بها وأرخصت أموالها النفيسة فانفقتها فى سبيل الله ببذل اى اعطاء كثير مستدام طلبا لرضا الله تعالى فى مواضعه ومن يستحقه يمده أى يبسطه ويزيده اثراء أى كثرة مال أكثره من التجارة وكان محظوظا فيها بحيث لو أمسك التراب صار ذهبا وترك منه ما جاء ربع ثمنه ثمانين ألف دينار قال ابن حجر عند قوله اغنياء نزاهة الخ وهذا لا ينافى انه كان ينفقه فى سبيل الله اذ ليس المطلوب الانفاق دفعة بل هو على حسب الاحتياج وتخلفه عن الفقراء فى دخول الجنة اما لكونه يقف يشفع أو يسأل سؤال تكريم عما انعم به عليه أو جبرا لخاطر الفقراء بذلك اهـ

(والمكنى أباعبيدة اذيع زى اليه الامانة الامناء) هو بفتح النون اسم مفعول من الكنية أى وأقسم عليك بالمكنى أباعبيدة وهو عامر بن الجراح القرشى الفهرى احد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الخمسة الذين اسلموا فى يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحرث وعبد الرحمن بن عوف وابوسلمة عبد الله بن عبد الاسد واحد الرجلين اللذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثانى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم شهد المشاهد كلها وثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم

يوم أحد ونزع يومئذ بأسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي النبي صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثناياه لأنه تحامل عليهما خوفا من إيلامه
صلى الله عليه وسلم فكان من أحسن الناس هتما والهتم بالمثناة الفوقية القاء مقدم الأسنان ولاه أبو بكر على الشام ثم أمر خالدا

أولا جوده على جود جميع أفراد الانسان وثانيا جوده في رمضان على جوده في سائر الأزمان وثالثا عند لقاء جبريل ومعارضة القرآن فانه حينئذ كان أجود من كل ما يتصور في الأذهان وما ذلك الا لاتيان أفضل ملائكة الرحمن الى أفضل الخلق بأفضل كلام من أفضل متكلم في أفضل زمان وفيه ان صحبة الصالحين مؤثرة في دين الرجل وعلمه وسبب في عمارة قلبه قال يحيى بن معاذ ولي الله ريحان في الأرض فاذا شمه المريدون وصلت رائحته الى قلوبهم فتشتاق بهم الى ربهم ولهذا احض العلماء على صحبة مشايخ الطريق رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم حتى قال أبو علي الثقفي رضي الله عنه لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات اهـ وقد قالوا من أحسن علاج النفس صحبة مجتهد في العبادة قال بعضهم كنت اذا اعترتني فترة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده وقد كان امامنا مالك رضي الله عنه يأتي محمد بن المنكدر وكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكان الامام الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب قال في الاحياء الا ان هذا قد تعذر فينبغي أن يرجع الى سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا عليه من الجهد الجهيد وقد انقضى نعيمهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ❊ قال المصنف رضي الله عنه (حدثنا عباس بن محمد الدوري نا عبد الله بن يزيد المقرى نا ليث بن سعد ني أبو عثمان الوليد بن أبي الوليد عن سليمان بن خارجة عن خارجة بن زيد بن ثابت قال دخل نفر) يقع على الثلاثة الى العشرة لا واحد له من لفظه على ما في الصحاح (على زيد بن ثابت فقالوا له حدثنا أحاديث رسول الله) في نسخة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم قال ماذا أحدثكم) أي أي شيء أحدثكم وكأنهم طلبوا منه أحاديث شمائله صلى الله عليه وسلم المتعلقة بأحواله وأفعاله وأقواله فلذلك أعظم التحديث بها وأفادهم بهذا التعجب ردما وقع في خلدهم من طلب الاحاطة بشمائله فان شمائله لا يحاط بها كمية ولا كيفية فان المعاني كلها دون مرتبته والأوصاف دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فاذا لا يقوم أحد بحق مدحه صلى الله عليه وسلم كيف وقد أفصحت آيات الكتاب العزيز في تعظيمه بما يبهر العقول وصرحت من رفيع صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول ولهذا قال ابن الخطيب

يا مصطفى من قبل نشأة آدم ❊ والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما ❊ أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد رئي ابن الفارض في النوم فقيل له لم لم تمدح النبي صلى الله عليه وسلم أي بالتصريح والا فنظمه في الحقيقة اما في الحضرة الالهية أو فيه صلى الله عليه وسلم فقال

أرى كل مدح في النبي مقصرا ❊ وان بالغ المثني عليه وأكثرا
اذا الله أثنى بالذي هو أهله ❊ عليه فما مقدار ما تمدح الورى

ولما استشعر أكابر الشعراء كأبي تمام والبحتري وابن الرومي عجزهم عن الوفاء بحق مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطوه ورأوا ان ذلك من أصعب ما يحاولونه ويرحم الله القائل

تجاوز قدر المدح حتى كأنه ❊ بأحسن ما يثنى عليه يعاب

❊ وقال ابن جزي ❊

أروم امتداح المصطفى فيصدني ❊ قصوري عن ادراك تلك المواهب

عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولي عمر أعاده لكن أمره أن يستشير خالدا وهو أول من سمي أمير الأمراء بالشام وروى انه أمره النبي صلى الله عليه وسلم على سرية فيها أبو بكر وعمر وتعرض له أبوه يوم بدر فأعرض عنه فلازمه فلما أكثر عليه قتله فانزل الله تعالى فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك لا بايعك قال له ما كنت لا تأمر على رجل قدمه النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن أدركني أجلي وهو موجود استخلفته لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال أين أخي أبو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك فأتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه رضي الله تعالى عنهما وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى
سيفه وقوسه وترسه ورحله فبكى عمر وقال لأصحابه تمنوا فقال رجل أتمنى ملء هذه الدار ذهبا أنفقه في سبيل الله ومن
وقال آخر جوهرا أنفقه في سبيل الله فقال عمر وأنا أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالا مثل أبي عبيدة وله فتوحات وحروب مع المشركين وعز

الحسن مرسلا ما من احد من اصحابى الا لو شئت لاخذت عليه فى بعض خلقه غير ابى عبيدة توفى سنة ثمان عشرة شهيدا بالطاعون فى طاعون عمواس قرية بين الرملة و بيت المقدس أول ما وقع بها ثم انتشر بالشام قوله اذ يعزى بفتح الياء مضارع عزى يعزى

ومن لى بحصر البحر والبحر زاخر * ومن لى باحصاء الحصا والكواكب

ورب سكوت كان فيه بلاغة * ورب كلام فيه عتب لعاتب

ولما ليم أبو نواس عفا الله عنه فى تركه مدح مولانا على الرضا بن مولانا موسى الكاظم بن مولانا جعفر الصادق بن مولانا محمد الباقر بن مولانا على زين العابدين بن مولانا الحسين بن سيدنا ومولانا على ابن أبى طالب رضى الله عنهم و نفعنا بمحبتهم قال

قيل لى أنت أحسن الناس طرا * فى فنون من المديح النزيه

لك من جيد القريض مديح * يثمر الدرّ فى يدىْ مجتنيه

فعلى م تركت مدح ابن موسى * والخصال التى تجمعن فيه

قلت لا أستطيع مدح امام * كان جبريل خادما لابيه

وقد تقدم فى أول الباب شىء من هذا المعنى ولما بين لهم العجز عن الاحاطة بما طلبوا وكان من القواعد المقررة أن ما لا يدرك كله لا يترك كله أراد ان يفيدهم بعض البعض من كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته وغاية تلطفه فقال مشيرا الى غاية ضبطه ونهاية حفظه واتقانه لما يرويه (كنت جاره) أى فلى خبرة به أتم من غيرى (فكان اذا نزل عليه الوحى بعث الىّ فكتبت له) أى فلى مزيد مخالطة به صلى الله عليه وسلم ومعرفة باحواله ولى عنده حظوة حيث جعلنى أمينا ممن يحفظ امور الدين و يضبطها وممن يصلح لحمل الشريعة وتبليغها و فى البخارى ان أبا بكر رضى الله عنه قال لزيد انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه و فى البخارى أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ان يتعلم كتابة اليهود ليقرأها عليه اذا كتبوا اليه فتعلمها فى خمسة عشر يوما و روى فى احاديث كثيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه أفرضكم زيد وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم الكتب التى يرسلها للملوك وغيرهم وكان يكتب لابى بكر وعمر وعثمان وكان عمر يستخلفه اذا حج قال ابن حجر وهو أحد الاربعة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الثلاثة الذين جمعوا المصحف فى خلافة أبى بكر بامره كعمر لهم بذلك وهذا هو الجمع الاول والجمع الثانى كان فى زمن عثمان وهو الذى استقر عليه الامر اه وهو أحد علماء الصحابة ومفتيهم وقد كانوا ستة عمر وعلى وأبى وابن مسعود وابو موسى وزيد ولما مات قال أبو هريرة رضى الله عنه اليوم مات حبر هذه الامة وعسى الله ان يجعل فى ابن عباس منه خلفا ورثاه حسان بقوله

فمن للقوافى بعد حسان وابنه * ومن للمثانى بعد زيد بن ثابت

وقد عد اليعمرى من كتاب النبى صلى الله عليه وسلم نحو الاربعين منهم الخلفاء الاربعة (فكنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا) يعنى انه صلى الله عليه وسلم مع كمال شرفه وعلو درجته و رفعة منصبه وفخامة قدره كان على غاية التواضع وحسن الخلق مع أصحابه كى لا يدهشون و يتكلمون فى مجلسه بما يشاؤن وكان من شدة تلطفه باصحابه وحسن عشرته معهم يتكلم فى سائر ما يتكلمون فيه ولا يأنف من الكلام فى الدنيا والطعام ونحو ذلك من الامور العاديه وحكمة ذلك أن يزيد اقبالهم عليه واستفادتهم منه ولولا ذلك لما قدر أحد منهم أن يقعد معه ولا أن يسمع كلامه لما رزقه الله تعالى من الجلالة والمهابة والعظمة فى القلوب قال فى القوت لابى طالب المكى رضى الله عنه قد أعطى صلى الله عليه وسلم أضعاف عقول الخليقة وحلومهم و وسع قلبه لهم وشرح صدره للصبر عليهم فكان مع

ويعزو أى ينسب اليه الامانة ضد الخيانة الامناء جمع أمين وهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة أمين وامين هذه الامة ابو عبيدة و فى لفظ وأميننا ايتها الامة ابو عبيدة وقال لاهل نجران لما طلبوا منه أن لا يبعث معهم الا أمينا فقال لأبعثن معكم أمينا حق امين فبعث اباعبيدة ولا يلزم من هذا تفضيله على الخلفاء لان المزية لا تقتضى التفضيل اذ الفضل بوجود التفضيل لا بوجود الفضيلة لان المفضول وان وجدت فيه مزايا لم تكن فى الفاضل ففى الفاضل خلف منها وزيادة أعظم

(وبعميك نيرى فلك المجد وكل اباه منك اتاء)

اى اخوا ابيك لابيه وهما حمزة والعباس ابنا عبد المطلب رضى الله تعالى عنهما وكل منهما أسن من النبى صلى الله عليه وسلم بنحو سنتين نيرى تثنية نير وهو الكوكب المضىء والمراد هنا الشمس والقمر والفلك هو ما يسير فيه الكوكب و فى القاموس الفلك محركه مدار النجوم الجمع افلاك والمجد الكرم والحسب شبههما بالشمس والقمر استعارة بالكناية وأثبت لهما ما هو من لوازمهما وهى الاضاءة تخييلا وذكر المجد تجريد لانه يلائم المشبه وشبه المجد بالكوكب الدرى استعارة مكنية وخيل له بذكر الفلك الذى هو محل سيره و رشح بذكر النيرين وقوله وكل أتاه اى كل منهما

نجاه وحصل له منك اتاء بكسر الهمزة أي نماء وفضل وقال الشارح هو ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار اما حمزة و يكنى أبا عمارة فكان

اخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أسلم قديما وكان شجاعا لا يطاق اسلم قبل

الاعرابي كانه اعرابي ومع الصبي بمعناه ومع المرأة بنحوها يقاربهم في علومهم و يخاطبهم بعقولهم و يظهر منه مثل وجدهم ليعطيهم نصيبهم من الانس به ولئلا تعظم هيبته في صدورهم فينقطعون عن السؤال له والانس به حكمة منه لا يفطنون لها و رحمة منه قد جبل عليها انظر تمام كلامه ثم أظهر الاهتمام بهذا الذي حدثهم به من شمائله صلى الله عليه وسلم ليحفظوه و يعرفوا قدره فقال (بكل هذا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣) * قال ابن حجر ولا ينافي هذا ما تقدم من أحواله في محاسنه لان ذكر الدنيا والطعام قد يقترن به فوائد علمية أو أدبية و بتقدير خلوه عنها ففيه بيان جواز تحدث الكبير مع أصحابه في المباحات و بيان مثل هذا واجب عليه صلى الله عليه وسلم اه و راجع ما تقدم عن مالك وغيره في آخر باب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد) أي لنفسه لما كان عليه من غاية الكرم والايثار ولكمال ثقته بالله تعالى وتوكله عليه وقد يدخر لعياله قوت سنتهم ففي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يدخر لاهله قوت سنتهم ولكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيؤثرهم عليه وعلى نفسه فلم يكن ادخاره لخشية العدم بل لاجل الكرم قال في المطامح وفي الصحيح انه كان يدخر لنسائه في كل عام مائة وسق من تمر وعشرين وسقا من شعير لكل واحدة منهن فلا يقوم ذلك بهن ولا يكفيهن و يبقين الشهر والشهرين لا يوقدن في بيوتهن نارا مع كثرة هذا العدد لو قصر عليهن لكنه لم يكن حظهن من ذلك الا حظ الوارد عليهن من الفقراء وذوي الحاجات اه وقد تقدم شيء من هذا أول باب صفة خبزه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا هارون بن موسى بن أبي علقمة المديني ني أبي عن هشام بن سعيد عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه) أي شيأ من الدنيا (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عندي شيء ولكن ابتع علي) أي اشتر شيأ بثمن في الذمة يكون علي أداؤه وفي نسخة اتبع علي بتقديم التاء المثناة على الباء الموحدة أي أحل علي (فاذا جاءني شيء قضيته فقال عمر) فيه التفات والقياس فقلت (يارسول الله قد أعطيته) أي قبل هذا (فما كلفك الله ما لا تقدر عليه) أي من أمره بالشراء ووعده بالقضاء (فكره النبي صلى الله عليه وسلم قول عمر) لانه مخالف لمقتضى كمال الكرم والجود (فقال رجل من الانصار) قيل هو بلال رضي الله عنه وعليه فقوله من الانصار يعني النصرة العامة (يارسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا) أي شيأ من الفقر والاحتياج أي لا تخش أن يضيع مثلك من هو مدبر الامر من السماء الى الارض بالطول والعرض أي دم على ما أنت عليه من عدم خشية ذلك اذ هو صلى الله عليه وسلم لا يخشى من الفقر ولا يخاف عليه من ذلك (فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه بقول الانصاري ثم قال بهذا أمرت) أي لا بما قاله عمر كما أفاده تقديم الظرف المفيد للقصر أي قصر القلب ردا لاعتقاد عمر رضي الله عنه * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب واجر زغب فاعطاني ملء كفه حليا أو ذهبا) الشك من الراوي وقد تقدم هذا الحديث في باب الفاكهة وأعاده هنا لما فيه من المناسبة لكمال خلقه صلى الله عليه وسلم

(٣) قوله بكل هذا هكذا في نسختين بايدينا بالباء والذي في حاشية العلامة البيجوري على الشمائل فكل بالفاء وقال الرواية برفع كل وان كان الاولى من حيث العربية النصب فانظره اه مصحح

عمر بثلاثة ايام وهو اول من عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه الى سيف البحر واستشهد باحد نصف شوال سنة ثلاث بعد أن قتل أحدا وثلاثين كافرا ولما وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم قتيلا قد مثل به بكى وشهق وقال لن أصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا و روى ابن شاذان عن ابن مسعود ما رأينا النبي صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة و وضعه في القتلى ثم وقف على جنازته و بكى حتى كاد يغشى عليه يقول ياحمزة ياعم رسول الله ياأسد الله تعالى وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة يا كاشف الكربات ياذابا عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وليس في هذا نوح ولا تعديد شمائل بل اخبار بفضائله وشمائله وصح حديث أنا سيد الشهداء يوم القيامة وحديث رحمة الله عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي نفسي بيده عز وجل انه لمكتوب عند الله تعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله تعالى وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وحديث ان الملائكة الذي غسلته صححه الحاكم ولما رآه ممثلا به قال عليه الصلاة والسلام لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزل قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به

الذي منه الكرم والسخاء * قال المصنف (حدثنا على بن خشرم وغير واحد قالوا نا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية و يثيب عليها) أي يجازي قال في النهاية الاثابة هي المجازاة في الخير بأكثر منه اه قال العسقلاني رواية وكيع وصلها ابن أبي شيبة عنه بلفظ و يثيب ماهو خير منها اه فهذا من عظيم خلقه أيضاً صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر فيسن التأسي به صلى الله عليه وسلم في ذلك لكن محل ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها وندب الاثابة حيث لم تظن المهدي اليه ان المهدي انما أهدى له حياء لا في مقابلة شيء أما اذا ظن ان الباعث على الاهداء هو الحياء قال الغزالي كمن قدم من سفر و يفرق هدايا خوفا من العار فلا يجوز القبول اجماعا لانه لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس ولانه مكره في الباطن فهو كالمكره في الظاهر وأما اذا ظن ان الباعث عليه انما هو الاثابة فلا يجوز له القبول الا ان أثابه بقدر ما في ظنه مما تدل عليه قرائن أحواله وانما أطلت في ذلك لان أكثر الناس يستهزؤن فيه فيقبلون الهدية من غير بحث عن شيء مما ذكرته اه قال في جمع الوسائل البحث لا يجب فانك اذا فتشت عن ضيافات العامة وهداياهم وعطاياهم رأيتها كلها ملطخة بالرياء والسمعة أو ناشئة عن الحياء نعم اذا ظهر أن سبب الاهداء ليس الا الحياء فله ان يردوله أن يقبل ولكن يثيب بحيث يظن ان خاطره يطيب لانه وان أعطى مكرها في الباطن فانه يصير راضيا فينقلب الحرام حلالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم وهذه تجارة عن تراض في آخر الامر ولهذا عد علماؤنا الهبة بشرط الاثابة بيعا بل لو كان عطاؤه حياء ولم يحصل له جزاء ثم طاب خاطره فالظاهر أنه لا يؤاخذ به لانه في المعنى براءة واحلال له ثم الظاهر ان الاثابة بقدر الهبة واجبة وأما الزيادة فلا فحل الاجماع على عدم جواز القبول اذا لم يجازه مطلقا اه ﴿تنبيه﴾ قال الآجري سألت أبا داود عن هذا الحديث فقال تفرد بوصله عيسى بن يونس وهو عند الناس مرسل انظر جمع الوسائل

﴿باب ماجاء في حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

الحياء هنا بالمد وأما بالقصر فهو المطر وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من ترك أو فعل ما يعاب عليه وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح و يحض على ارتكاب الحسن ومجانبة التقصير في الحق وهو من جملة الخلق الحسن فافرده بالترجمة للتنبيه على عظم شأنه لان به ملاك الامر كله في حسن معاملة الحق ومعاشرة الخلق ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الحياء كله خير وهو اقسام منها حياء الكرم كاستحيائه صلى الله عليه وسلم ممن طول القيام في وليمة زينب حتى نزل ولا مستأنسين لحديث الآية وحياء المحب من محبوبه حتى اذا خطر بقلبه هاج الحياء منه فيخجل من غير أن يدري ما سببه وحياء العبودية أن يشهد تقصيره فيها فيزداد خوفه وخجله وحياء المرء من نفسه بان تشرف همته فيستحي من رضا نفسه بالنقص فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كأن له نفسين تستحي احداهما من الاخرى وهذا أكمل أنواع الحياء اذ المستحي من نفسه أجدر بالاستحياء من غيره انظر ابن حجر والمناوي ولا شك أن من رأى المنة وأيقن بالتقصير حقيق ان تصدر منه الحالة التي هي ثمرتها وهي الحياء من الله حق الحياء وقد دل الحسن البصري على رجل لم يرقط جالسا مع الناس فقال له يا عبد الله ما يمنعك من مجالسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال أمر شغلني عن الحسن وعن الناس فقال له الحسن

الخ فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار وأما العباس فيكنى أبا الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأي وعقل معظما عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند الصحابة رضي الله تعالى عنهم رئيسا في قريش قبل الاسلام واليه كانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وكان مع النبي ليلة العقبة فعقد له البيعة على الانصار وقال لاصحابه يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه بالليل يئن من شد الوثاق فلم ينم فقيل له ما يسهرك يارسول الله قال أنين العباس فقام رجل فارخى وثاقه ووثاق البقية فقيل أسلم يوم بدر وكان يكتم اسلامه ولقي النبي بالابواء وهو خارج لفتح مكة وبه ختمت الهجرة وكان ردء النبي بمكة يكاتبه باخبار أهلها وكان المسلمون يتقوون به وكان يحب القدوم على النبي صلى الله عليه وسلم فكتب له ان بقاءك بمكة خير لك وثبت مع النبي يوم حنين وكان عمر يستسقي به اذا قحط المطر فيقول اللهم انا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقي بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفي بالمدينة ثاني عشر رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين عن نحو من ثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس مني وأنا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الاحياء وحديث انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من آذى العباس فقد آذاني فانما عم الرجل صنو أبيه وحديث أوصاني الله تعالى بذي القربى وأمرني ان أبدأ بالعباس ابن عبد المطلب وأخرج الدارقطني في الافراد

لدفع العوارض فهم لا يعرفون الا كتواء ولا الاسترقاء وليس لهم ملجأ لما يعتريهم الا الدعاء والا عتصام بالله والرضا بقضائه فهم غافلون عن طب الاطباء ورقى الرقاة ورابعها أن المراد بترك الرقى والكى الاعتماد على الله فى دفع الداء والرضا بقدره لا القدح فى جواز ذلك لثبوته فى الاحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطى الاسباب ولا يرد على هذا وقوع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم فعلا وأمرا لانه كان فى أعلى مقامات العرفان ودرجات التوكل وكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز ومع ذلك فلا ينقص ذلك من توكله لكماله فلا يؤثر فيه تعاطى الاسباب شيأ بخلاف غيره اهـ وهذا الجواب الاخير هو الذى أشار له المناوى بما تقدم والله أعلم ثم نقل العسقلانى كلام الطبرى المتقدم الدال على ان تعاطى الاسباب لا يكون قادحا فى التوكل مطلقا بل فى حق من يكون مستندا اليها فتأمل ذلك فقوله لا يرقون ولا يكتوون أى لا يعتمدون على ذلك وهذا هو الظاهر فليس التداوى مرجوحا وقد ذكر فى الاحياء أن تعطيل الاسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قادح فى التوكل وان ترك من ترك التداوى من السلف ليس لان الترك أفضل بل لانه علم اقتراب أجله بمكاشفة أو برؤيا صادقة أو لانه رأى علة مزمنة أو لانه اعتقد عدم نفع الادوية لعدم تجربته ذلك وغلبة الظن بنفعها انما هو بالتجربة ولذلك كان الاطباء أقوى الناس ظنا بنفعها أو لينال أجر المرض وقد جاء فى ثوابه كثيرا أو لانه خاف آفة الصحة وذكر لكل واحد من هذه التأويلات مناسبات من الحكايات وقد قال فى الاحياء أيضا بعد ان قسم العلوم المحمودة وذكر ان علم الطب والحساب من فروض الكفاية ما نصه لا تعجب من كون هذين من فروض الكفاية فان أصول الصناعات ايضا من فروض الكفاية حتى الحجامة لو خلا البلد من حجام لسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى انزل الداء انزل الدواء وأرشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله اهـ واعلم ان أهل الرضا رضى الله عنهم تارة يعطيهم الحق من المعرفة والتعظيم ما يغيبون به عن البلوى ولا يحسون بها وتارة يعطيهم مع الاحساس بها من السرور بموافقة ارادة مولاهم ما يتلاشى الالم فى جنبه فيكون الجسم متوجعا فى قبضة المصائب أسيرا والقلب عند الله فرحا بحلول البلاء مسرورا فهم فى نعيم معجل لزوال الضيق والحرج من قلوبهم بمشاهدة الافعال من محبوبهم فهؤلاء الصنف قلوبهم عند الله لا عندهم ولو كانت قلوبهم عندهم ما حملوا البلوى ولا قطعوا الشكوى ولا وجدوا لذة ارادة المولى أوحى الله تعالى الى أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام انى مبتليك فقال يارب أين يكون قلبى قال عندى قال يارب صب على البلاء صبا فلما بلغ البلاء منتهاه أوحى الله اليه انى معافيك فقال يارب أين يكون قلبى قال عندك قال مسنى الضر وانت أرحم الراحمين ولله در القائل

الوصل ان سكن الجحيم تحولت * نار الجحيم على العبيد نعيما
والهجر ان سكن الجنان تحولت * دار النعيم على العبيد جحيما

ومما ينسب لابى بكر الصديق رضى الله عنه لما كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فى طريق هجرته

لوضمنى بيت نمل والحبيب معى * لكان ذلك لى ظل و بستان
وأطيب الارض ما للقلب فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان

وقال الكسائى للمبرد يا أبا العباس شبر أرض يسع متحابين والفلاة كلها لا تسع متباغضين وأنشد

رحب الفلاة مع الاعداء ضيقة * سم الخياط مع الاحباب ميدان

(حدثنا على بن حجر نا اسمعيل بن جعفر عن حميد قال سئل أنس بن مالك عن كسب الحجام فقال أنس

وزينب وأولادهم الى يوم القيامة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها من جهة السبطين فقط أما أم كلثوم فتزوجها عمر وولدت له ذكرا وأنثى ماتا صغيرين ثم تزوجها بعد عمر عون بن جعفر ثم أخوه محمد بن جعفر ثم أخوه عبد الله ولم تعقب منهم شيأ ثم تزوج عبد الله المذكور أختها زينب فولدت له عدة منهم على وأم كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرف أعلى من شرف أولادابيهم من غيرها وأدون من شرف اولاد الحسنين وللعباسيين شرف بالعراق ومن ثم لقب بالشريف كل عباسى ببغداد وكل علوى بمصر قوله ومن حوبه العباء أى اشتملت عليه الكساء وهم فاطمة وعلى وابناهما فقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل على على وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا منهم فقال انك على خير وفى رواية القى عليهم كساء ووضع يده المباركة عليهم وقال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل

صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفى الاخرى ان الآية نزلت ببيت أم سلمة فارسل صلى الله عليه احتجم
وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو ما مر وفى رواية انهم جاؤا واجتمعوا فنزلت فان صح فهى نزلت مرتين وفى رواية سندها حسن انه

اشتمل على العباس و بنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا ﴿فائدة﴾ في كتاب الاول لابن خالويه و رواه أبو بكر الخوارزمي في كتاب المناقب عن بلال بن حمامة رضي الله عنه قال طلع علينا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم متبسما ضاحكا و وجهه مشرق كدارة القمر فقام اليه عبد الرحمن بن عوف فقال يارسول الله ماهذا النور قال بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي و ابنتي بان الله تعالى زوج عليا من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعا يعني صكاكا بعدد محبي أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور ودفع الى كل ملك صكا فاذا استوت القيامة باهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لاهل البيت الادفعت اليه صكا فيه فكاكه من النار فصار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار انتهى (وبازواجك اللواتي تشرفن بان صانهن منك بناء) الازواج جمع زوج وهي لغة قريش وبها جاء القرآن وزوجة بالتاء في لغة اي وأقسم عليك بازواجك اللواتي جمع التي تشرفن أي ترفعن على غيرهن بصون بناء منك اياهن اي دخول بهن أوضد الهدم والصون الحفظ من النار أو من تزوج غيره صلى الله عليه وسلم بهن بعده قال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده أبدا وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يزوجه الا من ستكون معه في الجنة ومنك حال من بناء

احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه أبو طيبة) اسمه نافع على الصحيح فقد روى أحمد وابن السكن والطبراني من طريق محيصة بن مسعود انه كان له غلام حجام يقال له نافع أبو طيبة فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن خراجه الحديث وحكى ابن عبد البر في اسم أبي طيبة انه دينار و وهموه في ذلك لان دينارا الحجام تابعي روى عن أبي طيبة انظر العسقلاني وقال العسكري الصحيح انه لا نعرف اسمه وذكر ابن الحداد في رجال الموطا انه عاش مائة وثلاثا وأربعين سنة وذكر الكرماني والنووي انه عبد لبني بياضة وهو وهم بل هو لبني حارثة مولى محيصة بن مسعود الانصاري كما تقدم والذي كان مولى لبني بياضة آخر يقال له أبو هند (فامر له بصاعين من طعام) في رواية البخاري وأعطاه صاعين من طعام وفي رواية من طريق شعبة عن حميد بلفظ أمر له بصاع أو صاعين أو مدا أو مدين قال العسقلاني الشك من شعبة ومن طريق مالك عن حميد بلفظ فامر له بصاع من تمر من غير شك وفيها تعيين الطعام والصاع مكيال يسع أربعة أمداد بمده صلى الله عليه وسلم قال الداودي معياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكف الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي صلى الله عليه وسلم قال صاحب القاموس وجربت ذلك فوجدته صحيحا (وكلم أهله) أي مواليه كما في البخاري (فوضعوا عنه) وفي رواية للبخاري وأمر أهله ان يخففوا (من خراجه) هو ما يوظف على المملوك كل يوم وسيأتي في رواية المصنف ان مقداره كان ثلاثة آصع (وقال ان أفضل ما تداويتم به الحجامة أو ان من أمثل دوائكم الحجامة) في العبارة الاولى مبالغة ليست في الثانية والشك من الراوي قال القسطلاني وأظنه اسمعيل بن جعفر فان البخاري أخرجه من طريق عبد الله بن المبارك عن حميد عن أنس بلفظ ان أمثل ما تداويتم به الحجامة وأخرجه النسائي من طريق زياد بن سعد عن حميد عن أنس بن مالك بلفظ خير ما تداويتم به الحجامة ومن طريق معتمر عن حميد بلفظ أفضل أي من غير شك ثم اعلم ان الاصل في الاحكام الشرعية العموم حتى يدل دليل على الخصوص و في الاحكام العلاجية الخصوص حتى يدل دليل على العموم فالخطاب هنا للشباب من اهل الحرمين ككل دموي بقطر حار كالحجاز لان دماءهم رقيقة وتميل الى ظاهر الابدان لجذب الحرارة الخارجة لها الى سطح البدن للمناسبة التي بين مزاجها ومزاج الهواء المحيط بالبدن فتمس الحاجة الى الحجامة لانها تجتذب الدم من ظاهر البدن فحسب ولا تمس الحاجة الى الفصد لانه يجتذب الدم من أعماق العروق وبواطن الاعضاء وانما تمس الحاجة اليه في البلاد الباردة لان الحرارة تميل فيها من ظاهر البدن الى باطنه هربا من ضدها الذي هو برودة الهواء ولهذا لم يخاطبهم صلى الله عليه وسلم بالفصد مع انه ركن عظيم في حفظ الصحة أيضا ويفهم مما ذكرنا ان الخطاب لغير الشيوخ لقلة الحرارة في أبدانهم وكان ابن عوف يقول اذا بلغ الرجل أربعين لا يحتجم أي لانه في انتقاص من عمره فحجامته وهن على وهن الا أن يتبيغ به الدم حتى يكون ضرر الترك أشد من ضرر الاخراج قال ابن حجر وفيه جواز كسب الحجام وتناوله للحر والعبد والحجامة نفسها والتكسب بها وانها من أفضل الادوية وجواز التداوي بل استحبابه بالحجامة وجواز اخذ الاجرة على المعالجة بالطب واعطائها ومخارجة الرقيق بان يقول سيده اعطني من كسبك كذا ولك الباقي فيقول رضيت والشفاعة الى صاحب حق من دين أو غيره بالتخفيف منه اه وذهب أحمد الى الفرق بين الحر والعبد فكره للحر الاحتراف بها وحرم عليه الانفاق على نفسه منها وجوزله الانفاق على الرقيق والدواب وأباح للعبد مطلقا وحجته حديث محيصة انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجامة فنهاه فذكر له الحاجة فقال له اعلف نواضحك أخرجه مالك وأحمد وأصحاب السنن ورجاله ثقات

وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف قال في المنح المكية وينبغي تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم على غيره وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل لها وهن رضي الله تعالى عنهن احدى عشرة متفق عليهن ست

والجمهور القائلون بالجواز مطلقا حملوا احاديث النهي على التنزيه لما في الحجامة من مباشرة النجاسة و يطرد ذلك في كل ما يشبهها ففيه الحث على معالي الامور والتنزه عن دنيء الاكتساب ومن العلماء من ادعى النسخ وانه كان حراما ثم أبيح وجنح الى ذلك الطحاوي انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عمرو ابن علي نا أبو داود نا ورقاء بن عمر عن عبد الاعلى عن أبي جميلة عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأمرني ان اعطي الحجام أجره) هذا أصرح في اباحة أخذ الاجرة من حديث أنس المتقدم * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمداني نا عبدة عن سفيان الثوري عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قال) في نسخة أظنه قال (ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في الاخدعين) هما عرقان في جانبي العنق (و بين الكتفين) هو الكاهل الآتي في الرواية بعد وقد روى ابن ماجه عن علي كرم الله وجهه قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بحجامة الاخدعين والكاهل قال الاطباء الحجامة على الاخدعين تنفع من أمراض الرأس والوجه والاذنين والعينين والاسنان والانف وعلى الكاهل تنفع من وجع المنكب والحلق وروى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم لما أكل من الشاة التي سمتها اليهودية بخيبر احتجم على كاهله لينجذب السم الذي حصل في البدن وقصد القلب الذي هو مركز الحياة الى ضد الجهة التي مال السم اليها بامتصاص الحاجم له واخراجه من البدن باسهل طريق يمكن في ذلك الوقت لكن لم تخرج المادة كلها به لما أراده الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة التي ودها صلى الله عليه وسلم (وأعطى الحجام أجره ولو كان حراما لم يعطه) كذا في الصحيحين أيضا * قال المصنف (حدثنا هرون ابن اسحق نا عبدة عن ابن أبي ليلى عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا حجاما) هو أبو طيبة (فحجمه وسأله كم خراجك فقال ثلاثة آصع) صح في رواية أن خراجه صاعان وجمع بانه صاعان وشيء فمن قال صاعان ألغى الكسر ومن قال ثلاثة جبرا نظر ابن حجر والعسقلاني (فوضع عنه صاعا وأعطاه أجره) * قال المصنف (حدثنا عبد القدوس بن محمد العطار البصري نا عمرو بن عاصم نا همام وجرير بن حازم قالا نا قتادة عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين والكاهل وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) أي في هذه الايام من الشهر أخرج ابو داود من حديث أبي هريرة مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كان شفاء من كل داء أي من كل داء سببه غلبة الدم قال الاطباء وانما اختيرت هذه الاوقات لهيجان الدم في الربع الثالث من الشهر لان الدم في أوله وآخره يسكن وفي وسطه وبعده يكون في نهاية التزايد والقوة وقد ورد النهي عنها يوم الاربعاء والجمعة والسبت واختلفت الرواية في يوم الثلاثاء كما في ابن حجر ففي حديث احتجموا يوم الاثنين والثلاثاء فانه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء وفي حديث ان يوم الثلاثاء يوم الدم وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وجمع شيخنا المحقق سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري كان الله تعالى له بان الاول محمول على ما اذا وافق سابع عشر الشهر والثاني محمول على غير ذلك قال ويؤيد هذا التخصيص ما أخرجه ابن سعد والبيهقي من حديث معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجامة يوم الثلاثاء لسبعة عشر مضت من الشهر دواء لداء السنة ثم نقل عن ابن رسلان والعلقمي والطيبي ما يوافق ذلك فانظره قال الشيخ زروق رحمه الله وتتقى الايام التي يذكر فيها شيء الا لقوة ايمان أوخوف ضلال جاهل كما فعل مالك ويحكى ان بعض العلماء احتجم يوم الاربعاء فاصابه مرض فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فشكا اليه ما به فقال أما سمعت من احتجم يوم السبت او من احتجم يوم الاربعاء فاصابه مرض لا يلومن الا نفسه قال نعم لكنه لم يصح

قرشيات واربع عربيات و واحدة اسرائيلية * أولهن خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية من بني أسد بن عبد العزى بن قصي تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها أربعون سنة واشهر وله خمس وعشرون سنة عند الاكثر وهي اول من آمن من النساء أو مطلقا وهو الصحيح وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام فاذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا سخب فيه ولا نصب وأولاده عليه وعليهم الصلاة والسلام كلهم منها رضي الله تعالى عنها الا ابراهيم على أبيه وعليه الصلاة والسلام فمن سيدتنا مارية القبطية وتوفيت السيدة خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين عن خمس وستين سنة ودفنت بالحجون وتقدم بعض الكلام عليها * ثم تزوج بعد موتها سودة بنت زمعة العامرية بمكة بعد ان رجعت من الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو من بني عامر بن لؤي * ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر التيمي عقد عليها قبل سودة ودخل بها بعدها بعد الهجرة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وهي بنت تسع سنين لم يتزوج بكرا غيرها وأحبها حبا شديدا ولما فقدها في بعض أسفاره قال واعروساه أخرجه احمد قال

وكانت فقيهة حافظة فصيحة وهي وخديجة افضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم الاصح ان خديجة أفضل لما صح ان عائشة قالت له قدر زقك الله تعالى خيرا منها قال لا والله مارزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين منعني الناس ولانه عليه الصلاة والسلام اقرأ عائشة من جبريل وخديجة من الله تعالى والاصح أيضا ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة وممن جرى على ذلك الامام تقي الدين السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة واختار أيضا ان مريم افضل من خديجة للاختلاف في نبوتها * ثم حفصة بنت عمر العدوية سنة ثلاث من الهجرة * ثم أم سلمة هند بنت أبي امية حذيفة ابن المغيرة المخزومي * ثم أم حبيبة رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب الاموي ودخل بها سنة سبع وتزوج زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة سنة خمس زوجه الله تعالى اياها فدخل عليها بغير عقد وهي أول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم موتا بعده صح عن عائشة رضي الله تعالى عنها لم تكن امرأة خيرا منها في الدين ولا أتقى لله واصدق حديثا وأوصل للرحم وأوسع صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتقرب به الى الله تعالى وهو الربيع رواه مسلم * وتزوج زينب بنت خزيمة من بني هلال بن عامر بن صعصعة وكانت تسمى في الجاهلية أم المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر * وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع وبنى بها بسرف وفيه ماتت وقبرها فيه

قال أما يكفيك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغزالي فينبغي ان يعمل بمثل هذا ولا ينظر في الصحة الا في باب الاحكام ونحوها اه قال ابن حجر وأفضل الايام لها يوم الاثنين اذا وافق يوم السابع عشر أو التاسع عشر أو الحادي والعشرين اه وأفضل اوقاتها في النهار كما قال ابن سينا الساعة الثانية أو الثالثة وان لا تقع عقب استفراغ من حمام أو جماع او غيرهما ولا عقب شبع ولا جوع قال ابن القيم ومحل اختيار الاوقات المذكورة ما اذا أريد بها حفظ الصحة ودوام السلامة فان كانت لمداواة مرض وجب استعمالها وقت الحاجة * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم بملل) بفتح الميم واللام الاولى موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلا من المدينة على ماذكره صاحب النهايه (على ظهر القدم) فيه حل الحجامة للمحرم في موضع لا يحتاج فيه الى حلق الشعر ومذهب مالك كراهته الا لضرورة وفي حديث البخاري عن ابن عباس وابن بحينة ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم في وسط رأسه بماء يقال له لحي جمل وظاهره التعارض في مكان الاحتجام وفي محله أيضا من البدن ويمكن الجمع بالحمل على التعدد وجزم بعضهم بان الحجامة التي وقعت في وسط الرأس كانت في حجة الوداع ويمكن ان تكون التي في ظهر القدم وقعت فيها أيضا ويمكن أن تكون في احدى عمره والله أعلم انظر جمع الوسائل والحجامة على ظهر القدم تنفع من قروح الفخذين والساقين وانقطاع الطمث والحكة العارضة في الانثيين قال ابن حجر وفي خبر ضعيف جدا الحجامة في الرأس تنفع من سبع الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الرأس والعينين وروى في الحجامة في المحل الذي اذا استلقى الانسان أصابته الارض من رأسه انه صلى الله عليه وسلم قال انها شفاء من اثنين وسبعين داء وفي رواية لابي نعيم الاصبهاني مرفوعة انها فيها شفاء من خمسة أدواء وذكر منها الجذام وقال ابن شيبان الحجامة فيها تورث النسيان حقا ولله حديثا ولفظه مؤخر الدماغ موضع الحفظ وتضعفه الحجامة قال غيره ان ثبت هذا الحديث فهي انما تضعفه اذا كانت لغير ضرورة اما لها لغلبة الدم فانها نافعة طبا وشرعا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه احتجم في عدة أماكن من قفاه وغيره بحسب ما دعت ضرورته اليه اه وروى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم احتجم في وركه من وثي كان به فتحصل مما تقدم انه صلى الله عليه وسلم احتجم في الاخدعين والكاهل وعلى ظهر القدم وفي رأسه وفي وركه

﴿ باب ماجاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

انما ذكرها والله أعلم في كتاب الشمائل لدلالتها على ماله صلى الله عليه وسلم من المزايا والفضائل كما سيتبين ذلك ان شاء الله عند الكلام عليها والمراد بها ألفاظ تطلق عليه صلى الله عليه وسلم الاان منها ما هو علم وما هو صفة (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا نا سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي أسماء) أي كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى واقتصر في الحديث على خمسة منها اما لكونها أشهر من غيرها أو لكونها المذكورة في الكتب الماضية أو لغير ذلك فلا مفهوم للعدد في روايه البخاري لي خمسة أسماء بدليل ان المصنف ذكر تسعة أسماء وبدليل رواية لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله ورواية أبي نعيم في الدلائل من عدة طرق عن أبي موسى وغيره سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه

مشهور رضي الله تعالى عنها * وتزوج جويرية بنت الحرث المصطلقية من بني المصطلق من خزاعة بعد غزوة بني المصطلق وهي بنت عشرين سنة * وتزوج صفية بنت حيي القرظية من نسل هرون بن عمران أخي موسى عليهما السلام بعد خيبر وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن عدا خديجة وزينب أم المساكين وقد نظم الحافظ أبو الحسن المقدسي أسماء من مات عنهن في قوله

توفي رسول الله عن تسع نسوة
اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية
وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة
ثلاث وست ذكرهن مهذب

﴿فائدة﴾ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ما معناه ان الذي يتحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره صلى الله عليه وسلم من النساء عشرة أوجه أحدها ان يكثر من يشاهد احواله الباطنة فيزول عنه ما يرميه به المشركون من كونه ساحرا ثانيها التشرف به قبائل العرب والعجم لمصاهرته فيهم ثالثها الزيادة في تألفهم رابعها الزيادة في التكليف حيث كلف ان لا يشغله ما حبب اليه منهن عن المبالغة في التبليغ خامسها ليكثر عشيرته من جهة نسائه فيزداد أعوانه على اعدائه سادسها نقل الاحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال لان أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه ان يخفى مثله سابعها الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة لتنقل عنه فقد تزوج أم حبيبة وأبوها في ذلك الوقت يعاديه في

أسماء منها ما حفظنا ومنها ما لم نحفظ وأنهاها بعض الى ار بعمائة وقد نقل أبو بكر بن العربي في كتاب الاحوذي في شرح جامع الترمذي عن بعضهم ان لله تعالى ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم وأكثرها من قبيل الصفات وصفاته صلى الله عليه وسلم كثيرة وكل وصف يجوز ان يشتق له منه اسم (أنا محمد) هو علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف ومعناه لغة من كثرت محامده فيحمد حمدا بعد حمد وهو أبلغ من محمود لانه من الثلاثي سمي بذلك ليطابق اسمه صفته لان ذاته محمودة على ألسنة العوالم من كل الوجوه حقيقة واوصافا وخلقا وخلقا واعمالا واحوالا وعلوما واحكاما محمود في الارض وفي السماء وفي الدنيا والآخرة في الدنيا بما نفع به من العلم والحكمة وفي الآخرة بالشفاعة (وأنا أحمد) قال السهيلي وتبعه صاحب الشفاء وغيره معناه أحمد الحامدين لربه لانه على ما ثبت في الصحيح يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويخص بالمقام المحمود اهـ فهو أكثر الناس حمدا وما حمد حامد الا بواسطته صلى الله عليه وسلم اذ هو نبي الجميع فهو الحامد لله تعالى على الاطلاق وبالتحقيق فهو أفعل بمعنى الفاعل كاعلم فاسمه محمد يفيد المبالغة في المحمودية واسمه أحمد يفيد المبالغة في الحامدية وأما احتمال انه بمعنى مفعول كأشهر أي احمد المحمودين ففيه تكرار لانه حينئذ بمعنى محمد قال في جمع الوسائل ولعله قدم محمد في الحديث لكونه اشهر من احمد بل ورد عند ابي نعيم انه سمي بهذا الاسم قبل ان يخلق الخلق بالفي عام وعن كعب ان اسم محمد مكتوب على ساق العرش وفي السموات السبع وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة اهـ وبالجملة فلهذين الاسمين الكريمين مزية على سائر أسمائه صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر فينبغي تحري التسمية بهما ففي خبر أبي نعيم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاعذبت أحدا تسمى باسمك في النار وورد اني آليت على نفسي لا يدخل النار من اسمه محمد ولا أحمد وروى الديلمي عن علي ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرة أو مرتين (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) قال ابن حجر أي من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وغيرها مما زوي له صلى الله عليه وسلم ووعد أنه يبلغه ملك امته أو المراد أن يمحوه بمعنى يدحضه ويظهر عليه بالحجة والغلبة قال تعالى ليظهره على الدين كله اي فيكون المحو اما بمعنى الظهور والغلبة أو انه يمحو سيآت من اتبعه أي آمن به فيمحو عنه ذنب كفره وسائر ما عمله فيه قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يهدم ما قبله وخص صلى الله عليه وسلم بهذا لانه لم يمح الكفر باحد مثل ما محي به صلى الله عليه وسلم اذ بعث وقد عم الكفر الارض وأكثرهم لا يعرفون ربا ولا معادا بل منهم من يعبد الحجر أو الكوكب أو النار فمحى ذلك كله به صلى الله عليه وسلم فظهر دينه على كل دين وبلغ مبلغ الجديدين وسار مسير القمرين اهـ قلت انظر قوله في الوجه الاول وغيرها مما زوي له ووعد انه يبلغه ملك أمته مع سكنى الكفار في غير الحجاز مما بلغه ملك هذه الامة فلو اقتصر على أرض الحجاز لكان صوابا والله أعلم قال في جمع الوسائل أو المراد انه يمحو به الكفر لكن بالتدريج الى ان يضمحل في زمان عيسى بن مريم لانه يرفع الجزية ولا يقبل الا الاسلام وفيه نظر لان كفر يأجوج ومأجوج موجود حينئذ ويجاب بانه وجد في الجملة واما عدم الاستمرار فامر آخر بل فيه ايماء الى انه لما وصل الى الكمال يعقبه الزوال ولذا لا تقوم الساعة وفي الارض من يقول الله والله أعلم اهـ قلت قوله وجد

في الجملة الخ يقتضي أن الكفر ينقطع من الارض في ذلك الوقت حتى من يأجوج ومأجوج ثم بعد ذلك يوجد ويعم الارض ويدل لذلك ما ورد في مسلم من انهم اذا خرجوا من كل حدب ينسلون يحصرون عيسى وأصحابه فيرغب نبي الله وأصحابه الى الله تعالى فيرسل عليهم النغف بفتح النون والغين المعجمة وهو الدود الذي يكون في أنوف الابل والغنم قال فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة الحديث وفرسى كقتلى وزنا ومعنى (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) بتخفيف الياء على الافراد وتشديدها على التثنية أي بعد بعثي أو على أثري لانه أول من ينشق عنه الارض (وأنا العاقب) أي الذي جاء عقب الانبياء ولذلك فسره بقوله (والعاقب الذي ليس بعده نبي) قال العسقلاني ظاهره انه مدرج لكنه وقع في رواية سفيان بن عيينة عند المصنف في الجامع بلفظ الذي ليس بعدي نبي * قال المصنف (حدثنا محمد بن طريف الكوفي نا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي وائل عن حذيفة قال لقيت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طريق المدينة) وفي بعض النسخ طرق جمع طريق (فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبي الرحمة) أي الذي جاء بها لان الله تعالى رحم به الخلق ولكثرة الرحمة وتضاعفها بسببه صلى الله عليه وسلم قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أي من المؤمنين والكافرين لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم ولأمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ولانه صلى الله عليه وسلم أمر بالرحمة وحض عليها فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء الى غير ذلك فكانت الرحمة في هذه الامة أكثر من غيرها من الامم وبالجملة فقد ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من الرحمة ما لم يظهر على يد غيره (وأنا نبي التوبة) أي الذي جاء بها وحض عليها فظهرت على يديه أكثر مما ظهرت على يد غيره صلى الله عليه وسلم ويكفي هذا القدر في الاختصاص وأما قول من قال ان المعنى انه الذي جاء بالتوبة على هذا الوجه المقرر في محله بخلاف توبة الامم السالفة فانما كانت بقتل أنفسهم كما قال تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففيه نظر لان الله تعالى شدد على قوم موسى حين عبدوا العجل فجعل من شرائط توبتهم قتل أنفسهم وهذا لا يدل على تخصيص التوبة على هذا الوجه المقرر عندنا بهذه الامة فانه مخالف لاقوال جميع الائمة وقضية الرجل الذي قتل مائة وتوبته معروفة مشهورة في الروايات الصحيحة وكذا توبة آدم وغيره انظر جمع الوسائل (وأنا المقفي) روي بصيغة اسم الفاعل أي التابع لغيره من الانبياء فكان آخرهم وقافية كل شيء آخره وقد تقدم أنه العاقب أو التابع لآثار من سبقه من الانبياء كالتوحيد ومكارم الاخلاق كما قال تعالى فبهداهم اقتده وروي بصيغة اسم المفعول أي المقفى به فحذف حرف الصلة تخفيفا أي أنا الذي قفى بي على آثار الانبياء أي أرسلت الى الناس من بعدهم وختمت بي الرسالة وقد تقدم في الباب الاول في قول علي وهو خاتم النبيين ان في كونه خاتم النبيين مزايا كثيرة له ولامته صلى الله عليه وسلم وقد ورد ان أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء وهذا يدل على أنه أصل الموجودات كلها وورد كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد أي ولا روح ولا جسد هكذا فسره المحققون وفي رواية كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أي ولا ماء ولا طين وهذا ونحوه يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان سابقا من حيث الحقيقة على جميع الانبياء متأخرا من حيث الصورة وقد ورد ان آدم عليه السلام يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى فيقول يا ولدا ذاتي ووالد معناي وفي ذلك يقول ابن الفارض على لسانه صلى الله عليه وسلم

واني وان كنت ابن آدم صورة * فلي فيه معنى شاهد بابوتي

وقد أمر من لا يقدر على مؤنة النكاح بالصوم لانه يكسر شهوة الجماع فانخرقت هذه العادة في حقه صلى الله عليه وسلم تاسعها ان العرب كانت تتمدح بكثرة النكاح لدلالته على كمال الرجولية عاشرها انه عاشرهن بالمعروف والاحسان وقام بحقوقهن وتأديبهن وهدايتهن ولم يشغله شيء مما يتعلق بهن عن عبادة ربه وذلك خلاف المألوف

(الامان الامان ان فؤادي من ذنوب أتيتهن هواء) الامان الثاني تأكيد أي من عقاب ما اقترفته من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب والمعنى أقسم عليك بمن ذكرت من آلك وصحبك ان تعطيني الامان فلا أخاف من العذاب يوم يهلك العصاة بذنوبهم بان توجب لي شفاعتك فضلا منك وقوله ان فؤادي بالفتح تعليل وبالكسر استئناف بياني أي ان فؤادي من الذنوب التي فعلتها هواء فارغ خال خوفا من عقابها وخجلا ودهشا من هيبة من خالفت أمره حتى أتيتها وهو الله تعالى العظيم الرقيب فلا أنتفع به في مهم أمر ديني ولا دنيوي مما لحقه من الخوف وأقلقه وفي نسخة هباء أي شيء لا ينتفع به (قد تمسكت من ودادك بالحبل الذي استمسكت به الشفعاء) اي توثقت واعتصمت من محبتي له وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو أغلبي كما يدل عليه حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم

وقدقرر غير واحدمن السادة الذين تلقتهم الامـة بالقبول ان النبي صلى الله عليه وسـلم هوالداعي بالاصالة وجميع الانبياء والرسل يدعون الخلق الى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وسـلم وانهم كانوا خلفاءه ونوابه في الدعوة وقدأشار الى ذلك القطب الشهير مولانا عبدالسلام بن مشيش رضي الله تعالى عنـه ونفعنا به آمين في قوله اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت عـلوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقـة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شيء الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط (وأنا الحاشر ونبي الملاحم) جمع ملحمة من التلاحم وهو الاجتماع بعد الفرقة أو من الالتحام والاشتباك لانه بعث بالسيف قال الخطابي فان قيل كيف الجمع بين كونه نبي الرحمة ونبي الملاحم لا سيما مع قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومع قوله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة فالجواب ان بعثه صلى الله عليه وسلم بالسيف والحرب من وجوه الرحمـة لان الله تعالى أيد رسله عليهم السـلام بالمعجزات وجرت عادته تعالى في الامم السابقة انهم اذا كذبوا عوجلوا بالعذاب المستأصل اثر التكذيب واستؤني بهذه الامة ولم يعاجلوا بالعذاب المستأصل وأمر بجهادهم ليرتدعوا عن الكفر ولم يجاحوا بالسيف لان للسيف بقيـة وليس للعـذاب المستأصل بقية ومن وجوه الرحمة ما صح انه صلى الله عليه وسـلم جاءه ملك الجبال فقال ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين فقال أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيأ ومن وجوه الرحمة أيضا ان الله تعالى وضع عن أمته الاصر والاغلال التي كانت على الامم قبلها كما قال تعالى في قصـة موسى عليـه السلام ورحمتي وسعت كل شيء الآية * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا النضر بن شميل أنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه بمعناه هكذا) أي كما تقـدم في حديث أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه ﴿تتميم﴾ لم يلم المصنف بشيء من كناه صلى الله عليه وسلم ومن كناه أبو ابراهيم وأبو الطاهر وأبو الطيب وأبو الارامل وأبو المؤمنين وأشهر كناه أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

﴿باب في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

تقدمت هذه الترجمة بعد باب اللباس وتقدم ان المقصـود منها بيان خلقه صـلى الله عليـه وسلم في عيشـه وانه كان يقتصر في ذلك على ما تدعو اليه ضرورة الحياة ويتخلى عن وجوه الترفهات زهـدا في الدنيا ونعيمها وجريا على ما تقتضـيه حالة العبودية واظهارا لحقارة الدنيا عنـد الله تعالى وليتأسى به الضـعفاء لانه في مقام التشريع والاقتـداء فيزهدون في الدنيا الا سيما عدوة الدين ويقتـدون به في تركها اذ لو اقتدوا به في الاخـذ لهلكوا كما يفر الرجل القوى بين يدي أولاده من الحية لا لضـعفه عن اخـذها ولكن لعلمه بانه لو اخـذها لاخذها أولاده اذا رأوها فهلكوا وتقدم انه انما كرر هذه الترجمة اهتماما بها لشـدة الحاجـة اليها فان غالب الناس يضيع عمره فيما يملأ بطنه من شهوات الدنيا ومستلذاتها أو لغير ذلك مما الله يعلمه (حـدثنا قتيبة نا حمـاد بن زيد عن ايوب عن محمد بن سيرين) ابن سـيرين هذا تابعي جليل أدرك ثلاثين صحابيا مشـهور امام في علم التعبير وغيره أخرج حديثه الائمة الستة وهو مولى أنس كاتبه على عشرين ألفا فاداها وعتق وكان له أولاد ستة كلهم نجباء محدثون (قال كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه وعليه ثوبان ممشقان) أي مصبوغان بالمشق بكسر فسكون وهو الطين الاحمر وقيل المغرة قاله ابن حجر وغيره (من كتان) بيان للثوبين (فتمخط

فقال المرء مع من أحب أو ان المستلزم لذلك هو كمالها أو ان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير ما لم يقع واقعا كما هو شأن الخـوف المراعى مطلقا أو في بعض الاحوال والحبل السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنه صـلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم والشفعاء جمع شفيع أي من لهـم ان يشفعوا وهم الانبياء والاولياء والعلمـاء والصالحون فـلم تحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا أو رثتهم محبتهـم لك قبول شـفاعتهم أو رثني وقوع شـفاعتك فيّ بجامع أني أحبـك كما يحبـونك وان اختلف مقـدار المحبـة في الطريق واعلم ان المتكلمين في المحبة اختلفت عباراتهم فيها وكثرت وليس ذلك اختلافا في حقيقتها اذ هي من المعلومات التي لا تحد كما أطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ولذا قيل لا تحـد بحـد أوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وأصلها الميل القلبي وانما الكلام في أسبابها وموجباتها وعلامتها وشـواهـدها وثمراتهـا وأحكامها وفي الرسالة القشيرية المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبتـه للعبد ومحبة العبد له بقـوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وفي الحـديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده وماله والناس أجمعين وعن عمر رضي الله عنه انه قال يا رسول الله أنت أحب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لانت أحب الي من

في احدهما) اى استنثر وطهر أنفه (فقال) اى ابوهريرة (بخ بخ) في النهاية هي كلمة تقال عند الفرح والرضا بالشيء وتكرر للمبالغة وهي مبنية على السكون فان وصلت خفضت ونونت وربما شددت قال عياض وروى بالرفع واذا كررت فالاختيار تحريك الاول واسكان الثاني ومن كسره ونونه فقد شبهه بالاصوات كصه ومه (يتمخط ابوهريرة في الكتان لقد) اى والله لقد (رأيتني) اى علمتني (واني لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجرة عائشة) اشارة الى موضع الاحباب والاصحاب أى كان يقع له في موضع لا يخفى فيه حاله على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه (مغشيا علي فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى ان بي جنونا) وكان من عادتهم ان يفعلوا ذلك بالمجنون حتى يفيق (وما بي جنون وماهو) اى ذلك الذي بي (الا الجوع) اى غشيه كان أبوهريرة من اهل الصفة وكانوا أضياف الاسلام لا يأوون على اهل ولا مال ولا على أحد اذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا أتته هدية ارسل اليهم واصاب منها وأشركهم فيها كما في البخاري وكان النبي صلى الله عليه وسلم في غاية الاهتمام بهم فلو كان عنده شيء ما حصل هذا لابي هريرة مع انه كان عريفهم اذا احتاج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم له وكانت يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور معه حيثما دار وكان من أحفظ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعي أبوهريرة أحفظ من روى الحديث في عصره وقد كان ابن عمر يترحم عليه في جنازته ويقول كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحضر ما لا يحضره سائر المهاجرين والانصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة والانصار بحوائطهم وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أبوهريرة وعاء العلم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اني قد سمعت منك حديثا كثيرا واني أخشى ان أنسى قال ابسط رداءك قال فبسطته فغرف فيه بيده ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيأ بعد وفي البخاري انه قال ما من اصحاب النبي أحد أكثر حديثا عنه مني الا ما كان من عبد الله ابن عمر فانه كان يكتب ولا أكتب قال في الاستيعاب قال البخاري روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صحابي وتابعي وممن روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن واثلة وحفظ من الحديث ما لم يحفظ غيره من الصحابة وذلك خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثا في الصحيحين منها ستمائة وتسعة أحاديث وفي صحيح البخاري عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم أراده على العمل فابى عليه ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته سنة ثمان وخمسين أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لكل أمة حليم وحليم هذه الامة أبوهريرة ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأمه بالاسلام فاسلمت ثم دعا له ولامه فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك المؤمنين وحبب اليهما المؤمنين قال أبوهريرة فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني الا أحبني وكان من علماء الصحابة وفضلائها ناشرا للعلم شديد التواضع والعبادة عارفا بنعم الله تعالى شاكرا لها مجتهدا في العبادة كان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل ثلاثا يصلي هذا ثم يوقظ هذا وكان يقول نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني فكنت أخدم اذا نزلوا وأحدو اذا ركبوا فزوجنيها الله فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وقد اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا بلغ الى ثمانية عشر قولا وأشبه ما فيها ان يقال كان له في الجاهلية اسمان عبد شمس وعبد عمرو وفي الاسلام عبد الله وعبد الرحمن بن صخر وقد اشتهر

نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر تم ايمانك استثنى عمر أولا نفسه لان حب الانسان لنفسه طبيعي ولغيره اختياري بواسطة الاسباب وهذا هو المراد من عمر فاجاب أولا بالطبع ثم تأمل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه نظرا لكونه الذي أنقذه من هلاك الدنيا والآخرة فاجاب بما اقتضاه الاختيار وليست المحبة هي التعظيم اذ قد يعظم المرء من لا يحب وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم واجب كوجوب محبته قال الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال القرطبي وكل من آمن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة لكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهرا وكثير من العامة يؤثر رؤيته على أهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيارة آثاره لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم (وأبى الله أن يمسني السوء بحال ولي اليك التجاء) أى امتنع الله الكريم أى لم يرد أن يمسني بفتح ياء المتكلم وهو مفعول مقدم والنون نون الوقاية والسوء بالضم فاعل يمس وهو العذاب وبحال أى في حال من الاحوال كما عود خلقه بمنه وكرمه انه لا يخيب من استجار بنبيه من عذابه فيجيره أو توسل به في نيل ثوابه فيعطيه وقد قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقد قيل ألم يرضك الرحمن في سورة الضحى * وحاشاك أن ترضى وفينا معذب وفي التفسير اذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار وسيقول له في ذلك الجمع الاكبر على رؤس

بكنيته حتى كانه ليس له اسم غيرها و يكنى بابى هريرة لانه وجد هرة صغيرة فحملها فى كمه فكنى بها وقيل ان الذى كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم حين رآه يحملها *قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو الاحوص عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم فى طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه) سبق الكلام على هذا الحديث فى باب العيش المتقدم و فى باب صفة الادام * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ان كنا آل محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الماء والتمر) سبق الكلام أيضا على هذا فى باب العيش المتقدم * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار) هو تابعى مشهور من علماء البصرة فالحديث مرسل بل معضل لانه رواه عن الحسن البصرى وهو تابعى أيضا كما أخرجه أبو موسى المدينى وأصحاب الغريب (قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز قط ولا لحم الا على ضفف) هل المراد انه ما شبع من أحدهما كما أفهمه توسيط قط بينهما أو منهما معا لما ورد عن أنس كما تقدم فى باب العيش انه لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم تردد قاله المناوى وابن حجر (قال مالك) أى ابن دينار (سألت رجلا من اهل البادية ما الضفف فقال ان يتناول مع الناس) هذا أحد معانيه كما سبق فى باب العيش المتقدم قال ابن حجر والاستثناء منقطع ووجهه أن أكله مع الناس يستلزم عدم الشبع لما علم من ايثاره صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله تعالى عنهم وجميل أحواله معهم وحمله بعضهم على الاتصال فقال لم يشبع الا فى الضيافات والولائم اه قال المناوى هذه هفوة اذ لو قيل فى حق الواحد منا انه لا يشبع الا عند الناس لم يرتضه فما بالك بذلك الجناب الافخم فالاولى ان يقال ما كان يشبع من ذلك الا اذا نزل به الضيوف فيتكلف لهم حينئذ بتحصيل ما ليس عنده و يؤانسهم بعوا كلتهم فيشبع لضرورة الايناس والمجابرة اه قلت لعل مراد البعض انه صلى الله عليه وسلم اذا أكل فى ضيافة أو وليمة كان يجبر قلب رب الطعام بان يتناول منه أكثر مما يتناول من طعامه فى بيته فكان يشبع من طعام غيره رغبة فى ادخال السرور عليه وهذا وجه حسن لا باس به وقد تقدم ان معنى الشبع فى حقه صلى الله عليه وسلم كما قال الانبرى انما هو ما يحمل جسمه و يحفظ حياته وصحته لا الامتلاء من الطعام والشبع المتعارف و فى الاكل على كثرة الايدى فوائد منها ان الانسان يأكل بالسنة لانه لا يأكل كثيرا اذا كان مع غيره ومنها كونه يؤثر غيره ببعض ما يشتهيه من الطعام فيحصل له بذلك ادخال السرور على أخيه المسلم ومنها التماس البركة من الحاضرين معه لما ورد من أكل مع مغفور له غفر له ﴿تنبيه﴾ يوجد فى بعض النسخ قبل قوله حدثنا قتيبة الخ حدثنا عبد الله بن أبى زياد نا سيار نا سهل بن أسلم عن زيد ثم قال نا قتيبة الخ والذى فى الباب المتقدم بعد قوله نا سهل بن أسلم عن يزيد بن أبى أنيس عن طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع و رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر الحديث فلعل ذكر هذا السند فى حديث ما شبع الخ سهو من الناسخ والله تعالى أعلم

﴿باب ماجاء فى سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

أى مقدار عمره وسميت الجارحة سنا لانه يستدل بها على مدة العمر قال فى المصباح والسن اذا عنيت بها العمر مؤنثة لانها بمعنى المدة (حدثنا أحمد بن منيع نا روح بن عبادة نا زكريا بن اسحق نا عمرو بن دينار

يرجع محروما من التجأ اليك وتعزز بك قال فى البردة

ان لم يكن فى معادى آخذا بيدى
فضلا والا فقل يازلة القدم
حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترم

(قد رجوناك للامور التى أبردها فى فؤاد نار رمضاء) أى أملك معشر محبيك وخدامك للامور التى أبردها أى أيسرها وأفعل من البرودة ضد الحرارة فى فؤادنا أى قلوبنا وأفرد الفؤاد لضرورة الوزن وكان حقه أن يقول فى أفئدتنا وقوله رمضاء تتقدم من خوف المؤاخذة بما قدمنا وأصل الرمضاء الرمل الحار من الشمس وفى القاموس الرمض محركة شدة وقع الشمس على الرمل وغيره رمض يومنا كفرح اشتد حره وقدمه احترقت من الرمضاء للارض الشديدة الحرارة وفى كلامه مجاز وحقيقته رجوناك للامور التى أسهلها الذى من شأنه أن يبرد القلب من جهته أو قد فيه نارا رمضاء فما بالك باصعبها والكل أنت الرجاء فى الشفاعة فيه (وأتينا اليك انضاء فقر * حملتنا الى الغنى انضاء) أى جئناك وتوجهنا بقلوبنا مستجيرين بك من كل مكروه وراجين بك كل محبوب وانضاء فقر جمع نضو بكسر النون وهو المهزول من الابل وغيرها والفقر قلة المال والمراد هنا

مهازيل من قلة العمل الصالح والتقوى حتى ضعفنا عن حمل ذنوبنا والغنى بالقصر ضد الفقر أى حملتنا الى الغنى ركائب مهازيل بطول السير وشدة الاسراع الى حضرتك العلية التى ينال فيها الغنى الاكبر الدنيوى والاخروى (وانطوت فى الصدور حاجات نفس مالها عن ندى يديك انطواء) أى استترت فى القلوب حاجات نفس جمع حاجة أى أوطار نفس مأمول تحصيلها فى حضرتك المكرمة منها طلب الامداد من فضلك والتوسل والتشفع بك الى الله تعالى لانه لا وسيلة أقرب اليه منك وأعظمها طلب رضاه ثم رضاك وقوله مالها عن ندى يديك أى ليس لها عن كرم يديك الكريمتين اخفاء واستغناء اذ لا تقضى الا على يديك ولا يعين بها غيرك بعد الله تعالى (فأغثنا يامن هو الغوث والغيث اذا أجهد الورى اللاواء) أى أسعفنا بمرادنا منك يامن هو الغوث أى المغيث للمكروبين المنقذ لهم من الشدائد والغيث أى المطر للقاحطين المزيل لجوعهم اذا ضيق على الخلق الجدب حتى أشرفوا على الهلاك وفى القاموس جهد دابته بلغ جهدها كأجهدها واللاواء الشدة (والجواد الذى به تفرج الغمة عنا وتكشف الحوباء) الجواد بفتح الجيم السخى الذى لا أكرم منه الذى به تكشف الكربة عنا والحوباء بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة بينهما واو أى الاثم وعقابه وفى القاموس الحوباء النفس والحوبة الهم والحاجة وفى نسخة تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء والغمة والغماء والكربة بمعنى (يارحيما بالمؤمنين اذا ما ذهلت عن أبنائها الرحماء)

دينار عن ابن عباس قال مكث) بضم الكاف وفتحها أى لبث (النبى صلى الله عليه وسلم بمكة) أى بعد البعثة (ثلاث عشرة) أى سنة (يوحى اليه) أى باعتبار مجموعها لان مدة فترة الوحى وهى سنتان ونصف من جملتها (وتوفى وهو ابن ثلاث وستين) فى رواية لمسلم عن ابن عباس أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وبالمدينة عشرا ومات وهو ابن ثلاث وستين وفى البخارى عن عائشة وابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا وفى مسلم أيضا عن ابن عباس أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيأ وثمان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا القرطبى يسمع أصوات الملائكة عليهم السلام والجمادات تسلم عليه بالرسالة ويحتمل الضوء أنه نور الملائكة عليهم السلام ويحتمل انها أنوار تضىء بين يديه أوقات الظلمة يحجب عنها غيره اه وهذه هى الروايات المروية عن ابن عباس فى قدر اقامته بمكة بعد البعثة ولا خلاف أنه أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وبمكة قبل النبوة أربعين سنة وانما الخلاف فى قدر اقامته بمكة بعد النبوة فاما رواية المصنف ومثلها رواية مسلم الاولى فهى أصح الروايات وهى الموافقة لما رواه أكثر الرواة وأما الروايتان الاخريتان عن ابن عباس فبينهما مخالفة من وجهين أحدهما فى مدة الاقامة بمكة عشرة أو خمس عشرة وثانيهما فى زمن الوحى عليه عشر سنين أو ثمان سنين كما ان بينها وبين الرواية الاولى مخالفة فى الامرين أيضا وقد تقدم فى حديث أنس أول الكتاب التوفيق بين رواية أقام بمكة عشر سنين ورواية أقام بها ثلاث عشرة سنة وقد اختلفت الروايات أيضا فى قدر عمره صلى الله عليه وسلم ففى هذه الرواية ثلاث وستون وهى أصحها وأشهرها وفى رواية ستون وفى رواية خمس وستون وقد سبق فى حديث أنس أول الكتاب التوفيق بينها ولما ذكر الابى هذه الروايات الثلاث قال قلت قال ابن العربى ليس هذا باختلاف فانه لم يختلف انه أقام أربعين سنة لا يوحى اليه ثم أقام خمسة أعوام ما بين رؤيا وفترة ثم حمى الوحى وتتابع عشرين سنة فمن عد مدة تتابع الوحى قال ستين ومن عد الجملة قال خمسا وستين ومن أسقط عامى الفترة قال ثلاثا وستين اه بلفظه قلت تنزيل هذا الجمع على اختلاف الروايات فى قدر عمره صلى الله عليه وسلم لا يصح كما هو ظاهر بأدنى تامل نعم يصح ان يجمع بذلك بين الروايات المختلفة فى قدر اقامته بمكة فمن قال ثمانية أعوام أسقط الخمسة اعوام التى بين الرؤيا والفترة وأسقط سنتى ابتداء الرؤيا وعامها ومن قال خمسة عشر أضاف هذه السبعة للثمانية ومن قال عشرة أسقط الخمسة التى بين الرؤيا والفترة فقط ومن قال ثلاثة عشر أضاف لها مدة الفترة فقط على انها أكثر من عامين وهذا الجمع يقتضى أن مدة عمره صلى الله عليه وسلم خمس وستون سنة والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبى اسحق عن عامر بن سعد عن جرير عن معاوية انه سمعه يخطب قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين) تقدم ان هذه الرواية هى أصح الروايات وأشهرها وان غيرها محمول عليها (وأبو بكر وعمر) أى كذلك أو معطوف على رسول وقيل ان أبا بكر توفى وهو ابن تسع أو ثمان او ست او احدى وخمسين ولم يذكر عثمان رضى الله عنه وقد قيل انه قتل وهو ابن اثنين وثمانين وقيل ابن ثمان وثمانين سنة ولم يذكر عليا رضى الله عنه والاصح انه قتل وهو ابن ثلاث وستين وقيل ابن خمس وستين وقيل ابن سبعين وقيل ابن ثمان وخمسين على ما ذكره صاحب المشكاة فى أسماء الرجال (وأنا ابن ثلاث وستين) أى فانا متوقع ان أموت فى هذا السن موافقة لهم لكنه مات وهو ابن ثمان وسبعين سنة أو ابن ستة وثمانين وفيه ايماء الى أن هذا أحسن مدة العمر لما علم من أن الله تعالى لا يختار لنبيه الا ما هو الافضل * قال المصنف

(حدثنا حسين بن مهدى البصرى نا عبدالرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو ابن ثلاث وستين) فقد اتفقت رواية ابن عباس المتقدمة مع رواية معاوية وعائشة رضى الله عنهم على أن مقدار عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع ويعقوب بن ابراهيم الدورقى نا اسمعيل بن علية) هى أمه واسم أبيه ابراهيم وكان يكره هذه النسبة لكنه اشتهر بها (عن خالد الحذاء نى عمار مولى بنى هاشم) كذا فى بعض النسخ وكذا هو فى جامع المصنف وهو الصواب وهو فى بعض النسخ عمارة مولى بنى هاشم وهو سهو لانه لم يوجد فى الرواة عن ابن عباس عمارة مولى بنى هاشم ولا فيمن روى عنه خالد الحذاء عمارة مولى بنى هاشم (قال سمعت ابن عباس يقول توفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين) قال المناوى نسبت هذه الرواية للغلط وبفرض صحتها سبق تأويلها بانه حسب سنتى المولد والوفاة قال العصام وانما يصح لو لم يفصل ابن عباس اربعين قبل الوحى وخمسة عشر بمكة وعشرة بالمدينة على ماذكره مسلم بن منهال اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن ابان) بالصرف وبدونه (قالا نا معاذ بن هشام نى أبى عن قتادة عن الحسن عن دغفل بن حنظلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين قال أبو عيسى) أى الترمذى (ودغفل لا نعرف له سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وكان فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا) اى لا صبيا فقط وفى هذا ميل الى القول بانه مخضرم وقيل ان له صحبة وانه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصارى نا معن نا مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبدالرحمن عن أنس بن مالك انه) اى ربيعة بن أبى عبد الرحمن (سمعه) أى أنسا (يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالابيض الامهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله تعالى على رأس اربعين سنة فاقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) هذا هو الخبر السابق أول الكتاب بعينه الا ان الاسناد مختلف وتقدم الجمع بين الروايات المختلفة فى مدة اقامته بمكة وفى مدة عمره صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة) اى ابن سعيد (عن مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبدالرحمن عن أنس بن مالك نحوه) اى نحو الحديث قبله الا انه بالاسناد السابق اول الكتاب

﴿ باب ما جاء فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر فى هذه الترجمة بعض ما ورد فى مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته واحواله عند لقاء الموت وسكراته وفى ذكر المؤمن لمصيبة الاولين والآخرين بوفاة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين ما يهون عليه الموت ويحببه لديه ويزهده فى الدنيا ومتعلقاتها وينغص لذاتها عليه فانه صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة لامته حيا وميتا فان المؤمن اذا علم أن المولى سبحانه وتعالى اختار لاحب الخلق اليه الدار الآخرة فانه لا محالة يحب لنفسه ما أحبه الله لنبيه وقد ورد تحفة المؤمن الموت وورد الموت ريحانة المؤمن وورد الموت غنيمة المؤمن وورد الموت كفارة لكل مسلم حديث حسن صحيح كما فى سراج المريدين وانظر بشرى الكئيب وأيضا فاذا توفى هو فلا مطمع لاحد فى البقاء قال تعالى أفائن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون قال الحسن لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر

يأحرف نداء استعطاف واستغاثة ورحيما فعيلا من الرحمة وهى رقة القلب وغايتها التفضل والانعام أو ارادتهما والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بوجود الله تعالى ووحدانيته وكماله وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به قال تعالى فى حقه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وكان بالمؤمنين رحيما واستحضر حديث أبى هريرة لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن اختبئ دعوتى شفاعتى لامتى فى الآخرة وفى رواية أنس فجعلت دعوتى شفاعة لامتى وراجع حديث الشفاعة الطويل فى البخارى وغيره وفى المنح المكية والايمان التصديق الاجمالى فى الاجمالى والتفصيلى فى التفصيلى بجميع ما علم من دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا نكفر منكر غير الضرورى وهو ما يستوى فى معرفته الخاص والعام أو بالاجماع وان لم يكن ضروريا لكن انكار المجمع عليه غير الضرورى كفر عند غيرنا أى الشافعية وجماعة منا ولا يكفى التصديق وحده بل لابد من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا فى النار كما نقله النووى عن أهل السنة لكن أشار الغزالى الى ما اختاره جمع محققون انه من أهل الجنة وترك التلفظ معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف يخلد والكلام فيمن يمتنع منه جحودا او انكارا والا لكان كافرا اجماعا وأشار فى المراصد الى تفصيل المسئلة فقال والمرض

وان يكن ذا النطق منه ما اتفق * فان يكن عجزا يكن كمن نطق
وان يكن ذلك عن اباء * فحكمه الكفر بلا امتراء

وان يكن لغفلة كالابا * وذا الذي حكى عياض مذهبا   وقيل كالنطق وللجمهور * نسب والشيخ أبي منصور   والاعمال
عندنا كما كثر المحدثين من الايمان أي من كماله فالميت مؤمنا فاسقا تحت المشيئة قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر
مادون ذلك لمن يشاء ﴿تنبيه﴾ اعلم ان رحيما صيغة مبالغة قيل لانه أبلغ من رحمن وأنه يستعمل في الله تعالى و في غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة في صفة الله تعالى اشكال ومن ثم قال بعضهم صفة الله تعالى التي على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها تثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية في الكمال وأيضا فانما تكون في صفات تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي وغيره فاستشكلا والله على كل شيء قدير لاستلزامه الزيادة على قادر وهو محال وأجيب عن الاول ان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل أو تعدد المفعولات وهذا لا يوجب زيادة للفعل لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى فلا اشكال ولذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة الى الشرائع وفي الكشاف المبالغة في التواب اى ونحوه كوهاب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو في قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وأجيب عن الثاني بان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا لوصف قلت محصل ما في ابن حجر

والمرض والموت وانه مع ذلك لو ثاب وأيضا فمن قويت محبته للنبي صلى الله عليه وسلم لا يصبر عنه و يتشوق الى الموت في كل نفس طمعا في الاجتماع به صلى الله عليه وسلم وذلك من أقوى الادلة على الصدق في المحبة وقد قال سيدنا بلال رضي الله عنه عند موته واطرباه * غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه * و في الحديث الموت تحفة لكل مسلم وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت و يرحم الله شيخنا المحدث الصوفي سيدي عبد السلام بن حمدون جسوس حيث يقول في هذا المعنى

أيا أمة المختار ياخير أمة * تجافوا عن الدنيا وحنوا الى القرب
ألستم بدار لا ترون حبيبكم * وكيف يطيب العيش دون لقا الحب

ولغيره

يرى الموت قوم فناءهم * وفيه الحياة التي لا تغيب
فلا تكرهوا موتكم انه * فراق العدو ولقيا الحبيب

فهو باعتبار خروج المؤمن من سجن الدنيا تحفة وكرامة واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حج وخطب عرض باقتراب اجله وقال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد هذا وجعل يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع ولما رجع الى المدينة جمع الناس في الطريق وخطبهم وقال أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته ولما وصل الى المدينة مكث قليلا ثم مرض بصداع وحمى فخرج وهو معصوب الرأس فصعد المنبر ثم قال كما رواه الشيخان ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء و بين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضي الله عنه وعرف أن نفسه يريد فقال نفديك بانفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر ثم قال انظروا هذه الابواب اللاصقة بالمسجد فسدوها الا باب ابي بكر فاني لا أعلم احدا كان افضل في الصحبة عندي يدا منه وأراد عمر فتح كوة لينظر الى النبي صلى الله عليه وسلم منها فمنعه من ذلك وقال عليه السلام للعباس ما فتحت عن أمري ولا سددت عن أمري وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في عباده و بلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على انفسكم وعلى من دخل في ديني بعدي مني السلام وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتي بعدي فأوحى الله الى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته و بشره انه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا اجتمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن طابت نفسي وقرت عيني (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث وقتيبة بن سعيد وغير واحد قالوا نا سفيان ابن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك قال آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف الستارة) اى الحجاب (يوم الاثنين) ان كان يوم الاثنين بالرفع كما قيل كان خبرا عن قوله آخر باعتبار مضاف مقدر وقوله كشف الستارة حال بتقدير قد او بدونها على ما جوزه بعضهم أي زمان آخر نظرة نظرتها اليه صلى الله عليه وسلم والحالة انه كشف الستارة اى رفعها يوم الاثنين وان كان منصوبا على الظرفية فخبر المبتدا مستفاد من قوله كشف الستارة فانه ساد مسد الخبر فكانه قال آخر نظرة نظرتها اليه حين كشف الستارة يوم الاثنين (فنظرت الى وجهه كأنه ورقة مصحف) بتثليث الميم قال ابن حجر والاشهر الضم والتشبيه

في حسن البشرة وضياء الوجه وبياضه واستنارته (والناس خلف أبي بكر) فاراد الناس الخروج عن الاقتداء بأبي بكر رجاء أن يتم الصلاة بهم النبي صلى الله عليه وسلم أو أرادوا ان يعطوه الطريق ليصل اليهم (فاشار الى الناس أن اثبتوا) اي كونوا على ما أنتم عليه من الصلاة مع أبي بكر او القيام في الصف و زاد قوله (وأبو بكر يؤمهم) اشارة الى انه كان في اثناء الصلاة (وألقى السجف) بفتح السين وكسرها كما في القاموس زاد في النهاية وقيل اذا كان مشقوق الوسط (وتوفي من آخر ذلك اليوم) رواية البخاري عن الزهري قال اخبرني أنس ان ابا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر الينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن ان النبي صلى الله عليه وسلم خارج الى الصلاة فاشار الينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفي من يومه اه وليس في هذه الرواية ما ينافي ما جزم به اهل السيرة من انه عليه السلام توفي حين اشتد الضحى بخلاف رواية المصنف لكن قال العسقلاني يجمع بينهما بان اطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول في النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحى يقع قبل الزوال و يستمر حتى يتحقق زوال الشمس وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابي الاسود عن عروة فهذا يؤيد الجمع الذي أشرت اليه اه قال بعضهم ويمكن أن يجمع بينهما بان يحمل قوله وتوفي من آخر ذلك اليوم على تحقق وفاته عند الناس اه قال ابن سيد الناس في عيون الاثر اختلف أهل العلم في اليوم الذي توفي فيه بعد اتفاقهم على انه يوم الاثنين في شهر ربيع الاول فذكر الواقدي وجمهور الناس انه الثاني عشر قال أبو الربيع بن سالم وهذا لا يصح وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه وقد تقدمه السهيلي الى بيانه بان حجة الوداع كانت وقفتها يوم الجمعة فلا يستقيم ان يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول سواء تمت الاشهر كلها أو نقصت كلها أو تم بعضها ونقص بعضها وقال الطبري يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول وقال أبو بكر الخوارزمي أول يوم منه وكلاهما ممكن اه وأجيب عن اشكال قول الجمهور بانه يحتمل اختلاف أهل مكة والمدينة في رؤية هلال ذي الحجة بواسطة مانع من السحاب أو غيره أو بسبب اختلاف المطالع فتكون غرة ذي الحجة عند أهل مكة يوم الخميس وعند اهل المدينة يوم الجمعة وكان عرفة واقعا برؤية أهل مكة ولما رجع الى المدينة اعتبروا التاريخ برؤية أهل المدينة وكانت الشهور الثلاثة كوامل فيكون أول ربيع الاول يوم الخميس ويوم الاثنين الثاني عشر منه وقد صحح النووي اعتبار اختلاف المطالع عند الشافعية خلافا للعصام في قوله انهم لا يعتبرونه انظر المناوي *قال المصنف (حدثنا حميد بن مسعدة البصري نا سليم بن أخضر عن ابن عون عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت مسندة النبي صلى الله عليه وسلم الى صدري أو قالت الى حجري) بفتح الحاء ويكسر وهو ما دون الابط الى الكشح (فدعا بطست) التاء فيه بدل من السين ولهذا يجمع على طساس وطسوس ويصغر على طسيس اعتبارا باصله (ليبول فيه ثم بال) قال شارح في نسخة مال أي بالميم قال في جمع الوسائل والظاهر انه تصحيف اه قلت في البخاري ذكر عند عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى الى علي فقالت من قاله لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم واني لمسندته الى صدري فدعا بالطست فانخنث فمات فما شعرت فكيف أوصى الى علي اه ومعنى انخنث استرخت أعضاؤه (فمات) ظاهره انه مات في حجرها ويوافقه رواية البخاري عنها توفي في بيتي في يومي وبين سحري ونحري

وهو كما قاله بعض المحققين غلط نشأ من اشتباه المبالغة عند أهل البيان وهي أن تثبت للشيء اكثر مما له بالمبالغة النحوية وهي الاتيان بصيغة من صيغ المبالغة للدلالة على الكثرة ثم قال ابن حجر واعلم ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا وأجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب وبانه نفي الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة وبانه بمعنى ذي ظلم وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة وبان أقل القليل لو وقع منه تعالى كان كثيرا وبانه أراد ليس بظلام تأكيدا للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه ورد ردا على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء في الاثبات فجرى النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهو مناسبة رؤس الآي اه انظر الاتقان للسيوطي وقوله اذا ما ذهلت هي ظرف لرحيما وما زائدة وذهلت غفلت والابناء جمع ابن والرحماء جمع رحيم كالامهات وذلك يوم القيامة قال تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية وتقييد رحمته

بذلك الوقت ليس لانتفائها فى غيره بل لشدة اعتنائه بامته اذ يقول أكابر الرسل نفسى نفسى و يقول هو يارب أمتى أمتى صلى الله عليه وسلم
وظهورها فى ذلك اليوم أظهر و يظهر الله تعالى له فيه من التعظيم والسودد والتقدم على جميع الانبياء والتخصيص بالشفاعة

ونحرى و فى رواية بين حاقنتى وذاقنتى والسحر الرئة والنحر موضع القلادة من الصدر والحاقنة محل الحفرة التى فى أسفل العنق والذاقنة الذقن * قال ابن حجر ولا يعارضه ما للحاكم وابن سعد من طرق ان رأسه المكرم كان فى حجر على رضى الله عنه لان كل طريق منها لا يخلو عن شىء قاله العسقلانى و بتقدير صحتها المراد انه كان فى حجره قبيل الوفاة اهـ وفيه حل الاسناد للزوجة والبول فى الطست ولو بحضرة الزوجة وفيه مزية عائشة رضى الله عنها على غيرها من أزواجه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث عن ابن الهاد) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد (عن موسى بن سرجس عن القاسم ابن محمد عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت) اى مشغول ومتلبس به (وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل) أى يغمس (يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء) لانه كان يغمى عليه من شدة الوجع ثم يفيق و فى البخارى الحمى من فيح جهنم فاطفؤها بالماء والخطاب لاهل الحجاز لان غالب حمياتهم حرارة عارضة بسبب حرارة القطر وليس كل حمى تعالج بالماء وفيه عن ابن مسعود قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يارسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك بان لك أجرين قال أجل ذلك كذلك مامن مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيآته كما تحط الشجرة ورقها والوعك الحمى أو ألمها او ترعيدها المريض وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت احدا الوجع عليه أشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وفيه انه يسن فعل ذلك لمن حضره الموت فان لم يفعل فعل به ما لم تظهر كراهيته لذلك لان فيه نوع تخفيف من كرب الحرارة كالتجريع بل يجب التجريع ان ظهرت حاجته له (ثم يقول اللهم أعنى على منكرات الموت) اى شدائده وغمراته التى تغطى العقل و فى تلك الشدائد زيادة رفع درجات الاصفياء وكفارة لسيآت أهل الابتلاء (أو قال على سكرات الموت) ما يحصل للعقل من التغطية المشابهة للسكر فمآل المنكرات والسكرات واحد وأو للشك والشك انما هو فى اللفظ و فى رواية احمد سكرات الموت من غير شك و فى رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات والاعانة على ذلك بالصبر والتثبت وعدم الجزع والفزع لشدتها و فى البخارى عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم رفع يده أو اصبعه ثم قال فى الرفيق الاعلى ثلاثا ثم قضى و فى رواية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفرلى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الاعلى و فى رواية عنها قالت كنت أسمع انه لا يموت نبى حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه وأخذته بحة يقول مع الذين أنعم الله عليهم الآية فظننت انه خير فاختار افاء الله تعالى والمقصود من هذا التخيير اظهار مزيتهم والا فلا يختارون على لقاء الله شيأ و فى رواية عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم أفاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا وهو صحيح قالت فكانت آخر كلمة تكلم بها اللهم الرفيق الاعلى أى أسألك الرفيق وهم المذكورون فى قوله تعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الآية وقيل ان المراد بالرفيق الله تعالى من الرفق بمعنى اللطف لا بمعنى المرافقة بمعنى الصحبة والمخالطة كما فى الوجه الاول وقد تقدم انه قال وهو على المنبر ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء و بين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر فمات طلب سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم لمغفرة الله و رحمته والالحاق بأهل طاعته فى آخر يوم من أيام الدنيا يدل على ان المؤمن وان بلغ ما بلغ فى

العظمى ما يغبطه به الاولون والآخرون و يعلم كل مخلوق أنه لا أقرب الى الله تعالى منه ولا أعز و فى رحما والرحماء رد العجز على الصدر و بين الذمام والذماء وصاعدات وصعداء واقتفى واقتفاء ووعرة وعراء و يتقى والاتقياء ودرعا وذرعاء والعرج والعرجاء وحب والحباء جناس الاشتقاق أو شبهه

(ياشفيعا فى المذنبين اذا أشـ
فق من خوف ذنبه البرآء)

شفيعا من الشفاعة وهى السعى فى اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه واذا ظرف لشفيعا وأشفق دهش من عقاب عصيانه البرآء جمع برىء أى من الكبائر لان خوفه من الصغائر يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه ولا يخلو منها الا المعصومون والمحفوظون والخوف يعم حتى من لم يكن له ذنب كيف والانبياء شعارهم ذلك اليوم اللهم سلم سلم

(جد لعاص وماسواى هو العا
صى ولكن تنكيرى استحياء)

أى جد لمذنب تارك للطاعة و يعنى نفسه ولم يقل لى لما يأتى و لم يعين ما يجود به عليه قصد العموم المسؤل بان يتكرم عليه فى ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وقوله وماسواى أى وليس العاصى غيرى ما العاصى الا أنا ولكن تنكيرى نفسى فى قوله لعاص ولم أعرفها بقولى أنا أو فلان استحياء أى

معرفة الله تعالى والجد والاجتهاد فى عباداته لا يسعه الرضا عن نفسه ولا يرى أن لها فضلا على غيره وان اللائق بحاله دوام الانكسار وملازمة الاستغفار وطلب رحمة الرحيم الغفار وما قدروا الله حق قدره ولذلك يقولون الاستغفار دأب العارفين وسنة خير الخلق من الانبياء والمرسلين وتقدم انه كان يعد له عليه الصلاة والسلام فى المجلس الواحد أكثر من مائة مرة رب اغفر لى وتب علىّ ولما نزلت سورة الفتح بعد ان نصر الله دينه ودخل الناس فيه أفواجا ثبت فى الصحيحين انه عليه السلام ما صلى بعد ذلك صلاة الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى * قال المصنف (حدثنا الحسين بن الصباح البزار نا مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء عن أبيه عن ابن عمر عن عائشة رضى الله عنها قالت لا أغبط أحدا) من الغبطة وهى اشتهاء أن يكون لك مثل من غبطته (بهون موت) من اضافة الصفة للموصوف اى بموت هون سهل ليس فيه شدة فى الصحاح الهون مصدر هان عليه الشئ أى خف وهونه الله عليه سهله وخففه (بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجه ذلك ان شدة موته عليه السلام مما يدل على أن شدة الموت ليست من علامات السوء وان سهولتها ليست من الكرامات والا لكان النبى صلى الله عليه وسلم أولى الناس بهذه الكرامة فاذا لا تكره شدتها ولا تغبط سهولتها وأما العكس فما لا يتوهم ولهذا لم تقل أغبط كل من يموت بشدة فان الشدة لا تدل على خير وبالعكس والرفق لا يدل على سوء وبالعكس قال فى جمع الوسائل والتحقيق أن الشدة انما كانت فى مقدمات موته لا فى نفس سكراته كما يتوهم ثم مرادعائشة أنى لا أتمنى الموت من غير سبق مرض شديد كما يقع لبعض الناس ويحسبه العوام ان الله هوّن عليه اكرامالة فتأمل فانه موضع زلل اه وقد تقدم قول عائشة رضى الله عنها فانخنث فما شعرت وهو يؤيد ماقاله فى جمع الوسائل وقد سبق قوله انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم وقول عائشة رضى الله عنها ما رأيت أحدا الوجع عليه اشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها انه لما اشتد وجعه قال اهريقوا علىّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد الى الناس فأجلسناه فى مخضب لحفصة ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن الحديث وكأن للسبع خاصية فى كسر سورة السم الذى كان به مرضه صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم وفى الحديث أشدكم بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وقد قال العلماء رضى الله عنهم ان ابتلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مشتمل على حكم منها علم كثير من الاحكام الشرعية كصلاة الخوف واتخاذ الحراس عند الخوف من العدو وكالتداوى عند المرض وان ذلك لا ينافى التوكل وكاستعمال الصبر والرضا والاستسلام والتفويض عند نزول المكاره والدعاء على المتمردين ووجوب الهجرة بشروطه الى غير ذلك من أحكام الظاهر والباطن ومنها تكثير الاجر واعظام الثواب ومضاعفة العطاء ومنها رفعة المنزله وعلو الدرجة وذلك ان رضا الله عن العبد ثمرة رضى العبد ورضاه تعالى عن عبده أعلى الدرجات قال تعالى ورضوان من الله أكبر أى من النعيم الذى يكون فيه أهل الجنة وظهور أثر الرضا فيما يخالف هوى النفس أزيد وأكثر ومنها الاقتداء بهم أى التخلق بأخلاقهم عند نزول البلايا وهذا غير علم الاحكام اذ لا يلزم من العلم العمل وذلك كالصبر الجميل والرحمة والعفو عند تكذيب الخلق لهم وتسلطهم عليهم وكرؤية الفعل من الله دونهم والاعراض عنهم والتعلق بالله والاكتفاء به وقد أشار شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن زكرى كان الله تعالى له بمنه فى قصيدته الهمزية الى

أمرك وارتكاب ما نهيت عنه وحمل استحياء على التشبيه مبالغه ترجيح عدل فان قلت هذا عين ومصدر وكلام الناظم فيه مصدر ان قلت المراد التشبيه من حيث ان الخبر فى كل منهما يحتاج لتأويل لان الحمل شرطه المساواة وهى غير موجودة هنا التباين مدلولهما واعلم ان الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق أى لا رازق سواه وكلام الكشاف يميل الى ان تعريف الخبر يكون لقصر المسند بحسب المقام وكلام الناظم بحسب مفهومه يحتملهما أى أنا هو العاصى وما العاصى الا أنا وأشير بتنكير عاص الى ارادة التحقير وانحطاط شأنه الى حد لا يمكن أن يعرف نحو من أى شئ خلقه أى من شئ حقير مهين بينه بقوله من نطفة خلقه انظر ابن حجر فقد أطال ثم ختم بذكر قاعدة يعم نفعها وهى التى نظمها السيوطى فى قوله ثم من القواعد المشتهره

اذا أتت نكرة مكرره
تغايرا وان يعرف ثانى
توافقا كذا المعرفان
شاهده الذى روينا مسندا
لن يغلب اليسر بن عسر أبدا
ونقض السبكى ذا بأمثله
وقال ذى قاعدة مستشكله

(وتداركه بالعناية مادام لديه بالذمام منك ذماء) أى تلافه بالاهتمام منك بحاله بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى تحسن حالته فيما بقى من عمره ويسامح ويرضى عنه فى آخرته ما استمر له بالذمام بالذال المعجمة أى بحقك وحرمتك وهو متعلق بذماء بعده قال فى القاموس الذماء هذه

هذه الحكم الاربعة بقوله

حكمة فى امتحانهم علم أحكا * م وأجر ورفعة وائتساء

ومنها أن لا يفتتن الناس بهم ويعبدونهم لما ظهر على أيديهم من خوارق المعجزات وواضح البينات قاله ابن حجر (قال أبو عيسى سألت أبا زرعة) هو من أكابر مشايخ الترمذى وهو العمدة فى معرفة الرجال عند المحدثين (فقلت له من عبد الرحمن بن العلاء هذا) المذكور فى السند أى لان عبد الرحمن بن العلاء متعدد فى الرواة (فقال هو عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج) بجيمين * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبى بكر هو المليكى) بالتصغير (عن ابن أبى مليكة) بالتصغير (عن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه) أى فى أصل دفنه وسيأتى أى دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فى مكان دفنه فقيل بمسجده وقيل بالبقيع وقيل عند جده ابراهيم عليه السلام وقيل بمكة (فقال أبو بكر) جوابا عن كل من السؤالين فلا معنى لقول شارح لا فى أصل الدفن قاله فى جمع الوسائل وقد رواه مالك فى الموطأ وابن ماجه أيضا عنه (سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ ما نسيته) فيه ايماء الى كمال استحضاره وحفظه (قال ما قبض الله نبيا الا فى الموضع الذى يحب) أى الله أو النبى وحب النبى تابع لحب الله (ان يدفن فيه) قال ابن حجر لا يشكل هذا بنقل موسى ليوسف صلى الله عليه وسلم من مصر الى آبائه بفلسطين لان يوسف أقبر فى المحل الذى قبض فيه وأما نقله منه بعد ذلك فهذا الحديث لا يدل على امتناعه لا سيما وموسى انما فعله بوحى كما هو الظاهر أو ان محبة يوسف لدفنه بمصر كانت مغياة بفقد من ينقله الى آبائه وجاء ان عيسى عليه الصلاة والسلام يدفن بجنب نبينا صلى الله عليه وسلم وانه ترك له موضع ثم ويؤخذ منه بفرض صحته ان عيسى عليه السلام يقبض فى الحجرة فى المحل المحاذى لدفنه انظر تمامه (ادفنوه فى موضع فراشه) أى فى المحل الذى تحت فراشه الذى مات وهو عليه وقد ورد مثل هذا عن على ولفظه انه ليس فى الارض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه قال ابن بطال وقد جاء فى الحديث ان المؤمن يقبر فى التربة التى خلق منها فتكون تربة المدينة أفضل الترب كما أنه صلى الله عليه وسلم أفضل البشر قال فى المواهب أجمعوا على أن الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجى والقاضى عياض بل قد نقل التاج السبكى كما ذكره السيد السمهودى فى فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلى انها أفضل من العرش وصرح الفاكهى بتفضيلها على السموات اه وفى ذلك يقول بعض المشارقة رحمه الله تعالى

وبقعته التى ضمت عظاما * رياض من جنان تستطيل
وأفضل من سموات وأرض * وأفلاك باملاك تجول
ومن عرش ومن جنات عدن * وفردوس بها خير جزيل

* قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا محمد بن بشار وعباس العنبرى وسوار) بواو مشددة (ابن عبد الله وغير واحد قالوا نا يحيى بن سعيد عن سفيان الثورى عن موسى بن أبى عائشة عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وعائشة ان أبا بكر قبل النبى صلى الله عليه وسلم) أى بين عينيه كما سيأتى أو قبل جبهته كما رواه أحمد (بعد ما مات) وكذا رواه البخارى وغيره أيضا وفعل ذلك تيمنا وتبركا واتباعا له صلى الله عليه وسلم فى تقبيله عثمان بن مظعون بعد موته وهو يبكى حتى سالت دموعه على وجه عثمان * قال المصنف (حدثنا نصر بن على الجهضمى نا مرحوم بن عبد العزيز العطار عن أبى عمران الجونى) نسبة الى بطن من الازد (عن يزيد بن

الذمام الحق والحرمة والذمة بالكسر العهد والكفالة ومنك متعلق بالعناية وذماء بفتح الذال المعجمة أى تعلق وأصله بقية الروح فى المذبوح وتعلقه بك لا ينقطع ومن تعلق بكريم أجاره وأنت سيد الكرماء وقال ابن حجر بالذمام قسم يتعلق بتداركه أى تداركه بحق حرمتك التى أنعم الله بها عليك مادام منك ذماء (أخرته الاعمال والمال عما قدم الصالحون والاغنياء) أى أخرته الاعمال السيئة التى ارتكبها والمال الذى أمسكه ولم ينفقه فى حقه وفى وجوه الخير هذا ان كان مجموعا من حله والا فالامر أعظم والصالحون جمع صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فيشمل الملائكة ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قال المصلى فى تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت كل عبد لله تعالى صالح فى السماء والارض وبين أخرته وقدمت التطابق كالحسنات والسيئات والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وامام والصيف والشتاء والحر والبرد ويومى وليلتى والرجاء والخوف والاقوياء والضعفاء والآيات والاغنياء جمع غنى وهم ذوو الاموال ويعنى من الاعمال الصالحات والانفاق فى وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب فالاول للاعمال والثانى للمال وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه (كل يوم ذنوبه صاعدات * وعليها أنفاسه صعداء)

الذنوب وفي القاموس الصعداء كالبرحاء تنفس طويل
(ألف البطنة المبطئة السير بدار بها البطان بطاء) أي ولع بالبطنة وهي بكسر الباء قال الجوهري أي ملء بطنه من الطعام والشراب وفي القاموس البطنة بالكسر البطر والاشر والمراد بالسير المعنوي والقلبي لانها تؤخر الجوارح عن الاعمال الصالحات ولا تسرع بها الى الطاعات التي يكون بها التقرب الى الله تعالى لان البطن اذا امتلأت كسلت الاعضاء وأفسدت العقل فالبطنة مذهبة للفطنة وقوله بدار هي الدنيا وبها أي فيها البطان جمع بطين ككرام وكريم وهو الذي همته في بطنه والعظيم البطن وبطاء جمع بطيء أي غير سريع فهم متأخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين لان من كثر أكله عظم لحمه وثقل جسمه وتكاثر نومه فعاقه ذلك عن الاجتهاد واستفراغ الوسع في الاعمال الصالحات التي هي سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل وصف دنيء وخلق رذيل ولو لم

بانوس) بموحدتين بينهما ألف ثم نون مضمومة وواو ساكنة ومهملة بصري مقبول من الثالثة (عن عائشة ان أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على ساعديه وقال وانبياه واصفياه واخليلاه) وفي رواية ابن أبي شيبة فوضع فاه على جبينه فجعل يقبله ويبكي ويقول بابي أنت وأمي طبت حيا وميتا قال في جمع الوسائل وفي ذلك دليل على جواز عد أوصاف الميت بصيغة المندوب لكن بلا نوح بل ينبغي أن يكون مندوبا لانه من سنة الخلفاء الراشدين اه وفي البخاري عن أنس لما ثقل نبي الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه فقالت فاطمة واكرب أباه فقال لها ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ثم لا ينافي هذا ما يأتي من ثباته لانه محمول على أنه قال ذلك من غير انزعاج وقلق وجزع وفزع على ما ذكره الطبري * قال المصنف (حدثنا بشر بن هلال الصواف البصري نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء) من بيانية قدمت هي ومجرورها العائد على المدينة على المبين وهو كل شيء قال في جمع الوسائل والاظهر ان كلا من الاضاءة والاظلام معنويان خلافا لابن حجر حيث قال الظاهر انهما محسوسان لما فيه من المعجزة اه اذ لا يخفى أن المعجزة لا تثبت بمثل هذا ولم يروأحد من الصحابة ما يدل على انهما محسوسان لاسيما وفي ألسنة الفصحاء عند الهناء أضاء العالم وعند موت العظماء أظلمت الدنيا اه قلت الامر محتمل وربما يرشح ما قاله في جمع الوسائل قوله (وما نفضنا أيدينا من التراب) أي تراب القبر (وانا) بالكسر أي والحال انا (لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا) أي لم تبق قلوبنا على ما كانت عليه من الصفاء والرقة بل تغير حالها لفقدها ما كان يحصل لها بما ينته صلى الله عليه وسلم من الانوار والبركات فبنفس موته صلى الله عليه وسلم ظهر النقص في الخير وفي حديث مسلم عن حنظلة الاسدي وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كانا رأي عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرار وقد تقدم في باب التواضع عند قوله ويحفظون الغريب نحو هذا عن أبي هريرة ومعنى عافسنا حاولنا ومارسنا ما نحتاج من أمور الازواج والاولاد والضيعات وهي ما يكون منه معاش الرجل من مال أو حرفة * قال المصنف (حدثنا محمد بن حاتم نا عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين) سبق ان هذا متفق عليه بين أرباب السير وانما وقع الخلاف في محل اليوم الذي توفي فيه من الشهر هل هو اليوم الاول أو الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول وفيه الاشكال المتقدم كما وقع الخلاف أيضا في أي وقت مات من النهار * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر نا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه) محمد الباقر وهو من التابعين فالحديث مرسل (قال

يكن من شؤم البطنة الا ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء من انها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن باذهاب نشاطه وقوته وبين بطان وبطاء جناس لاحق

(فبكى ذنبه بقسوة قلب * نهت الدمع فالبكاء مكاء) أى بكى ذنبه مع يبس قلب وفى القاموس قسا قلبه قسوا وقسوة وقساوة وقساء صلب وغلظ ونهت الدمع أى تلك القسوة عن أن يبرز منه شىء مما شأنه

ان ينشأ عنه فلذا انقلب البكاء وهو الماء

(قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء ودفن من الليل) أى ليلة الاربعاء وهذا قول الاكثر وقيل ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء (قال سفيان وقال غيره) أى غير محمد الباقر (سمع صوت المساحى من آخر الليل) فيه بيان لاجمال رواية الباقر وانما أخروا دفنه صلى الله عليه وسلم مع ان المطلوب الاسراع بالتجهيز لقوله صلى الله عليه وسلم لاهل بيت أخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه لانهم كانوا أميين لم يجربوا موت نبى كما يأتى فلما نزلت بهم هذه المصيبة وقع لهم اضطراب وتحير وصاروا كأجساد بلا روح وأجسام بلا عقول وطاشت عقولهم ودهشوا وتوقعوا هجوم الكفار فلم يتفق لهم الاسراع بالتجهيز أولا شتغالهم أمر الخلافة ليكون لهم امام يرجعون اليه عند التنازع فى شىء من أحواله ولو تركوا البيعة لربما وقع اختلاف وفتن عظيمة فلما بايعوا أبا بكر وكشف به الكرب من أهل الردة رجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فجهزوه أو لعدم اتفاقهم على موته أو على محل دفنه أو للامن من تغيره أو ليبلغ خبر موته النواحى القريبة فيحضروا جنازته اغتناما للثواب * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا عبد العزيز بن محمد عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء قال أبو عيسى هذا حديث غريب) أى والمشهور ما تقدم انه دفن ليلة الاربعاء وجمع بينهما بانهم شرعوا فى تجهيزه آخر يوم الثلاثاء فلم يفرغوا منه الا آخر ليلة الاربعاء وقيل ان هذا سهو من شريك بن عبد الله * قال المصنف (حدثنا نصر بن على الجهضمى أنا عبد الله بن داود قال نا سلمة (بن نبيط) بالتصغير (أخبرنا) بصيغة المعلوم وفى نسخة بصيغة المجهول (عن نعيم) وفى نسخة أخبرنا نعيم وهو مما يؤيد النسخة الاولى (ابن أبى هند عن نبيط ابن شريك) بفتح المعجمة (عن سالم بن عبيد) بالتصغير (وكانت له صحبة) قال العسقلانى سالم بن عبيد الاشجعى صحابى من أهل الصفة (قال أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه) فيه جواز الاغماء على الانبياء وانه من جملة المرض الجائز فى حقهم لكن قيده الشيخ أبو حامد من الشافعية بغير الطويل وجزم به البلقينى قال السبكى وليس اغماؤهم كاغماء غيرهم لانه انما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم وقوتهم الباطنة لانها اذا عصمت من النوم الاخف فالاغماء أولى أما الجنون فيمتنع عليهم قليله وكثيره لانه نقص وألحق به السبكى العمى قال ولم يعم نبى قط وأما ما ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت وأما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت وحكى الرازى عن جمع ما يوافقه اهـ من ابن حجر وعليه فقوله تعالى وابيضت عيناه وارتد بصيرا مؤول (فأفاق فقال حضرت الصلاة) بتقدير الاستفهام وفى البخارى انها صلاة العشاء والمعنى أحضر وقتها (فقالوا نعم فقال مروا بلالا) تقدمت ترجمته أثناء باب صفة الادام (فليؤذن) يحتمل الاذان أو الاقامة والثانى أقرب وأنسب بقوله (ومروا أبا بكر فليصل للناس أو قال بالناس) أى اماما بهم (ثم أغمى عليه فأفاق فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس) فيه الاهتمام بالصلاة وبالاجتماع لها وفى تكرار الامر بامامة أبى بكر اشارة الى أن أولى الناس بالخلافة بعده صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله عنه وأنه لا يتولى الخطط الشرعية الا من يستحقها ويكون أحق بها من غيره وفى عيون الاثر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه ذلك لعبد الله بن زمعة بن الاسود مر الناس فليصلوا فقدم عمر لغيبة أبى بكر فلما سمع صلى الله عليه وسلم صوته أخرج رأسه حتى اطلع الناس من حجرته ثم قال لا لا لا ليصل لهم ابن أبى قحافة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى هذا الخبر قال فانتقضت الصفوف وانصرف

الجارى منها من حزن أو سرور فيحصل بسببه للقلب من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق مايجرى الدموع ويهيج الرجوع لكن تلك القسوة نهت الدموع عن أن يبرز منه شىء فالبكاء اذا الذى هو الصوت مع الدمع مكاء بالتخفيف أى كالمكاء وهو الصفير بجامع ان كلا صوت جرى على اللسان ولم يتأثر به القلب فبكاؤه اذا صورى لا حقيقى وبين البكاء ومكاء الجناس المضارع (وغدا يعتب القضاء ولا عذر لعاص فيما يسوق القضاء) أى صار ذلك العاصى بعد ماوقع منه من المعاصى والبكاء الذى لا نفع معه لقسوة قلبه يعتب القضاء أى يجد على القدر السابق وفى القاموس العتب الموجدة والملامة كالعتاب والمعتبة ولا عذر لعاص يحتج به حتى يسقط اثمه وتندفع مؤاخذته فيما يسوق القضاء أى يأتى به اليه ويقع منه بسببه وكل واقع انما هو واقع بقضاء الله تعالى وقدره وكل ماقدره تعالى فلابد من وقوعه واعلم ان الله أجرى عادته الالهية على أسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب وينسب وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل فى الحقيقة انما هو بقضائه وقدره فلابد من رعاية المقامين هذا هو المذهب العدل السوى والطريق الواضح الجلى انظر ابن حجر ثم قال فان قلت قوله ولا عذر لعاص فيما يسوق القضاء

ينافيه احتجاج آدم في قصته مع موسى عليهما الصلاة والسلام لما قال له موسى أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة بخطيئتك أي بالنسبة لمقامك
والا فهي ليست بخطيئة حقيقة لانه نسي كما في الآية فقال له آدم أتلومني على أمر قدره الله تعالى علي قبل أن يخلقني قال

عمر فما برحنا حتى طلع ابن أبي قحافة وكان بالسنح وتقدم فصلى بالناس اه (فقالت عائشة ان أبي رجل أسيف) أي سريع الحزن رقيق القلب (اذا قام ذلك المقام تبكي) اي لفقد خليله صلى الله عليه وسلم وأما قول ابن حجر لتدبره القرآن فبعيد من قوله اذا قام ذلك المقام (فلا يستطيع) اي الامامة او القراءة (فلو أمرت غيره) أي لكان حسنا فجوابه لو محذوف ويحتمل ان لا تكون شرطية بل للتمني فلا تحتاج الى جواب (قال) اي سالم (ثم أغمي عليه فافاق فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب) جمع صاحبة (أو صواحبات يوسف) جمع صواحب فهو جمع الجمع خلافا لابن حجر والمراد انكن مثل صواحب يوسف والتشبيه في اظهار خلاف ما في الباطن والخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة فقط كما أن المراد بصواحب يوسف زليخا فقط. ووجه الشبه بينهما انها استدعت النسوة وأظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو أن ينظرن الى حسن يوسف عليه السلام ويعذرنها في محبتها له كما أن عائشة اظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة عن أبيها كونه لا يسمع الناس لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به لقيامه مقام النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه أو فهمت منه التنبيه على الخلافة فظنت انه لا يستطيع القيام بأمر الناس كما ورد عنها ويحتمل ان الجمع في الموضعين على ظاهره وان المراد بالخطاب عائشة وحفصة وجمع تعظيما لهما أو تغليبا لمن معهما أو بناء على ان أقل الجمع اثنان او اشارة الى ان هذا شأن النساء ففي البخاري ان عائشة طلبت من حفصة أن تقول للنبي صلى الله عليه وسلم مثل ما قالت له عائشة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم مه انكن لأنتن صواحب يوسف فقالت لها حفصة ما كنت لاصيب منك خيرا وان المراد بصواحب يوسف نساء المدينة فقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى فلما سمعت بمكرهن انما سماه مكرا لانهن قلن ذلك وأظهرن معاتبتها توسلا الى اراءتها يوسف لهن وكان يوصف حسنه وجماله عندهن وقيل التشبيه في التظاهر على ما يردن وكثرة الحاحهن على ما يملن اليه كتظاهر امرأة العزيز ونسائها على يوسف ليصرفنه عن رأيه في الاستعصام وفي هذا الحديث جواز مراجعة الامام في الامر يامر به ولكن على غير وجه المناقضة بل باللطف وحسن القول واظهار الحجة لخلافه كما فعلته عائشة وحفصة وفيه ان التوبيخ من الامام أو العقوبة انما تكون لمن رأى خلاف رأيه اذا كرر عليه لا من أول مرة اذ لا معنى للكلام بعد التكرار نعم اذا كان غلطا أو خطأ لزم التكرار حتى يتبين كما في حديث ذي اليدين انظر ابن مخلص (قال فأمر بلال فأذن وأمر أبو بكر فصلى بالناس) قال في عيون الاثر صلى بهم أبو بكر سبع عشرة صلاة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية وقال لم يقبض نبي حتى يؤمه رجل من قومه (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة فقال انظروا الى من أتكئ عليه) أي لأخرج للصلاة (فجاءت بريرة) هي مولاة لعائشة بنت أبي بكر وكانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة وجاء الحديث في شأنها بأن الولاء لمن أعتق وفي الاستيعاب عن عبد الملك بن مروان انه قال كنت أجالس بريرة بالمدينة قبل ان ألي هذا الامر فكانت تقول لي يا عبد الملك اني أرى فيك خصالا وانك لخليق ان تلي هذا الامر فان وليته فاحذر الدماء فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق (ورجل آخر) في رواية ابن حبان بريرة ونوبة بضم النون وموحدة عبد أسود قال ابن حجر في رواية الشيخين في سياق آخر رجلين عباس وعلي وفي رواية مسلم العباس وولده الفضل وفي أخرى العباس واسامة

النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى أي غلبه في الحجة قلت لا ينافيه لان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفي منه ما وجب به فيمنع بذلك مؤاخذته به لم يجز أيضا وان كان لا يمنع ذلك بل ليمنع تعييره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى عليه وعليهما الصلاة السلام وقول عمر رضي الله تعالى عنه لما ذهب الى الشام وأخبر في الطريق انه وقع به الطاعون وأراد الرجوع فقال له أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أفرارا من قدر الله تعالى فقال نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله جل وعلا اشارة الى أن كل ما فعل واقع بقضاء الله تعالى مع ان الشرع نهى عن القدوم عليه لانه سبب للهلاك كسائر الاسباب العادية فنهى عنه خشية مصادفته فيفتتن وأما اذا لم يدخل وسلم فهو بمنزلة التداوي وحكمة امتناع الفرار لمن كان هنالك مصلحة الرضا وقد قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة انظر المنح ﴿فائدة﴾ قال الامام الغزالي فان قيل ما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا يرد فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لرد السلاح والماء سبب لخروج النبات من

الارض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شأن الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله تعالى الامر وقدر سببه وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان

(أوثقته من الذنوب ديون شددت فى اقتضائها الغرماء) أى حبسته فى وثائقها ديون جمع دين فاعل أوثقته ومن الذنوب حال منها مقدمة عليها أى ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله وحقوق عباده وفى القاموس الوثاق ويكسر مايشد به وأوثقه فيه شده يعنى منعته عن الخلاص من تباعاتها وقد شددت فى اقتضائها أى طلبها منه الغرماء جمع غريم وهو طالب الحق والحقوق فى الآخرة مبنية على المضايقة لاسيما حقوق الآدميين الا أن يعفو الله تعالى

(ماله حيلة سوى حيلة الموثق اما توسل أودعاء)

أى ماله قدرة على الخلاص من تلك الديون وفى القاموس الحيلة والاحتيال والتحيل الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف والموثق المشدود بالوثاق الذى لا يقدر على هروب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك محصورة فى شيئين اما توسل أى الى الله تعالى فى خلاصه بما سبق له

وأسامة وعند الدارقطنى أسامة والفضل وعند ابن سعد الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن خروجه تعدد فتعدد من اتكأ عليه انظر تمامه (فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص) بكسر الكاف كما فى القرآن على أعقابكم تنكصون قال الزجاج ويجوز ضم الكاف والنكوص الرجوع قهقرى وفى نسخة لينقص (فاومأ) النبى صلى الله عليه وسلم (اليه أن يثبت مكانه) الضمائر الثلاثة لابى بكر رضى الله عنه (حتى قضى) المعطوف عليه محذوف أى فثبت أبو بكر حتى قضى أى أتم (أبو بكر) أظهر فى مقام الاضمار لئلا يتوهم ان الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم واشارة الى أن أبا بكر هو الامام (صلاته) وهل رجع النبى صلى الله عليه وسلم أوصلى مع أبى بكر وعليه فهل اماما فكان الناس يقتدون بابى بكر وأبو بكر بالنبى أو ماموما محتمل (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض) وأبو بكر بالعالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه السلام أذن له فى الذهاب اليها لحكمة الهية (فقال عمر) وقد سل سيفه (والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض الاضربته بسيفى هذا) وقال عمر أيضا انما أرسل اليه صلى الله عليه وسلم كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله انى لأرجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم لكن ذكر بعضهم انه رجع عن هذه المقالة وان ذلك كان لعظيم مانزل به أوخشى الفتنة وظهور المنافقين أو ظن ان ماعرض له صلى الله عليه وسلم انما هو الغشى أوذهل عن حسه فاحال الموت عليه صلى الله عليه وسلم قال فى عيون الاثر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجته الملائكة دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم فى ذلك فاما عمر رضى الله عنه فكان ممن خبل فجعل يقول انه والله مامات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم وأما عثمان فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهولا يتكلم وأقعد على وأضنى عبد الله بن أنيس من الضنى وهو المرض (قال) أى سالم (وكان الناس) أى العرب (أميين) جمع أمى وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة منسوب الى الام فكأنه شبه بالطفل الذى خرج من بطن أمه لم يعلم شيأ وقيل منسوب الى أم القرى وهى مكة فان سكانها مشهورون بانهم ليسوا أهل كتابة والكتابة كانت فيهم قليلة نادرة فاذا لم يتعلموا الكتب ولم يقرؤها حتى يعرفوا حقائق الامور ولا تذهلهم عظائم المحن عند وقوع الفتن فلا جرم تحير وافى أمر موته صلى الله عليه وسلم اذ سبب العلم بجواز موت الانبياء وكيفية انتقالهم الى دار الجزاء انما هو الممارسة أو المشاهدة ولذا قال (لم يكن فيهم نبى قبله) أى لم يجربوا موت نبى قط (فامسك الناس) أى عن القول بانه صلى الله عليه وسلم مات (وقالوا ياسالم انطلق الى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) عدلوا عن اسمه الى وصفه لشهرته دون غيره بهذا الوصف لان الله تعالى وصفه به فى قوله اذ يقول لصاحبه (فادعه فاتيت أبا بكر وهو فى المسجد) أى مسجد محلته التى كان فيها وهو بالعوالى والظاهر انه وقت الظهر لما سبق انه صلى الله عليه وسلم مات ضحى (فاتيته أبكى دهشا فلما رآنى قال لى أقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى بعض النسخ فلما رآنى وقال لى الخ بالواو وقبل قال وعليه فيكون جواب لما قوله (قلت ان عمر يقول لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض الاضربته بسيفى هذا فقال لى انطلق فانطلقت معه) وفى رواية ان أبا بكر كان أرسل غلامه ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الغلام فقال سمعت أنهم يقولون مات محمد فركب أبو بكر على الفور فقال وامحمداه وبكى فى الطريق حتى أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (فجاء هو والناس قد دخلوا) وفى نسخة حفوا بفتح الحاء المهملة وتشديد الفاء المضمومة أى أحدقوا وفى نسخة فجاء والناس قد خلوا (على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس) وفى نسخة يا أيها الناس

من عمل صالح أو شفاعة شافع أو دعاء أو رغبة الى الله تعالى فى ارضاء غريمه عنه واسبال ذيل عفوه وحلمه و رضاه عنه وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا نا أكرم وأعظم عفوا من أن أستر على عبدى فى الدنيا ثم أفضحه بعد أن سترته ولا أزال أغفر لعبدى ما استغفرنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى لاستحيى من عبدى يرفع يديه الى ثم أردهما قالت الملائكة إلهنا ليس لذلك باهل قال الله تعالى لكنى أهل التقوى والمغفرة

(راجيا أن تعود أعماله السوء بغفران الله وهى هباء) راجيا حال من عاص أى مؤملا أن تصير أعماله السوء بفتح السين أى السيئة بغفران الله تعالى أى بعفوه و فى القاموس وغفر الله تعالى له ذنبه يغفره غفرا وغفرة حسنة بالكسر ومغفرة وغفورا وغفرانا بضمهما وغفيرا وغفيرة غطى عليه وعفا عنه وهى أى تلك الاعمال فى جنب الغفران هباء أى كالغبار الذاهب المتفرق فى الهواء كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخلت من الكوى لا يؤخذ بها فلا تبقى تلك المغفرة عليه وصمة ذنب ولا تذر له قسوة قلب

(أو ترى سيآته حسنات فيقال استحالت الصهباء) أو بمعنى الواو أى و راجيا أن تصير سيآته حسنات أى بدلت بها فيدخل فى سلك الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات و يقال اذا بدلت سيآته حسنات استحالت الصهباء أى انقلبت الخمر النجسة الحرام خلا طاهرا حلالا و فى هذا استعارة

(أفرجوا لى) أى اجعلوا لى فرجة (فأفرجوا له فجاء حتى أكب عليه ومسه) أى قبله كما سبق (فقال) أى قرأ أبو بكر قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) أى انك يا محمد ستموت وان أعداءك سيموتون وانكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون أى وقوله حق ووعده صدق و فى رواية ان أبا بكر جاء وعيناه تهملان و زفراته تتصاعد فكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك (ثم قالوا يا صاحب رسول الله أقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فعلموا ان) مخففة من الثقيلة و فى نسخة ان الله (قد صدق) أى لم يبق لهم شك فى موته صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بذلك أبو بكر لانه لم يقع له من الدهش والتحير عند نزول هذه المصيبة ما وقع لغيره من أكابر الصحابة و وجد عنده من العلم والقوة والثبات ونور اليقين المانع من استيلاء المحن والنوائب على قلبه ما لم يوجد عند غيره ومن ثم تلا الآية المتقدمة وغيرها كما يأتى وقال ردا على عمر فى مقالته السابقة بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتبت عليك فقدمتها قال ابن حجر اذ يلزم من قول عمر أنه اذا جاء يموت وهو أكرم على الله من أن يجمعهما عليه كما جمعهما على الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وعلى الذى مر على قرية وهذا أوضح وأسلم من حمله على انه لا يموت موتة أخرى فى القبر كغيره اولا يجمع الله عليه بين موت نفسه وموت شريعته أو الموتة الثانية الكرب أى يلقى بعد كرب الموت كربا آخر اه وروى ابن أبى شيبة عن ابن عمر أن عمر انما قال ما مر فى المنافقين لانهم أظهروا الاستبشار و رفعوا رؤسهم و فى رواية الوائلى عن أنس ان عمر قال كنت أرجو أن يعيش حتى يكون آخرنا موتا و فى البخارى عن ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس قال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فان الله حى لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين وقال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس الا يتلوها اه و فى ابن أبى شيبة ان أبا بكر ضم الى تلك الآيات قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد واشار أبو بكر رضى الله عنه بما تقدم الى أن عمدة المؤمن وتعلقه انما يكون حقيقة بالله تعالى وان الرسل عليهم السلام انما بعثوا ليعرفوا الناس بربهم و يبلغوهم أوامره ونواهيه فاذا ذهبوا لم يذهب الدين بذهابهم لان المقصود انما هو الله وحده وهو حى لا يموت والرسل عليهم السلام انما هم وسائط قال القشيرى فى تفسيره والسلمى فى حقائقه سفمت البصائر عند وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الا رجل وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه فان الله تعالى أيده بقوة السكينة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت فصار الكل مقهورا تحت سلطان مقالته لما بسط الله تعالى عليه من نور جلالته فالشمس بطلوعها يندرج فى شعاعها أنوار الكواكب اه نقله ابن نبهان الصفورى فى باب وفاته صلى الله عليه وسلم (فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى كما يصلى على غيره من الاموات لان الاصل عدم الخصوصية أولا يصلى عليه كالشهداء الذين أغنتهم فضيلتهم عن الصلاة عليهم وهو صلى الله عليه وسلم أفضل من كل شهيد (قال نعم) لان الاصل مشاركته لامته فى الاحكام (قالوا وكيف) يصلى عليه هل بامام أولا (قال يدخل قوم فيكبرون و يصلون) اى على النبى صلى الله عليه وسلم (و يدعون ثم يخرجون ثم يدخل قوم فيكبرون و يصلون و يدعون ثم يخرجون حتى

مصرحة اذشبه السيآت بالخمر والحسنات بالخل واثبات الاستحالة تخييل وأخرج البخارى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت كذا يوم كذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر مشفق من كبائرها فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لى ذنوبا ما أراها ههنا قال أبوذر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (كل أمر نعنى به تقلب الاعيان فيه وتعجب البصراء) قوله تعنى أى تهتم وتعتنى به ياحبيب الله والاعيان جمع عين أى الجسم أى تصير الاعيان وتتحول من صفة الى أخرى كما روى انه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لعكاشة رضى الله عنه عرجونا فانقلب فى يده سيفا صارما يقاتل به وتعجب أى تتعجب البصراء جمع بصير بما تشاهد من خرق العادة على يديك الذى لم يؤلف انظر الشفاء والمواهب (رب عين تفلت فى ماها الملح فاضحى وهو الفرات الرواء) قال الجوهرى رب هنا للتكثير وعين أى عين ماء وتفلت بفتح الفاء أى بصقت فى ماها الملح الذى لا يشرب فاضحى أى صار وهو الفرات أى العذب جدا الصادق الحلاوة أو كالنهر المسمى بالفرات الذى هو أحد الانهار النازلة من الجنة كما صح به الحديث والرواء بفتح الراء أى الكثير المروى قال فى القاموس وماء روى وروى ورواء كغنى والى وسماء كثير مرو قال والرواء كسماء بئر زمزم وككساء حبل يشد به المتاع على البعير وجعل الشارح الجملة من قوله وهو الفرات

يدخل الناس) أى كلهم فلا تفوت أحدا منهم بركة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قال فى جمع الوسائل وقد روى عن على كرم الله وجهه انه قال لا يؤم أحدكم عليه لانه امامكم حال حياته وحال مماته ولعله وصل اليه من صاحب الوحى وورد فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم أوصى بأن يصلى عليه على الوجه المذكور ولعل وجه ذلك انهم لما أرادوا دفنه فى محله ولم يمكن خروجه الى المصلى خوف أن يترتب على خروجه فتنة ولم تسع الحجرة جميع الناس جملة واحدة أمروا بالصلاة عليه أفذاذا وأما قول ابن حجر لانهم كانوا لم يتفقوا على خليفة يؤمهم فمناقض لما سبق له ان سبب تأخير دفنه هو انعقاد الامامة مع ان الامامة كانت ثابتة لابى بكر على طريق النيابة اه بالمعنى وقد وقع خلاف فى هذه الصلاة هل كانت صلاة الجنازة حقيقة ويكون سكت عن السلام لوضوح ان كل صلاة لا بد لها من احرام وسلام أولم تكن صلاة حقيقة قال فى كفاية الطالب فى الموطأ وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى عليه الناس افذاذا لا يؤمهم أحد أمر مجمع عليه واختلف فى تعليله فقيل هو من باب التعبد الذى يعسر تعقل معناه وقيل ليباشر كل واحد الصلاة عليه منه اليه قال شيخنا الحافظ جلال الدين يعنى السيوطى فى حاشية الموطأ رحمه الله تعالى والمراد بقوله صلى عليه الخ ما ذهب اليه جماعة انه صلى الله عليه وسلم لم يصل عليه الصلاة المعتادة وانما كان الناس يأتون فيدعون ويترحمون قال الباجى ووجهه أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من كل شهيد والشهيد تغنيه فضيلته عن الصلاة عليه فهو أولى قال وانما فارق الشهيد فى الغسل لان الشهيد لو غسل لزال دمه والمطلوب بقاؤه لطيبه لانه عنوان لشهادته فى الآخرة وليس على النبى صلى الله عليه وسلم ما نكره ازالته عنه اه وعلى انها الصلاة المعتادة فلا ضرر فى تكرارها لان تكرارها انما كره والله أعلم فى حق غيره صلى الله عليه وسلم لان المطلوب اسراع التجهيز خوف التغير والتغير مأمون فى حقه صلى الله عليه وسلم (فقالوا ياصاحب رسول الله أيدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى أو يترك على وجه الارض لانه يؤمن عليه من التغير فليس كغيره (قال نعم) لان الدفن من سنن سائر الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام (قالوا أين قال فى المكان الذى قبض فيه روحه فان الله لم يقبض روحه الا فى مكان طيب) تقدم الكلام على هذا (فعلموا ان قد صدق ثم أمرهم ان يغسله بنو أبيه) أى عصبته لان الحق فى الغسل لهم قال فى عيون الاثر فغسله علىّ والعباس وابناه الفضل وقثم ومولياه أسامة وشقران وحضرهم أوس بن خولى الانصارى اه الا أن الذى باشر غسله علىّ رضى الله عنه لحديث جماعة انه قال أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم ان لا يغسله أحد غيرى فانه لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه زاد ابن سعد قال علىّ فكان الفضل وأسامة يناولان الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين وفى رواية ان العباس وابنه الفضل كانا يعينانه وقثم وأسامة وشقران مولاه عليه السلام يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر وصح عن علىّ غسلته فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيأ وكان طيبا حيا وميتا وعنه رضى الله عنه ما تناولت عضوا الا كانما يقلبه معى ثلاثون رجلا حتى فرغت من غسله قال فى عيون الاثر وكانوا قد اختلفوا فى غسله فقالوا والله ما ندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم وكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو غسلوا النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يصبون عليه الماء ويدلكونه والقميص دون أيديهم فأسنده علىّ الى صدره والعباس والفضل وقثم يقلبونه معه واسامة وشقران يصبان الماء وعلىّ يغسله بيده وكفن عليه السلام فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة قال البرماوى يحتمل انه ليس

الرواء خبر أضحى وهو جار في ذلك على مذهب الأخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور أنكر ولذلك وتأولوا الجملة على الحال والفعل على التمام * ثم قال ابن حجر تنبيه لم أر لخصوص التفل في ماء ملح فانقلب عذبا أصلا فضلا عن كثرته التي قال

موجودا أصلا بل الثلاثة فقط ويحتمل أن تكون الثلاثة الاثواب زائدة على القميص والعمامة فتكون خمسة وعليه حمل مالك ولكل من الاحتمالين مرجح قال النووي الاول هو ما فسر به الشافعي وجمهور العلماء وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وهذا الحديث يقتضي ان قميصه الذي غسل فيه نزع عند تكفينه النووي وهو الصواب الذي لا يتجه غيره اه قال في عيون الاثر وكان أبو عبيدة بن الجراح يحفر كحفر أهل مكة وأبو طلحة زيد بن سهل يلحد كاهل المدينة فاختلفوا كيف يصنع بالنبي صلى الله عليه وسلم فوجه العباس رجلين أحدهما لابي عبيدة بن الجراح والآخر لابي طلحة وقال اللهم خر لنبيك فحضر أبو طلحة فلحد له اه وأصح ما روي فيمن نزل في القبر أنه علي والعباس وابناه الفضل وقثم وكان آخر الناس به عهدا قثم وورد أنه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر وقال والله لا يلبسها أحد بعدك وأخذ منه البغوي أنه لا بأس بفرشها لكنه شاذ والصواب كراهته وأجابوا عن فعل شقران بأنه شيء انفرد به ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا علموا به على أن ابن عبد البر قال انها أخرجت من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع قال رزين ورش قبره بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصا العرصة حمراء وبيضاء قال عياض وكان قبره عليه السلام مسنما كما في البخاري وكذا قبر أبي بكر وعمر وهو أثبت من رواية تسطيحها لانه زي أهل الكتاب وشعار الرافضة (واجتمع المهاجرون) أي أكثرهم (يتشاورون) أي في شأن الخلافة وقد أجمع الصحابة على ان نصب الامام من واجبات الاحكام ومن ثم لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر خطيبا فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ولا بد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا رأيكم فقالوا صدقت واجتمع المهاجرون وكان اجتماعهم لذلك قبل الدفن كما ذكره الطبري فالواو في قوله واجتمع الخ لمطلق الجمع أو الجملة حالية (فقالوا انطلقوا بنا الى اخواننا من الانصار ندخلهم) بالجزم على جواب الامر وفي نسخة بالرفع (معنا في هذا الامر) أي أمر نصب الخلافة قال عمر مخافة ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة لهم معنا أن يحدثوا بعدنا بيعة فاما أن نبايعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون فسادا (فقالت الانصار) لما وصل المهاجرون اليهم وتكلموا معهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة (منا أمير ومنكم أمير) فاحتج أبو بكر عليهم بحديث الائمة من قريش وفي رواية الخلافة لقريش وهو حديث صحيح ورد من طرق عن نحو أربعين صحابيا قال في جمع الوسائل وهذا الكلام من الانصار انما وقع على قواعد الجاهلية قبل تقرر الاحكام الاسلامية حيث كان لكل قبيلة شيخ يسوسهم وينظر في أمورهم ولهذا كانت الفتنة مستمرة فيما بينهم الى أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبهم وعفا الله عما سلف من ذنوبهم (فقال عمر بن الخطاب من له مثل هذه الثلاث) استفهام انكاري على الانصار وغيرهم ممن يظن من نفسه أنه أولى بالخلافة والمعنى هل رجل ورد في شأنه في نص القرآن مثل هذه الفضائل في قضية واحدة مع قطع النظر عن سائر المحاسن والشمائل أولها قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار حال من الضمير في قوله تعالى اذ أخرجه العائد على النبي صلى الله عليه وسلم أي الا تنصروه فقد نصره الله الخ أي فسينصره من نصره وليس معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد هذا معنى الحال ولم يأت بهذه العبارة أو مثلها وعدل الى قوله ثاني اثنين ليفيد الاعتناء بشأن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وأنه ليس معتبرا في هذا المقام بحسب التبع فقط اذ الاضافة على معنى بعض فأفاد اللفظ أنه بعض اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهما لشدة الاتصال والارتباط والامتزاج والقرب ولتمكن اعادة ضمير واحد عليهما معا في قوله اذ هما في الغار

الشارح ويحتمل ان الناظم أخذ ذلك مما رواه أبو نعيم والقاضي في الشفاء انه صلى الله عليه وسلم بصق في بئر في دار أنس رضي الله تعالى عنه فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها وفي حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة شرفها الله تعالى وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فدل على ان ماء الآبار هنالك كانت فيه ملوحة ولما بصق في بئر أنس صار أعذب مياهها فزالت عنه الملوحة ويؤيده ما رواه البغوي ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء وذكر الشريشي في شرح المقامات انه صلى الله عليه وسلم تفل في بئر أريس فعاد ماؤها عذبا بعد أن كان أجاجا وقال الحافظ السيوطي في الخصائص وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح وفي الشفاء انه مر على ماء فسأل عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب أي بمجرد قوله فما بالك لو بصق به وأتى عليه الصلاة والسلام بدلو من ماء زمزم فمج فيه أطيب من ريح المسك وفي المواهب وأتى بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب في البئر أو قال مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه أحمد وابن ماجه قلت ويحتمل كلام الناظم وجها آخر وهو ان يكون شبه الشخص الذي كان على شفا جرف بعين ماء ملح أجاج بجامع النفور منه وعدم

فجمع

الانتفاع به استعارة تصريحية مرشحة بذكر الماء وشبه انقاذ النبي صلى الله عليه وسلم بدعائه وهدايته وصرف عنان العناية اليه بمزج الماء الملح بما يصيره عذبا بجامع الاصلاح والانتفاع ولا خفاء ان رب حينئذ تتعين للتكثير وأفراد هذا التكثير لا حد لها ولا حصر

(آه مما جنيت ان كان يغني * ألف من عظيم ذنب وهاء) آه كلمة توجع وفي القاموس (٣٦١) كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع

ومما جنيت أي جررت اليه من الذنوب العظام ان كان يغني أي يفيد ويجدي شيأ الف من عظيم ذنب من اضافة الصفة الى الموصوف وهاء أي مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة وفي الحديث الندم توبة أي معظم أركانها كالحج عرفات فالشرط في كلامه ليس على بابه بل هو بمعنى اذ كما قيل به في قوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين ويحتمل بقاؤه على معناه لان كلمة آه وان كانت تفيد التوبة لكن قبولها ظني وأشار بذلك الى هضم نفسه وان توبته بمجرد لسانه فلا تنفعه بدليل البيت بعده

(أرتجي توبة نصوحا وفي القلب نفاق وفي اللسان رياء) أي آمل بحسن ظني بربي وهو موصل للخير مطلوب من العبد شرعا ففي الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى والتوبة

فجمع بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في دلالة لفظ واحد مرتين ثم أفرده بعد ذلك وميزه في ثانيهما وهو قوله اذ يقول لصاحبه ليسمه بسمته ويثني عليه بأشرف أوصافه المقتضي شدة قربه من الحضرة النبوية فان الضمير لا يفيد ذلك وناهيك بشهادته تعالى له بالصحبة لرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قالوا من أنكر صحبة أبي بكر فهو كافر لتكذيبه القرآن وذكر ثبوت الصحبة له بعد قوله اذ هما في الغار اشارة الى موجب ثبوتها له وصدقه فيها فان الصاحب الحق هو الصاحب في وقت الشدة كما قيل

صديق الصدق في الدنيا قليل * فمن لك ان ظفرت بذاك من لك
لحاجته يودك كل شخص * وذاك اذا قضاها منك ملك
صديقك من اذا ما أنت منه * طلبت الروح بالتمليك ملك

(وقال غيره)

صاحبك الصادق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقال آخر)

جزى الله الشدائد كل خير * وان كانت تغصصني بريقي
وما مدحي لها شكراً ولكن * عرفت بها عدوي من صديقي

وثالثها قوله لا تحزن ان الله معنا فان فيه شهادة من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى بأنه رضي الله عنه ثبتت له معية الحق الاخصية الثابتة للانبياء بل لافضل الانبياء قال ابن دهاق المعية على ثلاثة أقسام معية الاحاطة وشمول العلم وهي تشمل المؤمن والكافر قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم ومعية بمعنى النصر والحفظ قال الله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وهذه تخص المؤمن ومعية الاخذ والاجتباء وهي للخواص فيصطفيهم الله لمناجاته فهم عنده وان كانوا في الدنيا اه والثابت هنا هو القسم الثاني والثالث وقد ورد أنه لما جاء الكفار الى الغار ووقفوا بقربه قال أبو بكر يا رسول الله لو نظر أحدهم الى قدمه لرآنا فقال اسكت ما ظنك باثنين الله ثالثهما فتقدم جمع منهم فنظر والحمامتين والعنكبوت فقالوا ليس في الغار شيء ان عليه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ولا يشكل على ثبوت المعية الاخصية تمكن الاعداء من الاتقياء ووصولهم الى اذايتهم كما قال تعالى وكأين من نبي قتل لان النصر الذي تقتضيه المعية الخاصة هو الطمأنينة والسكينة وقوة اليقين وكون القلب مع الله وفرحا به وراضيا بقدره غير منخذل ولا مضطرب ولا جزع ولا متزلزل لرؤية الفعل منه مع حسن الظن به فتسهل المصيبة حتى لا تضر القلب ولا يتأثر بها الباطن كما قال الامام الشاذلي رضي الله عنه وانصرنا باليقين والتوكل عليك ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك فقوله ما ظنك الخ رد لابي بكر عن طريق الجزع الى قوة اليقين وراسخ السكينة وامداد له بذلك فحصلت له الحال وهو معنى فأنزل الله سكينته عليه اذ الضمير لابي بكر رضي الله عنه والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يزل ذا سكينة ولا ينافيه كون مرجع الضمير في أيده للنبي صلى الله عليه وسلم لان تفكيك الضمير جائز عند المحققين في مقام أمن اللبس وقيل أن ثاني المزايا الثلاث قوله اذ هما في

 الرجوع وفي الشرع الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف ماله فيه فلا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر أيضا والعزم على أن لا يعود اليها ما عاش كذلك لا لنحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بتركه أدائه فورا أو باداء ما عصى بأخذه ظلما الى مالكه أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه بلا تأخير وهي واجبة من كل ذنب ولو صغيرا

وتصبح من ذنب دون ذنب ومن الذنب وان تكررت منه والنصوح بفتح النون هى التى لا يعود من حصلت منه الى الذنب ابدا لوقوعها
خالصة من كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو كان أخرويا كالتوبة لدخول الجنة ولكن لا يؤثر ذلك فى
صحتها بل فى كمالها الا انها مشوبة بغرض (٣٦٢) نفسى بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين

وفى الصحيحين عن أنس بن
مالك رضى الله تعالى عنه
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لله أفرح بتوبة عبده
من أحدكم سقط على بعيره
وقد أضله فى أرض فلاة
وأخرج مسلم عن أبى
موسى الاشعرى عن النبى
صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يبسط يده بالليل
ليتوب مسىء النهار ويبسط
يده بالنهار ليتوب مسىء
الليل حتى تطلع الشمس
من مغربها قوله وفى القلب
نفاق أى من حيث العمل
باعتبار أنه قد يظهر خلاف
ما يبطن أى يفعل خلاف
ما يقول لا من حيث الاعتقاد
لانه انما يصدر ممن آمن
بلسانه فقط وفى اللسان
رياء أى نظر للخلق باعتبار
ان ما يصدر منه قد يكون
فيه شوب نظرا الى طلب
رفق أو ثناء من مخلوق وذلك
لا يوجب ترك التوبة
والاستغفار رجاء القبول
ولذا قالت رابعة استغفارنا
يحتاج الى استغفار
(ومتى يستقيم قلبى وللجسم
اعوجاج من كبرتى وانحناء)

متى استفهام تعجب ويستقيم أى يعتدل حتى لا يميل عن الله تعالى الى غيره من أهل أو مال أو جاه أو غير ذلك والكبرة ذلك
بفتح الكاف أى كبرسنى من كبر بالكسر أى أسن وانحناء أى لقامتى وهو من عطف المرادف أو الاخص على الاعم لان الاعوجاج يعم
الاعضاء كلها والانحناء يختص بالقامة وهو تقوس الظهر وذلك وقت غلظ القلب وعدم قبوله للخروج عما ألفه من اللهو والغفلة فتبعد استقامته
بخلاف أيام الشباب فان العود رطب يؤثر فيه أدنى وعظ ويزجره أقل زاجر وربما كان الاعوجاج الخارجى عنوان للقلب والدين شباب

الغار وثالثها ما بعده قال فى جمع الوسائل والاول أظهر وعليه اقتصر ابن حجر وفى هذه الآية أيضا من مزايا
أبى بكر رضى الله عنه زيادة على ما تقدم من الثلاث ونزول السكينة ما أشار اليه سفيان بن عيينة حيث قال
عاتب الله المسلمين جميعا فى نبيه صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر وحده فانه أخرجه من المعاتبة ثم قرأ الا
تنصروه الآية ومثله للحسن رضى الله عنه ومنها أن نصره تعالى لنبيه عليه السلام متضمن لنصر الصديق
أيضا لكونه معه فهو ناصر ومنصور من عند الله تعالى فهو اذا أولى بالخلافة وقوله (من هما) أى من الاثنان
المذكوران فى هذه الآية المتضمنة للمزايا المذكورة هل هما الا النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله
عنه والاستفهام للتعظيم والتقرير وفى رواية النسائى وأبى يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود أنه لما قالت
الانصار منا أمير ومنكم أمير أتاهم عمر بن الخطاب فقال يا معشر الانصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤم بالناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم على أبى بكر فقالت الانصار نعوذ بالله أن
نتقدم على أبى بكر وفى البخارى من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أى فى مرضه الذى توفى
فيه لقد هممت أو أردت أن أرسل الى أبى بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى
الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون (قال) أى الراوى (ثم بسط) أى أبو بكر (يده فبايعه) أى عمر
(وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة) فى البخارى فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون
ثم بايعته الانصار ووصف البيعة بكونها حسنة جميلة اشارة الى رضا نفوسهم بها وأن الله تعالى دفع بها فتنة
عظيمة وفيه دليل على جلالة قدر أبى بكر عند الصحابة ومتانته وقوة قلبه ووفور علمه وقد أخرج موسى بن
عقبة فى مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال خطبنا أبو بكر فقال والله ما كنت حريصا على
الامارة يوما وليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها سرا ولا علانية ولكن أشفقت الفتنة ومالى فى الامارة
من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة ولا يد الا بتقوية الله تعالى فقال على والزبير ما أغضبنا الا أنا
أخرنا عن المشورة وانا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها وانه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى بالناس وهو حى وفى رواية أنه رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا وقد
روى ابن اسحق عن الزهرى عن أنس أنه لما بويع أبو بكر فى السقيفة جلس الغد على المنبر فقام عمر فتكلم
قبله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى
اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى
الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم
ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ولا يدع الجهاد قوم فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع
الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى
عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله اه قال المصنف (حدثنا نصر بن على نا عبد الله بن الزبير شيخ
باهلى قديم بصرى نا ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال لما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرب
الموت) أى شدته (ما وجد) لانه كان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليحوز تضاعيف الاجور ولغير

كما قيل لأن الكبر تضعف معه الأعمال وتثقل الحركات (كنت فى نومة الشباب فما استيـ * قظت الا ولمتى شمطاء)
نومة الشباب غفلته والشباب مدار المعاصى والهفوات أى فما انتبهت من ذلك واستحكمت من نفسى حتى تأخرت تو بتى و بعدت استقامة
قلبى وصرت كالنائم المستغرق الذى لا يفيق الا بمحرك قوى فما استيقظت من تلك (٣٦٣) النومة الا وشعر رأسى مختلط السواد

ذلك من الحكم السابقة (قالت فاطمة واكرباه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم) قال
فى جمع الوسائل الظاهر أن فاطمة رضى الله عنها لما رأت شدة كربه قالت واكرباه مسندة الى نفسها لما بينهما من
المناسبة الظاهرة والملاءمة الباطنة فسلاها صلى الله عليه وسلم بهذا القول و بين لها أن كرب أبيها سريع
الزوال منتقل الى حسن الحال فانت أيضا لا تكربى فان محن الدنيا فانية وان العبرة بالمحن الباقية . اه
و يرحم الله القائل

كل أذى واجعله ماشئته * يقطعه الموت فأهون به
فليحذر العبد دوام الاذى * وأصله الغفلة عن ربه

قلت والذى فى البخارى أن فاطمة قالت واكرب أباه قال المناوى وغيره وليس المراد بالكرب شفقته على
أمته لوقوع الفتن والخلاف بعده لانها لا تنقطع بالموت لانه عليه السلام مهتم بهم بعد الموت وأعمالهم تعرض
عليه وفى قوله لا كرب على أبيك بعد اليوم تصريح بسلامة عاقبته وذلك أمر مقطوع به لسائر الانبياء
وقد سبق أن خوفهم خوف هيبة واجلال والمطلوب من كل مؤمن تغليب الرجاء على الخوف فى أيام المرض
(انه قد حضر بأبيك ماليس بتارك منه أحدا) هذه تسلية أخرى سلاها أولا بأن ذلك الكرب غير مستمر
وانه منقطع بالقرب وثانيا بان هذا الامر النازل عام لجميع الخلائق والمصيبة اذا عمت هانت واذا خصت
هالت فاصبرى وسلمى ولا تحزنى (لموافاة يوم القيامة) متعلق بتارك أو خبر لمحذوف أى وذلك لاتيان يوم
القيامة وفى نسخة الموافاة يوم القيامة فيكون مبتدأ بمعنى الملاقاة و يوم القيامه بالنصب على الظرفيه خبر المبتدا
و فى بعضها الوفاة يوم القيامه أى الممات الى يوم القيامه فيكون بيانا لما أى وهو الوفاة الخ و يحتمل أن يكون يوم
مرفوعا أى الموت يوم القيامه لان من مات قامت قيامته وفى ختم المصنف رحمه الله أحاديث الوفاة بهذا
الحديث والذى بعده تعزية للمؤمنين وتسليه لهم وتهوين عليهم وأيضا فان موت العارفين مجرد انتقال من
هذه الدار المتدانيه المسافات الضيقه الاقطار الموسومة بالفناء ودوام الاكدار الى دار النعيم المقيم كما قال فى
الحكم انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولانه أجل
أقدارهم عن أن يجازيهم فى دار لا بقاء لها فليس موتهم كموت غيرهم ولذلك يتمنون الموت وهو أحب اليهم
من البقاء قال تعالى ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقد كتب سيدى
رضوان عند وفاته

قرب الرحيل الى الحبيب فرحبا * أهلا به أهلا وسهلا مرحبا

وجاء رجل الى عبد الله بن منازل فقال رأيت فى المنام انك تموت الى سنة فقال أجلتنا الى أمد بعيد وممايسنب
للامام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه

قل لاخوان رأونى ميتا * فبكونى ورثونى حزنا
أتخالون بأنى ميتكم * ليس ذاك الميت والله أنا
الى أن يقول كنت قبل الموت ميتا بينكم * فحييت وخلعت الكفنا
وأنا اليوم أناجى ملأ * وأرى الله جهاراً علنا

بالبياض وفى القاموس اللمة بالكسر الشعر المجاوز شحمة الاذن أى ما تنبهت حتى أدركنى الشيب والمرتكب للمعاصى الى أن أدركه الشمط يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان قلبه قسا وصلب فلا يتقوم اعوجاجه الا بعد اليأس و يؤيد ذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق يروى أن رجلا نظر الى مرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال إلهى أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك سيدى تقبلنى فسمع صوتا يقول أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فاهملناك فان رجعت الينا قبلناك (وتماديت أقتفى أثر القو م فطالت مسافة واقتفاء) أى أخذت من تمادى على شىء اذا استمر عليه وأثر بفتح الهمزة والمثلثة أى أتتبع بقية سيرة
السلف الصالح وفى القاموس الاثر محركة بقية الشىء والجمع آثار وأثور طالت مسافة أى بعد عن اللحاق بهم قال فى القاموس والمساف
والمسافة والسيف بالكسر البعد لان الدليل اذا كان فى فلاة شم ترابها ليعلم أعلى قصد هو أم لا فكثر الاستعمال حتى سموا البعد مسافة
انتهى وهى فى عرف الناس القطعة من الارض محدودة وغير محدودة قوله واقتفاء أى وطال اتباعهم لاثرهم لطول ما بينى و بينهم من ذلك
ففازوا هم بالوصول لمرادهم واتصلوا بمحبوبهم و بقيت أنا فى مهامه الحسرة ومفاوز الندامة

(فوراالسائرين وهوأمامي * سبل وعرة وأرض عراء) أصل وراء المد وقصره ضرورة والسائرين جمع سائر أي ضرت خلفهم ووقع عند ابن حجر فوراء السارين عدو راء والسارين جمع سار وهو الماشي ليلا من أسرى وهو سير الليل قال وعدل اليه عن وراءهم الذي هو القياس ليفيد انهم أحيوا ليلهم بالعبادة وامتازوا فيه بلذيذ المناجاة قوله وهو أمامي أي ذلك الوراء امامي فهو جملة معترضة بين المبتدا وهو سبل والخبر وهو فوراالسائرين للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه و بينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه و بينهم موانع أيضاً وهي سبل جمع سبيل أي طرق وعرة أي صعبة يشق سلوكها لان أولئك القوم كلفوا نفوسهم من الاعمال والتخلق بمكارم الاخلاق ما أوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به أولئك وأرض عراء بفتح العين المهملة أي فضاء واسعة

(حمد المدلجون غب سراهم وكفى من تخلف الابطاء) يعني السائرين الذين سار والليلهم وغب سراهم أي عاقبته أي حمدوا عاقبة ذلك من الفوز برضا الله تعالى وقربه والاطلاع على معرفة حقيقته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى والمراد هنا بالحمد الرضا لان الحمد بمعنى الثناء الحسن لا يتعلق الا بالفعل الاختياري وكفى من تخلف عنهم الابطاء أي التأخر المفوت لادراك منازلهم الدينيه

(رحلة لم يزل يفندني الصيف * ف اذا ما نويتها والشتاء) يعني تماديه في اقتفاء أثر القوم لعله يلحق بهم هي رحلة لم يزل يفندني أي يكذبني الصيف اذا ما نويتها أي قصدتها وعزمت عليها والشتاء يفندني كذلك والصيف والشتاء زمنان معروفان يعني اذا جاء الشتاء نوى الى الصيف لان الشتاء تكثر فيه الامطار و يشتد فيه البرد فيعسر السير واذا جاء الصيف قال أصبر الى الشتاء لان

الى أن يقول
لا ترعكم هجمة الموت فما * هي الا نقلة من ههنا
لا تظنوا الموت موتا انه * لحياة هي غايات المنى
فاخلعوا الاجسام عن أنفسكم * تبصروا الحق جهارا علنا

وقد نص المحققون على أن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم وقد نقل شيخنا العلامة في شرح الحصن الحصين قضايا يدل على ذلك منها سماع رد سلامه على من سلم عليه ومنها مد يده لسيدي أحمد الرفاعي ليقبلها حين أنشد تجاه الحضرة الشريفة

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وسيأتي شيء من هذا المعنى في الباب بعده في قوله ما تركت بعد نفقة نسائي الخ * قال المصنف (حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصري ونصر بن علي قالا نا عبد ربه بن بارق الحنفي قال سمعت جدي أبا أمي سماك ابن الوليد يحدث أنه سمع ابن عباس يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له فرطان) تثنية فرط بفتح الفاء والراء وهو السابق المهيء للمنزل والمراد به هنا الولد الذي يموت قبل أحد أبويه فانه يهيء لهما نزلا ومنزلا في الجنة كما يتقدم فرط القافلة الى المنازل فيعد لهم ما يحتاجون اليه من سقي الماء وضرب الخيمة ونحو ذلك (من أمتي) أي أمة الاجابة (أدخله الله بهما الجنة) ظاهره سواء كان الولد صغيرا أو كبيرا وفي البخاري من حديث أنس ما من الناس مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم وقد اختلف العلماء هل لقوله لم يبلغوا الحنث مفهوم لان الصبي حبه أشد والشفقة عليه أعظم أو البالغ يدخل في ذلك بطريق الفحوى لانه اذا ثبت ذلك في الطفل الذي هو كل على والديه فكيف لا يثبت في الكبير الذي بلغ معه السعي ولا ريب أن التفجع على فقد الكبير أشد والمصيبة به أعظم سيما اذا كان نجيبا يقوم عن أبيه بأموره ويساعده في معيشته كما هو مشاهد ثم دخول الجنة لا يستلزم عدم نفوذ الوعيد لكن المراد هنا دخول الجنة من غير تقدم عذاب وذو وعيد وأما دخولها بعد نفوذه فيكون بالايمان ولا يتوقف على عمل آخر ويدل له ما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم وعظ النساء فقال أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كن حجابا من النار فقالت امرأة واثنان قال واثنان وفي مسلم عن أبي حسان قال قلت لابي هريرة انه قد مات لي ابنان فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال ينتهي حتى يدخله الله وأبويه الجنة ودعاميص الجنة قال في القاموس أي سياحون في الجنة لا يمنعون من بيت وصنفة الثوب حاشيته والشيء يذكر بالشيء مات لمطرف بن الشخير ابن فخرج قد رجل جمته ولبس حلته فقيل له أترضى بهذا وقد مات ابنك فقال أتأمروني أن أستكين للمصيبة فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي وأخذها الله مني ووعدني عليها شربة ماء يوم القيامة ما رأيتها لتلك الشربة أهلا فكيف بالصلاة والهدى والرحمة يشير لقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (فقالت عائشة ومن كان له فرط من أمتك قال ومن كان له فرط يا موفقة) أي لاستكشاف المسائل العلمية والمسائل

الصيف يشتد فيه الحر وتسترخي فيه الاعضاء ويقوى فيه العطش والشتاء تتيسر فيه الاعمال أكثر ولذا جاء في الحديث الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفي سنده مقال وورد مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة أما ليله فطويل للقائم وأما نهاره فقصير للصائم وورد لم ينزل عذاب قط من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء (يتقى حر وجهي الحر والبر * دوقد عز من لظى الاتقاء)

أي يحذر حر وجهي بضم الحاء أي ما ظهر منه الحر بفتح الحاء والبرد حالتان معروفان أي حر الصيف وبرد الشتاء فيجد في الدنيا كنا يحفظه منهما وهما من أسباب تأخره حتى فنده زمانهما وقد عز أي امتنع من لظى أي جهنم الاتقاء أي ما يصون الوجه منها في الآخرة لان من عمل أعمالها وعاقبه الله تعالى بها لا يمكنه التحفظ منها قال تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقال يوم تقلب وجوههم في النار (ضقت ذرعا مما جنيت فيومي

قمطرير وليلتي ذرعاء)

ذرعا بفتح الذال المعجمة أي ضاق ذرعي أي طوقي عن عمل ما لحقني من الهم ولم يتسع له بسبب عصياني وتأخري فهو تمييز محول عن الفاعل وفي القاموس وضاق بالامر ذرعه وذراعه وضاق به ذرعا ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا وما موصولة أو مصدرية جنيت أي اكتسبت من الاثم وقمطرير شديد ودرعاء بفتح الدال المهملة مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيهما وفي القاموس وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح وليال درع بالضم وكصرد للثلاث تلي البيض لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها

(وتذكرت رحمة الله فالبشر * لوجهي أني أنتحي تلقاء) أي تذكرت سعة رحمة الله تعالى التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وأنها سبقت غضبه كما في الحديث الصحيح ان الله تعالى كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي أي ان مظاهر

الدينية وهذا التحريض لها على السؤال فمن ثم كررته (فقالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال فانا فرط لامتي فلذ خلهم الجنة من باب أولى (قال المصنف هذا حديث غريب) قال في جمع الوسائل لكن روى مسلم ان الله اذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره اه وفيه ان نفعه لامته لا ينقطع بموته عليه الصلاة والسلام وقد ورد ما يدل على دعائه لامته واستغفاره لهم بعد موته صلى الله عليه وسلم (لن يصابوا بمثلي) جملة استئنافية كالتعليل لقوله فانا فرط لامتي أي فمصيبتهم بوفاتي أشد عليهم من سائر مصائبهم قال في جمع الوسائل وهذا شامل لمن أدرك زمانه ولمن لم يدركه كما يدل عليه تعبيره بأمتي بل المصيبة بالنسبة الى من لم يره أعظم من وجه اه ولا شك ان المصيبة به صلى الله عليه وسلم لا تماثلها مصيبة وأنشد حسان ابن ثابت

كنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

﴿ وقال أيضاً ﴾

وهل عدلت يوما رزية هالك * رزية يوم مات فيه محمد
ومافقد الماضون مثل محمد * ولا مثله حتى القيامة يفقد

وانما كانت المصيبة به صلى الله عليه وسلم أعظم المصائب لانقطاع الوحي وظهور الشر بارتداد العرب وتحزب المنافقين وبنفس موته ظهر النقص في الناس كما قال أنس ما نفضنا أيدينا من التراب وانا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا وكتب بعضهم لاخيه يعزيه في ابنه ويسليه

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بان المرء غير مخلد
واذا ذكرت محمدا ومصابه * فاذكر مصابك بالنبي محمد

ويقال ان عائشة رضي الله عنها لما وقفت على القبر الشريف أنشدت

قل للمغيب تحت أطباق الثرى * هل أنت تسمع صرختي وندائيا
ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الايام عدن لياليا

ثم قالت للقبر ثانية وتمثلت بقول صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد كان بعدك أنباء وهينمة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها * واختل قومك فافقدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا * فغاب عنا فكل الخير محتجب
وكنت نورا وبدرا يستضاء به * عليك تنزل من ذي العزة الكتب
فقد رزئنا بما لم يرزأ به أحد * من البرية لا عجم ولا عرب

ومما ورد في الحض على السؤال قوله صلى الله عليه وسلم هلا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال وقيل لابن عباس بم نلت هذا العلم فقال بلسان سؤول وقلب عقول وقال بشار بن برد

الرحمة غلبت مظاهر الغضب والمندية عنـدية الشرف والمـكانة تخفف على بذكرها ما أجـد فالبشر لوجهى أى الفـرح والسرور والطلاقة بسبب ذلك أى انتحى أى حيث توجه تلقاء بكسر المثناة الفوقية أى مقابل خبر للبشر ولوجهى متعلق به قال ابن حجر وهـذا أولى من جعـل الشارح له خبرا وتلقاء خبرا أيضاً وفى القاموس لقيه كرضيه لقاء ولقاءة ولقاية ولقيا ولقيانا ولقيانة بكسرهن ولقيانا ولقيا ولقيـة ولقى بضمهن ولقاءة مفتوحة رآه كتلقاه والتقاه والاسم التلقاء بالـكسر ولا نظير له غير التبيان

شفاء العمى طول السـؤال وإنما * دوام العمى طول السكوت على الجهل

فـكن سائلا عما عناك فانما * دعيت أخا عقـل لتبحث بالعـقل

وفى القوت فى الخبر الذى رويناه من طريق أهل البيت العلم خزائن مفتاحه السـؤال فاسألوا يرحمكم الله فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهـم وقال ذوالنون المصرى فى حسـن سؤال الصادقين مفاتيح قلوب العارفين.

(فالح الرجاء والخوف بالقلب وللخوف والرجا احفاء) الح أقام ولم يبرح والرجاء ضد اليأس والخوف ضد الامن أى الفزع فهما فيه على حـد سواء كما هو المطلوب مـن الانسان مادام صحيحا ولا يغلب الرجاء لئلا يغلب عليـه داء الامن من المكر ولا الخوف لئلا يغلب عليه داء اليأس فان أحس مخايل الموت فليغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى أى يظن انه يغفر له ويرحمـه قوله وللخوف والرجا قصره ضرورة احفاء أى الحاح عـلى القلب اذا حلا فيـه قال فى القاموس أحفى السؤال ردده وزيدا ألح عليـه وبرح به فى الالحاح انتهى والحاحهما عـلى القلب فى طلب مقتضاهمـا يؤدى الى منازعتهما اذ مقتضى الخوف

﴿باب فى ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

الميراث مصدر بمعنى الموروث أو بمعنى الارث وعلى كل حال ففى الكلام حذف والتقـدير فى حكم ميراثه أى متروكه أو ارثه خـلافا لابن حجر والحكم انه لا يورث كما يأتى فى الاحاديث (حـدثنا أحمد بن منيع نا حسين بن محمد نا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن الحرث أخى جويرية) احـدى أمهات المؤمنـين (له صحبة قال ما ترك رسول الله صـلى الله عليه وسـلم الا سـلاحه) نحو السيف والرمح والدرع والمغفر والحربة (وبغلته) أى البيضاء التى كان يختص بركوبها وهى دلدل (وأرضا) قال الكرمانى هى نصف أرض فدك وثلث أرض وادى القرى وسهم من خمس خيبر وحصة من أرض بنى النضير ويأتى ان منها حوائط مخيريق التى أوصى بها للنبى صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر ولم يضـفها اليه كالاولين لاختصاصـهما به دونها اذ نفعها كان عاما له ولغيره من عياله وفقراء المسلمين اهـ (جعلها صدقة) اختار الـكرمانى فى شرح البخارى ان الضمير راجع للثلاثة وهو ظاهر ايراد هذا الحديث فى هذه الترجمة ويحتمل أن الضمير للارض ومعنى جعلها صدقة بين فى حياته أنهـا من الصدقات لأنها صارت صدقة بعد ممـاته ولا يلزم على هـذا كون السلاح والبغلة ميراثا لان قوله صـلى الله عليه وسـلم ما تركنا صدقة صريح فى ان ما خلفه يصير صدقة بنفس الموت وان لم يتصدق به ويأتى ان الصدقة ما زاد على نفقة عياله ومؤنة عامله عليه السـلام وان معنى الصـدقة الوقف ولعله سكت عن ثياب بدنه وأمتعة بيته لان ذلك معلوم اذ لا يخلو انسان عن شىء من ذلك نعم قال ابن حجر ذكر بعض أهل السير انه صلى الله عليه وسلم خلف ابلا كثيرة وانه كان له عشرون ناقة كانوا يرعونهـا حول المدينة ويأتون بالبانها اليه كل ليـلة وكان له سبع عشرة معز يشربون لبنها كل ليلة قال فى جمع الوسائل والظاهر ان الابل الـكثيرة هى من ابل الصـدقة وان الناقة والمعز كانت من المنائح كما جاءت بذلك الروايات الصريحة وسيجىء فى رواية عن عائشة عند المصنف انه ما ترك دينارا ولا درهمـا ولا شاة ولا بعيرا فيتعين التأويل الذى ذكرناه والعجب من ابن حجر حيث ذكر ما نقـل عن أهـل السـير وسكت عنه اهـ قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو الوليد نا حمـاد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال جاءت فاطمة الى أبى بكر رضى الله عنهما) حين سمعت عنه انه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يورث (فقالت) مستدلة على الارث بطريق القياس لان الاصل عدم الخصوصية (من يرثك فقال أهـلى) أى زوجتى (وولدى) يشمل الذكور والاناث (فقالت مالى لا أرث أبى فقال أبو بكر سمعت رسول الله صـلى الله

انزعاج النفس وقلق شديد لمـا تتوقعه من المـكروه أمامها ومن لازم ذلك الـكف عن كل محرم ومشبه ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمـة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بمحض كرمه ﴿تنبيه﴾ استفيد من كلام الناظم كغيره انه لا بد من الجمع بين الخوف والرجاء فى حق كل مؤمن كيفما كان وعلى أى حالة كان وقد وعد تعالى وأوعد وبذلك جاءت أنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام واطردت سنته فى خلقه قال تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسـل

من قبلك الآية وقال نبىء عبادى الآية وقال وان ربك لذو مغفرة للناس الآية والاعمال وان كانت علامات بشهادة اعملوا فكل ميسر لما خلق له الخ لكن العلامة قد تتخلف بدليل قوله فى صدر الحديث ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يبقى بينها و بينه الا شبر أو ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه و بينها الا شبر أو ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة قالوا يارسول الله اذن نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا وكل ميسر لما خلق له الحديث متفق على صحته والقسم الثانى هو الغالب لقوله غلبت رحمتى غضبى ثم من الناس من غلب عليه النظر الى الاعمال فتختلف عليه الاحوال تارة يغلب خوفه على رجائه وتارة بالعكس ومنهم من غلب عليه النظر الى الفضل والعدل فاستوى خوفه و رجاؤه لان اتصافه تعالى بصفات الجلال ليس باولى من اتصافه بصفات الجمال و بالعكس ومن هنا قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وان المؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه وروى أن عليا رضى الله عنه قال لبعض ولده يابنى خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله عز وجل رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الارض غفرها لك وقال عمر رضى الله عنه لو نادى مناد كلكم فى الجنة الا واحدا لخفت أن أكون ذلك الواحد ولو نادى مناد كلكم فى النار الا واحد الرجوت ان أكون ذلك الواحد

(صاح لا تأس ان ضعفت عن الطا * عات واستأثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة وأحق النـ * ـاس منه بالرحمة الضعفاء)

صاح أصله ياصاحبى وفيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسى لا تأس من رحمة الله ان ضعفت عن الطاعات لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن أهوال القيامة واستأثرت أى انفردت واختصت بها الاقوياء بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى

الله عليه وسلم يقول لا نورث) من باب الحذف والايصال والاصل لا يورث منا وهذا اذا قلنا انه لا يتعدى الى المفعول بنفسه على ما ذهب اليه صاحب القاموس وغيره وأما على ما قاله بعض اللغويين من انه يتعدى اليه بنفسه كما يتعدى اليه بمن فلا حذف ولا تحويل عن الاسناد للغائب الى المتكلم و يوافقه قول فاطمة فى هذا الحديث من يرثك مالى لا أرث أبى وكذا قوله تعالى يرثنى و يرث من آل يعقوب و ورث سليمان داود والجمهور على ان قوله لا نورث غير خاص بنبينا صلى الله عليه وسلم لحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث وعليه فالمراد بالارث فى الآيات المتقدمة ارث النبوة والعلم و فى الحديث العلماء ورثة الانبياء والحكمة فى انهم لا يورثون انهم لو ورثوا ربما توهم منهم الرغبة فى الدنيا وجمعها لورثتهم فيهلك الظان و ينفر الناس عنهم أو يقتدون بهم فى جمع الدنيا أو خشية ان يتمنى بعض ورثتهم موتهم فيهلك وقال النووى حرم الله ان يورث عنهم شىء من الدنيا ترفيعا لهم وتنزيها عنها اه قلت وقد يكون من الحكمة فى ذلك الترغيب فى نفقة المال والتزهيد فى امساكه للوارث ففى البخارى قال النبى صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يارسول الله مامنا أحد الا ماله أحب اليه قال فان ماله ماقدم ومال وارثه ما أخر أى واذا كان كذلك فليكن حرصه على ما يقدم أكثر من حرصه على ما يؤخر وأما حديث لان تذر ورثتك أغنياء الخ فيحتمل انه عليه السلام منع سعدا من التصرف فى أكثر من الثلث لانه كان مريضا أو ان ذلك يختلف باختلاف الورثة فقرا وغنى أو ان سعدا أراد بذلك حرمان الورثة اذ لم يكن له اذ ذاك الا ابنة فلم تخلص نيته فى الصدقة وهو بعيد والله أعلم و يأتى ما يدل على ان الحكمة فى كونهم لا يورثون انهم احياء فلا عدة على أزواجهم وتستمر النفقة عليهن لعدم انتقال أموالهم لغيرهم والله تعالى أعلم (ولكنى أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وأنفق على من كان ينفق عليه) فى الصحاح عال الرجل عياله يعولهم قاتهم وأنفق عليهم اه فالعطف للتفسير و يمكن ان يفرق بينهما بان يخص قوله أعول باهل داخل بيته كما يشير اليه لفظ أعول و يخص قوله انفق بغير أهل بيته فلا يتعين ان يكون الجمع بينهما للتأكيد وأشار الصديق رضى الله عنه بهذا الاستدراك الى دفع التوهم الناشىء من النفى المطلق فى قوله لا نورث وهو انه لا ينفق عليهم من منافع متروكه صلى الله عليه وسلم وفى البخارى ان فاطمة هجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر انظر تمامه فى غزوة خيبر وكانها هجرته لانها رأت ان الحديث خاص بغير العقار أوهو من باب خبر الآحاد بالنسبة اليها وان كان قطعيا بالنسبة الى أبى بكر والظنى لا يخصص القطعى وهو آية الميراث على نزاع بين الاصوليين فى هذا أو فهمت ان متروكه صدقة بمعنى الوقف ورأت ان حق النظر على الوقف يورث دون رقبته كما يأتى ان شاء الله فى كلام السيد السمهودى نعم يشكل تماديها على هجرانه مع ان الهجران لا يجوز أكثر من ثلاث لكن قال العسقلانى قال بعض الائمة انما كانت هجرتها انقباضا عن لقائه والاجتماع به وليس ذلك من الهجران المحرم لان شرطه ان يلتقيا فيعرض هذا و يعرض هذا وكان فاطمة رضى الله عنها لما خرجت غضبى من عند أبى بكر تمادت لاشتغالها بحزنها ثم بمرضها على ان البيهقى روى من طريق الشعبى أن أبا بكر عاد فاطمة فقال لها على هذا أبو بكر يستأذن عليك قالت تحب ان آذن له قال نعم فأذنت له فدخل عليها فرضاها حتى رضيت وهو وان كان مرسلا فاسناده الى الشعبى صحيح و به يزول الاشكال فى جواز

ثم در بت عليها فصارت عندها من ألذما ألوفاتها وأعظم مشتهياتها وقوله ان لله رحمة هذا كالتعليل للنهي السابق وتنكير رحمة للتعظيم أي لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوي والضعيف والوضيع والشريف والضعفاء أحق الناس بتلك الرحمة والمراد بهم الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون بأحوالهم مع (٣٦٨) قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله تعالى في عباداتهم فهم أقوى نية في العبادة وأبعد عن الريا فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي أي لان مطلوبهم رضائي ومعتقدهم أن لا عمل لهم وفي الحديث ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب أي لا الى الاعمال وحدها بل لما يصحبهما في القلوب من اخلاص وافتقار أوضدهما (فابق في العرج عند منقلب الذود ففي العود تسبق العرجاء) هذا كالاستدلال على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوي بمثال ظاهر في الوجود والعرج جمع أعرج والمنقلب الرجوع والذود الجماعة من الابل أي فبسبب الاحقية المذكورة للضعفاء ابق في الضعفاء المشبهين بالعرج عند منقلب الذود ففي العود تسبق العرجاء الى ربها فتفوز منه بأمولها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربما أوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص ما يحلف تأخرك بخلاف المكثر فقد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ولذا قال تاج العارفين ابن عطاء الله رحمه الله رب معصية أورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثتك عزا واستكبارا انظر شرحه (لا تقل حاسدا لغيرك هذا * أثمرت نخله ونخلي عفاء) أي واذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار ولا تقل حالة كونك حاسدا لغيرك الذي أكثر منها أي متمنيا زوال التوفيق عنه هذا القوي بسبب قوته أثمرت

تمادي فاطمة رضي الله عنها على هجر أبي بكر اهـ * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا يحيى بن كثير العنبري أبو غسان نا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري) قال ابن حجر بالحاء المهملة منسوب الى البحتر وهو حسن المثنى اهـ قال في جمع الوسائل وهو سهو والصواب انه بالباء الموحدة مفتوحة أو مضمومة وبالخاء المعجمة واسمه سعيد بن فيروز أو ابن عمران (ان العباس وعليا جا آ الى عمر يختصمان يقول كل واحد منهما لصاحبه أنت كذا أنت كذا) قال ابن حجر وتبعه في جمع الوسائل أي أنت لا تستحق الولاية على هذه الصدقة أو أنا أولى منك بها ونحو ذلك وأخطأ شارح في حمل كلامهما على السب والشتم اهـ وفي رواية فقال العباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الظالم ولم يرد في طريق انه وقع شيء من علي في جانب العباس خلاف ظاهر قوله في رواية فاستبا قاله العسقلاني (فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد نشدتكم بالله) يقال نشدتك الله وبالله أي سألتك وأقسمت عليك (أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مال نبي صدقة) قال ابن حجر كل هنا انما تفيد العموم في أفراد مال النبي الواحد لا في أفراد الانبياء لكن الرواية الاخرى الصحيحة نحن معاشر الانبياء تبين ان المراد العموم في المضاف والمضاف اليه (الا ما أطعمه) أي الله كما في بعض النسخ أو النبي ويبينه ما جاء في رواية أبي داود بهذا الاسناد بلفظ كل مال نبي صدقة الا ما أطعمه أهله وكساهم وفي بعض النسخ بصيغة المضارع من الرباعي أي أنا لكوني المتصرف في أمور المسلمين وفي بعض النسخ بصيغة المضارع من الثلاثي وعلى هاتين النسختين ففيه التفات من الغيبة الى التكلم (انا لا نورث) استئناف للتعليل (وفي الحديث قصة) فيها اشكالات من قبل فاطمة وعلي والعباس والشيخين صارت من ضلالة المبتدعين وعمايات الناقصين والاعراض عن سماعها والبحث عنها أولى ولقد أحسن المصنف حيث تركها قاله المناوي ويأتي بيان بعضها وقد بسطها مسلم في أبواب الفيء والبخاري في باب فرض الخمس وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا صفوان بن عيسى عن اسامة بن زيد عن الزهري عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة) صدقة بالرفع على انه خبر المبتدا وهو ضمير الرفع والجملة خبر ما الموصولة أي الذي تركناه فهو صدقة وهذه الرواية صريحة في معنى رواية ما تركنا صدقة فبطل قول الشيعة ان ما نافية وصدقة مفعول تركنا وأيضا لو كانت الرواية والمعنى كما قالوا لكان آخر الكلام مناقضا لصدره وبتقدير صحة الرواية بالنصب فيجب حملها على رواية الرفع والتقدير ما تركنا يكون صدقة قال عياض في الاكمال وقد حرف الامامية هذا الحديث وقالوا انما هو لا يورث بالياء وما مفعوله وصدقة منصوب على الحال وقالوا ان المعنى ان الشيء الذي تركه صدقة لا يورث ويورث غيره وهذا مخالف لما عليه الصحابة وأئمة السنة ولما جاء في رواية كل مال نبي صدقة انا لا نورث وفي حديث لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركنا صدقة وقد اعترض بهذا الهوس أبو عبد الله بن المعلم من أئمة الامامية على القاضي أبي علي بن شاذان صاحب القاضي أبي بكر الباقلاني لعلمه بضعفه في العربية فلم ينقطع ابن شاذان بل قال ما معناه هذا الذي تنبهت له لو كان حقا لتنبه له أبو بكر أو علي أو العباس أو فاطمة وهم من أفصح العرب فاما ان تكون الرواية الرفع فقط فيبطل نصبه حالا أولا فرق بينهما فيبطل تفريقك فانقطع ابن المعلم * قال

المصنف

نخله أى كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وآثر التشبيه بالنخل لفضلها وخلقها من فضل طينة آدم ولذا قال صلى الله عليه وسلم أكرموا عماتكم النخل وللآدمى بها شبه حسى ومعنوى وقوله ونخلى عفاء بالفتح أى أعمالى كالتراب لا ثمرة لها ولا اعتداد بها بسبب ضعفى لانك حينئذ تعترض على الحكيم فى فعله ولذا كان الحسد حراما ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واحترز بقوله حاسدا انما اذا قال ذلك غبطة وهى أن تتمنى مثل ما للغير مع بقائه له وهو محمود كما تقدم (وأت بالمستطاع من عمل البر * فقد يسقط الثمار الاتاء) هذا كالتحذير من أن تتكل على رجائك فقط من غير عمل (٣٦٩) بل لا بد من العمل مع الرجاء امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وهى مبينة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقيل ناسخة لها وقد فسرها صلى الله عليه وسلم بان يعبد فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فقالوا أينا يطيق ذلك فنزلت الآية الاولى مبينة أو ناسخة مخففة قال معروف الكرخى رضى الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقوله فقد يسقط الثمار الاتاء أى قد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار كما أنه قد يسقط الثمار الكثيرة النفيسة الاناء أى النخل الصغار اذا خلصت أرضه وزاد ريه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق ما لم يفز به القوى الناظر الى قوته ونفسه ولا يخفى ما فى كلامه من

المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقتسم) قال العسقلانى باسكان الميم على النهى وبضمها على النفى وهو الاشهر وبه يستقيم المعنى حتى لا يعارض ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يترك ما لا يورث عنه وتوجيه رواية النهى انه لم يقطع بانه لا يخلف شيأ بل كان ذلك محتملا فنهاهم عن قسمة ما يخلف ان اتفق اه قلت قوله ما تركت بعد كذا وكذا صدقة يدل على انه ترك شيأ ولكنه نهى عن قسمته فرواية النهى ظاهرة والله أعلم (ورثتى) أى من يصلح لوراثتى لو جازت (دينارا ولا درهما) قيد بهما لان مرجع التركة عند القسمة اليهما أو المعنى ما يساوى قيمة أحدهما وهذا أولى مما قاله ابن حجر من ان التقييد بهما للتنبيه على ان ما فوقهما بذلك أولى فانه يبقى مفهوم ما دونهما قاله فى جمع الوسائل وفى الاكمال هو من التنبيه بالادنى على الاعلى كقوله تعالى ومنهم من ان تأمنه بدينار وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (ما تركت بعد نفقة نسائى) انما وجبت لهن النفقة بعد موته عليه السلام لكونهن محبوسات عن الازواج بسببه لقوله تعالى ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا فهن فى حكم من فى العصمة ما دمن فى الحياة أو لعظم حقوقهن وكونهن أمهات المؤمنين وليس ذلك لارثهن منه ولذلك اختصصن بمساكنهن ولم يرثها ورثتهن بعدهن وفى ابن حجر قال ابن عيينة هن فى معنى المعتدات لحرمة النكاح عليهن أبدا فجرت لهن النفقة وقيل لا عدة على أزواجه صلى الله عليه وسلم لانه حى فى قبره وكذا سائر الانبياء عليهم السلام اه وفى قوله هن فى معنى المعتدات شىء لان المعتدة لا نفقة لها فالاولى ان يقال انهن فى معنى من فى العصمة كما تقدم وفى الحطاب عند قول المختصر ومدخولته لغيره قال فى الشامل وأصله فى الجواهر وفى بقاء نكاح من مات عنها قولان وعلى انقطاعه ففى وجوب العدة ونفيها قولان بناء على انها متوفى عنها أو لانها لا تنتظر الاباحة اه القرطبى الصحيح انه لا عدة على من مات عنهن وبقاء نكاحهن قال ابن العربى وببقائه أقول اه ونقل عند قوله ولا يورث ما نصه قال الاقفهسى اختلف هل ما تركه باق على ملكه ينفق على أهله منه كحياته أو سبيله سبيل الصدقات والصواب انه صدقة لقوله صلى الله عليه وسلم ما تركناه صدقة اه وتقدم عند قول المصنف ومدخولته لغيره عن المشاور ما يخالف ما صوبه فتأمله والله أعلم اه وفى ابن حجر عند قوله لا نورث قيل لبقائه على ملكه وعليه صاحب التلخيص من أئمتنا وقيل لمصيره صدقة اه المراد منه قلت قد بين فى هذا الحديث ان الصدقة ما عدا نفقة أزواجه ومؤنة عامله فلا سبيل الى اطلاق القول بان الجميع ملك أو صدقة وقضية بقائه على ملكه وأن الانبياء أحياء ان حياتهم زائدة على حياة الشهداء وانها قد تعطى بعض أحكام الدنيا قال ابن حجر وقد صح ان الانبياء يحجون ويلبون فاعمالهم ليست تكليفية بل يتلذذون بها ومن ذلك سجوده صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة ولا ينافى ذلك اطلاق الكتاب والسنة والاجماع الموت عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكى لانه أحيى بعده وعليه فانتقال الملك مشروط بموت مستمر وقد ثبت ان أجساد الانبياء لا تبلى وان الروح تعود فى الجسد فى سائر الموتى وانما النظر فى استمرارها فى البدن وفى

التخييل والتذييل وتفسير الاناء بالنخيل الصغار وقع فى كلام الشارح والذى فى القاموس الاتاء بالفوقية ككتاب ما يخرج من الشجر والثمار والاثاء كاناء بالمثلثة الحجارة وعلى هذا يمكن تنزيل كلام الناظم أى ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها قد يمكنك أن تسقط بعض ثمرها بضربة حجر (ويحب النبى فابغ رضا اللـ * ـه ففى حبه الرضا والحباء) اعلم ان أفضل الاعمال وأسرعها انتاجا وأعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فانها سبب لكل خير دنيوى وأخروى وحينئذ

فعليك أن تكون ممن امتلأ قلبه بحب هذا النبي الكريم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم نرى مؤمنا يخشع ومؤمنا لا يخشع فقيل بم توجد أو بم تنال وتكتسب قال بصدق الحب في الله قيل وبم يوجد حب الله أو يكتسب فقال بحب رسوله فالتمسوا رضا الله ورضا رسوله في حبهما وفي صحيح (٣٧٠) البخاري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب أي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهو قوله تعالى ورضوان من الله أكبر اه والحباء بكسر الحاء العطاء ولله در القائل ألا يامحب الخ (١) (يانبي الهدى اغاثة ملهوف * فأضرت بحاله الحوباء) هذا رجوع منه الى الضراعة واظهار ما به من التحسر والتحزن والاستغاثة لمن لا يخيب المستغيثين به والهدى يطلق على الدلالة على الله وهو عام ومنه وانك لتهدي الى صراط مستقيم ويطلق على الايصال اليه وهو خاص بالمؤمنين ولذا قال له انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله اغاثة اما بالرفع خبر مبتدا محذوف أي مسؤلي الاغاثة بأن يخلص من شدة أو يخففها واما بالنصب مفعول مطلق أي أستغيث بك اغاثة ملهوف على مضطرب متحسر محتاج الى من ينقذه من الهلاك من صفته انه أضرت بحاله الحوباء أي مسكنة ذنوبه (يدعي الحب وهو يأمر بالسوء * ومن لي أن تصدق الرغباء) أي يزعم انه يحب الله ورسوله والحالة انه يصدر منه ما يكذب دعواه لانه يأمر نفسه أو غيره بالسوء أي الاثم فعلا وتركا والمخالفة تفصح عن عدم المحبة وتفضح مدعيها فان ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولذا قيل تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمر

انه يصير حيا كهو في الدنيا أو حيا بدون روح وهي حيث شاء الله فان ملازمة الحياة لها أمر عادي فالعقل يجوز خلاف ذلك فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء وتشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك صفات الانبياء المذكورة ليلة الاسراء كلها صفات للاجساد ولا امتناع من انها حياة حقيقية وان لم تحتج الى نحو طعام وأما نحو العلم والسماع فثابت لهم بل لسائر الموتى بلاشك اه (ومؤنة عاملي) قال ابن حجر هو الخليفة بعده وقيل القائم على هذه الصدقات والناظر فيها وقيل كل عامل للمسلمين اذ هو عامل له صلى الله عليه وسلم وهو نائب عنه في أمته اه قال المناوي وفيه ان كل قيم بأمر من أمور المسلمين مما يعم نفعه سبيله سبيل عامل المصطفى في ان له المؤنة في بيت المال والكفاية مادام مشتغلا به كالعلماء والقضاة والامراء وسائر أهل الشغل بمنافع الاسلام اه (فهو صدقة) معنى الصدقة هنا كما في الاكمال الوقف لمصالح المسلمين وفي مسلم عن عمر قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة ومابقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل وفي ابن حجر كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ نفقة أهله من الصفايا التي كانت له من أموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح المسلمين ثم وليها أبو بكر ثم عمر كذلك فلما صارت الى عثمان استغنى عنها بماله فأقطعها مروان وغيره من أقاربه فلم تزل في أيديهم حتى ردها عمر بن عبد العزيز اه وفي المناوي قال السيد السمهودي عن الواقدي وغيره كانت تركة النبي صلى الله عليه وسلم التي جعلها صدقة أموال المخيريق أوصى له بها وقتل بأحد وهي سبع حوائط الدلال وبومة والاعوان والصائفة ومثبت وحسناء ومشربة أم ابراهيم وهذه الحوائط مما طلبته فاطمة وعلي والعباس من أبي بكر وعمر فأبيا واحتجا بالحديث كما تقدم فعلي والعباس وفاطمة فهموا من قوله ماتركناه صدقة الوقف ورأوا أن حق النظر على الوقف يورث دون رقبته فرأى أبو بكر ان الامر في ذلك له وأما عمر فأعطاها لعلي والعباس ليعملا فيها بما عمل المصطفى صلى الله عليه وسلم فكانت هذه الصدقة بيد علي غلب عليها العباس ثم بيد الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين والحسن بن الحسن ثم زيد ابن الحسن ثم عبيد الله بن الحسن حتى ولي بنو العباس فقبضوها فكانت بيد كل خليفة يولي عليها ويعزل ويقسم غلها في أهل الحاجة من أهل المدينة اه ومخيريق هذا محب بلغ به صدق المحبة أن بذل نفسه وماله في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبقيته ولحوقه باخوته سلمان وبلال وهو مخيريق النضري الاسرائيلي من بني النضير ذكر الواقدي انه أسلم واستشهد باحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيريق سابق يهود وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبشة وكان عالما ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد قال لليهود ألا تنصرون محمدا والله لتعلمون أن نصرته حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال لاسبت وأخذ سيفه ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقاتل حتى أثبتته الجراحات فلما حضره الموت قال أموالي الى محمد يضعها حيث شاء * قال المصنف (حدثنا الحسن بن

(١) قوله ألا يامحب الخ لفظ البيت ألا يا محب المصطفى زد صبابة * وضمخ لسان الذكر دأبا بطيبه اه من هامش الاصل

في القياس بديع لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع ولهذا أشار الى تمنيه أن يصدق في دعواه المحبة فقال ومن لي ان تصدق الرغباء فمن استفهامية أي من الذي يتكفل لي وفيه التفات والرغباء العزيمة المصممة في الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه نقص من كماله فلا ينافي أصله (أي حب يصح مني وطرفي * واصل للكرى وطيفك راء) يعني انه لاجل ما صحبه من الغفلة عن محبوبه فاي حب يصح والحال ان طرفه واصل للكرى (٣٧١) أي النوم في سائر أوقاته المعتادة له وليس هذا من شأن المحب وطيفك أي خيالك أيها المحبوب راء أي محتجب عني كما احتجبت الراء عن واصل بن عطاء كان يجتنب الراء في كلامه لمكان لثغة لسانه يحكى أنه أبي با كور في طيفور من صفر وسئل ماهذا فقال التي في آنية الصين ووري به الشعراء في أشعارهم فمن ذلك قوله (ولما رأيت الشيب راء بعارضي * تيقنت أن الوصل لي منك واصل) فصار هجر الشيء المستمر تمثيلا عندهم بهجر واصل للراء ففي بيت الناظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللراء اسم علم وتلميح بالقصة المشار اليها والاستفهام انكاري أي كيف تصدق محبتي وأنا مواصل للكسل والنوم ومن هو بهذه الحالة فان محبوبه يعامله بالهجر وعدم المواصلة (ليت شعري أذاك من عظم ذنب * أم حظوظ المتيمين حظاء) أي ليتني علمت أذاك أي عدم حضور خيال محبوبي بقلبي هو من أجل ذنب عظيم وقع مني ومن أعظم آفات الذنب الحجب عن الحب أم حظوظ جمع حظ أي انصباء المتيمين أي المحبين حظاء جمع حظوة بالكسر والضم أي الرفعة والمكانة أي أنصباؤهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير عمل وبعضهم بالعكس وبين حظوظ وحظاء الجناس المطلق والاحتمال الاول أظهر فلذا رجع اليه فقال (ان يكن عظم زلتي حجب رؤيا * ك فقد عز داء قلبي الدواء) يعني انه ان كان الذي أوجب حجب رؤياك أيها المحبوب هو عظيم ذنبي فقد عدم الدواء الذي يكون لمرض قلبي فلا يوجد له شفاء أصلا اذ لا طريق اليه الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض أنه آخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يمكن أحدا

على الخلال نا بشر بن عمر قال سمعت مالك بن أنس عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان قال دخلت على عمر فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وطلحة وسعد وجاء علي والعباس يختصمان فقال عمر أنشدكم بالله الذي باذنه) أي ارادته وقدرته (تقوم السماء والارض) أي تثبت ولا تزول ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا (أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالوا اللهم نعم) هذا جواب الاستفهام أي نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال في جمع الوسائل وتصديره باللهم اما للتأكيد الحكم أو للاحتياط والتحرز عن الوقوع في الغلط والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم ان الميم فيه بدل من حرف النداء وان المقصود من النداء في حقه سبحانه هو التضرع والتذلل لا حقيقة النداء فانه ليس ببعيد حتى ينادى ولا بغائب حضوره يرتجى بل هو أقرب الى العبيد من حبل الوريد اه وفي المرادي على النظم ان اللهم يستعمل على ثلاثة أنحاء منها أن يذكره المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع كأن يقول لك القائل أزيد قام فتقول أنت اللهم نعم أو اللهم لا اه وكأن الاصل والله أعلم اللهم اشهد أن الجواب كذا (وفي الحديث قصة طويلة) تقدم قول المناوي فقد أحسن المصنف حيث تركها ومما تضمنته القصة المذكورة أن عليا والعباس ترافعا الى أبي بكر ثم ترافعا الى عمر مرتين فيشكل ترافعهما الى أبي بكر مع قوله عليه السلام لا نورث وعلمهما بهذا الحديث سواء كانا سمعاه من النبي عليه السلام أو من غيره الا أن يقال حملاه على غير عمومه أو رأوا أن حق النظر على الوقف يورث دون رقبته ثم يشكل ترافعهما الى عمر والجواب لعله أن لا يرى رأي أبي بكر ويشكل عليه ترافعهما اليه ثانيا والجواب انهما ترافعا ثانيا في غير الميراث بل في ولاية تلك الصدقة اذ لو كان في الميراث لاخذ علي النصف وعباس الربع ونصفه ولم يكن نزاع فكان تنازعهما اذا اما في الاستبداد بالولاية بان يريد كل منهما أن يستبد بالولاية أو في بعض مصارف هذه الصدقات لكن في رواية ما يدل على أنهما ترافعا ثانيا في مثل ما ترافعا فيه أولا فبقي الاشكال ولم يجب عنه ابن حجر والجواب انهما ترافعا اليه ثانيا لعله أن يكون تغير اجتهاده والله أعلم قال ابن حجر وقد استوفينا الكلام على ما وقع لفاطمة مع أبي بكر ولعلي والعباس مع عمر رضي الله عنهم في كتاب الصواعق المحرقة فاطلبه فانك تنجو به من ضلالات وقع فيها المبتدعة وعمايات خذل بها من أضله الله ووضعه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان عن عاصم بن بهدلة) على وزن فعللة وعاصم هو الامام المقرئ المشهور الذي راوياه أبو بكر وحفص (عن زر) هو بكسر الزاي وتشديد الراء (ابن حبيش) تصغير حبش (عن عائشة قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا) أي مملوكين (قال) أي زر الراوي عن عائشة كما جزم به ابن حجر أو الراوي الصادق عن دونه (وأشك في العبد والامة) أي في ان عائشة هل ذكرتهما أم لا وفي رواية البخاري عن جويرية ولا عبدا ولا أمة أي مملوكين والا فقد بقي بعده صلى الله عليه وسلم كثير من مواليه وقد ترجم البخاري باب ما ذكر من درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء

غيره أن ينفقه منه وأنت باب الله أي امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل (كيف يصدا بالذنب قلب محب * وله ذكرك الجميل جلاء)
لما ذكر احتمال أن يكون عظيم ذنبه أوجب سوء تجيه لمزيد الخوف والمؤاخذة التي لا دواء لدائها أخبر أنه مع ذلك مقيم على المحبة في الجناب
الأفخم وكيف يصدأ أي يسود بسبب ذلك الذنب الذي ارتكبه قلب محبك وقوله وله ذكرك الخ له يتعلق بجلاء وضميره عائد على قلب محب
وذكرك مبتدأ من اضافة المصدر (٣٧٢) للمفعول أي ذكره لك والجميل نعته وجلاء خبر أي صقل لذلك الصدا والمراد بالذكر الصلاة
والتسليم وسؤال الوسيلة
ويحتمل ان يكون من اضافة
المصدر للفاعل أي ذكرك
له حيث أحبك وذكرك
وفضل الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم أمر
ضروري عند كل مؤمن
ومن أراد تفاصيل بعض
مجملها فعليه بمطالعة الكتب
المدونة فيها وللناظم في داليته
وتزود التقوى فان لم تستطع
* فمن الصلاة على النبي محمد
صلى عليه الله ان صلاة من
* صلى عليه ذخيرة لم تنفد
(هذه علتي وأنت طبيبي *
ليس يخفى عليك في القلب داء)
أي هذه الاوصاف المذكورة
التي صيرت صورة محبوبي
عني محجوبة علتي التي أنحلت
جسمي وأدهشت قلبي ولبي
لا غيرها والحال انك انت
طبيبي العالم بها الماهر في
ازالتها فانه ليس يخفى عليك
في القلب داء وأنت لا أحد
من الخلق أكرم منك ولا
أحلم فعجل لي بدواء ذلك
المحصل للشفاء من وصمة
جميع ما هنالك فان شفاعتك
لا ترد والمتوسل بك لا يخيب
فالخير كله بيدك وأنت أكرم الكرماء يا أجود الأجواد يا من له * بين النبيين المقام الأغر باب
الجود بيت أنت مالكه * مفتاحه في الكف منك استقر فجد بما ارجوه يا بغيتي * فان كل الخير منك ظهر (غيره)
اليك رسول الله أشكو نوائبا * من الدهر لا يقوى لها متحمل واني لأرجو أنها بك تنجلي * لانك لي جاه وحصن ومعقل
(غيره) ما للنوازل والخطوب تنبهو * الا الشفيع ومن يقول أنا لها الق العنان ببابه مستشفعا * وأت البيوت أخي من ابوابها
(غيره) يا أكرم الخلق على ربه * يا خير من فيهم به يسئل قد مسني الكرب وكم مرة * فرجت كربا بعضه يذهل

بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك به أصحابه وغيرهم بعد وفاته ومراده أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يورث لان هذه الامور بقيت في يد من كانت تحت يده من الاقارب وغيرهم يتبركون بها ولم تبع ويقسم ثمنها وقد ذكر داخل الترجمة ما يدل على الكساء والرداء والصحيفة ولم يذكر ما يشهد للدرع والعصا والشعر والله أعلم ﴿ تنبيه ﴾ في الحديث العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر ومن ثم قال العلماء أهم الاشياء لاهل البيت طلب العلم وتحصيله بنية صالحة اذ هو الذي ورثه جدهم صلى الله عليه وسلم ولم يورث دينارا ولا درهما فحقهم أن يتنافسوا فيه كل المنافسة ويعتنوا به غاية الاعتناء اذ أولى الناس بالارث الاقارب وقبيح بهم أن يحرموا أنفسهم من ذلك الارث ويزهدوا فيه ويعرضوا عنه مع غاية جلالته ونهاية شرفه وأحقيتهم به ولا يمنعهم من ذلك احتياجهم الى التأدب مع المعلمين والتواضع لهم والجلوس بين أيديهم لان التواضع خلق شريف به تخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومدحه وأثنى عليه لا سيما مع أهل العلم فان التواضع لهم تواضع في الحقيقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هم خلفاؤه ونوابه وقد تقدمت حكاية أبي معاوية الضرير مع هرون الرشيد وروى أبو نعيم في الحلية ان علي بن الحسين كان يذهب لزيد بن أسلم فيجلس اليه يعني للاخذ عنه فقيل له أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب الى هذا العبد فتجلس اليه قال العلم يتبع حيث كان وممن كان اه وأخرج في الصفوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الانصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون اليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم قال فتركته وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد الباب فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك ألا أرسلت الي فآتيك فاقول بل أنت أحق أن آتيك فاسأله عن الحديث فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فيقول هذا الفتى كان أعقل مني والى هذا يشير قول ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقد قام الصحابة رضي الله عنهم بوظيفة تعلم العلم وتعليمه لان العلم هو روح الدين فجميع ما يظهر في هذه الامة من العلوم في ميزان حسناتهم وهم وحسناتهم في ميزانه صلى الله عليه وسلم ولا يزال الخير في هذه الامة الى يوم القيامة لحديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون ومن ثم قال البوصيري رحمه الله

لم نخف بعدك الضلال وفينا * وارثو نور هديك العلماء
فانقضت آي الانبياء وآيا * تك في الناس ما لهن انقضاء
والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

ولن ترى أعجز منى فما * لشدة أقوى ولا أحمل فبالذى خصك بين الورى * برتبة عنها العلا تنزل عجل باذهاب الذى أشتكى * وان توقفت فمن أسئل - (ومن الفوز أن أبثك شكوى * هى شكوى اليك وهى اقتضاء) أى وانما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قلة حيلتى مما جنيت على نفسى لان من الفوز أى الظفر والنجاة لمثلى بجميع المطلوب الذى لا فوز أعظم منه ان أبثك من بث وأبث أى نشر وأظهر وهو بعد سبكه مبتدأ ومن الفوز خبر مقدم والشكوى الاخبار بما يضرك (٣٧٣) وهى هنا شكوى اليك لا الى غيرك وهى
اقتضاء أى طلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع أن أتخلص من تلك الفرطات وأنجو من بوائق سائر الورطات وان يحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤول ومرغوب لاسيما لمن صرف عنان العنايه لمدحك فجدير أن يفوز بربحك
أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما * (١) كفاك من تعرضه الثناء
(ضمنتها مدائح مستطاب * فيك منها المديح والاصغاء) ضمنتها بالبناء للمفعول ومدائح نائب الفاعل وضمير الشكوى مفعول ضمنت وأصله ضمنت المدائح الشكوى أى جعلت المدائح متضمنة ومشتملة على شكواى والمدائح جمع مدحة أى الكلام المتضمن للثناء الجميل ومستطاب بالرفع صفة مدائح وضمير منها يعود على الشكوى والمجروران متعلقان بما قبلهما أو بعدهما
ومن تبعيضية والمديح نائب فاعل مستطاب والاصغاء الميل الى سماع تلك المدائح وكيف لا وأوصافك الكريمة زينتها فصارت بها فى غاية الكمال الذى يشنف الاسماع ويملأ عبيره ارجاء القلوب والبقاع (قلما حاولت مديحك الا * ساعدتها ميم ودال وحاء) قل فعل ماض وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر وهو الفاعل وعبر بالقلة عن العدم أى قلت محاولة شكواى أو قرحتى مديحك فى حال من الاحوال الا فى حال ساعدتها ميم الخ أى لم تتوجه الا وتهيأت لها الاسباب فشرط كون التفريغ بعد النفى موجود خلافا لابن حجر لما

﴿ باب فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ﴾

قال ابن القوطية رأيت الشىء رؤية وفى العلم والامور رأيا وفى النوم رؤيا اه ومقتضاه اختصاص المقصور بالحلمية والمؤنث بالتاء بالبصرية قيل وقد يستعمل أحدهما مكان الآخر مجازا وقال ابن هشام لا تختص الرؤيا بمصدر الحلمية بل قد تقع مصدرا للبصرية خلافا للحريرى وابن مالك اه وقد استعمل المصنف فى هذه الترجمة مصدر البصرية وهو الرؤية بالتاء فى الحلمية وكأنها عنده لا تختص بالبصرية ولذلك قيدها بقوله فى المنام على ما فى بعض النسخ وقد اختلف فى حقيقة الرؤيا المنامية قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة الرؤيا مثال يلقيه الله تعالى لعبده فى منامه بواسطة ملك أو غيره اه ولهم فيها كلام طويل قد نقل بعضه شيخنا العلامة فى شرح الحصن الحصين قلت وذكر المصنف باب الرؤيا اثر باب الميراث وجمع بينهما فى سق واحد لان عدم الارث من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما أن رؤياه لا تكون الا صادقة من خصائصه صلى الله عليه وسلم والله أعلم وذكر بعض الشراح أن ايراد باب الرؤية فى آخر الكتاب بعد ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية ليسهل تطبيق ما يراه فى المنام عليها قلت ويحتمل أنه ختم تراجم الكتاب بترجمة الرؤية فى المنام دون غيرها من الابواب تفاؤلا بان يكون خاتمة عمل الانسان ظفره برؤيته صلى الله عليه وسلم والاجتماع به واشارة الى أن من ثمرات الاشتغال بمعرفة سيره وشمائله الفوز برؤيته والقرب منه صلى الله عليه وسلم لان الاشتغال بذلك يستدعى كثرة الاستحضار لصورته الكريمة وتعلق القلب برؤية محاسنه الفخيمة وذلك من أقوى أسباب رؤيته صلى الله عليه وسلم وقد نقل فى الحلية عن المثنى بن سعيد أنه قال سمعت مالكا يقول ما بت ليلة الا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاكثار من استحضار صورته الشريفة ومعرفة شمائله المنيفة كالتوطئة والتمهيد لرؤيته فى المنام ورؤيته فى المنام كالتوطئة والتمهيد لرؤيته فى اليقظة وسيأتى الكلام على ذلك واعلم أن العارفين يتصورونه صلى الله عليه وسلم على هيآت عظيمة وحالات كبيرة جسيمة فتارة يستحضرون دخوله للمدينة من هجرته وقد خرجت ذوات الخدور والولائد والصبيان يقلن

طلع البدر علينا * من ثنية الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويجعلون أنفسهم كأنهم يقولون ذلك ويفرحون وتارة يتصورونه أمام المؤمنين ببدر وهم يلوذون به فى جهاد أعدائه ويستحضرون أن ملائكة الله تتبعه وتقاتل معه وتارة يستحضرونه تحت شجرة الرضوان والصحابة يبايعونه على أن يموتوا دونه ويستحضرون قوله تعالى فى ذلك ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وتارة يتصورون دخوله لمكة يوم الفتح ومعه جنود الله وقد أحدقت به الانصار لا يرى

(١) قوله كفاك فى نسخة كفاه بالهاء وكل صحيح

[illegible] به النحاة من أنه لا فرق فى النفى بين أن يكون فى اللفظ أو فى المعنى وقالوا فى قوله تعالى ويأبى الله الا أن يتم نوره معناه لا يريد لانهما بمعنى
على أن ابن الحاجب لا يسلم الاشتراط المذكور كما هو مقرر فى محله ولما خفى هذا على ابن حجر عين أن تكون ما نافية وفاعل قل محذوف والتقدير
قل أن يستصعب على ما أردته من مدحك لانى ما حاولته فى حال الاحوال الا ساعدتنى الحروف المذكورة أى مسماها أى ما توقف على معنى
أو نوع من المعانى الرائقة والانواع الفائقة اللائقة الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى الى تأديته بغاية اللطف
وتساعدنى عليه بنهاية الاسعاف فتأتى قريحتى منه بما هو أبلغ وأبدع وما ذلك الا لانها علمت جناب من يمدح فتنافست فى أن تستعمل هنالك
(حق لى فيك أن أساجل قوما * سلمت منهم لدلوى الدلاء)
أى ثبت واستقر لى فى مدحك أن أساجل أى أفاخر قوما هم الشعراء العارفون بانواع المديح وحيث اطلعوا على ما لدى أنصفوا فسلمت الدلاء جمع دلو فى حال كونها منهم والسجل الدلو العظيمة المملوأة ومنه قولهم الحرب بينهم سجال أى سجل منها على هؤلاء مرة وأخرى على هؤلاء والمساجلة التنازع على البئر بالدلاء المختلفة شبه بهم المادحين فى تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل أن ما أبرزه خير مما أبرزه غيره استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح
(ان لى غيرة وقد زاحمتنى * فى معانى مدحك الشعراء
ولقلبى فيك الغلو وأنى * للسانى فى مدحك الغلواء)
الغيرة بالفتح الحمية توجب لى ان لا أحب غيرى يسبقنى الى مدحك جميع
والحال انه قد زاحمتنى فى معانى ألفاظ مدحك الشعراء وأرادوا أن يسبقونى فيه والحال انه استحكم لقلبى فى محبتك الغلواء أى الافراط ومجاوزة الحد وأنى تكون للسانى فى مدحك الغلواء أى الاسراع والتقدم عليهم لولا امدادك ونظرك الى بما يميزنى عليهم فانى استفهامية بمعنى كيف نحو أنى يحيى هذه الله بعد موتها أو بمعنى من أين نحو أنى لك هذا ويجوز كسر الهمزة والياء اسمها ويرحم الله الامام سبط ابن الفارض اذ يقول
ولما تجلت للقلوب تزاحمت * على حسنها للعاشقين مطامع
واعلم أن كل ما يحبه الانسان فانه يحب الاستبداد به ويحب ان لا يزاحم

منهم الا الحدق من الحديد وهو على ناقته القصواء وهو بين سيدنا أبى بكر وسيدنا أسيد بن حضير يتحدث معهما وتارة يستحضرونه ساجدا تحت العرش بين يدى الله تعالى وهو يقال له ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وتارة يستحضرون قرعه لباب الجنة وأمته وجميع الامم تتبعه اليها وهكذا (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله) أى ابن مسعود كما فى بعض النسخ (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآنى) أى فقد رآنى حقا وليست رؤياه بباطلة ولا أضغاث أحلام ولا من تمثيل الشيطان بل هى من قبل الله تعالى وهذا معنى رواية فكأنما رآنى فى اليقظة فقوله (فان الشيطان لا يتمثل بى) كالتتميم للمعنى والتعليل للحكم والتمثل يتعدى بنفسه كما يأتى فى رواية يتمثلنى وبالباء كما فى هذه الرواية وباللام أى لان الشيطان وان مكنه الله تعالى من التصور فى أى صورة أراد فانه لم يمكنه من التصور فى صورة النبى صلى الله عليه وسلم فكما حفظ الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حال الحياة من تمكن الشيطان منه وايصال الوسوسة فكذلك حفظه بعد خروجه من دار التكليف فلا يقدر أن يتمثل بصورته ويتشكل بشكله وهذا معنى رواية لا يتكوننى أى لا يتكون كونى أى لا يصير كائنا فى مثل صورتى وفى رواية فان الشيطان لا يتخيل بى وفى رواية لا يستطيع أن يتشبه بى كما يأتى قال فى سمط الجوهر الفاخر وقد اختلفوا فى رؤياه صلى الله عليه وسلم هل لا تكون الا على صورته المعلومة التى كان عليها فى الدنيا أو يرى فى صورته المعلومة وغيرها والصحيح التعميم وأن رؤياه فى أى حالة كانت هى حق ليست باطلة ولا اضغاثا الا أنه ان رؤى على صورته المعروفة فى حياته لم تحتج رؤياه الى تعبير وان رؤى على غير صورته المعلومة احتاجت الى التعبير والتأويل وهذا والله أعلم بشرط أن يكون لصورته الحقيقية الاصلية بقاء فيكون مثال ذلك كما اذا كان لك شخص من أقاربك تعرفه معرفة تامة فغاب عنك مدة مديدة ثم اتصلت به وقد شاب وصار شيخا وكان حين غاب عنك شابا لم يشب أو غيرته الشمس وسودته وقد ذهب أبيض أو وقع له أثر فى وجهه أو نقص فى بعض أعضائه فانك مع ذلك لا تمترى فيه أنه الشخص الذى غاب عنك بخلاف ما لو أتاك غيره وادعى أنه هو وهو مخالف له فى صورته الاصلية والمعنى والسر الذى امتازت به صورته عن غيرها فانك لا تقبل دعواه أصلا ولو احتج على ذلك بما عسى أن يحتج ولعل بهذا يجمع بين قول من قال لا يرى الا على صورته المعروفة وبين من قال يرى فى كل صورة وأما لو رأى فى منامه شخصا مخالفا لصفة النبى صلى الله عليه وسلم من كل وجه فقال له انه النبى صلى الله عليه وسلم أو قيل له ذلك فيه أو توهمه فى نومه فالظاهر أن رؤياه غير صحيحة وتلك الصورة التى رأى غير محفوظة ولا ممنوعة من الشيطان أن يتصور فيها والشيطان ليس بمحجور عليه أن يتصور فى أى صورة شاء ويكذب ويدعى ما شاء فيدعى أنه رسول الله أو غير ذلك وانما الممنوع منه صورة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى صورته المعلومة المقدسة الشريفة أن يتكونها الشيطان ويصير ظاهرا فى مثلها وشكلها هذا الذى يقتضيه قوله لا يتكوننى ولا يتمثل بى ولا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى اهـ ثم اعلم انهم اختلفوا أيضا فقال بعضهم المرئى فى

فيه ومن هنا كان من طبع المحب الغيرة على المحبوب فان قلت كيف تستقيم الغيرة من المحب لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة الاستبداد وارادة الانفراد قلت المحب فى وقت تعطشه وشدة اشتياقه وتلهفه يلزمه عدم القناعة من المحبوب فتغتفر فى حقه ارادة الاستبداد ويعذر فى قصد الاستقلال ولا ينظر الى لازم ذلك لغيبته عنه فى محبوبه فاذا نبه عنه من غيبته وقيل له أتريد أن يظهر فضل محبوبك وكرمه على الناس ويشتهر قدره وعزه فيما بينهم قال نعم وقد يغار المحب على المحبوب من نفسه لشدة نفاسته وعظمة عزته وفخامة جماله وجلاله فيريد أن يصان حتى عنه * وعن الشبلى المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وقد أكثر امام العاشقين سيدى عمر بن الفارض فى شعره من هذا المعنى فمن ذلك قوله

بعضى يغار عليك من بعضى ويحـ * ـسد باطنى اذ أنت فيه ظاهرى

(فانب خاطرا يلذ له مد * حك علما بانه اللألأ)

اى فبسبب صدق محبتى وشدة غيرتى ومزاحمتى أقرانى مع ارادتهم التقدم على أنب خاطرا أى قريحة لى على هذا المدح البديع بان تمدها بما تفوق به جميع مزاحميها ومسابقيها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد على مادحيه وأنا من أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبى يلذ له مدحك لذة تحمله على أن يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبك فى اختراع ما لم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه لاجل علمه بان مديحك اللألأ أى أى الفرح التام أو من قولهم تلألأ البرق اذا لمع أى علما بان مدحك يضىء قلوب المادحين لا سيما من أتى فى ذلك بالمعانى البديعة والاساليب العجيبة الرفيعة

(حاك من صنعة القريض برودا * لك لم يحك وشيها صنعاء)

حاك أى نسج ذلك الخاطر فى نظم مديحك القريض الشعر والبرود جمع برد وهو نوع من أنواع الثياب اليمانية يزين به والوشى النقش بالالوان المختلفة وصنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة الوشى والنسج شبه ما اشتمل عليه نظمه من المعانى البديعة فى ادهاشها للقلوب عند سماعها بالبرود الموشاة المدهشة للابصار عند رؤيتها بجامع الادهاش لكن المعانى تدهش البصائر والافكار والبرود تدهش الابصار والانظار ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه استعارة

جميع الاحوال هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم لا حقيقة شخصه أو روحه لان روحه لا صورة لها ولا لون ولا شكل ورؤيا شخصه باطلة ببديهة العقل لانه قد يراه ألف راء فى ليلة واحدة فى ألف موضع فى صور مختلفة من الطول والقصر والشباب والشيوخة والصحة والسقم وغير ذلك فكيف يتصور شخص واحد فى حالة واحدة فى هذه الصور المختلفة كلها وكيف نعتقد انه خرج من قبره مرتحلا الى مواضع كلها فى آن واحد فلم يبق الا أن رائيه انما رأى مثال روحه المقدسة وروحه تتشكل بصورة جسده الطاهر واطلاق رؤيته على رؤية مثاله صحيح لا اشكال فيه اه وهذا هو الذى قرر به الغزالى الحديث وهو مرتضى الالبى قال فمعنى من رآنى فقد رآنى من رأى مثالى فقد رأى مثالى وهذا هو التوجيه الحق فى أنه يصح أن يراه اثنان فى مكانين ووجهه بعض الصوفية بأنه صلى الله عليه وسلم كالشمس هى واحدة وترى فى أماكن عدة وهو تنظير لا يصح لانه غير موازن لان الشمس وهى بالافق ترى من مكانين لا فى مكانين ورؤية واحدة من مكانين تصح بخلاف رؤية فى مكانين وانما الذى يوازن أن يرى زيد جرم الشمس فى بيت ويراه عمرو فى ذلك الوقت فى بيت آخر ولو فرض ذلك كان فرض محال كاستحالة أن يرى ذاته الكريمة اثنان فى مكانين اه وقال آخرون بل الحديث محمول على ظاهره والمراد ان من رآه فقد أدركه ولا مانع يمنع من ذلك وأما كونه قد يرى على غير صفته أو يرى فى مكانين مختلفين معا فان ذلك غلط فى صفته وتخيل لها على غير ما عليه فتكون ذاته مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية والادراك لا يشترط فيه تحديد البصر ولا قرب المسافة ولا كون المرئى ظاهرا على وجه الارض أو مدفونا وانما يشترط أن يكون موجودا ولم يقم دليل على فناء جسمه بل جاء فى الخبر الصحيح ما يدل على بقائه اه فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو فى بصر الرائى فقد يرى من الصفات ما يخالف صفته صلى الله عليه وسلم وقد يخيل له أنه فى مكان كذا أو فى بلد كذا دون روضة المدينة المشرفة وقال شيخ الاسلام زكريا تبعا لابن العربى رؤيته المصطفى صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك لذاته وبغير صفته ادراك لمثاله فالاولى لا تحتاج الى تعبير والثانية تحتاج اليه ويحمل على هذا قول النووى والصحيح انه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعلومة أو غيرها كما ذكره المازرى اه فهذه ثلاثة أقوال فى المرئى هل هو المثال مطلقا أو الذات الكريمة مطلقا أو التفصيل قال بعضهم وثمرة اختلاف الصفات اختلاف الدلالات فقد قال بعض علماء التعبير ان من رآه شيخا فهو عام سلم ومن رآه شابا فهو عام حرب وقال العارف ابن أبى جمرة ومن رآه فى صورة حسنة فذلك حسن فى دين الرائى وان كان فى جارحة من جوارحه شين أو نقص فذلك خلل فى الرائى من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه حتى يتبين للرائى هل عنده خلل أم لا وقد صرح النووى بأن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام لا يختص بها الصالحون وهو ظاهر قوله فى الحديث من رآنى فان من من صيغ العموم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى حصين عن ابى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

تصريحية وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الحوك والوشي ترشيحا وأثبت للمشبه ما هو ملائم له وهو القريض تجريدا

(أعجز الدر نظمه فاستوت في * ه اليدان الصناع والخرقاء) أي فاق نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها الدر النفيس للنظم الذي يدهش بضوئه وصفائه فلذلك استوت في العجز عنه اليدان أي القريحتان الصناع بفتح الصاد المهملة والنون المخففة والعين المهملة أي الحاذقة الماهرة والخرقاء (٣٧٦) ضدها وهما بدلان أو عطفا بيان من قوله اليدان (فارضه أفصح امرئ نطق الضا * د فصارت تغار منها الظاء) أي اقبل هذا النظم يا أفصح امرئ نطق بالضاد أي يا أفصح العرب وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد الحديث أي لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب أحسنوه وأفصحهم على الاطلاق هو النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه يقول يا أفصح الفصحاء اقبل ما جئت به وان لم يشم أدنى رائحة من روائح فصاحتك بل ولا وفي معشار عشر كمالك فبسبب اختصاص الضاد بتعذر أو تعسر النطق بها على غير العرب وتعذر نهايته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر الضاد الموصوفة بالقاعة بما ظفرت به في حال كونها تغار منها أي والضاد لتميزها عليها بتلك المرتبة العالية أرادت الظاء فضلا عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهي تلك المرتبة (أبذكر الآيات أوفيك مدحا * أين مني وأين منها الوفاء) المراد بالآيات الخصائص والمعجزات المذكورة في هذا النظم الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق والاستفهام للانكار وبذكر يتعلق بأوفيك اذ لا يمكن بشرا أن يوفيك حقك في المدح بل ليس ذلك الا لله تعالى فأين مني الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين وأين من تلك الآيات الوفاء بذلك وهي محصورة وكمالاتك غير محصورة فهو صلى الله عليه وسلم لم يحط ولا يحيط بمعرفته مخلوق على الاطلاق ومعرفته على ما هو عليه مما انفرد به الواحد الخلاق وفي البغداديات

أخلاي من يحصي مديح محمد * وفي مدحه كتب من الله تقرأ

رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتصوّر أو قال لا يتشبه بي) التصور والتشبه والتمثل متقاربة المعنى والشك في غير الجار * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا خلف بن خليفة عن أبي مالك الاشجعي عن أبيه) طارق بن أشيم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني) سبق ما للعلماء في معناه (قال أبو عيسى) أي المصنف (وأبو مالك) أي المذكور في هذا السند (هو سعد بن طارق بن أشيم وطارق ابن أشيم هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث) أي غير هذا الحديث فثبت أن له صحبة ورواية وأن أبا مالك من التابعين * قال المصنف (وسمعت علي بن حجر يقول قال خلف بن خليفة رأيت عمرو بن حريث صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام صغير) فكل من قتيبة وعلي بن حجر شيخي المصنف من تابعي التابعين والترمذي من تابعي تابعي التابعين فبين المصنف وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة انظر المناوي لكن قول علي بن حجر قال خلف بن خليفة ليس بصريح في اللقي بخلاف قول قتيبة حدثنا خلف بن خليفة فانه صريح في اللقي والله أعلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة هو ابن سعيد نا عبد الواحد بن زياد عن عاصم بن كليب قال ني أبي انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثلني قال أبي) أي كليب (فحدثت به) أي بهذا الحديث (ابن عباس وقلت قد رأيته) أي النبي صلى الله عليه وسلم في المنام (فذكرت الحسن بن علي فقلت شبهته به) قد تقدم في حديث علي في الباب الاول ذكر من كان يشبهه صلى الله عليه وسلم في صورة ذاته الكريمة (فقال ابن عباس انه) أي الحسن بن علي (كان يشبهه) أي النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الحاكم بسند جيد عن عاصم بن كليب أيضا بلفظ قلت لابن عباس رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صفه لي فذكرت الحسن بن علي فشبهته به فقال قد رأيته وفي هذا الحديث جواز التحدث برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وقد ورد في الحديث الرؤيا الحسنة من الله فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لن تضره اه قال شيخنا العلامة في شرح الحصن الحصين قلت وأعظم المحبوبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فتجري هذا المجرى من عدم الافشاء لكل أحد بل هي بذلك أحرى خلاف ما شاع وذاع عند من لم يتأدب بالسنة ولا عرفها بل الغالب عدم صدقه فينوه برؤياه أو يعمل وليمة وربما تعرض بها للمطامع أو الرياسة والظهور وقد يعتمد على رؤياه حتى فيما يخالف الحق مع كونها على فرض صحتها قد تحتاج الى التعبير اه المراد منه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر قالا نا عوف بن أبي جميلة عن يزيد الفارسي وكان يكتب المصاحف) اشارة الى بركة عمله وأنه من أحل الحلال فلذلك رأى تلك الرؤيا العظيمة (قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام زمن ابن عباس) أي زمن وجوده (فقلت لابن عباس اني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ابن عباس

أيمدح من اثنى الاله بنفسه * عليه فكيف المدح من بعد ينشأ   وروى ابن الخطيب بعد موته فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى بقولى
يامصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له اغلاق   أيروم مخلوق ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق   لكن قصد الانحياش الى الجناب الانخم والركن الاعظم حملهم على بذل مجهودهم وكيف لا وقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدحنى ولو ببيت واحد كنت شفيعه يوم القيامة أى لان ذكر المدحة تنبئ عن المحبة والظاهر أن لا فرق بين منشىء ومنشد ومدرس

(أم أمارى بهن قوم نبي * ساء ماظنه بى الاغبياء   ولك الامة التى غبطتها * بك لما أتيتها الانبياء)   أم متصلة وأمارى أجادل بهن أى تلك الآيات حيث ذكرها فى نظمى قوم نبي وهم المادحون لنبينا   (٣٧٧)   صلى الله عليه وسلم أى لم أذكر تلك الآيات بقصد أنى أوفى بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا تقصدانى أجادل بها أمته ومن ظن بى واحدا منهما فهو عندى لا يفهم ولا يعقل شيأ ولذا قال ساء ماظنه بى الاغبياء لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريؤن منه وكيف يتصوّر منى ان أمارى أمتك ولك الامة ويحتمل الاستئناف أو معطوف على محذوف أى لك الآيات التى لا تحصى ولك الامة وهى الامة الوسطى أى الفضلى لقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس وقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ثم وصف الامة بقوله التى غبطتها أى تمنت أن يكون الانبياء مثلها بسببك لما أى حين أتيتها أى أرسلت اليها فشرفها بك ومنك وقد روى أبو نعيم ان الله تعالى لما

(٤٨ - جسوس)

ذكر لموسى صفات هذه الامة قال يارب اجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال فاجعلنى من أمة ذلك النبي قال استقبلت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال * ثم اعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام بشاهد قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال على وابن عباس ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه قال السبكى فى الآية انه على تقدير مجيئه صلى الله عليه وسلم فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيامة فالانبياء وأممهم كلهم من أمته بكون قوله بعثت الى الناس كافة عاما لمن تقدم ومن تأخر وبه نفهم قوله كنت نبيا

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بى فمن رآنى فى المنام فقد رآنى هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذى رأيته فى النوم) فى النهاية ان النعت ذكر المحاسن والوصف يقال فى الحسن والقبح وليس فى هذا السؤال مايدل للقول بأنه عليه السلام لا يرى الا فى صورته المعلومة بل فيه مايدل لما تقدم من أن من رأى شخصا مخالفا لصفة النبي صلى الله عليه وسلم من كل وجه فان رؤياه لا تكون حقا (قال نعم أنعت لك رجلا) فى نسخة رجل أى هو رجل (بين الرجلين جسمه ولحمه) فاعل الظرف أو مبتدأ مؤخر والظرف خبر مقدم والجملة نعت رجل أى ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير اللحم ولا بقليله (أسمر) بالرفع أو النصب على انه نعت لرجل (الى البياض) أى مائل اليه فيكون بين البياض والحمرة وقد سبق ان بياضه مشوب بالحمرة (أكحل) بالوجهين أيضا (العينين) أى خلقة (حسن الضحك) أى التبسم (جميل دوائر الوجه) أى أطرافه (قد ملأت لحيته ما بين هذه الى هذه) الاشارة الى الاذنين (قد ملأت نحره) أى عنقه فهى اذا عريضة طويلة (قال عوف) الراوى عن يزيد الراوى (ولا أدرى ما كان مع هذا النعت) أى من النعوت التى ذكرها يزيد لانى نسيتها هذا هو الظاهر المتبادر فى معنى هذا الكلام كما فى جمع الوسائل وقال ابن حجر أى لا أعلم الذى وجد من صفاته فى الخارج مع هذا النعت هل هو مطابق له أولا وهذا ظاهر لا غبار عليه اه وتأمله مع قوله (فقال ابن عباس لو رأيته فى اليقظة ما استطعت ان تنعته فوق هذا) قال المناوى كأنه لم يترك شيأ من أوصافه حتى أوجب أن يقول ابن عباس هذا الا انه نسى عوف بعض ماذكره كما قاله اه ﴿تنبيه﴾ ظاهر الروايات المتقدمة وغيرها ان رؤياه صلى الله عليه وسلم تصح وان لم يكن الرائى صحابيا ولا ممن تكرر سماعه بصفته صلى الله عليه وسلم وقال القرافى قال العلماء انما تصح رؤيته عليه الصلاة والسلام لاحد رجلين لصحابى رآه فانطبع مثاله فى نفسه فاذا رآه علم انه رأى مثاله المعصوم من الشيطان والثانى رجل تكرر عليه سماع صفته صلى الله عليه وسلم المنقولة فى الكتب حتى انطبع فى نفسه المثال المعصوم فاذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان كما يجزم الصحابى بذلك وأما غير هذين فلا يجزم انه رأى مثاله بل يجوز أن يكون رأى مثاله ويحتمل أن يكون من تخيل الشيطان ولا يفيده قول المثال أنا رسول الله ولا قول من حضر معه هذا رسول الله لان الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره اه قال الابى وهو مشكل وموضع الاشكال قصر الرؤيا على الرجلين وتجويزه فى غير الرجلين أن يكون مارآه من تمثيل الشيطان مع شهادته صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لا يتمثل به فان قلت اذا لم تقصر رؤياه على الرجلين فبم يعلم غيرهما انه رأى مثاله قلت يجوز أن يكون باعتقاد خلقه الله تعالى للرائى أن الذى رآه هو مثاله صلى الله عليه وسلم اه قال المصنف (ويزيد الفارسى) أى المذكور فى هذا السند (هو يزيد

وآدم بين الروح والجسد قال وقد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بالحديث الى روحه الشريفة وحقيقته المنيفة والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعرفها خالقها ومن أيده الله بنور إلهي فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم في عالم الارواح وأمدهم وأفادهم ثم دعاهم بعد ذلك في عالم الاشباح وشرائعهم التي كانوا مكلفين بها هي شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم فقوله تعالى ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به معناه والله أعلم لتظهرن الايمان به ولتجددنه في عالم الاجساد والاشباح والا فقد تقدم منهم الايمان به في عالم الارواح والكلام على الآية المذكورة طويل أفرد بالتصنيف (لم نخف بعدك الضلال وفينا * وارثو نور هديك العلماء) الضلال الزيغ والانحراف عن الشريعة الواضحة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك والهدى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمراد بالعلماء أهل السنة والجماعة الذين أخبر عنهم صلى الله عليه وسلم بقوله كما في الاحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وصح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال العلماء ورثة الانبياء لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر زاد في رواية تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر وفي أخرى انما العالم من عمل بعلمه وذكر المفسرون في قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ان الدرجات اما في الجنة واما في الدنيا بالمرتبة والشرف وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام والجمال عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان صلوات الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وقال عليه الصلاة والسلام أوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وقد قال الامام أبو حنيفة والشافعي وغيرهما ان لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله من ولي وصرح أبو اسحق الشاطبي بافضلية درجة العلم على درجة الولاية وهي مأخوذة من أحاديث

ابن هرمز) بضم الهاء والميم ممنوع من الصرف قال في جمع الوسائل والصحيح انه غيره فان يزيد بن هرمز مدني من أوسط التابعين ويزيد الفارسي مقبول من صغار التابعين كما يعلم من التقريب وتهذيب الكمال (وهو) أي ابن هرمز (أقدم من يزيد الرقاشي) بتخفيف القاف ثم معجمة (وروى يزيد الفارسي عن ابن عباس أحاديث) أي عديدة (ويزيد الرقاشي لم يدرك ابن عباس وهو يزيد بن أبان) بالصرف ويجوز منعه (الرقاشي وهو) أي الرقاشي (يروي عن أنس بن مالك ويزيد الفارسي ويزيد الرقاشي كلاهما من أهل البصرة) أي فمن قال انهما واحد لاتحاد اسمهما وبلدهما فقد وهم (وعوف بن أبي جميلة) أي الراوي عن يزيد الفارسي (هو عوف الاعرابي) * قال المصنف (حدثنا أبو داود سليمان) بدل أو بيان (ابن سلم البلخي نا النضر بن شميل قال قال عوف الاعرابي أنا أكبر) أي سنا (من قتادة) أي راوي ابن عباس ففي هذا السند رواية تابعي وهو عوف عن تابعي وهو يزيد الفارسي والمقصود من ايراد هذا الاسناد أن عوفا هو الاعرابي بدليل تعبير النضر عنه بعوف الاعرابي وقيل وعليه اقتصر ابن حجر ان المقصود الاستدلال على ما تقدم من أن يزيد أدرك ابن عباس ووجه ذلك انه اذا كان راوي يزيد الذي هو عوف أكبر من راوي ابن عباس لزم أن يزيد أدرك ابن عباس وهو وان لم يستلزم رؤيته لكن يستأنس به لذلك قال في جمع الوسائل وهو غير صحيح لان الترمذي قد جزم بأن يزيد الفارسي روى عن ابن عباس أحاديث فلا يحتاج الى الاستدلال بمثل هذا المقال مع ان كلا من الرؤية والرواية لا يثبت بمجرد الاحتمال لان امكان رؤية يزيد الفارسي ابن عباس لا يستلزم رؤيته بالفعل مع ان المدعى ذلك * قال المصنف (حدثنا عبد الله ابن أبي زياد نا يعقوب بن ابراهيم بن سعد نا ابن أخي ابن شهاب الزهري) ابن شهاب هو محمد بن مسلم وابن أخيه محمد بن عبد الله بن مسلم (عن عمه) أي الزهري (قال قال أبو سلمة قال أبو قتادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني يعني في النوم فقد رأى الحق) يحتمل أن يكون مفعولا مطلقا أي فقد رأى الرؤيا الحق وهي التي ليست من الشيطان ولا بأضغاث أحلام فيرجع الى معنى قوله فقد رآني في الروايات المتقدمة ويحتمل أن يكون مفعولا به أي فقد رأى الله سبحانه وتعالى لانه صلى الله عليه وسلم المجلى الاعظم والمرآة الكبرى لظهور ذاته تعالى وظهور صفاته اذ أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله تعالى والتعريف به فمن رآه شهد فيه جلال الله وجماله أما أقواله فظاهر وأما أفعاله فلان ارادته تابعة لارادة الله تعالى بمقتضى الخلافة والتمكين في العوالم فتعرف من مشاهدة أفعاله أفعال الله تعالى وأما أحواله وأخلاقه فلانه متخلق بأخلاق الرحمن قال الورتجيبي في قوله تعالى ان الذين يبايعونك الآية جعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته وقال في قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله أي ليشاهدوا بأسرارهم الله ويدركوك في محل الجلال

كثيرة والله أعلم و في كلام الناظم اشارة الى الخصوصيات والمزايا التي انفردت بها هذه الامة عن سائر الامم ببركة الانتساب الى ذلك الجناب الافخم منها ما تقدم ومنها أن من هم منا بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة بل تكتب له حسنة ان تركها امتثالا وان عملها كتبت له سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف فاكثر ومنها انه رفع عنا المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما وقع فيه اكراه وحديث النفس ومنها انا أول من تنشق عنهم الارض من الامم ومنها انه يقضى لهم قبل الخلائق ومنها انا ندخل الجنة قبل سائر الامم ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم ومنها ان لهم ما سعوا وما سعى لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى ومنها انهم عجل لهم عذابهم في الدنيا و في البرزخ ليوافوا يوم القيامة ممحصين ومنها أنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء أي بيض الوجوه والايدي والارجل من نور الوضوء ومنها أنهم تغفر لهم الذنوب بالاستغفار والندم لهم توبة ومنها ان أمته لا تهلك بجوع ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدو غيرهم يستبيح بيضتهم ولا يجتمعون على ضلالة وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا ومنها ان الطاعون رحمة لهم وكان عذابا لمن قبلهم ومنها ان فيهم أقطابا وأوتادا ونجباء وأبدالا ومنها أنه يوم القيامة يدفع الى كل رجل منهم رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بلا حساب فسألته الزيادة فزادني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا (فانقضت آي الانبياء وآيا * تك في الناس ما لهن انقضاء) أي بسبب ان في الامة وارثي هداك المخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم من الامم انقضت آي الانبياء أي معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وآياتك أي معجزاتك في الناس قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك ما لهن انقضاء أما الاول فقد مر منها جملة منها ما في كتب الله المنزلة على الانبياء من ذكره ونعته وما ظهر في أيام مولده ومبعثه من الامور العجيبة كقصة الفيل وخمود نار فارس وسقوط شرفات إيوان كسرى وانتكاس الاصنام المعبودة لولادته الى غير ذلك مما ورد به الاخبار الى أن بعثه الله مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته وأعظم من ذلك كله القرآن الذي نزل عليه واستمر في أمته وفي البردة دامت لدينا ففاقت كل معجزة * من النبيين اذ جاءت ولم تدم وأما الاخير فكثير

والجمال ويعرفوا قدرك في قدري وقدري في قدرك حيث صرت مرآتي أتجلى منك لهم لذلك قال عليه الصلاة والسلام من رآني فقد رأى الحق اه وهذا هو معنى قولهم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الانسان الكامل وانه مخلوق على صورة الله وعلى صورة الرحمن وقد ورد الخبر بذلك وفي آية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم تصريح بمقام الخلافة العظمى اشارة الى أن المطلوب التمسك بسنته والتعلق بشريعته وعدم الانحراف عن طريقته وانه باب الله الاعظم وان جميع ما يخرج من الخزائن الالهية دنيا وأخرى انما يخرج على يديه صلى الله عليه وسلم الله المعطي وأنا القاسم ﴿تنبيه﴾ في البخاري من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي وفي مسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو فكأنما رآني في اليقظة قال المازري هو شك من الراوي فان كان المسموع الثاني فتأويله مأخوذ مما تقدم وان كان المسموع الاول فيحتمل أن يريد من لم يهاجر من أهل عصره وانه اذا رآه في النوم فسيراه في اليقظة ويكون الله تعالى جعل رؤياه في النوم علما على ذلك وأوحى اليه به عياض وقيل المعنى أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وقيل المعنى يراه في الآخرة وان كان سيراه هناك جميع أمته لكن من رآه في المنام يكرم يوم القيامة برؤيته رؤية خاصة زائدة على رؤية من لم يره في المنام من القرب منه أو الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات وقيل هو بشارة ووعد برؤيته في اليقظة ويقع ذلك ولو مرة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذي لا يخلف قال ابن أبي جمرة وهو عام وليس بخاص بمن فيه الاهلية والاتباع لسنته عليه الصلاة والسلام قال السيوطي وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبيل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده الصادق وأما غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حياتهم اما كثيرا واما قليلا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم على السنة اه قال ابن حجر وقد ذكر ابن أبي جمرة عن جمع انهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نوما فرأوه بعد ذلك يقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم الى طريق تفريجها فكان الامر كذلك وحكيت رؤيته صلى الله عليه وسلم كذلك عن جماعة من الاماثل كالامام عبد القادر الجيلي كما في عوارف المعارف للسهروردي والامام أبي الحسن الشاذلي كما حكاه التاج ابن عطاء الله وكصاحبه الامام أبي العباس المرسي والامام علي الوفائي والقطب القسطلاني والسيد نور الدين الايجي وجرى على ذلك الغزالي فقال في كتابه المنقذ من الضلال وهم يعني أرباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد اه وأنكر ذلك جماعة منهم الامام بدر الدين الاهدل اليمني أحد فقهاء الشافعية في كتاب الرؤيا ومنهم صاحب فتح الباري ومنهم الامام القرطبي وغيرهم وقد نقل ابن حجر كلامهم وتعقب ما ذكروه من الالزامات وبين أنه لا يلزم شيء منها وكذلك الامام

تجدداً اذ فى كل حين يقع لخواص أمته من خوارق العادات بسببه ما يدل على تعظيم قدره مالا يحصى كما قال (والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء) أى الكرامات الواقعة منهم أى من الناس كالمعجزات اذ كل منهما أمر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدى وعدمه لكنها فى الحقيقة معجزات لك حازها من نوالك أى عطائك وكرمك الاولياء وكان القياس حازوها لكنه أظهر ليبين ان مراده بالناس العائد عليهم فى منهم خواصهم وهم الاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله و رسوله فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما الى ما يغضبهما أو مفعول لان الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولى انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات كذا قالوه (٣٨٠) و يتجه أن هذا ضابط للولى الكامل وأن أصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المعتبرة ثم المعجزة هى فعل الله تعالى خارق للعادة مقارن لدعوى الرسالة متحدى به والا فهى استدراج أو سحر ولذا قال ابن حجر العسقلانى فى الفتح ان الذى استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك يكون من أولياء الله غلط فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فلابد من النظر الى التمسك بالاوامر الشرعية والنواهى المرعية فهى علامة على الولاية والعكس بالعكس والصحيح ان كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولى ﴿ تنبيهات الاول ﴾ قال الحاتمى رضى الله عنه فى الفتوحات ان مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو قطب الاقطاب فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا فهو ممد كل نبى و ولى سابق على ظهوره حال كونه فى الغيب وشد أيضاً لكل ولى لاحق فيوصله بذلك الى مرتبة كماله فى حال كونه صلى موجودا فى عالم الشهادة و فى حال كونه منتقلا الى الغيب الذى هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين ثم قال فكل نبى تقدم على زمان ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشريعة اه وقال الشيخ أبو عثمان الفرغانى لم يكن داع حقيقى من الابتداء الى الانتهاء الا هذه الحقيقة الاحمدية التى هى أصل جميع الانبياء وهم كالاجزاء والتفاصيل لحقيقته فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن خلافة من كل لبعض أجزائه وكانت دعوته دعوة الكل لجميع أجزائه والاشارة الى ذلك قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس والانبياء والرسل وجميع أممهم وجميع المتقدمين والمتأخرين داخلون فى كافة الناس وكان هو داعيا

أبو الفضل عبد القادر بن مغيزل فى كتابه الكواكب الزاهرة فى اجتماع الاولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة فقد نقل كلام الأئمة فى ذلك و بسط القول فيه فانظره والظاهر أن رؤياه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة تجرى على ما مر فى رؤياه نوما ومقتضى كلام الامام حجة الاسلام وغيره من الصوفية أن ما يقع من ذلك انما هو أمر روحانى ومشاهدة قلبية ولا مدخل لعينى الرأس فى شىء من ذلك ومن ظن أنه رآه يقظة ببصره فانما رآه ببصيرته ولكن سرى نوره من بصيرته الى بصره فلبس عليه فظن أنه رآه ببصره على قياس ما قاله الشيخ أبو محمد عبد القادر نفعنا الله به فى مريد ادعى أنه رأى الله بعين رأسه بعد ان استخبره وانتهره أنظر سمط الجوهر الفاخر * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا معلى بن راشد نا عبد العزيز بن المختار نا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتخيل بى) أى فلا تكون رؤياى من أضغاث الاحلام قال فى جمع الوسائل ضمير قال لانس كما هو الظاهر والا لقال وقال فالحديث موقوف لكنه فى حكم المرفوع ولا يبعد أن يكون الضمير له صلى الله عليه وسلم استغناء عن التصريح بمقتضى التوضيح اه (ورؤيا المؤمن) أى الكامل لرواية البخارى الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح (جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة) قال الشيخ زروق فلا تكون من النبوّة الا ان كانت من الرجل الصالح لانها حينئذ كرامة والكرامة من المعجزة لان مددها منها وهى شاهدة بصحتها فهى من تمام برهانها كما قيل خرق العادة كرامة للمتبع واستدراج للمبتدع يفرق بينهما التوفيق فى سلوك الطريق اه وقال القرطبي لا تكون من أجزاء النبوّة الا اذا وقعت من مسلم صالح صادق لانه الذى يناسب حاله حال النبي والكافر والكاذب والمخلط وان صدقت رؤياهم فى بعض الاحيان فانها لا تكون من الوحى ولا من النبوة اذ ليس كل من صدق فى حديث عن غيب يكون خبره نبوة بدليل الكاهن والمنجم فان أحدهم قد يحدث و يصدق ولكن على الندور والفلة وكذا الكافر قد تصدق رؤياه كرؤيا العزيز السبع بقرات ورؤيا الفتيين فى السجن و رؤيا عاتكة عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهى كافرة لكن ذلك قليل بالنسبة الى مناماتهم المخلطة الفاسدة اه و بين صلى الله عليه وسلم بهذا أن رؤيا غير النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون حقا كما أن رؤياه عليه السلام حق وأن الرؤيا الصادقة من قبيل العلم الوهبى بل من قبيل الوحى قال الابى قال القرطبي هذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم بانها وحى من الله تعالى ولذلك أجاب مالك رحمه الله من قال له أيعبر الرؤيا كل أحد قال أبالنبوة يلعب وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم من منامات أصحابه كما فى رؤيا الاذان ورؤيا ليلة القدر وكل ذلك بناء على أنها وحى اه و فى البخارى وغيره متصلا بهذا الحديث وما كان من النبوة لا يكذب و فى البخارى وغيره من حديث عائشة رضى الله عنها أول ما بدئ به رسول الله

بالاصالة وجميع الانبياء والرسل يدعون الخلق الى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وسلم وكانوا خلفاءه ونوابه فى الدعوة اه ولذا قال الناظم فى البردة

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

ويؤخذ من استمداد الانبياء منه صلى الله عليه وسلم استمداد الاولياء منه بطريق الاحرى ولكن الحظوظ مختلفة فحظ النبى زق من عسل وحظ الولى ما رشح منه كما قال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه فينبغى لمن زار وليا من أولياء الله أن يستحضر استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم فيكون بذلك زائرا له صلى الله عليه وسلم ﴿التنبيه الثانى﴾ اعلم أن الاولياء أفاض الله علينا من بركاتهم ورضى عنهم هم قسمان قسم مريد سالك واصل الى ربه المالك وقسم غائب مجذوب فى حضرة علام الغيوب فاجأهم التجلى الالهى فذهب بعقولهم فعقولهم مخبوءة عند الله تعالى منعمة بشهوده عاكفة فى حضرته متنزهة فى جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول ولما تكلم أبو زيد بن خلدون فى أوائل تاريخه على السادات الصوفية قال ومن هؤلاء قوم بهاليل معتوهون

أشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشىء فيطلقون كلامهم فى ذلك ويأتون منه بالعجائب الى أن قال ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شىء من التكاليف واذا صح ذلك فاعلم انه يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ولك فى تمييزهم علامات منها أن هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها أصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة أصلا ومنها انهم يخلقون على البله من أول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها كثرة تصرفهم فى الناس فى الخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف فى حقهم والمجانين لا تصرف لهم اه ﴿التنبيه الثالث﴾ تقدم الفرق بين المعجزة والكرامة وذكر فى لطائف المنن أن الكرامة تارة تظهر للولى فى نفسه فيكون المراد منها تعريفه بقدرة الله وانها لا تتوقف على الاسباب وتكون شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى وتارة تظهر فى الولى لغيره فتكون معرفة له بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه فينتفع به وهى من آثار محبة الله لعبده ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وليست شرطا فى الولى ولا دالة على انه أفضل من غيره ممن لم تظهر على يديه كرامة لان الفضيلة انما هى بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله فكل من كان أقوى يقينا وأكمل معرفة كان أفضل ولهذا ربما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهايات فى نهاياتهم لما هم عليه من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين ولهذا لم تكثر الكرامات فى الصحابة كثرتها فيمن بعدهم لانهم ببركة مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لنزول الوحى تنورت بواطنهم وعاينوا الآخرة وزهدوا فى الدنيا وزكت نفوسهم فاستغنوا عن الكرامة الحسية لما

صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح يعنى فى الصدق والظهور فهى من أعظم المزايا وأشرف الخصوصيات وأعظم المرائى وأشرفها وأكملها رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ويكفى فى ذلك ما تقدم فى رواية من رآنى فى المنام فقد رأى الحق على أحد الوجهين فيه وهو الاشارة الى انه المجلى الاعظم فمن ظفر برؤيته صلى الله عليه وسلم فقد حصل على الكنز الاكبر والكبريت الاحمر وفاز بكيمياء السعادة اذا كانت رؤية الواحد من أولياء أمته والاجتماع به تغنى فما يقال فى رؤية نبى من الانبياء فما يقال فى رؤية صفوة الانبياء فان وجهه الاكرم صلى الله عليه وسلم جنة العارف فيحصل للعارفين بالنظر اليه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد كان الاجلاف من الاعراب بمجرد مثولهم بين يديه صلى الله عليه وسلم ينطقون بالمعارف والحكم التى لا يهتدى اليها أكابر العلماء وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم رأى المولى جل جلاله فمن رآه فقد رأى من رأى وهذه خصوصية عظيمة ومزية فخيمة لم تثبت فى الدنيا لاحد ولا تكون لاحد ولهذا اصطفت جنود الله وملائكته ليلة الاسراء على سدرة المنتهى ينظرون فيما رجع به صلى الله عليه وسلم من أنواع الجلال وضروب الجمال والكمال وكان الامين جبريل يطوف به بين صفوف الملائكة تنويها بقدره وتفخيما لامره فكان رؤساؤهم وعظماؤهم يضعون أجنحتهم فى مواطئ قدميه صلى الله عليه وسلم ولهذا كان نبى الله موسى لما لقيه النبى صلى الله عليه وسلم يردده الى الله تعالى ليرى من رأى وقد سأل سبعون ألفا من الملائكة مولانا جل جلاله فى النزول الى الارض لينظروا اليه صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من أنه أكرم الخلق على الله ولانه رأى فيرون من رأى ولانه المجلى الاعظم والمرآة الكبرى ولهذا كان الاكابر من الاولياء يغيبون فى مشاهدته صلى الله عليه وسلم وقد قال الشيخ أبو العباس المرسى لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين ﴿فائدة﴾ ذكر ابن الفاكهانى فى كتابه الفجر المنير فى الصلاة على البشير النذير أن من قال سبعين مرة اللهم صل على روح سيدنا محمد فى الارواح اللهم صل على جسد سيدنا محمد فى الاجساد اللهم صل على قبر سيدنا محمد فى القبور رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وقوله من ستة وأربعين هى رواية الاكثر

اطلعوا من العلوم الغيبية والمعارف الاشهادية ولايحتاج الجبل الى مرساة بنحو هـذا أجاب الامام أحمد لما سئل عن هذا وقد قال على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ماازددت يقينا وتقدم   لم يزده كشف الغطاء يقينا * بل هو الشمس ماعليه غطاء   وقال سيدى ابن عباد الكرامة الكاملة انما هى حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ولهذا قال الشيخ أبو العباس المرسى ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وقال أبو الحسن انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل بالاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب وقال أبو يزيد البسطامى لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تقتدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود وآداب الشريعة   (٣٨٢)   اه وقال أبو القاسم الجنيد قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقينا

وهى الاصح عند المحدثين وفى رواية الرؤيا الصالحة جزء من سبعين وفى أخرى جزء من أربعين وفى أخرى من خمسين وفى أخرى من ستة وعشرين وفى أخرى من أربعة وأربعين وأشار الطبرى الى أن اختلاف الروايات فى قدر النسبة لاختلاف حال الرائى فرؤيا الصالح جزء من ستة وأربعين ورؤيا الفاسق جزء من سبعين قال ابن العربى وهذا الوجه أحسنها وهو أن نسبة هذه الاجزاء الى النبوة انما هو بحسب اختلاف الرائى فرؤيا الصالح على عدد والذى دونه درجة دون ذلك وقيل اختلاف الروايات يدل على ان المراد بالاعداد انما هو الكثرة لا التحديد واختلاف هذه الروايات مما يرد ماقيل من ان وجه كونها جزأ من ستة وأربعين ان زمن الوحى ثلاث وعشرون سنة منها ستة أشهر قبلها رؤيا ونسبة ذلك الى سائرها نسبة جزء الى ستة وأربعين جزأ وقد رده أيضا جمع منهم الخطابى بأنه لم يثبت كون زمن الرؤيا ستة أشهر ولم يسمع فى ذلك أثر وكأن قائله بناه على الظن والظن لا يغنى عن الحق شيئا وقد نقل الابى ما للعلماء فى توجيه الحديث وأطال فى ذلك فانظره وقال التوربشتى الاولى أن يجتنب القول فى تحديد الاجزاء بستة وأربعين جزأ ويتلقى بالتسليم لكونه من علوم النبوة التى لا تقابل بالاستنباط ولا يتعرض لها بالقياس اه ولا حرج على أحد فى الاخذ بظاهره فان جزأ من النبوة لا يكون نبوة كما ان جزأ من الصلاة لا يكون صلاة والذى لم نفهمه انما هو تحديد الاجزاء بالستة والاربعين أو غير ذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن على قال سمعت أبى يقول قال عبد الله بن المبارك اذا ابتليت بالقضاء فعليك بالاثر) أى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى اللجا اليه النجاة من المهالك وهذا والله أعلم بالنسبة للمجتهد أما المقلد فحسبه اتباع مقلده ومقلد المتمسك بالسنة متمسك بالسنة قال الامام الحطاب فى أول شرحه للمختصر الذى عليه الجمهور انه يجب على من ليس فيه أهلية الاجتهاد أن يقلد أحد الائمة المجتهدين سواء كان عالما أو ليس بعالم وقيل لا يقلد العالم وان لم يكن مجتهدا لان له صلاحية أخذ الحكم من الدليل اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن على أنا النضر انا ابن عون عن ابن سيرين قال هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) أى واذا كان هذا الحديث دينا فيجب الرجوع له وتحصيله والعمل به ففى كل من هذين الكلامين ترغيب فى التضلع من علم السنة

(ان من معجزاتك العجز عن وصـ * فك اذ لا يحده الاحصاء
كيف يستوعب الكلام سجايا * ك وهل تنزح البحار الركاء)

هذا فى معنى التوكيد لقوله وآياتك فى الناس مالهن انقضاء أى ان من جملة معجزاتك عجز كل الناس عن الاحاطة بكل فرد فرد من أوصافك التى اختصك الله بها لاجل انه لا يحد ولا يحصى أوصافك احصاء محص ولا عد عاد والعموم مأخوذ من اضافة المفرد المنكر الى المعرفة وكيف يمكن أن يستوعب الكلام الصادر من كل من مدحك سجاياك أى أخلاقك الكريمة وفضائلك الفخيمة وأوصافك العظيمة وماهى فى كثرتها وعدم احصائها وقيام الوجود المعنوى بها لانه صلى الله عليه وسلم فانه روح الكون والخليفة الاكبر عن الله فى امداده الا كالبحر اذ به أيضا يقوم الوجود الحسى وما الالفاظ التى يعبر بها عن الاوصاف المأخوذة من أوصافك الا كالركاء جمع ركوة فيؤخذ بها من البحر مايراد وهو لا انقضاء له فقوله وهل تنزح البحار الركاء فيه تشبيه الاوصاف بالبحار بالجامع المذكور ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية وفيه تشبيه الالفاظ بالركاء بجامع التوصل الى المطلوب وأطلق اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية أيضا ورشحهما بذكر النزح   (ليس من غاية لوصفك أبغيـ * ـها وللقول غاية وانتهاء)   قد علم أن أوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من أول الزمان الى آخره لا تحد ولا تحصى ومما يزيدك بيانا وايضاحا لذلك ما أخبر به الناظم عن نفسه وهو أنه ليس من غاية يطلبها لوصفه لعدم الغاية لها وللقول هو غاية وانتهاء فليس للنفى ومن غاية اسمها جر بمن لافادة الاستغراق والجملة من قوله أبغيها خبر ولوصفك يتعلق بما بعده أو بما قبله وعطف الانتهاء على الغاية للتأكيد وما أحسن قول الناظم فى البردة * دع ماادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم   وانسب الى ذاته ماشئت من شرف * وانسب الى قدره ماشئت من عظم

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم   فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وانه خير خلق الله كلهم
وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم   فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس في الظلم

وقول سيدي محمد بن الجيش   آيات خير المرسلين محمد * نور الهدى بهر العقول سناها   من حين مبعثه الوجود لوقتنا * هذا يعددها فما أحصاها * من ذا يروم لمجد أحمد منتهى * وبمجده كل الكمال تناهى   وقد قال سيدنا أويس القرني رضي الله عنه لأصحاب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيتم من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ظله قالوا ولا ابن أبي قحافة قال ولا ابن أبي قحافة ولما ذكر هذا الكلام عند العارف الأكبر سيدنا أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال صدق أويس القرني رضي الله عنه والى هذا يشير البغدادي بقوله   صدقت لقد حاز الحبيب مناقبا * تقاصر عن احصائها كل مستقصي   صحابته لم تحص ما خصه به * الله البرايا ليت شعري من يحصي   وهذا هو الذي أفصح عنه

القطب الأشهر مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه حيث قال وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق

(انما فضلك الزمان وآيا * تك فيما نعده الآناء)

أي انما فضائلك كالزمان في الكثرة والامتداد وعدم حصرها بالاعداد وآياتك أي خصائصك التي هي جزئيات تلك الفضائل كالآناء أي اللحظات والساعات التي اشتمل عليها الزمان في العجز عن الاحاطة بكل منهما قلت ويحتمل أن يكون المعنى انما (١) أبدا وتبقى بسببه على ممر الازمنة الى ما لا منتهى لآخره لك البأواء أي الفخر وأي فخر فسأل من الله تعالى أن يسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم لان سلامنا عليه ليس فيه مكافأة له على احسانه الينا وانعامه علينا ولذا شرع لنا أن نطلب من الله تعالى أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم لانا عاجزون عن مكافأته فانه أحسن الينا احسانا لم يحسن الينا أحد مثله ولا مقاربه ولا نستطيع أن نحسن الى أنفسنا مثله وتأمل قوله جل وعلا لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فلما عجزنا عن مكافأته طلبنا من الله أن يكافئه ويجازيه اذ لا يقدر على مكافأته سواه تعالى وأخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس من قال جزى الله عنا سيدنا محمدا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح وفي رواية ألفي صباح بالتثنية فيكون أعلم أولا بالالف ثم أعلم بزيادة ألف آخر فاعلم به

(وسلام عليك منك فما غيـ * ـرك منه لك السلام كفاء) بعد أن ذكر سلام الله عليه لاشرفيته ثنى بسلامه على نفسه لاقربيته منه فما غيرك من المخلوقين السلام الصادر منه عليك كفاء لك أي مكافئ لحضرتك لما تقدم من تقرير العجز والقصور وكفاء فعال مصدر كافأ يكافئ فما نافية وغيرك مبتدأ أول والسلام مبتدأ ثان وكفاء خبر عن الثاني والجملة خبر عن الاول والرابط ضمير منه العائد على غير وهو متعلق بالسلام

فانه كلام صاحب الانوار المحيطة الذي لا ينطق عن الهوى وهو أحد أصول الشرائع والاحكام التي عرف منها الحلال والحرام وقد قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وخرج ابن أبي جمرة من حفظ على أمتي حديثا واحدا أقيم به سنة ويرد به بدعة فله الجنة وخرج أيضا من حفظ على أمتي حديثا واحدا كان له أجر أحد وسبعين نبيا صديقا وهذا أوجه ختم هذا الكتاب بهذين الكلامين فكأنه يقول بعد ان عرفتك ببعض البعض من سيره صلى الله عليه وسلم وشمائله الكريمة وأخلاقه الفخيمة فعليك بالاكثار من حديثه وبذل المجهود في مزيد تحصيله وعدم القناعة منه بهذا الكتاب فانه نجاة لمن تمسك به وعصمة لمن التجأ اليه وهو الدين الذي تعبدنا به رب العالمين كما قيل

دين النبي محمد آثار * نعم المطية للفتى الاخبار
لا تغفلن عن الحديث وأهله * فالرأي ليل والحديث نهار

ورواية المصنف هذه تقتضي أن هذا الكلام من قول ابن سيرين وهو كذلك في مسلم أيضا وأورده في الجامع الصغير من حديث الحاكم عن أنس وعن أبي هريرة بلفظ ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم قال المناوي في شرحه الكبير له قوله العلم أي الشرعي الصادق بالتفسير والحديث والفقه وأصول الدين وأصول الفقه ويلحق بها آلاتها وأشار بقوله فانظروا عمن تأخذون دينكم الى أن الحديث لكونه دينا يجب اتقانه وعدم التساهل فيه فان التعويل في الدين على كل أحد تلاعب ففي الانجيل هل يستطيع أعمى أن يقود أعمى أليس يقعان كلاهما في بئر فلا يؤخذ الا عن العدول الثقات المتقنين والعلماء العاملين ويؤخذ من كلام ابن سيرين فائدتان وكأنه يقول هذا الحديث دين فاطلبوه واحضروا مجالسه وتضلعوا به فان كل حديث يشرح طرفا من الدين وهو تقوى الله تعالى وطاعته وانظروا من أهل الحديث والعلم من يليق للاخذ عنه والانتفاع بصحبته وهم أهل الزهد والورع والاتقان والفهم ولا يكفي الزهد والورع عن الاتقان والفهم ولا العكس قال مالك لقد أدركت بهذه البلدة أقواما لو استسقى الناس بهم المطر لسقوا قد سمعوا العلم والحديث كثيرا ما حدثت عن أحد منهم شيأ لانهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد والفتوى تحتاج لمن له تقى واتقان وعلم

١ قوله انما الخ هذا الكلام غير مرتبط بما بعده ولكن الاصل المطبوع هكذا

وذلك ان جعلناه متعلقا بالسلام كانت اللام بمعنى على ومعمول كفاء محذوف وان جعلناه متعلقا بكفاء فلا حاجة الى ذلك

(وسلام من كل ما خلق الـلـــــه لتحيا بذكرك الاملاء) هذا كالاستدراك لما قبله لانا وان كنا عاجزين عن السلام المكافئ فلا بد من الاتيان بالمستطاع والقصد منه التعرض والمسئلة وطلب المكافأة منكم عليه وان لم نستحقها عليكم لان اليسير عندكم كثير والحقير لديكم خطير وقاصدكم باى وجه لا يخيب وفى الحديث قال جبريل لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلم عليك أحـد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وقد ذكر أهل العلم ان من خواص السلام مفردا التسليم من المشاق ومن المجرب أن من قال كل يوم مائة مرة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته لا يذوق مرارة الموت ورأى بعضهم جابر بن عبـد الله فى النوم فحدثه بهذا عن النبي صلى الله عليه وسـلم ولازمه بعضهم فمات وهو ساجد فى صلاة الصبح واعلم أن المحب يسلم على المحبوب فى حالتى غيبته وحضوره أى فى حالتى الشهود وعدمه أما سلامه فى الغيبة فتملق وتعلق واجلال واعظام ورجاء لان يكون ذلك ذريعة الى الصفاء ووسيلة الى الوصول وتفاؤلا بالظفر بالاقبال فيأتى بما فى طوقـه عسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيما ليس فى طوقه لـكن سر الله فى صـدق الطلب ومن كثر لهجه بالاحباب فلا بد أن يذكروه ومن دام تسليمه عليهـم فلا بد أن يزوروه وأما سـلامه فى وقت الشهود والحضـور فشكر على الانعام وحمد فى مقابلة الـكلام وزيادة خضوع عند شهود الجلال وتضاعف شغف عنـد شهود الجمال فعنـد ذلك يسـلم بعوالمه الظاهرة من رأس وعين وجبين ووجه ولسان وشعر وبشر وكل ذرة من ذراته وجوهرة من جواهره وبعوالمه الباطنـة من روح وعقـل وقلب وحياة وسائر القوى الباطنة

(وصلاة كالمسك تحمل منـــــــى شمال اليك أو نـكباء) المعهود والشائع هو تقديم الصلاة على السلام اقتداء بالآية الشهيرة من والاحاديث الـكثيرة لان الصلاة خاصة بالانبياء اسـتقلالا بخلاف السلام والاختصاص يؤذن بالافضلية وبالافضلية تستحق التقديم وأيضاً السلام من الله تعالى زيادة تـكرمة وانعام على التكرمة والانعام الحاصلين من الصلاة فاستحق السلام التأخير لان الزيادة على الشيء فرع ذلك الشيء والفرع يتبع أصله لـكن لما كان المقام مقام ختام وحصل فيه الاشراف على التمام حسن فيه القلب الى تـكرير السلام فصار المقام له وذكرت الصـلاة أثناء آحاده المكررة تحقيقا لما هو أمس بالمقام من التقـديم والتكريم أو يقال انه لما أكثر من ذكر المحبوب على غاية الشغف بنيل المرغوب تخيل أنه جاد عليه بعظيم اللقاء فاتى بالسلام الذى هو من شعاره تفاؤلا أن يتم له ما استشعره وفى لفظ السلام اشارة الى أنه ترقى الى مطلوبه لاشتراك السلام مع السلم فى المادة فقدمه وصلاة أى عظيمة من الله ومنك لك ومن كل مخلوق كالمسك فى الطيب والنفع البليغ تحمل ذلك المسك شمال التى تهب من جهـة القطب الى الغرب منى اليك حتى ينعطر الوجود بعبـيره وتحيا الارواح بعبيقه ومسيره وفى دلائل الخيرات روى عن بعض الصحابة أنه قال ما من مجلس يصلى فيه على محمد صلى الله عليه وسلم الا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان

وفهم فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل اليه غدا فاما زهد بلا اتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنه اه وفى الاحياء أدركنا الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسـنة وقال ابن مسعود لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فاذا أخذوه عن شرارهم ضلوا ونقل أبو عمر بسنده أن عطاء الخراسانى كان اذا صلى يتكلم بكلمات فغاب يوما فتكلم رجل من المؤذنين فسمع رجاء بن حيوة صوته فقال من هـذا قال أنا قال اسكت فانا نـكره أن نسمع الخير الا من أهله ونقل عياض فى مداركه تقديم من أخر الله وتأخـير من قدم الله فتنة فى الارض وفساد كبير وفى الحديث من تعلم العلم ليباهى به أو ليرائى به أوقفه الله موقف الذل وجعله عليه حسرة يوم القيامة وقد قال العلمـاء رضى الله عنهم ان الآفة ليست من قراءة العـلم وانما هى من خبث الدخيـلة كالمنافق يقرأ القرآن قال وهب بن منبه العـلم كالغيث ينزل من السماء حـلوا صافيا فتشربه الاشجار فتحوله على قدر طعومها يزداد المر مرارة والحلو حلاوة نعم قال ابن العربى اذا سمعت حقا فخذه وان كان من لسان مبطل واستن أنت به وان احترق هو فيه فقد أخبر سبحانه ان الحـكمة يؤتيها من يشاء ولا يتذكر بها الا من له لب قال المناوى فى شرحه الـكبير على الجامع الصغير فعلى الطالب أن يتحرى الاخـذ عمن اشتهرت ديانته وكملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفتـه وكان أحسن تعليما وأجود تفهيما ولا يرغب الطالب فى زيادة العـلم مع نقص فى ورع أو دين أو عـدم خلق حسن وليحـذر من التقيد بالمشهورين وترك الاخذ عن الخاملين فقد عدوا مثل ذلك من الـكبر وجعلوه عين الحمق لان الحـكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجـدها ويغتنمها حيث ظفر بها فان كان الخامـل مرجو البركـة فالنفع به أعم والتحصيل من جهته أهم واذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالباً والفـلاح يدرك طالباً الا اذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر وعلى نصحه للطلبة دليل ظاهر قلت فان لم يجد طالب العـلم من توفرت فيه هذه الشروط على التمام والكمال فلينظر من يقارب من توفرت فيه فليأخذ عنه فان مصيبة الجهل لا تعدلهـا مصيبة وقد نص الفقهاء على انه اذا لم توجد شروط الخلافة أو شروط القضاء أو شروط الشهادة فانه يقدم لذلك أمثل أهل ذلك الزمان ولا يجوز أن يترك الناس فوضى لئلا تضيع الحقوق وقد أخذ الصوفية

السماء فتقول الملائكة هذا مجلس صلى فيه على النبي صلى الله عليه وسلم والنكباء هي الصبا والرياح أربعة باعتبار جهة الكعبة فان هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهي حارة يابسة أو من ظهرها فالدبور وهي باردة رطبة أو يمينها فالجنوب وهي حارة رطبة أو من شمالها فالشمال وهي باردة يابسة وهي ريح أهل الجنة التي تهب عليهم رواه مسلم ولذا قدمها الناظم ﴿ تنبيه ﴾ اعلم أنه يتأكد ههنا التنبيه على بعض ما تضمنه قول مولانا جلّ وعلا ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فانظر كيف أفرد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عن سائر الاعمال بان عملها هو وملائكته أولاً ثم أمر عباده بها ولم يشاركها في ذلك فرض ولا نفل فامرنا أولا أمراً ضمنياً بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي فرغبنا بفعله وفعل ملائكته في تعظيم من عظم هو وملائكته لان الكبير اذا فعل شيئاً بادر كل محب له الى فعله ثم بعد ذلك أمرنا أمراً صريحاً ليتحقق التكليف وتقوم بالمأمور به على وجه التعظيم والمحبة من غير مشقة ولا تعمل لان ذلك خدمة لمن أحبه الله وعظمه وعبر بالمضارع اشارة الى استمرار صلاة الله وصلاة الملائكة عليه صلى الله عليه وسلم واقتصر أولا على ذكر الصلاة ولم يقل يصلون ويسلمون لان تسليم الله والملائكة عليه صلى الله عليه وسلم كان معروفا عندهم مشهورا فيما بينهم وقال على النبي دون الرسول لانه فعيل من النبوة وهي رفعة القدر والمنزلة ففيه تعليق الحكم على الوصف المناسب وقد أطالوا في تفسير الصلاة وأقسامها وكل ذلك يرجع الى معنى الوصلة واظهار الشرف فهي لازمة لكل ماذكر في تفسيرها ولذا فسر البيضاوي قوله يصلون يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وسلموا بقوله قولوا السلام عليك وانقادوا الاوامره فلما تأخيا في هذا المعنى

وكان هو المراد أكد لفظ التسليم تحصيلا لتمام المقصود بدلالته على الانقياد فهو مؤكد لصلوا بمعناه وسلموا بلفظه وحذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه لانه آكد في هذا المقام لما فيه من المسالمة والاذعان والقبول وبه يحصل نهاية المأمول وليصلح أن يكون عليه أوله بمعنى الاذعان والانقياد هذا وأخرج ابن وداعة من حديث عبد الله ابن عمر قال قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من الصلاة علىّ فانها نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم من عسرت عليه حاجة فليكثر بالصلاة علىّ فانها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الارزاق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى صلاة العصر يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مجلسه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة وصرح أبو طالب المكي في قوت القلوب والغزالي في الاحياء بان ذلك لا يتقيد بلفظ صلاة مخصوصة وأخرج الامام أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وصححه عن كعب بن عجرة قلت يارسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ماشئت قلت الربع قال ماشئت وان زدت فهو خير لك قلت النصف قال ماشئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال أذن تكفى همك ويغفر ذنبك وفي رواية اذا يكفيك الله هم دنياك وآخرتك قال الحافظ المنذري معنى قوله كم أجعل لك من صلاتي كم أجعل لك من دعائي صلاة عليك وهو بعيد من قوله اني أكثر الصلاة عليك اه وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله مامعنى قول كعب بن عجرة فكم أجعل لك من صلاتي قال أن تصلي علىّ وتهدي ثواب ذلك الىّ لا الى نفسك اه وغفران الذنوب بها بالنسبة الى الصغائر ظاهر وأما بالنسبة الى الكبائر فلانها تكون سببا للتوبة منها لانها تشرق في القلب نورا يحمل على اجتناب قبائح الذنوب لانها حاجبة عن المحبوب وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه عشرا وأخرج النسائي وابن حبان والدارمي وأحمد والحاكم أتاني الملك فقال يامحمد أما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا والمراد تضعيف الحسنة بعشر على

من هذا الخبر ان على المريد امتحان من أراد صحبته لا على جهة كشف العورات وتتبع السيئات لفقد العصمة بل خلق دون خلق وذنب دون ذنب فالمؤمن رجاع والمنافق مدمن فالعالم يمتحن بالمسائل العلمية والصوفي يمتحن بالخصائل الخلقية حكى القشيري أن أبا عثمان الحيري دعاه رجل الى ضيافة فلما وافى باب داره قال ليس لي حاجة بك وندمت فانصرف فعاد اليه وقال احضر الساعة فوصل لباب داره فقال له كذلك وهكذا خمس مرات فقال يا أستاذ انما اختبرتك واعتذر اليه ومدحه فقال له تمدحني على خلق تجد مثله في الكلب فانه اذا دعي حضر واذا زجر انزجر اه وبالجملة فالعلماء العاملون هم أهل الله الدالون عليه والعارفون بجلاله وعظمته وبكيفية التعبد له وهم الذين تكون النظرة فيهم عبادة والادب معهم وخدمتهم عبادة وهم ورثة الانبياء وخلفاء الرسل عليهم الصلاة والسلام فطاعتهم طاعة الله ورسوله وهم عبيد الله حقا وأولياؤه ومحل نظره من خلقه وبهم يرحم الله البلاد والعباد وهم مع الله بقلوبهم وان كانوا مع الناس بأبدانهم فيكون للآخذ عنهم قسط ونصيب من وراثته صلى الله عليه وسلم اذ الجميع منسوبون اليه ومستمدون منه صلى الله عليه وسلم فما منهم الا وهو سابح في نوره ومستمد من بحوره على حسب مقامه ويكفي في فضل لقائهم ماورد من قوله صلى الله عليه وسلم من صافح عالما صادقا فكأنما صافح نبياً مرسلا أماتنا الله تعالى على محبتهم وحشرنا في زمرتهم وجعلنا من المتمسكين بطريقهم وسنتهم

قاعدة تضعيف الاعمال الصالحة ولكن أخبر الله تعالى بان التضعيف هنا ليس بأمثال عمل العبد كما في غير هذا العمل بل بعمل الرب جل وعلا وهذا هو وجه الخصوصية بان توصل العبد الى صلاة الله عليه كذا أشار اليه القاضي عياض في الاكمال وتبعه الشيخ السنوسي وغيره انظر شرح الشيخ ابن زكري لهمزيته (وسلام على ضريحك تخضـ * ـل به منه تربة وعساء) الضريح القبر الاكرم الذي ضم الجسد الاعظم لاطيب يعدل تربا ضم أعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم وتخضل تبتل وزنا ومعنى وضمير به يعود على السلام وضمير منه يعود على القبر والتربة والعساء اللينة ذات الرمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ في النفع تشبيها مضمرا في النفس فهو استعارة بالكناية وقوله تخضل تخييل ووجه الشبه بين السلام والماء ان كلا منهما اذا وصل امتزج كل الامتزاج

(وثناء قدمت بين يدي نجـ * ـواي اذ لم يكن لدي ثراء) أي قدمت بين سؤالي منك بلوغ المأمول ثناء عظيما على قدر وسعي وطاقتي لاجل انه لم يكن عندي ثراء بالمثلثة أي مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو أأشفقتم الآية فبقي الندب حتى عند زيارة قبره الشريف والناظم حيث لم يكن له مال يحصل به هذا المندوب جعل حسن الثناء عوضا والامر بتقديم الصدقة أمام النجوى قيل بقي عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وقال علي رضي الله عنه هذه الآية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشر مسائل

فاجابني عنها قلت يارسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله

آمين يارب العالمين ﴿ قال مقيده ﴾ عبد الله تعالى وأفقر عبيده الى رحمته محمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد جسوس كان الله تعالى له ولوالديه ولاشياخه ولجميع المسلمين دنيا وأخرى هذا آخر ما تيسر جمعه من الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية ووافق الفراغ من تبييض ذلك خامس الحجة الحرام متم عام تسعة وثلاثين ومائة وألف ونسأل الله تعالى من فضله أن ينفعنا وسائر المسلمين به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد هذا بخط مؤلفه الحمد لله بلغت مقابلته أول رجب الفرد الحرام من سنة احدى [illegible] ومائة وألف تقبل الله ذلك بمنه ثم بلغت مراجعته مرة ثانية [illegible] قبله من سنة اثنين وأربعين جعل الله ذلك من الاعمال [illegible] بمنه آمين ثم مرة ثالثة ثالث ربيع الثاني من عام اثنين وستين ومائة وألف تقبل الله سبحانه ذلك بجاه هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم



قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علي قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسي قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها

(ما أقام الصلاة من عبد الله * وقامت بربها الاشياء) ما ظرفية مصدرية والصلاة مفعول مقدم وهي تعم اللغوية والشرعية ومن موصولة فاعل أقام وعبد فعل ماض فاعله ضمير من والله مفعوله والجملة صلة الموصول وأبد بذلك لعدم انقطاعه لان الصلاة لا تزال تقام في الدنيا على سبيل التكليف وفي الآخرة على سبيل التلذذ والتنعم كما يدل عليه حديث اقرأ وارق واستمرارها في الدنيا معناه الى قرب قيام الساعة للحديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله وعليه يحمل الحديث الآخر لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن تقوم الساعة أي الى أن يقرب وقت قيامها لما ورد أن الله يرسل بقرب قيامها ريحا لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة الا امات وقوله وقامت بربها الاشياء هو معطوف على أقام مدخول لما الظرفية المصدرية ومعنى قامت بقيت على أبلغ نظام وأتقن احكام بايجاده بها وامداده والمراد بالاشياء الموجودات الدنيوية والاخروية وفيه حسن الختام اذ هو ونظمه من الاشياء التي تقوم بربها والرب المصلح اذ هو في الاصل مصدر بمعنى التربية أي الاصلاح وهي تبليغ الشيء الى كماله شيأ فشيأ ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل ففي الختم به تعرض لنفحاته وروى البغوي عن علي كرم الله وجهه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اهـ

﴿ قال مؤلفه ﴾ وكان الفراغ منه بحمد الله وتوفيقه ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلون من ربيع الاول النبوي الانور الافضل من عام مائتين وألف والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اهـ من خط من نقل من خط مؤلفه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

نحمدك يامن خصصت سيد الاواخر والاوائل بجميل الفضائل وجليل الشمائل ونصلي ونسلم على رسولك الكريم الذى أثنيت عليه بقولك جل ثناؤك وانك لعلى خلق عظيم وعلى آله الحائزين لاقصى الرتب العاليه وأصحابه الفائزين باجتلاء محاسنه الساميه ﴿ أما بعد ﴾ فقد تم طبعا وراق أسلوبا ووضعا الشرح المسمى بالفوائد الجليلة البهيه على الشمائل المحمديه للامام المحقق والهمام المدقق نادرة العصر ونتيجة الدهر العلامة الكبير والفهامة النحرير من بهرت علومه الاقمار والشموس سيدنا الشيخ محمد بن قاسم جسوس وقد رصعت هوامشه والطرر بالشرح المملوء بفرائد الدرر المسمى لوامع أنوار الكوكب الدرى فى شرح همزية الامام البوصيرى لعلامة زمانه وفهامة أوانه كنز الدقائق والعلوم ومعدن المنطوق منها والمفهوم ذى التحقيق النفيس مولانا الشيخ محمد ابن أحمد بنيس تغمد الله الجميع بالرضوان وأسكنهم بفضله فسيح الجنان وأقسم انهما لشرحان تنشرح بهما الصدور وتنجلى بهما لاولى العرفان الامور حيث أبان الاول عن أسرار أحاديث الشمائل وما تضمنته من بديع نعوت سيد الاواخر والاوائل وأبرز الثانى ابريز الهمزيه البوصيريه التى تسوق بحسنها لنظم العقود الدريه وماحوته من فصيح هاتيك العبارات وأودعته من بليغ المعانى والمعجزات وجميل النسق الذى لم يسبق له مثال ولم ينسج له ناسج على منوال وكان طبعه الجميل الزاهر وحسن وضعه الجليل الباهر « بالمطبعة الجمالية » الكائن مركزها بحارة الروم بمصر المحمية لمديرها من هو لعفو مولاه راجى السيد محمد أمين الخانجى على ذمة الشاب الامجد الموفق الاسعد السيد (محمد افندى الحلو نجل سعادة قاسم بيك الحلو) التاجر الشهير بمصر شكر الله مساعيهما وبلغهما أمانيهما وقد تم طبعه وظهر نفعه فى أواسط شهر شعبان سنة ١٣٣١ من هجرة سيد الانس والجان صلى الله وسلم عليه وآله وكل منتم اليه مادامت الارض والسماء وقامت بربها الاشياء

م

﴿ فهرست شرح الشمائل الترمذية لسيدى محمد بن قاسم جسوس ﴾

(تمت)